

تأليف آية الله العظمى
الميرزا محمد باقر

شرح منيع البیان

مؤلفه: میرزا محمد باقر
ترجمه: میرزا محمد باقر

چاپ اول ۱۳۰۲

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد

بتحقيق
محمد أبو الفضل إبراهيم

المجلد التاسع عشر

مؤسسة اسماعيليان
للطباعة والنشر والتوزيع
قم - إيران - تلفون ٢٥٢٣

شبكة كتب الشيعة



shiabooks.net

رابط بديل < mktba.net

بيان

يشتمل هذا الجزء على شرح طائفة من مختار حكم أمير المؤمنين ومواعظه وأجوبة مسائله والكلام القصير الخارج في سائر أغراضه ؛ وهو القسم الثانى مما اختاره له الشريف الرضى في كتاب ” نهج البلاغة “ ؛ وينتهى هذا القسم في أثناء الجزء التالى . وقد روجع على الجزء الرابع من المجموعة الخامسة من النسخة المصورة عن أصلها المحفوظ بمكتبة المتحف البريطانى برقم ١٢٦ ، وهى التى رمزت لها بالحرف ا . وأصل هذا الجزء يقع فى ٩٠ ورقة مسطرتها ٢٥ سطرا ، فى كل سطر ١٣ كلمة تقريبا ، مكتوب بخط نسخ معتاد قليل الشكل ، ولم يتضح اسم ناسخه ولا تاريخ نسخه ، ويبدو أنه كتب فى القرن الحادى عشر .

كما روجع على ما يقابله من المجلد الأخير من النسخة المحفوظة بدار الكتب برقم ١٨٦٨ - أدب ؛ وهى التى رمزت لها بالحرف د ، وسبق وصفها فى مقدمة الجزء السادس عشر من هذه الطبعة . وعلى النسخة المطبوعة فى طهران سنة ١٢٧١ عن أصلها المخطوط فى هذا التاريخ ، وهى التى رمزت لها بالحرف ب . والله الموفق للصواب .

محمد أبو الفضل إبراهيم

{ ٧ ربيع الأول سنة ١٣٨٣ هـ
٢٨ يولييه سنة ١٩٦٣ م }

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد

(٥٨٦ - ٦٥٦)

بتحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء التاسع عشر

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد العدل

(١٨٦)

الأفضل :

إِنَّمَا الْمَرْءُ فِي الدُّنْيَا غَرَضٌ تَنْتَضِلُ فِيهِ النَّيَا ، وَنَهَبٌ تَبَادِرُهُ الْمَصَائِبُ ؛ وَمَعَ
كُلِّ جُرْعَةٍ شَرَقٌ ، وَفِي كُلِّ أَكْلَةٍ غَصَصٌ ، وَلَا يَنَالُ الْعَبْدُ نِعْمَةً إِلَّا بِفِرَاقٍ
أُخْرَى ، وَلَا يَسْتَقْبِلُ يَوْمًا مِنْ مُعْرِهِ إِلَّا بِفِرَاقٍ آخَرَ مِنْ أَجَلِهِ ؛ فَنَحْنُ أَعْوَانُ
الْمُنُونِ ، وَأَنْفُسُنَا نَصَبُ الْحُتُوفِ ، فَمِنْ أَيْنَ نَرْجُو الْبَقَاءَ ؛ وَهَذَا اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ لَمْ
يَرْفَعَا مِنْ شَيْءٍ شَرْقًا ، إِلَّا أَسْرَعَا الْكَرَّةَ فِي هَذِهِ مَا بَنِيَا ، وَتَفَرَّقَا مَا جَعَمَا !

الشيخ :

قد سبق ذره^(١) من هذا الكلام في أثناء خطبته عليه السلام ، وقد ذكرنا نحن أشياء
كثيرة في الدنيا وتقلبها بأهلها .

ومن كلام بعض الحكماء : طوبى للهارب من زخارف الدنيا ، والصاد عن زهرة
دَمْنَتِهَا ، والخائف عند أمانها ، والمتهم لزمانها ، والباكي عند ضحكها إليه ، والمتواضع
عند إعزازها له ، والناظر بعين عقله إلى فضائنها ، والمتأمل لقبح مصارعها ، والطارق

(١) ذره : أى طرف .

لكلابها على جيفها ، والمكذب لمواعيدها ، والمتيقظ لخدعها ، والمعرض عن نعمها ،
والعامل في إمهاها ، والمتزود قبل إعجالها .

قوله : « تنتضل » النّضل شيء يرمى ، ويروى « تبادره » أى تتبادره ،
والفرض : الهدف .

والنّهب : المال المنهوب غنيمة ، وجمعه نهب .

وقد سبق تفسير قوله : « لا ينال العبد نعمة إلا بفراق أخرى » ، وقائنا : إنّ الذى
حصلت له لذة الجماع حال ما هي حاصلة له ، لا بدّ أن يكون مفارقاً لذّة الأكل والشرب ،
وكذلك من يأكل ويشرب يكون مفارقاً حال أكليه وشربه لذّة الرّكض على الخيل
في طلب الصّيد ، ونحو ذلك .

قوله : « فنحن أعوان المنون » ؛ لأنّا نأكل ، ونشرب ، ونجامع ، ونركب الخيل ،
والإبل ، ونتصرّف في الحاجات والمآرب ؛ والموت إنّما يكون بأحد هذه الأسباب ، إمّا من
أخلّاط تحدّثها المآكل والمشارب ، أو من سقطة يسقط الإنسان من دابة هو راكبها ،
أو من ضعف يلحقه من الجماع المفرط ، أو لمصادمات واصطكاكات تصيبه عند تصرفه
في مآربه وحركته وسعيه ، ونحو ذلك ؛ فكأنّا نحن أعنا الموت على أنفسنا .

قوله : « نصب الختوف » يروى : بالرفع والنصب ، فمن رفع فهو خبر المبتدأ ، ومن
نصبه جعله ظرفاً .

الأفضل :

لَا خَيْرَ فِي الصَّمْتِ عَنِ الْحُكْمِ ، كَمَا أَنَّهُ لَا خَيْرَ فِي الْقَوْلِ بِالْجَهْلِ .

الشنخ :

قد تكرر ذكرُ هذا القول ، وتكرر منا شرحُه ^(١) وشرحُ نظائره .
 وكان يقال : ما الإنسان لولا اللسان إلا بهيمةٌ مُهَمَّلةٌ ، أو صورةٌ ممثَّلةٌ .
 وكان يقال : اللسان عضوٌ إن مرَّنته مرَّان ^(٢) ، وإن تركته خزن ^(٣) .

(٢) ١ : « تمرن » .

(١) ١ « شرح له »

(٣) خزن : تغير وفسد .

الأصل :

يَا بَنَ آدَمَ ، مَا كَسَبْتَ فَوْقَ قُوَّتِكَ ، فَأَنْتَ فِيهِ خَازِنٌ لِغَيْرِكَ .

الشَّيْخُ :

أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى بَعْضُهُمْ ؛ فَقَالَ :

مَالِي أَرَاكَ الدَّهْرَ تَجْمَعُ دَائِبًا أَلْبَعْلُ عَرْسِكَ لَا أَبَالِكَ تَجْمَعُ !
 وعاد الحسنُ البصريُّ عبدَ الله بن الأَهمِّ في مرضه الَّذي مات فيه ، فأقبل عبدُ الله
 يَصْرِفُ بصره إلى صُنْدُوقٍ في جانب البيت ، ثم قال للحسن : يَا أَبَا سَعِيدَ ، فِيهِ مِائَةُ أَلْفٍ
 لَمْ يُوَدَّ مِنْهَا زَكَاةً ، وَلَمْ تَوْصَلْ بِهَا رَحِمٌ ؛ قَالَ الْحَسَنُ : تَكَلَّمْتُكَ أُمُّكَ ! فَلِمَ أَعَدَدْتَهَا ؟
 قَالَ : لِرَوْعَةِ الزَّمَانِ ، وَمُكَاثَرَةِ الْإِخْوَانِ ، وَجَفْوَةِ السَّاطَانِ .

ثم مات ، فحضر الحسن جنازته ، فلما دُفِنَ صَقَّ^(١) بإحدى راحتيه الأخرى ، وقال :
 إِنَّ هَذَا تَأَةِ شَيْطَانِهِ ، فحَذَّرَهُ رَوْعَةُ زَمَانِهِ ، وَجَفْوَةُ سَاطَانِهِ ، وَمُكَاثَرَةُ إِخْوَانِهِ ، فِيمَا
 أَسْتَوْدَعَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ فَادَّخَرَهُ ؛ ثُمَّ خَرَجَ مِنْهُ كَثِيبًا حَزِينًا ، لَمْ يُوَدَّ زَكَاةً ، وَلَمْ يَصِلْ رَحِمًا .
 ثُمَّ التَفَتَ فَقَالَ : أَيُّهَا الْوَارِثُ ، كُلْ هَنِيئًا ، فَقَدْ أَتَاكَ هَذَا الْمَالُ حَالًا ، فَلَا يَكُنْ عَلَيْكَ
 وَبَالًا ، أَتَاكَ مِمَّنْ كَانَ لَهُ جَمْعُ مَنَوَعٍ ، يَرَكَّبُ فِيهِ لُجَجَ الْبَحَارِ ، وَمَفَاوِزَ الْقِفَارِ ، مِنْ بَاطِلٍ
 جَمَعَهُ ، وَمِنْ حَقٍّ مَنَعَهُ ، لَمْ يَنْتَفِعْ بِهِ فِي حَيَاتِهِ ، وَضَرَّهَ بَعْدَ وَفَاتِهِ ، جَمَعَهُ فَأَوُعَاهُ ، وَشَدَّهَ
 فَأَوُوكَاهُ^(٢) إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ؛ يَوْمِ ذِي حَسَرَاتٍ ، وَإِنَّ أَعْظَمَ الْحَسَرَاتِ أَنْ تَرَى مَالَكَ
 فِي مِيزَانٍ غَيْرِكَ ؛ بَخَاتَ بِمَالٍ أُوتِيَتْهُ مِنْ رِزْقِ اللَّهِ أَنْ تُنْفِقَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ ، نَخَزَنَتْهُ
 لِغَيْرِكَ ، فَأَنْفَقَهُ فِي مَرْضَاةِ رَبِّهِ ، يَالَهَا حَسْرَةً لَا تُقَالُ ، وَرَحْمَةً لَا تُنَالُ ! إِنَّا لِلَّهِ
 وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ !

(١) التصفيق : ضرب له صوت مثل الصق .

(٢) أووكاه : أحكم رباطه ، من الوكاء ؛ وهو رباط القربة .

الأفضل :

إِنَّ لِلْقُلُوبِ شَهْوَةً وَإِقْبَالَاً، وَإِذْبَاراً؛ فَأَتْوَهَا مِنْ قَبْلِ شَهْوَتِهَا وَإِقْبَالِهَا ، فَإِنَّ الْقَلْبَ إِذَا أُكْرِهَ عَمِيَ .

الشرح :

قد تقدّم القول في هذا المعنى .

والعلة في كون القلب يعمى إذا أُكْرِهَ على ما لا يحبّه ، أنّ القلب عضو من الأعضاء يتعب ويستريح كما تتعب الجئنة عند استعمالها وأحمالها ، وتستريح عند ترك العمل ، كما يتعب اللسان عند الكلام الطويل ، ويستريح عند الإمساك ، وإذا تواصل^(١) إكراه القلب على أمر لا يحبّه ولا يؤثره تعب ، لأنّ فعل غير المحبوب متعب ؛ ألا ترى أنّ جماع غير المحبوب يحدث من الضعف أضعاف ما يحدثه جماع المحبوب ؛ والركوب إلى مكان غير محبوب متعب ولا يشتهى ، يتعب البدن أضعاف ما يتعبه الركوب إلى تلك المسافة إذا كان المكان محبوباً ، وإذا أُتعب القلب وأعيا ، عجزَ عن إدراك ما تكلفه إدراكه ، لأنّ فعله هو الإدراك ، وكلّ عضو يتعب فإنّه يعجز^(٢) عن فعله الخاصّ به ، فإذا عجز القلب عن فعله الخاصّ به وهو العلم والإدراك ؛ فذاك هو عماه .

الأصل :

ولله عليه السلام يقول :

مَتَى أَشْفَى غَيْظِي إِذَا غَضِبْتُ ! أَحِينَ أَعْجَزُ عَنِ الْإِنْتِقَامِ فَيَقَالُ لِي : لَوْ صَبَرْتَ !
أَمَّ حِينَ أَقْدِرُ عَلَيْهِ ، فَيَقَالُ لِي : لَوْ عَفَوْتَ !

الشَّيْخُ :

قد تقدّم القولُ في الغَضَبِ مرارا .

وهذا الفصل فصيحٌ لطيفُ المعنى ؛ قال : لا سبيلَ لى إلى شفاء غَيْظِي عند غضبي ،
لأننى إما أن أكون قادرا على الانتقام فيصدّنى عن تعجيله قولُ القائل : لو غفرتَ
لكان أولى ! وإما ألا أكون قادرا على الانتقام فيصدّنى عنه كونى غيرَ قادرٍ عليه ؛
فإذن لا سبيلَ لى إلى الانتقام عند الغضب .

وكان يقال : العقل كالمرآة المجلوة يُصدّنه الغضب ، كما تصدّأ المرأة بالخلّ ، فلا يثبت
فيها صورة القُبْح والحسن .

واجتمع سُفيان الثّورى وفضيل^(١) بن عياض فتذاكرا الزّهد ، فأجمعا على أن
أفضل الأعمالِ الحِلْمُ عند الغضب ، والصبرُ عند الطَّمَعِ .

الأضل :

وقال عليه السلام وقد مرَّ بقدرٍ على مَزبلةٍ : هَذَا مَا بَحَلَّ بِهِ الْبَاخِلُونَ .
وفي خبر آخر أنه قال : هَذَا مَا كُنْتُمْ تَتَنَافَسُونَ فِيهِ بِالْأُمْس !

الشُّرْخ :

قد سبق القولُ في مثل هذا ، وأن الحسنَ البصريَّ مرَّ على مَزبلةٍ ، فقال : انظروا
إلى بَطَّاهِمٍ ودَجَاجِهِمْ وحُلْوَانِهِمْ وَعَسَاسِهِمْ وَسَمْنِهِمْ ؛ والحسن إنما أخذه من كلام أمير المؤمنين
عليه السلام ، وقال ابن وكيع في قول المتنبي :

لو أفكر العاشقُ في مُنتهى حُسن الذي يَسْبِيهِ لم يَسْبِهِ^(١)

إنه أراد : لو أفكر في حاله وهو في القبر ، وقد تغيَّرت محاسنه ، وسالت عَيْنَاه ، قال .
وهذا مثلُ قولم : لو أفكر الإنسان فيما يثول إليه الطعام لعافته نفسه .

وقد ضَرَبَ العلماءُ مثلاً للدنيا ومخالفةِ آخرِها أولها ، ومضادةِ مبادئها عواقبها ،
فقالوا : إنَّ شهوات الدنيا في القلب لذیذةٌ كَشَهَوَاتِ الْأَطْعِمَةِ في المعدة ، وسيجد
الإنسان عند الموت لشهوات الدنيا في قلبه من الكراهة والنتن والقبح ما يبجده للأطعمة
الذیذة إذا طبختها المعدة وبلغت غايةَ نُضْجِهَا ، وكما أن الطعام كلما كان ألذَّ طَعْمًا وأظهر
حلاوةً ، كان رجيعةُ أقدَرٍ وأشدَّ نَتْنًا ؛ فكذلك كلُّ شهوةٍ في القلب أشهى وألذَّ وأقوى ،

فَإِنَّ نَتْنَهَا وَكَرَاهَتَهَا وَالتَّأْدَىٰ بِهَا عِنْدَ الْمَوْتِ أَشَدَّ ، بَلْ هَذِهِ الْحَالُ فِي الدُّنْيَا مُشَاهِدَةٌ ، فَإِنْ [مِنْ] ^(١) نَهَيْتَ دَارُهُ ، وَأَخَذَ أَهْلَهُ وَوَلَدَهُ وَمَالَهُ ، تَكُونُ مُصِيبَتُهُ وَأَلَمُهُ وَتَفْجُئُهُ فِي الَّذِي فَقَدَ بِقَدَارِ لَذَّتِهِ بِهِ ، وَحُبِّهِ لَهُ ، وَحِرْصِهِ عَلَيْهِ ، فَكُلُّ مَا كَانَ فِي الْوُجُودِ أَشْبَهَىٰ وَالذَّ ، فَهُوَ عِنْدَ الْفَقْدِ أَدْمَىٰ وَأَمْرٌ ، وَلَا مَعْنَىٰ الْمَوْتِ إِلَّا فَقْدُ مَا فِي الدُّنْيَا .

وَقَدْ رَوَىٰ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ لِلضَّحَّاكِ بْنِ سُفْيَانَ الْكَلَابِيِّ : أَلَسْتَ تَوْتَىٰ بِطَعَامِكَ وَقَدْ قَزَحَ وَمَا حَ ^(٢) ، ثُمَّ تَشَرَّبَ عَلَيْهِ اللَّبَنَ وَالْمَاءَ ! قَالَ : بَلَى ، قَالَ : فَإِلَىٰ مَاذَا يَصِيرُ ؟ قَالَ : إِلَىٰ مَا قَدْ عَلِمْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ ؛ قَالَ : فَإِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ ضَرَبَ مَثَلَ الدُّنْيَا بِمَا يَصِيرُ إِلَيْهِ طَعَامُ ابْنِ آدَمَ .

وَرَوَىٰ أَبِي بَنْ كَعْبٍ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ : إِنْ أَنْتَ ضَرَبْتَ مَثَلًا لِبْنِ آدَمَ فَانْظُرْ مَا يَخْرُجُ مِنْ ابْنِ آدَمَ ، وَإِنْ كَانَ قَزَحَهُ وَمَلَحَهُ إِلَىٰ مَاذَا صَارَ . وَقَالَ الْحَسَنُ رَحِمَهُ اللَّهُ : قَدْ رَأَيْتُهُمْ يَطْبِئُونَهُ بِالطَّيِّبِ وَالْأَفَاوِيهِ ^(٣) ثُمَّ يَرْمُونَهُ حَيْثُ رَأَيْتُمْ ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ فَلْيَنْظُرِ الْإِنْسَانُ إِلَىٰ طَعَامِهِ ﴾ ^(٤) ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : إِلَىٰ رَجِيمِهِ .

وَقَالَ رَجُلٌ لِبْنِ عَمْرِو : إِنِّي أُرِيدُ أَنْ أَسْأَلَكَ وَأَسْتَحْيِي ، فَقَالَ : لَا تَسْتَحْيِ وَسَلْ ؛ قَالَ : إِذَا قَضَىٰ أَحَدُنَا حَاجَتَهُ فَعَامٌ ، هَلْ يَنْظُرُ إِلَىٰ ذَلِكَ مِنْهُ ؟ فَقَالَ : نَعَمْ ، إِنْ الْمَلِكُ يَقُولُ لَهُ : انْظُرْ هَذَا مَا بَخَلْتَ بِهِ ، انْظُرْ إِلَىٰ مَاذَا صَارَ !

(١) تَكَلَّمَ مِنْ د .

(٢) يُقَالُ : قَزَحَ النَّدْرُ كَنْعَ ؛ جَعَلَ فِيهَا بَزْرَ الْبَصْلِ وَالتَّابِلِ .

(٣) الْأَفَاوِيهِ : جَمْعُ أَفَوَاهِ ؛ وَهِيَ التَّوَابِلُ . (٤) سُورَةُ عَبَسَ ٢٤

الأفضل :

لَمْ يَذْهَبْ مِنْ مَالِكَ مَا وَعَظَكَ .

الشنخ :

مثلُ هذا قولهم : إن المصائبَ أثمانُ التجارب .

وقيل لعالم فقير بعد أن كان غنيا : أين مالك ؟ قال : تَجَرَّتْ^(١) فيه ، فابتعتُ به تجربةَ الناس والوقت ، فاستفدتُ أشرفَ المَوْضَيْنِ^(٢) .

الأضل :

إِنَّ هَذِهِ الْقُلُوبَ تَمَلُّ كَمَا تَمَلُّ الْأَبْدَانُ ، فَابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ .

الشَّيْخ :

هذا قد تكرر ، وتكرر منّا ذكر ما قيل في إجمام النفس والتنفيس عنها من كَرْبِ الْجِدِّ بِرُوحِ الْإِحْضَاضِ ^(١) وفسرنا معنى قوله عليه السلام : « فابْتَغُوا لَهَا طَرَائِفَ الْحِكْمَةِ » وقلنا : المراد ألاَّ يَجْعَلَ الْإِنْسَانُ وَقْتَهُ كُلَّهُ مَصْرُوفًا إِلَى الْأَنْظَارِ الْعَقْلِيَّةِ فِي الْبَرَاهِينِ الْكَلَامِيَّةِ وَالْحِكْمِيَّةِ ، بل ينقاهَا مِنْ ذَلِكَ أحيانًا إِلَى النَّظَرِ فِي الْحِكْمَةِ الْخَلْقِيَّةِ فَإِنَّهَا حِكْمَةٌ لَا تَحْتَاجُ إِلَى إِتْعَابِ النَّفْسِ وَالْخَاطِرِ .

فأمّا القول في الدُّعَابَةِ فَقَدْ ذَكَرْنَاهُ أَيْضًا فِيمَا تَقَدَّمَ ، وَأَوْضَحْنَا أَنَّ كَثِيرًا مِنْ أَعْيَانِ الْحُكَمَاءِ وَالْعُلَمَاءِ كَانُوا ذَوِي دُعَابَةٍ مُقْتَصِدَةً لَا مَسْرِفَةَ ، فَإِنَّ الْإِسْرَافَ فِيهَا يُخْرِجُ صَاحِبَهُ إِلَى الْخِلَاعَةِ ، وَلَقَدْ أَحْسَنَ مِنْ قَالَ :

أَفِذْ طَبَعَكَ الْمَكْدُودَ بِالْجِدِّ رَاحَةً يَجْمَ وَعَلَّهِ بِشَيْءٍ مِنَ الْمَزْحِ ^(٢)
وَلَكِنْ إِذَا أَعْطَيْتَهُ ذَاكَ فَلْيَكُنْ بِمَقْدَارٍ مَا يُعْطَى الطَّعَامُ مِنَ الْمَلْحِ ^(٣)

(٢) المكدود : المجهد

(١) الإحاض : التنقل من الجد إلى المزح

(٣) أى على قدر من الاعتدال .

الأفضل :

وقال عليه السلام لَمَّا سَمِعَ قَوْلَ الْخَوَارِجِ : لَا حُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ ، كَلِمَةً حَقًّا
يُرَادُ بِهَا بَاطِلٌ .

الشرح :

معنى قوله سبحانه : ﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾^(١) ، أى إذا أراد شيئاً من أفعالٍ
نفسه فلا بدّ من وقوعه ، بخلاف غيره من القادرين بالقدرة فإنه لا يجب حصولُ
مرادهم إذا أراحوه ، ألا ترى ما قبل هذه الكلمة : ﴿ يَا بَنِيَّ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَاحِدٍ
وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةٍ وَمَا أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾
خاف عليهم من الإصابة بالعين إذا دخلوا من بابٍ واحد ، فأمرهم أن يدخلوا من أبوابٍ
متفرقة ، ثم قال لهم : « وما أُغْنِي عَنْكُمْ مِنَ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ » ، أى إذا أراد الله بكم سوءاً لم يدفع
عنكم ذلك السوء ما أشرتُ به عليكم من التفرق ؛ ثم قال : ﴿ إِنْ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ ﴾
أى ليس حىٌّ من الأحياء يَنْفِذُ حكمه لا محالة ومراده لما هو من أفعاله إلا الحىّ القديم
وحده ، فهذا هو معنى هذه الكلمة ، وضّلت الخوارج عندها فأنكروا على أمير المؤمنين
عليه السلام موافقته على التحكيم ؛ وقالوا : كيف يحكم وقد قال الله سبحانه : ﴿ إِنْ الْحُكْمُ
إِلَّا لِلَّهِ ﴾ ففأطوا الموضع اللفظ المشترك ، وليس هذا الحكم هو ذلك الحكم ، فإذن هى
كلمة حقٌّ يرادُ بها باطل ، لأنها حقٌّ على المفهوم الأول ، ويريد بها الخوارج نقي كلِّ
ما يستى حكماً إذا صدر عن غير الله تعالى ، وذلك باطل ، لأن الله تعالى قد أمضى حكم
المخلوقين فى كثيرٍ من الشرائع .

الأصل :

وقال عليه السلام في صفة الغوناء :
 هُم الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا غَلَبُوا ، وَإِذَا تَفَرَّقُوا لَمْ يُمَرَفُوا .
 وقيل : بَلْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَام : هُم الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا ضَرُّوا ، وَإِذَا تَفَرَّقُوا نَفَعُوا ،
 فَقِيلَ : قَدْ عَلِمْنَا مَضَرَّةَ اجْتِمَاعِهِمْ ، فَمَا مَنَفَعَةُ افْتِرَاقِهِمْ ؟ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
 يَرْجِعُ أَصْحَابُ الْمَهَنِ إِلَى مِهْنِهِمْ ، فَيَنْتَفِعُ النَّاسُ بِهِمْ ، كَرُجُوعِ الْبَنَاءِ إِلَى
 بِنَائِهِ ، وَالنَّسَاجِ إِلَى مَنْسَجِهِ ، وَالْخَبَازِ إِلَى مَخْبَزِهِ .

الشُّرْحُ :

كان الحسن إذا ذَكَرَ الْغَوَاةَ وَأَهْلَ السُّوقِ قَالَ : قَتَلَةُ الْأَنْبِيَاءِ ؛ وَكَانَ يُقَالُ : الْعَامَّةُ
 كَالْبَحْرِ إِذَا هَاجَ أَهْلُكَ رَاكِبَهُ ؛ وَقَالَ بَعْضُهُمْ : لَا تَسْبُوا الْغَوَاةَ فَإِنَّهُمْ يُطْفِئُونَ الْحَرِيقَ ،
 وَيُنْقِذُونَ الْغَرِيقَ ، وَيُسُدُّونَ الْبُثُوقَ ^(١) .

وقال شيخنا أبو عثمان : الْغَاغَةُ وَالْبَاغَةُ ^(٢) وَالْحَاكَّةُ كَأَنَّهُمْ أَعْذَارُ عَامٍ وَاحِدٍ ، أَلَا
 تَرَى أَنَّكَ لَا تَجِدُ أَبَدًا فِي كُلِّ بَلَدَةٍ وَفِي كُلِّ عَصْرِ هَؤُلَاءِ بِمَقْدَارٍ وَاحِدٍ وَجْهَةً وَاحِدَةً
 مِنَ السُّخْفِ وَالنَّقْصِ وَالْخَمُولِ وَالْغَبَاوَةِ ؛ وَكَانَ الْمَأْمُونُ يَقُولُ : كُلُّ شَرٍّ وَظُلْمٍ ^(٣) فِي الْعَالَمِ

(٢) الْبَاغَةُ : الْحَقِي .

(١) الْبُثُوقُ : الشُّقُوقُ فِي الْأَنْهَارِ .

(٣) فِي د : « وَضَر » .

فهو صادرٌ عن العامة والفوغاء ، لأنهم قتلَ الأنبياء والمُفْرُوقَ (١) بين العلماء ،
والنَّمَامُونَ بين الأودِاء (٢) ، ومنهم اللصوص ، وقُطَّاع الطريق ، والطرارون (٣) ،
والمحتالون والساعون إلى السلطان (٤) ، فإذا كان يوم القيامة حُشِرُوا على عادتهم في السَّعَاية
فقالوا : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكِبَرَاءَنَا فَأَضَلُّنَا السَّبِيلَا ، رَبَّنَا آتِنَاهُمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ
العَذَابِ وَالْعَنُومُ لَعْنًا كَبِيرًا ﴾ (٥) .

(١) في د « والفرقون » .

(٢) في د « الأولياء » .

(٣) الطرارون : المروجون للسلع .

(٤) ١ : الحكام .

(٥) سورة الأحزاب ٦٧

الأفضل :

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ أَتَى بَجَانٍ وَمَعَهُ غَوَّاءٌ فَقَالَ : لَا مَرْحَبًا بِوُجُوهِ لَا تُرَى إِلَّا عِنْدَ كُلِّ سَوْءَةٍ .

الشيخ :

أخذ هذا اللفظ المستعين بالله وقد أَدْرَجَ عليه ابنُ أبي الشَّوَّارِبِ القاضي ومعه الشَّهُودُ لِشَهِدُوا عليه أَنَّهُ قَدْ خَلَعَ نَفْسَهُ مِنَ الْخِلَافَةِ وَبَايَعَ لِمُعْتَزٍ بِاللَّهِ ، فَقَالَ : لَا مَرْحَبًا بِهَذِهِ الْوُجُوهِ الَّتِي لَا تُرَى إِلَّا يَوْمَ^(١) سَوْءٍ .

وقال من مدح الغَوَّاءَ والعامة: إِنَّ فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ : إِنَّ اللَّهَ يَنْصُرُ هَذَا الدِّينَ بِقَوْمٍ لَا خَلَاقَ لَهُمْ .

وكان الأحنفُ يقول : أَكْرِمُوا سُفَهَاءَ كَمَ فَإِنَّهُمْ يَكْفُونَكُمْ النَّارَ وَالْعَارَ .

وقال الشاعر :

وإِنِّي لأَسْتَبْقِي امْرَأَ السَّوِّءِ عُدَّةً لَعْدُوَّةٍ عَرَّيْضَ مِنَ النَّاسِ جَائِبِ^(٢)
أَخَافُ كِلَابَ الْأَبْعَدِينَ وَهَرَشَهَا إِذَا لَمْ تُجَاوِ بِهَا كِلَابُ الْأَقَارِبِ

(١) د « لا عند السوء » .

(٢) الجائب : المتقل من مكان إلى مكان .

الأصل :

إِنَّ مَعَ كُلِّ إِنْسَانٍ مَلَكَيْنِ يَحْفَظَانِهِ ، فَإِذَا جَاءَ الْقَدَرُ خَلِيَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ
وَإِنَّ الْأَجَلَ جُنَّةٌ حَصِينَةٌ .

الشرح :

قد تقدم هذا ، قلنا : إنه ذهب كثير من الحكماء هذا المذهب ، وإن الله تعالى
ملائكة موكلة تحفظ البشر من التردى في بئر ، ومن إصابة سهم معترض في طريق ،
ومن رفس دابة ، ومن نهش حية ، أو لسع عقرب ، ونحو ذلك . والشرائع أيضاً قد وردت
بمثله [وإن] ^(١) الأجل جنة ، أى درع ، ولهذا فى علم الكلام مخرج صحيح ، وذلك
لأن أصحابنا يقولون : إن الله تعالى : إذا علم أن فى بقاء زيد إلى وقت كذا لطفاً له أو
لغيره من المكلفين صدق من يهيم بقتله عن قتله بالظاف يفعلها تصدّه عنه أو تصرفه
عنه بصارف ، أو يمنعه عنه بمانع ، كى لا يقطع ذلك الإنسان بقتل زيد اللطاف
اللى يعلم الله أنها مقرّبة من الطاعة ، ومُبعدة من المعصية ^(٢) لزيد أو لغيره ، فقد بان أن
الأجل على هذا التقدير جنة حصينة لزيد ، من حيث كان الله تعالى باعتبار ذلك الأجل
مانعاً من قتله وإبطال حياته ، ولا جنة أحصن من ذلك .

الأُضْلُ :

وقال عليه السلام : وَقَدْ قَالَ لَهُ طَلْحَةُ وَالزُّبَيْرُ : نُبَايَعُكَ عَلَى أَنَّا شُرَكَاءُكَ فِي هَذَا الْأَمْرِ ؛ فَقَالَ [لا] ^(١) : وَلَكِنَّا شَرِيكَا فِي الْقُوَّةِ وَالْإِسْتِعَانَةِ ، وَعَوْنَانِ عَلَى الْعَجْزِ وَالْأَوْدِ .

الشَّرْحُ :

قد ذكرنا هذا فيما تقدم حيث شرحنا بيعة المسلمين لعلي عليه السلام كيف وقعت بعد مقتل عثمان ، ولقد أحسن فيما قال لهما لما سألاه أن يُشركاه في الأمر ، فقال : أما المشاركة في الخلافة فكيف يكون ذلك ؟ وهل يصح أن يدبر أمر الرعية إمامان .
* وهل يُجْمَع السِّيفَان ويحك في غمد * ^(٢)

وإنما تُشْرِكاني في القوة والاستعانة أي إذا قوى أمرى وأمر الإسلام بي قويتما أنما أيضا ، وإذا عجزت عن أمر أوتأود على أمر - أي أعوجج - كنتما عونين لي ومساعدين على إصلاحه .

فإن قلت : فما معنى قوله : « والاستعانة » .

قلتُ الاستعانة هاهنا الفوز والظفر ، كانوا يقولون للقامر يفوز قدحه : قد جرى ابنا عنان . وهما خطآن يُخطآن في الأرض يزجر بهما الطير ، واستعان الإنسان ، إذا قال وقت الظفر والغلبة هذه الكلمة .

(٢) عجز بيت لأبي ذؤيب الهذلي ، وصدره :

(١) تكملة من « د » .

* تريدن كَيْمًا تَجْمَعِينِي وَخَالِدًا *

الأضل :

أَيُّهَا النَّاسُ ، اتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِنْ قُتِلْتُمْ سَمِعَ ، وَإِنْ أَضْمِرْتُمْ عَلِمَ ، وَبَادِرُوا
 الْمَوْتَ الَّذِي إِنْ هَرَبْتُمْ مِنْهُ أَذَرَ كَكُمْ ، وَإِنْ أَقَمْتُمْ أَخَذَ كُمْ ، وَإِنْ
 نَسِيتُمْوهُ ذَكَرَكُمْ .

الشرح :

قد تقدم منا كلامٌ كثير في ذكر الموت ؛ ورأى الحسنُ البصريُّ رجلاً يجود
 بنفسه ، فقال : إِنَّ أَمْرًا هَذَا آخِرُهُ لَجَدِيرٌ أَنْ يُزْهَدَ فِي أَوَّلِهِ ، وَإِنْ أَمْرًا هَذَا أَوَّلُهُ
 لَجَدِيرٌ أَنْ يُخَافَ مِنْ آخِرِهِ .

ومن كلامِهِ : فَضَحَ الموتُ الدُّنْيَا .

وقال خالد بنُ صفوان : لو قال قائل : الْحَسَنُ أَفْصَحُ النَّاسِ لِهَذِهِ الْكَلِمَةِ لَمَا كَانَ مَخْطِئًا .

وقال لرجل في جنازة : أَتَرَى هَذَا الْمَيِّتَ لَوْ عَادَ إِلَى الدُّنْيَا لَكَانَ يَعْمَلُ عَمَلًا صَالِحًا ؟ قَالَ :
 نَعَمْ ، قَالَ : فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فَكُنْ أَنْتَ ذَلِكَ .

الأفضل :

لَا يُزْهَدَنَّكَ فِي الْمَعْرُوفِ مَنْ لَا يَشْكُرُهُ لَكَ ، فَقَدْ يَشْكُرُكَ عَلَيْهِ مَنْ
لَا يَسْتَمْتِعُ بِشَيْءٍ مِنْهُ ، وَقَدْ يُدْرِكُ مِنْ شُكْرِ الشَّاكِرِ أَكْثَرَ مِمَّا أَضَاعَ الْكَافِرُ ،
وَاللَّهُ يُحِبُّ الْمُحْسِنِينَ .

الشرح :

قد أخذتُ أنا هذا المعنى فقلتُ من جملةِ قصيدةٍ لى حِكْمِيَّةٍ :
لَا تُسَدِّينَ إِلَى ذِي اللُّؤْمِ مَكْرُمَةً فَإِنَّهُ سَبَخَ لَا يُنْبِتُ الشَّجَرَا
فَإِنْ زَرَعْتَ فمَحْفُوظٌ بِمَضِيعَةٍ وَأَكْلُ زَرْعِكَ شُكْرُ الْغَيْرِ إِنْ كَفَرَا
وقد سبق منَّا كلامٌ طويلٌ في الشكر .

ورأى العباس بنُ المأمون يوماً بحضرةِ المعتصم خاتماً في يد إبراهيم بن المهدي ،
فاستحسنه ، فقال له : ما فاضَّ هذا الخاتم ، ومن أين حصلته ؟ فقال إبراهيم : هذا خاتمُ
رهنته في دولةِ أبيك ، وافتككته في دولةِ أمير المؤمنين ؛ فقال العباس : فإن لم
تشكر أباي على حقِّه دمك فأنت لا تشكر أمير المؤمنين على فكِّ خاتمك .

وقال الشاعر :

لَعَمْرُكَ مَا الْمَعْرُوفُ فِي غَيْرِ أَهْلِهِ وَفِي أَهْلِهِ إِلَّا كَبْعُضُ الْوَدَائِعِ
فمُسْتَوْدَعُ ضَاعَ الَّذِي كَانَ عِنْدَهُ وَمُسْتَوْدِعُ مَا عِنْدَهُ غَيْرُ ضَائِعِ
وَمَا النَّاسُ فِي شُكْرِ الصَّنِيعَةِ عِنْدَهُمْ وَفِي كَفَرِهَا إِلَّا كَبَعْضُ الْمَزَارِعِ
فمَزْرَعَةٌ طَابَتْ وَأُضْعِفَ نَبْتُهَا وَمَزْرَعَةٌ أَكْدَتْ عَلَى كُلِّ زَارِعِ

الأصل :

كُلُّ وَعَاءٍ يَضِيقُ بِمَا جُعِلَ فِيهِ إِلَّا وَعَاءُ الْعَالَمِ فَإِنَّهُ يَتَّسِعُ بِهِ .

الشَّرْحُ :

هذا الكلام تحته سرٌّ عظيم ، ورَمَزُ إلى معنى شريف غامض ، ومنه أخذ مُثَبِّتو النفس الناطقةِ الحجة على قولهم ؛ ومَحْصُولُ ذلك أن القوى الجَسَمَانِيَّةَ يُكَلِّمُهَا وَيُتَعَبِّهَا تَكَرَّارُ أَفَاعِيلِهَا عَلَيْهَا ، كقُوَّةِ البصرِ يُتَعَبِّهَا تَكَرَّارُ إِذْرَاكِ الْمُرْتَبَّاتِ ، حَتَّى رُبَّمَا أَذْهَبَهَا وَأَبْطَلَهَا أَصْلًا ، وكذلك قُوَّةُ السَّمْعِ يُتَعَبِّهَا تَكَرَّارُ الْأَصْوَاتِ عَلَيْهَا ، وكذلك غَيْرُهَا مِنْ الْقَوَى الْجُسْمَانِيَّةِ ، وَلَكِنَّا وَجَدْنَا الْقُوَّةَ الْعَاقِلَةَ بِالْعَكْسِ مِنْ ذَلِكَ ^(١) ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ كَلَّمَ تَكَرَّرَتْ عَلَيْهِ الْمَقُولَاتُ أَزْدَادَتْ قُوَّتَهُ الْعَقْلِيَّةَ سَعَةً وَانْبَسَاطًا وَاسْتِعْدَادًا لِإِدْرَاكِ أُمُورٍ أُخْرَى غَيْرَ مَا أَدْرَكَتَهُ مِنْ قَبْلُ ، حَتَّى كَانَ تَكَرَّارُ الْمَقُولَاتِ عَلَيْهَا يَشْحَذُهَا ^(٢) وَيَضْقُلُهَا ، فَهِيَ إِذَنْ مُخَالَفَةٌ فِي هَذَا الْحُكْمِ لِلْقَوَى الْجُسْمَانِيَّةِ ، فَلَيْسَتْ مِنْهَا لِأَنَّهَا لَوْ كَانَتْ مِنْهَا لَكَانَ حُكْمُهَا حُكْمَ وَاحِدٍ مِنْ أَخَوَاتِهَا ، وَإِذَا لَمْ تَكُنْ جُسْمَانِيَّةً فَهِيَ مَجْرَدَةٌ ، وَهِيَ الَّتِي نَسَمِيهَا بِالنَّفْسِ النَاطِقَةِ .

(٢) يشحذها : يحدها ..

(١) : « هذا » .

الأصل :

أَوَّلُ عِوَضِ الْحَلِيمِ مِنْ حِلْمِهِ أَنَّ النَّاسَ أَنْصَارُهُ عَلَى الْجَاهِلِ .

الشرح :

قد تقدّم من أقوالنا في الحلم ما في بعضه كفاية .

وفي الحكم القديمة : لا تَشْنُ حُسْنَ الظَّفَرِ بِقُبْحِ الانتقام .

وكان يقال : اعفُ عَمَّنْ أَبْطَأَ عَنِ الذَّنْبِ ، وأسرع إلى التّدم .

وكان يقال : شاور الأناة والتّثبت ، وذا كِرِ الحفيظة ^(١) عند هيجانها ما في عواقب

العُقوبة من التّدم ، وخاصمها بما يؤدّي إليه الحِلْمُ من الاغتياب .

وكان يقال : ينبغي للحازم أن يقدم على عذابه وصفحه تعريفاً للذُّنبِ بما جناه ،

وإلاّ نُسِبَ حلمه إلى الغفلة وكلال حدِّ الفطنة . وقالت الأنصار للنبيّ صلى الله عليه

وآله يوم فتح مكة : إنهم فعلوا بك ثمّ فعلوا . يُعْرُونَه بقريش ؛ فقال : « إنما سميت

محمّدا لأحمد » .

(١) الحفيظة : الحمية والغضب

(٢٠٣)

الأضل :

إِنْ لَمْ تَكُنْ حَلِيمًا فَتَحَلَّمْ ، فَإِنَّهُ قَلَّ مَنْ تَشَبَّهَ بِقَوْمٍ إِلَّا أَوْشَكَ أَنْ يَكُونُوا مِنْهُمْ .

الشيخ :

التحلُّم : تكلفُ الحلم ، والذي قاله عليه السلام صحيح في مناهج الحكمة ، وذلك لأنَّ من تشبَّه بقوم وتكلف التخلُّق بأخلاقهم ، والتأدَّب بأدابهم ، واستمرَّ على ذلك ومَرَن عليه الزمان الطويل ، اكتسب رياضةً قويَّة ، ومَلَكة تامَّة ، وصار ذلك التكلف كالطبع له ، وانتقل عن الخلق الأوَّل ، ألا ترى أنَّ الأعرابيَّ الجلف الجاني إذا دخل المَدُن والقُرَى وخالطَ أهلها وطال مُكثُه فيهم انتقل عن خُلق الأعراب الذي نشأ عليه ، وتلطَّف طَبَعُه ، وصار شبيهاً بساكني المَدُن ، وكالأجنبيِّ عن ساكني الوَبَر ، وهذا قد وجدناه في حيواناتٍ أخرى غيرِ البشر كالباري والصَّقر والفَهْد التي تُرَاضُ حتَّى تَدِلَّ وتأنس وتترك طبعها القديم ، بل قد شاهدناه في الأسد ، وهو أبعدُ الحيوان من الإنس .

وذَكَر ابن الصَّابي أنَّ عَضُدَ الدَّوْلَة بن بُوَيه كانت له أُسود يصطاد بها كالثَّيود فتمسَّكه عليه حتَّى يُدركه فيذكِّيه ، وهذا من العجائب الطريفة .

(٢٠٤)

الأفضل :

مَنْ حَاسَبَ نَفْسَهُ رَيْحَ ، وَمَنْ غَفَلَ عَنْهَا خَسِرَ ، وَمَنْ خَافَ أَمِنَ ، وَمَنْ أَعْتَبَرَ
أَبْصَرَ ، وَمَنْ أَبْصَرَ فَهِمَ ، وَمَنْ فَهِمَ عَلِمَ .

الشرح :

قد جاء في الحديث المرفوع : « حاسبوا أنفسكم قبل أن تحاسبوا » .
قوله : « ومن خاف أمن » أى من اتقى الله أمن من عذابه يوم القيامة .
ثم قال « ومن اعتبر أبصر » أى من قاس الأمور بعضها ببعض واتعظ بآيات الله
وأيامه أضاءت بصيرته ، ومن أضاءت بصيرته فهم ، ومن فهم علم .
فإن قلت : الفهم هو العلم ، فأى حاجة له إلى أن يقول : « ومن فهم علم ؟ »
قلت : الفهم هاهنا هو معرفة المقدمات ، ولا بد أن يستعقب معرفة المقدمات معرفة
النتيجة ، فمعرفة النتيجة هو العلم ، فكأنه قال : من اعتبر تنور قلبه بنور الله تعالى
ومن تنور قلبه عقل المقدمات البرهانية ، ومن عقل المقدمات البرهانية علم النتيجة الواجبة
عنها ، وتلك هى الثمرة الشريفة التى فى مثلها يتنافس المتنافسون .

الأفضل :

وقال عليه السلام :

لَتَعْطِفَنَّ الدُّنْيَا عَلَيْنَا بَعْدَ شِمَاسِهَا عَطْفَ الضَّرُوسِ عَلَى وَلَدِهَا . وَتَلَا عَقِيبَ ذَلِكَ : ﴿ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِعُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴾ .

الشَّرْحُ :

الشَّامِسُ : مصدر شَمَسَ الفرسُ إذا منع من ظهره .

والضَّرُوسُ : الناقة السيئة الخلق تعضُ حالبها ، والإمامية تزعم أن ذلك وعدٌ منه بالإمام الغائب الذي يملك الأرض في آخر الزمان . وأصحابنا يقولون : إنه وعدٌ بإمام يملك الأرض ويستولى على الممالك ، ولا يلزم من ذلك أنه لا بُدَّ أن يكون موجودا ، وإن كان غائبا إلى أن يظهر ، بل يكفي في صحة هذا الكلام أن يُخلق في آخر الوقت .

وبعض أصحابنا يقول : إنه إشارة إلى مُلْكِ السِّفَاحِ والمنصور وابنِ المنصور بعده . فإنهم الذين أزالوا ملكَ بني أمية ، وهم بنو هاشم ، وبطريقهم عطفت الدنيا على بني عبد المطلب عطف الضَّرُوسِ .

وتقول الزيدية : إنه لا بُدَّ من أن يملك الأرض فاطميٌّ يتلوه جماعة من الفاطميين على مذهب زيد ، وإن لم يكن أحد منهم الآن موجودا .

(٢٠٦)

الأفضل :

أَتَقُوا اللَّهَ تَقَاةً مِّنْ شَمَرٍ تَجَرِيداً ، وَجَدَّ تَشْمِيراً ، وَأَكْمَشَ فِي مَهَلٍ ، وَبَادَرَ عَنْ
وَجَلٍ ، وَنَظَرَ فِي كَرَّةِ الْمَوْتِ ، وَعَاقَبَ الْمَصْدَرِ ، وَمَعَبَّةِ الْمَرْجِعِ .

الشنخ :

لو قال : « وجرّد تشميرا » لكان قد أتى بنوع مشهور من أنواع البديع ؛ لكنه
لم يحفل بذلك ، وجرى على مقتضى طبعه من البلاغة الخالية من التكلف والتصنع ، على
أن ذلك قد روى ، والمشهور الرواية الأولى .

وأكمش : جدّ وأسرع ، ورجل كيش ، أى جادّ .

وفى مهَلٍ : أى فى مهلة العمر قبل أن يضيق عليه وقته بدنوّ الأجل .

الأضل :

أَجُودُ حَارِسُ الْأَعْرَاضِ ، وَالْحِلْمُ فِدَامُ السَّفِيهِ ، وَالْعَفْوُ زَكَاةُ الظَّفَرِ ، وَالشُّلُوُ
عَوَضُكَ مِمَّنْ غَدَرَ ، وَالِاسْتِشَارَةُ عَيْنُ الْهِدَايَةِ .

وَقَدْ خَاطَرَ مَنْ اسْتَفَنَى بِرَأْيِهِ ، وَالصَّبْرُ يُنَاضِلُ الْحُدُثَانَ ، وَالْجَزَعُ مِنْ أَعْوَانِ
الزَّمَانِ ، وَأَشْرَفُ الْغِنَى ، تَرْكُ الْمَنَى .

وَكَمْ مِنْ عَقْلٍ أَسِيرٍ عِنْدَ هَوَى أَمِيرٍ ! وَمِنْ التَّوْفِيقِ حِفْظُ التَّجَرِبَةِ ، وَالْمَوَدَّةُ
قَرَابَةٌ مُسْتَفَادَةٌ ، وَلَا تَأْمَنَنَّ مَلُولًا .

الشرح :

مثل قوله : « الجود حارس الأعراض » قولهم : كل عيب فالكرم يغطيه .
والفِدَامُ : خِزْفَةٌ تجعل على فَمِ الإبريق ، فشبه الحلم بها ، فإنه يرد السفية عن السفه
كما يرد الفدامُ الخمرَ عن خروج القذى منها إلى الكأس .

فأما « والعفو زكاة الظفر » فقد تقدم أن لكل شيء زكاة ، وزكاة الجاه رفدُ
المُسْتَعِينِ ، وزكاة الظفر العفو .

وأما « الشُّلُوُ عوضك ممن غدر » ، فمعناه أن من غدر بك من أحبائك وأصدقائك
فأسل عنه وتناسه ، واذكر ما عاملك به من الغدر ، فإنك تساو عنه ، ويكون ما استفدته
من السلوة عوضاً عن وصاله الأول ؛ قال الشاعر :

أَعْتَقَنِي سَوْءَ مَا صَنَعْتَ مِنَ الرَّقِّ فَيَا بَرْدَهَا عَلَى كَبْدِي
فَصِرْتُ عَبْدًا لِلسَّوِّ فَيْكَ وَمَا أَحْسَنَ سَوْءَ قَبْلِي إِلَى أَحَدٍ
وفد سبق القولُ في الاستشارة وأن المستغنى برأيه مخاطر ، وكذلك القولُ في الصبر .
والمناضلة : المراماة .

وكذلك القولُ في الجزع ، وأنَّ الإنسان إذا جَزِعَ عند المصيبة فقد أَعَانَ الزمانُ
على نفسه ، وأضاف إلى نفسه مصيبةً أخرى .

وسبق أيضا القولُ في المُنَى ، وأنها من بضائع النَّوْكَى ^(١) .

وكذلك القولُ في الهوى ، وأنه يَغْلِبُ الرَّأْيَ وَيَأْسِرُهُ .

وكذلك القولُ في التَّجَرُّبَةِ ؛ وقولهم : مَنْ حَارَبَ الْمُجْرِبَ حَلَّتْ بِهِ التَّدَامَةُ ، وَإِنْ
مِنْ أَضَاعَ التَّجَرُّبَةُ فَقَدْ أَضَاعَ عَقْلَهُ وَرَأْيَهُ .

وقد سبق القولُ في المودَّةِ ، وذكرنا قولهم : الصَّدِيقُ نَسِيبُ الرُّوحِ ، وَالْأَخُ
نَسِيبُ الْجَسَمِ . وسبق القولُ في اللَّالِ .

وقال العباس بن الأحنف :

لَوْ كُنْتُ عَاتِبَةً لَسَكَّنَ عَمْرَتِي أَمَلِي رِضَاكَ وَزَرْتُ غَيْرَ مُرَاقِبِ
لَكِنْ مَلَّتْ فَلَمْ يَكُنْ لِي حِيلَةٌ صَدُّ الْمُلُولِ خِلَافَ صَدِّ الْعَاتِبِ

(١) جمع أنوك ؛ وهو الأحمق .

الأصل :

عُجِبُ الْمَرْءُ بِنَفْسِهِ أَحَدُ حُسَادِ عَقْلِهِ .

الشرح :

قد تقدّم القول في العُجْب ، ومعنى هذه الكلمة أنّ الحاسد لا يزال مجتهدا في إظهار معائب المحسود وإخفاء محاسنه ، فلما كان يُعْجِب الإنسان بنفسه كاشفاً عن نقص عقله كان كالحاسد الذي دأبه إظهار عيب المحسود ونقصه .

وكان يقال : مَنْ رَضِيَ عَنْ نَفْسِهِ كَثُرَ السَّخَطُ عَلَيْهِ .

وقال مطرّف بن الشَّخِير : لَأَنْ أُبَيِّتَ نَأْمًا ، وَأَصْبَحَ نَادِمًا ، أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أُبَيِّتَ قَأْمًا وَأَصْبَحَ نَادِمًا ^(١) .

(١) ١ : « متعجباً » .

الأضل :

أَغْضِ عَلَى الْقَدَى وَالْأَلَمِ تَرْضَ أَبَدًا .

الشَّنْخ :

نظير هذا قول الشاعر :

وَمَنْ لَمْ يُغَمِّضْ عَيْنَهُ عَنْ صَدِيقِهِ وَعَنْ بَعْضِ مَا فِيهِ يَمُتْ وَهُوَ عَاتِبُ
وَمَنْ يَتَّبِعْ جَاهِدًا كُلَّ عَثْرَةٍ يَجِدْهَا وَلَا يَسْلَمُ لَهُ الدَّهْرُ صَاحِبُ

وقال الشاعر :

إِذَا أَنْتَ لَمْ تَشْرَبْ مَرَارًا عَلَى الْقَدَى ظَمِئْتَ وَأَيَّ النَّاسِ تَصْفُو مِشَارِبُهُ^(١) !
وكان يقال : اغضِ عن الدهر وإلا صرعت .

وكان يقال : لا تحارب الأيام وإن جنحتْ دونِ مطلوبك منها ، واصحبها بسلاسة
القياد ، فإنك إن تصحبها بذلك تعطك بعد المنع ، وتلين لك بعد القساوة ؛ وإن أبيت
عليها قادتك إلى مكروهٍ صُروفها .

الأضل :

مَنْ لَانَ عُودُهُ كُفِنَتْ أَغْصَانُهُ .

البنرج :

تكاد هذه الكلمة أن تكون إيماء إلى قوله تعالى : ﴿ وَالْبَلَدُ الطَّيِّبُ يَخْرِجُ نَبَاتَهُ بِإِذْنِ رَبِّهِ ﴾ ^(١) ؛ ومعنى هذه الكلمة أن مَنْ حَسُنَ خُلُقُهُ ، ولانت كلمته ، كثر محبوبه وأعوانه وأتباعه .

ونحوه قوله : « مَنْ لَانَ كَلِمَتُهُ ، وَجِبَتْ مَحَبَّتُهُ » .

وقال تعالى : ﴿ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾ ^(٢) ، وأصل هذه الكلمة مطابق للقواعد الحكمية ، أعنى الشجرة ذات الأغصان حقيقة ، وذلك لأن النبات كالحيوان فى القوى النفسانية ، أعنى الغاذية والمنمية ، وما يخدم الغاذية من القوى الأربع ؛ وهى الجاذبة ، والماسكة ، والدافعة ، والهاضمة ؛ فإذا كان اليبس غالبا على شجرة كانت أغصانها أخف ، وكان عودها أدق ، وإذا كانت الرطوبة غالبة كانت أغصانها أكر ، وعودها أغلظ ؛ وذلك لاقتضاء اليبس الذبول ، واقتضاء الرطوبة الغلظ والعبالة والضحامة ، ألا ترى أن الإنسان الذى غلب اليبس على مزاجه ، لا يزال مهلوسا ^(٣) نحيفا ، والذى غلبت الرطوبة عليه لا يزال ضخما غبلا .

(٢) سورة آل عمران ١٥٩

(١) سورة الأعراف ٥٨

(٣) رجل مهلوس : هلسه الداء وخامره .

الأضل :

الْخِلَافُ يَهْدُمُ الرَّأْيَ .

الشُّنْخُ :

هذا مثل قوله عليه السلام في موضع آخر : « لا رأى لمن لا يُطاع » .
ويروى : لا إمرة لمن لا يطاع .

وفي أخبار قصير وجذيمة : « لو كان يطاع لقصير أمر » .
وكان يقال : اللجاج يشحذ الزُّجاج ، ويشير العجاج .
وقال دُرَيْدُ بْنُ الصَّمَّةِ .

أمرتهمُ أمري بمنعرج اللوى فلم يستبينوا النُّضح إلا ضحى الغد^(١)
فلما عصوني كنت منهم وقد أرى غوايتهم وأنتى غير مهتدى
وكان يقال : أهدى رأى الرجل مانفذ حكمه ، فإذا خولف فسد .

ومن كلام أفلاطون : اللجاج عسر انطباع المقولات في النفس ، وذلك إما لفرط
حدة تكون في الإنسان ، وإما لغلظ طبع فلا ينقاد للرأى^(٢) .

الاجنل :

مَن نالَ اسْتَطَالَ .

الشنخ :

يجوز أن يريد به : مَن أثرى ونال من الدنيا حظاً استطال على الناس .

ويجوز أن يريد به : مَن جاد استطال بجوده .

يقال : نالني فلان بكذا أى جادَ به علىّ ، ورجل نالّ ، أى جوادٌ ذو نائل ، ومثله^(١)

رجل طانٍ أى ذو طين ، ورجل مالٌ أى ذو مال .

(١) : « أن يقال » .

الأصل :

فِي تَقَلُّبِ الْأَحْوَالِ ، عِلْمُ جَوَاهِرِ الرَّجَالِ .

الْبُزْخُ :

معناه لا تُعَلِّمَ أَخْلَاقَ الْإِنْسَانِ إِلَّا بِالتَّجَرُّبَةِ ، وَاخْتِلَافِ الْأَحْوَالِ عَلَيْهِ .
وقديماً قيل :

تَرَى الْفَتَيَانَ كَالنَّخْلِ وَمَا يَدْرِيكَ مَا الدَّخْلُ^(١)

وقال الشاعر :

لَا تَحْمَدَنَّ امْرَأً حَتَّى تَجَرَّبَهُ وَلَا تَذَمَّنَّهُ إِلَّا بِتَجْرِبٍ

وقالوا : التجربة محك ؛ وقالوا مثلُ الإنسان مثلُ البطيخة ، ظاهرها موق ، وقد

يكون في باطنها العيب والدود ، وقد يكون طعمها حامضاً وتِفْهًا .

وقالوا للرجل المجرب يمدحونه : قد آل وائل عليه .

وقال الشاعر يمدح :

ما زال يحابُّ هذا الدَّهْرَ أَشْطَرُهُ^(٢) يكون متَّبِعاً طَوْرًا وَمَتَّبِعًا

حتى استمرَّت على شَرْرِ مَرِيرَتِهِ مستحْكَمِ الرَّأْيِ لاقَحْمًا وَلَا ضَرَعًا^(٣)

(١) مثل ، وانظر الميداني ١ : ٩١

(٢) يحب أشطره ؛ أى أنه قد جرب الأمور وعانها ، والكلام على التمثيل .

(٣) في اللسان عن الجوهري : « شيخ قح ، أى هم ؛ مثل قح ، وفي حديث ابن عمر : « ابني خادما لا يكون قحما فانيا ، ولا صغيرا ضرعا ، القح : الشيخ الهالك » . الضرع : الضاوى الجسم الضعيف .

الأضل :

حَسَدُ الصَّدِيقِ مِنْ سُقْمِ الْمَوَدَّةِ .

البُزْخُ :

إذا حسدك صديقك على نعمة أُعطيَها لم تكن صداقته صحيحة ، فإنَّ الصديقَ حُرًا
من يجرى مجرى نفسك ، والإنسان لم يحسد نفسه .

وقيل للحكيم : ما الصديق ؟ فقال : إنسان ، هو أنت إلا أنه غُيرك .

وأخذ هذا المعنى أبو الطيب فقال :

مَا الْخِلُّ إِلَّا مَنْ أَوْدُ بَقْلِهِ وَأَرَى بِطَرْفٍ لَا يَرَى بِسَوَائِهِ^(١)

ومن أدعية الحكماء :

اللهم اكفني بوائق الثقات ، واحفظني من كيد الأصدقاء .

وقال الشاعر :

احذر عَدُوَّكَ مَرَّةً واحذر صديقك ألفَ مَرَّةٍ

فلربما انقلب الصديقُ قُفْ فَكأن أعرف بالضرَّةِ

وقال آخر^(٢) :

احذر مودةَ ماذقٍ شابَ المرارة بالحلاوة^(٣)

(٢) ١ : « غيره » .

(١) ديوانه ١ : ٤

(٣) الماذق : الذي يخلط الود بغيره .

يحصي الذنوب عليك أيام الصداقة للعداوة

وذكر خالد بن صفوان شبيب بن شيبة ، فقال : ذاك رجل ليس له صديق في السر

ولا عدو في العلانية .

وقال الشاعر :

إذا كان دَوَاماً أخوك مصارماً موجّهةً في كلّ أوبٍ رَكائبُ

نخلٌ له ظهر الطريق ولا تكن مطية رحالٍ كثير مذهبُه

الأصل :

أ كثر مصارع العقول تحت بروق المطامع .

البرزخ :

قد تقدم منا قول في هذا المعنى ^(١) .

ومنه قول الشاعر ^(٢) :

طَمِعَتَ بَلِيلِي أَنْ تَرِيْعَ وَإِنَّمَا ^(٣) تُقَطِّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ الْمَطَامِعُ ^(٤)
وقال آخر .

إِذَا حَدَّثْتُكَ النَّفْسُ أَنَّكَ قَادِرٌ عَلَى مَاحَوَاتِ أَيْدِي الرِّجَالِ فَكَذَّبِ
وإِيَّاكَ وَالْأَطْلَاعَ إِنَّ وَعُودَهَا رَقَارِقُ آلٍ أَوْ بَوَارِقُ خُلَبٍ ^(٥)

(١) هو المجنون ، ديوانه ١٨٦ ، وينسب لقيس بن ذريح ؛ وينسب أيضاً للبيث ، وانظر تخريجه في الديوان .

(٢) تريع : ترجع وتعود ؛ كذا فصره صاحب اللسان ، واستشهد بالبيت ونسبه إلى البيث

(٣) بعده في الديوان :

ودانئت ليلى في خلاء ولم يكن شهود على ليلى عدول مقانِعُ

(٤) الرقارق : السراب .

الأصل :

لَيْسَ مِنَ الْعَدْلِ الْقَضَاءُ عَلَى الثُّقَّةِ بِالظَّنِّ .

الشرح :

هذا مثل قول أصحاب أصول الفقه : لا يجوز نسخ القرآن والسنة المتواترة بخبر الواحد ، لأن المظنون لا يرفع المعلوم .

ولفظ الثقة هاهنا مرادف للفظ العلم ، فكأنه قال : لا يجوز أن يزال ما علم بطريق قطعية لأمر ظني .

فإن قلت : أليس البراءة الأصلية معلومة بالعقل ، ومع ذلك تُرفع بالأمارات الظنية كأخبار الآحاد ؟

قلت : ليست البراءة الأصلية معلومةً بالعقل مطلقاً ، بل مشروطة بعدم ما يرفعها من طريق عامي أو ظني ، ألا ترى أن أكل الفاكهة وشرب الماء معلوم بالعقل حسنه ، ولكن لا مطلقاً ، بل بشرط انتفاء ما يقتضي قبجه ، فإننا لو أخبرنا إنسان أن هذه الفاكهة أو هذا الماء مسموم لقبح من الإقدام على تناولها ، وإن كان قول ذلك المخبر الواحد لا يفيد العلم القطعي^(١) .

الأضل :

بِئْسَ الزَّادُ إِلَى الْمَعَادِ ، الْعُدْوَانُ عَلَى الْعِبَادِ .

البُزْخُ :

قد تقدّم من قولنا^(١) في الظلم والعدوان مافيه كفاية .

وكان يقال : عَجَبًا لِمَنْ عُوْمِلَ فَأُنْصِفَ ، إِذَا عَامَلَ كَيْفَ يَظْلَمُ ، وَأَعْجَبَ مِنْهُ مَنْ
عُوْمِلَ فَظُلِمَ إِذَا عَامَلَ كَيْفَ يَظْلَمُ !

وكان يقال : العدو عدوان : عَدُوٌّ ظَلَمَهُ ، وَعَدُوٌّ ظَلَمَكَ ، فَإِنْ اضْطَرَّكَ الدَّهْرُ إِلَى
أَحَدِهِمَا فَاسْتَعِنْ بِالَّذِي ظَلَمَكَ ، فَإِنْ الْآخِرَ مَوْتُورٌ .

الأفضل :

مِنْ أَشْرَفِ أَفْعَالِ الْكَرِيمِ غَفْلَتُهُ عَمَّا يَعْلَمُ .

الشرح :

كان يقال : التغافل من السُّؤْدُدِ .

وقال أبو تمام :

يس الغبي بسيد في قومه لكن سيد قومه المتغابي^(١)

وقال طاهر بن الحسين بن مصعب :

ويكفيك من قومٍ شواهدُ أمرهم نخذ صفوفهم قبل امتحان الضائر

فإن امتحان القوم يوحش منهم ومالك إلا ماترى في الظواهر

وإنك إن كشفت لم تر مخلصا وأبدى لك التجرب خبث السرائر

وكان يقال : بعض^(٢) التغافل فضيلة ، وتمام الجود الإمساك عن ذكر المواهب ،

ومن الكرم أن تصفح عن التوبيخ ، وأن تلتمس ستر^(٣) هتك الكريم .

(٢) ساقطة من ١

(١) ديوانه ١ : ٩٣

(٣) الستر : تغطية الشيء ؛ وفي الحديث : « إن الله حي ستر يجب الستر .

الأصل :

مَنْ كَسَاهُ الْحَيَاءُ ثَوْبَهُ ، لَمْ يَرَ النَّاسُ عَيْبَهُ .

الشَّرْحُ :

قد سبق منا قول كثير في الحياء .

[فصل في الحياء وما قيل فيه]

وكان يقال : الحياء تمام الكرم ، والحلم تمام العقل .

وقال بعض الحكماء : الحياء انقباض النفس عن القبائح ، وهو من خصائص الإنسان ، لأنه لا يوجد في الفرس ولا في الغنم والبقر ، ونحو ذلك من أنواع الحيوانات ، فهو كالضحك الذي يختص به نوع الإنسان ، وأول ما يظهر من قوة الفهم في الصبيان الحياء ، وقد جعله الله تعالى في الإنسان ليرتدع به عما تنزع إليه نفسه من القبيح ، فلا يكون كالبهيمة ، وهو خلق مركب من جبن وعفة ، ولذلك لا يكون المستحي فاسقاً ، ولا الفاسق مستحيّاً^(١) لتنافي اجتماع العفة والفسق ، وقلما يكون الشجاع مستحيّاً والمستحي شجاعاً لتنافي اجتماع الجبن والشجاعة ، ولعزة وجود ذلك ما يجمع الشعراء بين المدح بالشجاعة والمدح بالحياء نحو قول القائل :

يَجْرِي الْحَيَاءُ الْغَضُّ مِنْ قَسَمَاتِهِمْ فِي حِينٍ يَجْرِي مِنْ أَكْفِهِمُ الدَّمُّ

وقال آخر :

كَرِيمٌ يَفُضُّ الطَّرْفَ فَضْلُ حَيَاتِهِ وَيَذْنُو وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ دَوَانِ
ومتى قصد به الانقباض فهو مدح للصبيان دون المشايخ ، ومتى قصد به ترك القبيح
فهو مدح لكل أحد ، وبالاختبار الأول قيل : الحياء بالأفاضل قبيح ، وبالاختبار الثاني
وَرَدَ : إن الله ليستحي من ذى شَيْبَةٍ فى الإسلام أن يعدَّبه ، أى يترك تعذيبه ، ويستقبح
لكرمه ذلك .

فَأَمَّا الخجل فخيبة تَلْحَقُ النفس لفرط الحياء ، ويحمد فى النساء والصبيان ويذم
بالاتفاق فى الرجال ،

فَأَمَّا التَّحِجَّةُ فذمومة بكلِّ لسان ، إذ هى انسلاخٌ من الإنسانية ، وحققتها
لجأ النفس فى تعاطى القبيح ، واشتقاقها من حَافِرٍ وَقَاحٍ أى صُلْب .

ولهذه المناسبة قال الشاعر :

يَا لَيْتَ لى مِنْ جِلْدٍ وَجْهَكَ رُقْعَةً فَأَعَدَّ مِنْهَا حَافِرًا لِلْأَشْهَبِ

وما أصدق قول الشاعر :

صَلَابَةُ الْوَجْهِ لَمْ تَغْلِبْ عَلَى أَحَدٍ ، إِلَّا تَكَامَلْ فِيهِ الشَّرُّ وَاجْتَمَعَا

فَأَمَّا كَيْفَ يُكْتَسَبُ الْحَيَاءُ ، فَمِنْ حَقِّ الْإِنْسَانِ إِذَا هُمْ بِقَبِيحٍ أَنْ يَتَصَوَّرَ أَجَلَ
مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ يَرَاهُ ، فَإِنَّ الْإِنْسَانَ يَسْتَحْيِ مَنْ يَكْبُرُ فِي نَفْسِهِ أَنْ يَطَّلَعَ عَلَى عَيْبِهِ
ولذلك لا يستحي من الحيوان غير الناطق ، ولا من الأطفال الذين لا يميزون ، ويستحي
من العالم أكثر مما يستحي من الجاهل ، ومن الجماعة أكثر مما يستحي من الواحد ،
والذين يستحي الإنسان منهم ثلاثة : البشر ، ونفسه ، والله تعالى ؛ أما البشر فهم أكثر

من يستحي منه الإنسان في غالب الناس ، ثم نفسه ، ثم خالقه ، وذلك لقلة توفيقه وسوء اختياره .

واعلم أن من استحيًا من الناس ولم يستحي من نفسه فنفسه عنده أخس من غيره ، ومن استحيًا منهما ولم يستحي من الله تعالى فليس عارفاً ، لأنه لو كان عارفاً بالله لما استحيًا من المخلوق دون الخالق ، ألا ترى أن الإنسان لا بد أن يستحي من الذي يعظمه ويعلم أنه يراه أو يستمع بخره فيُبكته ، ومن لا يعرف الله تعالى كيف يستعظمه ! وكيف يعلم أنه يطلع عليه ! وفي قول رسول الله صلى الله عليه وآله : « استحيوا من الله حقَّ الحياء » ، أمرٌ في ضمن كلامه هذا بمعرفة سبحانه وحثَّ عليها ، وقال سبحانه : ﴿ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَى ^(١) ﴾ ، تنبيهها على أن العبد إذا علم أن ربه يراه استحيًا من ارتكاب الذنب .

وسئل الجنيد رحمه الله عما يتولّد منه الحياء من الله تعالى ؛ فقال : أن يرى العبدُ آلاء الله سبحانه ونعمه عليه ، ويرى تقصيره في شكره .

فإن قال قائل : فما معنى قول النبي صلى الله عليه وآله : « مَنْ لا حياء له فلا إيمان له » .

قيل له : لأنَّ الحياء أول ما يظهر من أمانة العقل في الإنسان ، وأما الإيمان فهو آخر المراتب ، ومُحال حصول المرتبة الآخرة لمن لم تحصل له المرتبة الأولى ، فالواجب إذن أن مَنْ لا حياء له فلا إيمان له .

وقال عليه السلام : « الحياء شُعْبَةٌ مِنَ الْإِيمَانِ » .

وقال : « الْإِيمَانُ عُرْيَانٌ ، وَلِبَاسُهُ التَّقْوَى ، وَزِينَتُهُ الْحَيَاءُ » .

الأصل :

بِكثرة الصَّمتِ تَكُونُ الهَيْبَةُ ؛ وبالنَّصفَةِ يَكْثُرُ المُواصِلُونَ ، وبالإِفْضَالِ تَعْظُمُ
الأَقْدَارُ ، وبالتَوَاضُعِ تَتِمُّ النِّعْمَةُ ، وباحْتِمَالِ المَوْئِنِ يَجِبُ السُّوْدُودُ ، وبالسَّيْرِ العَادِلَةِ
يُقَهَّرُ المُنَاوِي ، وبالحِلْمِ عَنِ السَّفِيهِ تَكْثُرُ الأَنْصَارُ عَلَيْهِ .

الشَّيْخُ :

قال يحيى بن خالد : ما رأيتُ أحداً قطَّ صامتا إلَّا هَيْبَتُهُ حتَّى يتكلَّم ، فإِما أن تزداد
تلك الهَيْبَةُ أو تنقُصَ . ولا رَيْبُ أن الإِنْصَافَ سببُ انعطافِ القلوبِ إلى النصفِ ، وأن
الإِفْضَالَ والجودَ يقتضِي عِظَمَ القَدْرِ ، لأنَّه إِنْعامٌ ، والمُنْعَمُ مشكورٌ ، والتواضعُ طريقٌ إلى
تمامِ النِّعْمَةِ ، ولا سُودُودَ إلَّا باحْتِمَالِ المَوْئِنِ ؛ كما قال أبو تمام :

والحمدُ شَهِدٌ لا تَرَى مُشْتَارَهَ يَجْنِيهِ إلَّا من نَقِيعِ الحَنْظَلِ^(١)

غُلٌّ لِحَامِلِهِ وَيَحْسِبُهُ الذِي لَمْ يُوهِ عَاتِقَهُ خَفِيفَ الحَمَلِ

والسَّيْرَةُ العَادِلَةُ سببٌ لِقَهَرِ المَلِكِ الذِي يُسَيِّرُ بِهَا أَعْدَاءَهُ ، وَمَنْ حَلَمَ عَنِ سَفِيهِ وَهُوَ
قَادِرٌ عَلَى الاتِّقَامِ مِنْهُ نَصَرَهَ النَّاسُ كُلُّهُمْ عَلَيْهِ ، وَاتَّقَوْا كُلُّهُمْ عَلَى ذِمِّ ذَلِكَ السَّفِيهِ وَتَقْبِيحِ
نِعْمَتِهِ^(٢) ؛ وَالاِسْتِقْرَاءُ وَاختِبَارُ العَادَاتِ تَشْهَدُ بِجَمِيعِ ذَلِكَ .

(١) ديوانه ٣ : ٤٢

(٢) ب : « قفله » تصحيف .

الأضل :

الْعَجَبُ لِفَقْلَةِ الْحَسَادِ ، عَنْ سَلَامَةِ الْأَجْسَادِ !

الْبُزْخُ :

إنما لم يحسد الحاسد على صحة الجسد لأنه صحيحُ الجسد ، فقد شارك في الصحة ، وما يُشارك الإنسانُ غيره فيه لا يحسده عليه ، ولهذا أرباب الحسد إذا مرّضوا حسدوا الأحماء على الصحة .

فإن قلت : فلماذا تعجّب أميرُ المؤمنين عليه السلام ؟

قلت : لكلامه عليه السلام وجه ، وهو أن الحسد لما تمكن في أربابه ، وصار غريزة فيهم ، تعجّب كيف لا يتعدّى هذا الخلق الذمّيم إلى أن يحسد الإنسان غيره على ما يشاركه فيه ؛ فإن زيدا إذا أبغض عمرا بغضا شديدا ودّ أن تزول عنه نِعْمته إليه ، وإن كان ذا نِعْمَةٍ كِنِعْمَتِهِ^(١) ، بل ربما كان أقوى وأحسن حالا .

ويجوز أن يريد معنى آخر ، وهو تعجّبه من غفلة الحساد ؛ على أن الحسد مؤثّر في سلامة أجسادهم ، ومقتضى سقمهم ، وهذا أيضاً واضح .

الأضل :

الطامعُ في وثاقِ الدُّلِّ .

الشَّنْحُ :

من أمثال البُخترى قوله :

والْيَأْسُ إِحْدَى الرَّاحَتَيْنِ وَلَنْ تَبْرَى تَعْبًا كَظَنِّ الْخَائِبِ الْمَكْدُودِ^(١)

وكان يقال : ما طمعتُ إلا وذلتُ - يَعْنُونَ النَّفْسَ .

وفي البيت المشهور :

* تُقَطَّعُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ الْمَطَامِعُ^(٢) *

وقالوا: عَزَّ مِنْ قَنِعٍ ، وَذَلَّ مِنْ طَمِيعٍ .

وقد تقدّم القولُ في الطَّمعِ مرارا .

(١) ديوانه ١ : ١٢٧

(٢) للمجنون ، ديوانه ص ١٨٦ ، وصدره :

* طَمِيعَتَ بَلِيلِي أَنْ تَرِيحَ وَإِنَّمَا *

الأفضل :

وقال عليه السلام وقد سئل عن الإيمان :

الإيمان معرفة بالقلب ، وإقرار باللسان ، وعمل بالأركان .

الشرح :

قد تقدم قولنا في هذه المسألة .

وهذا هو مذهب أصحابنا المعتزلة بمبينه ، لأن العمل بالأركان عندنا داخل في معنى الإيمان - أعني فعل الواجبات ، فمن لم يعمل لم يسم مؤمنا وإن عرف بقلبه وأقر بلسانه ؛ وهذا خلاف قول المرجئة من الأشعرية والإمامية ، والحشوية .

فإن قلت : فما قولك في النوافل : هل هي داخلية في معنى الإيمان أم لا ؟
قلت : في هذا خلاف بين أصحابنا ، وهو مستقصى في كتيبي^(١) الكلامية .

الأصل :

مَنْ أَصْبَحَ عَلَى الدُّنْيَا حَزِينًا ، فَقَدْ أَصْبَحَ لِقَضَاءِ اللَّهِ سَاطِئًا .
 وَمَنْ أَصْبَحَ يَشْكُو مُصِيبَةً نَزَلَتْ بِهِ ، فَإِنَّمَا يَشْكُو رَبَّهُ .
 وَمَنْ أَتَى غَنِيًّا فَتَوَاضَعَ لَهُ لِعِفَائِهِ ذَهَبَ ثُلُثَا دِينِهِ .
 وَمَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فَمَاتَ فَدَخَلَ النَّارَ ؛ فَهُوَ كَانَ مِمَّنْ يَتَّخِذُ آيَاتِ اللَّهِ هُزُوءًا .
 وَمَنْ لَهَجَ قَلْبُهُ بِحُبِّ الدُّنْيَا التَّاطَ قَلْبُهُ مِنْهَا بِثَلَاثٍ : هَمٌّ لَا يُغْنِيهِ ، وَحِرْصٌ
 لَا يَتْرُكُهُ ، وَأَمَلٌ لَا يُدْرِكُهُ .

الشرح :

إذا كان الرزق بقضاء الله وقدره ، فمن حزن لقواتِ شيء منه فقد سخط قضاء الله
 وذلك معصية ، لأن الرضا بقضاء الله واجب ، وكذلك من شكاً مصيبةً حلت به ؛ فإنما
 يشكو فاعلها لا هي ، لأنها لم تنزل به من تلقاء نفسها ، وفاعلها هو الله ، ومن أشتكى
 الله فقد عصاه ؛ والتواضع للأغنياء تعظيماً لغناهم أو رجاء شيء مما في أيديهم فيسوق .
 وكان يقال : لا يُحمد التَّيِّه إلا من فقيرٍ على غني .

فإنما قوله عليه السلام : « ومن قرأ القرآن فمات فدخل النار ، فهو ممن كان يتخذ
 آياتِ الله هُزُوءًا » .

فإنما أن يقول : قد يكون مؤمناً بالقرآن ليس بمتخذٍ له هُزُوءاً ، ويقرؤه ثم

يدخل النار ، لأنه أتى بكبيرة أخرى نحو القتل والزنا والفرار من الزحف وأمثال ذلك !

والجواب أن معنى كلامه عليه السلام هو أن من قرأ القرآن فمات فدخل النار لأجل قراءته القرآن فهو ممن كان يتخذ آيات الله هزواً ، أى يقرؤه هازئاً به ، ساخراً منه ، مستهيناً بمواعظه وزواجره ، غير معتقد أنه من عند الله .

فإن قلت : إنما دخل من ذكرت النار ؛ لا لأجل قراءته القرآن ، بل لهزئه به ، وجحوده إياه ، وأنت قلت : معنى كلامه أنه من دخل النار لأجل قراءته القرآن فهو ممن كان يستهزئ بالقرآن !

قلت : بل إنما دخل النار لأنه قرأه على صفة الاستهزاء والسخرية ، ألا ترى أن الساجد للصنم يعاقب لسجوده له على جهة العبادة والتعظيم ، وإن كان لولا ما يحدثه مضافاً للسجود من أفعال القلوب لما عوقب .

ويمكن أن يحمل كلامه عليه السلام على تفسير آخر ، فيقال : إنه عني بقوله : إنه كما كان ممن يتخذ آيات الله هزواً : أنه يعتقد أنها من عند الله ، ولكنه لا يعمل بموجبها كما يفعل الآن كثير من الناس .

قوله عليه السلام : « التاط بقلبه » أى لصيق . ولا يُعْبَهُ ، أى لا يأخذه غيباً ، بل يلزمه دائماً ، وصدق عليه السلام فإن حب الدنيا رأس كل خطيئة ، وحب الدنيا هو الموجب للهيم والغم والحرص والأمل والخوف على ما اكتسبه أن ينفد ، وللشح بما حوت يده ، وغير ذلك من الأخلاق الذميمة .

الأفضل :
كفى بالقناعة ملكاً ، وبحسن الخلق نعيماً .

الشيخ :

قد تقدم القول في هذين ، وهما القناعة وحسن الخلق .
وكان يقال : يستحق الإنسانية من حسن خلقه ، ويكاد السيئ الخلق يعدّ من السباع .

وقال بعض الحكماء : حدّ القناعة هو الرضا بما دون الكفاية ، والزهد : الأقتصار على الزهد ، أى القليل ، وهما متقاربان ، وفى الأغلب إنما الزهد هو رَفْضُ الأمور الدنيوية مع القدرة عليها ؛ وأما القناعة فهي إلزام النفس الصبر عن المشتبهات التى لا يقدر عليها ، وكل زهد حصل لا عن قناعة فهو تزهد ، وليس بزهد ، وكذلك قال بعض الصوفية : القناعة أول الزهد ، تنبها على أن الإنسان يحتاج أولاً إلى قدع نفسه وتخصّصه بالقناعة ليسهل عليه تعاطي الزهد ، والقناعة التى هى الغنى بالحقيقة ، لأنّ الناس كلّهم فقراء من وجهين : أحدهما لأفئادهم إلى الله تعالى كما قال : ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ ﴾ ^(١) .

والثانى لكثرة حاجاتهم فأغناهم لا بحالة أقلهم حاجة ، ومن سدّ مفارقة بالمقتنيات فما فى أنسدادها مطمع ، وهو كمن يرقع الخرق ، بالخرق ومن يسدّها بالاستغناء عنها بقدر وسعه والاقتصار على تناول ضروريّاته فهو الغنى المقرب من الله سبحانه ، كما أشار إليه فى قصة طالوت : ﴿ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ فَمَنْ شَرِبَ مِنْهُ فَلَيْسَ مِنِّي وَمَنْ لَمْ يَطْعَمْهُ فَإِنَّهُ مِنِّي إِلَّا مَنْ اغْتَرَفَ غُرْفَةً بِيَدِهِ ﴾ ^(٢) ، قال أصحاب المعاني والباطن : هذا إشارة إلى الدنيا .

الأصل :

وسئل عليه السلام عن الله عز وجل : ﴿ فَلَنُحْيِيَنَّهٗ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾ ^(١) ، فقال :
هِيَ الْقَنَاعَةُ .

الشرح :

لا ريب أن الحياة الطيبة هي حياة الغنى ، وقد بينّا أن الغنى هو القنوع ، لأنه
إذا كان الغنى عدم الحاجة فأغنى الناس أقلهم حاجة إلى الناس ، ولذلك كان الله تعالى
لأغنى الأغنياء ، لأنه لا حاجة به إلى شيء ، وعلى هذا دلّ النبي بقوله صلى الله عليه وآله :
« ليس الغنى بكثرة العرض ، إنما الغنى غنى النفس » .

وقال الشاعر :

فمن أشرب اليأس كان الفنى ومن أشرب الحرص كان الفقير

وقال الشاعر :

غنى النفس ما يكفيك من بدّ خلّة فإن زاد شيئا عاد ذاك الفنى فقرا
وقال بعض الحكماء : الحخير بين أن يستغنى عن الدنيا وبين أن يستغنى بالدنيا
كالخير بين أن يكون مالكا أو مملوكا .

ولهذا قال عليه السلام : « تَمِسْ عَبْدُ الدِّينَارِ والدَّرْهَمِ ، تَعِسَ فَلَا أُنْتَعَشَ ، وَشَيْكَ
فَلَا أُنْتَقَشَ » ^(٢) .

(٢) ب : « شك » تحريف ، قال ابن الأثير : أى إذا دخلت

(١) سورة النحل ٩٧

فيه شوكة لا أخرجها من موضعها ، وبه سمى المتقاش الذى ينقش به .

وقيل لحكيم : لم لا تنتم ؟ قال : لأنني لم ألتخذ ما يغمي فقدّه .
وقال الشاعر :

فَمَنْ سَرَّهُ أَلَّا يَرَى مَا يَسُوهُ فَلَا يَتَّخِذُ شَيْئًا يَخَافُ لَهُ فَقْدًا

وقال أصحابُ هذا الشأن : القناعة من وجهٍ صبرٍ ، ومن وجهٍ جودٍ ، لأنَّ الجودَ ضربان : جودٌ بما في يدك منتزعا ، وجودٌ عما في يد غيرك متورعا ، وذلك أشرفهما ، ولا يحصل الزهد في الحقيقة إلا لمن يعرف الدنيا ماهي ؟ ويعرف عيوبها وآفاتِها ، ويعرف الآخرة وأفتقاره إليها ، ولا بد في ذلك من العلم ، ألا ترى إلى قوله تعالى : ﴿ قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا يَا لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ * وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَيَلَكُمْ ثَوَابُ اللَّهِ خَيْرٌ لِمَن آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا وَلَا يُلَقَّاهَا إِلَّا الصَّابِرُونَ ﴾ (٢) .

ولأنَّ الزاهد في الدنيا راغبٌ في الآخرة وهو يبيعُها بها ، كما قال الله تعالى : ﴿ إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ ... ﴾ (٣) الآية .
والكيس لا يبيعُ عينا بأثر ، إلا إذا عرفها وعرف فضل ما يبتاعُ على ما يبيع .

الأصل :

شاركوا الَّذِينَ قَدْ أَقْبَلَ عَلَيْهِمُ الرِّزْقُ ، فَإِنَّهُ أَخْلَقُ لِنَفْسِي ، وَأَجْدَرُ
بِقَبَالِ الْحَظِّ .

الشرح :

قد تقدم القول في الحظ والبخت .

وكان يقال : الحظ يُعْدَى كما يُعْدَى الْجَرْبُ ، وهذا يطابق كلمة أمير المؤمنين عليه
السلام ، لأن مخالطة المجدود ليست كمخالطة غير المجدود^(١) ، فإن الأولى تقتضي
الاشتراك في الحظ والسعادة ، والثانية تقتضي الاشتراك في الشقاء والحزن .
والقول في الحظ وسيع جداً .

وقال بعضهم : البخت على صورة رجل أعمى أصم أخرس ، وبين يديه جواهر
وحجارة ، وهو يرى بكلتا يديه .

وكان مالك بن أنس فقيه المدينة ، وأخذ الفقه عن الليث بن سعد ؛ وكانوا
يزدهون عليه والليث جالس لا يلتفتون إليه ، فليل للث : إِنَّ مَالِكاً إِنَّمَا أَخَذَ
عَنْكَ فَمَالَكَ خَامِلاً وهو أنبه الناس ذكراً ! فقال : دَانِقُ بَخْتٍ خَيْرٌ مِنْ جَلِيٍّ
بُخْتِي حُمْلٌ عِلْمٌ .

وقال الرضى :

أُسِغَ الْغِيظُ مِنْ نُوبِ اللَّيَالِي	وَمَا يَحْفَلُنْ بِالْحَنِقِ الْمَغِيظِ ^(٢)
وَأَرْجُو الرِّزْقَ مِنْ خَرَقٍ دَقِيقٍ	يُسَدُّ بِسَلَكِ حَرَمَانَ غَلِيظِ ^(٣)
وَأَرْجِعُ لَيْسَ فِي كَفِّي مِنْهُ	سِوَى عَضِّ الْيَدَيْنِ عَلَى الْحُظُوظِ

(١) عبارة د : « ليست كمخالطة المجدود » ، وبها يستقيم المعنى أيضاً .

(٢) ديوانه ١ : ٤٥٣ (٢) في الديوان : « من خرت » ، والخرت : الثقب

الأفضل :

وقال عليه السلام في قوله عز وجل :

﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ ﴾^(١) : العَدْلُ الإنصافُ ، والإِحْسَانُ التَّفَضُّلُ .

الشَّيْخُ :

هذا تفسيرٌ صحيحٌ اتفق عليه المفسرون كافة ، وإنما دخل النَّدْبُ تحت الأمر لأنَّ له صفةً زائدة على حُسْنِهِ ، وليس كالمُبَاح الذي لا صِفة له زائدة على حُسْنِهِ .

وقال الزَّخَّشِيُّ : العَدْلُ هو الواجب ، لأنَّ الله عزَّ وجلَّ عدلٌ فيه على عباده ، فجعل ما فَرَضَهُ عليهم منه واقعا تحت طاعتهم ، والإِحْسَانُ النَّدْبُ ، وإنما علق أمره بهما جميعا ؛ لأنَّ الفَرَضَ لا بدَّ أن يقع فيه تفريط ، فيَجْبُرُهُ النَّدْبُ ، ولذلك قال رسول الله صلى الله عليه وآله لإنسان علمه الفرائض فقال : والله لا زدتُ فيها ولا نقصتُ منها : « أَفْلَحَ إِنْ » صدق ، فعدَّ الفلاح بشرط الصِّدْق والسلامة من التفريط ؛ وقال صلى الله عليه وآله : « استقيموا ، ولن تحصوا » ، فليس ينبغي أن يترك ما يجبر كسر التفريط من النوافل^(٢) .

ولقائل أن يقول : إن كان إنما سمي الواجب عَدْلًا لأنه داخلٌ تحت طاقة المكلف فليس النَّدْبُ عَدْلًا لأنه داخلٌ تحت طاقة المكلف ، وأما قوله : إنما أمر بالنَّدْبِ لأنه يجبر ما وَقَعَ فيه التفريط من الواجب ، فلا يصحَّ على مذهبه ، وهو من أعيان المعتزلة لأنه لو جُبرت النافلة بالتفريط في الواجب لكانت واجبةً مثله ، وكيف يقول الزخَّشِيُّ هذا ومن قول مشايخنا إنَّ تارك صلاة واحدةٍ من الفرائض لو صلى مائة ألف ركعةٍ من النوافل لم يكفر ثوابها عقاب ترك تلك الصلاة !

الأصل :

وقال عليه السلام :

مَنْ يُمِطِ بِالْيَدِ الْقَصِيرَةَ يُعْطِ بِالْيَدِ الطَّوِيلَةَ .

قال الرضى رحمه الله تعالى :

وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ مَا يُنْفِقُهُ الْمَرْءُ مِنْ مَالِهِ فِي سَبِيلِ الْخَيْرِ وَالْبِرِّ وَإِنْ كَانَ يَسِيرًا فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَجْعَلُ الْجَزَاءَ عَلَيْهِ عَظِيمًا كَثِيرًا ؛ وَالْيَدَانِ هَاهُنَا عِبَارَةٌ ^(١) عَنِ النِّعْمَتَيْنِ فَفَرَّقَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بَيْنَ نِعْمَةِ الْعَبْدِ وَنِعْمَةِ الرَّبِّ تَعَالَى ذِكْرُهُ ، بِالْقَصِيرَةِ وَالطَّوِيلَةِ ، فَجَمَعَ لِكَ تِلْكَ قَصِيرَةً وَهَذِهِ طَوِيلَةً ، لِأَنَّ نِعْمَ اللَّهِ أَبَدًا تَضَعُ عَلَى نِعَمِ الْخُلُوقِ أَنْضَافًا كَثِيرَةً ؛ إِذْ كَانَتْ نِعْمُ اللَّهِ أَصْلَ النِّعَمِ كُلِّهَا ، فَكُلُّ نِعْمَةٍ إِلَيْهَا تَرْجِعُ ، وَمِنْهَا تُنْزَعُ .

الشَّرْحُ :

هذا الفصل قد شرّحه الرضى رحمه الله ، فأغنى عن التعرّض بشرّحه .

(١) في ب : « عبارتان » تحريف .

الأفضل :

وقال عليه السلام لابنه الحسن : لا تدعون إلى مبارزة ، فإن دُعيت إليها فأجب ؛
فإن الداعي إليها باغٍ ، والباغي مضرٌوعٌ .

الشَّيْخ :

[مُثْل من شجاعة عليّ]

قد ذَكَرَ عليه السلام الحِكْمَةَ ، ثم ذكر العِلَّةَ ، وما سَمِعْنَا أَنَّهُ عليه السلام دعا إلى
مُبَارَزةٍ قَطٍّ ، وإنما كان يدعى هو بعينه ، أو يدعو من يبارز ، فيخرج إليه فيقتله ، دعا
بنو ربيعة بن عبد بن شمس بنى هاشم إلى البراز يوم بدر ، فخرج عليه السلام فقتل الوليد
واشترك هو وحمزة عليه السلام في قتل عُتْبَةَ ، ودعا طَلْحَةُ بن أبي طَلْحَةَ إلى البراز يوم
أحد ، فخرج إليه فقتله ، ودعا مَرْحَبٌ إلى البراز يوم خيبر فخرج إليه فقتله .

فأما الخُرُوجُ التي خرَجَها يوم الخَنْدَقِ إلى عمرو بن عبدود فإنها أجل من أن يقال
جَلِيلَةٌ ، وأعظم من أن يقال عظيمة ، وما هي إلا كما قال شيخنا أبو الهذيل وقد سأله سائلٌ : أَيْمًا
أَعْظَمُ مَنْزِلَةٌ عند الله ، عليٌّ أم أبو بكر ؟ فقال : يابن أخي ، والله لمبارزة عليٍّ عمرا يوم الخَنْدَقِ
تَعْدِلُ أَعْمَالُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وطاعاتهم كلها وتُرْبِي عليها فضلا عن أبي بكر وحده . وقد
رَوَى عن حذيفة بن اليمان ما يُنَاسِبُ هذا ، بل ما هو أبلغ منه ، رَوَى قَيْسُ بْنُ الرَّبِيعِ عن
أبي هارون العَبْدِيِّ ، عن ربيعة بن مالك السَّعْدِيِّ ، قال : أَتَيْتُ حَذِيفَةَ بْنَ الْيَمَانِ فَقُلْتُ :
يَا أَبَا عَبْدِ اللَّهِ ، إِنَّ النَّاسَ يَتَحَدَّثُونَ^(١) عن عليٍّ بن أبي طالب ومناقبه ، فيقول لهم أهل

البصيرة : إنكم لتُفَرِّطون في تَقْرِيط هذا الرجل ، فهل أنت محدثٌ بِمُحَدِّثٍ عنه أذكركهُ للناس ؟ فقال : يا ربيعة ، وما الذى تسألنى عن على ، وما الذى أحدثك عنه ! والذى نفسُ حذيفة بيده لو وُضِعَ جميعُ أعمالِ أمةِ محمد صلى الله عليه وآله في كِفَّةِ الميزان مُنْذُ بَعَثَ اللهُ تعالى محمداً إلى يومِ الناس هذا ، ووُضِعَ عملٌ واحدٌ من أعمالِ على في الكِفَّةِ الأخرى لَرَجَحَ على أعمالهم كلها ؛ فقال ربيعة : هذا المَدْح الذى لا يقام له ولا يُقَعَد ولا يُحْمَل ، إني لأظنه إسرافاً يا أبا عبد الله ! فقال حذيفة : يا لُكَم ، وكيف لا يُحْمَل ! وأين كان المسلمون يوم الخندق وقد عبر إليهم عمرو وأصحابه فملكهم الملعع والجرع ، ودعا إلى المبارزة فأحجموا عنه حتى برز إليه على فقتله ! والذى نفسُ حذيفة بيده كعمله ذلك اليوم أعظم أجراً من أعمالِ أمةِ محمد صلى الله عليه وآله إلى هذا اليوم وإلى أن تقوم القيامة .

وجاء في الحديث المرفوع : « إن رسولَ الله صلى الله عليه وآله قال ذلك اليوم حين برز إليه : « برز الإيمانُ كله إلى الشُّركِ كله » .

وقال أبو بكر بن عيَّاش : لقد ضَرَبَ علىُّ بنُ أبي طالب عليه السلام ضربةً ما كان في الإسلام أَيْمَنَ منها ، ضَرَبَتْهُ عَمْرَا يومَ الخندق ، ولقد ضَرَبَ علىُّ ضربةً ما كان في الإسلام أشأمَ منها - يعنى ضربة ابنِ مُلْجَمَ لَعَنَهُ اللهُ .

وفي الحديث المرفوع أن رسولَ الله صلى الله عليه وآله لما بَارَزَ علىُّ عَمْرَا ما زال رافعا يَدَيْهِ مُقَمِّحاً ^(١) رأسه نحوَ السماء ، داعياً رَبَّهُ قائلاً : اللهم إنيك أخذتَ مِنِّي عُبيدَةَ يومَ بَدْرَ ، وحمزة يوم أُحُدَ ، فاحفظْ علىَّ اليومَ عليًّا ، ﴿ رَبِّ لا تَذَرْنِي فَرْدًا وَأَنْتَ خَيْرُ الْوَارِثِينَ ﴾ ^(٢) .

وقال جابرُ بنُ عبد الله الأنصارى : والله ما شَبَّهْتُ يومَ الأحزاب ؛ قتلَ علىُّ عَمْرَا

وتخاذل المشركين بعده ، إلا بما قصه الله تعالى من قصة طالوت وجالوت في قوله : ﴿ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُدُ جَالُوتَ ﴾ ^(١) .

وروى عمرو بن أذهر ، عن عمرو بن عبيد ، عن الحسن أن علياً عليه السلام لما قتل عمراً اجتز رأسه وحمله فألقاه بين يدي رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقام أبو بكر وعمر فقبلا رأسه ، ووجه رسول الله صلى الله عليه وآله يتهلل ، فقال : هذا النصر ! أو قال : هذا أول النصر .

وفي الحديث المرفوع : إن رسول الله صلى الله عليه وآله قال يوم قتل عمرو : « ذهب ريحهم ، ولا يغزونا بعد اليوم ، ونحن نفرؤهم إن شاء الله » .

[قصة غزوة الخندق]

وينبغي أن نذكر ملخص هذه القصة من مغازي الواقدي وابن إسحاق ، قال : خرج عمرو بن عبدود يوم الخندق وقد كان شهد بدرًا فارتث ^(٢) جريحاً ، ولم يشهد أحدًا ، فحضر الخندق شاهراً سيفه ^(٣) معلماً ، مُدِّلاً بشجاعته وبأسه ، وخرج معه ضرار بن الخطاب الفهري وعكرمة بن أبي جهل وهبيرة بن أبي وهب ونوفل بن عبد الله ابن المغيرة المخزوميون ، فطافوا بخيولهم على الخندق إصعاداً وانحداراً ، يطلبون موضعاً ضيقاً يعبرونه ، حتى وقفوا على أضيق موضع فيه في المكان المعروف بالميزار ، فأكرهوا خيولهم على العبور فعبرت ، وصاروا مع المسلمين على أرض واحدة ورسول الله صلى الله عليه وآله جالسٌ وأصحابه قيام على رأسه ، فتقدم عمرو بن عبدود فدعا

(١) سورة البقرة ٢٥١ (٢) ارتث : حمل من المعركة جريحاً وبه رفق

(٣) ب : « نفسه » تحريف .

إلى البراز مرارا، فلم يقم إليه أحد ، فلما أكثر ، قام على^ث عليه السلام فقال : أنا أبارزه
 يا رسول الله ، فأمره بالجلوس ، وأعاد عمرو النداء والناس سُكوت كأن على رؤوسهم
 الطير ، فقال عمرو : أيها الناس ، إنكم تزعمون أن قتلاكم في الجنة وقتلانا
 في النار ، أفما يحب أحدكم أن يقدم على الجنة أو يقدم عدو^ا له إلى النار !
 فلم يقم^ث إليه أحد ، فقام على^ث عليه السلام دفعة ثانية وقال : أنا له يا رسول الله ، فأمره
 بالجلوس ، فجال عمرو بفرسه مُقبِلا ومدبرا ، وجاءت عظماء الأحزاب فوقفت من
 وراء الخندق ومدت أعناقها تنظر ، فلما رأى عمرو أن أحدا لا يجيبه ، قال :

ولقد بُحِثُ من النداء بجمعهم : هل من مُبارز !
 ووقفتُ مذبذب المشيع موقفَ القرن المناجز
 إنني كذلك لم أزل متسرعا قبل الهزاهز
 إن الشجاعة في الفتى والجود من خير الفرائز

فقام على^ث عليه السلام فقال : يا رسول الله ، أئذن لي في مُبارزته ؛ فقال : اذن ،
 فدنا فقلده سيفه ، وعممه بعمامة ، وقال : امض لشأنك ، فلما انصرف قال : « اللهم أعنه
 عليه » ، فلما قُرب منه قال له مجيبا إياه عن شعره :

لا تعجلن فقد أنا ك مجيب صوتك غير عاجز
 ذونية وبصيرة يرجو بذاك نجاة فائز
 إنني لأمّل أن أقيم عليك نائمة الجوائز
 من ضربة فوهاء يبق ذكرها عند الهزاهز

فقال عمرو : من أنت ! وكان عمرو شيخا كبيرا قد جاوز الثمانين ، وكان نديم
 أبي طالب بن عبد المطلب في الجاهلية ، فانتسب على عليه السلام له وقال : أنا على بن
 أبي طالب ، فقال : أجل ، لقد كان أبوك نديما لي وصديقا ، فارجع فإنني لا أحب أن

أَقْتَلَكَ - كان شيخنا أبو الخير مصدق بن شبيب النحوي يقول : إذا مررنا في القراءة عليه بهذا الموضع : والله ما أمره بالرجوع إبقاءً عليه ، بل خوفًا منه ، فقد عرّف قتلاه بيدرو وأحد ، وعلم أنه إن ناهضه قتله ، فاستحيا أن يظهر الفشل ، فأظهر الإبقاء والإرعاء ، وإنه لكاذب فيهما - قالوا : فقال له عليّ عليه السلام : لكنّي أحبُّ أن أقتلك ، فقال يابن أخي ، إني لأكره أن أقتل الرجل الكريم مثلك ، فارجع وراءك خيرٌ لك ، فقال عليّ عليه السلام : إن قريشا تتحدث عنك أنك قلت : لا يدعوني أحدٌ إلى ثلاثٍ إلا أجبتُ ولو إلى واحدةٍ منها ، قال : أجل ، فقال عليّ عليه السلام : فإني أدعوك إلى الإسلام ، قال : دع عنك هذه ، قال : فإني أدعوك إلى أن ترجع بمن تبعك من قريش إلى مكة ، قال : إذن تتحدث نساء قريش عني أن غلاما خدعني ، قال : فإني أدعوك إلى البراز ، فحى عمرو وقال : ما كنت أظن أن أحدا من العرب يرومها مني ، ثم نزل فعقر فرسه - وقيل : ضرب وجهه ففر - وتجاوزا ، فنارت لهما غبرة وارثهما عن العيون ، إلى أن سمع الناس التكبير عالياً من تحت الغبرة ، فعملوا أن علياً قتله ، وانجلت الغبرة عنهما ، وعليّ راكب صدره يحز رأسه ، وفر أصحابه ليتعبروا الخندق ، فظفرت بهم خيأهم إلا نوفل بن عبد الله ، فإنه قصر فرسه ، فوقع في الخندق ، فرماه المسلمون بالحجارة ، فقال : يامعشر الناس ، قتله أكرم من هذه ، فنزل إليه عليّ عليه السلام فقتله ، وأدرك الزبير هبيرة بن أبي وهب فضربه فقطع ثفر^(١) فرسه وسقطت درعٌ كان حملها من ورائه ، فأخذها الزبير ، وألقى عكرمة ربحه ، وناولش عمر بن الخطاب ضرار بن عمرو ، فحمل عليه ضرار حتى إذا وجد عمر مس الرمح رفعه عنه وقال : إنها كنعمة مشكورة ، فأحفظها يا بن الخطاب ، إني كنت آليت ألا أتمكن يداي من قتل قرشي فأقتله . وانصرف ضرار راجعا إلى أصحابه ، وقد كان جرى له معه مثل هذه في يوم أحد . وقد ذكر هاتين القصتين معاً محمد ابن عمر الواقدي في كتاب المغازي^(٢) .

الأضل :

خِيَارُ خِصَالِ النِّسَاءِ شِرَارُ خِصَالِ الرِّجَالِ : الزَّهْوُ وَالْجُبْنُ وَالْبُخْلُ ، فَإِذَا
كَانَتِ الْمَرْأَةُ مَزْهُوَّةً لَمْ تُتِمَّكَّنْ مِنْ نَفْسِهَا ، وَإِذَا كَانَتْ بَخِيلَةً حَفِظَتْ مَالَهَا وَمَالَ
بَعْلِهَا ، وَإِذَا كَانَتْ جَبَانَةً فَرِقَتْ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ يَعْزِضُ لَهَا

البُخْلُ :

أَخَذَ هَذَا الْمَعْنَى الطُّغْرَائِيُّ شَاعِرُ الْعَجَمِ قَال :

الْجُودُ وَالْإِقْدَامُ فِي فِتْيَانِهِمْ وَالْبُخْلُ فِي الْفَتَيَاتِ وَالْإِشْفَاقُ
وَالطَّمَنُ فِي الْأَحْدَاقِ دَابُّ رُمَاتِهِمْ وَالرَّامِيَاتِ سِهَامُهَا الْأَحْدَاقُ

وله :

قَدْ زَادَ طَيْبَ أَحَادِيثِ الْكِرَامِ بِهَا مَا بَالُ الْكِرَامِ مِنْ جُبْنٍ وَمِنْ بُخْلٍ
وَفِي حِكْمَةِ أَفْلَاطُونِ : مِنْ أَقْوَى الْأَسْبَابِ فِي مَحَبَّةِ الرَّجُلِ لَامِرَاتُهُ وَاتِّفَاقُ مَا يَدْنِيهَا
أَنْ يَكُونَ صَوْتُهَا دُونَ صَوْتِهِ بِالطَّبَعِ ، وَتَمَيُّزُهَا دُونَ تَمَيُّزِهِ ، وَقَلْبُهَا أَوْفَعُ مِنْ قَلْبِهِ ،
فَإِذَا زَادَ مِنْ هَذَا عِنْدَهَا شَيْءٌ عَلَى مَا عِنْدَ الرَّجُلِ تَنَافَرَا عَلَى مَقْدَارِهِ .
وَتَقُولُ : زُهِىَ الرَّجُلُ عَلَيْنَا فَهُوَ مَزْهُوٌّ ، إِذَا افْتَخَرَ ، وَكَذَلِكَ نُحْيَى فَهُوَ مَنُخْوٌ ،
مِنَ النَّخْوَةِ ، وَلَا يَجُوزُ زَهَاً ^(١) إِلَّا فِي لَفْظٍ ضَعِيفَةٍ .
وَفَرِقَتْ : خَافَتْ . وَالْفَرَقَ : الْخَوْفَ .

(١) عَنْ ابْنِ السَّكَيْتِ

الأضل :

وَقِيلَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : صِفْ لَنَا الْعَاقِلَ ، فَقَالَ : هُوَ الَّذِي يَضَعُ
الشَّيْءَ مَوَاضِعَهُ .

فَقِيلَ : فَصِفْ لَنَا الْجَاهِلَ ، قَالَ : قَدْ قُلْتُ .

قَالَ الرَّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى ، يَعْنِي أَنَّ الْجَاهِلَ هُوَ الَّذِي لَا يَضَعُ الشَّيْءَ مَوَاضِعَهُ ،
فَكَانَ تَرَكَ صِفَتِهِ صِفَةً لَهُ ، إِذْ كَانَ بِخِلَافِ وَصْفِ الْعَاقِلِ .

الْبَشْرُخ :

هَذَا مِثْلُ الْكَلَامِ الَّذِي تَنْسِبُهُ الْعَرَبُ إِلَى الضَّبِّ . قَالُوا : اخْتَصَمَتِ الضَّبُّعُ وَالشَّعْلَبُ
إِلَى الضَّبِّ ، فَقَالَتِ الضَّبُّعُ : يَا أَبَا الْحَسَلِ ^(١) إِنِّي التَّقَطْتُ تَمْرَةً ، قَالَ : طَيِّبَاجِنِي ، قَالَتْ :
وَإِنْ هَذَا أَخَذَهَا مِنِّي ؛ قَالَ : حَظُّ نَفْسِهِ أَحْرَزُ ، قَالَتْ : فَإِنِّي لَطَمْتُهُ ؛ قَالَ : كَرِيمٌ
حَمَى حَقِيقَتَهُ ، قَالَتْ : فَلَطَمَنِي ، قَالَ : حُرُّهُ انْتَصَرَ ؛ قَالَتْ : اقْضِ بَيْنَنَا ، قَالَ :
قَدْ فَعَلْتُ .

(١) الحمل : ولد الضب .

الأفضل :

وَاللّٰهُ لَدُنْيَاكُمْ هَذِهِ أَهْوَنُ فِي عَيْنِي مِنْ عُرَاقٍ خَنْزِيرٍ فِي يَدٍ مَجْدُومٍ .

الْبُنْخُ :

العُراق : جمع عَرَق ، وهو العَظْمُ عليه شئٌ من اللَّحْمِ ، وهذا من الجُمُوع النادرة ، نحو رَخْلٍ ورُخَالٍ وتَوَامٍ وتُؤَامٍ^(١) ولا يكون شئٌ أحقر ولا أبغضُ إلى الإنسان من عُراقٍ خَنْزِيرٍ فِي يَدٍ مَجْدُومٍ ، فإنه لمْ يَرْضَ بَأَن يجعله في يدِ مَجْدُومٍ - وهو غايةُ ما يكون مِنَ التَّنْفِيرِ - حَتَّى جعله عُراقٍ خَنْزِيرٍ .

ولعمري لقد صدق - وما زال صادقا - ومن تأمل سيرته في حالتي خلوه من العمل وولايته الخلافة عَرَفَ صحة هذا القول .

الأفضل :

إِنَّ قَوْمًا عَبْدُوا اللَّهَ رَغْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ التَّجَارِ ، وَإِنَّ قَوْمًا عَبْدُوا اللَّهَ رَهْبَةً فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْعَبِيدِ ، وَإِنَّ قَوْمًا عَبْدُوا اللَّهَ شُكْرًا فَتِلْكَ عِبَادَةُ الْأَخْرَارِ .

الشنخ :

هذا مقامٌ جليلٌ تنقاصر عنه قُوَى أكثر البشرِ ، وقد شرَحناه فيما تقدّم ،
وقلنا : إنَّ العبادَةَ لرجاء الثوابِ تجارةٌ ومُعَاوِضَةٌ ، وإنَّ العبادَةَ لخوفِ العقابِ لمنزلةٌ من
يَسْتَجِدِي لسلطانٍ قاهرٍ يخاف سطوته .

وهذا معنى قوله : « عِبَادَةُ الْعَبِيدِ » ، أى خَوْفِ السُّوْطِ وَالْعَصَا ، وتلك ليس عِبَادَةٌ
نافعة ، وهى كمن يَعتَذِرُ إلى إنسانٍ خوفَ أذاه وِنَقْمَتِهِ ، لا لأنَّ ما يَعتَذِرُ منه قبيح
لا ينبغى له فِعْلُهُ ، فأما العِبَادَةُ لِلَّهِ تَعَالَى شُكْرًا لِأَنَّمَهُ فهِى عِبَادَةٌ نافعة ، لأنَّ العِبَادَةَ
شُكْرًا مَخْصُوصٌ ، فإذا أَوْقَعَهَا عَلَى هَذَا الْوَجْهِ فَقَدْ أَوْقَعَهَا الْمَوْقِعَ الَّذِى وُضِعَتْ عَلَيْهِ .
فأما أَصْحَابُنَا الْمُتَكَلِّمُونَ فيقولون : يَنْبَغِ أَنْ يَفْعَلَ الْإِنْسَانُ الْوَاجِبَ لَوَجْهِهِ وَجُوبُهُ ، وَيَتْرَكَ
الْقَبِيحَ لَوَجْهِ قَبْحِهِ ، وَرَبَّمَا قَالُوا : يُفْعَلُ الْوَاجِبُ لِأَنَّهُ وَاجِبٌ ، وَيُتْرَكَ الْقَبِيحُ لِأَنَّهُ
قَبِيحٌ ، وَالْكَلَامُ فِي هَذَا الْبَابِ مَشْرُوحٌ مَبْسُوطٌ ^(١) فِي الْكُتُبِ الْكَلَامِيَّةِ .

الأضل :

المرأة شرٌّ كُلُّهَا ، وَشَرُّ مَا فِيهَا أَنَّهُ لَا بُدَّ مِنْهَا .

البُخْرُ :

حَلَفَ إنسانٌ عند بعض الحكماء أَنه ما دخل بابي شرٍّ قطَّ ؛ فقال الحكيم : فَمِنْ
أَيْنَ دَخَلْتَ أَمْرَأَتَكَ !

وكان يقال : أسباب فِتْنَةِ النِّسَاءِ ثلاثة : عَيْنٌ ناظرة ، وصورةٌ مستَحْسَنَةٌ ، وشهوةٌ
قادرة ، فالحكيم من لا يردُّ النظرَ حتَّى يعرفَ حقائقَ الصورة ؛ ولو أن رجلاً رأى
امرأةً فأمججته ثمَّ طأَّلبها فأمتنعَ ، هل كان إلا تارِكها ! فإن تابَّ عَقْلُهُ عليه في مُطالبتها
كتابَّيها عليه في مُسَاعَفَتها قَدَعَ^(١) نفسه عن لذَّته قَدَعَ الْغَيُورُ إِيَّاهُ عن حُرْمَةِ مُسْلِمٍ .
وكان يقال : من أتعَبَ نفسه في الحلال من النِّسَاءِ لم يَتَّقُ إلى الحرامِ مِنْهُنَّ ،
كَالطَّلِيحِ^(٢) مُنَاهُ أَنْ يَسْتَرِيحَ .

(١) قَدَعَ نفسه : منعها وحد من شهوتها .

(٢) الطَّلِيح : التعب .

الأصل :

مَنْ أَطَاعَ التَّوَانِي ضَيَّعَ الْحُقُوقَ ، وَمَنْ أَطَاعَ الْوَأَشِي ضَيَّعَ الصَّدِيقَ .

الشَّيْخُ :

قد تقدّم الكلامُ في التّواني والعجز ، وتقدّم أيضا الكلامُ في الوشاية والسّعاية .
ورُفِعَ إلى كسرى أبرويز أنّ النصارى الذين يحضرون بابَ الملكِ يُعرَفون
بالتجسّس إلى ملكِ الروم ، فقال : مَنْ لم يَظْهَرْ له ذنب لم يَظْهَرْ منّا عقوبة له .

ورُفِعَ إليه أنّ بعض الناس يُنكِرُ إصفاءَ الملكِ إلى أصحاب الأخبار ، فوقّع : هؤلاء
بمنزلةٍ مداخل الضيّاء إلى البيت المُظلم ، وليس لقطع موادّ النور مع الحاجة إليه وجهٌ
عند العقلاء .

قال أبو حيّان : أمّا الأصل في التدبير فصحيح ، لأنّ الملك محتاج إلى الأخبار ، لكن
الأخبار تنقسم إلى ثلاثة أوجه :

خبرٌ يتصل بالدّين ، فالواجب عليه أن يُبالِغَ ويحتاط في حفظه وحراسته وتحقيقه
ونفى القذّي عن طريقه وساحته .

وخبرٌ يتصل بالدّولة ورسومها ، فينبغي أن يتيقظ في ذلك خوفا من كيدٍ ينفذ ،
ونبغي يسرى .

وخبر يدور بين الناس في منصرفهم وشأنهم وحالمهم ، متى زاحمتهم فيه اضطفّنوا

عليك ، وتمنّوا زوال مُلْكِكَ ، وأرصدوا العداوة لك ، وجّهروا إلى عدوك وفتحوا
له بابَ الحيلة إليك .

وإنّما لحقَ الناسَ من هذا الخبر هذا العارض ، لأنّ في منع الملك إيّاهم عن تصرّفاتهم ،
وتتبّعه لهم في حركاتهم ، كَرَبًا على قلوبهم ، ولهيبةً في صُدُورهم ، ولا بدّ لهم في الدهر الصالح
والزّمان المعتدل ، والخِصب المتتابع ، والسبيل الآمن ، والخير المتّصل ؛ من فُكاهة وطيب
وأُسْترسال وأُشْر وبَطَر ، وكلّ ذلك من آثار النعمة الدارّة ، والقلوب القارّة ، فإنّ
أَغْضَى الْمَلِكِ بَصْرَهُ على هذا القِسم عاشَ محبوباً ، وإن تنكّر لهم فقد استأسدّهم
أعداء . والسلام .

الأصل :

أَلْحَجَرُ الْفُصْبُ فِي الدَّارِ رَهْنٌ عَلَى خَرَابِهَا .

قال الرضى رحمه الله تعالى :

وَقَدْ رَوَى مَا يُنَاسِبُ هَذَا الْكَلَامَ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، وَلَا عَجَبَ أَنْ يَشْتَبِهَ الْكَلَامَانِ فَإِنَّ مُسْتَقَاهُمَا مِنْ قَلِيلٍ ، وَمَقَرَّغُهُمَا مِنْ ذُنُوبٍ .

الشُّنْخ :

الذُّنُوبُ : الدُّلُ الْمَلَأَى ، وَلَا يُقَالُ لَهَا وَهْيَ فَارِغَةٌ : ذُنُوبٌ ، وَمَعْنَى الْكَلِمَةِ أَنَّ الدَّارَ الْمَبْنِيَّةَ بِالْحِجَارَةِ الْمَفْصُوبَةِ وَلَوْ بِحَجَرٍ وَاحِدٍ ، لَا بَدَأَ أَنْ يَتَعَجَّلَ خَرَابُهَا ، وَكَأَنَّهَا ذَلِكَ الْحَجَرُ رَهْنٌ عَلَى حَصُولِ التَّخَرُّبِ ، أَيْ كَمَا أَنَّ الرَّهْنَ لَا بَدَأَ أَنْ يُفْتَكَّ ، كَذَلِكَ لَا بَدَأَ لِمَا جُعِلَ ذَلِكَ الْحَجَرُ رَهْنًا عَلَيْهِ أَنْ يَحْصُلَ .

وقال ابن بسام لأبي علي بن مقلبة لما بنى داره بالزاهر بيفداد من الفُصْبِ وظلم الرعيّة :

بِحَنْبِكَ دَارَانِ مَهْدُومَتَانِ وداركُ ثالثةٌ تَهْدُمُ
فَلَيْتَ السَّلَامَةَ الْمُنْصِفِي ن دامتُ فكيفَ لمن يظلمُ

والداران : دارُ أبي الحسن بنِ الفُرات ، ودارُ مُحَمَّد بنِ داودَ بنِ الجراح .

وقال فيه أيضا :

قل لابنِ مُقلّة مهلاً لا تكن مجالاً فإنّما أنتَ في أضغاثِ أحلام
تَبْنِي بأنقاضِ دُورِ الناسِ مجتهداً داراً سُنْقَضُ أيضاً بعدَ أيّام^(١)
وكان ماتفرّسه ابنُ بَسّام فيه حقاً ، فإنّ داره نُقِضَتْ حتّى سوّيت بالأرض في أيّام
الراضى بالله .

(١) تنقض : تقوض وتهدم .

الأفضل :

يَوْمُ الْمَظْلُومِ عَلَى الظَّالِمِ ، أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الظَّالِمِ عَلَى الْمَظْلُومِ .

الشَّرْحُ :

قد تقدّم الكلامُ في الظلم مرارا .

وكان يقال : اذْكَرَ عِنْدَ الظَّالِمِ عَدْلَ اللَّهِ تَعَالَى فِيكَ ، وَعِنْدَ الْقُدْرَةِ قُدْرَةَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَيْكَ .

وإنّما كان يومُ المظلومِ على الظالمِ أشدَّ من يومه على المظلومِ ، لأنّ ذلك اليومَ يومُ الجزاءِ الكُلِّيِّ ، والأنتقامِ الأعظمِ ، وقُصَارَى ^(١) أمرِ الظالمِ في الدنيا أن يَقتُلَ غَيْرَهُ فَيُمِيتَهُ مِيتَةً وَاحِدَةً ، ثُمَّ لَا سَبِيلَ لَهُ بَعْدَ إِمَاتَتِهِ إِلَى أَنْ يُدْخَلَ عَلَيْهِ الْمَاءُ آخِرَ ؛ وَأَمَّا يَوْمُ الجزاءِ فَإِنَّهُ يَوْمٌ لَا يَمُوتُ الظَّالِمُ فِيهِ فَيَسْتَرِيحُ ^(٢) ، بَلْ عَذَابُهُ دَائِمٌ مُتَجَدِّدٌ ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ سُخْطِهِ وَعِقَابِهِ .

(٢) ١ : « لَا يَسْتَرِيحُ فِيهِ الظَّالِمُ » .

(١) ١ : « وَقَصْر »

الأُضْلُ :

اتَّقِ اللَّهَ بَعْضَ التَّقَى وَإِنْ قَلَّ ؛ وَاجْعَلْ بَيْنَكَ وَبَيْنَ اللَّهِ سِتْرًا وَإِنْ رَقَّ .

السُّنْحُ :

يقال فى المثل : ما لا يُدْرِكُ كلُّهُ لا يُتْرَكُ كلُّهُ .

فالواجب على من عَسُرَتْ عليه التَّقْوَى بأجمعها أن يتقى الله فى البعض ، وأن يجعل بينه وبينه سِتْرًا وإن كان رقيقاً .

وفى أمثال العامة : إجعل بينك وبين الله رَوْزَنَةً ^(١) ، والرَّوْزَنَةُ لفظة صحيحةٌ مُعَرَّبَةٌ ، أى لا تجعل ما بينك وبينه مَسْدُودًا مظلماً بالكلية .

(١) فى اللسان : « الروزنة : الكوة ، وفالحكم : الحرق فى أعلى السقف . وعن التهذيب : يقال للكوة النافذة الروزن ؛ قال : وأحسبه معرباً .

الأفضل :

إذا ازدحمَ الجوابُ ، خَفِيَ الصَّوابُ .

الشنخ :

هذا نحو أن يورد الإنسانُ إشكالا في بعض المسائل النَّظَرِيَّةَ بحضرةِ جماعةٍ من أهل النظر ، فيتغالب القومُ ويتسابقون إلى الجواب عنه ، كلُّ منهم يورد ما خطرَ له .

فلا ريب أن الصواب يَخْفَى حينئذ ، وهذه الكلمة في الحقيقة أمر للنَّاظر البَحَّاث أن يتحرَّى الإنصاف في بحثه ونظره مع رفيقه ، وألا يقصد المراء^(١) والمغالبة والقهر .

الأفضل :

إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى فِي كُلِّ نِعْمَةٍ حَقًّا ، فَمَنْ أَدَّاهُ زَادَهُ مِنْهَا ، وَمَنْ قَصَّرَ فِيهِ خَاطَرَ
بِزَوَالِ نِعْمَتِهِ .

البَّيِّنُ :

قد تقدّم الكلامُ في هذا المعنى .

وجاء في الخبر : مَنْ أُوتِيَ نِعْمَةً فَأَدَّى حَقَّ اللَّهِ مِنْهَا بَرَدَ اللَّهُ عَلَيْهِ ، وإجابة الدَّعْوَةِ
وكشف المظلمة ، كان جديراً بدوامها [وَمَنْ قَصَّرَ قُصِّرَ بِهِ ^(١)] .

الأصل :

إِذَا كَثُرَتِ الْمَقْدُرَةُ قَلَّتِ الشَّهْوَةُ^(١) .

الشرح :

هذا مثلُ قولهم : كلُّ مقدورٍ عليه مملول ، ومثل قول الشاعر .

* وكلُّ كثيرٍ عدوُّ الطَّبيعِ *

ومثل قول الآخر :

وَأَخِ كَثُرَتْ عَلَيْهِ حَتَّى مَلَّنِي وَالشَّيْءُ مَمْلُولٌ إِذَا هُوَ يَرْخُصُ
يَالَيْتَهُ إِذْ بَاعَ وَدَّى بَاعَهُ مِمَّنْ يَزِيدُ عَلَيْهِ لَا مِنْ يَنْقُصُ

ولهذا الحكمُ عِلَّةٌ في العِلْمِ العقلي ، وذلك أنَّ النفسَ عندهم غنيَّةٌ بذاتها ، مكتفيةٌ بنفسها ، غيرُ محتاجةٍ إلى شَيْءٍ خارجٍ عنها ، وإنما عَرَضَتْ لها الحاجة والفقرُ إلى ما هو خارجٌ عنها لمقارنتها الهَيُولَى ، وذلك ، أنَّ أَمْرَ الهَيُولَى بالضدِّ من أَمْرِ النَّفْسِ في الفقر والحاجة ، ولَمَّا كان الإنسانُ مركَّباً من النَّفْسِ والهَيُولَى عَرَضَ له الشَّوْقُ إلى تحصيلِ العلوم والقنِيات^(٢) لا تنفعه بهما ، والتذاذُه بمحصولهما ، فأما العلومُ فإنَّه يَحْصُلُهَا في شَبِيهِ بِالْخِزَانَةِ لَهُ ، يَرْجِعُ إِلَيْهَا متى شاء ، ويستخرج منها ما أراد ، أعني القُوَى النفسانيَّةُ الَّتِي هِيَ محلُّ الصُّوَرِ والمعاني على ما هو مذکور في موضعه . وأما القنِياتُ والمحسوساتُ

(٢) القنِيات : جمع قنِيَة ؛ بالضم والكسر : ما اكتسبه الإنسان .

(١) د : « المشورة »

فإنه يروم منها مثل ما يروم من تلك ، وأن يودعها خزانة محسوسة خارجة عن ذاته ، لكنه يغلط في ذلك من حيث يستكثر منها ، إلى أن يتنبه بالحكمة على ما ينبغي أن يقتنى منها ، وإنما حرص على مأمْنع لأن الإنسان إنما يطلب ما ليس عنده ، لأن تحصيل الحاصل مُحال ، والطلب إنما يتوجه إلى المعدم ، لا إلى الموجود ، فإذا حصله سَكَن وعَلِمَ أنه قد أدّخره ، ومتى رَجَعَ إليه وَحْدَهُ إن كان ممَّا يَبْقَى بالذات خَزَنَهُ وتَشَوَّق إلى شيء آخر منه ، ولا يزال كذلك إلى أن يعلم أنَّ الجزئيات لا نهاية لها ومالا نهاية له ، فلا مَطْمَع في تحصيله ، ولا فائدة في النزوع إليه ، ولا وجه لطَّـبَّه سواء كان معلوماً أو محسوساً ، فَوَجَبَ أن يقصد من المعلومات إلى الأهمِّ ومن المُقْتَنِيَّات إلى ضرورات البدن ومُقَيَّاتِهِ ، ويَعْدِلُ عن الاستكثار منها ، فإنَّ حصولها كلها مع أنَّها لا نهاية لها غير ممكن ، وكلما فضل عن الحاجة وقَدَّر الكفاية فهو مادة الأُحْزَان والهموم ، وضروب المكاره ، والغَلَط في هذا الباب كثير ، وسبب ذلك طمعُ الإنسان في الغنى من معدن الفقر ، لأن الفقر هو الحاجة ، والغنى هو الاستقلال ، إلى أن يحتاج إليه ، ولذلك قيل : إن الله تعالى غَنَى مُطْلَقاً ، لأنه غير محتاج البتة ، فأما من كثرت قنياه فإنه يستكثر حاجاته بحسب كثرة قنياته ، وعلى قدرها رغبه إلى الاستكثار بكثرة وجوه فقره ، وقد بُيِّنَ ذلك في شرائع الأنبياء ، وأخلاق الحكماء ، فأما الشيء الرخيصُ الموجود كثيراً فإِذَا يُرْغَب عنه ، لأنه معلوم أنه إذا التمس وَجِدَ والغالى فإِذَا يَقْدَرُ عليه في الأحيان ويصيبه الواحدُ بعدَ الواحد ، وكلَّ إنسان يتمنى أن يكون ذلك الواحدُ ليصيبه وليحصلَ له مالا يَحْصُلُ لغيره .

الأفضل :

احذَرُوا نِفَارَ النَّعْمِ ، فَمَا كُلُّ شَارِدٍ بِمَرْدُودٍ .

الشيخ :

هذا أمرٌ بالشُّكرِ عَلَى النعمة وتركِ المعاصي ، فإنَّ المعاصي تُزِيلُ النِّعَمَ كما قيل :

إِذَا كُنْتَ فِي نِعْمَةٍ فَارْعَهَا فَإِنَّ الْمَعَاصِيَ تُزِيلُ النِّعَمَ

وقال بعض السلف : كُفِرَانَ النِّعْمَةِ بَوَار ، وَقَلَمًا أَقْلَعْتَ نَافِرَةً فَرَجَعْتَ فِي نَصَابِهَا ،

فَاسْتَدْعَ شَارِدَهَا بِالشُّكْرِ ، وَاسْتَدِمَّ رَاهِنَهَا بِكَرَمِ الْجَوَار ، وَلَا تَحْسَبْ أَنَّ سُبُوغَ سِتْرِ اللَّهِ عَلَيْكَ غَيْرَ مُتَقَاصٍ عَمَّا قَلِيلُ عَنْكَ إِذَا أَنْتَ لَمْ تَرْجُ اللَّهَ وَقَارَا .

وقال أبو عصمة : شَهِدْتُ سُفْيَانَ وَفُضَيْلًا^(١) فَمَا سَمِعْتُهُمَا يَتَذَاكَرَانِ إِلَّا النِّعَمَ ،

يَقُولَانِ : أَنْعَمَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَيْنَا بِكَذَا ، وَفَعَلَ بِنَا كَذَا .

وقال الحسن^(٢) : إِذَا اسْتَوَى يَوْمًاكَ فَأَنْتَ نَاقِصٌ ، قِيلَ لَهُ : كَيْفَ ذَاكَ ؟ قَالَ :

إِنْ زَادَكَ اللَّهُ الْيَوْمَ نِعْمًا فَعَلَيْكَ أَنْ تَزْدَادَ غَدًا لَهُ شُكْرًا .

وكان يقال : الشُّكْرُ جُنَّةٌ^(٣) مِنَ الزَّوَالِ ، وَأَمْنَةٌ مِنَ الْإِنْتِقَالِ .

وكان يقال : إِذَا كَانَتِ النِّعْمَةُ وَسِيمَةً فَاجْعَلِ الشُّكْرَ لَهَا تَمِيمَةً^(٤) .

(٢) هو الحسن البصري

(٤) التَّيْمَةُ : الْعُودَةُ .

(١) هو فضيل بن عياض

(٣) جنة : وَقَاةٌ .

الأضل :

الكرمُ أعطفُ مِنَ الرَّحِمِ .

الشنخ :

مثلُ هذا المعنى قولُ أبي تمام لابن الجهم :

إِلَّا يَكُنْ نَسَبٌ يُولَّفُ يَنُنَا أَدَبٌ أَقْنَاهُ مَقَامَ الْوَالِدِ^(١)
أَوْ يَخْتَلِفُ مَاءُ الْوَصَالِ فَمَاؤُنَا عَذْبٌ تَحْدَرُ مِنْ غَمَامٍ وَاحِدٍ
وَمِنْ قَصِيدَةٍ لِي فِي بَعْضِ أَغْرَاضِي :
وَوَشَائِجُ الْأَدَابِ عَاطِفَةٌ مُضَلَّاءُ فَوْقَ وَشَائِجِ النَّسَبِ^(٢)

(١) ديوانه ١ : ٤٠٧ ، وقوله :

إِنْ يُكْدِ مُطَرَفُ الْإِخَاءِ فَإِنَّا نَعْدُو وَنَسْرِى فِي إِخَاءِ تَالِدِ

(٢) في الأصول : « الأنساب » ، ولا يستقيم الرزق

الأفضل :

مَنْ ظَنَّ بِكَ خَيْرًا فَصَدَّقْ ظَنَّهُ .

الشيخ :

هذا قد تقدّم في وصيته عليه السلام لولده الحسن . .

ومن كلام بعضهم : إني لأستحي أن يأتيني الرجلُ يَحْمَرُّ وجهه تارةً من الخجل أو
يصفر أخرى من خوف الردّ قد ظنّ بي الخيرَ وبات عليه وغداً على أن أردّه ^(١) خائباً .

الأفضل :

أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ مَا أَكْرَهْتَ نَفْسَكَ عَلَيْهِ .

الشرح :

لا ريب أن الثواب على قدر المشقة ، لأنه كالعِوض عنها^(١) ، كما أن العِوض الحقيقي عوض عن الألم ، ولهذا قال صلى الله عليه وآله : « أفضل العبادة أحمرؤها »^(٢) .
أى أشقها .

(١) ١ : « منها »

(٢) نقله ابن الأثير في النهاية ١ : ٢٥٨ قال : يقال : رجل حامز الفؤاد وحميزه ، أى شديد

الأضل :

عَرَفْتُ اللَّهَ سُبْحَانَهُ بِفَسْخِ الْعَزَائِمِ، وَحَلِّ الْعُقُودِ، وَتَقْضِ الْهِمَمِ .

الشئخ :

هذا أحدُ الطُّرُقِ إلى معرفة الباري سبحانه ، وهو أن يَعَزِمَ الإنسانُ على أمرٍ ، ويصمِّمَ رأيه عليه ، ثمَّ لا يَلْبَثَ أن يُخْطِرَ اللهُ تعالى بباله خاطراً صارِفاً له عن ذلك الفعل ، ولم يكنْ في حسابهِ ، أى لولا أن في الوجود^(١) ذاتاً مدبِّرةً لهذا العالم لما خَطَرَتْ الخواطرُ التي لم تكن محتسبةً ، وهذا فصلٌ يتضمَّنُ كلاماً دقيقاً يذكره المتكلِّمون في الخاطر الذي يَخْطُرُ عن غيرِ مُوجبٍ لخطوره ؛ فإنه لا يجوز أن يكون الإنسان أخطَرَه بباله ؛ وإلا لكان ترجيحاً من غيرِ مرجِّحٍ لجانب الوجود على جانب العدم ، فلا بدَّ أن يكون الخطر له بالبال شيئاً خارجاً عن ذات الإنسان ، وذاك هو الشئ المسمَّى بصانع العالم .

وليس هذا الموضع ممَّا يحتمل استقصاء القول في هذا المبحث .

ويقال : إنَّ عَضُدَ الدَّوْلَةِ وقعتْ في يده قصَّةٌ وهو بتصفِّحِ القِصصِ ، فأمر بصَلْبِ صاحبها ثمَّ أتبع الخادمَ خادماً آخر يقول له : قل للمطهر - وكان وزيره - لا يَصْلُبْهُ ، ولكن أخرجْه من الحبس فاقطعْ يده اليمنى ؛ ثم أتبعه خادماً ثالثاً ، فقال : بل تقول له : يقطع أعصابَ رجلَيْه ، ثم أتبعه خادماً آخر فقال له : ينقله إلى القلعة يسيراً في قيوده فيجعلُه هناك ، فاختلفتْ دَواعيه في ساعةٍ واحدةٍ أربع مرَّات .

(١) في ب : « المبود » تحريف .

الأفضل :

مَرَارَةُ الدُّنْيَا حَلَاوَةُ الْآخِرَةِ ، وَحَلَاوَةُ الدُّنْيَا مَرَارَةُ الْآخِرَةِ .

الشرح :

لَمَّا كَانَتِ الدُّنْيَا^(١) ضِدَّ الْآخِرَةِ ، وَجَبَ أَنْ يَكُونَ أَحْكَامُ هَذِهِ ضِدَّ أَحْكَامِ هَذِهِ ،
كَالسَّوَادِ يَجْمَعُ الْبَصَرَ وَالْبَيَاضَ يَفْرُقُ الْبَصَرَ ، وَالْحَرَارَةُ تُوْجِبُ الْخَفَّةَ ، وَالْبُرُودَةُ تُوْجِبُ
الثَّقَلَ ، فَإِذَا كَانَ فِي الدُّنْيَا أَعْمَالٌ هِيَ مَرَّةُ الْمَذَاقِ عَلَى الْإِنْسَانِ قَدْ وَرَدَ الشَّرْعُ
بِإِجَابَتِهَا فَلَكَ الْأَفْعَالُ تَقْتَضِي^(٢) وَتُوْجِبُ لِفَاعِلِهَا ثَوَابًا حُلُوَ الْمَذَاقِ فِي الْآخِرَةِ .
وَكَذَلِكَ بِالْعَكْسِ مَا كَانَ مِنَ الْمُسْتَهْيَاتِ الدُّنْيَاوِيَّةِ الَّتِي قَدْ نَهَى الشَّرْعُ عَنْهَا تُوْجِبُ ،
- وَإِنْ كَانَتْ حُلُوَةُ الْمَذَاقِ - مَرَارَةُ الْعُقُوبَةِ فِي الْآخِرَةِ .

الأفضل :

فَرَضَ اللَّهُ الْإِيمَانَ تَطْهِيراً مِنَ الشُّرْكِ ، وَالصَّلَاةَ تَنْزِيهاً عَنِ الْكِبْرِ ،
وَالزَّكَاةَ تَسْبِيحاً لِلرِّزْقِ ، وَالصَّيَّامَ ابْتِلَاءً لِإِخْلَاصِ الْخَلْقِ ، وَالْحَجَّ تَقْوِيَةً لِلدِّينِ ،
وَالْجِهَادَ عِزًّا لِلْإِسْلَامِ ، وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ مَصْلَحَةً لِلْعَوَامِّ ، وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ
رَدْعاً لِلشُّفَهَاءِ ، وَصِلَةَ الرَّحِمِ مَنَمَةً لِلْعَدَدِ ، وَالْقِصَاصَ حَقّاً لِلدِّمَاءِ ، وَإِقَامَةَ
الْحُدُودِ إِعْظَاماً لِلْمَحَارِمِ ، وَتَرَكَ شُرْبَ الْخَمْرِ تَحْصِيناً لِلْعَقْلِ ، وَمُجَانَبَةَ السَّرِقَةِ
إِجَاباً لِلْعِفَّةِ ، وَتَرَكَ الزَّنا تَحْصِيناً لِلنَّسَبِ ، وَتَرَكَ الْأَوَاطِ تَكْثِيراً لِلنَّسْلِ ،
وَالشَّهَادَاتِ اسْتِظْهَاراً عَلَى الْمَجَاحِدَاتِ ، وَتَرَكَ الْكَذِبَ تَشْرِيفاً لِلصِّدْقِ ، وَالسَّلَامَ
أَمَاناً مِنَ الْمَخَافِ ، وَالْأَمَانَةَ نِظَاماً لِلْأَمَّةِ ، وَالطَّاعَةَ تَعْظِماً لِلْإِمَامَةِ .

التَّشْرِحُ :

هذا الفصلُ يتضمَّنُ بيانَ تعليلِ العباداتِ إيجاباً وسلباً .

قال عليه السلام : فَرَضَ اللَّهُ الْإِيمَانَ تَطْهِيراً مِنَ الشُّرْكِ ، وذلكَ لأنَّ الشُّرْكَ
نَجَاسَةٌ حُكْمِيَّةٌ لَا عَيْنِيَّةٌ ، وَأَيُّ شَيْءٍ يَكُونُ أَنْجَسَ مِنَ الْجَهْلِ أَوْ أَقْبَحَ ، فَالْإِيمَانُ هُوَ
تَطْهِيرُ الْقَلْبِ مِنْ نَجَاسَةِ ذَلِكَ الْجَهْلِ .

وَفَرَضَتِ الصَّلَاةُ تَنْزِيهاً مِنَ الْكِبَرِ ، لأنَّ الْإِنْسَانَ يَقُومُ فِيهَا قَائِماً ، وَالْقِيَامُ مُنَافٍ
لِلتَّكَبُّرِ وَطَارِدٌ لَهُ ، ثُمَّ يَرْفَعُ يَدَيْهِ بِالتَّكْبِيرِ وَقْتَ الْإِحْرَامِ بِالصَّلَاةِ فَيَصِيرُ عَلَى هَيْئَةٍ
مِنْ يَدِّ عُنُقِهِ لِيُوسِّطَةَ السَّيَافِ ، ثُمَّ يَسْتَكْتَفِ كَمَا يَفْعَلُهُ الْعَبِيدُ الْأَذْلَاءُ بَيْنَ يَدَيِ

السادة العظماء ، ثم يركع على هيئة من يمدّ عنقه ليضربها السياف ، ثم يسجد فيضع
أشرف أعضائه وهو جبهته على أدون المواضع ، وهو التراب . ثم تتضمن الصلاة من
الخضوع والخشوع والامتناع من الكلام والحركة الموهمة لمن رآها أن صاحبها خارج
عن الصلاة ، وما في غُضُونِ الصلاة من الأذكار المتضمنة الدّلّ والتواضع لعظمة
الله تعالى .

وفُرضت الزكاة تسبيبا للرزق ، كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُ ﴾ ^(١) ، وقال : ﴿ مَنْ ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَاعِفَهُ لَهُ ﴾ ^(٢) .

وفُرض الصيام ابتلاء لإخلاص الخلق ، قال النبي صلى الله عليه وآله حاكيا عن
الله تعالى : « الصَّوْمُ لِي وَأَنَا أَجْزَى بِهِ » ، وذلك لأن الصوم أمر لا يطلع عليه أحد ،
فلا يقوم به على وجهه إلا الخليصون .

وفُرض الحج تقوية للدين ، وذلك لما يحصل للحاج في ضميمته من المتاجر
والمكاسب ، قال الله تعالى : ﴿ لِيَشْهَدُوا مَنَافِعَ لَهُمْ وَيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ
بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ ﴾ ^(٣) . وأيضاً فإن المشركين كانوا يقولون : لولا أن أصحاب محمد كثير
وأولو قوة لما حجوا ، فإن الجيش الضعيف يعجز عن الحج من المكان البعيد .
وفُرض الجهاد عزاً للإسلام ، وذلك ظاهر ، قال الله تعالى : ﴿ وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ
النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفُتَّتْ صَوَامِعُ وَيَبْعُ وَصَلَوَاتُ وَمَسَاجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا اسْمُ اللَّهِ
كَثِيرًا ﴾ ^(٤) ، وقال سبحانه : ﴿ وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ
بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ ﴾ ^(٥) .

(٢) سورة الحديد ١١

(٤) سورة الحج ٤٠

(١) سورة سبأ ٣٩

(٣) سورة الحج ٢٨

(٥) سورة الأنفال ٦٠

وفُرض الأمر بالمعروف مصلحةً للعوام ، لأنّ الأمر بالعدل والإنصاف وردّ
الودائع ، وأداء الأمانات إلى أهلها ، وقضاء الديون ، والصدق في القول ، وإيجاز
الوعد ، وغير ذلك من محاسن الأخلاق ، مصلحة للبشر عظيمة لا محالة .
وفُرض النهي عن المنكر ردعاً للسفهاء ، كالنهي عن الظلم والكذب والسّفه ،
وما يجري مجرى ذلك .

وفُرض صلة الرّحيم منامةً للعدّد ، قال النّبيّ صلى الله عليه وآله « صلة الرّحم
تزيد في العمر ، وتُنمّي العدّد » .
وفُرض القصاص حقناً للدماء ، قال سبحانه : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ
يَا أُولِي الْأَلْبَابِ ﴾ (١) .

وفُرض إقامة الحدود إعظاماً للمحارم ، وذلك لأنّه إذا أقيمت الحدود امتنع كثير
من الناس عن المعاصي التي تجبُ الحدودُ فيها ، وظهر عظم تلك المعاصي عند العامّة
فكانوا إلى تركها أقرب .

وحُرّم شرب الخمر تحصيناً للعقل ، قال قوم لحكيم : اشربْ اللّيلة معناً ، فقال :
أنا لا أشرب ما يشرب عقلي ؛ وفي الحديث الرفوع ، « أنّ ملكاً ظالماً خيّر إنساناً
بين أن يُجامع أمّه أو يقتل نفساً مؤمنة ، أو يشرب الخمر حتّى يسكر ، فرأى أنّ
الخمر أهونها ، فشرب حتّى سكر ، فلمّا غلبه قام إلى أمّه فوطّئها ، وقام إلى تلك
النفس المؤمنة فقتلها » ؛ ثم قال عليه السلام : « الخمرُ جماعُ الإثم ، الخمر أمّ المعاصي » .
وحُرّمت السرقة إيجاباً للعفة ، وذلك لأنّ العفة خلُقٌ شريف ، والطمع خلُقٌ
دنيء ، فحرمت السرقة ليتمرّن الناس على ذلك الخلق الشريف ، ويجانبوا ذلك
الخلق الذميمة ، وأيضاً حرّمت لما في تحريمها من تحصين أموال الناس .

وَحُرْمُ الزَّنا تَحْصِينًا لِلنَّسَبِ ، فَإِنَّهُ يُفْضَى إِلَى اخْتِلَاطِ الْمِيَاهِ وَاشْتِبَاهِ الْأَنْسَابِ ،
وَأَلَّا يُنْسَبَ أَحَدُهُ بِتَقْدِيرِ الْأَلَّا يَشْرَعَ النِّكَاحُ إِلَى أَبٍ ، بَلْ يَكُونُ نَسَبُ النَّاسِ
إِلَى أُمَّهَاتِهِمْ ، وَفِي ذَلِكَ قَلْبُ الْحَقِيقَةِ ، وَعَكْسُ الْوَاجِبِ ، لِأَنَّ الْوَلَدَ مَخْلُوقٌ مِنْ مَاءِ الْأَبِ ،
وَإِنَّمَا الْأُمُّ وَعَاءٌ وَظَرْفٌ .

وَحُرْمُ اللَّوَاطِ تَكْثِيرًا لِلنَّسْلِ ، وَذَلِكَ الْوَاوُطُ بِتَقْدِيرِ اسْتِفَاضَتِهِ بَيْنَ النَّاسِ
وَالِاسْتِفْنَاءِ بِهِ عَنِ النِّسَاءِ يُفْضَى إِلَى انْقِطَاعِ النَّسْلِ وَالذَّرِّيَّةِ ، وَذَلِكَ خِلَافُ مَا يَرِيدُ
اللَّهُ تَعَالَى مِنْ بَقَاءِ هَذَا النُّوعِ الشَّرِيفِ الَّذِي لَيْسَ فِي الْأَنْوَاعِ مِثْلُهُ فِي الشَّرَفِ ، لِمَكَانِ
النَّفْسِ النَّاطِقَةِ الَّتِي هِيَ نَسْخَةٌ وَمِثَالٌ لِلْحَضَرَةِ الْإِلَهِيَّةِ ، وَلِذَلِكَ سَمَّيْتُ الْحِكْمَاءَ الْإِنْسَانَ
الْعَالَمَ الصَّغِيرَ .

وَحُرْمُ الْاسْتِمْنَاءِ بِالْبَيْدِ وَإِتْيَانِ الْبِهَائِمِ لِلْمَعْنَى الَّذِي لِأَجْلِهِ حُرْمُ اللَّوَاطِ ، وَهُوَ
تَقْلِيلُ النَّسْلِ ؛ وَمَنْ مَسْتَحْسَنُ الْكَلِمَاتِ النَّبَوِيَّةِ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْاسْتِمْنَاءِ بِالْبَيْدِ :
« ذَلِكَ الْوَادُ الْخَفِيُّ » ، لِأَنَّ الْجَاهِلِيَّةَ كَانَتْ تَنْدُبُ الْبَنَاتِ أَيْ تَقْتُلُهُنَّ خَنْقًا ، وَقَدْ
قَدَّمْنَا ذَكَرَ سَبَبِ ذَلِكَ ، فَشَبَّهَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِتْلَافَ النُّطْفَةِ الَّتِي هِيَ وَلَدٌ بِالْقُوَّةِ بِإِتْلَافِ
الْوَلَدِ بِالْفِعْلِ .

وَأَوْجِبَتْ الشَّهَادَاتُ عَلَى الْحَقُوقِ اسْتَظْهَارًا عَلَى الْمَجَاحِدَاتِ ؛ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ
وآلِهِ : « لَوْ أُعْطِيَ النَّاسُ بِدَعَاوِيهِمْ لَاسْتَحَلَّ قَوْمٌ مِنْ قَوْمِ دِمَائِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ » ، وَوَحَبَّ
تَرْكُ الْكَذِبِ تَشْرِيفًا لِلصِّدْقِ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ مَصْلَحَةَ الْعَامَّةِ إِنَّمَا تَتِمُّ وَتَنْتَظِمُ بِالصِّدْقِ ،
فَإِنَّ النَّاسَ يَبْنُونَ أَكْثَرَ أُمُورِهِمْ فِي مَعَامِلَاتِهِمْ عَلَى الْأَخْبَارِ ، فَإِنَّهَا أَعَمُّ مِنَ الْعِيَانِ
وَالْمُشَاهَدَةِ ، فَإِذَا لَمْ تَكُنْ صَادِقَةً وَقَعَ الْخَطَأُ فِي التَّيْدِيرَاتِ ، وَفَسَدَتْ أَحْوَالُ الْخَلْقِ .
وَشُرِعَ رَدُّ السَّلَامِ أَمَانًا مِنَ الْخَوَافِ ، لِأَنَّ تَفْسِيرَ قَوْلِ الْقَائِلِ : « سَلَامٌ عَلَيْكُمْ » ،
أَيْ لَا حَرْبَ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ ، بَلْ بَيْنِي وَبَيْنَكُمْ السَّلَامُ ، وَهُوَ الصَّلَاحُ .

وفُرضت الإمامة نظامًا للأمة ؛ وذلك لأنَّ الخلق لا يرتفع الهرج والعسف والظلم والفضب والسرقة عنهم إلا بوازعٍ قويٍّ ، وليس يكفي في امتناعهم قُبْح القبيح ، ولا وعيدُ الآخرة ، بل لا بدَّ لهم من سلطان قاهر ينظّم مصالحهم ، فيردّع ظالمهم ، ويأخذ على أيدي سَفَهائهم .

وفُرضت الطاعة تعظيمًا للإمامة ، وذلك لأنَّ أمرَ الإمامة لا يتم إلا بطاعة الرعيّة ، وإلاّ فلو عصّت الرعيّة إمامها لم ينتفعوا بإمامته ورئاسته عليهم .

الأفضل :

ولله عليه السلام بقول :

أَخْلِفُوا الظَّالِمَ إِذَا أَرَدْتُمْ يَمِينَهُ بِأَنَّهُ بَرِيءٌ مِنْ حَوْلِ اللَّهِ وَقُوَّتِهِ ،
فَإِنَّهُ إِذَا حَلَفَ بِهَا كَاذِبًا عُوجِلَ ، وَإِذَا حَلَفَ بِاللَّهِ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَمْ
يُعَاجِلْ ، لَأَنَّهُ قَدْ وَحَّدَ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى .

الشُّنْحُ :

[ماجزى بين يحيى بن عبد الله وبين ابن المصعب عند الرشيد]

رَوَى أَبُو الْفَرَجِ عَلِيُّ بْنُ الْحُسَيْنِ الْأَصْبَهَانِيُّ فِي كِتَابِ "مَقَاتِلِ الطَّالِبِيِّينَ" ، أَنَّ
يَحْيَى بْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا أَمَّنَهُ الرَّشِيدُ بَعْدَ خُرُوجِهِ
بِالدَّيْلَمِ وَصَارَ إِلَيْهِ بِالْبَغْدَادِ فِي إِكْرَامِهِ وَبَرِّهِ ، فَسَعَى بِهِ بَعْدَ مَدَّةٍ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ مُصْعَبٍ
الزَّبِيرِيُّ إِلَى الرَّشِيدِ - وَكَانَ يُبْغِضُهُ - وَقَالَ لَهُ : إِنَّهُ قَدْ عَادَ يَدْعُو إِلَى نَفْسِهِ سِرًّا ، وَحَسَنَ
لَهُ تَقْضَى أَمَانَتِهِ فَأَحْضَرَهُ وَجَمَعَ بَيْنَهُ وَبَيْنَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مُصْعَبٍ لِيُنَازِرَهُ فِيمَا قَذَفَهُ بِهِ وَرَفَعَهُ
عَلَيْهِ ، فَجَبَّهَ ابْنُ مُصْعَبٍ بِحُضْرَةِ الرَّشِيدِ ، وَادَّعَى عَلَيْهِ الْحُرْكَةَ فِي الْخُرُوجِ وَشَقَّ الْعَصَا ،
فَقَالَ يَحْيَى : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَتَصَدَّقُ هَذَا عَلَيَّ وَتَسْتَنْصِحُهُ ؛ وَهُوَ ابْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ ،
الَّذِي أَدْخَلَ أَبَاكَ عَبْدَ اللَّهِ وَوَلَدَهُ الشُّعْبَ ، وَأَضْرَمَ عَلَيْهِمُ النَّارَ حَتَّى خَلَّصَهُ ^(١) أَبُو عَبْدِ اللَّهِ
الْجَدَلِيُّ ، صَاحِبُ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْهُ عَنُوةٌ ؛ وَهُوَ الَّذِي تَرَكَ الصَّلَاةَ عَلَى

(١) مقاتل الطالبيين : « تخاصمه » .

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَرْبَعِينَ جُمُعَةً فِي خُطْبَتِهِ ، فَلَمَّا التَّائِثَ عَلَيْهِ النَّاسُ قَالَ :
 إِنَّ لَهُ أَهْلِيلَ سُوءٍ إِذَا صَلَّيْتَ عَلَيْهِ أَوْ ذَكَرْتَهُ أَتْلَعُوا أَعْنَاقَهُمْ وَاشْرَأُتُوا لَذِكْرِهِ ،
 فَأَكْرَهَ أَنْ أُسَرَّهُمْ أَوْ أَقْرَّ أَعْيُنَهُمْ ^(١) ؛ وَهُوَ الَّذِي كَانَ يَشْتُمُ أَبَاكَ وَيُلْصِقُ بِهِ الْعُيُوبَ
 حَتَّى وَرِمَ كَبْدُهُ ، وَلَقَدْ ذَبَحْتُ بَقْرَةً يَوْمًا لِأَبِيكَ فَوُجِدَتْ كَبْدُهَا سَوْدَاءَ قَدْ
 نَقِبَتْ ، فَقَالَ عَلَى ابْنِهِ : أَمَا تَرَى كَبْدَ هَذِهِ الْبَقْرَةِ يَا أَبْتَ ! فَقَالَ : يَا بَنِيَّ هَكَذَا تَرَكُ
 ابْنُ الزَّيْرِيرِ كَبْدَ أَبِيكَ ، ثُمَّ نَفَاهُ إِلَى الطَّائِفِ ، فَلَمَّا حَضَرَتْهُ الْوَفَاةُ قَالَ لِابْنِهِ عَلَى :
 يَا بَنِيَّ إِذَا مِتَّ فَاحْلُقْ بِقَوْمِكَ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنْفٍ بِالشَّامِ ، وَلَا تُقِمْ فِي بَلَدٍ لِابْنِ الزَّيْرِيرِ
 فِيهِ إِمْرَةٌ ، فَاخْتَارَ لَهُ صَحْبَةً يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ عَلَى صَحْبَةِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْرِيرِ . وَوَاللَّهُ إِنَّ
 عِدَاوَةَ هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ لَنَا جَمِيعًا بِمَنْزِلَةِ سُوءٍ ، وَلَكِنَّهُ قَوِيٌّ عَلَىَّ بِكَ ، وَضَعُفَ
 عَنكَ ، فَتَقَرَّبَ بِي إِلَيْكَ لِيُظْفَرَ مِنْكَ بِي ، إِنْ لَمْ يَقْدِرْ عَلَى مِثْلِهِ مِنْكَ ، وَمَا يَنْبَغِي
 لَكَ أَنْ تُسَوِّغَهُ ذَلِكَ فِيَّ ، فَإِنْ مَعَاوِيَةُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ وَهُوَ أَبْعَدُ نَسَبًا مِنْكَ إِلَيْنَا
 ذَكَرَ الْحَسَنَ بْنَ عَلَىٍّ يَوْمًا فَسَبَّهُ ، فَسَاعَدَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْرِيرِ عَلَى ذَلِكَ ، فَزَجَرَهُ
 وَاتَّهَرَهُ ، فَقَالَ إِنَّمَا سَاعَدْتُكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : إِنَّ الْحَسَنَ لِحِمِّي آكِلُهُ وَلَا
 أُوْكِلُهُ . وَمَعَ هَذَا فَهُوَ الْخَارِجُ مَعَ أَخِي مُحَمَّدٍ عَلَى أَبِيكَ الْمَنْصُورِ أَبِي جَعْفَرٍ ، وَالْقَائِلُ
 لِأَخِي فِي قَصِيدَةٍ طَوِيلَةٍ أَوْهَا :

إِنَّ الْحَمَامَةَ يَوْمَ الشَّعْبِ مِنْ خَضَنٍ ^(٢) هَاجَتْ فَوَادٍ مُحِبَّةٍ دَائِمِ الْحَزَنِ
 يُحَرِّضُ أَخِي فِيهَا عَلَى الْوُثُوبِ وَالنَّهْوِضِ إِلَى الْخِلَافَةِ ، وَيَمْدَحُهُ وَيَقُولُ لَهُ :
 لَا عَزْرَ كُنَّا نَزَارِ عِنْدَ سَطَوَاتِهَا إِنْ أَسْلَمْتِكَ وَلَا رُكْنَا ذَوِي يَمَنِ
 أَلَسْتَ أَكْرَمَهُمْ عُودًا إِذَا انْتَسَبُوا يَوْمًا وَأَطْهَرَهُمْ ثَوْبًا مِنَ الدَّرَنِ !

(١) مقاتل الطالبين : « فلا أحب أن أقر عينهم بذكره » . (٢) كذا في ١ والعقد ٥ : ٨٧ ،
 وفي مقاتل الطالبين « دثن » .

وأعظم الناس عند الناس منزلةً وأبعد الناس من عيبٍ ومن وهنٍ !
 قوموا ببيعَتكم تنهض بطاعتها إنَّ الخلافة فيكم يابني حسنِ
 إنَّا لنا مل أن ترتدَّ ألفتنا بعد التدابر والبغضاء والإحنِ
 حتَّى يشاب على الإحسان مُحسننا ويأمن الخائف المأخوذ بالدمنِ
 وتنفضي دولة أحكام قادتها فينا كأحكام قوم عابدي وثنِ
 فطلما قد برؤا بالجور أعظمنا برى الصنّاع قداح النّبع بالسفنِ

فتغيّر وجهُ الرّشيد عند سماع هذا الشعر ، وتغيّظ على ابن مصعب ، فابتدأ ابن مصعب يحلف بالله الذي لا إله إلا هو وبأيمان البيعة أن هذا الشعر ليس له ، وأنه لسديف ، فقال يحيى : والله يا أمير المؤمنين ما قاله غيره ، وما حلفت كاذبا ولا صادقا بالله قبل هذا ، وإن الله عز وجل إذا مجّده العبد في يمينه فقال : والله الطالب الغالب الرحمن الرحيم ، استحي أن يعاقبه ؛ فدعنى أن أحلفه بيمينٍ ما حلف بها أحد قط كاذباً إلا عوجِل ، قال لحلفه ؛ قال قل : برئت من حول الله وقوته ، واعتصمت بحولى وقوتى ، وتقلدت الحول والقوة من دون الله ، استكباراً على الله ، واستعلاء عليه ، واستغناء عنه ، إن كنت قلت هذا الشعر . فامتنع عبدُ الله من الحلف بذلك ، ففضّب الرشيد ، وقال للفضل بن الربيع : يا عباسي ماله لا يحلف إن كان صادقا ! هذا طيلسانى على ، وهذه ثيابى لو حلفنى بهذه اليمين أنها لى الحلفت . فوكرّ الفضلُ عبدَ الله برجله - وكان له فيه هوًى - وقال له : احلف ويحك ! فجعل يحلف بهذه اليمين ، ووجهه متغيّر ، وهو يُرعد ، فضرَب يحيى بين كتفيه ، وقال : يابن مصعب ، قطعتُ مُعمرَكَ ، لا تُفْلح بعدها أبدا !

قالوا : فما برح من موضعه حتّى عرّض له أعراضُ الجذام ، استدارت عيناه ،

وتنفقاً وجهه ، وقام إلى بيته فتقطع وتشقق لحمه وانتثر شعره ، ومات بعد ثلاثة أيام ،
وحضر الفضل بن الربيع جنازته ، فلما جعل في القبر انخسف اللحد به حتى خرجت
منه غبرة شديدة ، وجعل الفضل يقول : التراب التراب ! فطرح التراب وهو يهوى فا
يستطيعوا سدّه حتى سقف بخشب ، وطمّ عليه ؛ فكان الرشيد يقول بعد ذلك
للفضل : أ رأيت يا عباسي ما أسرع ما أديل ليحيي ^(١) من ابن مصعب ^(٢) !

(١) ب : « من يحيي » .

(٢) مقاتل الطالبين ٤٧٤ - ٤٧٨

الأصل :

يَا بَنَ آدَمَ ، كُنْ وَصِيَّ نَفْسِكَ ، وَأَعْمَلْ فِي مَالِكَ مَا تُؤْتِرُ أَنْ يُعْمَلَ فِيهِ
مِنْ بَعْدِكَ .

الشرح :

لا ريب أن الإنسان يُؤثر أن يُخرج ماله بعد موته في وجوه البر والصدقات
والقُرْبَات ليصل ثواب ذلك إليه ، لكنه يَضِنّ بإخراجه وهو حيٌّ في هذه الوجوه لحبه
العاجلة وخوفه من الفقر والحاجة إلى الناس في آخر العمر ، فيقيم وصيًا يعمل ذلك في
ماله بعد موته .

وأوصى أمير المؤمنين عليه السلام الإنسان أن يعمل في ماله وهو حيٌّ ما يُؤثر أن
يُجمل فيه وصية بعد موته ، وهذه حالة لا يقدر عليها ^(١) إلا من أخذ التوفيق بيده .

(٢٥٢)

الأصل :

الْحِدَّةُ ضَرْبٌ مِنَ الْجُنُونِ ، لِأَنَّ صَاحِبَهَا يَنْدَمُ ؛ فَإِنْ لَمْ يَنْدَمْ
فَجُنُونُهُ مُسْتَحْكَمٌ .

الشَّرْحُ :

كان يقال : الحِدَّةُ كُنْيَةُ الْجَهْلِ .

وكان يقال : لا يَصِحُّ لِلْحَدِيدِ رَأْيٌ ، لِأَنَّ الْحِدَّةَ تُصْدِي الْعَقْلَ كَمَا يُصْدِي الْخَلُّ
الْمَرَاةَ فَلَا يَرَى صَاحِبُهُ فِيهِ صُورَةَ حَسَنٍ فَيَفْعَلُهُ ، وَلَا صُورَةَ قَبِيحٍ فَيَجْتَنِبُهُ .

وكان يقال : أَوَّلُ الْحِدَّةِ جُنُونٌ وَآخِرُهَا نَدَمٌ .

وكان يقال : لَا تَحْمِلَنَّكَ الْحِدَّةُ عَلَى أَقْتِرَافِ الْإِثْمِ ، فَتَشْفِيَ عَيْظَكَ ، وَتُسْقِمَ دِينَكَ .

الأضل :

صِحَّةُ الْحَسَدِ ، مِنْ قِلَّةِ الْحَسَدِ .

الشَّيْخُ :

معناه أن القليل الحسد لا يزال مُعَاْفَى في بدنه ، والكثير الحسد يُمْرِضُهُ ما يجده في نفسه من مَضَاضَةِ الْمُنَافَسَةِ ، وما يتجرَّعه من الغيظ ، ومزاجُ البدن يتبع أحوال النفس .

قال المأمون : مَا حَسَدْتُ أَحَدًا قَطَّ إِلَّا أَبَا دُلْفٍ عَلَى قَوْلِ الشَّاعِرِ فِيهِ :

إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ بَيْنَ بَادِيهِ وَمَحْتَضَرِهِ^(١)

فَإِذَا وَلَّى أَبُو دُلْفٍ وَلَّتِ الدُّنْيَا عَلَى أَثَرِهِ

وَرَوَى أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْبَهَانِيُّ عَنْ عَبْدِوسِ بْنِ أَبِي دُلْفٍ قَالَ : حَدَّثَنِي أَبِي ، قَالَ : قَالَ :

لِي الْمَأْمُونُ : يَا قَاسِمُ ، أَنْتَ الَّذِي يَقُولُ فِيكَ عَلَى بْنُ جَبَلَةَ :

* إِنَّمَا الدُّنْيَا أَبُو دُلْفٍ *

البيتين ، فَمَاتَ مُسْرِعًا : وَمَا يَنْفَعُنِي ذَلِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ مَعَ قَوْلِهِ فِيَّ :

أَبَا دُلْفٍ يَا أَكْذَبَ النَّاسِ كُلِّهِمْ سِوَايَ فَإِنِّي فِي مَدِيحِكَ أَكْذَبُ

ومع قول بكر بن النطاح في :

أبا دُلَيْفٍ إِنَّ الْفَقِيرَ بَعِيْنُهُ لَمَنْ يَرْتَجِي جَدْوَى يَدَيْكَ وَيَأْمُلُهُ
أَرَى لَكَ يَا مُغْلَقًا مَتَمْنَعًا إِذَا فَتَحُوهُ عَنْكَ فَالْبُؤْسُ دَاخِلُهُ
كَأَنَّكَ طَبْلٌ هَائِلٌ الصَّوْتُ مَعْجِبٌ خَلِيًّا مِنَ الْخَيْرَاتِ تَمْسُ مَدَاخِلُهُ
وَأَعْجَبُ شَيْءٍ فِيكَ تَسْلِيمُ امْرَأَةٍ ^(١) عَلَيْكَ عَلَى طَرٍّ وَأَنْتَ قَابِلُهُ

قال : فلما انصرفتُ قال المأمون لمن حوله : لله دَرَه ! حَفِظَ هَجَاءَ نَفْسِهِ حَتَّى انْتَفَعَ
بِهِ عِنْدِي ، وَأَطْفَأَ لَهِيْبَ الْمُنَافَسَةِ .

الأسفل :

وقال عليه السلام لكُمَيْلِ بْنِ زِيَادٍ النَّخَعِيُّ :

يَا كُمَيْلُ، مَرُّ أَهْلِكَ أَنْ يَرَوْحُوا فِي كَسْبِ الْمَكَارِمِ، وَيُذْلَجُوا فِي حَاجَةٍ مِنْهُ هَوًى نَائِمٌ، فَوَالَّذِي وَسِعَ سَمْعُهُ الْأَصْوَاتَ؛ مَا مِنْ أَحَدٍ أَوْدَعَ قَلْبًا سُرُورًا إِلَّا وَخَلَقَ اللَّهُ لَهُ مِنْ ذَلِكَ السُّرُورِ لُطْفًا، فَإِذَا نَزَلَتْ بِهِ نَائِبَةٌ جَرَى إِلَيْهَا كَالْمَاءِ فِي انْحِدَارِهِ؛ حَتَّى يَطْرُدَهَا عَنْهُ كَمَا تَطْرُدُ غَرِيْبَةُ الْإِبِلِ .

الشنخ :

قال عمرو بن العاص لمعاوية : ما بقي من لذتك ؟ فقال : ما من شيء يُصِيبُهُ النَّاسُ مِنَ اللَّذَّةِ إِلَّا وَقَدْ أَصَبْتُهُ حَتَّى مَلَكْتُهُ ، فليس شيءٌ عندي اليوم أَلَذَّ مِنْ شَرِبَةِ مَاءٍ بَارِدٍ فِي يَوْمٍ صَائِفٍ ، ونظري إلى بَنِي وَبَنَاتِي يَدْرُجُونَ حَوْلِي ؛ فما بقي من لذتك أنت ؟ فقال : أَرْضٌ أَغْرُسُهَا وَأَأْكُلُ ثَمَرَتَهَا ، لم يبق لي لذة غير ذلك . فالتفت معاوية إلى وَرْدَانَ غلام عَمْرُو، فقال : فما بقي من لذتك يا وريد ؟ فقال : سرورٌ أَدْخِلُهُ قُلُوبَ الْإِخْوَانِ ، وصنائعٌ أَعْتَقِدُهَا فِي أَعْنَاقِ الْكِرَامِ ؛ فقال معاوية لعمرو : تَبًّا لِمَجْلِسِي وَمَجْلِسِكَ ! لقد غلبني وغلبك هذا العبد ، ثم قال : يا وِردان ، أنا أحقُّ بهذا منك ؛ قال : قد أمكنتك^(١) فافعل .

(١) في د « أمكنتك » .

فإن قلت : السرور عَرَضٌ ، فكيف يَخْلُقُ الله تعالى منه لُطْفًا ؟

قلت : مِنْ هَاهُنَا هِيَ مِثْلُ « مِنْ » فِي قَوْلِهِ : ﴿ وَلَوْ نَشَاءُ لَجَعَلْنَا مِنْكُمْ مَلَائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُقُونَ ﴾ ^(١) ، أَيْ عِوَضًا مِنْكُمْ .
ومثله :

فليت لنا من ماء زمزم شربةً مبردةً باتت على طهيان ^(٢) .
أى ليت لنا شربةً مبردةً باتت على طهيان ، وهو اسمُ جَبَلٍ ؛ بدلًا وعِوَضًا مِنْ
ماءِ زَمْزَم .

الأصل:

إِذَا أَمَلَقْتُمْ فَتَاجِرُوا اللَّهَ بِالصَّدَقَةِ .

الشرح:

قد تقدّم القولُ في الصدقة .

وقالت الحكماء : أفضل العبادات الصدقة لأنّ نفعها يتعدّى ، ونفعُ الصلاة والصوم لا يتعدّى .

وجاء في الأثر أنّ عليّاً عليه السلام عمِلَ ليهودىٍّ في سَقَى تَحْلِيٍّ لَهُ فِي حَيَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِمُدٍّ مِنْ شَعِيرٍ ، نَجَبَزه قُرْصاً ، فَلَمَّا هَمَّ أَنْ يُفْطِرَ عَلَيْهِ ، أَتَاهُ سَائِلٌ يَسْتَطْعِمُ ، فَدَفَعَهُ إِلَيْهِ وَبَاتَ طَاوِيّاً وَتَاجِرَا اللَّهُ تَعَالَى بِتِلْكَ الصَّدَقَةِ ، فَعَدَّ النَّاسُ هَذِهِ الْفَعْلَةَ مِنْ أَكْثَرِ السَّخَاءِ ، وَعَدُّوْهَا أَيْضاً مِنْ أَكْثَرِ الْعِبَادَةِ .

وقال بعضُ شعراء الشيعة يذكُر إعادة الشمس عليه وأحسن فيما قال :

جَادَ بِالْقُرْصِ وَالطَّوَى مِلْءَ جَنْبَيْهِ ، وَعَافَ الطَّعَامَ وَهُوَ سَفُوبٌ^(١)
فَأَعَادَ الْقُرْصُ الْمُنِيرُ عَلَيْهِ ۖ قُرْصَ وَالْمُقْرِضَ الْكَرَامَ كَسُوبٌ^(٢)

(١) السفوب : الجائع . (٢) في د « والقرض للكرام » ، وهو وجه أيضا .

الأصل :

الوفاء لأهل الغدر غدرٌ عند الله ، والغدرُ بأهل الغدر وفاءٌ عند الله .

الشرح :

معناه أنه إذا اعتيدَ من العدو أن يغدر ولا يفي بأقواله وأيمانه وعهوده ، لم يحز الوفاء له ، ووجب أن ينقض عهوده ولا يوقف مع العهد المعقود بيننا وبينه، فإن الوفاء لمن هذه حاله ليس بوفاء عند الله تعالى ، بل هو كالغدر في قبحه ، والغدر بمن هذه ^(١) حالة ليس بقبيح ، بل هو في الحسن كالوفاء لمن يستحق الوفاء عند الله تعالى .

(٢٥٧)

الأفضل :

كَمْ مِنْ مُسْتَدْرِجٍ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِ ، وَمَقْرُورٍ بِالسُّدْرِ عَلَيْهِ ، وَمَفْتُونٍ بِحُسْنِ
الْقَوْلِ فِيهِ ، وَمَا ابْتَلَى اللَّهُ صُبْحَانَهُ أَحَدًا بِمِثْلِ الْإِمْلَاءِ لَهُ .

قَالَ الرَّضِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى :

وَقَدْ مَضَى هَذَا الْكَلَامُ فِيمَا تَقَدَّمَ ، إِلَّا أَنْ فِيهِ هَاهُنَا زِيَادَةٌ جَيِّدَةٌ مُفِيدَةٌ .

الْبَيِّنَةُ :

قد تقدم الكلامُ في الاستدراج والإملاء .

وقال بعضُ الحكماءَ : احذر النِّعمَ المتواصلةَ إليك أن تكون استدراجاً ،
كما يحذر المحاربُ من اتباعِ عدوِّه في الحربِ إذا فرَّ من بين يديه من الكمينِ ،
وكم من عدوٍّ فرَّ مستتراً جاثماً إذ هو خائِفٌ ، وكم من ضارِعٍ في يدك ثمَّ
إذ هو خائِفٌ .

الأصل :

ومن كلامه - عليه السلام - المتضمن ألفاظاً من الغريب تحتاج إلى تفسير :

قوله - عليه السلام - في حديثه : فإذا كان ذلك ضرب يعسوب الدين بذنبه ،
فيجتمعون إليه كما يجتمع قزح الخريف .
قال الرضى رحمه الله تعالى :

يعسوب الدين : السيد العظيم المالك لأُمُور الناس يومئذ ؛ والقزح : قطع الغيم التي لا ماء فيها .

الشرح :

أصاب في يعسوب ، فأما القزح فلا يشترط فيها أن تكون خالية من الماء ، بل القزح قطع من السحاب رقيقة ، سواء كان فيها ماء أو لم يكن ، الواحدة قزعة بالفتح ، وإنما غره قول الشاعر يصف جيشاً بالقلة والخفة .

* كأن رعاله قزح الجهم ^(١) *

وليس يدل ذلك على ما ذكره ، لأن الشاعر أراد المبالغة ، فإن الجهم الذي لا ماء فيه إذا كان أقطاعاً متفرقة خفيفة ، كان ذكره أبلغ فيما يريد من التشبيه ؛ وهذا الخبر من أخبار الملاحم التي كان يُخبر بها عليه السلام ، وهو يذكُر فيه المهدي الذي يُوجد عند أصحابنا في آخر الزمان . ومعنى قوله : « ضرب بذنبه » أقام وثبت بعد

اضطرابه ، وذلك لأنَّ اليَعْسوبَ، فَحُلَّ النَّحْلُ وَسَيِّدُهَا ، وهو أَكْثَرُ زَمَانِهِ طَائِرُهُ
بِمَحَنَاتِهِ ، فَإِذَا ضَرَبَ بِذَنَبِهِ الْأَرْضَ فَقَدْ أَقَامَ وَتَرَكَ الطَّيْرَانِ وَالْحَرَكَةَ .

فَإِنْ قُلْتُ : فَهَذَا يُشِيدُ مَذْهَبَ الْإِمَامِيَّةِ فِي أَنَّ الْمَهْدِيَّ خَائِفٌ مُسْتَعِرٌّ يَنْتَقِلُ فِي
الْأَرْضِ ، وَأَنَّهُ يَظْهَرُ آخِرُ الزَّمَانِ وَيُثَبَّتُ وَيَقِيمُ فِي دَارِ مُلْكِهِ .

قُلْتُ : لَا يَبْعُدُ عَلَى مَذْهَبِنَا أَنْ يَكُونَ الْإِمَامُ الْمَهْدِيُّ الَّذِي يَظْهَرُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ
مُضْطَرِبُ الْأُمُورِ ، مُنْتَشِرُ الْمُلْكِ فِي أَوَّلِ أَمْرِهِ لِمَصْلَحَةِ يَعْلَمُهَا اللَّهُ تَعَالَى ، ثُمَّ بَعْدَ ذَلِكَ
يُثَبَّتُ مُلْكُهُ ، وَتَنْتَظِمُ أُمُورُهُ .

وَقَدْ وَرَدَتْ لَفْظَةُ الْيَعْسُوبِ عَنْ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ ، قَالَ
يَوْمَ الْجَمَلِ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَتَّابٍ بْنِ أَسِيدٍ وَقَدْ مَرَّ بِهِ قَتِيلًا : « هَذَا يَعْسُوبٌ قَرِيشٌ » ،
أَيَّ سَيِّدُهَا .

الإنشاد :

وفي حديثه - عليه السلام : هَذَا الْخَطِيبُ الشَّخْشُ .

قال : يُرِيدُ الْمَاهِرَ بِالْخُطْبَةِ ، الْمَاضِي فِيهَا ، وَكُلُّ مَاضٍ فِي كَلَامٍ أَوْ سِتْرٍ فَهُوَ شَخْشٌ . وَالشَّخْشُ فِي غَيْرِ هَذَا الْمَوْضِعِ : الْبَخِيلُ الْمَسْكُ .

البُشْرُخ :

قد جاء الشَّخْشُ بِمَعْنَى الْفَيُورِ وَالشَّخْشُ بِمَعْنَى الشُّجَاعِ ، وَالشَّخْشُ بِمَعْنَى الْمَوَاطِبِ عَلَى الشَّيْءِ الْمَلْزَمِ لَهُ ، وَالشَّخْشُ : الْحَاوِي ، وَمِثْلُهُ الشَّخْشَانُ .

وهذه الكلمة قالها علي عليه السلام لصَعَصَةَ بْنِ صُوحَانَ الْعَبْدِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ ، وَكَفَى صَعَصَةَ بِهَا نِفْرًا أَنْ يَكُونَ مِثْلَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، يُثْنِي عَلَيْهِ بِالْمَهَارَةِ وَفَصَاحَةِ اللِّسَانِ ؛ وَكَانَ صَعَصَةُ مِنْ أَفْصَحِ النَّاسِ ، ذَكَرَ ذَلِكَ شَيْخُنَا أَبُو عَثْمَانَ الْجَاهِظُ^(١) .

الأضل :

ومنه : إنَّ لِلْخُصُومَةِ قُحْمًا .

قال : يُرِيدُ بِالْقُحْمِ الْمَالِكَ ، لِأَنَّهَا تُقْحِمُ أَصْحَابَهَا فِي الْمَالِكِ وَالتَّالِفِ فِي الْأَكْثَرِ ، فَمِنْ ذَلِكَ قُحْمَةُ الْأَعْرَابِ ، وَهُوَ أَنْ تُصِيبَهُمُ السَّنَةُ فَتَتَفَرَّقُ أَمْوَالُهُمْ ، فَذَلِكَ تَقْحِمُهَا فِيهِمْ . قال : وَقِيلَ فِيهِ وَجْهٌ آخَرُ ، وَهُوَ أَنَّهَا تُقْحِمُهُمْ بِلَادَ الرِّيفِ ، أَيْ تُخَوِّجُهُمْ إِلَى دُخُولِ الْحَضَرِ عِنْدَ مُحُولِ الْبَدْوِ .

الشَّيْخُ :

أصلُ هذا البناءُ للدُّخُولِ فِي الْأَمْرِ عَلَى غَيْرِ رَوِيَّةٍ وَلَا تَثْبُتٍ ، قَحَمَ الرَّجُلُ فِي الْأَمْرِ بِالْفَتْحِ قُحُومًا ، وَأَقَحَمَ فَلَانٌ فَرَسَهُ الْبَحْرَ فَاقْحَمَ ، وَاقْحَمْتُ أَيْضًا الْبَحْرَ دَخَلْتُهُ مَكَافَةً ، وَقَحَمَ الْفَرَسُ فَارِسَهُ تَقْحِيمًا عَلَى وَجْهِهِ ؛ إِذَا رَمَاهُ ، وَغَلَّ مِقْحَامًا ، أَيْ يَقْتَحِمُ الشَّوْلَ مِنْ غَيْرِ إِرْسَالٍ فِيهَا .

وهذه الكلمة قالها أميرُ المؤمنين حينَ وَكَّلَ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرٍ فِي الْخُصُومَةِ عَنْهُ ،

وهو شاهد .

وأبو حنيفة لا يُجِيزُ الْوَكَاةَ عَلَى هَذِهِ الصُّورَةِ ، وَيَقُولُ : لَا تَجُوزُ إِلَّا مِنْ غَائِبٍ

أَوْ مَرِيضٍ ؛ وَأَبُو يُونُسَ وَمُحَمَّدٌ يُجِيزَانَهَا أَخْذًا بِفِعْلِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

الأفضل :

ومنه : إذا بلغ النساء نصَّ الحقائق فالعصبة أولى .

قال : ويروى « نصَّ الحقائق » ، والنصُّ منتهى الأشياء ومبلغ أقصاها كالنص في السير لأنه أقصى ما تقدّر عليه الدابة ؛ ويقال : نصت الرجل عن الأمر إذا استقصيت مسألته لتستخرج ما عنده فيه ، ونصَّ الحقائق يريد به الإدراك ؛ لأنه منتهى الصغر ، والوقت الذي يخرج منه الصغير إلى حدِّ الكبير ، وهو من أفصح الكنايات عن هذا الأمر وأغربها ؛ يقول : فإذا بلغ النساء ذلك فالعصبة أولى بالمرأة من أمها إذا كانوا محرماً مثل الإخوة والأعمام ، وبزويجها إن أرادوا ذلك .

والحقاق : مُحَاقَّةُ الأمِّ للعصبة في المرأة ، وهو الجدال ، والخُصومة ، وقول كل واحدٍ منهما للآخر : أنا أحقُّ منك بهذا ، يُقال منه : حاققته حقائقاً ، مثل جادلته جدالاً . قال : وقد قيل إنَّ نصَّ الحقائق بلوغُ العقل وهو الإدراك ، لأنه عليه السلام إنما أراد منتهى الأمر الذي تجبُّ به الحقوق والأحكام .

قال : ومن رواه « نصَّ الحقائق » فإنما أراد جمع حقيقة ، هذا معنى ما ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام .

قال : والذي عندي أنَّ المراد بنصَّ الحقائق هاهنا بلوغ المرأة إلى الحدِّ الذي يجوز فيه تزويجها وتصرفها في حقوقها ، تشبيهاً بالحقاق من الإبل ، وهي جمع حقةٍ وحِقٍّ ، وهو الذي استكمل ثلاث سنين ودخل في الرابعة ؛ وعند ذلك يبلغ إلى الحدِّ الذي يمكن فيه من ركوب ظهره ونصّه في سيره . والحقائق أيضاً : جمع حقةٍ ؛

فالرَّوَايتَانِ جَمِيعًا تَرْجِعَانِ إِلَى مَسْئَى وَاحِدٍ ؛ وَهَذَا أَشْبَهُ بِطَرِيقَةِ الْعَرَبِ مِنَ الْمَعْنَى
لِلْمَذْكُورِ أَوَّلًا .

الْبَيِّنَاتُ :

أَمَّا مَا ذَكَرَهُ أَبُو عُبَيْدٍ فَإِنَّهُ لَا يَشْفِي الْغَلِيلَ ، لِأَنَّهُ فَسَّرَ مَعْنَى النَّصِّ ، وَلَمْ يَفْسِّرْ مَعْنَى
نَصِّ الْحَقَائِقِ ، بَلْ قَالَ : هُوَ عِبَارَةٌ عَنِ الْإِدْرَاكِ ، لِأَنَّهُ مَتْنُهُ الصَّغَرُ ، وَالْوَقْتُ الَّذِي
يَخْرُجُ مِنْهُ الصَّغِيرُ إِلَى حَدِّ الْكَبَرِ ، وَلَمْ يَبَيِّنْ مِنْ أَى وَجْهِ يَدُلُّ لَفْظُ نَصِّ الْحَقَائِقِ عَلَى ذَلِكَ ،
وَلَا اسْتِثْقَاكُ الْحَقَائِقِ وَأَصْلُهُ ، لَيُظْهَرُ مِنْ ذَلِكَ مُطَابَقَةُ اللَّفْظِ لِلْمَعْنَى الَّتِي أَشِيرَ إِلَيْهَا .

فَأَمَّا قَوْلُهُ : « الْحَقَائِقُ هَاهُنَا مَصْدَرٌ حَاقَهُ يُحَاقُّ » ، فَلِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ : إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ
مَقْصُودُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَبْلَ الْإِدْرَاكِ يَكُونُ الْحَقَائِقُ أَيْضًا ، لِأَنَّ كُلَّ وَاحِدَةٍ مِنَ الْقَرَابَاتِ
تَقُولُ لِلْآخَرَى : أَنَا أَحَقُّ بِهَا مِنْكَ ، فَلَا مَعْنَى لِتَخْصِيسِ ذَلِكَ بِحَالِ الْبُلُوغِ ، إِلَّا أَنْ
يَزْعُمَ زَاعِمٌ أَنَّ الْأَمَّ قَبْلَ الْبُلُوغِ لَهَا الْحِضَانَةُ ، فَلَا يُنَازَعُهَا قَبْلَ الْبُلُوغِ فِي الْبِنْتِ أَحَدٌ
وَلَكِنْ فِي ذَلِكَ خِلَافٌ كَثِيرٌ بَيْنَ الْفُقَهَاءِ .

وَأَمَّا التَّفْسِيرُ الثَّانِي ، وَهُوَ أَنَّ الْمُرَادَ بِنَصِّ الْحَقَائِقِ مَتْنَهُ الْأَمْرَ الَّذِي تَجِبُ بِهِ الْحُقُوقُ
فَإِنَّ أَهْلَ الْلُغَةِ لَمْ يَنْقُلُوا عَنِ الْعَرَبِ أَنَّهَا اسْتَعْمَلَتْ الْحَقَائِقَ فِي الْحُقُوقِ ، وَلَا يُعْرَفُ
هَذَا فِي كَلَامِهِمْ .

فَأَمَّا قَوْلُهُ : « وَمَنْ رَوَاهُ نَصُّ الْحَقَائِقِ » ، فَإِنَّمَا أَرَادَ جَمْعَ حَقِيقَةٍ ، فَلِقَائِلٍ أَنْ يَقُولَ :
وَمَا مَعْنَى الْحَقَائِقِ إِذَا كَانَتْ جَمْعَ حَقِيقَةٍ هَاهُنَا ؟ وَمَا مَعْنَى إِضَافَةِ « نَصِّ » إِلَى « الْحَقَائِقِ »
جَمْعَ حَقِيقَةٍ ، فَإِنَّ أَبَا عُبَيْدَةَ لَمْ يَفْسِّرْ ذَلِكَ مَعَ شِدَّةِ الْحَاجَةِ إِلَى تَفْسِيرِهِ !
وَأَمَّا تَفْسِيرُ الرِّضِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ فَهُوَ أَشْبَهُ مِنْ تَفْسِيرِ أَبِي عُبَيْدَةَ ، إِلَّا أَنَّهُ قَالَ فِي آخِرِهِ :

والحقائق أيضا جمعُ حِقَّةَ ، فالروايتان ترجعان إلى معنى واحد . وليس الأمرُ على ما ذكر
من أن الحقائق جمعُ حِقَّةَ ، ولكن الحقائق جمع حِقاق ، والحقاق جمع حِقِّ ، وهو ما كان
من الإبل ابن ثلاث سنين ، وقد دخل في الرابعة ، فأستحق أن يُحمل عليه ويُنتفع به ،
فالحقائق إذن جمع الجمع لحق لا لِحِقَّةَ ، ومثل إقال وأفائل . قال : ويمكن أن
يقال : الحقاق هاهنا الخصومة ، يقال : ماله فيه حق ولا حِقاق أى ولا خصومة ،
ويقال لمن يُنازع في صفات الأشياء إنه لبرق الحقاق ، أى خصومته في الدنىء من الأمر؛
فيكون المعنى إذا بلغت المرأةُ الحدةَ الذى يستطيع الإنسانُ فيه الخصومةَ والجدالَ
فَعَصَبَتْها أُولى بهامن أمها ؛ والحدُّ الذى تَكْمُلُ فيه المرأةُ والفُلامُ للخصومة والحكومة
والجدالِ والمناظرة هو سِنُّ البلوغ .

الأضد :

ومنه ، إِنَّ الْإِيمَانَ يَبْدُو لَمْظَةً فِي الْقَلْبِ ، كُلَّمَا أَزْدَادَ الْإِيمَانُ أَزْدَادَتْ اللَّمْظَةُ .

قال : اللَّمْظَةُ مِثْلُ النُّكْتَةِ أَوْ نَحْوِهَا مِنَ الْبَيَاضِ ، وَمِنْهُ قِيلَ : فَرَسٌ أَلْمَظُ إِذَا كَانَ يَجْحَفَلْتُهُ شَيْءٌ مِنَ الْبَيَاضِ .

الْبَزَجُ :

قال أبو عبيد : هِيَ لَمْظَةٌ بضم اللام ؛ والمحدثون يقولون : لَمْظَةٌ بِالْفَتْحِ ؛ والمعروفُ من كلام العرب الضم ؛ مِثْلُ الدُّثْمَةِ والشُّهْبَةِ والخُمْزَةِ . قال : وقد رواه بعضهم « لَمْظَةٌ » بالطاء المهملة ، وهذا لا نعرفه .

قال : وفي هذا الحديث حُجَّةٌ عَلَى مَنْ أَنْكَرَ أَنْ يَكُونَ الْإِيمَانُ يَزِيدُ وَيَنْقُصُ ^(١) ، أَلَا تَرَاهُ قَوْلُ : كُلَّمَا أَزْدَادَ الْإِيمَانُ أَزْدَادَتْ اللَّمْظَةُ .

الأضل :

ومنه، إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا كَانَ لَهُ الدِّينُ الظَّنُّ يُجِبُّ عَلَيْهِ أَنْ يُزَكِّيَهُ لِمَا مَضَى إِذَا قَبَضَهُ .

قَالَ : الظَّنُّ : الَّذِي لَا يَعْلَمُ صَاحِبُهُ أَيَقْضِيهِ مِنَ الَّذِي هُوَ عَلَيْهِ أَمْ لَا ، فَكَأَنَّهُ الَّذِي يُظَنُّ بِهِ ذَلِكَ ، فَمَرَّةً يَرْجُوهُ ، وَمَرَّةً لَا يَرْجُوهُ ، وَهُوَ مِنْ أَفْصَحِ الْكَلَامِ ، وَكَذَلِكَ كُلُّ أَمْرٍ تَطْلُبُهُ وَلَا تَدْرِي عَلَى أَيِّ شَيْءٍ أَنْتَ مِنْهُ فَهُوَ ظَنُّونٌ ، وَعَلَى ذَلِكَ قَوْلُ الْأَعَشَى :

مَنْ يَجْعَلِ الْجَدَّ الظَّنُّونَ الَّذِي جُنِبَ صَوْبَ اللَّجْبِ الْمَاطِرِ
مِثْلَ الْفُرَاتِي إِذَا مَا طَمَا يَقْدِفُ بِالْبُوصَى وَالْمَاهِرِ
وَالْجَدُّ : الْبَيْتُ الْعَادِيَّةُ فِي الصَّحْرَاءِ . وَالظَّنُّونُ : الَّتِي لَا يُعْلَمُ هَلْ فِيهَا مَاءٌ أَمْ لَا .

الشَّنْحُ :

قال أبو عبيدة : في هذا الحديث من الفقه أن من كان له دين على الناس فليس عليه أن يُزَكِّيَهُ حَتَّى يَقْبِضَهُ ، فَإِذَا قَبَضَهُ زَكَّاهُ لِمَا مَضَى ، وَإِنْ كَانَ لَا يَرْجُوهُ ، قَالَ : وَهَذَا يَرُدُّهُ قَوْلَ مَنْ قَالَ : إِنَّمَا زَكَّاهُ عَلَى الَّذِي عَلَيْهِ الْمَالُ ، لِأَنَّهُ ^(١) الْمُنْتَفِعُ بِهِ ؛ قَالَ :

(١) : « لِأَنَّهُ الَّذِي يَنْتَفِعُ بِهِ »

وكما يُروى عن إبراهيم ، والعمل عندنا على قول عليّ عليه السلام ؛ فأما ما ذكره الرضى من أن الجُدَّ هو البئرُ العاديةُ في الصحراء ، فالمعروف عند أهل اللغة أن الجُدَّ البئرُ التي تكون في موضع كثير الكَلأ ، ولا تُسمَّى البئرُ العاديةُ في الصحراء المواتِ جُدًّا ، وشعر الأعشى لا يدلّ على ما فسّره الرضى ، لأنه إنما شبه علقمة بالبئر والكَلأ ، يظنّ أن فيها ماء لمكان الكَلأ ، ولا يكون موضع الظن هذا هو مراده ومقصوده ، ولهذا قال : الظنون ، ولو كانت عادية في بيداء مقفرة لم تكن ظنونا ، بل كان يُعلم أنه لا ماء فيها ، فسقط عنها اسمُ الظنون .

الأحسن :

ومنه : أنه شيع جيشاً يعزّيه فقال : اعزّبوا عن النساء ما استطعتم .

ومعناه : اصدفوا عن ذكر النساء وشغل القلوب بهن ، وامتنعوا من المقاربة لهن ، لأن ذلك يفت في عضد الحمية ، ويقدح في معاقد العزيمة ، ويكسر عن العدو ، ويلفت عن الإبعاد في الغزو ، فكل من امتنع من شيء فقد أعزّب عنه ، والعازب والعزوب : الامتنع من الأكل والشرب .

الشرح :

التفسير صحيح ، لكنّ قوله : « من امتنع من شيء فقد أعزّب عنه » ، ليس بجيد ؛ والصحيح « فقد عزّب عنه » ثلاثي ، والضواب وكل من منعه من شيء فقد أعزّبته عنه عنه تعدّيه بالهمزة ؛ كما تقول : أقمته وأقعدته ، والفعل ثلاثي قام وقعد ، والدليل على أن الماضي ثلاثي هاهنا . قوله : « والعازب والعزوب الممتنع من الأكل والشرب » ، ولو كان رباعياً لكان « المعزّب » ؛ وهو واضح ؛ وعلى هذا تكون الهمزة في أوّل الحرف همزة وصل مكسورة ، كما في « اضربوا » لأن المضارع يعزّب بالكسر .

الأصل :

ومنه : كالياسر الفالَج ، يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ .

قَالَ : الْيَاسِرُونَ هُمُ الَّذِينَ يَتَضَارَبُونَ بِالْقِدَاحِ عَلَى الْجُزُورِ ، وَالْفَالِجُ : الْقَاهِرُ الْغَالِبُ ، يُقَالُ : قَدْ فَلَجَ عَلَيْهِمْ وَفَلَجَهُمْ ، قَالَ الرَّاجِزُ :
* لَمَّا رَأَيْتُ فَالِجًا قَدْ فَلَجَا *

الشَّرْحُ :

أَوَّلُ الْكَلَامِ أَنَّ الْمَرْءَ الْمُسْلِمَ مَالِمٌ يَفْشَى دَنَاءَةً يَخْشَعُ لَهَا إِذَا ذَكَرَتْ ، وَيُغْرَى بِهِ لِثَامِ النَّاسِ ، كَالْيَاسِرِ الْفَالِجِ يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ ، أَوْ دَاعِيَ اللَّهِ ، فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ، يَقُولُ : هُوَ بَيْنَ خَيْرَتَيْنِ : إِمَّا أَنْ يَصِيرَ إِلَى مَا يُحِبُّ مِنَ الدُّنْيَا ، فَهُوَ بِمَنْزِلَةِ صَاحِبِ الْقِدْحِ الْمُعْلَى ، وَهُوَ أَوْفَرُهَا نَصِيبًا ، أَوْ يَمُوتَ فَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لَهُ وَأَبْقَى ^(١) .

وَلَيْسَ بِعَنَى بَقَوْلِهِ : الْفَالِجُ الْقَاهِرُ الْغَالِبُ كَمَا فَسَّرَهُ الرَّضَى رَحِمَهُ اللَّهُ ، لِأَنَّ الْيَاسِرَ الْغَالِبَ الْقَاهِرَ لَا يَنْتَظِرُ أَوَّلَ فَوْزَةٍ مِنْ قِدَاحِهِ ، وَكَيْفَ يَنْتَظِرُ وَقَدْ غَلَبَ ! وَأَيُّ حَاجَةٍ لَهُ إِلَى الْإِنْتِظَارِ ! وَلَكِنَّهُ يَعْنِي بِالْفَالِجِ الْمَيْمُونَ النَّقِيَّةِ الَّذِي لَهُ عَادَةٌ مُطْرَدَةٌ أَنْ يَغْلِبَ ، وَقُلَّ أَنْ يَكُونَ مَقْهُورًا .

الأضل :

ومنه : كُنَّا إِذَا احْمَرَ الْبَأْسُ اتَّقِينَا بِرَسُولِ اللَّهِ فَلَمْ يَكُنْ أَحَدٌ مِنَّا أَقْرَبَ إِلَى الْعَدُوِّ مِنْهُ .

قَالَ : مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا عَظُمَ الْخَوْفُ مِنَ الْعَدُوِّ ، وَاشْتَدَّ عِضَاضُ الْحَرْبِ فَزِعَ الْمُسْلِمُونَ إِلَى قِتَالِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِنَفْسِهِ ، فَيُنْزِلُ اللَّهُ تَعَالَى النَّصْرَ عَلَيْهِمْ بِهِ ، وَيَأْمَنُونَ مَا كَانُوا يَخَافُونَهُ بِمَكَانِهِ .
 وَقَوْلُهُ : « إِذَا احْمَرَ الْبَأْسُ » : كِنَايَةٌ عَنْ اشْتِدَادِ الْأَمْرِ ؛ وَقَدْ قِيلَ فِي ذَلِكَ أَقْوَالٌ ؛ أَحْسَنُهَا أَنَّهُ شَبَّهَ حُمَى الْحَرْبِ بِالنَّارِ الَّتِي تَجْمَعُ الْحَرَارَةُ وَالْجُمُرَةُ بِفِعْلِهَا وَلَوْنِهَا ؛ وَمِمَّا يُقَوِّى ذَلِكَ قَوْلُ الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَقَدْ رَأَى مُجْتَلِدَ النَّاسِ يَوْمَ حُنَيْنٍ وَهِيَ حَرْبٌ هَوَازِنَ : « الْآنَ حِمَى الْوَطَيْسُ » ، وَالْوَطَيْسُ : مُسْتَوْقَدُ النَّارِ ، فَشَبَّهَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَا اسْتَحَرَّ مِنْ جِلَادِ الْقَوْمِ بِاخْتِدَامِ النَّارِ وَشِدَّةِ الْتِهَابِهَا .

الشُّرْحُ :

الجيد في تفسير هذا اللفظ أن يقال : البأس الحرب نفسها ، قال الله تعالى : ﴿ والصابرين في البأساء والضراء وحين البأس ﴾ ^(١) ؛ وفي الكلام حذف مضاف تقديره

إذا احمر موضعُ البأس ، وهو الأرضُ التي عليها معركة القوم ، واحمرارها لما يسيل عليها من الدم .

[نبذ من غريب كلام الإمام عليّ وشرحه لأبي عبيد]

ولما كان تفسير الرضى رحمه الله قد تعرض للغريب من كلامه عليه السلام ، ورأينا أنه لم يذكر من ذلك إلا اليسير ، آثرنا أن نذكر جملةً من غريب كلامه عليه السلام مما نقله أربابُ الكتب المصنفة في غريب الحديث عنه عليه السلام .

فمن ذلك ما ذكره أبو عبيد القاسم بن سلام رحمه الله في كتابه : لأنّ أطلّ بجواء قدر أحبّ إلىّ من أن أطلّ بزعفران .

قال أبو عبيد . هكذا الرواية عنه « بجواء قدر » ، قال : وسمعت الأصمعيّ يقول : إنما هي الجاوة ، وهي : الوعاء الذي يجعل القدر فيه وجمعها جيا .

قال : وقال أبو عمرو : يقال : لذلك الوعاء جواء وجيا ، قال : ويقال للخرقة التي يُنزل بها الوعاء عن الأثافيّ جعل .

ومنها قوله عليه السلام حين أقبل يريد العراق فأشار إليه الحسن بن عليّ عليه السلام أن يرجع : والله لا أكونُ مثلَ الضبّعُ تسمعُ الدّمَ حتّى تخرج فتصا .

قال أبو عبيد : قال الأصمعيّ : الدّم صوتُ الحجر ، أو الشيء يقع على الأرض ، وليس بالصوت الشديد ، يقال منه : لدم الدّم بالكسر ، وإنما قيل ذلك للضبّع ، لأنهم إذا أرادوا أن يصيدوها رموا في جحرها بحجر خفيف ، أو ضربوا بأيديهم فيحسبه

شيئاً تصيده فتخرج لتأخذه فتصاد ، وهى زعموا أنها من أحق الدواب ، بلغ من مُحققها أن يدخل عليها فيقال : أمّ عامر نائمة ، أو ليست هذه ! والضبع ، هذه أمّ عامر ، فتسكت حتى تؤخذ ، فأراد على عليه السلام : أنى لا أخدع كما تُخدع الضبع باللدم .

ومنها قوله عليه السلام : من وجد في بطنه رِزاً فليَنصرف وليتوضأ .
قال أبو عبيد . قال أبو عمرو : إنما هو أرزاً مثل أرز الحية ، وهو دَورانها وحرَكتها ، فشبه دَوران الرِّيح في بطنه بذلك .
قال : وقال الأصمعى : هو الرِّز ، يعنى الصَّوت في البطن من القرقرة ونحوها
قال الراجز :

كَأَنَّ فِي رَبَائِهِ الْكِبَارِ رِزَّ عِشَارٍ جُلْنَ فِي عِشَارٍ^(١)

وقال أبو عبيد : فقه هذا الحديث أن ينصرف فيتوضأ ويبنى على صلاته ما لم يتكلم ، وهذا إنما هو قبل أن يُحدث .

قلت : والذي أعرفه من الأرز أنه الانقباض لا الدوران والحركة ، يقال : أرز فلان بالفتح وبالكسر ؛ إذا تضامَّ وتقبَّض من بُخله فهو أرز ، والمصدر أرزا وأروزا ، قال رؤبة .
* فذاك يَخَالُ أروز الأرز^(٢) *

فأضاف الاسم إلى المصدر كما يقال : عُمر العدل وعَمَرُو الدهاء ، لما كان العدل والدَّهَاءُ أغلبَ أحوالهما ، وقال أبو الأسود الدؤلى يذمُّ إنساناً : إذا سئل أرز ، وإذا دُعِيَ اهتز ، يعنى إلى الطعام ، وفى الحديث : «إن الإسلام ليأرز إلى المدينة كما تأرز الحية إلى حُجرها» .
أى يجتمع إليها وينضمُّ بعضه إلى بعض فيها .

ومنها قوله : لئن وليتُ بنى أُمِّيَّةَ لأَنفُضَنَّهُمْ نَفْضَ الْقَصَابِ التَّرَابِ^(١) الْوَذِمَةِ .
وقد تقدّم منا شرحُ ذلك والكلامُ فيه .

ومنها قوله في ذى الثُدَيَّةِ المقتول بالنَّهْرَوَانِ : إنه مُودِنُ اليَدِ أو مُثْنِدُنُ اليَدِ أو مُخْدَجُ اليَدِ .
قال أبو عبيدة : قال الكسائي وغيره : المودِنُ اليَدِ : القصيرُ اليَدِ ؛ ويقال : أودنتُ
الشيءَ أى قصّرتَه ، وفيه لُفَةٌ أخرى ، ودنّته فهو مودون ؛ قال حسان يذم رجلا :

وأُمّك سوداء مودونةٌ كأنّ أناملها الخنْطُبُ

وأما مُثْنِدُنُ اليَدِ ، بالثاء فإنّ بعضَ الناس قال : نراه أخذَه من الثُنْدُوَّةِ ، وهى أصل
الثُدَى ، فشبّه يده فى قِصرها واجتماعها بذلك ، فإن كان من هذا فالقياس أن يقال :
مُثْنِدٍ لأنّ النون قبل الدال فى الثُنْدُوَّةِ ، إلّا أن يكون من المقلوب ، فذاك كثيرٌ فى كلامهم .
وأما مُخْدَجُ اليَدِ فإنه القصيرُ اليَدِ أيضاً ، أخذ من إخداجِ الباقَةِ وَلَدَها ، وهو أن
تضعه لغير تمامٍ فى خلقه ، قال : وقال الفراء : إنّما قيل ذو الثُدَيَّةِ ؛ فأدخلتِ الهاء فيها ،
وإنما هى تصغير «ثُدَى» ، والثُدَى مذكّر ، لأنها كأنها بقيّة ثُدَى قد ذهب أكثرُه فقلّلتها
كما تقول لُحَيمة وشُحَيمة ، فأنث على هذا التأويل ؛ قال : وبعضُهم يقول ذو اليُدَيَّةِ ، قال
أبو عبيد : ولا أرى الأصلَ كان إلّا هذا ، ولكنّ الأحاديث كلّها تتابعَت بالثاء
ذو الثُدَيَّةِ .

ومنها قوله عليه السلام لقومٍ وهو يعاتبهم : ما لَكُمْ لَا تُنْظِفُونَ عَذِرَاتِكُمْ !
قال : العَذِرَةُ فِناه الدار ، وإنما سُمِّيت تلك الحاجة عَذِرَةً لأنها بالأقْنِيَةِ كانت تُنْتَقَى ،

(١) قال الأصمعى : سألتُ شعبة عن هذا الحرف ، فقلت : لبس هو هكذا ، وإنما هو نَفْضُ الْقَصَابِ الْوَزَامِ
التربة . والتربة : التى سقطت فى التراب فتربت ، والقصاب ينفضها .

فَكُنِّي عَنْهَا بِالْعَذْرَةِ كَمَا كُنِّي عَنْهَا بِالْفَائِطِ ، وَإِنَّمَا الْفَائِطُ الْأَرْضُ الْمُطْمَئِنَّةُ ؛ وَقَالَ الْحَطِيطَةُ
يَهْجُو قَوْمًا :

لَعَمْرِي لَقَدْ جَرَّبْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ قِبَاحَ الْوُجُوهِ سَيِّئِ الْعَذِرَاتِ

ومنها قوله عليه السلام : لَا بُجُعة وَلَا تَشْرِيقَ إِلَّا فِي مِصرٍ جَامِعٍ .

قال أبو عبيد : التَّشْرِيقُ هَاهُنَا صَلَاةُ الْعِيدِ ؛ وَسُمِّيَتْ تَشْرِيقًا لِإِضَاءَةِ وَقْتِهَا ؛ فَإِنَّ
وَقْتَهَا إِشْرَاقُ الشَّمْسِ وَصَفَاؤُهَا وَإِضَاءَتُهَا ؛ وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ : « مَنْ ذَبَحَ قَبْلَ التَّشْرِيقِ
فَلْيُعِدْ » ، أَيْ قَبْلَ صَلَاةِ الْعِيدِ .

قال : وَكَانَ أَبُو حَنِيفَةَ يَقُولُ : التَّشْرِيقُ هَاهُنَا هُوَ التَّكْبِيرُ فِي دُبُرِ الصَّلَاةِ ،
يَقُولُ : لَا تَكْبِيرَ إِلَّا عَلَى أَهْلِ الْأَمْصَارِ تِلْكَ الْأَيَّامَ ، لَا عَلَى الْمَسَافِرِينَ أَوْ مَنْ هُوَ فِي
غَيْرِ مِصرٍ .

قال أبو عبيد : وَهَذَا كَلَامٌ لَمْ نَجِدْ أَحَدًا يَعْرِفُهُ ، إِنَّ التَّكْبِيرَ يُقَالُ لَهُ التَّشْرِيقُ ،
وَلَيْسَ يَأْخُذُ بِهِ أَحَدٌ مِنْ أَصْحَابِهِ لَا أَبُو يُوسُفَ وَلَا مُحَمَّدٌ ، كُلُّهُمْ يَرَى التَّكْبِيرَ عَلَى
الْمُسْلِمِينَ جَمِيعًا حَيْثُ كَانُوا فِي السَّفَرِ وَالْحَضَرِ فِي الْأَمْصَارِ وَغَيْرِهَا .

ومنها قوله عليه السلام : « اسْتَكْبَرُوا مِنَ الطَّوَافِ بِهَذَا الْبَيْتِ قَبْلَ أَنْ يُحَالَ يَنْتَكِمَ
وَبَيْنَهُ ، فَكَأَنِّي بِرَجُلٍ مِنَ الْحَبَشَةِ أَصْعَلَ أَصْمَعَ تَحْمَشُ السَّاقِينَ قَاعِدًا عَلَيْهَا وَهِيَ تُهْدَمُ » .
قال أبو عبيد : هَكَذَا يُرْوَى « أَصْعَلَ » وَكَلَامُ الْعَرَبِ الْمَعْرُوفُ « صَعَلَ » وَهُوَ
الصَّغِيرُ الرَّأْسُ ، وَكَذَا رُءُوسُ الْحَبَشَةِ ، وَلِهَذَا قِيلَ لِلظَّلِيمِ : صَعَلَ ؛ وَقَالَ عَنَتْرَةُ يَصِفُ
ظَلِيمًا :

صَعْلٌ يَلُودُ بَذَى الْعَشِيرَةِ بَيْضُهُ كَالْعَبْدِ ذِي الْفَرْوِ الطَّوِيلِ الْأَصْلَمِ

قال : وقد أجاز بعضهم أصعل في الصعل ، وذكر أنها لغة لا أدرى عنى هي !
والأصعُ : الصغيرُ الأذن ، وامرأة صمعاء .

وفى حديث ابن عباس : إنه كان لا يرى بأساً أن يُضحى بالصمعاء . وخمش الساقين
بالتسكين : دقيقتها .

ومنها : أن قوماً أتوه رجل فقالوا : إن هذا يؤمنا ونحن له كارهون ، فقال له : إنك
لخرُوط ، أتؤم قوماً هم لك كارهون !
قال أبو عبيد : انخرُوط : المتهور في الأمور ، الرّاكبُ برأسه جهلاً ؛ ومنه قيل :
انخرط علينا فلان ، أى اندرأ بالقول السيئ والفعل . قال : وقفه هذا الحديث أنه
ما أفتى عليه السلام بفسادِ صلاته لأنه لم يأمره بالإعادة ، ولكنه كره له أن يؤم قوماً
هم له كارهون .

ومنها : أن رجلاً أتاه وعليه ثوبٌ من قهرز ، فقال : إن بني فلان ضربوا بني فلانة
بالكناسة ، فقال عليه السلام : صدقني سنّ بكره .

قال أبو عبيد : هذا مثل تضرّ به العرب للرجل يأتي بالخبر على وجهه ويصدق فيه .
ويقال : إن أصله أن الرجل ربّما باع بغيره فيسأل المشتري عن سنّه فيكذبه ،
فعرّض رجلٌ بكره له فصدق في سنّه ، فقال الآخر : صدقني سنّ بكره ، فصار مثلاً .
والقهرز بكسر القاف : ثياب بيض يُخالطها حرير ، ولا أراها عربية ، وقد استعملها
العربُ قال ذو الرمة يصف البزاة البيضاء :

من الورق أو صُقع كأنّ رؤوسها من القِهْز والقُوْهيّ بيضُ المقانِعِ

ومنها : ذكر عليه السلام آخر الزمان والفتن ، فقال : خير أهل ذلك الزمان كلّ نومة ، أولئك مصاييح الهدى ، ليسوا بالمساييح ولا المذاييع البذر .
وقد تقدّم شرح ذلك .

ومنها : أنّ رجلا سافر مع أصحاب له فلم يرجع حين رجعوا ، فاتّهم أهله أصحابه ورفعوهم إلى شريح ، فسألم البيّنة على قتله ، فارتفعوا إلى عليّ عليه السلام ، فأخبروه بقول شريح ، فقال :

أوردّهـ أسعدّ وسعدّ مُشتمِلٌ يأسد لا تروى بهذاك الإبل

ثمّ قال : إنّ أهون السّقى التّشريع ، ثمّ فرق بينهم وسألم ، فاختلفوا ، ثمّ أقرّوا بقتله ، فقتلهم به .

قال أبو عبيد : هذا مثل ، أصله أنّ رجلا أورد إبله ماء لا تصل إليه الإبل إلّا بالاستقاء ، ثمّ اشتمل ونام وتركها لم يستسق لها ؛ والكلمة الثانية مثل أيضا ، يقول : إنّ أيسر ما كان ينبغي أن يفعل بالإبل أن يُمكنّها من الشريعة ويعرّض عليها الماء .
يقول : أقلّ ما كان يجب على شريح أن يستقصى في المسألة والبحث عن خبر الرّجل ولا يقتصر على طلب البيّنة .

ومنها: قوله: « وقد حرج على الناس وهم ينتظرونه للصلاة قياما: مالى
أزأكم سَامِدِينَ !

قال أبو عبيدة: أى قائمين ، وكلُّ رافع رأسه فهو سَامِد ، وكانوا يَكْرَهُونَ
أن ينتظروا الإمامَ قياما ولكن قُعُودا ، والسامد فى غير هذا الموضع : اللأهى
اللاعب ، ومنه قوله تعالى : ﴿ وأنتم سَامِدُونَ ﴾ ^(١) ، وقيل : السُّمُودُ الغناء
بِلُغَةِ خَمِير .

ومنها: أنه خرج فرأى قوماً يصلّون قد سدّوا ثيابهم ، فقال : كأنهم اليهود
خرجوا من فُهْرُهم .

قال أبو عبيد : فُهْرُهم بضم الفاء : موضع مدّراسِهم الذى يجتمعون فيه كالعيد
يصلّون فيه ويُسَدِّلون ثيابهم ، وهى كلمة نبطية أو عبرانية أصلها بُهْر بالباء
فُعْرِبَت بالفاء .

والسَدَل : إسبال الرجل ثوبه من غير أن يضمّ جانبيه بين يديه ، فإن ضمّه فليس
بَسَدَل ، وقد رويت فيه الكراهة عن النبیّ صلى الله عليه وآله .

ومنها: أن رجلا أتاه فى فريضة وعنده شُرَيح ، فقال : أتقول أنت فيها أيّها
العبد الأَبْظَر !

قال أبو عبيد : هو الذى فى شَفْتِهِ العُلْيَا طُول وتواء فى وسطها محاذى الأنف .
قال : وإنما نراه قال لشرّيح : « أيّها العبد » ، لأنه كان قد وقع عليه سَيِّئٌ فى الجاهليّة .

ومنها : أنّ الأشعث قال له وهو على المنبر : غلبتنا عليك هذه الحمراء ؛ فقال عليه السلام : مَنْ يَعدِرُنِي من هؤلاء الضَّيَاطرة ، يتخلف أحدهم يتقلّب على فراشه وحشاياه كالعين ويهجر هؤلاء للذكر ! أأطردهم ؟ إني إن طردتهم لمن الظالمين . والله لقد سمعته يقول : والله ليضربنكم على الدّين عودا كما ضَرَبْتُمُوهم عليه بدءا .

قال أبو عبيد : الحمراء : العجم والموالي ، سموا بذلك لأنّ الغالب على ألوان العرب السُّمرة ، والغالب على ألوان العجم البياض والحُمرة . والضَّيَاطرة : الضُّخام الذين لا نفع عندهم ولا غناء ، واحدهم ضَيَّطار .

ومنها : قوله عليه السلام : اقتلوا الجانّ ذا الطُّفَيْتَيْنِ ، والكلب الأسود ذا الفُرَّتَيْنِ . قال أبو عبيد : الجانّ حية بيضاء ، والطُّفَيْة في الأصل : خُوصة المُقْل ، وجمعها طُفَيّ ، ثم شُبّهت الخُطَّتان على ظهر الحية بِطُفَيْتَيْنِ . والفُرّة : البياض في الوجه .

[نبذ من غريب كلام الإمام عليّ وشرحه لابن قتيبة]

وقد ذكر ابن قُتيبة في غريب الحديث له عليه السلام كلمات أخرى .

فمنها قوله : من أراد البقاء — ولا بقاء — فليُبَاكِرِ الغداء ، وليُخَفِّفِ الرِّداء ، وليُقِلِّ

غُشَيان النساء . فقيل له : يا أمير المؤمنين ، وما خِفة الرِّداء في البقاء ؟ فقال : الدّين .

قال ابن قتيبة : قوله « الرِّدَاءُ الدِّينَ » مذهب في اللغة حَسَنٌ جَيِّدٌ ، ووجهٌ صحيحٌ ، لأنَّ الدِّينَ أمانةٌ ، وأنت تقول : هو لك علىّ وفي عنقي حتى أؤدِّيه إليك ، فكأنَّ الدِّينَ لازمٌ للعنق ، والرِّدَاءُ موضِعُه صَفْحَتَا العنق ، فسَمَّى الدِّينَ رداءً وكُنِيَ عنه به ، وقال الشاعر :

إن لي حاجةً إليك فقالت بين أذني وعاتقي ما تريد

يريد بقوله : « بين أذني وعاتقي ما تريد » في عنقي ، والمعنى أني قد ضمنته فهو علىّ ، وإنما قيل للسيف رداء لأنَّ حالته تقع موقع الرداء ، وهو في غير هذا الموضع العطاء ، يقال : فلان غمر الرداء أى واسعُ العطاء ؛ قال : وقد يجوز أن يكون كُنِيَ بالرداء عن الظَّهر ، لأنه يقع عليه ؛ يقول : فليخفف ظهري ولا يتقله بالدِّين ، كما قال الآخر : « خاص الأزر » ، يريد خاص البطون .

قال : وبلغني نحو هذا الكلام عن أبي عبيد ، قال : قال فقيه العرب : من سرَّه النساءَ ولا نساءً - فليُبَكِّرِ العشاءَ ، وليُبَاكِِرِ الغداءَ ، وليخفف الرِّدَاءَ ، ولْيُقِلِّ غِشِيانِ النساءِ قال : فالنساءُ التأخيرُ ، ومنه : ﴿ إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ ﴾ ^(١) .

وقوله : فليُبَكِّرِ العشاءَ ؛ أى فليؤخِّره ، قال الشاعر :

* فَأَكْرِبْتُ العشاءَ إِلَى سُهَيْلِ *

ويجوز أن يريد فليُنْقِصِ العشاءَ ، قال الشاعر :

* وَالطَّلَّ لَمْ يَنْضَلْ وَلَمْ يَكِرْ *

* * *

ومنها: أنه أتى عليه السلام بالمال فكوّم كومةً من ذهب وكومة من فضة ، فقال :
يا حمراء ويا بيضاء احمرّى وابيضّى وغرّى غيّرى .

هذا جنائ وخياره فيه وكلّ جان يدّه إلى فيه

قال ابن قتيبة : هذا مثل ضربه ، وكان الأصمعيّ يقول : « وهجانه فيه » ، أى خالصه ،
وأصل المثل لعمر بن عدّى ابن أخت جذيمة الأبرش ، كان يحنى الكمأة مع
أتراب له ، فكان أترابه يأكلون ما يجدون ، وكان عمرو يأتي به خاله ويقول
هذا القول ^(١) .

* * *

ومنها حديث أبي جأب قال : جاء عمّي من البصرة يذهب بي وكنت عند أُمى ،
فقلت : لا أتركك تذهب به ، ثم أتت عليّاً عليه السلام فذكرت ذلك له ، فجاء عمّي
من البصرة ، فقال : نعم والله لأذهبنّ به وإن رغم أنفك ، فقال علىّ عليه السلام : كذبت
والله ، وولّقت ، ثم ضرب بين يديه بالدرة ، قال : ولّقت مثل كذبت وكذلك ولّعت
بالعين ، وكانت عائشة تقرأ : ﴿ إِذ تَلَقُّوْهُ بِالْسِّنَةِ كُمْ ﴾ ^(٢) وقال الشاعر :

* وهنّ من الأحلاف والولعان ^(٣) *

يعنى النساء أى من أهل الأحلاف .

* * *

ومنها قوله عليه السلام : إن من ورائكم أموراً متماحلة رُدّحا وبلاء مكلّحاً مبلّحاً .

(١) ١ : « الكلام » . (٢) سورة النور ١٥

(٣) اللسان (ولع) ، وصدّره :

* لخلافة العينين كذابة المنى *

قال ابن قتيبة : التماحلة الطوال ، يعنى فتننا يطول أمرها ويعظم ؛ ويقال : رجل متماحل وسبب متماحل ، والردح جمع رداح ، وهى العظيمة ؛ يقال للكتيبة إذا عظمت رداح ، ويقال للمرأة العظيمة العجيزة رداح .

قال : ومنه حديثُ أبى موسى ، وقيل له زمن على ومعاوية : أهى أهى ؛ فقال : إنما هذه الفتنة حَيضة من حيضات الفتن ، وبقيت الرداح المظلمة التى من أشرفت أشرفت له .

ومكلح أى يكلح الناسُ بشدتها ، يقال كَلَحَ الرجل وأكلحه ، الكلحة الهمة . والمبلح ، من قولهم : بلح الرجل إذا انقطع من الإعياء ، فلم يقدر على أن يتحرك ، وأبلحه السير ؛ وقال الأعشى .

* واشتكى الأوصالَ منه وبلح *

ومنها قوله عليه السلام يوم خيبر :

أنا الذى سَمَّيْنِي أُمِّي حَيْدَرَةَ كَلَيْثٍ غَابَتْ كَرِيهِ الْمَنْظَرَةَ

* أَوْ فِيهِمْ بِالصَّاعِ كَيْلَ السَّنْدَرَةِ *

قال ابن قتيبة : كانت أمّ عليّ عليه السلام سمّته وأبو طالب غائب حين ولدته أسداً باسم أبيها أسد بن هاشم بن عبد مناف ، فلما قدم أبو طالب غير اسمه وسماه عليّاً ، وحيدرة : اسمٌ من أسماء الأسد ، والسندرة : شجرة يُعمل منها القسي والنبل ؛ قال :

* حَنَرْتُ لَهُم بِالسَّنْدَرِيِّ الْمُؤَثِّرِ *

فالسندرة فى الرّجَزِ يُحتمل أن تكون مكيالاً يُتخذ من هذه الشجرة ، سمى باسمها كما يسمّى القوس بنبعة . قال : وأحسب إن كان الأمرُ كذلك أن الكيل بها قد كان

جُزَافًا فِيهِ إِفْرَاطٌ ؛ قَالَ : وَيَحْتَمِلُ أَنْ تَكُونَ السَّنْدَرَةُ هَاهُنَا أَمْرَاءُ كَانَتْ تَكِيلُ كَيْلًا وَافِيًّا أَوْ رَجُلًا .

وَمِنْهَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَنْ يَطْلُ أَيْرُ أَبِيهِ يَتَمَنَّقُ بِهِ .
 قَالَ ابْنُ قَتِيبَةَ : هَذَا مَثَلٌ ضَرَبَهُ ، يَرِيدُ مِنْ كَثْرَتِ إِخْوَتِهِ عَزَّ وَأَشَدَّ ظَهْرُهُ ،
 وَضَرَبَ الْمِنْطَقَةَ إِذَا كَانَتْ تَشَدُّ الظَّهْرَ مَثَلًا لَذَلِكَ ، قَالَ الشَّاعِرُ :
 فَلَوْ شَاءَ رَبِّي كَانَ أَيْرُ أَيِّكُمْ طَوِيلًا كَأَيْرِ الْحَارِثِ بْنِ سَدُوسٍ^(١)
 قِيلَ كَانَ لِلْحَارِثِ بْنِ سَدُوسٍ أَحَدُ وَعِشْرُونَ ذَكَرًا ، وَكَانَ ضَرَارُ بْنُ عَمْرٍو
 الضَّبِّيُّ يَقُولُ : أَلَا إِنَّ شَرَّ حَائِلٍ أُمَّ ، فَزَوَّجُوا الْأُمّهَاتِ ، وَذَلِكَ أَنَّهُ صُرِعَ ، فَأَخَذَتْهُ
 الرِّمَاحُ ، فَأَشْتَبَكَ عَلَيْهِ إِخْوَتُهُ لِأُمِّهِ حَتَّى خَلَّصُوهُ .
 قَالَ : فَأَمَّا الْمَثَلُ الْآخَرُ وَهُوَ قَوْلُهُمْ : مَنْ يَطْلُ ذَيْلَهُ يَتَمَنَّقُ بِهِ ، فَلَيْسَ مِنَ الْمَثَلِ
 الْأَوَّلِ فِي شَيْءٍ ، وَإِنَّمَا مَعْنَاهُ مَنْ وَجَدَ سَعَةً وَضَمَّهَا فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا وَأَنْفَقَ فِي غَيْرِ مَا يَلْزَمُهُ
 الْإِنْفَاقَ فِيهِ .

وَمِنْهَا قَوْلُهُ : خَيْرُ بَثْرٍ فِي الْأَرْضِ زَمْزَمٌ ، وَشَرُّ بَثْرٍ فِي الْأَرْضِ بَرّهوت .
 قَالَ ابْنُ قَتِيبَةَ : هِيَ بَثْرٌ بِحَضْرَمَوْتٍ يُرَوَى أَنَّ فِيهَا أَرْوَاحَ الْكُفَّارِ .
 قَالَ : وَقَدْ ذَكَرَ أَبُو حَاتِمٍ عَنِ الْأَصْمَعِيِّ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ حَضْرَمَوْتٍ قَالَ : نَجِدُ
 فِيهَا الرَّائِحَةَ الْمُنْتِنَةَ الْفَظِيْعَةَ جَدًّا ، ثُمَّ نَمَكْتُ حِينًا فَيَأْتِينَا الْخَبْرُ بِأَنَّ عَظَمَاءَ
 الْكُفَّارِ قَدْ مَاتَ ، فَتَرَى أَنَّ تِلْكَ الرَّائِحَةَ مِنْهُ ، قَالَ : وَرَبَّمَا سَمِعَ مِنْهَا مِثْلَ أَصْوَاتِ الْحَاجِّ ،
 فَلَا يَسْتَطِيعُ أَحَدٌ أَنْ يُمِشِيَ بِهَا .

ومنها قوله عليه السلام : أيما رجل تزوج امرأة مجنونة ، أو جذماء ، أو برصاء ، أو بها قرن ؛ فهي أمرأته ، إن شاء أمسك ، وإن شاء طلق .

قال ابن قتيبة : القرن بالتسكين : العقلة الصغيرة ؛ ومنه حديث شريح أنه اختصم إليه في قرن بجارية ، فقال : أقعدوها فإن أصاب الأرض فهو عيب ، وإن لم يصب الأرض فليس بعيب .

ومنها قوله عليه السلام : لو دَّ معاوية أنه ما بقى من بنى هاشم نافعُ ضِرْمة إلا طعن في نيطه .

قال ابن قتيبة : الضِّرْمة النار ؛ وما بالدار نافعُ ضِرْمة ، أى ما بها أحد .
قال : وقال أبو حاتم عن أبي زيد : طعنَ فلانُ في نيطه أى في جنازته ، ومن ابتدأ في شيء أو دخل فيه فقد طعن فيه ، قال : ويقال : النيط : الموت ، رماه الله بالنيط ؛ قال : وقد روى «إلا طعن» بضم الطاء ، وهذا الراوى يذهب إلى أن النيط نياط القلب ، وهى علاقته التى يتعلّق بها ، فإذا طعن إنسان في ذلك المكان مات .

ومنها قوله عليه السلام : إن الله أوحى إلى إبراهيم عليه السلام أن ابن لي يتأ في الأرض ، فضاقت بذلك ذرعا ، فأرسل الله إليه السكينة ، وهى ريح خجوج ، فتطوقت^(١) حول البيت كالحجفة .

وقال ابن قتيبة : الخجوج من الرياح : السريعة المرور ؛ ويقال أيضا : خجوجاء ، قال ابن أحر :

(١) كذا في ب ، وفي ا ، د : « فتطوت » .

هُوَ جَاءَ رَغْبَةً الرِّوَّاحِ خَجَوْ جَاءَ الْفُدُو رَوَّاحُهَا شَهْرُ^(١)

قال : وهذا مثلُ حديثِ عليٍّ عليه السلام الآخر ، وهو أنه قال : السَّكِينَةُ لَهَا وَجْهٌ كَوَجْهِ الْإِنْسَانِ ، وَهِيَ بَعْدُ رِيحٌ هَفَافَةٌ ، أَيْ خَفِيفَةٌ سَرِيعَةٌ ، وَالْحَجَفَةُ : الثَّرَسُ .

وَمِنْهَا أَنَّ مُكَاتِبًا لِبَعْضِ بَنِي أَسَدٍ ، قَالَ : جِئْتُ بِنَقْدٍ أَجْلِبُهُ إِلَى الْكُوفَةِ ، فَاتَّهَيْتُ بِهِ إِلَى الْجِسْرِ ، فَإِنِّي لَأَسْرَبُهُ عَلَيْهِ إِذَا أَقْبَلَ مُوَلَّى لِبَكْرِ بْنِ وَائِلٍ يَتَخَلَّلُ الْغَنَمَ لِيَقْطَعَهَا ، فَتَفَرَّتْ نَقْدَةٌ ، فَقَطَّرَتِ الرَّجُلُ فِي الْفُرَاتِ ، فَفَرِقَ ، فَأَخَذَتْ . فَارْتَفَعْنَا إِلَى عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَصَصْنَا عَلَيْهِ الْقِصَّةَ ، فَقَالَ : انْطَلِقُوا فَإِنْ عَرَفْتُمُ النَّقْدَةَ بِعَيْنِهَا فَأَدْفَعُوهَا إِلَيْهِمْ . وَإِنْ اخْتَلَطَتْ عَلَيْكُمْ فَأَدْفَعُوا شَرَّوَاهَا مِنَ الْغَنَمِ إِلَيْهِمْ .

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ : النَّقْدُ : غَنَمٌ صِفَارٌ ، الْوَاحِدَةُ نَقْدَةٌ ؛ وَمِنْهُ قَوْلُهُمْ فِي الْمَثَلِ : « أَذَلَّ مِنَ النَّقْدِ » .

وَقَوْلُهُ : « أَسْرَبُهُ » أَيْ أُرْسِلُهُ قِطْعَةً قِطْعَةً . وَشَرَّوَاهَا : مِثْلُهَا .

وَمِنْهَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذِكْرِ الْمَهْدِيِّ مِنْ وَلَدِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ : إِنَّهُ رَجُلٌ أَجَلَى الْجَلِينَ ، أَقْنَى الْأَنْفِ ، ضَخْمُ الْبَطْنِ ، أَرْبَلُ الْفَخِذَيْنِ ، أَفْلَجُ الثَّنَائِيَا ، بِفَخِذِهِ الْيُمْنَى شَامَةٌ .

قَالَ ابْنُ قُتَيْبَةَ : الْأَجَلَى وَالْأَجْلَحُ شَيْءٌ وَاحِدٌ ، وَالْقَنَا فِي الْأَنْفِ : طَوْلُهُ وَدِقَّةُ أُرْنَبَتِهِ

وَحَدَّبَ فِي وَسْطِهِ . وَالْأَرْبَلُ الْفَخِذَيْنِ : المتباعدُ ما بينهما ، وهو كالأفحج ؛ تَرَبَّلَ الشَّيْءُ ؛
أى انفرَجَ ، والفَلَجُ : صُفْرَةٌ فِي الْأَسْنَانِ .

ومنها قوله عليه السلام : إِنْ بَنَى أُمَّيَّةٌ لَا يَزَالُونَ يَطْعُنُونَ فِي مَسْجَلِ ضَلَالَةٍ ، وَلَهُمْ
فِي الْأَرْضِ أَجَلٌ حَتَّى يُهَرِّقُوا الدَّمَ الْحَرَامَ فِي الشَّهْرِ الْحَرَامِ ، وَاللَّهُ لَكَأَنِّي أَنْظَرُ إِلَى
غِرْنُوقٍ مِنْ قُرَيْشٍ يَتَخَبَّطُ فِي دَمِهِ ، فَإِذَا فَعَلُوا ذَلِكَ لَمْ يَبْقَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ عَادِرٌ ، وَلَمْ يَبْقَ
لَهُمْ مُلْكٌ ، عَلَى وَجْهِ الْأَرْضِ .

قال ابنُ قتيبة : هو من قولك : ركبَ فلانٌ مَسْجَلَهُ ، إِذَا جَدَّ فِي أَمْرٍ هُوَ فِيهِ
كَلَامًا كَانَ أَوْ غَيْرَهُ ، وَهُوَ مِنَ السَّجَلِ وَهُوَ الصَّبُّ . والغِرْنُوقُ : الشابُّ .
قلت : والغِرْنُوقُ القُرَشِيُّ الَّذِي قَتَلُوهُ ، ثُمَّ انْقَضَى أَمْرُهُمْ عَقِيبَ قَتْلِ إِبْرَاهِيمَ الْإِمَامِ ،
وَقَدْ اخْتَلَفَتِ الرَّوَايَةُ فِي كَيْفِيَّةِ قَتْلِهِ ، فَقِيلَ : قُتِلَ بِالسَّيْفِ ؛ وَقِيلَ : خُنِقَ فِي جِرَابٍ فِيهِ
نُورَةٌ ، وَحَدِيثُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُسْنِدُ الرَّوَايَةَ الْأُولَى .

ومنها ما رَوَى أَنَّهُ اشْتَرَى قَيْصًا بَثْلَاثَةَ دَرَاهِمٍ ثُمَّ قَالَ : الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَذَا مِنْ رِيَاشِهِ .
قال ابنُ قتيبة : الرِّيشُ والرِّيشُ وَاحِدٌ ، وَهُوَ الْكِسْوَةُ ، قَالَ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ قَدْ أَنْزَلْنَا
عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا ﴾ ، وَقُرِئَ ﴿ وَرِيشًا ﴾ .

ومنها قوله عليه السلام : لَا قَوْدَ إِلَّا بِالْأَسَلِ .
قال ابنُ قتيبة : هُوَ مَا أَرْهَفَ وَأَرِقَّ مِنَ الْحَدِيدِ ، كَالسَّنَنِ وَالسَّيْفِ وَالسَّكِينِ ؛
وَمِنْهُ قِيلَ : أَسَلَةُ الذَّرَاعِ لَمَّا اسْتَدَقَّ مِنْهُ ، قَالَ : وَأَكْثَرُ النَّاسِ عَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ

وقومٌ من الناس يقولون : قد يجوز أن القود بغير الحديد كالحجر والعصا إن كان المقتول قُتل بغير ذلك .

ومنها أنه عليه السلام رأى رجلاً في الشمس، فقال : قُمْ عنها فإنها مَبْخَرَةٌ مَجْفَرَةٌ، تُثْقِلُ الرِّيحَ ، وتُبْلِي الثَّوبَ ، وتُظْهِرُ الدَّاءَ الدَّفِينِ .

قال ابنُ قتيبة : مَبْخَرَةٌ : تُورِثُ البَخْرَ في الفمِ . وَمَجْفَرَةٌ : تَقْطَعُ عَنِ النِّكَاحِ وتُذْهِبُ شَهْوَةَ الْجَمَاعِ ، يقال جَفَرَ الفَحْلُ عَنِ الْإِبِلِ ؛ إِذَا أَكْثَرَ الضَّرَابَ حَتَّى يَمْلَأَ وَيَنْقَطِعَ ، وَمِثْلُهُ قَذَرَ ، وَتَقَذَّرَ ، قَذُوراً ، وَمِثْلُهُ أَقْطَعَ فهو مَقْطَعٌ .

وجاء في الحديث أن عثمان بن مظعون قال : يا رسول الله ، إني رجل تشقُّ عليَّ العُرْبَةُ في المَغَارِي ، أَفْتَأْذِنُ لِي فِي الْخِصَاءِ ؟ قال : لا ، وَلَكِنْ عَلَيْكَ بِالصَّوْمِ فَإِنَّهُ يُجْفِرُ .

قال : وقد رَوَى عَبْدُ الرَّحْمَنِ عَنْ الْأَصْمَعِيِّ عَمَّهُ ، قَالَ : تَكَلَّمَ أَعْرَابِي فَقَالَ : لَا تَنْكَحَنَّ وَاحِدَةً فَتَحِيضُ إِذَا حَاضَتْ ، وَتَمْرُضُ إِذَا مَرَضَتْ ، وَلَا تَنْكَحَنَّ اثْنَتَيْنِ فَتَكُونَ بَيْنَ ضَرَّتَيْنِ وَلَا تَنْكَحَنَّ ثَلَاثًا فَتَكُونَ بَيْنَ أَنْافٍ ، وَلَا تَنْكَحَنَّ أَرْبَعًا فَيَفْلِسَنَّكُ وَيُهْزِمَنَّكَ وَيُنْجِلَنَّكَ وَيُجْفِرَنَّكَ فَقِيلَ لَهُ : لَقَدْ حَرَّمْتَ مَا أَحَلَّ اللَّهُ ، فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! كُوزَانِ ، وَقُرْصَانِ ، وَطُمْرَانِ وَعِبَادَةُ الرَّحْمَنِ ، وَقَوْلُهُ «تُثْقِلُ الرِّيحَ» ، أَيْ تُثْنِيهَا ، وَالْأَسْمُ التُّفْلُ ، وَمِنْهُ الْحَدِيثُ «وَلِيُخْرِجَنَّ ثَلَاثَاتٍ» . وَالِدَاءُ الدَّفِينِ ؛ الْمُسْتَرِ الَّذِي قَدَّهَرَتْهُ الطَّبِيعَةُ ، فَالْأَسْمُ تُعِينُهُ عَلَى الطَّبِيعَةِ وَتُظْهِرُهُ .

ومنها قوله عليه السلام وهو يذكر مسجد الكوفة في زاويته : فَارَ التَّنُورِ ، وفيه هَلَكٌ يَغُوثٌ وَيَعُوقٌ ، وهو الفاروق ، ومنه يَسْتَرِجِلُ الْأَهْوَازَ ، وَوَسَطَهُ عَلَى رَوْضَةٍ مِنْ

رياض الجنة ، وفيه ثلاثُ أعينٍ أنبتت بالضفث ، تذهب الرجس ، وتطهر المؤمنين : عَيْن من لبن ، وعَيْن من دهن ، وعَيْن من ماء ، جانبه الأيمن ذِكرٌ ، وفي جانبه الأيسر مَكْر ، ولو يَعْلَمُ الناسُ ما فيه من الفضل لآتَوْهُ ولو حَبْوًا .

قال ابن قتيبة : قوله : « أنبتت بالضفث » أحسبه الضفث الذي ضرب أيوب أهله . والعَيْن التي ظهرت لما رَغِضَ الماءُ برجله . قال : والباء في « بالضفث » زائدة ، تقديره : أنبتت الضفث ، كقوله تعالى : ﴿ تَنْبُتُ بِالذَّهْنِ ^(١) ﴾ ، وكقوله : ﴿ يَشْرَبُ بِهَا عِبَادُ اللَّهِ ^(٢) ﴾ .

وأما قوله : « في جانبه الأيمن ذِكرٌ » ، فإنه يَعْنِي الصلاة . و« في جانبه الأيسر مَكْر » أراه أراد به المَكْرَ به حتى قَتَلَ عايه السلام في مسجد الكوفة .

ومنها أن رسول الله صلى الله عليه وآله بعث أبا رافع موله يتلقى جعفر بن أبي طالب لما قَدِمَ من الحبشة ، فأعطاه على عليه السلام حَتِيًّا وُعُكَّةً سَمْنًا ، وقال له : أنا أعلم بجعفر أنه إن عَلمَ ثَرَاهُ مرة واحدة ثم أطعمه ، فادفع هذا السَمْنَ إلى أسماء بنت عُمَيْسٍ تَذْهَنُ به بنى أخى من صَمَرِ الْبَحْرِ ، وتُطْعِمُهُم من الحَتِي .

قال ابن قتيبة : الْحَتِي : سَوِيقٌ يُتَّخَذُ مِنَ الْمَقْل ، قال الهذلي يذكر أضيافه :

لَا دَرَّ دَرِّي إِنْ أَطْعَمْتُ نَازِلَكُمْ قَرَفَ الْحَتِي وَعِنْدِي الْبُرُّ مَكْنُوزُ ^(٣)

(١) سورة المؤمن : ٢٠

(٢) سورة الدهر : ٦

وقوله : « تَرَاهُ مَرَّةً » أى بَلَّه دَفْعَةً واحدة وأطعمه انباسَ ، والثرا : النَّدَا . وَصَمَرَ
البحرِ نَتْنَهُ وَغَمَقَهُ ، ومنه قيل للدُّبُرِ الصَّمَارَى .

* * *

ومنها قوله عليه السلام يوم الشُّورَى لما تَكَلَّمَ : الحمد لله الذى اتَّخَذَ محمداً منّا نبياً ،
وابتَعَنَهُ إلينا رسولا ، فنحن أهلُ بَيْتِ النبوة ، ومَعْدِنِ الحِكْمَةِ ؛ أمانٌ لأهل الأرض ،
وَنَجاةٌ لمن طَلَبَ ، إنَّ لنا حقاً إن نُعْطَهُ نأخذه ، وإن نُمْنَعَهُ نركبُ أعْجَازَ الإِبِلِ ، وإن
طَالَ الشَّرَى ، لو عَهْدَ إلينا رسولُ الله صلى الله عليه وآله عهداً لَجَالَدْنَا عليه حتى
نَمُوتَ ، أو قال لنا قولاً لأنْفِذْنَا قوله على رَغْمِنَا . لن يُسْرِعَ أَحَدٌ قَبْلِي إِلَى صَلَاةِ رَحِمٍ
ودعوة حَقٍّ ، والأمرُ إليك يا بنِ عوفٍ على صِدْقِ النِّيةِ ، وَجُهدِ النَّصِيحِ ؛ وأستغفرُ
الله لى ولكم .

قال ابنُ قتيبة : أى أن مَعْنَاهُ رَكِبْنَا مَرْكَبَ الضَّيْمِ والذَّلِّ ، لأنَّ رَاكِبَ عَجْزِ البعيرِ
يَجِدُ مَشَقَّةً ، لا سيما إذا تطاول به الرِّكُوبُ على تلك الحال ، ويجوز أن يكون أراد : نصبر
على أن نكون أَتْبَاعاً لغيرِنا ، لأنَّ رَاكِبَ عَجْزِ البعيرِ يكون رِدْفاً لغيره .

* * *

ومنها قوله عليه السلام لما قَتَلَ ابنُ آدمُ أخاه : غَمَصَ الله الخَلْقَ ونَقَصَ الأشياءَ .

قال ابن قتيبة : يقال غَمَصْتُ فلاناً أَغْمِصُهُ واغْتَمَصْتُهُ إِذَا اسْتَصْفَرْتُهُ واحْتَقَرْتُهُ ، قال :
ومعنى الحديث أَنَّ الله تعالى نَقَصَ الخَلْقَ من عَظَمِ الأَبْدَانِ وطُولِهَا من القُوَّةِ والبَطْشِ
وطولِ العُمُرِ ونحو ذلك .

* * *

ومنها أَنَّ سلامة الكندى قال : كان علىَّ عليه السلام يَعْلَمُنَا الصَّلَاةَ على

رسول الله صلى الله عليه وآله فيقول : اللهم داحي المدحوات ، وبارئ المسئوكات ، وجبار القلوب على فطراتها ، شقيها وسعيدها ، اجعل شرائف صلواتك ، ونوامي بركاتك ، ورأفة تحياتك ، على محمد عبدك ورسولك ، الفاتح لما أغلق ، والخاتم لما سبق ، والمعلن الحق بالحق ، والدامغ جيشت الأباطيل ، كما حملته فاضطلع بأمرك لطاعتك ، مستوفزاً في مرضاتك ، لغير نكّل في قديم ، ولا وهن في عزم ، داعياً لوحيك ، حافظاً لعهدك ، ماضياً على نفاذ أمرك ، حتى أوري قبساً لقابس ، آلاء الله تصل بأهله أسبابه به ، هديت القلوب بعد خوَضات الفتن والإثم ، موضحات الأعلام ، ونائرات الأحكام ، ومنيرات الإسلام ، فهو أمينك المأمون ، وخازنُ علمك المخزون ، وشهيدك يوم الدين ، وبعيُثك نعمة ، ورسولك بالحق رحمة . اللهم أفسح له مفسحاً في عدلك ، واجزه مضاعفات الخير من فضلك ، مهنات غير مكدرات ، من فوزِ ثوابك المحلول ، وجزل عطائك المألول ، اللهم أعل على بناء البانين بناءه ، وأكرم مشواه لديك ونزله وأتم له نوره ، واجزه من ابتعائك له مقبول الشهادة ، مرضى المقالة ، ذا منطق عدل ، وخُطة فصل ، وبرهان عظيم .

قال ابن قتيبة : داحي المدحوات ، أي باسط الأرضين ، وكان الله تعالى خلقها ربوة ثم بسطها ، قال سبجانه ﴿ وَالْأَرْضَ بَعْدَ ذَلِكَ دَحَاهَا ﴾^(١) ؛ وكل شيء بسطته فقد دَحَوته ومنه قيل لموضع بيض النعامة أدحى ، لأنها تدحوه للبيض أي توسعه ، ووزنه أفعول . وبارئ المسئوكات : خالق السموات . وكل شيء رفعته وأعليته فقد سَمَكْتَهُ ، وسَمَك البيت والحائط ارتفاعه ، قال الفرزدق :

إِنَّ الَّذِي سَمَكَ السَّمَاءَ بَنَى لَنَا يَتَا دَعَائِمُهُ أَعَزُّ وَأَطْوَلُ

وقوله : جَبَّارُ الْقُلُوبِ عَلَى فِطْرَاتِهَا . من قولك جَبَرْتَ الْعَظْمَ فَجَبُرَ إِذَا كَانَ مَكْسُورًا فَلَأَمَّتْهُ وَأَقَمَّتْهُ ، كَأَنَّهُ أَقَامَ الْقُلُوبَ وَأَثْبَتَهَا عَلَى مَا فَطَرَهَا عَلَيْهِ مِنْ مَعْرِفَتِهِ وَالْإِقْرَارِ بِهِ ، شَقِيهَا وَسَعِيدَهَا ، قَالَ : وَلَمْ أَجْعَلْ جَبَّارًا هَاهُنَا ، مِنْ أَجْبَرْتُ فَلَانًا عَلَى الْأَمْرِ إِذَا أَدْخَلْتَهُ فِيهِ كَرْهًا ، وَقَسَرْتَهُ ، لِأَنَّهُ لَا يُقَالُ مِنْ أَفْعَلَ فَعَالٌ ، لَا أَعْلَمُ ذَلِكَ إِلَّا أَنَّ بَعْضَ الْقُرَّاءِ قَرَأَ ﴿ أَهْدِيكُمْ سَبِيلَ الرَّشَادِ ﴾ ^(١) بِتَشْدِيدِ الشَّيْنِ ، وَقَالَ : الرَّشَادُ اللَّهُ ، فَهَذَا فَعَالٌ مِنْ أَفْعَلَ ، وَهِيَ قِرَاءَةٌ شاذَّةٌ ، غَيْرُ مُسْتَعْمَلَةٍ ، فَأَمَّا قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِجَبَّارٍ ﴾ ^(٢) فَإِنَّهُ أَرَادَ وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِمُسَلِّطٍ تَسْلِطُ الْمُلُوكَ . وَالْجَبَابِرَةُ : الْمُلُوكُ ، وَأَعْتَبَارُ ذَلِكَ قَوْلُهُ : ﴿ لَسْتُ عَلَيْهِمْ بِمُسَيِّطِرٍ ﴾ ^(٣) أَيْ بِمُسَلِّطٍ تَسْلُطُ الْمُلُوكَ ، فَإِنْ كَانَ يَحْزُزُ أَنْ يُقَالَ مِنْ أَجْبَرْتُ فَلَانًا عَلَى الْأَمْرِ أَنَا جَبَّارٌ لَهُ ، وَكَانَ هَذَا مُحْفُوظًا ، فَقَدْ يَحْزُزُ أَنْ يُجْعَلَ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ : جَبَّارُ الْقُلُوبِ مِنْ ذَلِكَ ، وَهُوَ أَحْسَنُ فِي الْمَعْنَى .

وقوله : « الدَّامِغُ جَيْشَاتِ الْأَبَاطِيلِ » ، أَيْ مُهْلِكُ مَا نَجَّمَ وَارْتَفَعَ مِنَ الْأَبَاطِيلِ ، وَأَصْلُ الدَّامِغِ مِنَ الدَّمَاعِ ، كَأَنَّهُ الَّذِي يَضْرِبُ وَسَطَ الرَّأْسِ فَيَدْمَغُهُ أَيْ يَصِيبُ الدَّمَاعَ مِنْهُ . وَمِنْهُ قَوْلُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ : ﴿ بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ ﴾ ^(٤) أَيْ يُبْطِلُهُ وَالِدَّمَاعُ مَقْتَلٌ ، فَإِذَا أَصِيبَ هَلَكَ صَاحِبُهُ .

وَجَيْشَاتُ : مَأْخُوذٌ مِنْ جَاشَ الشَّيْءُ أَيْ ارْتَفَعَ ، وَجَاشَ الْمَاءُ إِذَا طَمَى ، وَجَاشَتِ النَّفْسُ .

وقوله : « كَمَا حَمَلُ فَأُضْطَلَعُ » افْتَعَلَ مِنَ الضَّلَاعَةِ وَهِيَ الْقُوَّةُ .

(٢) سورة ق : ٤٥ .

(٤) الأنبياء : ١٨ .

(١) سورة المؤمنین : ٣٨ .

(٣) سورة الفاشية : ٢٢ .

وقوله : « لغير نُكُلٍ في قَدَمٍ » ، النُّكُل : مَصْدَرٌ وهو النُّكُول ، يقال : نَكَلَ فلانٌ عن الأمرِ يَنْكُلُ يَنْكُلُ نُكُولًا ، فهذا المشهورُ ونَكَلَ بالكسر يَنْكُلُ نُكُلًا قليلة .

والقِدَم : التقدم ، قال أبو زيد : رجلٌ مَقْدَمٌ إذا كان شجاعا ، فالقدم يجوزُ أن يكون بمعنى التقدم ، وبمعنى المتقدم .

قوله : « ولا وَهْنٌ في عَزَمٍ » ، أى ولا ضَعْفٌ في رأى .

وقوله : « حتّى أورى قَبَسًا لقابِسٍ » ، أى أظهرَ نورا من الحقِّ ، يقال : أَوْرَيْتُ النارَ إذا قَدَحْتَ ما ظهر بها ، قال سبحانه : ﴿ أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ ﴾ ^(١) .

وقوله : « آلاءُ الله تصلُّ بأهله أسبابه » ، يريد نِعَمَ الله تصلُّ بأهلٍ ذلك القَبَسُ ، وهو الإسلام والحق سبحانه أسبابه وأهله ، المؤمنون به .

قلتُ : تقديرُ الكلامِ حتّى أورى قَبَسًا لقابِسٍ : تصلُّ أسبابُ ذلك القَبَسِ آلاءُ الله ونِعَمُهُ بأهله المؤمنين به . وأعلمُ أن اللامَ في « لغير نُكُلٍ » متعلّقةٌ بقوله : « مستوفزا » ، أى هو مُستوفِزٌ لغير نُكُولٍ ، بل للخوف منك ، والخضوع لك .

قال ابنُ قُتَيْبَةَ : قوله عليه السلام : « به هُديت القلوبَ بعدَ الكُفر ، والفِتَنَ موضحات الأعلام » ، أى هديته لمُوضِحَاتِ الأعلام ؛ يقال هُديت الطريقَ وللطريقِ وإلى الطريق .

وقوله : « ناثرات الأحكام ، ومُنِيرَاتِ الإسلام ، يريد الواضحات البَيِّنَات ، يقال : نارُ الشيءِ وأَنارَ ، إذا وَضَحَ .

وقوله : « شَهِيدُكَ يومَ الدين » ، أى الشاهد على الناس يومَ القيامة . وَبَعِيثُكَ رَحْمَةٌ ، أى مَبْعُوثُكَ ، فَعِيلٌ في معنى مَفْعُول .

وقوله : « افسَحْ لَهُ مَفْسَحًا » ؛ أى أَوْسِعْ لَهُ سَعَةً ؛ وَرُوي « مُفْتَسِحًا » بالتاء .
قوله : « فِي عَدْلِكَ » أى فِي دَارِ عَدْلِكَ ، يَعْنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، وَمِنْ رِوَاةٍ « عَدْلِكَ »
بِالنُّونِ ، أَرَادَ جَنَّةَ عَدْنٍ .

وقوله : « مِنْ جَزَلِ عَطَائِكَ الْمَعْلُولِ » ، مِنْ الْعَلَلِ ، وَهُوَ الشُّرْبُ بَعْدَ الشُّرْبِ ،
فَالشُّرْبُ الْأَوَّلُ نَهَلَ ، وَالثَّانِي عَلَلَ ، يَرِيدُ أَنْ عَطَاءَهُ عَزَّ وَجَلَّ مُضَاعَفٌ ، كَأَنَّهُ يَعْطَى
عِبَادَهُ ، أَيْ يُعْطِيهِمْ عَطَاءً بَعْدَ عَطَاءٍ .

وقوله : « أَعْلَى عَلَى بِنَاءِ الْبَانِينَ بِنَاهُ » ، أَيْ ارْفَعَ فَوْقَ أَعْمَالِ الْعَامِلِينَ عَمَلَهُ . وَأَكْرَمَ
مَنْوَاهُ ، أَيْ مَنَزِلَتَهُ ، مِنْ قَوْلِكَ : ثَوَّبْتُ بِالْمَكَانِ أَيْ نَزَلْتُهُ وَأَقَمْتُ بِهِ ، وَنَزَلَهُ : رَزَقَهُ .
وَنَحْنُ قَدْ ذَكَرْنَا بَعْضَ هَذِهِ الْكَلِمَاتِ فِيمَا تَقَدَّمَ عَلَى رِوَايَةِ الرَّضِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ وَهِيَ
مُخَالَفَةُ هَذِهِ الرِّوَايَةِ ، وَشَرَحْنَا مَا رَوَاهُ الرَّضِيُّ ، وَذَكَرْنَا الْآنَ مَا رَوَاهُ ابْنُ قُتَيْبَةَ وَشَرَحَهُ
لَأَنَّهُ لَا يَخْلُو مِنْ فَائِدَةٍ جَدِيدَةٍ .

ومنها قوله عليه السلام : « خُذِ الْحِكْمَةَ أَنْتَ تَتَكَبَّرُ » ، فَإِنَّ الْكَلِمَةَ مِنَ الْحِكْمَةِ تَكُونُ
فِي صَدْرِ الْمُنَافِقِ فَتَنْجَلِجُ فِي صَدْرِهِ حَتَّى تَسْكُنَ إِلَى صَاحِبِهَا .

قال ابن قتيبة : يَرِيدُ الْكَلِمَةَ قَدْ يَعْلَمُهَا الْمُنَافِقُ فَلَا تَزَالُ تَتَحَرَّكُ فِي صَدْرِهِ
وَلَا تَسْكُنُ حَتَّى يَسْمَعَهَا مِنْهُ الْمُؤْمِنُ أَوِ الْعَالِمُ فَيَعْبِيهَا وَيَتَقَفَّيْهَا وَيَفْقَهُهَا مِنْهُ ، فَتَسْكُنُ فِي
صَدْرِهِ إِلَى أَخَوَاتِهَا مِنْ كَلِمِ الْحِكْمَةِ .

ومنها قوله عليه السلام : الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ نِتَاقُ الْكَعْبَةِ مِنْ فَوْقِهَا .
قال ابن قتيبة : نِتَاقُ الْكَعْبَةِ ، أَيْ مُظَلٌّ عَلَيْهَا مِنْ فَوْقِهَا ، مِنْ قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ :

﴿وَإِذْ نَتَقْنَا الْجَبَلَ فَوْقَهُمْ كَأَنَّهُ ظُلَّةٌ﴾^(١) ، أَى زُعِرَ فَاظَلَّ عَلَيْهِم .

ومنها قوله عليه السلام : «أنا قسيم النار» ، قال ابن قتبية : أراد أن الناس فريقان ! فريقٌ معي فهم على هُدًى ، وفريقٌ على فهمٍ على ضلالة ، كالتخوارج ، ولم يجسر ابن قتبية أن يقول : «وكأهل الشام» يتورّع يزعم ، ثم إن الله أنطقه بما تورّع عن ذكره ، فقال متمماً للكلام بقوله : فأنا قسيم النار ، نصفٌ في الجنة معي ، ونصفٌ في النار ؛ قال : وقسيم في معنى مقاسم ، مثل جليس وأكيل وشريب .

قلت : قد ذكر أبو عبيد الهروى هذه الكلمة في الجمع بين الغريبتين ؛ قال : وقال قوم : إنه لم يرد ما ذكره ، وإنما أراد : هو قسيم النار والجنة يوم القيامة حقيقة ، يقسم الأمة ، فيقول : هذا للجنة ، وهذا للنار .

[خطبة منسوبة للإمام عليّ خالية من حرف الألف]

وأنا الآن أذكرُ من كلامِهِ الغريب ما لم يُورِدْهُ أبو عُبيد وابنُ قُتيبة في كلامهما وأُشْرَحُهُ أيضاً ، وهى خُطْبَةٌ رَوَاهَا كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَالِيَةً مِنْ حَرْفِ الْأَلْفِ ؛ قَالُوا : تَذَاكَرُ ^(١) قَوْمٌ مِنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : أَيُّ حُرُوفِ الْمَجَاءِ أَدْخَلَ فِي الْكَلَامِ ؟ فَاجْمَعُوا عَلَى الْأَلْفِ ، فَقَالَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

حَدَّثْتُ مَنْ عَظُمَتْ مَنَّتُهُ ، وَسَبَّغَتْ نَعْمَتُهُ ، وَسَبَقَتْ غَضَبُهُ رَحْمَتُهُ ، وَتَمَّتْ كَلِمَتُهُ ، وَنَفَذَتْ مَشِئَتُهُ ، وَبَافَتْ قَضِيَّتُهُ ؛ حَدَّثَهُ حَمْدُهُ مُقَرَّرٌ بِرُبُوبِيَّتِهِ ، مُتَخَضَّعٌ لِعِبَادِيَّتِهِ ، مُتَنَصِّلٌ مِنْ خَطِيئَتِهِ ، مُتَفَرِّدٌ بِتَوْحِيدِهِ ، مُؤَمِّلٌ مِنْهُ مَغْفَرَةً تُنْجِيهِ ، يَوْمَ يَشْفَلُ عَنْ فَصِيائِهِ وَبَنِيهِ .

وَنَسْتَعِينُهُ وَنَسْتَرْشُدُهُ وَنَسْتَهْدِيهِ ، وَنُؤْمِنُ بِهِ وَنَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ ، وَشَهِدْتُ لَهُ شَهُودَ مُخْلِصٍ مُوقِنٍ ، وَفَرَدْتُهُ تَفْرِيدَ مُؤْمِنٍ مُتَقِنٍ ، وَوَحَّدْتُهُ تَوْحِيدَ عَبْدٍ مُذْعِنٍ ، لَيْسَ لَهُ شَرِيكَ فِي مُلْكِهِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ فِي صَنِيعِهِ ، جَلَّ عَنْ مَشِيرٍ وَوَزِيرٍ ، وَعَنْ عَوْنٍ مُعِينٍ وَنَصِيرٍ وَنَظِيرٍ .

عَلِمَ فَسْتَرْ ، وَبَطَّنَ نَجْبَرٍ ، وَمَلَكَ فَقَهَرَ ، وَعُصِيَ فَغَفَرَ ، وَحَكَّمَ فَعَدَلَ ، لَمْ يَزَلْ وَلَنْ يَزُولَ ﴿ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ ﴾ ^(٢) ، وَهُوَ بَعْدَ كُلِّ شَيْءٍ رَبٌّ مُتَعَزِّزٌ بِعِزَّتِهِ ، مُتَمَكِّنٌ بِقُوَّتِهِ ، مُتَقَدِّسٌ بَعْلَوُهُ ، مُتَكَبِّرٌ بِسَمَوِّهِ ، لَيْسَ يَدْرُكُهُ بَصَرٌ ، وَلَمْ يُحِطْ بِهِ نَظَرٌ ، قَوِيٌّ مُنِيعٌ ، بَصِيرٌ مُسْمِيعٌ ، رَءُوفٌ رَحِيمٌ .

عَجَزَ عَنْ وَصْفِهِ مِنْ يَصِفُهُ ، وَضَلَّ عَنْ نَعْتِهِ مَنْ يَعْرِفُهُ .

(١) في الأصل : « بذاكر » ؛ تصحيف .

(٢) سورة الشورى : ١١

قَرُبَ فَبَعُدَ ، وَبَعُدَ فَقَرُبَ ، يُجِيبُ دَعْوَةَ مَنْ يَدْعُوهُ ، وَيَرْزُقُهُ وَيَحْبُوهُ ، ذُو لَظْفٍ خَفِيٍّ ، وَبَطْشٍ قَوِيٍّ ، وَرَحْمَةٍ مُوسِعَةٍ ، وَعَقُوبَةٍ مُوجِعَةٍ ، رَحْمَتُهُ جَنَّةٌ عَرِيضَةٌ مُوَقَّةٌ ، وَعَقُوبَتُهُ جَحِيمٌ مَمْلُودَةٌ مُوَقَّةٌ .

وَشَهِدَتْ بَيْعَتُ مُحَمَّدٍ رَسُولِهِ ، وَعَبْدِهِ وَصْفِيٍّ ، وَنَبِيِّهِ وَنَجِيٍّ ، وَحَبِيبِهِ وَخَلِيلِهِ ، بَعَثَهُ فِي خَيْرِ عَصْرِ ، وَحِينَ فِتْرَةٍ وَكَفَرٍ ، رَحْمَةً لَعْبِيدِهِ ، وَمِنَّةً لِمُزِيدِهِ ، خَتَمَ بِهِ نَبَوَّتَهُ ، وَشَيَّدَ بِهِ حُجَّتَهُ ، فَوَعظَ وَنَصَحَ ، وَبَلَغَ وَكَدَحَ ، رُفُوفٌ بِكُلِّ مُؤْمِنٍ ، رَحِيمٌ سَخِيٌّ ، رَضِيَ وَلِيُّ زَكِيِّ ، عَلَيْهِ رَحْمَةٌ وَتَسْلِيمٌ ، وَبَرَكَةٌ وَتَكْرِيمٌ ، مِنْ رَبِّ غَفُورٍ رَحِيمٍ ، قَرِيبٍ مُجِيبٍ .

وَصَيَّيْتُكُمْ مَعَشَرَ مَنْ حَضَرَ نِيَّ بَوْصِيَّةِ رَبِّكُمْ ، وَذَكَّرْتُكُمْ بِسُنَّةِ نَبِيِّكُمْ ، فَعَلَيْكُمْ بِرَهْبَةٍ تَسْكُنُ قُلُوبَكُمْ ، وَخَشْيَةٍ تُذَرِّي دُمُوعَكُمْ ، وَتَقِيَّةٍ تَنْجِيكُمْ قَبْلَ يَوْمِ نُبْلِيكُمْ وَتَذْهِلُكُمْ ، يَوْمَ يَفُوزُ فِيهِ مَنْ ثَقُلَ وَزْنُ حَسَنَتِهِ ، وَخَفَّ وَزْنُ سَيِّئَتِهِ ، وَلِتَكُنْ مَسْأَلَتُكُمْ وَتَمَلُّقُكُمْ مَسْأَلَةَ ذَلٍّ وَخُضُوعٍ ، وَشُكْرِ وَخُشُوعٍ ، بِتَوْبَةٍ وَتَوَرُّعٍ ، وَنَدَمٍ وَرَجُوعٍ ، وَلِيَفْتَنَ كُلُّ مُفْتَنٍ مِنْكُمْ صَحَّتُهُ قَبْلَ سَقَمِهِ ، وَشَيْبَتُهُ قَبْلَ هَرَمِهِ ، وَسَعَتُهُ قَبْلَ فَقْرِهِ ، وَفُرْغَتُهُ قَبْلَ شُغْلِهِ ، وَحَضَرَهُ قَبْلَ سَفَرِهِ ، قَبْلَ تَكْبَرٍ وَتَهَرُّمٍ وَتَسَقُّمٍ ، يَمْلَأُ طَيْبُهُ ، وَيَعْرِضُ عَنْهُ حَبِيبُهُ وَيَنْقَطِعُ غَمُّهُ ، وَيَتَغَيَّرُ عَقْلُهُ ، ثُمَّ قِيلَ : هُوَ مَوْعُوكٌ ، وَجَسْمُهُ مِنْهُوَكٌ ، ثُمَّ جُدَّ فِي نَزْعِ شَدِيدٍ ، وَحَضَرَهُ كُلُّ قَرِيبٍ وَبَعِيدٍ ، فَشَخَصَ بَصَرُهُ ، وَطَمَحَ نَظْرُهُ ، وَرَشَحَ جَبِينُهُ ، وَعَطَفَ عَرِيْنُهُ ، وَسَكَنَ حَيْنُهُ ، وَحَزَنَتْهُ نَفْسُهُ ، وَبَكَتْهُ عَرْسُهُ ، وَحَفَرَ رَأْسُهُ ، وَبَيَّمَ مِنْهُ وَلَدُهُ ، وَتَفَرَّقَ مِنْهُ عَدَدُهُ ، وَقَسِمَ جَمْعُهُ ، وَذَهَبَ بَصَرُهُ وَسَمْعُهُ ، وَمَدَدَ وَجُرْدَ ، وَغُرِّيَ وَغَسِلَ ، وَنُشِفَ وَسُجِّيَ ، وَبُسِطَ لَهُ وَهْيِيٌّ ، وَنُشِرَ عَلَيْهِ كَفْنُهُ ، وَشُدَّ مِنْهُ ذَقْنُهُ ، وَفُصِّ وَعَمِّمْ ، وَوُودِعَ وَسَلِّمْ ، وَحُمِلَ فَوْقَ سَرِيرٍ ، وَصُلِّيَ عَلَيْهِ بِتَكْبِيرٍ ، وَنُقِلَ مِنْ دُورٍ مُزَخْرَفَةٍ ، وَقُصُورٍ مُشِيدَةٍ ، وَحَجَرٍ مُنْجَدَةٍ ، وَجُعِلَ فِي ضَرْحٍ مَأْجُودٍ

وَضِيقَ مَرْصُودٍ ، بَلَبَنٍ مَنصُودٍ ، مُسَقَّفٍ بِجُلُودٍ ، وَهَيْلَ عَلَيْهِ حَفْرُهُ ، وَحُنَى عَلَيْهِ مَدْرُهُ ،
وَتَحَقُّقَ حَذْرُهُ ، رُنْسَى خَبْرُهُ ، وَزَجَعَ عَنْهُ وَلِيُّهُ وَصَفِيُّهُ ، وَنَدِيمُهُ وَنَسِيبُهُ ، وَتَبَدَّلَ بِهِ قَرِينُهُ
وَحَبِيبُهُ ، فَهُوَ حَشَوِ قَبْرِ ، وَرَهْنُ قَفْرِ ، يَسْعَى بِجِسْمِهِ دُودَ قَبْرِهِ ، وَيَسِيلُ صَدِيدُهُ مِنْ
مَنْخَرِهِ ، يَسْحَقُ تَرْبُهُ لَحْمَهُ ، وَيَنْشَفُ دَمَهُ ، وَيَرُمُّ عَظْمَهُ حَتَّى يَوْمِ حَشْرِهِ ،
فَنَشَرَ مِنْ قَبْرِهِ حِينَ يَنْفَخُ فِي صُورٍ ، وَيُدْعَى بِحَشْرِ وَنُشُورٍ .

فَتَمَّ بَعِثَتْ قُبُورُ ، وَحُصِّلَتْ سَرِيرَةُ صُدُورٍ ، وَجِيءَ بِكُلِّ نَبِيٍّ وَصَدِيقٍ
وَشَهِيدٍ ، وَتَوَحَّدَ لِلْفَصْلِ قَدِيرٌ بَعْدَهُ خَيْرٌ بِصِيرٍ ، فَكَمَّ مِنْ زَفَرَةٍ تَضْيِيهِ ، وَحَسْرَةٍ
تَنْضِيهِ ، فِي مَوْقِفٍ مَهُولٍ ، وَمَشْهَدٍ جَالِيلٍ ، بَيْنَ يَدَيِّ مَلِكٍ عَظِيمٍ ، وَبِكُلِّ صَغِيرٍ
وَكَبِيرٍ عَالِمٍ ، فَخِئْذِلٍ يُلْحِمُهُ عِرْقُهُ ، وَيُحْصِرُهُ قَلْقُهُ ، عَثَرَتْهُ غَيْرُ مَرْحُومَةٍ ، وَصَرَخَتْهُ
غَيْرُ مَسْمُوعَةٍ ، وَحَجَّتْهُ غَيْرُ مَقْبُولَةٍ ، زَالَتْ جَرِيدَتُهُ ، وَنَشَرَتْ صَحِيفَتُهُ ؛ نَظَرَ فِي سُوءِ عَمَلِهِ ،
وَشَهِدَتْ عَلَيْهِ عَيْنُهُ بَنَظْرِهِ ، وَبَدَهُ بَبَاطِشِهِ ، وَرَجُلُهُ بِخَطْوِهِ ، وَفَرْجُهُ بِلَمْسِهِ ، وَجِلْدُهُ
بِمَسِّهِ ، فَسَلْسِلَ جِيدُهُ ، وَغُلَّتْ يَدُهُ ، وَسِيقَ فَسَحَبَ وَحْدَهُ ، فَوَرَدَ جَهَنَّمَ بِكَرْبٍ
وَشِدَّةٍ ، فَظَلَّ يَعْذَبُ فِي جَحِيمٍ ، وَيُسْقَى شَرْبَةً مِنْ حَمِيمٍ ، تَشْوِي وَجْهَهُ ، وَتَسْلَخُ
جِلْدَهُ ، وَتَضْرِبُهُ زَبْنِيَّةٌ بِمَقْمَعٍ مِنْ حَدِيدٍ ، وَيَعُودُ جِلْدُهُ بَعْدَ نُضْجِهِ كَجِلْدٍ جَدِيدٍ ،
يَسْتَفِيثُ فَتَعْرِضُ عَنْهُ خَزَنَةُ جَهَنَّمَ ، وَيَسْتَصْرِخُ فَيَلْبَثُ حَقْبَةً يَنْدَمُ .

نَعُودُ بَرٍّ قَدِيرٍ ، مِنْ شَرٍّ كُلِّ مُصِيرٍ ، وَنَسْأَلُهُ عَفْوَ مَنْ رَضِيَ عَنْهُ ، وَمَغْفِرَةً
مَنْ قَبْلَهُ ، فَهُوَ وَلِيُّ مَسَآئِلِي ، وَمُنْجَحُ طَلَبِي ، فَمَنْ زُخْزَخَ عَنْ تَعَذِيبِ رَبِّهِ جُعِلَ
فِي جَنَّتِهِ بِقُرْبِهِ ، وَخَلَدَ فِي قُصُورٍ مُشِيدَةٍ ، وَمُلْكٍ بِحُورٍ عَيْنٍ وَحَفِيدَةٍ ، وَطِيفَ
عَلَيْهِ بِكُثُوسٍ ، أَسْكَنَ فِي حَظِيرَةِ قُدُّوسٍ ، وَتَقَلَّبَ فِي نَعِيمٍ ، وَسُقِيَ مِنْ تَسْنِيمٍ ،
وَشَرِبَ مِنْ عَيْنِ سَلْسَلِيلٍ ، وَمُزِجَ لَهُ بَزَنْجِيلٍ ، مُحْتَمٍّ بِمَسْكٍ ، وَعَبِيرٍ مُسْتَدِيمٍ لِلْمَلِكِ ،
مُسْتَشْعِرٍ لِلشُّرَرِ ، يَشْرَبُ مِنْ خُورٍ ، فِي رَوْضٍ مُفْدِقٍ ، لَيْسَ يُصَدَّعُ مِنْ شَرِبِهِ ،
وَلَيْذِنٌ يُنْزَفُ .

هَذِهِ مَنْزِلَةٌ مِّنْ خَشْيِ رَبِّهِ، وَحَذَرِ نَفْسِهِ مَعْصِيَتَهُ، وَتِلْكَ عِقُوبَةُ مَنْ جَحَدَ
مَشِيتَتَهُ، وَسَوَّاتٌ لَهُ نَفْسُهُ مَعْصِيَتَهُ، فَهُوَ قَوْلُ فَصْلٍ، وَحُكْمُ عَدْلٍ، وَخَيْرُ قِصَصٍ
قِصَّةٍ، وَوَعظُ نَصٍّ، ﴿تَنْزِيلٌ مِّنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾^(١) نَزَلَ بِهِ رُوحُ قُدُّسٍ مُّبِينٍ،
عَلَى قَلْبِ نَبِيِّ مُّهْتَدٍ رَّشِيدٍ، صَلَّتْ عَلَيْهِ رُسُلُ سَفَرَةٍ، مُكْرَمُونَ بَرَرَةٍ، عُدَّتْ
رَبِّهِ عِلْمٌ، رَّحِيمٍ كَرِيمٍ، مِّنْ شَرِّ كُلِّ عَدُوٍّ لِّعَيْنِ رَّحِيمٍ، فَلْيَتَضَرَّعْ مُتَضَرِّعًا،
وَلْيَتَهَلَّلْ مُبْتَهِلًا، وَلْيَسْتَغْفِرْ كُلُّ مَرْبُوبٍ مِّنْكُمْ لِي وَلَكُمْ، وَحَسْبِيَ رَبِّي وَحْدَهُ.

الْبَيْخُ :

فَصِيلَةُ الرَّجُلِ : رَهْطُهُ الْإِذْنَونُ . وَكَدَحٌ : سَعَى سَعِيًّا فِيهِ تَعَبٌ ، وَفَرَّغَتْهُ : الْوَاحِدَةُ
مِنَ الْفَرَاغِ ، تَقُولُ : فَرَّغْتُ فَرَّغَةً ، كَقَوْلِكَ : ضَرَبْتُ ضَرْبَةً . وَسَجَّى الْمَيْتَ : بَسَطَ
عَلَيْهِ رِداءً . وَنَشَرَ الْمَيْتَ مِنْ قَبْرِهِ بَفَتْحِ النُّونِ وَالشَّيْنِ ، وَأَنْشَرَهُ اللَّهُ تَعَالَى .
وَبُعِثَتْ قُبُورٌ : انْتَثَرَتْ وَنَبِشَتْ .

قَوْلُهُ : « وَسِيقٌ بِسَحْبٍ وَحْدَهُ » ، لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ مَعَهُ غَيْرُهُ كَانَ كَالْمَتَأَسَّى بِغَيْرِهِ ، فَكَانَ
أَخْفَ لَأَلْبِهِ وَعَذَابِهِ ، وَإِذَا كَانَ وَحْدَهُ كَانَ أَشَدَّ أَلَمًا وَأَهْوَلَ ، وَرَوَى « فِسِيقٌ يُسْحَبُ
وَحْدَهُ » ، وَهَذَا أَقْرَبُ إِلَى تَنَاسُبِ الْفَقْرَتَيْنِ ، وَذَاكَ أَنْفَحَ مَعْنَى .

وَزَبْنِيَّةٌ عَلَى وَزْنِ « عِفْرِيَّة » وَاحِدُ الزَّبَانِيَّةِ ، وَهُمْ عِنْدَ الْعَرَبِ الشَّرَطُ ، وَصُمِّيَ بِذَلِكَ
بَعْضُ الْمَلَائِكَةِ لَدَفْعِهِمْ أَهْلَ النَّارِ إِلَيْهَا كَمَا يَفْعَلُ الشَّرَطُ فِي الدُّنْيَا ، وَمِنْ أَهْلِ اللُّغَةِ مَنْ
يَجْعَلُ وَاحِدَ الزَّبَانِيَّةِ زَبَانِيًّا . وَقَالَ بَعْضُهُمْ : زَابَنٌ ، وَمِنْهُمْ مَنْ قَالَ : هُوَ جَمْعٌ لَا وَاحِدَ لَهُ ،
نَحْوُ أَبَايِلَ وَعِبَادِيدَ ، وَأَصْلُ الزَّبْنِ فِي اللُّغَةِ الدَّفْعُ ، وَمِنْهُ نَاقَةُ زَبُونٍ : تَضْرِبُ
حَالِبَهَا وَتَدْفَعُهُ .

وتقول : مَلِكٌ زَيْدٌ بِفُلَانَةٍ بَغِيرَ ، أَلْفَ وَالْبَاءِ هَاهُنَا زَائِدَةٌ كَمَا زِيدَتْ فِي « كَفَى بِاللّهِ حَسِيبًا » ، وَإِنَّمَا حَكَمْنَا بِزِيَادَتِهَا لِأَنَّ الْعَرَبَ تَقُولُ : مَلَكْتُ أَنَا فَلَانَةٌ أَيْ تَزَوَّجْتُهَا وَأَمَلَكْتُ فَلَانَةً بِزَيْدٍ أَيْ زَوَّجْتُهَا بِهِ ، فَلَمَّا جَاءَتْ الْبَاءُ هَاهُنَا وَلَمْ يَكُنْ بُدٌّ مِنْ إِثْبَاتِ الْأَلْفِ لِأَجْلِ مَجِيئِهَا جَعَلْنَاهَا زَائِدَةً ، وَصَارَ تَقْدِيرُهُ : وَمَلَكْتُ حُورًا عَيْنًا .

وَقَالَ الْمَفْسَّرُونَ فِي تَسْنِيمٍ : إِنَّهُ اسْمُ مَاءٍ فِي الْجَنَّةِ ، مُسَمًّى بِذَلِكَ لِأَنَّهُ يَجْرِي مِنْ فَوْقِ الْغُرَفِ وَالْقُصُورِ .

وَقَالُوا فِي سَلْسَبِيلٍ : إِنَّهُ اسْمُ عَيْنٍ فِي الْجَنَّةِ لَيْسَ يُنْزَفُ وَلَا يُخْمَرُ كَمَا يُخْمَرُ شَارِبُ الْخَمْرِ فِي الدُّنْيَا .

انْقَضَى هَذَا الْفَصْلُ ، ثُمَّ رَجَعْنَا إِلَى سَنَنِ الْغَرَضِ الْأَوَّلِ .

الأفضل :

وقال عليه السلام ، لما بلغه إغارة أصحاب معاوية على الأتبار ، فخرج بنفسه ماشياً حتى أتى النخيلة ، وأدركه الناس وقالوا : يا أمير المؤمنين ، نحن نكفيكم فقال عليه السلام :

وَاللّٰهِ مَا تَكْفُونَنِي أَنْفُسَكُمْ ، فَكَيْفَ تَكْفُونَنِي غَيْرَكُمْ ! إِنْ كَانَتْ الرِّعَايَا قَبْلِي لَتَشْكُو حَيْفَ رِعَايَتِهَا ، فَإِنِّي الْيَوْمَ لَأَشْكُو حَيْفَ رِعَايَتِي ، كَأَنِّي الْمَقُودُ وَهُمْ الْقَادَةُ ، أَوْ الْمَوْزُوعُ وَهُمْ الْوَزَاعَةُ .

قال : فلما قال هذا القول في كلام طويل قد ذكرنا مختاراً في جملة الخطب ، تقدم إليه رجلان من أصحابه ؛ فقال أحدهما : ﴿ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي ﴾ ^(١) ، فمرنا بأمرِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ نُنْفِذُ ^(٢) ، فقال : وَأَيْنَ تَقَعَانِ مِمَّا أُرِيدُ !

الشرح :

السنن : الطريقة ، يقال : تنحَّ عن السنن ، أى عن وجه الطريق . والنخيلة : بظاهر الكوفة ، وروى « ماتكفونى » بحذف النون .

والحيف : الظلم .

والوزاعة : جمع وازع ، وهو الدافع للكاف .

ومعنى قوله : « ماتكفونى أنفسكم » ، أى أفعالكم رديئة قبيحة تحتاج إلى جند غيركم

(٢) فى الأصل : « ننفذ » ، تصحيف .

(١) سورة المائدة : ٢٥

أستعين بهم على تثقيفكم وتهذيبكم ، فمن هذه حاله كيف أثقف به غيره ، وأهذب به سواه !

وإن كانت الرعايا : إن هاهنا مخففة من الثقيلة ، ولذلك دخلت اللام في جوابها .
وقد تقدّم ذكرنا هذين الرجلين ، وإن أحدهما قال : يا أمير المؤمنين ؛ أقول لك ما قاله العبد الصالح : (ربّ إني لأملِكُ إلاّ نفسي وأخي)^(١) . فشكر لهما وقال : وأين تقعان مما أريد !

الأضل :

وَقِيلَ : إِنَّ الْخَارِثَ بْنَ حَوْطٍ أَتَى عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ لَهُ : أَتُرَانِي أُظُنُّ أَنَّ أَصْحَابَ الْجَمَلِ كَانُوا عَلَى ضَلَالَةٍ ؟
فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

يَا حَارِ ، إِنَّكَ نَظَرْتَ تَحَنُّكَ ، وَلَمْ تَنْظُرْ فَوْقَكَ ، فَحِرْتَ ؛ إِنَّكَ لَمْ تَعْرِفِ الْحَقَّ فَتَعْرِفِ أَهْلَهُ ؛ وَلَمْ تَعْرِفِ الْبَاطِلَ فَتَعْرِفَ مَنْ أَتَاهُ .
فَقَالَ الْخَارِثُ :

فَإِنِّي أُعْتَزِلُ مَعَ سَعْدِ بْنِ مَالِكٍ وَعَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ .
فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

إِنَّ سَعْدًا وَعَبْدَ اللَّهِ بْنَ عُمَرَ لَمْ يَنْصُرَا الْحَقَّ ، وَلَمْ يَخْذُلَا الْبَاطِلَ .

الشَّنْحُ :

اللفظة التي وردت قبل أحسن من هذه اللفظة ، وهي أولئك قومٌ خَذَلُوا الْحَقَّ وَلَمْ يَنْصُرُوا الْبَاطِلَ ، وتلك كانت حالهم ، فإنهم خَذَلُوا عَالِيًا وَلَمْ يَنْصُرُوا مُعَاوِيَةَ وَلَا أَصْحَابَ الْجَمَلِ .
فأمَّا هذه اللفظة ففيها إشكالٌ ؛ لأنَّ سَعْدًا وَعَبْدَ اللَّهِ لَعَمْرِي لِنِهَا لَمْ يَنْصُرَا الْحَقَّ ، وهو جانبُ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، لَكِنَّمَا خَذَلَا الْبَاطِلَ ، وهو جانبُ مُعَاوِيَةَ وَأَصْحَابِ الْجَمَلِ ، فَإِنَّهُمْ لَمْ يَنْصُرُوهُمْ فِي حَرْبٍ قَطَّ ، لَا بَأَنفُسِهِمْ وَلَا بِأَمْوَالِهِمْ وَلَا بِأَوْلَادِهِمْ ، فَيَنْبَغِي

أن تتأول كلامه فنقول : إنه ليس يعنى بالخذلان عدم المساعدة في الحرب ، بل يعنى بالخذلان هاهنا كل ما أثر في تحق الباطل وإزالته ، قال الشاعر يصف فرسا :

وهو كالدَّلْوِ بكفٍّ المُستَقِي خذلت عنه العراقى فأُنْجَذَمَ

أى بآينته العراقى ، فلما كان كل مؤثر في إزالة شيء مباحنا له نقل اللفظ بالأشتراك في الأمر العام إليه ، ولما كان سعد وعبد الله لم يقوموا خطيبين في الناس يعلمانهم باطل معاوية وأصحاب الجمل ، ولم يكشفوا اللبس والشبهة الداخلة على الناس في حرب هذين الفريقين ، ولم يوضحا وجوب طاعة على عليه السلام فيرد الناس عن اتباع صاحب الجمل وأهل الشام صدق عليهما أنهما لم يخذلا الباطل . ويمكن أن يتأول على وجه آخر ، وذلك أنه قد جاء خذلت الوحشية إذا قامت على ولدها ، فيكون معنى قوله : « ولم يخذلا الباطل » ، أى لم يقيما عليه وينصراه ، فترجع هذه اللفظة إلى اللفظة الأولى ، وهى قوله : « أولئك قوم خذلوا الحق ولم ينصروا الباطل » .

والحارث بن حوط بالحاء المهملة . ويقال : إن الموجود في خط الرضى « ابن حوط »

بالحاء المعجمة المضمومة .

الأضد :

صَاحِبُ السُّلْطَانِ كَرَاكِبِ الْأَسَدِ يُغْبِطُ بِمَوْقِعِهِ ، وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَوْضِعِهِ .

البُنيخ :

قد جاء في صُحْبَةِ السُّلْطَانِ أمثال حِكْمِيَّةٌ مُستَحْسَنَةٌ تُنَاسِبُ هَذَا الْمَعْنَى ، أَوْ تَجَرِي نَحْوَهُ فِي شَرْحِ حَالِ السُّلْطَانِ ، نَحْوُ قَوْلِهِمْ : صَاحِبُ السُّلْطَانِ كَرَاكِبِ الْأَسَدِ يَهَابُهُ النَّاسُ ، وَهُوَ لَمْزُ كُوبِهِ أَهْيَبُ .

وكان يقال : إِذَا صَحِبْتَ السُّلْطَانَ فَلتَكُنْ مُدَارَاتِكَ لَهُ مُدَارَاةَ الْمَرْأَةِ الْقَبِيحَةِ كَبْعَلِهَا الْمُبْغِضُ لَهَا ، فَإِنَّهَا لَا تَدَعُ التَّصَنُّعَ لَهُ عَلَى حَالٍ .
قِيلَ لِلْعَتَّابِيِّ : لِمَ لَا تَقْصِدُ الْأَمِيرَ ؟ قَالَ : لِأَنِّي أَرَاهُ يُعْطَى وَاحِدًا لِفَيْرِ حَسَنَةٍ وَلَا يَدِي ، وَيَقْتُلُ آخَرَ بِلا سَيِّئَةٍ وَلَا ذَنْبٍ ، وَلَسْتُ أَدْرِي أَيُّ الرَّجُلَيْنِ أَكُونُ ! وَلَا أَرْجُو مِنْهُ مَقْدَارَ مَا أُخَاطِرُ بِهِ .

وكان يقال : الْعَاقِلُ مَنْ طَلَبَ السَّلَامَةَ مِنْ عَمَلِ السُّلْطَانِ ، لِأَنَّهُ إِنْ عَفَّ جَنَى عَلَيْهِ الْعِقَافَ عِدَاوَةَ الْخَاصَّةِ ، وَإِنْ بَسَطَ يَدَهُ جَنَى عَلَيْهِ الْبَسْطَ أَلْسِنَةَ الرَّعِيَّةِ .
وكان سعيدُ بْنُ حُمَيْدٍ يَقُولُ : عَمَلُ السُّلْطَانِ كَالْحَمَامِ ، الْخَارِجُ يُؤْثِرُ الدُّخُولَ ، وَالِدَاخِلُ يُؤْثِرُ الْخُرُوجَ .

ابن المقفع : إقبالُ السُّلْطَانِ عَلَى أَصْحَابِهِ تَعَبٌ ، وَإِعْرَاضُهُ عَنْهُمْ مَذَلَّةٌ .

وقال آخر : السلطان إن أرضيته أتعبك ، وإن أغضبتك أعطبك .

وكان يقال : إذا كنت مع السلطان فكُنْ حَذِراً منه عند تقريره ، كاتماً لِسِرِّهِ إذا استَسَرَكَ ، وأميناً على ما أئتمنك ، تشكراً له ولا تكلفه الشُّكر لك ، وتعلماً وكأنك تتعلم منه ، وتؤدبه وكأنه يؤدُّبك ، بصيراً بهواه ، مؤثراً لمنفعتك ، ذليلاً إن ضامك ، راضياً إن أعطاك ، قانعاً إن حرَمَكَ ، وإلاً فأبعدْ منه كلَّ البُعد .

وقيل لبعض من يخدم السلطان : لا تصحبهم ، فإن مثلهم مثل قِدرِ التُّنور ، كلما مَسَّه الإنسانُ اسودَّ منه ، فقال : إن كان خارج تلك القِدرِ أسود فداخلها أبيض .
وكان يقال : أفضل ما عوَّش به المُلوك قلة الخِلاف ، وتخفيف المِثونة .

وكان يقال : لا يقدر على صُحبة السلطان إلا من يستقل بما حمله ، ولا يلحف إذا سألهم ، ولا يفتّر بهم إذا رَضُوا عنه ، ولا يتغيّر لهم إذا سَخَطُوا عليه ، ولا يطغى إذا سَلَطوه ، ولا يبَطّر إذا أكرَموه .

وكان يقال : إذا جعلك السلطانُ أخاً فأجعله ربّاً ، وإن زادك فزده .

وقال أبو حازم : للسلطان كُحل يكحل به مَنْ يُولِّيه ، فلا يبصر حتى يُعزل .

وكان يقال : لا ينبغي لصاحب السَّاطن أن يبتدئه بالمسألة عن حاله ، فإن ذلك من كلام النَوَكِيِّ ^(١) وإذا أردت أن تقول : كيف أصبح الأمير ؟ فقل : صَبَحَ اللهُ الأميرَ بالكرامة ، وإن أردت أن تقول : كيف يَجِدُ الأميرُ نفسه ، فقل : وَهَبَ اللهُ الأميرَ العافية ؛ ونحو هذا ، فإن المسألة توجب الجواب ، فإن لم يُجِبْكَ اشتدَّ عليك ، وإن أجابك اشتدَّ عليه .

وكان يقال : صُحبةُ المُلوكِ بغير أدبٍ كركوبِ الفلاةِ بغير ماء .

وكان يقال : ينبغي لمن صحب السلطان أن يستعدّ للعذر عن ذنب لم يجنبه، وأن يكون آنس ما يكون به ، أوحش ما يكون منه .

وكان يقال : شدة الأقباض من السلطان تورث التهمة ، وسهولة الانبساط إليه تورث الملالة .

وكان يقال : اصحب السلطان بإعمال الخذر ، ورفض الدالة ، والاجتهاد في النصيحة ، وليكن رأس مالك عنده ثلاث : الرضا ، والصبر ، والصدق .

وأعلم أن لكل شيء حداً ، فما جاوزه كان سرفاً ، وما قصر عنه كان عجزاً ، فلا تبغ بك نصيحة السلطان أن تعادي حاشيته خاصة وأهله ، فإن ذلك ليس من حمة عليك ، وليكن أقصى لحقه عنك ، وأدعى لاستمرار السلامة لك بأن تستصلح أولئك جهدك ، فإنك إذا فعلت ذلك شكرت نعمته ، وأمنت سطوته ، وقللت عدوك عنده ، وإذا جاريت عند السلطان كفواً من أكفائك فلتكن مجاراتك ومباراتك إياه بالحجة ، وإن عَصَوك ^(١) ، وبالرفق وإن خرف بك . واحذر أن يستلحك فتحمي ، فإن الغضب يُعَمِّي عن الفرصة ، ويقطع عن الحجة ، ويظهر عليك الخضم ، ولا تتورذن على السلطان بالدالة وإن كان أخاك ، ولا بالحجة وإن وثقت أنها لك ، ولا بالنصيحة وإن كانت له دونك ، فإن السلطان يعرض له ثلاثٌ دون ثلاث : القدرة دون الكرم ، والحمية دون النصفة ؛ واللجاج دون الخط .

(١) عَصَوك : كذبك .

الْأَضْلُ :

أَحْسِنُوا فِي عَقِبِ غَيْرِكُمْ تَحْفَظُوا فِي عَقِبِكُمْ .

الشَّيْخُ :

أكثر ما في هذه الدنيا يقع على سبيل القرض والمكافاة ، فقد رأينا عياناً من ظلم الناس فظلم عقبه وولده ، ورأينا من قتل الناس فقتل عقبه وولده ، ورأينا من أخرج دُوراً فأخرجت دأره ، ورأينا من أحسن إلى أعقاب أهل النعم فأحسن الله إلى عقبه وولده .

وقرأت في تاريخ أحمد بن طاهر^(١) أن الرشيد أرسل إلى يحيى بن خالد وهو في محبسه يقرّعه بذنوبه ، ويقول له : كيف رأيت ! ألم أخرج دارك ؟ ألم أقتل ولدك جعفراً ؟ ألم أنهب مالك ؟ فقال يحيى للرسول : قل له : أما إخراجك داري فستخرج دارك ، وأما قتلك ولدي جعفراً فسيقتل ولدك محمد ، وأما نهبك مالي فسينهب مالك وخزانتك . فلما عاد الرسول إليه بالجواب وجم طويلاً وحزن ، وقال : والله ليسكونن ما قال ، فإنه لم يقل لي شيئاً قط إلا ، وكان كما قال ؛ فأخرجت^(٢) داره - وهي الخلد - في حصار بغداد ، وقتل ولده محمد ، ونهب ماله ، وخزانتة نهبها طاهر بن الحسين .

(١) هو أحمد بن طاهر صاحب تاريخ بغداد

(٢) ١ : « خرجت »

الأفضل :

إنَّ كَلامَ الحُكَمَاءِ إِذَا كَانَ صَوَابًا كَانَ دَوَاءً ، وَإِذَا كَانَ خَطَأً كَانَ دَاءً .

البنرج :

كلّ كلام يقلّد المتكلّم به لحسن عقيدةِ الناس فيه نحو كلام الحكماء وكلام الفضلاء والعلماء من الناس إذا كان صواباً كان دواءً ، وإذا كان خطأً كان داءً ، لأنّ الناس يتحدّون حدّوا المتكلّم به ، ويقلّدونه فيما يتضمّن ذلك الكلام من الاداب والأوامر والنّواهي ، فإذا كان حقّاً أفلحوا ، وحصل لهم الثّواب واتباع الحقّ ، وكانوا كالدّواء المبرّئ للسمّ ، وإذا كان ذلك الكلام خطأً واتبعوه خسروا^(١) ولم يفلحوا ، فكان بمنزلة الداء والمرّض .

(١) : « خسروا ذلك » .

الأضل :

وقال عليه السلام حين سألَهُ رَجُلٌ أَنْ يُعَرِّفَهُ ما الإيمانُ ، فقال :
 إِذَا كَانَ غَدٌ فَأَتَيْتَنِي حَتَّى أَخْبِرَكَ عَلَى أَسْمَاعِ النَّاسِ ، فَإِنْ نَسِيتَ مَقَالَتِي حِفْظَهَا
 عَلَيْكَ غَيْرُكَ ، فَإِنَّ الْكَلَامَ كَالشَّارِدَةِ يَثْقَفُهَا هَذَا وَيُخْطِئُهَا هَذَا .
 قال : وقد ذكرنا ما أجابه به عليه السلام فيما تقدّم من هذا الباب ، وهو قوله :
 « الإيمانُ على أربع شعب »

الْبَنْج :

يقول : إِذَا كَانَ غَدٌ فَأَتَيْتَنِي فَتَكُونُ « كان » ها هنا تامة ، أى إِذَا حَدَثَ وَوُجِدَ ،
 وتقول : إِذَا كَانَ غَدًا فَأَتَيْتَنِي فَيَكُونُ النصب باعتبار آخر ، أى إِذَا كَانَ الزمان غداً ،
 أى موصوفاً بأنه من الغد ؛ ومن النحويين من يقدّره : إِذَا كَانَ الْكَوْنُ غَدًا ؛ لأنّ الفعل
 يدلّ على المصدّر ، والكَوْنُ هو التجدد والحدوث .

وقائل هذا القول يُرَجِّحه على القول الآخر ، لأنّ الفاعل عندهم لا يُحذف إلّا إِذَا كَانَ
 فى الكلام دليلٌ عليه .

ويثقفها : يجهدها ؛ ثَقِفْتُ كذا بالكسر ، أى وجدته وصادفته .

والشاردة : الضالة .

الأفضل :

يَا بَنَى آدَمَ ، لَا تَحْمِلْ هَمَّ يَوْمِكَ الَّذِي لَمْ يَأْتِكَ عَلَى يَوْمِكَ ، الَّذِي قَدْ أَتَاكَ ،
فَإِنَّهُ إِنْ يَكُنْ مِنْ عُمْرِكَ يَأْتِ اللَّهُ فِيهِ بِرِزْقِكَ .

الشرح :

قد تقدّم هذا الفصل بتمامه . واعلم أن كل ما ادّخرته مما هو فاضل عن قوتك
فإنما أنت فيه خازنٌ لغيرك .

وخلاصة هذا الفصل النهي عن الحرص على الدنيا والاهتمام لها ، وإعلام الناس
أن الله تعالى قد قسم الرزق لكل حيٍّ من خلقه ، فلو لم يتكلف الإنسان فيه لأتاه
رِزقه من حيث لا يحتسب .

وفي المثل : يارزاق البغاث^(١) في عُشه .

وإذا نظر الإنسان إلى الدودة المكنونة داخل الصخرة كيف تُرزق
علم أن صانع العالم قد تكفل لكل ذي حياة بمادةٍ تقسيم حياته إلى
انقضاء عُمره .

(١) البغاث : صفار الطير .

الأضل :

أَحِبُّ حَبِيبِكَ هَوْنًا مَا، عَسَى أَنْ يَكُونَ بَغِيضُكَ يَوْمًا مَا، وَأَبْغَضُ بَغِيضِكَ هَوْنًا مَا، عَسَى أَنْ يَكُونَ حَبِيبُكَ يَوْمًا مَا.

الشَّرْحُ :

الهون بالفتح : التآنى، والبغيض : المبغض .

وخلاصةُ هذه الكلمة . النهى عن الإسراف فى المودة والبغضة ؛ فربما انقلب من تودّ فصار عدوًا ، وربما انقلب من أُماديه فصار صديقًا .

وقد تقدّم القولُ فى ذلك على أتمّ ما يكون .

وقال بعضُ الحكماء : توقّ الإفراطَ فى المحبة ، فإن الإفراطَ فيها دايع إلى التّقصير منها ، ولأنّ تكونَ الحالِ بينك وبين حبيبك ناميةً أولى من أن تكونَ مُتناهيةً . ومن كازم عمر : لا يكن حبُّك كلفًا ، ولا بغضُك تَلَفًا .

وقال الشاعر :

وأحِبُّ إِذَا أَحْبَبْتَ حُبًّا مَقَارِبًا فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ نَازِعُ !
وأَبْغَضُ إِذَا أَبْغَضْتَ غَيْرَ مُبَايِنٍ ^(١) فَإِنَّكَ لَا تَدْرِي مَتَى أَنْتَ رَاجِعُ !
وقال عديُّ بنُ زيد :

وَلَا تَأْمَنْ مِنْ مُبْغِضٍ قَرَبَ دَارِهِ وَلَا مِنْ مُحِبٍّ أَنْ يَمْلَأَ فَيْعِدَا

(١) مبين : مفارق .

الأضل :

النَّاسُ فِي الدُّنْيَا عَامِلَان :

عَامِلٌ فِي الدُّنْيَا لِلدُّنْيَا ، قَدْ شَفَلَتْهُ دُنْيَاهُ عَنْ آخِرَتِهِ ، يَخْشَى عَلَى مَنْ يُخَلِّفُ الْفَقْرَ ، وَيَأْمَنُهُ عَلَى نَفْسِهِ ، فَيُفْنِي عُمُرَهُ فِي مَنَفَعَةٍ غَيْرِهِ .

وَعَامِلٌ عَمِلَ فِي الدُّنْيَا لِمَا بَعْدَهَا ، فَجَاءَهُ الَّذِي لَهُ مِنَ الدُّنْيَا بِغَيْرِ عَمَلٍ ، فَأَحْرَزَ الْحِظَّ مَعًا ، وَمَلَكَ الدَّارَيْنِ جَمِيعًا ، فَأَصْبَحَ وَحِيدًا عِنْدَ اللَّهِ ؛ لَا يَسْأَلُ اللَّهَ حَاجَةً فَيَمْنَعَهُ .

الشرح :

معنى قوله : « وَيَأْمَنُهُ عَلَى نَفْسِهِ » ، أى ولا يبالي أن يكون هو فقيرا ، لأنه يعيش عيشَ الفقراء وإن كان ذا مالٍ ، لكنه يدّخر المال لولده فيفني عمره في منفعة غيره . ويجوز أن يكون معناه إنه لكثرة ماله قد أمن الفقر على نفسه مادام حيا ، ولكنه لا يأمن الفقر على ولده لأنه لا يثق من ولده بحسن الاكتساب كما وثق من نفسه ، فلا يزال في الاكتساب والازدياد منه لمنفعة ولده الذى يخاف عليه الفقر بعد موته .

فأما العامل في الدنيا لما بعدها فهم أصحابُ العبادة ، يأتيهم رزقهم بغير اكتساب ولا كدٍ ، وقد حصلت لهم الآخرة ، فقد حصل لهم الحظان جميعا .

الأصل :

وَرَوَى أَنَّهُ ذَكَرَ عِنْدَ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فِي أَيَّامِهِ حَلْيُ الْكَعْبَةِ وَكَثْرَتُهُ ،
فَقَالَ قَوْمٌ : لَوْ أَخَذْتَهُ فَجَهَّزْتَهُ بِهِ جِيوشَ الْمُسْلِمِينَ ، كَانَ أَعْظَمَ لِلْأَجْرِ ، وَمَا تَصْنَعُ
الْكَعْبَةُ بِالْحَلْيِ ! فَهَمَّ عُمَرُ بِذَلِكَ ، وَسَأَلَ عَنْهُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، فَقَالَ : إِنَّ
هَذَا الْقُرْآنَ أَنْزَلَ عَلَى مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَالْأَمْوَالُ أَرْبَعَةٌ ، أَمْوَالُ
الْمُسْلِمِينَ ، فَقَسَمَهَا بَيْنَ الْوَرَثَةِ فِي الْفَرَائِضِ ، وَالْفَيْءِ فَقَسَمَهُ عَلَى مُسْتَحِقِّيهِ ،
وَالْخُمْسُ فَوَضَعَهُ اللَّهُ حَيْثُ وَضَعَهُ ، وَالصَّدَقَاتُ فَجَعَلَهَا اللَّهُ حَيْثُ جَعَلَهَا ، وَكَانَ
حَلْيُ الْكَعْبَةِ فِيهَا يَوْمَئِذٍ ، فَتَرَكَهُ اللَّهُ عَلَى حَالِهِ ، وَلَمْ يَثْرِكْهُ نِسْيَانًا ، وَلَمْ يَخَفْ
عَنْهُ مَكَانًا ، فَأَقْرَهُ حَيْثُ أَقْرَهُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : لَوْلَاكَ لَا فَتَضَحْنَا ،
وَتَرَكَ الْحَلْيَ بِحَالِهِ .

الشُّنْحُ :

هذا استدلال صحيح ، ويمكن أن يورد على وجهين :

أحدهما أن يقال : أصلُ الأشياءِ الحُظْرُ والتحريم كما هو مذهب كثيرٍ من أصحابنا
البغداديين ؛ فلا يجوز التصرف في شيء من الأموال والمنافع إلا بإذن شرعي ؛ ولم يوجد
إذن شرعي في حَلْيِ الْكَعْبَةِ ، فبقينا فيه على حُكْمِ الْأَصْلِ .

والوجه الثاني أن يقال : حَلْيُ الْكَعْبَةِ مالٌ مختصٌّ بالكعبة ؛ هو جَارٌ يَجْرَى سُتُورُ
الْكَعْبَةِ ، وَجَرَى بَابُ الْكَعْبَةِ ، فكما لا يجوز التصرف في سُتُورِ الْكَعْبَةِ وبابها

إلا بنصّ فكذلك حَلَى الكعبة ، والجامع بينهما الاختصاص الجاعلُ كلَّ واحد من ذلك كالجزء من الكعبة ، فعَلَى هذا الوجه يَنْبَغِي أن يكون الاستدلالُ .

ويجب أن يُحْمَلُ كلامُ أميرِ المؤمنين عليه السلام عليه ، وألّا يُحْمَلُ على ظاهره لأنّ لمُعْتَرِضٍ أن يعترض استدلاله إذا حل على ظاهره ، بأن يقول : الأموالُ الأربعة التي عدّها إنما قَسَمَهَا اللهُ تعالى حيث قَسَمَهَا لأنّها أموالٌ متكرّرة بتكرّر الأوقات على مرّ الزمان ، يَذْهَبُ الموجودُ منها ويَخْلُفُهُ غيرُهُ ، فكان الاعتناء بها أكثر ، والاهتمامُ بوجوه متصرّفها أشدّ ، لأنّ حاجات الفقراء والمساكين وأمثالهم من ذَوِي الاستحقاق كثيرة ومتجدّدة بتجدّد الأوقات ، وليس كذلك حَلَى الكعبة ، لأنّه مال واحدٌ باقٍ غير متكرّر ، وأيضا فهو شيء قليلٌ يسير ، ليس مثله ممّا يقال : يَنْبَغِي أن يكون الشارِعُ قد تعرّض لوجوه مصرفه حيث تعرّض لوجوه مصرف الأموال ، فافترق الموضعان .

الأُضْلُ :

رَوَى أَنَّهُ رُفِعَ إِلَيْهِ رَجُلَانِ سَرَقَا مِنْ مَالِ اللَّهِ ، أَحَدُهُمَا عَبْدٌ مِنْ مَالِ اللَّهِ ،
وَالْآخَرُ مِنْ عُرْضِ النَّاسِ ، فَقَالَ : أَمَّا هَذَا فَهُوَ مِنْ مَالِ اللَّهِ فَلَا حَدَّ عَلَيْهِ ، مَالُ اللَّهِ
أَكَلَ بَعْضُهُ بَعْضًا ، وَأَمَّا الْآخَرُ فَعَلَيْهِ الْحَدُّ الشَّدِيدُ ، فَقَطَعَ يَدَهُ .

الشَّرْحُ :

هذا مذهب الشيعة أنَّ عبد المغنم إذا سَرَقَ من المغنم لم يُقَطَّع ، فأما العبد الغريبُ
إذا سَرَقَ من المغنم فإنه يُقَطَّع إذا كان ما سَرَقَهُ زائدا عما يَسْتَحِقُّهُ من الغنيمة بمقدار
النَّصَاب الَّذِي يَجِبُ فِيهِ الْقَطْعُ ، وهو رُبْعُ دينار ، وكذلك الْحُرُّ إذا سَرَقَ من المغنم
حُكْمُهُ هَذَا الْحُكْمَ بَعَيْنِهِ ، فَوَجَبَ أَنْ يُحْمَلَ كَلَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى أَنَّ الْعَبْدَ الْمُقَطَّوعَ
قَدْ كَانَ سَرَقَ من المغنم ما هو أَزِيدُ مِنْ حَقِّهِ من الغنيمة بمقدارِ النَّصَابِ الْمَذْكُورِ
أَوْ أَكْثَرَ .

فَأَمَّا الْفُقَهَاءُ فَإِنَّهُمْ لَا يُوجِبُونَ الْقَطْعَ عَلَى مَنْ سَرَقَ مِنْ مَالِ الْغَنِيْمَةِ قَبْلَ قِسْمَتِهَا ،
سِوَا مَا سَرَقَهُ أَكْثَرَ مِنْ حَقِّهِ أَوْ لَمْ يَكُنْ ، لِأَنَّ مُحَالَطَةَ حَقِّهِ وَمُزَاجَتَهُ لِلْمَسْرُوقِ
شُبْهَةٌ فِي الْجُمْلَةِ تَمْنَعُ مِنْ وَجُوبِ الْقَطْعِ ، هَذَا إِنْ كَانَ لَهُ حَقٌّ فِي الْغَنِيْمَةِ بِأَنْ يَكُونَ شَهِدَ
الْقِتَالِ بِإِذْنِ سَيِّدِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ وَكَانَ لِسَيِّدِهِ فِيهَا حَقٌّ لَمْ يُقَطَّعْ أَيْضًا لِأَنَّ حِصَّةَ
سَيِّدِهِ الْمُسَاعَاةَ شُبْهَةٌ تَمْنَعُ مِنْ قَطْعِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَشْهَدْ الْقِتَالَ ^(١) وَلَا شَهِدَهُ سَيِّدُهُ وَسَرَقَ مِنْ
الْغَنِيْمَةِ قَبْلَ الْقِسْمَةِ مَا يَجِبُ فِي مِثْلِهِ الْقَطْعُ وَجَبَ عَلَيْهِ الْقَطْعُ .

الأفضل :

لَوْ قَدْ أُسْتَوَتْ قَدَمَايَ مِنْ هَذِهِ الْمَدَاحِضِ لَعَبَّرْتُ أَشْيَاءَ

الشرح :

لسنا نشك أنه كان يذهب في الأحكام الشرعية والقضايا إلى أشياء يخالف فيها أقوال الصحابة ، نحو قطعه السارق من رؤوس الأصابع ، وبيع أمهات الأولاد ، وغير ذلك ، وإنما كان يمتنع من تغيير أحكام من تقدمه اشتغاله بحرب البغاة والخوارج ، وإلى ذلك يشير بالمداحض التي كان يؤمل استواء قدميه منها ، ولهذا قال لقضاته : « اقصوا كما كنتم تقضون حتى يكون للناس جماعة » ، فلفظة « حتى » - ها هنا مؤذنة بأنه فسح لهم في اتباع عاداتهم في القضايا والأحكام التي يعهدونها إلى أن يصير للناس جماعة ، وما بعد « إلى » و « حتى » ينبئ أن يكون مخالفا لما قبلهما .

فأما أصحابنا فيقولون : إنه كان فيما يحاول أن يحكم بين الناس مجتهدا ، ويجوز لغيره من المجتهدين مخالفته .

والإمامية تقول : ما كان يحكم إلا عن نص وتوقيف ، ولا يجوز لأحد من الناس مخالفته .

والقول في صحة ذلك وفساده قرع من فروع مسألة الإمامة^(١) .

(١) د : « الإمامية » .

الأصل :

اعلموا علماً يقيناً أن الله لم يجعل للعبد وإن عظمت حيلته ، واشتدت طلبته ، وقوت مكيده ، أكثر مما سُمي له في الذكر الحكيم ، ولم يحل بين العبد في ضعفه وقلة حيلته ، وبين أن يبلغ ما سُمي له في الذكر الحكيم . والعارف لهذا ، العامل به ؛ أعظم الناس رحمة في منفعته ؛ والتارك له ، الشاك فيه ، أعظم الناس شغلاً في مضرته .

ورب منعم عليه مستدرج بالنعمة ، ورب مبتلي مصنوع له بالبلوى . فزِدْ أيها المستمع في شكرك ، وقصر من مجلتك ، وقف عند منتهى رزقك .

الشرح :

قد تقدم القول في الحرص والجشع وذمهما وذم الكادح في طلب الرزق ، ومذم القناعة والاعتصار ، ونذكر هنا طرفاً آخر من ذلك . قال بعض الحكماء : وجدت أطول الناس غماً الحسود ، وأهنأهم عيشاً القنوع ، وأصبرهم على الأذى الحريص ، وأخفهم عيشاً أرفضهم للدنيا ، وأعظمهم ندماً العالم المفرط .

وقال عمر : الطمع قفر ، واليأس غنى ، ومن يئس مما عند الناس استغنى عنهم .

وقيل لبعض الحكماء : ما الغنى ؟ قال : قلةُ تمنّيك ، ورضاكَ بما يكفّيك . ولذلك قيل : العيشُ ساعاتُ تمرّ ، وخطوبُ تكثُر .

وقال الشاعر :

اقنعْ بِعَيْشِكَ تَرْضَاهُ وَاتركْ هَوَاكَ وَأَنْتَ حُرٌّ
فَلَرُبَّ حَتَفٍ فَوْقَهُ ذَهَبٌ وَيَاقُوتٌ وَدُرٌّ

وقال آخر :

إِلَى مَتَى أَنَا فِي حِلٍّ وَتَرَحَّالٍ مِنْ طَوْلِ سَعْيٍ وَإِدْبَارِ وَإِقْبَالٍ
وَنَازِحِ الدَّارِ لَا أَنْفَكَ مَغْتَلِبَا عَنْ الْأَحْبَةِ لَا يَذْرُونَ مَا حَالِي
بِمَشْرِقِ الْأَرْضِ طَوْرًا أَوْ مَغْرِبِهَا لَا يَخْطُرُ الْمَوْتُ مِنْ حِرْصٍ عَلَى بَالِي
وَلَوْ قَنَعْتُ أَنَا فِي الرِّزْقِ فِي دَعَا إِنَّ الْقُنُوعَ الْغِنَى لَا كَثْرَةُ الْمَالِ

وجاء في الخبر المرفوع : « أَجْلُوا فِي الطَّلَبِ ، فَإِنَّهُ لَيْسَ لِعَبْدٍ إِلَّا مَا كُتِبَ لَهُ ، وَلَنْ يَخْرُجَ عَبْدٌ مِنَ الدُّنْيَا حَتَّى يَأْتِيَهُ مَا كُتِبَ لَهُ فِي الدُّنْيَا وَهِيَ رَاغِمَةٌ » .

الأضل :

لا تَجْعَلُوا عِلْمَكُمْ جَهْلًا ، وَبَيِّنَكُمْ شَكًّا ؛ إِذَا عَلِمْتُمْ فاعْمَلُوا ، وَإِذَا تَبَيَّنْتُمْ فَأَقْدِمُوا .

الشرح :

هذا ^(١) نهى العلماء عن ترك العمل ؛ يقول : لا تجعلوا علمكم كالجهل ، فإن الجاهل قد يقول : جهلت فلم أعمل ، وأنتم فلا عذر لكم ، لأنكم قد علمتم وانكشف لكم سرُّ الأمر ، فوجب عليكم أن تعملوا ، ولا تجعلوا علمكم جهلاً ، فإن من ^(٢) علم النفعة في أمرٍ ولا حائل بينه وبينه ثم لم يأتِه كان سفيهاً .

الأضل :

الطَّمْعُ مُورِدٌ غَيْرُ مُصْدِرٍ ، وَضَامِنٌ غَيْرُ وَفِيٍّ ، وَرُبَّمَا شَرِبَ الْمَاءَ
قَبْلَ رِيِّهِ ، وَكَلَّمَا عَظُمَ قَدْرُ الشَّيْءِ الْمُتَنَافِعِ فِيهِ عَظُمَتِ الرِّزْيَةُ لِنَقْدِهِ ، وَالْأَمَانِي
تُغْنِي أَعْيُنَ الْبَصَائِرِ ، وَالْحِظُّ يَأْتِي مَنِ لَا بَأْسَ بِهِ

الْبَرْخُ :

قد تقدم القول في هذه المعاني كلها .

وقد ضرب الحكماء مثالا لفرط الطمع ، فقالوا : إن رجلا صادَ قُبْرَةً فقالت : ما تريد
أن تصنع بي ؟ قال : أذبحك وآكلُك ؛ قالت : والله ما أشقى من قرَم ، ولا أشيع من
جُوع ، ولكنني أعلمك ثلاث خصالٍ هنَّ خيرٌ لك من أكلِي ؛ أما واحدة فأعلمك
إياها وأنا في يدك ، وأما الثانية فإذا صيرتُ على الشجرة ، وأما الثالثة فإذا صرتُ على
الجليل . فقال : هاتي الأولى ؛ قالت : لا تلَهفنَّ على ما فات ، نخلًا ها ، فلما صارت على
الشجرة قال : هاتي الثانية ، قالت : لا تُصدِّقنَّ بما لا يكون أنه يكون ، ثم طارت ،
فصارت على الجبل ؛ فقالت : يا شقيّ لو ذُبَحْتَنِي لأَخْرَجْتَ من حَوْصَلَتِي دُرَّتَيْنِ وَزَنُّ
كلِّ واحدةٍ ثلاثون مثقالاً ، فعَضَّ على يديه وتلَهَفَ تلَهَفا شديدا ؛ وقال : هاتي الثالثة ؛
فقالت : أنت قد أنسيتَ الاثنتين ، فما تصنع بالثالثة ، ألم أقل لك : لا تلَهفنَّ على ما فات

وقد تَلَهَّفت ، وألم أقل لك لا تصدِّق بما لا يكون أنه يكون . وأنا وَلَحِمِي وَدَمِي
وَرِيشِي لا يكون عشرين مثقالا ، فكيف صدقت أن في حَوْصَلَتِي درتين كلَّ
واحدة منهما ثلاثون مثقالا ! ثم طارت وذهبت .

وقوله : وربما شَرِقَ شاربُ الماء قَبْلَ رِيَّةٍ ، كلامٌ فصيح ، وهو مَثَلٌ لمن
يُخْتَرَمُ ^(١) بَفْتَةٍ أو تَطَرُّقِهِ الحوادثُ وأَلْطُوبِ وهو في تَلَهِيَةٍ مِنْ عَيْشِهِ .
ومثل الكلمة الأخرى قولهم : على قَدَرِ العَطِيَّةِ تكون الرِّزِّيَّةُ .
والقولُ في الأمانى قد أوسَعْنَا القول فيه مِنْ قَبْلِ ، وكذلك في الحظوظ .

(١) يُخْتَرَمُ بَفْتَةٍ ، أى يَأْتِيهِ الموت بَفْتَةٍ .

الأفضل :

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ تُحَسِّنَ فِي لَامِعَةِ الْعُيُونِ عَلَانِيَتِي ، وَتُبَحِّحَ فِيمَا
أَبْطُنُ لَكَ سِرِّيَّاتِي ، مُحَافِظًا عَلَى رِيَاءِ النَّاسِ مِنْ نَفْسِي بِجَمِيعِ مَا أَنْتَ مُطَّلِعٌ عَلَيْهِ
مِنِّي ، فَأَبْدِيَ لِلنَّاسِ حُسْنَ ظَاهِرِي ، وَأَفْضَى إِلَيْكَ بِسُوءِ عَمَلِي ، تَقَرُّبًا إِلَى عِبَادِكَ
وَتَبَاعُدًا مِنْ مَرَضَاتِكَ .

الْبُخْرُ :

قد تقدّم القولُ في الرِّياءِ ، وأن يُظهِرَ الإنسانُ من العبادة والفعل الجليل ما يُبطن
غيره ، ويقصد بذلك السُّمعة والصِّيت لا وجه الله تعالى .

وقد جاء في الخبر المرفوع : « أَخَوْفُ مَا أَخَافُ عَلَى أَمْتِي الرِّياءُ
وَالشَّهْوَةُ الْخَفِيَّةُ » .

قال المفسِّرون : والرِّياءُ من الشَّهْوَةِ الْخَفِيَّةِ ، لأنه شَهْوَةُ الصِّيتِ وَالْجَاهِ بَيْنَ النَّاسِ
بأنه مَتَيْنَ الدِّينِ ، مُوَاطِبٌ عَلَى نَوَافِلِ الْعِبَادَاتِ ، وَهَذِهِ هِيَ الشَّهْوَةُ الْخَفِيَّةُ ، أَيْ لَيْسَتْ
كشهوة الطَّعَامِ وَالنِّكَاحِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الْمَلَذَّاتِ الْحَسِيَّةِ .

وفي الخبر المرفوع أيضا : أَنَّ الْيَسِيرَ مِنَ الرِّياءِ شِرْكٌ^(١) ، وَأَنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْأَتْقِيَاءَ
الْأَخْفِيَاءَ الَّذِينَ هُمْ فِي بُيُوتِهِمْ إِذَا غَابُوا لَمْ يَفْتَقِدُوا ، وَإِذَا حَضَرُوا لَمْ يُعْرِفُوا ، قُلُوبُهُمْ
مَصَابِيحٌ مُهْدَى ، يَنْجُونَ مِنْ كُلِّ غَبْرَاءٍ مُظْلِمَةٍ .

الأضل :

وقال عليه السلام :

لَا وَالَّذِي أَمْسَيْنَا مِنْهُ فِي غُبَرٍ لَيْلَةٍ دُهَاءَ ، تَكْثِيرُ عَنْ يَوْمٍ أَغْرَ ، مَا كَانَ
كَذَاوَكْذَا .

الشنخ :

قد روى : «تفتر عن يومٍ أغر» .

والغبر : البقايا ^(١) ، وكذلك الإغبار . وكثر أى بسم ، وأصله الكشف .

وهذا الكلام إما أن يكون قاله على جهة التفاؤل ، أو أن يكون إخباراً بغييب ؛
والأول أوجه ^(٢) .

(١) ومنه قول أبي كبير الهذلي :

ومبرأ من كل غبر حَيْضَةٍ وفسادٍ مرضعةٍ وداءٍ مُغِيلٍ

قال في اللسان : « وغبر الحيض : بقاياها » .

(٢) ١ : « والوجه الأول » .

الأصل :

قَلِيلٌ يَدُومُ عَلَيْهِ ، أَرْجَى مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُوءٍ مِنْهُ .

الشرح :

لا ريبَ أن من أرادَ حِفْظَ كتاب من الكُتُب العَفِيَّة فحَفِظَ مِنْهُ قليلا قليلا ،
ودام على ذلك ، فإنَّ ذلكَ أنفعُ له وأرجى لِفَلاحه من أن يَحْفَظَ كثيرا ، ولا يَدُومَ
عليه لَمَلالِهِ إِيَّاهِ وضَجَرِهِ مِنْهُ ، والتجربة تَشْهَدُ بذلك .

والقول في غير الحِفظ كالقول في الحِفظ ، نحو الزَّيَّارة القليلة للصديق ، ونحو العطاء
اليسير الدائم ^(١) الذي هو خيرٌ من الكثير المنقطع ، ونحو ذلك .

(١) بعدها في ١ : « غير المنقطع » .

(٢٨٥)

الأصل :

إِذَا أَضَرَّتِ النَّوَافِلُ بِالْفَرَائِضِ فَأَرْفُضُوهَا .

الشرح :

قد تقدّم القولُ في النافلة : هل تصحّ ممّن عليه فريضة لم يؤدّها ، وذكرنا مذاهبَ الفقهاء في ذلك .

ولا ريبَ أنّ مَنْ أَسْتَغْرَقَ الوقتَ بالتّوافل حتّى أنّ أوقاتِ الفرائض لم يفعل الفرائضَ فيها ، وشغلها بالعبادة النَّفْلِيَّة ، فقد أخطأ ؛ والواجب أنْ يَرْفُضَ النافلةَ حيث يتضيق وقتُ الفريضة ، لا خلافَ بين المسلمين في ذلك ، ويصلحُ أن يكونَ هذا مثلاً ظاهراً ما ذكرنا ، وباطنه أمرٌ آخر .

الأضل :

مَنْ تَذَكَّرَ بَعْدَ السَّفَرِ اسْتَعَدَّ .

الشُّنْخ :

هذا مثل قولهم في المثل : « الليل طويل ، وأنت مُقِمِر » ^(١) ؛ وقال أيضا : شَّ
ولا تَغْتَرَّ ^(٢) .

وقال أصحابُ المعاني : مثل الدنيا كَرَكَبٍ في فلاةٍ وَرَدَّوا ماءً طَيِّبًا ، فمنهم من شَرِبَ
من ذلك الماء شُرْبًا يسيرًا ، ثم أفكر في بُعد المسافة التي يَقْصِدُونَهَا ، وأنه ليس بعد ذلك
الماء ماءً آخر ، فتزوَّد منه ماءً أَوْصَلَهُ إلى مقْصِده ، ومنهم من شَرِبَ من ذلك الماء شُرْبًا
عظيمًا ولَهَا عن التزوَّد والاستعداد ، وظَنَّ أَنَّ ما شَرِبَ كافٍ له ومُغْنٍ عن أدْخار شيء
آخر ، فقطع به ، وأخلفه ظَنُّه ، فَعَطِشَ في تلك الفلاة ومات .

وقد رَوَى عن النبي صَلَّى الله عليه وآله أَنَّهُ قال لأصحابه : « إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُكُمْ وَمَثَلُ
الدُّنْيَا كَقَوْمٍ سَلَكَوا مَفَاذَةً غَيْرَاءَ حَتَّى إِذَا لَمْ يَذَرُوا مَسَلَكُوا مِنْهَا أَكْثَرُ أَمْ مَا بَقِيَ !
أَنفَدُوا الزَّادَ وَحَسَرُوا الظَّهْرَ ، وَبَقُوا بَيْنَ ظَهْرَانِي لِلْمَفَاذَةِ لَا زَادَ وَلَا حِمْلَةَ ، فَأَيَقَنُوا
بِالْهَلَكَةِ ، فَبَيْنَا هُمْ كَذَلِكَ خَرَجَ عَلَيْهِمْ رَجُلٌ فِي حُلَّةٍ يَقْطُرُ رَأْسُهُ مَاءً ، فَقَالُوا : هَذَا
قَرِيبُ عَهْدٍ بَرِيفٍ ، وَمَا جَاءَكُمْ هَذَا إِلَّا مِنْ قَرِيبٍ ؛ فَلَمَّا أَتَاهُمْ إِلَيْهِمْ وَشَهِدَ حَالَهُمْ قَالَ :
أَرَأَيْتُمْ إِنْ هَدَيْتُكُمْ إِلَى مَاءٍ رَوَاءَ ، وَرِيَاضٍ خُضْرٍ مَا تَعْمَلُونَ ؟ قَالُوا : لَا نَعْمِيكَ شَيْئًا ؛

قال : عُهُودَكم ومَوَائِقَكم بالله ، فَأَعْطَوْهُ ذَلِكَ ، فَأَوْرَدَهُمْ مَاءَ رَوَاءِ وَرِيَا ضَا خُضْرًا ،
وَمَكَثَ بَيْنَهُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ ، ثُمَّ قَالَ : إِنِّي مُفَارِقُكُمْ ، قَالُوا إِلَى أَيْنَ؟ قَالَ : إِلَى مَاءٍ لَيْسَ كَمَا إِلَيْكُمْ ،
وَرِيَا ضٍ لَيْسَتْ كَرِيَا ضِكُمْ ؛ فَقَالَ الْأَكْثَرُونَ مِنْهُمْ : وَاللَّهِ مَا وَجَدْنَا مَا نَحْنُ فِيهِ حَتَّى ظَنَنَّا
أَنَّا لَا نَجِدُهُ ، وَمَا نَصْنَعُ بِمَنْزِلٍ خَيْرٍ مِنْ هَذَا ! وَقَالَ الْأَقْلَوْنَ مِنْهُمْ : أَلَمْ تُعْطُوا هَذَا الرَّجُلَ
مَوَائِقَكم وَعُهُودَكم بِاللَّهِ لَا تَعْصُونَهُ شَيْئًا ، وَقَدْ صَدَقَكُمْ فِي أَوَّلِ حَدِيثِهِ ، وَاللَّهِ
لَيَصْدُقَنَّكُمْ فِي آخِرِهِ؟ فَرَأَى فِيمَنْ تَبِعَهُ مِنْهُمْ ، وَتَخَلَّفَ الْبَاقُونَ ، فَدَهَمَهُمْ عَدُوٌّ شَدِيدُ الْبَأْسِ
عَظِيمُ الْجُنُوشِ ، فَأَصْبَحُوا مَا بَيْنَ أُسِيرٍ وَقَتِيلٍ .

الأضل :

لَيْسَتْ الرُّؤْيَةُ مَعَ الْإِبْصَارِ ، فَقَدْ تَكْذِبُ الْعُيُونُ أَهْلَهَا ، وَلَا يَفْشُ الْعَقْلُ
مَنْ أَسْتَنْصَحَهُ .

الشُّنْخ :

هذا مِثْلُ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي
الصُّدُورِ ﴾ ^(١) .

أى ليس العَمَى عَمَى العين ، بل عَمَى الْقَلْب .

كذلك قولُ أمير المؤمنين عليه السلام ، ليست الرؤية مع العيون ، وإنما الرؤية
الحَقِيقِيَّةُ مع العقول .

وقد ذهب أكابرُ الحكماء إلى أن اليَقِينِيَّاتِ هِيَ الْمُعْقُولَاتُ لَا الْمَحْسُوسَاتُ ؛
قالوا : لِأَنَّ حُكْمَ الْحَسِّ فِي مَظْنَةِ الْغَلَطِ ، وَطَالَ مَا كَذَبَ الْحَسُّ ، وَاعْتَقَدْنَا بِطَرِيقِهِ
أَعْتِقَادَاتٍ بَاطِلَةً ، كَمَا نَرَى الْكَبِيرَ صَغِيرًا ، وَالصَّغِيرَ كَبِيرًا ، وَالتَّحَرُّكَ سَاكِنًا ، وَالسَّاكِنَ
مُتَحَرِّكًا ، فَأَمَّا الْعَقْلُ فَإِذَا كَانَ الْمُعْقُولُ بِهِ بَدِيهِيًّا أَوْ مُسْتَنْدًا إِلَى مُقَدِّمَاتٍ بَدِيهِيَّةٍ فَإِنَّهُ
لَا يَقَعُ فِيهِ غَلَطٌ أَصْلًا .

(٢٨٨)

الأضد :

بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الْمَوْعِظَةِ حِجَابٌ مِنَ الْغُرَّةِ .

الشرح :

قد تقدّم ذكرُ الدّنيا وغُرورها ، وأنّها بشهواتها ولذاتها حِجَابٌ بين العبد وبين المَوْعِظَةِ ، لأنّ الإنسانَ يَغْتَرّ بِالْعَاجِلَةِ ، ويتوهم دَوَامَ ما هو فيه ، وإذا خَطَرَ بِيَالِهِ الموتُ والفناء وَعَدَ نفسه رحمةَ الله تعالى وعفوه ، هذا إن كان ممّن يَعْتَرِفُ بِالْمَعَادِ ، فإنّ كثيرا ممّن يُظهِرُ القولَ بِالْمَعَادِ هو في الحقيقة غيرُ مُسْتَيِقِنٍ له ، والإِخْلَادُ إلى عَفْوِ الله تعالى والأَتِّكَالِ على المغفرة مع الإِقامة على المعصية ، غرورٌ لا محالة ، والحازمُ من عَمَلٍ لما بعدَ الموت ، ولم يُمَنَّ نفسه الأمانى الّتي لا حَقِيقَةَ لها .

الأضل :

جَاهِلِكُمْ مُزْدَادٌ ، وَعَالِكُمْ مُسَوِّفٌ .

الشنخ :

هذا قريب مما سلف : يقول : إنَّ الجاهل من الناس مُزْدَادٌ من جهله ، مُصِرٌّ على خطيئته ، مسوِّف من توهّماته وعقيدته الباطلة بالعفو عن ذنبه ، وليس الأمر كما توهّمه .
﴿ ليس بأمانيتكم ولا أمانىَّ أهل الكتاب من يعمل سوءا يُجْزَ به ولا يَحِذِلْهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيًّا وَلَا نَصِيرًا ﴾^(١) .

الأفضل :

قَطَعَ الْعِلْمُ عُنْدَ الْمُتَعَلِّلِينَ .

الشنج :

هذا أيضاً قريب مما تقدم ، يقول : قَطَعَ الْعِلْمُ عُنْدَ الَّذِينَ يُعَلِّلُونَ أَنْفُسَهُمْ
بالباطل ، ويقولون : إِنَّ الرَّبَّ كَرِيمٌ رَحِيمٌ ، فلا حاجة لنا إلى إعتاب أنفسنا بالعبادة ،
كما قال الشاعر :

قَدِمْتُ عَلَى الْكَرِيمِ بغير زادٍ من الأعمال ذَاذْنِبٍ عَظِيمِ
وَسُوءِ الظَّنِّ أَنْ تَعْتَدَّ زَاداً إِذَا كَانَ الْقُدُومُ عَلَى الْكَرِيمِ

وهذا هو التعليل بالباطل ، فإن الله تعالى وإن كان كريماً رحماً عفواً غفوراً ،
إلا أنه صادق القول ، وقد توعد العصاة وقال : ﴿ وَإِنَّ الْفُجَّارَ لَفِي جَحِيمٍ * يَصْلَوْنَهَا يَوْمَ
الدِّينِ * وَمَاهُمْ عَنْهَا بِغَائِبِينَ ﴾ ^(١) وقال : ﴿ لَا تَخْتَصِمُوا لَدَيَّْ وَقَدْ قَدَّمْتُ إِلَيْكُمْ بِالْوَعِيدِ
مَا يُبَدِّلُ الْقَوْلُ لَدِيَّ وَمَا أَنَا بِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ ﴾ ^(٢) ، ويكفي في رحمته وعفوه وكرمه أن
يفغر للتائب أو لمن ثوابه أكثر مما يستحقه من العقاب ، فالقول بالوعيد معلوم بأدلة
السمع المتظاهرة المتناصرة التي قد أطنب أصحابنا في تعدادها وإيضاحها ، وإذا كان
الشيء معلوماً فقد قَطَعَ الْعِلْمُ به عُنْدَ أَصْحَابِ التعلُّلِ والتَّمَنِّي ، وَوَجَبَ الْعَمَلُ بالمعلوم
ورفض ما يُخَالَفه .

الأنزل :

كُلُّ مُعَاجِلٍ يَسْأَلُ الْإِنْفَارَ ، وَكُلُّ مُؤَجَّلٍ يَتَعَلَّلُ بِالتَّسْوِيفِ .

الْبُزْخُ :

قال الله سبحانه : ﴿ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ رَبِّ ارْجِعُونِ لَعَلِّي أَعْمَلُ صَالِحًا فِيمَا تَرَكْتُ كَلَّا إِنَّهَا كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ^(١) ﴾ .
فهذا هو سؤال الإنظار لمن عُوْجِلَ ، فأما من أُجِّلَ فإنه يعلل نفسه بالتسويق ، ويقول :
سوف أتوب ، سوف أقليع عما أنا عليه ، فأكثرهم يُخْتَم ^(٢) من غير أن يبلغ هذا
الأمل ، وتأتيه المنية وهو على أفتح حال وأسوأها ، ومنهم من تشمله السعادة فيتوب
قبل الموت ، وأولئك الذين خُتِمَت أعمالهم بخاتمة الخير ، وهم في العالم كالشعرة البيضاء
في الثور الأسود .

(٢) يقال : اخترته النية ؛ أى أخذته من بينهم .

(١) سورة المؤمن ٩٩ ، ١٠٠

الأَجْمَلُ :

ما قالَ النَّاسُ لشيءٍ : طُوبَى لَهُ ! إِلَّا وَقَدْ خَبَأَ لَهُ الدَّهْرُ يَوْمَ سَوْدٍ

الشَّنْخُ :

قد تقدّم هذا المعنى ، وذَكَرْنَا فِيهِ نُكْتًا جَيِّدَةً حَمِيدَةً .

[نبذ من الأقوال الحكمية في تقلبات الدهر ونصرفاته]

كان مُحَمَّدُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ طَاهِرٍ أَمِيرَ بَغْدَادِ فِي قَصْرِهِ عَلَى دِجْلَةٍ يَوْمًا ، وَإِذَا بِحَشِيشٍ عَلَى وَجْهِ الْمَاءِ ، فِي وَسْطِهِ قَصَبَةٌ عَلَيْهَا رُقْعَةٌ ، فَأَمَرَ بِأَخْذِهَا ، فَإِذَا فِيهَا :

تَاهَ الْأَعْيَرُجُ وَأَسْتَوَى بِهِ الْبَطْرُ فَقُلْ لَهُ : خَيْرُ مَا أَسْتَعْمَلْتَهُ الْخَذَرُ

أَحْسَنْتَ ظَنَّنَكَ بِالْأَيَّامِ إِذْ حَسُنْتَ وَلَمْ تَخَفْ سُوءَ مَا يَأْتِي بِهِ الْقَدَرُ

وَسَا لَمَتَكَ اللَّيَالِي فَاعْتَرَزَتْ بِهَا وَعِنْدَ صَفْوِ اللَّيَالِي يَحْدُثُ الْكَدَرُ

فَمَا أَتَنَفَعَ بِنَفْسِهِ مَدَّةً .

وَفِي الْمَثَلِ : الدَّهْرُ إِذَا أَتَى بِسَخَوَاءٍ سَخَسَحَ^(١) ، يُعَقِّبُهَا بَنَكِبَاءَ زَعَزَعَ ، وَكَذَاكَ

شَرَبُ الْعَيْشِ فِيهِ تَلَوْنٌ ، يَنْبَاهُ عَذْبًا إِذْ تَحَوَّلَ آجِنًا .

(١) أى سحابة تصب مطراً شديداً .

يحيى بن خالد : أعطانا الدهر فأسرف ، ثم مال علينا فأجحف .

وقال الشاعر :

فيا نعيم ساعدتنا رِقَابُهُ وخاست بنا أ كفالُهُ والروادِفُ
إسحق بن إبراهيم الموصلي :

هي المقادير تجري في أعينها فأصبر فليس لها صبرٌ على حالِ
يوماً تَرِيشُ خَسيسَ الحالِ ترفعه إلى السماء ويوماً تَخْفِضُ العالِي
إذا أدبرَ الأمرُ أتى الشرُّ من حيث كان يأتي الخير .
هاني بن مسعود :

إن كِسرَى أبى على الملكِ الثُّنَّةُ مانِ حتى سقاهُ أم الرقوبِ
كلُّ مُلكٍ وإن تصدَّ يوماً بأناسٍ يَمُودُ للتصويبِ
أحيحة بن الجلاح :

وما يَدْرِ الفقيرُ متى غِنَاهُ وما يَدْرِ الغنيُّ متى يَعبُلُ
وما تَدْرِ إذا أَضْرَبْتَ شَوْلاً أَتُلَحِّحُ بعد ذلك أم تَحِيلُ^(١)
وما تَدْرِ إذا أَزْمَعْتَ سَيْراً بأىِّ الأرضِ يَذْرُكُ المَقِيلُ
آخر :

فما درن الدنيا بياقٍ لأهلِهِ ولا شِرةَ الدنيا بضربةٍ لازِمِ
آخر :

رُبَّ قومٍ غَبَرُوا من عِيشِهِمْ في سرورٍ ونعيمٍ وَغَدَقَ

(١) الشول : الناقة التي قعت ألباتها .

سَكَتَ الدَّهْرُ زَمَانًا عَنْهُمْ ثُمَّ أَيْكَاكُمْ دَمًا حِينَ نَطَقَ
وَمِنَ الشَّعْرِ الْمُنْسُوبِ إِلَى مُحَمَّدٍ الْأَمِينِ بْنِ زُبَيْدَةَ :

يَا نَفْسَ قَدْ حَقَّ الْحَذَرُ أَيْنَ الْفِرَارُ مِنْ الْقَدَرِ
كُلَّ أَمْرٍ مَّا يَخَا فِ وَيرْتَجِيهِ عَلَى خَطَرِ
مَنْ يَرْتَشِفُ صَفْوَةَ الزَّمَانِ نَ يَفْصَحُ يَوْمًا بِالْكَدَرِ

الأصل :

وقال عليه السلام وقد سُئِلَ عنِ القَدَرِ : طَرِيقُ مُظْلِمٍ فَلَا تَسْلُكُوهُ
ثم سئلَ ثانياً فقال : بَحْرٌ عَمِيقٌ فَلَا تَلِجُوهُ ؛ ثم سئلَ ثالثاً فقال : سِرُّ اللَّهِ
فَلَا تَتَكَلَّفُوهُ .

الْبَيِّنَةُ :

قد جاء في الخبر المرفوع : القَدَرُ سِرُّ اللَّهِ في الأرض ، ورُوي : سرُّ اللَّهِ في عباده ،
والمرادُ نهىُ المستضعفين عن الخوض في إرادة الكائنات ، وفي خلق أعمال العباد ، فإنه
ربّما أفضى بهم القول بالجبر ، لما في ذلك من الغموض ، وذلك أنَّ العاميَّ إذا سمع قولَ
القاتل : كيف يجوز أن يقع في عالمه ما يكرهه ، وكيف يجوز أن تغلب إرادة الخلق
إرادة الخالق ؟

ويقول أيضاً : إذا عَلِمَ في القدم أن زيدا يكفر ، فكيف لزيد أن لا يكفر
وهل يمكن أن يقع خلافُ ما علمه الله تعالى في القدم ، اشتبه عليه الأمر ، وصار
شبهةً في نفسه ، وقوى في ظنه مذهبُ المجبرة ، فنهى عليه السلام هؤلاء عن الخوض
في هذا النحو من البحث ، ولم ينه غيرهم من ذوى العقول الكاملة ، والرياضة
القوية ، والملكة الثابتة ، ومن له قدرةٌ على حلِّ الشبهة ، والتقضى عن المشكلات .

فإن قلت : فإنكم : تقولون : إنَّ العاميَّ والمستضعف يجب عليهما النظرُ .

قلت : نعم إلا أنه لا بد لهما من موقف بعد إعمالها ما ينتهى إليه جهدهما من النظر ،
بحيث يُرشدُهما إلى الصواب ، والنهى إتماماً لو لم ينسبده من ضعفاء العامة بنفسه في النظر ،
ولا يبحث مع غيره ليرشده .

الأضل :

إِذَا أَرَذَلَ اللَّهُ عَبْدًا حَظَرَ عَلَيْهِ الْعِلْمُ .

الشُّرْحُ :

أَرَذَلَهُ : جعله رَذُلًا ، وكان يقال : مِنْ علامة بُغْضِ اللَّهِ تَعَالَى لِلْعَبْدِ أَنْ يُبَغِّضَ إِلَيْهِ الْعِلْمُ .
وقال الشاعر :

شكوتُ إلى وَكِيعٍ سُوءَ حِفْظِي فَأَرَشَدَنِي إِلَى تَرْكِ الْمَعَاصِي
وقال لأنَّ حِفْظَ الْعِلْمِ فَضْلٌ وَفَضْلُ اللَّهِ لَا يُؤْتِيهِ عَاصِي
وقال رجل لحكيم : ماخيرُ الأشياءِ لي ؟ قال : أن تكونَ عالماً ، قال : فإن لم
أكن ؟ قال : أن تكونَ مُثْرِيًا ؛ قال : فإن لم أكن ؟ قال : أن تكونَ شَارِيًا ؛ قال :
فإن لم أكن ؟ قال : فإن تكونَ مَيِّتًا .

أخذ هذا المعنى بعضُ المحدثين فقال :

إِذَا فَاتَكَ الْعِلْمُ جُدْ بِالْوَرَى وَإِنْ فَاتَكَ الْمَالُ سُدْ بِالْقِرَاعِ
فإن فاتَ هذا وهذا وذاك فمتْ فَيَاتَكَ شَرُّ الْمَتَاعِ

وقال أيضا في المعنى بعينه :

ولولا الحجا والقرا والقراع لما فضل الآخر الأولَا
ثلاثٌ متى بخلُ منها الفتى يكن كالبهيمة أو أرذلا

الأصل :

وقال عليه السلام :

كَانَ لِي فِيمَا مَضَى أَخٌ فِي اللَّهِ ، وَكَانَ يُعْظِمُهُ فِي عَيْنِي صِغَرُ الدُّنْيَا فِي عَيْنِهِ ،
 وَكَانَ خَارِجًا مِنْ سُلْطَانِ بَطْنِهِ ، فَلَا يَنْشَهُ مَا لَا يَحِدُّ ، وَلَا يُكْثِرُ إِذَا وَجَدَ ،
 وَكَانَ أَكْثَرَ دَهْرِهِ صَامِتًا ، فَإِنْ قَالَ بَدْءَ الْقَائِلِينَ ، وَنَقَعَ غَلِيلَ السَّائِلِينَ ، وَكَانَ
 ضَعِيفًا مُسْتَضَعَفًا ، فَإِنْ جَاءَ الْجَدُّ فَهُوَ لَيْثٌ عَادٍ ، وَصِلُّ وَادٍ ، لَا يُدْلِي بِحُجَّةٍ
 حَتَّى يَأْتِيَ قَاضِيًا ، كَانَ لَا يُلُومُ أَحَدًا عَلَى مَا يَحِدُّ الْعُذْرَ فِي مِثْلِهِ حَتَّى يَسْمَعَ
 أَعْتِدَارَهُ ، وَكَانَ لَا يَشْكُو وَجَعًا إِلَّا عِنْدَ بُرْتِنِهِ ، وَكَانَ يَفْعَلُ مَا يَقُولُ ، وَلَا يَقُولُ
 مَا لَا يَفْعَلُ ، وَكَانَ إِنْ غُلِبَ عَلَى الْكَلَامِ لَمْ يُغْلَبْ عَلَى السُّكُوتِ ، وَكَانَ عَلَى
 أَنْ يَسْمَعَ أَحْرَصَ مِنْهُ عَلَى أَنْ يَتَكَلَّمَ ، وَكَانَ إِذَا بَدَّهَهُ أَمْرَانِ نَظَرَ إِلَيْهِمَا
 أَقْرَبُ إِلَى الْهَوَىٰ فَخَالَفَهُ ، فَعَلَيْكُمْ بِهِذِهِ اتِّخِلَاتِقِ فَالزُّمُوهَا ، وَتَنَافَسُوا فِيهَا ،
 فَإِنْ لَمْ تَسْتَطِيعُوهَا فَاعْلَمُوا أَنَّ أَخْذَ الْقَلِيلِ خَيْرٌ مِنْ تَرْكِ الْكَثِيرِ .

الشرح :

قد اختلف الناس في المعنى بهذا الكلام ، ومن هو هذا الأخ المشار إليه ؟
 فقال قوم : هو رسول الله صلى الله عليه وآله ، واستبعدوه قوم لقوله : « وكان ضعيفا
 مستضعفا » ، فإن النبي صلى الله عليه وآله لا يقال في صفاته مثل هذه الكلمة ،

وإن أمكن تأويلها على لين كلامه وسماحة أخلاقه ، إلا أنها غيرُ لاثقة به عليه السلام .

وقال قومٌ : هو أبو ذَرٍّ الْفِفَارِيُّ واستبعدَه قومٌ لقوله : فإن جاء الجدُّ فهو ليثٌ عادٍ ، وصِلُّ واد ، فإن أبا ذَرٍّ لم يكن من الموصوفين بالشَّجاعة ، والمعروفين بالبسالة وقال قومٌ : هو المقدادُ بن عمرو المعروف بالمقداد بن الأسود ، وكان من شيعة عليٍّ عليه السلام الخُلصين ، وكان شجاعاً مُجاهداً حسنَ الطريقة ، وقد ورد في فضله حديث صحيح مرفوع .

وقال قومٌ : إنه ليس بإشارةٍ إلى أخٍ مُعيّن ، ولكنه كلامٌ خارجٌ مخرج المثل ، وعادةُ العرب جاريةٌ بمثل ذلك ، مثل قولهم في الشَّعر : قُلت لصاحبي ، وإصاحبي ، وهذا عندي أقوى الوجوه .

[نبذ من الأقوال الحكمية في حمد القناعة وقلة الأكل]

وقد مضى القولُ في صِغر الدنيا في عَيْنِ أهل التحقيق ، فأما سلطان البطن ومَدَح الإنسان بأنه لا يكثرُ من الأكل إذا وَجَدَ أَكْلاً ، ولا يَشْتَهِي من الأكل ما لا يجده ، فقد قال الناسُ فيه فأكثرُوا .

قال أعشى باهلة يرثي المنتشر بن وهب :

طَاوَى الْمَصِيرِ عَلَى الْعَزَاءِ مُنْصَلِتٌ بِالْقَوْمِ لَيْسَلَةٌ لَا مَاءَ وَلَا شَجَرٌ^(١)
تَكْفِيهِ فَلَذَةُ لَحْمٍ إِنْ أَلَمَ بِهَا مِنَ الشَّوَاءِ وَيُرْوَى شَرْبُهُ الْغَمُرُ
وَلَا يُبَارَى لِمَا فِي الْقِدْرِ يَرْقُبُهُ وَلَا تَرَاهُ أَمَامَ الْقَوْمِ يَفْتَقِرُ

(١) الكامل للبرد ٤ : ٦٥ ، المصير : واحد المصران . والعزاء : الأمر الشديد .

لَا يَفْزُ السَّاقَ مِنْ أَيْنٍ وَلَا وَصَبٍ وَلَا يَمُضُّ عَلَى شُرُوفِهِ الصَّفَرُ
وَقَالَ الشَّافِعِيُّ :

وَأَطْوَى عَلَى الْخَمَصِ الْحَوَايَا كَمَا انْطَوَتْ خِيُوطَةُ مَارِيٍّ تُفَارِ وَتُقَتِّلُ^(١)
وَمَنْ مَدَّتْ الْأَيْدِيَ إِلَى الزَّادِ لَمْ أَكُنْ بِأَعْمَلِهِمْ إِذْ أَجْشَعُ الْقَوْمُ أَعْجَلُ
وَمَا ذَاكَ إِلَّا بَسْطَةٌ عَنْ تَفَضُّلٍ عَلَيْهِمْ وَكَانَ الْأَفْضَلُ الْمُتَفَضِّلُ

وقال بعضهم لابنه : يَا بُنَيَّ عَوِّذْ نَفْسَكَ الْأَثَرَةَ ، ومجاهدة الهوى والشهوة ،
وَلَا تَهَشَّ نَهَشَ السَّبَاعِ ، وَلَا تَقْضِمَ قَضْمَ الْبَرَازِينِ ، وَلَا تُتَذِمِنِ الْأَكَلَ إِمَانَةَ النَّعَاجِ ،
وَلَا تَلْقَمْ لَقْمَ الْجِمَالِ ، إِنَّ اللَّهَ جَعَلَكَ إِنْسَانًا ، فَلَا تَجْعَلْ نَفْسَكَ بِهَيْمَةً وَلَا سَبْعًا ، واحذِرْ
سُرْعَةَ الْكِطَّةِ ، وداءَ البُطْنَةِ ، فقد قال الحكميم : إِذَا كُنْتَ بَطْنًا فَعُدَّ نَفْسَكَ مِنَ الزَّمْنِ^(٢)
وقال الأعشى :

* وَالْبِطُّ نَنُ يَوْمَا تُسْفَهُ الْأَحْلَامَا *

واعلم أن الشَّبَعَ داعيةُ الْبَشَمِ ، والبَشَمُ داعيةُ السَّقَمِ ، والسَّقَمُ داعيةُ الموت ، ومن
مَاتَ هَذِهِ الْمَيِّتَةَ فَقَدْ مَاتَ مَوْتَةً لَثِيمَةً ، وهو مع هذا قَاتِلٌ نَفْسِهِ ، وَقَاتِلُ نَفْسِهِ أَلْوَمُ مِنْ
قَاتِلِ غَيْرِهِ ، يَا بُنَيَّ ، وَاللَّهِ مَا أَدَّى حَقَّ السَّجُودِ وَالرَّكَوعِ ذَوْكِطَةً ، وَلَا خَشَعَ لِلَّهِ
ذَوْ بَطْنَةٍ ، وَالصُّومُ مُصَحَّةٌ ، وَلَرَبَّمَا طَالَتْ أَعْمَارُ الْهِنْدِ ، وَصَحَّتْ أَبْدَانُ الْعَرَبِ ، وَلِلَّهِ دَرُّ
الْحَارِثِ بْنِ كَلْدَةَ حَيْثُ زَعِمَ أَنَّ الدَّوَاءَ هُوَ الْأُزْمُ ، وَأَنَّ الدَّاءَ إِدْخَالُ الطَّعَامِ فِي أَشْرِ
الطَّعَامِ ، يَا بُنَيَّ لَمْ صَفَّتْ أَذْهَانُ الْأَعْرَابِ ، وَصَحَّتْ أَذْهَانُ الرُّهْبَانِ مَعَ طُولِ الْإِقَامَةِ
فِي الصَّوَامِ ، حَتَّى لَمْ تَعْرِفَ وَجَعَ الْمَفَاصِلِ ، وَلَا الْأَوْرَامِ ، إِلَّا لِقَلَّةِ الرِّزْقِ ، وَوَقَاحَةِ
الْأَكْلِ ، وَكَيْفَ لَا تَرُغِبُ فِي تَدْيِيرِ يَجْمَعُ لَكَ بَيْنَ صِحَّةِ الْبَدَنِ وَذِكَاةِ الذَّهْنِ وَصَلَاحِ الْمَعَادِ

والقرب وعيش الملائكة ، يا بُنَيَّ لم صار الضَّبَّ أطولَ شيءٍ ذمًّا ، إلا لأنه يتبلغ بالتَّسِيم ، ولم زعمَ الرسولُ صَلَّى اللهُ عليه وآله أن الصومَ وجاء ، إلا ليَجعله حجابًا دونَ الشهوات ! فافهم تأديبَ الله ورسوله ، فإنهما لا يَقصدان إلا مِثْلَكَ ، يا بُنَيَّ ، إني قد بلغتُ تسعينَ عامًا ما نَقَصَ لِي سِنٌ ، ولا انتَشَرَ لِي عَصَبٌ ، ولا عرفتُ دينَ أنفٍ ، ولا سَيِّلانَ عَيْنٍ ، ولا تَقطيرَ بَوَلٍ ، مالمَ ذلكَ علةٌ إلا التَّخفيفُ مِنَ الزَّادِ ، فإن كنتَ تحبُّ الحياةَ فهذه سبيلُ الحياة ، وإن كنتَ تريدُ الموتَ فلا يُبعدُ اللهُ إلا من ظَلَمَ .

وكان يقال : البِطْنَةُ تذهبُ الفِطْنَةُ .

وقال عمرو بنُ العاص لأصحابه يومَ حَكَمَ الحَكَمَان : أَكثِرُوا لأبي مُوسى مِنَ الطَّعامِ الطَّيِّبِ فواللهِ ما بَطْنُ قومٍ قَطَّ إلا فَقَدُوا عُقُولَهُمْ أو بَعْضُها ، وما مضى عزمُ رجلٍ باتَ بَطِينًا .
وكان يقال : أَقِلَّ طَعَامًا تَحْمَدَ مَنَامًا .

ودعا عبدُ الملك بنُ مروانَ رجلاً إلى الغَداء فقال : ما قَى فَضْلٌ ؛ فقال : إني أحبُّ الرجلَ يا كلَّ حَتَّى لا يكونَ فيه فَضْلٌ ؛ فقال : يا أَميرَ المؤمنين ، عِنْدِي مُسْتَزَادٌ ، وَلَكِنِّي أَكرَهُ أن أَصِيرَ إلى الحالِ التي اسْتَقْبَحَها أَميرُ المؤمنين .

وكان يقال : مَسْكِينُ ابنِ آدمَ ، أَسيرُ الجُوعِ ، صَرِيعُ الشَّبعِ .
وسألَ عبدُ الملكَ أبا الزُّعَيْرَةَ ؛ فقال : هَلْ أَتَخِمْتَ قَطَّ ؟ قال : لا ، قال : وكيف ؟ قال : لَأَنَا إِذَا طَبَخْنَا أَنْضَجْنَا ، وَإِذَا مَضَغْنَا دَقْنَا ، وَلا نُكِظُ المَعْدَةَ وَلا نُخْلِيها .
وكان يقال : مِنَ المَرْوَةِ أن يَتْرَكَ الإنسانُ الطَّعامَ وهو بعدُ يَشْتَهيه .

وقال الشاعر :

فإنَّ قِرابَ البَطْنِ يَكْفِيكَ مَلْؤُهُ وَيَكْفِيكَ سَوَاتِ الأُمُورِ اجْتِنابُها
وقال عبد الرحمن بنُ أخى الأصمى : كانَ عَمِّي يَقولُ لِي : لا تَخْرُجْ يا بُنَيَّ مِنْ مَنزِلِكَ

حَتَّى تَأْخُذَ حِلْمَكَ ، يَعْنِي تَتَفَذَّى ، فَإِذَا أَخَذْتَ حِلْمَكَ فَلَا تَزِدْهُ إِلَيْهِ حِلْمًا ، فَإِنَّ الْبَكْرَةَ تَتَوَلَّى إِلَى قَلَّةٍ ؛ وَفِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ : مَا مَلَأَ ابْنُ آدَمَ وَعَاءُ شَرًّا مِنْ بَطْنٍ ، بِحَسَبِ الرَّجُلِ مِنْ طَعْمِهِ مَا أَقَامَ صُلْبُهُ ، وَأَمَّا إِذَا أَبَيْتَ فُتُلْتَ طَعَامًا ، وَثُلْتُ شَرَابًا ، وَثُلْتُ نَفْسًا .

وَرَوَى حُذَيْفَةُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : مَنْ قَلَّ طَعْمُهُ ، صَحَّ بَطْنُهُ ، وَصَفَا قَلْبُهُ ، وَمَنْ كَثُرَ طَعْمُهُ ، سَقَمَ بَطْنُهُ وَقَسَا قَلْبُهُ ؛ وَعَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : لَا تُتِمُّوا الْقُلُوبَ بِكَثْرَةِ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ ، فَإِنَّ الْقُلُوبَ يَمُوتُ بِهِمَا ، كَالزَّرْعِ يَمُوتُ إِذَا أَكْثَرَ عَلَيْهِ الْمَاءُ . وَرَوَى عَوْنُ بْنُ أَبِي جُحَيْفَةَ عَنْ أَبِيهِ قَالَ : أَكَلْتُ يَوْمًا ثَرِيدًا وَلَحْمًا سَمِينًا ، ثُمَّ أَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ وَأَنَا أَجْشَأُ ، فَقَالَ : أَحْبِسْ جَشَأَكَ أَبَا جُحَيْفَةَ ، إِنْ أَكْثَرَكُمْ شَيْعًا فِي الدُّنْيَا أَكْثَرَكُمْ جُوعًا فِي الْآخِرَةِ ، قَالَ : فَمَا أَكَلْتُ أَبُو جُحَيْفَةَ بَعْدَهَا مِلًّا بَطْنِهِ إِلَى أَنْ قَبَضَهُ اللَّهُ ، وَأَكَلْتُ عَلَى عِلَّةٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَلِيلًا مِنْ تَمْرٍ دَقَلْتُ^(١) وَشَرِبْتُ عَلَيْهِ مَاءً ، وَأَمَرَ يَدَهُ عَلَى بَطْنِهِ وَقَالَ : مَنْ أَدْخَلَهُ بَطْنُهُ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ ، ثُمَّ تَمَثَّلَ :

فَإِنَّكَ مَهْمَا تُعْطِرَ بَطْنَكَ سُوْلُهُ وَفَرَجَكَ نَالَا مُنْتَهَى الذَّمِّ أَجْمَعًا

. وَكَانَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُفْطِرُ فِي رَمَضَانَ الَّذِي قُتِلَ فِيهِ عِنْدَ الْحَسَنِ لَيْلَةً ، وَعِنْدَ الْحُسَيْنِ لَيْلَةً ، وَعِنْدَ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ جَعْفَرٍ لَيْلَةً ، لَا يَزِيدُ عَلَى اللَّقْمَتَيْنِ أَوْ الثَّلَاثِ ، فَيَقَالُ لَهُ ؛ فَيَقُولُ : إِنَّمَا هِيَ لَيَالٍ قَلِيلٌ ، حَتَّى يَأْتِيَ أَمْرُ اللَّهِ وَأَنَا خَائِصُ الْبَطْنِ ، فَضَرَبَهُ ابْنُ مَرْجَانٍ لَعَنَهُ اللَّهُ تِلْكَ اللَّيْلَةَ .

وَقَالَ الْحَسَنُ : لَقَدْ أَدْرَكْتُ أَقْوَامًا مَا يَأْكُلُ أَحَدُهُمْ إِلَّا فِي نَاحِيَةِ بَطْنِهِ ، مَا شَبِعَ رَجُلٌ مِنْهُمْ طَعَامًا حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا ، كَانَ يَأْكُلُ ، فَإِذَا قَارَبَ الشَّبْعَ أَمْسَكَ وَأَنْشَدَ الْمَبْرُودَ :

(١) التمر الدقل : أُرْدَأُ التمر .

فإن امتسلاء البطن في حَسَبِ الفَتَى قليلُ الفناء وهو في الجسم صالحُ
وقال عيسى عليه السلام : يا بني إسرائيل ، لا تُكثِرُوا الأكل ، فإنه من أكثر من
الأكل أكثر من النوم ، ومن أكثر النوم أقل الصلاة ، ومن أقل الصلاة كُتِبَ من
الغافلين ؛ وقيل ليوسف عليه السلام : مالك لا تشبع وفي يدك خزائن مصر ؟ قال
إني إذا شِيعْتُ نَسِيتُ الجائعين .

وقال الشاعر :

وأَكَلَةٌ أَوْقَعَتْ في الهَلَكِ صَاحِبَهَا كَحَبَّةِ الْقَمْحِ دَقَّتْ عَنْقَ عُصْفُورِ
لَكِسْرَةٌ بِجَرِيشِ الْمِلْحِ آكُلُهَا أَلَذُّ مِنْ تَمْرَةٍ تُحْشَى بَرْزُبُورِ

ووصف لسابور ذى الأكتاف رجل من اضطخر للقضاء ، فأحتقده ، فدعاه إلى
الطعام فأخذ الملك دجاجة من بين يديه فنصفها ، وجعل نصفها بين يدي ذلك الرجل
فأتى عليه قبل أن يفرغ الملك من أكل النصف الآخر ، فصرفه إلى بلده ، وقال : إن
سلفنا كانوا يقولون : مَنْ شَرِهَ إلى طعام الملك كان إلى أموال الرعية أشْرَهَ .

قيل لسُمَيْرَةَ بن حبيب : إن أبنك أكل طعاماً فأنجم ، وكاد يموت ، فقال : والله
لو مات منه ماصليت عليه . أنس يرفعه : إن من السرف أن تأكل كل ما اشتهيت .

دخل عمرُ على عاصم ابنه وهو يأكل لحماً ، فقال : ما هذا ؟ قال : قرمنا إليه ؟
قال أو كلما قرمت إلى اللحم أكلته ، كفى بالمرء شراً أن يأكل كل ما يشتهي .
أبو سعيد يرفعه : استعذوا بالله من الرغب ؛ قالوا : هو الشره ، ويقال : الرغب
شؤم . أنس يرفعه : أصل كل داء البردة ، قالوا هي الشخمة ؛ وقال أبو ذر يد : العرب
تعيّر بكثرة الأكل ، وأنشد :

لست بأَكَّالٍ كأَكُلِ الْعَبْدِ ولا بِنَوَامٍ كَنَوَمِ الْفَهْدِ

وقال الشاعر :

إِذَا لَمْ أَزِرْ إِلَّا لَا كُلَّ أَكْلَةٍ فَلَا رَفْعَ كَفِّي إِلَى طَعَامِي
فَمَا أَكْلَةٌ إِنْ نَامَتْهَا بَغْنِيمَةٌ وَلَا جَوْعَةٌ إِنْ جُعْتُهَا بَغْرَامٌ

ابن عباس ، كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله يبيت طاوياً ليلَى ماله ولأهله عشاء ، وكان عامّة طعامه الشعيرُ ؛ وقالت عائشة : واللهى بعثَ محمداً بالحق ما كان لنا مُنْخَلٌ ، ولا أكل رسولُ الله صلى الله عليه وآله خُبْزاً مَنخُولاً منذ بعثه الله إلى أن قبض ؛ قالوا : فكيف كنتم تأكلون دقيق الشعير ؟ قالت : كنا نقول : أَفِّ أَفِّ .

أنس ، ما أكل رسولُ الله صلى الله عليه وآله رغيفاً مُحَوَّراً إلى أن لقي ربّه عزّ وجلّ .

أبو هريرة : ما شَبِع رسولُ الله صلى الله عليه وآله وأهله ثلاثة أيام مُتَوَالِيَةٍ مِنْ خُبْزٍ حِنْطَةٍ حَتَّى فَارَقَ الدُّنْيَا .

وروى مسروق قال : دخلتُ على عائشة وهي تبكى ؛ فقلتُ : ما يبكيك ؟ قالت : ما أشاء أن أبكى إلاّ بكيتُ ، مات رسولُ الله صلى الله عليه وآله ولم يشبِع من خُبْزِ الْبُرِّ فِي يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ ، ثُمَّ انْهَارَتْ عَلَيْنَا الدُّنْيَا .
حاتم الطائي :

وَإِنِّي لِأَسْتَحْيِي صِحَابِي أَنْ يَرَوْا مَكَانَ يَدِي مِنْ جَانِبِ الزَّادِ أَقْرَعاً^(١)
أَقْصَرَ كَفِّي أَنْ تَنَالَ أَكْفَهُمْ إِذَا نَحْنُ أَهْوَيْنَا وَحَاجَاتُنَا مَعَا
أَيُّتُ حَمِيصَ الْبَطْنِ مُضْطَرِ الْحَشَا حَيَاءً أَخَافُ الضِّيمَ أَنْ أَنْضَلْعَا

فَإِنَّكَ إِنْ أَعْطَيْتَ نَفْسَكَ سُؤْلَهَا وَفَرَجَكَ نَالًا مُنْتَهَى الدَّمِّ أَجْمَعًا

فَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « كَانَ لَا يَنْشَبِي ، مَا لَا يَجِدُ » فَإِنَّهُ قَدْ نَهَى أَنْ يَنْشَبِيَ
الْإِنْسَانُ مَا لَا يَجِدُ ؛ وَقَالُوا : إِنَّهُ دَلِيلٌ عَلَى سُقُوطِ الْمَرْوَةِ .

وَقَالَ الْأَحْنَفُ : جَنَّبُوا مَجَالَسَنَا ذِكْرَ تَشَهَّى الْأَطْعِمَةِ وَحَدِيثِ النِّكَاحِ .

وَقَالَ الْجَاهِظُ : جَلَسْنَا فِي دَارٍ فَجَعَلْنَا نَتَشَهَّى الْأَطْعِمَةَ ؛ فَقَالَ وَاحِدٌ : وَأَنَا أَشْتَهِي
سِكْبَاجًا^(١) كَثِيرَةَ الزَّعْفَرَانِ .

وَقَالَ آخَرٌ : أَنَا أَشْتَهِي طَبَاجَةً نَاشِفَةً ، وَقَالَ آخَرٌ : أَنَا أَشْتَهِي هَرِيسَةَ كَثِيرَةِ الدَّارِصِينِ
وَالِإِى جَانِبِنَا امْرَأَةٌ يَبْنُو وَيَبْنُو بَثْرَ الدَّارِ ، فَضَرَبَتْ الْحَائِطَ وَقَالَتْ : أَنَا حَامِلٌ ،
فَاعْطُونِي مِلًّا هَذِهِ الْفَضَاءُ مِنْ طَبِيخِكُمْ ، فَقَالَ ثَمَامَةُ : جَارَتُنَا تَشْمُ
رَائِحَةَ الْأَمَانِيِّ .

الأضل :

لَوْ لَمْ يَتَوَعَّدِ اللَّهُ سُبْحَانَهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ ، لَكَانَ يَجِبُ أَلَّا يُعْصَى شُكْرًا لِلنِّعَمِ .

السُّنْخ :

قالت المعتزلة : إِنَّا لَوْ قَدَّرْنَا أَنَّ الْوَعِيدَ السَّمْعَى لَمْ يردْ مَا أَخْلَ ذلك بكون الواجب واجباً في العقل ، نحو العدل والصدق ، والعلم ، وردّ الوديعة ، هذا في جانب الإثبات ، وأما في جانب السلب فيجب في العقل أن لا يظلم ، وألا يكذب ، وألا يجهل ، وألا يخون الأمانة ، ثم اختلفوا فيما بينهم ، فقالت معتزلة بغداد : ليس الثواب واجباً على الله تعالى بالعقل ، لأن الواجبات إنما تجب على المكلف ، لأن أدائها كالشكر لله تعالى ، وشكر النعم واجب ، لأنه شكر منعم ، فلم يبق وجه يقتضى وجوب الثواب على الله سبحانه ؛ وهذا قريب من قول أمير المؤمنين عليه السلام .

وقال البصريون : بل الثواب واجب على الله تعالى عقلاً ، كما يجب عليه العوض عن إيلام الحى ؛ لأن التكليف إلزام بما فيه مضرّة ، كما أن الإيلام إنزال مضرّة ، والإلزام كالإنزال .

الأصل :

وقال عليه السلام للأشعث بن قيس وقد عزاه عن ابن له :
يا أشعثُ ، إنَّ تحزنَ على ابنِكَ فقدِ استَحَقَّتْ ذَلِكَ مِنْكَ الرَّحِمُ ، وإنَّ تَصْبِرَ
ففى الله مِنْ كُلِّ مُصِيبَةٍ خَلْفٌ .
يا أشعثُ إنَّ صَبَرْتَ جَرَى عَلَيْكَ الْقَدَرُ وَأَنْتَ مَأْجُورٌ ، وإنَّ جَزَعْتَ جَرَى
عَلَيْكَ الْقَدَرُ وَأَنْتَ مَأْزُورٌ .
يا أشعثُ ، ابنُكَ سَرَكٌ ، وَهُوَ بَلَاءٌ وَفِتْنَةٌ ، وَحَزَنُكَ ، وَهُوَ ثَوَابٌ وَرَحْمَةٌ .

الشرح :

قد روى هذا الكلام عنه عليه السلام على وجوه مختلفة وروايات متووعة ، هذا
الوجهُ أحدهما ، وأخذ أبو العتاهية ألفاظه عليه السلام فقال لمن يعزّيه عن ولد :
ولا بدّ من جرّيان القضاء إما مثاباً وإما أثيماً
ومن كلامهم فى التعازى : إذا أستاذّر الله بشيء فآله عنه ، وتُنسب هذه الكلمة إلى
عمر بن عبد العزيز .

وذكر أبو العباس فى الكامل أنَّ عتبة بنَ عياض بن تميم أحد بنى عامر بن لؤى
أُسْتُشْهِدَ ، فَعَزَّى أباه مُعَزِّراً فقال : احْتَسِبْهُ وَلَا تَجْزَعْ عَلَيْهِ فَقَدْ مَاتَ شَهِيداً ؛ فقال عياض :
أترانى كنتُ أَسْرُّ به وهو من زينة الحياة الدنيا ، وأساء به وهو من الباقيات الصالحات ؟

وهذا الكلام مأخوذ من كلام أمير المؤمنين عليه السلام .

ومن التعازي الجيدة قول القائل :

ومن لم يَزَلْ غَرَضًا لِلْمَنُو نِ يَتْرُكْهُ كُلَّ يَوْمٍ عَمِيدًا^(١)
فَإِنْ هُنَّ أَخْطَأَنَّهُ مَرَّةً فَيُوشِكُ مُحِطُهَا أَنْ يَعُودَا
فَبَيْنَا يَحِيدُ وَأَخْطَأَنَّهُ قَصْدَنَ فَأَعْجَلَنَّهُ أَنْ يَحِيدَا

وقال آخر :

هو الدهر قد جَرَّبْتُهُ وَعَرَفْتُهُ فصبرا على مكروهه وَتَجَلَّدَا
وما الناسُ إِلَّا سَابِقُ ثُمَّ لَاحِقُ وفاءتُ موتٍ سَوفَ يَاحِقُهُ غَدَا

وقال آخر :

أَيْنَا قَدِمْتُ صُرُوفُ اللَّيَالِي فالَّذِي أَخْرَجْتُ سَرِيعُ اللَّحَاقِ
غَدَرَاتُ الْأَيَّامِ مَنَزِعَاتُ عُنُقَيْنَا مِنْ أُنْسٍ هَذَا الْعِنَاقِ^(٢)
ابنُ نَبَاتَةِ السَّعْدَى :

نُعَلُّ بِالْدَّوَاءِ إِذَا مَرَضْنَا وهل يَشْفِي مِنَ الْمَوْتِ الدَّوَاءُ !
وَنَخْتَارُ الطَّيِّبَ وَهَلْ طَيِّبُ يُؤَخِّرُ مَا يَقْدُمُ الْقَضَاءُ !
وما أَنفَاسُنَا إِلَّا حَسَابُ وما حَرَكَاتُنَا إِلَّا فَنَاءُ

البُحْرِيُّ :

إِنَّ الرِّزْيَةَ فِي الْفَقِيدِ فَإِنْ هَفَا جَزَعُ بَلْبِكَ فَالرِّزْيَةُ فَيَكَا^(٣)
وَمَتَّى وَجَدْتَ النَّاسَ إِلَّا تَارِكًا لِحِمِيمِهِ فِي التُّرْبِ أَوْ مَتْرُوكَا
لَوْ يَنْجَلِي لَكَ ذَخْرُهَا مِنْ نَكْبَةٍ جَلِيلٍ لِأَضْحَكَكَ الَّذِي يُبْكِيكَ

(١) رجل عميد : هذه العشق .

(٢) حاشية ب : قوله : « عُنُقَيْنَا » التثنية باعتبار التقدم والتأخر .

(٣) ديوانه ٢ : ١٥٣ ، من رثائه لـ محمد بن وهب .

وكتب بعضهم إلى صديق له مات ابنه : كيف شُكرُكُ لله تعالى على ما أخذ من وديعته ، وعَوَّض من مَنُوبته .

وعَزَّى عمر بن الخطاب أبا بكرٍ عن طفلي ، فقال : عَوَّضَكَ اللهُ مِنْهُ ما عَوَّضَهُ مِنْكَ ؛ فَإِنَّ الطَّفْلَ يَعَوِّضُ مِنْ أَبَوَيْهِ الْجَنَّةَ .

وفي الحديث المرفوع : « مَنْ عَزَّى مَصَابَا كَانَ لَهُ مِثْلُ أَجْرِهِ » .

وقال عليه السلام : مَنْ كُنُوزَ السَّرِّ كَتَمَ المصائب ، وَكَتَمَ الأمراض وَكَتَمَ الصَّدَقَةَ .

وقال شاعرٌ في رِثاءِ ولده :

وَسَمِيَّتُهُ يَحْيَى لِيَحْيَا وَلَمْ يَكُنْ إِلَى رَدِّ أَمْرِ اللهِ فِيهِ سَبِيلُ
تَخَيَّرْتُ فِيهِ الْفَالَ حِينَ رُزِقْتُهُ وَلَمْ أَدْرِ أَنَّ الْفَالَ فِيهِ يَفِيلُ

وقال آخر :

وَهَوَّنَ وَجَدِي بَعْدَ فِقْدِكَ أَنِّي إِذَا شِئْتُ لَأَقِيتُ امْرَأَتَ صَاحِبِهِ
آخر :

وَقَدْ كُنْتُ أَرْجُو لَوْ تَمَلَّيْتُ عِيشَةً عَايِكَ اللَّيَالِي مَرَّهَا وَأُنْتَقَالَهَا
فَأَمَّا وَقَدْ أَصْبَحْتَ فِي قَبْضَةِ الرَّدَى فَقُلْ لِلَّيَالِي فَلْتُصِبْ مَنْ بَدَا لَهَا

أَخَذَهُ الْمُنْبِيُّ فَقَالَ :

قَدْ كُنْتُ أَشْفِقُ مِنْ دَمْعِي عَلَى بَصَرِي فَالْيَوْمَ كُلُّ عَزِيزٍ بَعْدَكُمْ هَانَا^(١)
وَمِثْلُهُ لَغَيْرِهِ :

فَرَأَيْتُكَ كُنْتُ أَخْشَى فَافْتَرَقْنَا فَمِنْ فَارَقْتُ بَعْدَكَ لَا أَبَالِي

الأضل :

وقال عليه السلام عِنْدَ وَقُوفِهِ عَلَى قَبْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ سَاعَةً دُفِنَ
رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ :

إِنَّ الصَّبْرَ جَمِيلٌ إِلَّا عَنْكَ ، وَإِنَّ الْجَزَعَ لَقَبِيحٌ إِلَّا عَلَيْكَ ، وَإِنَّ الْبُصَابَ بِكَ
لَجَلِيلٌ ، وَإِنَّهُ بَعْدَكَ لَقَلِيلٌ .

الشَّيْخُ :

قد أَخَذَتْ هَذَا الْمَعْنَى الشُّعْرَاءُ ؛ فَقَالَ بَعْضُهُمْ :

أَمَسْتُ بِجَفْنِي لِلذَّمُوعِ كُلُّومٌ حَزَنًا عَلَيْكَ فِي الْخُلُودِ رُسُومٌ^(١)
وَالصَّبْرُ يُحَمَّدُ فِي الْمَوَاطِنِ كُلِّهَا إِلَّا عَلَيْكَ فَإِنَّهُ مَذْمُومٌ

وقال أبو تمام :

وقد كَانَ يُدْعَى لِابْنِ الصَّبْرِ حَازِمًا فَقَدْ صَارَ يُدْعَى حَازِمًا حِينَ يَجْزَعُ^(٢)

وقال أبو الطيّب :

أَجِدُ الْجَفَاءَ عَلَى سِوَاكَ مُرُوءَةً وَالصَّبْرَ إِلَّا فِي نَوَاكَ جَمِيلًا^(٣)
وقال أبو تمام أيضاً :

الصَّبْرُ أَجَلٌ غَيْرُ أَنْ تَلْذِذَا فِي الْحَبِّ أَوْلَى أَنْ يَكُونَ جَمِيلًا^(٤)

(١) الكامل : ٢ : ٤١ ، ونسبها إلى محمد بن عبد الله العنبي

(٢) ديوانه ٣٣٣ (بشرح الحياط) ، التبيان ١ : ٢٤٦

(٣) ديوانه ٣ : ٢٣٣

(٤) ديوانه ٢٤٢ (بشرح الحياط) .

وقالت خنساء أخت عمرو بن الشريد :

ألا يا صخرُ إن أبكيت عيني لقد أضحكني دهرًا طويلاً
بكيتك في نساء مُعولاتٍ وكنتُ أحقَّ من أبدى العويلاً
دفعتُ بك الجليلَ وأنتَ حيٌّ فمن ذا يدفع الخطبَ الجليلاً !
إذا قبُح البكاء على قتيلٍ رأيتُ بكاءك الحسنَ الجميلاً^(١)

ومثلُ قوله عليه السلام : « وإنه بعدك لقليل » ، يعنى المصاب ، أى لا مُبالاة بالمصائب

بعد المصيبة بك ، قولُ بعضهم :

قد قلتُ للموتِ حين نازَلَهُ والموتُ مقدامةٌ على البُهمِ
أذهبَ بمن شئتَ إذ ظفرتَ به ما بعدَ يحى للموتِ من ألمِ
وقال السمرُ دَلِ الزُّبوعى يرثى أخاه :

إذا ما أتى يومٌ من الدهرِ بيننا فحيّاك عنا شرُّهُ وأصائلُهُ^(٢)
أبى الصبرَ أن العينَ بعدك لم تزلْ يُحالفُ جفنيها قذى ما تزايلُهُ
وكنتُ أعيرُ الدمعَ قبلك من بكى فأنتَ على من ماتَ بعدك شاغلُهُ
أعيني إذ أبكا كما الدهرُ فابكيا لمن نصرُهُ قد بانَ عنا ونائلُهُ
وكنتُ به أغشى القتالَ فعزّيتى عليه من المِقْدَارِ مَنْ لا أقاتلُهُ
لعمرك إن الموتَ مِنّا لمولعٌ بمن كان يُرجى نفعُهُ وفواضلُهُ

قوله :

* فأنتَ على من ماتَ بعدك شاغلُهُ *

هو المعنى الذى نحن فيه ، وذكرنا سائرَ الأبياتِ لأنها فائقة بعيدة النظر .

وقال آخر يرثي رجلا اسمه جارية :

أجاريَ ما أزدادُ إلاَّ صَبَابَةً عليكَ وما تزدادُ إلاَّ تَنَائِيَا
أجاريَ لو نفسٌ فَدَتْ نفسَ مَيِّتٍ فديتُكَ مَسْرُورَا بنَفْسِي ومَالِيَا
وقد كنتُ أرجو أن أراكَ حَقِيقَةً فحالَ قضاءِ الله دونَ قَضَائِيَا
ألا فليمتُ من شاءَ بعدَكَ إنما عليكَ من الأقدارِ كانَ حِذَارِيَا

ومن الشعر المنسوب إلى عليٍّ عليه السلام - ويقال : إنه قاله يومَ ماتَ رسولُ الله
صلى الله عليه وآله :

كنتَ السَّوَادَ لناظِرِي فَبَكَى عَلَيْكَ النَّاظِرُ
من شاءَ بعدَكَ فليمتُ فعليكَ كنتُ أَحَازِرُ

ومن شعر الحماسة :

سَأَبْكِيكَ مَا فَاضَتْ دُمُوعِي فَإِنْ تَغْفُضْ لِحَسْبِكَ مَنِي مَا تُجِنُّ الْجَوَانِحُ
كَأَنَّ لَمْ يَمُتْ حَتَّى سِوَاكَ وَلَمْ تَقُمْ عَلَى أَحَدٍ إِلَّا عَلَيْكَ النَّوَانِحُ
لَئِنْ حَسُنْتَ فَيَكُ الْمَرَانِي بِوَصِفِهَا لَقَدْ حَسُنْتَ مِنْ قَبْلُ فَيَكُ الْمَدَانِحُ
فَمَا أَنَا مِنْ رُزْءٍ وَإِنْ جَلَّ جَارِعُ وَلَا بَسْرُورٍ بَعْدَ مَوْتِكَ فَارِحُ

الأضل :

لَا تَصْحَبِ الْمَائِقَ فَإِنَّهُ يُزَيِّنُ لَكَ فِعْلَهُ ، وَيَوَدُّ أَنْ تَكُونَ مِثْلَهُ .

الشَّيْخ :

المائق : الشديدُ الحُمقُ ، والموق : شدةُ الحُمقِ ، وإنما يزین لك فعله لأنه يعتقد فعله صواباً بحمقه فيزيئنه لك كما يزین العاقلُ لصاحبه فعله لاعتقاد كونه صواباً ، ولكن هذا صوابٌ في نفس الأمر ، وذلك صوابٌ في اعتقاد المائق ، لا في نفس الأمر ؛ وأما كونه يودُّ أن تكون مثله فليس معناه أنه يودُّ أن تكون أحمق مثله ، وكيف وهو لا يعلم من نفسه أنه أحمق ، ولو علم أنه أحمق لما كان أحمق ، وإنما معناه أنه لحبه لك ، وصحبته إياك ، يودُّ أن تكون مثله ، لأن كل أحدٍ يودُّ أن يكون صديقه مثل نفسه في أخلاقه وأفعاله ، إذ كل أحدٍ يعتقد صوابَ أفعاله ، وطهارة أخلاقه ، ولا يشعر بعيب نفسه لأنه يهوى نفسه ، فعيب نفسه مطوىٌّ مستور عن نفسه ، كما تحفى عن العاشق عيوبُ المعشوق .

الأضل :

وقال عليه السلامُ وَقَدْ سُئِلَ عَنْ مَسَافَةِ مَا بَيْنَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ ، فَقَالَ :
مَسِيرَةُ يَوْمٍ لِلشَّمْسِ .

الشرح :

هكذا تقول العرب « بينهما مسيرة يوم » بالهاء ، ولا يقولون « مسيرُ يوم » لأنَّ
المسيرَ المصدرَ ، والمسيرة الاسم .

وهذا الجوابُ تسميه الحكماء جواباً إقناعياً ، لأن السائل أراد أن يذكر له
كمية المسافة مفضلة ، نحو أن يقول : بينهما ألف فرسخ أو أكثر أو أقل ، فعدل عليه
السلام عن ذلك وأجابه بغيره ، وهو جواب صحيح لا ريب فيه ، لكنه غير شافٍ
لقليل السائل ، وتحت غرض صحيح ، وذلك لأنه سأل بحضور العامة تحت المنبر ، فلو
قال له : بينهما ألف فرسخ مثلاً ، لكان للسائل أن يطالبه بالدلالة على ذلك ،
والدلالة على ذلك يشقَّ حصولها على البديهة ، ولو حصلت لشقَّ عليه أن يوصلها
إلى فهم السائل ، ولو فهمها السائل لما فهمتها العامة الحاضرون ، ولصار فيها قولٌ
وخلاف ، وكانت تكون فتنة أو شبهة بالفتنة ، فعدل إلى جواب صحيح إجمالي
أسكت السائل به ، وقنع به السامعون أيضاً واستحسنوه ، وهذا من نتائج حكيمته
عليه السلام .

الأصل :

أَصْدِقَاؤُكَ ثَلَاثَةٌ ، وَأَعْدَاؤُكَ ثَلَاثَةٌ ؛ فَأَصْدِقَاؤُكَ : صَدِيقُكَ ، وَصَدِيقُ صَدِيقِكَ ،
وَعَدُوُّ عَدُوِّكَ . وَأَعْدَاؤُكَ : عَدُوُّكَ ، وَعَدُوُّ صَدِيقِكَ ، وَصَدِيقُ عَدُوِّكَ .

الشرح :

قد تقدّم القولُ في هذا المعنى .

والأصل في هذا أن صديقك جارٍ مجرى نفسك ، فاحكم عليه بما تحكم به على نفسك ، وعدوك ضدك ، فاحكم عليه بما تحكم به على الضدِّ ، فكما أن من عاداك عدوٌّ لك ، وكذلك من عادى صديقك عدوٌّ لك ، وكذلك من صادق صديقك فكأنما صادق نفسك ، فكان صديقاً لك أيضاً ، وأما عدوُّ عدوك فعدوُّك فعدوُّك ؛ وضدُّ ضدك ملائمٌ لك ، لأنك أنتَ ضدُّ لذلك الضدِّ ، فقد اشتهر كما في ضديَّة ذلك الشخص ، فكنتما متناسبين ، وأما من صادق عدوك فقد مائلٌ ضدك ، فكان ضدّاً لك أيضاً ، ومثلُ ذلك بياضٌ مخصوصٌ يُعَادِي سَوَاداً مخصوصاً ويضاده .

وهناك بياض ثانٍ هُوَ مِثْلُ البياض الأوّل وصديقه ، وهناك بياض ثالثٌ
مِثْلُ البياض الثاني ، فيكون أيضاً مِثْلُ البياض الأوّل وصديقه ، وهناك بياضٌ

رابعاً تأخذه بالاعتبار ضدّاً للسواد المخصوص المفروض ، فإنه يكون مماثلاً وصديقاً للبياض الأوّل ، لأنه عدوّ عدوّه ؛ ثمّ نفرض ^(١) سواداً ثانياً مضادّاً للبياض الثانی ، فهو عدوّ للبياض الأوّل ، لأنه عدوّ صديقه ، ثمّ نفرض سواداً ثالثاً هو ممّاثلُ السّوادِ المخصوص المفروض ، فإنه يكون ضدّاً للبياض المفروض المخصوص ، لأنّه مثلُ ضده ؛ وإنّ مثلت ذلك بالحروف كان أظهرَ وأكشف .

الأضل :

وقال عليه السلام لِرَجُلٍ رآه يَسْعَى عَلَى عَدُوِّ لَهُ بِمَافِيهِ إِضْرَارٌ بِنَفْسِهِ : إِنَّمَا أَنْتَ كَالطَّاعِنِ نَفْسَهُ لِيَقْتُلَ رِدْفَهُ .

الشَّيْخُ :

هذا يختلف باختلاف حال الساعي ، فإنه إن كان يضرّ نفسه أو لا ثم يضرّ عدوّه تبعاً لإضراره بنفسه ، كان - كما قال أمير المؤمنين عليه السلام - كالطاعن نفسه ليقتل رِدْفَهُ ؛ والرّدْفُ : الرجلُ الذي ترُدِّفه خَلْفَكَ على فرَس أو ناقةٍ أو غيرها ، وفاعل ذلك يكون أسفه الخلق وأقلّهم عقلاً ، لأنه يبدأ بقتل نفسه وإن كان يضرّ عدوّه أولاً ، يحصل في ضمن إضراره بعدوّه إضراره بنفسه ، فليس يكون مثلاً أمير المؤمنين عليه السلام منطبقاً على ذلك ، ولكن يكون كقولِي في غزلٍ من قصيدةٍ لِي :

إِنْ تَرَمَّ قَلْبِي تُصْمِمْ نَفْسَكَ إِنَّهُ لَكَ مَوْطِنٌ تَأْوِي إِلَيْهِ وَمَنْزِلٌ^(١)

(٣٠٣)

الأصل :

ما أَكْثَرَ الْعَبْرَ وَأَقَلَّ الْعَتَبَارَ !

الشرح :

ما أوجز هذه الكلمة وما أعظم فائدتها ! ولا ريب أن العبر كثيرة جداً، بل كل شئ في الوجود ففيه عبرةٌ ، ولا ريب أن المعتبرين بها قليلون ، وأنّ الناس قد غلب عليهم الجهل والهوى ، وأرداهم حبُّ الدنيا ، وأسكرهم خمرُها ؛ وإنّ اليقين في الأصل ضعيف عندهم ، ولولا ضعفه لكانت أحوالهم غيرَ هذه الأحوال .

الأصل :

مَنْ بَالَعَ فِي الْخُصُومَةِ أُنْثَى ، وَمَنْ قَصَّرَ فِيهَا ظَلَمَ ، وَلَا يَسْتَطِيعُ أَنْ يَتَّقِيَ اللَّهَ مَنْ خَاصَمَ .

الشرح :

هذا مثل قوله عليه السلام في موضع آخر : الغالب بالشر مغلوب .
وكان يقال : ما نساب اثنان إلا غلب الأُمهما .

وقد نهى العلماء عن الجدل والخصومة في الكلام والفقه ؛ وقالوا : إنيهما مظنة المباحاة وطلب الرئاسة والغلبة ، والمجادل يكره أن يقهره خصمه ؛ فلا يستطيع أن يتقى الله .
وهذا هو كلام أمير المؤمنين عليه السلام بعينه .

وأما الخصومة في غير العلم كمنازعة الناس بعضهم بعضاً في أمورهم الدنيوية ، فقد جاء في ذمها والنهي عنها شيء كثير ، وقد ذكرنا منه فيما تقدم قولاً كافياً ؛ على أن منهم مَنْ مدح الجهل والشر في موضعهما .
وقال الأحنف : مائل سفهاء قوم إلا ذلوا .

وقال بعض الحكماء : لا يخرج من أحد من بيته إلا وقد أخذ في حُجْرته قيراطين من جهل ؛ فإن أجهل لا يدفعه إلا الجهل . وقالوا : الجاهل من لا جاهل له .
وقال الشاعر :

إذا كنت بين الجهل والحلم قاعداً وخيَّرتَ أني شئت فالعلم أفضل
ولكن إذا أنصفتَ مَنْ ليس منصفاً ولم يرضَ منك الحلم فالجهل أمثل
إذا جاءني مَنْ يطلب الجهل عامداً فإني سأعطيهِ الذي هو سائلُ

(٣٠٥)

الأصل :

مَا أَهَمَّنِي أَمْرٌ أَتَمَّهْتُ بَعْدَهُ حَتَّى أَصَلِّيَ رَكَعَتَيْنِ وَأَسْأَلَ اللَّهَ الْعَافِيَةَ .

الشرح :

هذا فتحٌ لباب التوبة وتطريق إلى طريقها ، وتعليم للنهضة إليها والاهتمام بها ، ومعنى الكلام أن الذنب الذي لا يعاجل الإنسان عقيبه بالموت ينبغي للإنسان ألا يهتم به ، أى لا ينقطع رجاءه عن العفو وتأمله الغفران ، وذلك بأن يقوم إلى الصلاة عاجلاً ، ويستغفر الله ، ويندم ويعزم على ترك المعاودة ، ويسأل الله العافية من الذنوب والعصمة من المعاصي ، والعون على الطاعة ، فإنه إذا فعل ذلك بنية صحيحة واستوفى شرائط التوبة سقط عنه عقاب ذلك الذنب .

وفى هذا الكلام تحذيرٌ عظيم من مواقع الذنوب ، لأنه إذا كان هذا هو محصول الكلام ، فكأنه قد قال : الحذرَ الحذرَ من الموت المفاجئ قبل التوبة ، ولا ريب أن الإنسان ليس على ثقة من الموت المفاجئ قبل التوبة ، إنه لا يفاجئه ولا يأخذه بفتة ، فالإنسان إذا كان عاقلاً بصيراً يتوقى الذنوب والمعاصي غاية التوقى .

الأفضل :

وَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : كَيْفَ يُحَاسِبُ اللَّهُ الْخَلْقَ عَلَى كَثَرَتِهِمْ ؟ فَقَالَ : كَمَا يَرْزُقُهُمْ عَلَى كَثَرَتِهِمْ .

فَقِيلَ : كَيْفَ يُحَاسِبُهُمْ وَلَا يَرَوْنَهُ ؟ فَقَالَ : كَمَا يَرْزُقُهُمْ وَلَا يَرَوْنَهُ .

الشَّرْحُ :

هذا جواب صحيح ، لأنه تعالى لا يرزقهم على الترتيب ، أعنى واحداً بعد واحد ، وإنما يرزقهم جميعهم دفعةً واحدة ، وكذلك تكون محاسبتهم يوم القيامة .

والجواب الثانى صحيح أيضاً ؛ لأنه إذا صحَّ أن يرزقنا ولا نرى الرزاق ، صحَّ أن يحاسبنا ولا نرى المحاسب .

فإن قلت : فقد ورد أنهم يمحسون فى الحساب ألف سنة ؛ وقيل أكثر من ذلك ، فكيف يجمع بين ماورد فى الخبر وبين قولكم : « إن حسابهم يكون ضربة واحدة » ! ولا ريب أن الأخبار تدلّ على أن الحساب يكون لواحدٍ بعد واحد .

قلت : إن أخبار الآحاد لا يُعمل عليها ؛ لا سيما الأخبار الواردة فى حديث الحساب والنار والجنة ، فإن المحدثين طعنوا فى أكثرها ، وقالوا : إنها موضوعة ، وجملة الأمر أنه ليس هناك تكليف ، فيقال إن ترتيب المحاسبة فى زمانٍ طويل جداً يتضمن لطفاً فى التكليف فيفعله البارئ تعالى لذلك ، وإنما الغرض من المحاسبة صدق الوعد وما سبق من القول ؛ والكتاب العزيز لم ينطق إلا بالمحاسبة مجملةً ، فوجب القول بالمتيقن المعلوم فيها ورفض ما لم يثبت .

(٣٠٧)

الأصل :

رَسُولُكَ تَرُجِّمَانُ عَقْلِكَ ، وَكِتَابُكَ أَبْلَغُ مَا يَنْطِقُ عَنْكَ .

الشُّرْحُ :

قالوا في المثل : الرسول على قدر المرسل .

وقيل أيضا : رسولك أنت ، إلا أنه إنسان آخر .

وقال الشاعر :

تَخَيَّرَ إِذَا مَا كُنْتَ فِي الْأَمْرِ مَرْسِلًا فَبَلَّغُ آرَاءِ الرِّجَالِ رَسُولُهَا
وَرَوَّ وَفَكَّرَ فِي الْكِتَابِ فَإِنَّمَا بِأَطْرَافِ أَقْلَامِ الرِّجَالِ عَقُولُهَا

الأضل :

مَا الْمُبْتَلَى الَّذِي قَدْ أُشْدَّ بِهِ الْبَلَاءُ ، بِأُحْوَجَ إِلَى الدُّعَاءِ مِنَ الْمُعَافَى الَّذِي لَا يَأْمَنُ الْبَلَاءَ .

الشرح :

هذا ترغيب في الدعاء، والذي قاله عليه السلام حقّ ، لأنّ المعافى في الصهورة مبتلى في المعنى ، ومادام الإنسان في قيّد هذه الحياة الدنيا فهو من أهل البلاء على الحقيقة ، ثم لا يأمن البلاء الحسىّ ، فوجب أن يتضرّع إلى الله تعالى أنّه ينقذه من بلاء الدنيا المعنوى، ومن بلائها الحسىّ في كلّ حال .

ولا ريب أنّ الأدعية مؤثّرة، وأنّ لها أوقات إجابة ، ولم يختلف المليون^(١) والحكام في ذلك .

(١) في ١ : « أصحاب الملل »

الأفضل :

النَّاسُ أَبْنَاءُ الدُّنْيَا ، وَلَا يُلَامُ الرَّجُلُ عَلَى حُبِّ أُمِّهِ .

الْبَيْزُج :

قد قال عليه السلام في موضع آخر: « الناس بزمانهم أشبه منهم بأبائهم » .

وقال الشاعر :

وَنَحْنُ بَنِي الدُّنْيَا غُذِيْنَا بِدَرِّهَا وَمَا كُنْتَ مِنْهُ فَهَوْشَىءَ مَحَبِّ^(١)

(١) الدر : اللبن ، والكلام على الاستعارة .

الأفضل :

إِنَّ الْمَسْكِينِ رَسُولُ اللَّهِ ، فَمَنْ مَنَعَهُ فَقَدْ مَنَعَ اللَّهَ ، وَمَنْ أَعْطَاهُ فَقَدْ
أَعْطَى اللَّهَ .

الشَّيْخُ :

هذا حض^ث على الصدقة ، وقد تقدّم لنا قول^١ منقنع فيها .

وفي الحديث المرفوع : « اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ ، فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَبِكَلِمَةٍ طَيِّبَةٍ » .
وقال صلى الله عليه وآله : « لَوْ صَدَّقَ السَّائِلُ لَمَا أَفْلَحَ مَنْ رَدَّه » .

وقال أيضا : « مَنْ رَدَّ سَائِلًا خَائِبًا لَمْ تَغْشَ الْمَلَائِكَةُ ذَلِكَ الْبَيْتَ سَبْعَةَ أَيَّامٍ » .

وكان صلى الله عليه وآله لا يَكِلُ خَصْلَتَيْنِ إِلَى غَيْرِهِ : كَانَ يَصْنَعُ طَهُورَهُ ^(١) بِاللَّيْلِ

وَيُخَمِّرُهُ ، وَكَانَ يَنَاولُ الْمَسْكِينِ بِيَدِهِ .

وقال بعض الصالحين : مَنْ لَمْ تَكُنْ نَفْسُهُ إِلَى ثَوَابِ الصَّدَقَةِ أَحْوَجَ مِنَ الْفَقِيرِ إِلَى

صَدَقَتِهِ ، فَقَدْ أَبْطَلَ صَدَقَتَهُ ، وَضَرَبَ بِهَا وَجْهَهُ .

وقال بعضهم : الصَّلَاةُ تَبْلُغُكَ نِصْفَ الطَّرِيقِ ، وَالصَّوْمُ يَبْلُغُكَ بَابِ الْمَلِكِ ، وَالصَّدَقَةُ

تَدْخُلُكَ عَلَيْهِ .

(١) الطهور : الماء الذي يتطهر به . ويخمره : يستره .

(٣١١)

الأصل :

مَا زَنَى غَيْرُهُ قَطُّ .

البُخ :

قد جاء في الأثر : مَنْ زَنَى زُنًى بِهِ وَلَوْ فِي عَقِبِ عَقِبِهِ .

وهذا قد جُرِّبَ فوجد حقًّا ، وقلَّ مَنْ تَرَى مُقْدَامًا عَلَى الزَّنا إِلَّا وَالْقَوْلَ فِي حَرَمِهِ
وَأَهْلِهِ وَذَوِي مَحَارِمِهِ كَثِيرٌ فَاشٍ .

والكلمة التي قالها عليه السلام حقٌّ ، لأنَّ مَنْ اعتاد الزَّنا حتى صار دُرْبَتَهُ وَعَادَتَهُ
وَأَلْفَتَهُ نَفْسَهُ ، لَا بَدَّ أَنْ يَهْوِيَ عَلَيْهِ حَتَّى يَظُنَّهُ مَبَاحًا ، أَوْ كَالْمَبَاحِ ، لأنَّ مَنْ تَدَرَّبَ بِشَيْءٍ
وَمَرَّنَ عَلَيْهِ زَالَ قَبْحُهُ مِنْ نَفْسِهِ ، وَإِذَا زَالَ قَبْحُ الزَّنا مِنْ نَفْسِهِ لَمْ يَعْظُمْ عَلَيْهِ مَا يُقَالُ فِي
أَهْلِهِ ، وَإِذَا لَمْ يَعْظُمْ عَلَيْهِ مَا يُقَالُ فِي أَهْلِهِ ، فَقَدْ سَقَطَتْ غَيْرَتُهُ .

الأفضل :

كَفَى بِالْأَجَلِ حَارِسًا !

الشَّرْحُ :

قد تقدّم القول في هذا المعنى .

وكان عليه السلام يقول: إِنْ عَلَيَّ مِنَ اللَّهِ جُنَّةٌ^(١) حصينة ، فإذا جاء يَوْمِي أَسْلَمْتَنِي؛
فحينئذ لا يطيش السَّهْمُ ، ولا يبرأ الكَلْمُ .

والقول في الأجل وكونه حارساً شُعْبَةٌ من شُعَبِ القول في القضاء والقَدَر ، وله موضع
هو أَمَلِكُ بِهِ^(٢) .

(٣١٣)

الأضل :

يَنَامُ الرَّجُلُ عَلَى الشَّكْلِ ، وَلَا يَنَامُ عَلَى الْحَرْبِ .

قَالَ السَّيِّدُ : وَمَعْنَى ذَلِكَ أَنَّهُ يَصْبِرُ عَلَى قَتْلِ الْأَوْلَادِ ، وَلَا يَصْبِرُ عَلَى سَلْبِ الْأَمْوَالِ .

الشَّنْحُ :

كَانَ يُقَالُ : الْمَالُ عَذْلُ النَّفْسِ .

وَفِي الْأَثَرِ أَنَّ مَنْ قُتِلَ مِنْ دُونِ مَالِهِ فَهُوَ شَهِيدٌ .

وَقَالَ الشَّاعِرُ :

لَنَا إِبِلٌ غُرٌّ يَضِيقُ فِصَاؤُهَا	وَيَغْبِرُ عَنْهَا أَرْضُهَا وَسَمَاؤُهَا
فَمِنْ دُونِهَا أَنْ تُسْتَبَاحَ دِمَاؤُنَا	وَمِنْ دُونِنَا أَنْ تُسْتَبَاحَ دِمَاؤُهَا
حِمَى وَقِرَى قَالَمُوتٍ دُونَ مَرَامِهَا	وَأَيْسَرُ أَمْرِ يَوْمَ حَقِّ فَنَاؤُهَا

الأفضل :

مَوَدَّةُ الْأَبَاءِ قَرَابَةٌ بَيْنَ الْأَبْنَاءِ ، وَالْقَرَابَةُ أَحْوَجُ إِلَى الْمَوَدَّةِ مِنَ الْمَوَدَّةِ
إِلَى الْقَرَابَةِ .

السُّنْحُ :

كان يقال : الحبُّ يُتَوَارَثُ ، والبُغْضُ يُتَوَارَثُ .

وقال الشاعر :

أَبَقَى الضَّغَائِنَ آبَاءَ لَنَا سَلَفُوا فَن تَبِيدَ وَلِلْآبَاءِ أَبْنَاءُ
وَلَا خَيْرَ فِي الْقَرَابَةِ مِنْ دُونِ مَوَدَّةٍ .

وقد قال القائل لما قيل له : أيُّما أحبُّ إليك ؟ أخوك أم صديقك ؟ فقال : إنما أحبُّ
أخي إذا كان صديقا .

فالقربى محتاجة إلى المودة ، والمودة مستغنية عن القربى ^(١) .

الأصل :

أَتَّقُوا ظُنُونَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَ الْخُلُقَ عَلَى السِّدْتِهِمْ .

الشرح :

كان يقال : ظَنُّ المؤمن كَهَانَةٌ .

وهو أثرٌ جاء عن بعض السلف .

قال أَوْسُ بْنُ جَبْرِ ^(١) :

الْأَلْمَى الَّذِي يَظُنُّ ^(٢) بِكَ الظَّنَّ كَانَ قَدْ رَأَى وَقَدْ سَمِعَا ^(٣)

وقال أَبُو الطَّيِّبِ ^(٤) :

ذَكَى ^(٥) تَظَنِّيهِ طَلِيعَةُ عَيْنِهِ يَرَى قَلْبَهُ فِي يَوْمِهِ مَا يَرَى غَدًا ^(٥)

(١) ديوانه ٥٣

(٢) الديوان : « لك » . (٣) الألمى : الحديد اللسان والقلب ؛ قال في الكامل :

« وقد أبانه بقوله : « الَّذِي يَظُنُّ بِكَ الظَّنَّ » . (٤) ديوانه ١ : ٢٨٢

(٥) التظنى : هو التظن ، قلبت النون الثانية ياء . والطليلة : الذى يطلع القوم على العدو فإذا جادهم العدو أنذرهم .

الأفضل :

لَا يَصْدُقُ إِيمَانُ عَبْدٍ حَتَّى يَكُونَ بِمَا فِي يَدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ أَوْثَقَ مِنْهُ بِمَا فِي يَدِهِ .

الشنخ :

هذا كلام في التوكل ، وقد سبق القول فيه .

وقال بعض العلماء : لا يشغلك المضمون لك من الرزق عن المفروض عليك من العمل ، فتضيع أمر آخرتك ، ولا تنال من الدنيا إلا ما كتب الله لك .
وقال يحيى بن معاذ في جود^(١) العبد : الرزق عن غير طلب دلالة على أن الرزق مأمور بطلب العبد .

وقال بعضهم : متى رضيت بالله وكيلا ، وجدت إلى كل خير سبيلا^(٢) .

(١) في ب : « وجود » تحريف . (٢) زاد بعدها في أ : « واضحا » .

وقال عليه السلام لأنس بن مالك ، وقد كان بعثه إلى طاححة والزبير لما جاء إلى البصرة يذكّرهما شيئاً قد سمعه من رسول الله صلى الله عليه وآله في معناهما ، فلوى عن ذلك فرجع ، فقال : إني أنسيت ذلك الأمر ، فقال عليه السلام : إن كنت كاذباً فضربك الله بها بيضاء لامعة لا توارىها العمامة .

قال : يعنى البرص ، فأصاب أنساً هذا الداء فيما بعد في وجهه ، فكان لا يرى إلا متبرقعا .

الشنخ :

المشهور أن عليا عليه السلام ناشد الناس الله في الرّحبة بالكوفة ، فقال : أنشدكم الله رجلاً سمع رسول الله صلى الله عليه وآله يقول لى وهو منصرف من حجة الوداع : « من كنت مولاه فعلى مولاه ، اللهم وال من والاه ، وعاد من عاداه » ! فقام رجال فشهدوا بذلك ، فقال عليه السلام لأنس بن مالك : لقد حضرتها ، فما بالك ! فقال : يا أمير المؤمنين كبرت سنّى ، وصار ما أنساه أكثر مما أذكره ؛ فقال له : إن كنت كاذباً فضربك الله بها بيضاء لا توارىها العمامة ، فمات حتى أصابه البرص .

فأما ما ذكره الرضى من أنه بعث أنسا إلى طاححة والزبير فغير معروف ، ولو كان قد بعثه ليدكّرهما بكلام يختص بهما من رسول الله صلى الله عليه وآله لما أمكنه أن

يرجع ، فيقول : إني أنسيته ، لأنه ما فارقه متوجّها نحوها إلا وقد أقرّ بمعرفته وذكره ، فكيف يرجع بعد ساعة أو يوم فيقول : إني أنسيته ، فينكر بعد الإقرار ! هذا مما لا يقع .

وقد ذكر ابن قتيبة حديث البرص ، والدعوة التي دعا بها أمير المؤمنين عليه السلام على أنس بن مالك في كتاب ” المعارف ” ، في باب البرص ^(١) من أعيان الرجال ، وابن قتيبة غير متهم في حقّ عليّ عليه السلام ، على المشهور من انحرافه عنه .

الأفضل :

إِنَّ لِلْقُلُوبِ إِقْبَالًَ وَإِدْبَارًا ، فَإِذَا أَقْبَلَتْ فَانْحِلُوهَا عَلَى النَّوَافِلِ ، وَإِذَا
أَذْبَرَتْ فَاقْتَصِرُوا بِهَا عَلَى الْفَرَائِضِ .

الشرح :

لا ريب أن القلوب تمل كما تمل الأبدان ؛ وتقبل تارة على العلم وعلى العمل ، وتدبر
تارة عنهما .

قال على عليه السلام : فإذا رأيتموها مقبلة أى قد نشطت وارتاحت للعمل فاحملوها
على النوافل ؛ ليس يعنى اقتصروا بها على النافلة ، بل أدوا الفريضة وتنفّلوا بعد ذلك .
وإذا رأيتمرها قد ملّت العمل وسئمت فاقْتَصِرُوا بِهَا عَلَى الْفَرَائِضِ ، فإنه لا انتفاع بعمل
لا يحضر القلب فيه^(١)

(٣١٩)

الأصل :

في القرآنِ نَبَأُ ما قَبْلَكُمْ ، وخبرُ ما بَعْدَكُمْ ، وحُكْمُ ما يَينَكُم .

الشرح :

هذا حق ؛ لأن فيه أخبار القرون الماضية ، وفيه أخبار كثيرة عن أمور مستقبلية ، وفيه أخبار كثيرة شرعية ؛ فالأقسام الثلاثة كلها موجودة فيه .

الأضل:

رُدُّوا الْحَجَرَ مِنْ حَيْثُ جَاءَ ، فَإِنَّ الشَّرَّ لَا يَذْفَعُهُ إِلَّا الشَّرُّ .

* * *

الشَّرْحُ :

هذا مثل قولهم في المثل : إن الحديد بالحديد يُفْلَحُ وقال عمرو بن كاثوم .

أَلَا لَا يَجْهَلُنَّ أَحَدٌ عَلَيْنَا فَجَهْلَ فَوْقَ جَهْلِ الْجَاهِلِينَا^(١)

وقال الفند الزَّمَانِي :

فَلَمَّا صَرَّحَ الشَّرُّ فَأَمْسَى وَهُوَ عُرْيَانُ^(٢)

وَلَمْ يَبْقَ سِوَى الْعُدُوِّ نِ دِنَاهُمْ كَمَا دَانُوا

وَبَعْضُ الْحِلْمِ عِنْدَ الْجَهْلِ لِلذَّلَّةِ إِذْ عَانَ

وَفِي الشَّرِّ نَجَاةٌ حِينَ لَا يَنْجِيكَ إِحْسَانُ

وقال الأحنف :

وَذِي ضِعْنِ أَمَتِ الْقَوْلِ عَنْهُ بِحِلْمِي فَاسْتَمَرَّ عَلَى الْمَقَالِ

وَمَنْ يَحْمِلُ وَلَيْسَ لَهُ سَفِيَّةٌ يُبْلِقُ الْمَعْضَلَاتِ مِنَ الرَّجَالِ

(١) من المعلقة ص ٣٢٣ - بشرح التبريزي (٢) ديوان الحماسة ١ : ٢٣ - ٢٦ - بشرح التبريزي

قالها في حرب البسوس .

وقال الراجز :

لا بد للسودد من أرماج ومن عديد يتقى بالراح

* ومن سفيه دائم الثباح *

وقال آخر :

ولا يلبث الجهال أن يتهضموا أبا الحلم ما لم يستعين بجهول

وقال آخر :

ولا أتمنى الشر والشر تاركى ولكن متى أنحل على الشر أركب

الأُضْلُ :

وقال عليه السلام لِكَاتِبِهِ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي رَافِعٍ :
أَلِقْ دَوَاتَكَ ، وَأَطِلْ جِلْفَةَ قَلَمِكَ ، وَفَرِّجْ بَيْنَ السُّطُورِ ، وَقَرِّمِطْ بَيْنَ الْحُرُوفِ
فَإِنَّ ذَلِكَ أَجْدَرُ بِصَبَاحَةِ الْخَطِّ .

الشَّيْرُخُ :

لَاقَ الْحَبْرُ بِالْكَاغِدِ يَابِقٍ ، أَى أَلْتَصَقَ ، وَلَقِنَهُ أَنَا يَتَعَدَّى وَلَا يَتَعَدَّى ، وَهَذِهِ دَوَاةٌ
مُلِيقَةٌ : أَى قَدْ أَصْلَحَ مَدَادُهَا ، وَجَاءَ أَلِقَ الدَّوَاةُ إِلَّاقَةً فَهِيَ مُلِيقَةٌ ، وَهِيَ لَفَةٌ قَلِيلَةٌ وَعَلَيْهَا
وَرَدَتْ كَلِمَةُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ .

وَيُقَالُ لِلرَّأَةِ إِذَا لَمْ تَحْظَ عِنْدَ زَوْجِهَا : مَا عَاقَتْ عِنْدَ زَوْجِهَا وَلَا لَاقَتْ ، أَى
مَا أَلْتَصَقَتْ بِقَابِهِ .

وَتَقُولُ : هِيَ جِلْفَةُ الْقَلَمِ بِالْكَسْرِ ، وَأَصْلُ الْجِلْفِ الْقَشْرُ ، جِلْفَتُ الطَّيْنِ مِنْ رَأْسِ الدَّنِّ ،
وَالْجِلْفَةُ هَيْئَةُ فَتْحَةِ الْقَلَمِ الَّتِي يَسْتَمِدُّ بِهَا الْمَدَادُ ، كَمَا تَقُولُ : هُوَ حَسَنُ الرَّكْبَةِ وَالْجِلْسَةِ وَنَحْوِ
ذَلِكَ مِنَ الْهَيْئَاتِ .

وَتَقُولُ : قَدْ قَرِّمِطَ فُلَانٌ خَطْوَهُ إِذَا مَشَى مَشْيًا فِيهِ ضَيْقٌ وَتَقَارُبٌ ؛ وَكَذَلِكَ الْقَوْلُ
فِي تَضْيِيقِ الْحُرُوفِ .

فَأَمَّا التَّفْرِيجُ بَيْنَ السُّطُورِ فَيُكْسِبُ الْخَطَّ بَهَاءً وَوُضُوحًا .

(٣٢٢)

الأصل :

أَنَا يَعْسُوبُ الْمُؤْمِنِينَ ، وَالْمَالُ يَعْسُوبُ الْفُجَّارِ .

وقال : مَعْنَى ذَلِكَ أَنَّ الْمُؤْمِنِينَ يَتَّبِعُونَنِي ، وَالْفُجَّارَ يَتَّبِعُونَ الْمَالَ ؛ كَمَا تَتَّبِعُ النَّحْلُ يَعْسُوبَهَا ، وَهُوَ رَئِيسُهَا .

الشرح :

هذه كلمة قالها رسول الله صلى الله عليه وآله بلفظين مختلفين ، تارة : « أنت يعسوب الدين » وتارة : « أنت يعسوب المؤمنين » ، والكل راجع إلى معنى واحد ، كأنه جعله رئيس المؤمنين وسيدهم ، أو جعل الدين يتبعه ، ويقفوا أثره ؛ حيث سلك كما يتبع النحل العسوب .

وهذا نحو قوله : « وأدير الحقَّ معه كيف دار » .

الأصل :

وقال لبعض اليهود حين قال له : مادَقَنْتُمْ نَبِيِّكُمْ حَتَّى اخْتَلَفْتُمْ فِيهِ !
فقال له :

إِنَّمَا اخْتَلَفْنَا عَنْهُ لَا فِيهِ ؛ وَلَكِنَّكُمْ مَا جَعَلْتُمْ أَرْجُلَكُمْ مِنَ الْبَحْرِ حَتَّى
قُلْتُمْ لِنَبِيِّكُمْ : ﴿ اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَالَّذِينَ قَالُوا إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَبْهَلُونَ ﴾ ^(١) .

الشرح :

ما أحسن قوله : « اختلفنا عنه لا فيه » ، وذلك لأن الاختلاف لم يكن في التوحيد
والنبوة ؛ بل في فروع خارجة عن ذلك ، نحو الإمامة والميراث ، والخلاف في الزكاة
هل هي واجبة أم لا ؛ واليهود لم يختلفوا كذلك ، بل في التوحيد الذي هو الأصل .

قال المفسرون : سرُّوا على قوم يعبدون أصناماً لهم على هيئة البقر ؛ فسألوا موسى أن يجعل
لهم إلهاً كواحد منها ، بعد مشاهدتهم الآيات والأعلام ، وخلاصهم من رقّ العبودية ،
وعبورهم البحر ، ومشاهدة غرق فرعون ؛ وهذه غاية الجهل .

وقد روى حديث اليهودي على وجه آخر ؛ قيل : قال يهوديٌ لعليّ عليه السلام :
اختلفتم بعد نبيِّكم ولم يحفّ ماؤه - يعني غسله - صلى الله عليه وآله - فقال عليه السلام :
وأنتم قلتم : اجعل لنا إلهاً كما لهم آلهة ولما يحفّ ماؤكم .

الأضل :

وقيلَ له عليه السَّلامُ : بأىِّ شىء غلبتَ الأقرانَ ؟ قالَ :
ما لقيتُ أحداً إلا أعاننى على نفسِهِ .

قالَ الرضى رحمه الله تعالى : يُومىءُ بِذلكَ إلى تَمَكُّنِ هَيْبَتِهِ فى القُلُوبِ .

الشُّنْخُ :

قالت الحُكماءُ : الوهم مؤثِّرٌ ، وهذا حقٌ ، لأن المريض إذا تفرَّ ر فى وهمه أن مرضه قاتل له ربِّما هلك بالوهم ، وكذلك مَنْ تلبَّسَ الحيةُ ؛ ويقع فى خياله أنها قاتلته ؛ فإنه لا يكاد يسلم منها ، وقد ضربوا لذلك مثلاً ، الماشى على جِذَعٍ معترض على مهواة ؛ فإنَّ وهمه وتخيُّله السقوط يقتضى سقوطه ؛ وإلا فشيء عليه وهو منصوب على المهواة كشيء عليه وهو ملق على الأرض ؛ لا فرق بينهما إلا الوهم والخوف والإشفاق والحذر ، فكذلك الذين بارزوا علياً عليه السلام من الأقران ؛ لما كان قد طار صيته ، واجتمعت الكلمة أنه ما بارزه أحد إلا كان القتول ، غلب الوهم عليهم ، فقصرت أنفسهم عن مقاومته ، وانخذلت أيديهم وجوارحهم عن مناهضته ؛ وكان هو فى الغاية المقصوى من الشجاعة والإقدام ، فيقتحم عليهم ويقتلهم .

الأضل :

وقال عليه السلام لابنه محمد بن الحنفية :

يَا بُنَيَّ إِنِّي أَخَافُ عَلَيْكَ الْفَقْرَ ؛ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْهُ ، فَإِنَّ الْفَقْرَ مَنْقَصَةٌ لِلدِّينِ ، مَذْهَبَةٌ
لِلْعَقْلِ ، دَاعِيَةٌ لِلْمَقْتِ .

الْبُخ :

[نَبَذَ مِنَ الْأَقْوَالِ الْحَكِيمَةِ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى]

هذا موضع قد اختلف الناس فيه كثيرا ، ففضل قوم الغنى ، وفضل قوم الفقر .

فقال أصحاب الغنى : قد وصف الله تعالى المال ، فسماه خيراً ، فقال : ﴿ إِنِّي أَحْبَبْتُ
حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي ﴾ ^(١) .

وقال ممتناً على عباده ، واعداهم بالإلزام والإحسان : ﴿ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ
وَبَنِينَ ﴾ ^(٢) .

وقال : ﴿ وَجَعَلْتُ لَهُ مَالاً مَمْدُوداً ﴾ ^(٣) .

وقال النبي صلى الله عليه وآله : « المال الحسب ، إن أحساب أهل الدنيا هذا المال » .

وقال عليه السلام : « نعم العون على تقوى الله المال » .

قالوا : ولا ريب أن الأعمال الجليلة العظيمة الثواب لا يتهيأ حصولها إلا بالمال ؛ كالحج والوقوف والصدقات والزكوات والجهاد .

وقد جاء في الخبر : « خير المال سكة مأبورة ^(١) أو مَهْرَةٌ مأمورة » .

وقالت الحكماء : المال يرفع صاحبه وإن كان ضيع النسب ، قليل الأدب ، وينصره وإن كان جباناً ، ويسيطر لسانه وإن كان عيياً ، به توصّل الأرحام ، وتصلح الأعراض ، وتظهر المروءة ، وتتمّ الرياسة ، ويعمر العالم ، وتبلغ الأغراض ، وتدرّك المطالب ، وتُنال المآرب ؛ يصلك إذا قطعك النَّاسُ ، وينصرك إذا خذلك ، ويستعبد لك الأحرار ، ولولا المال لما بان كرمُ الكريم ، ولا ظهر لؤمُ اللّئيم ، ولا شكرُ جواد ، ولا ذمُّ بخيل ، ولا صين حريم ، ولا أدرك نعيم .

وقال الشاعر :

المال أنفع للفتى من علمه والفقر أقتل للفتى من جهله
ماضٍ مَنْ رفع الدّراهم قدره جهلٌ يناط إلى دناءة أصله

وقال آخر :

دعوتُ أخى فولّى مشمئزاً ولَبّى درهمي لــــادعوتُ

وقال آخر :

ولم أر أوفى ذمّةً من دراهمي وأصدق عهداً في الأمور العظامي
فكم خانتني خلٌّ وثقتُ بعهدِهِ وكان صديقاً لي زمان الدّراهم

وقال آخر :

أبو الأصفر المنقوش أنفع للفتى من الأصل والعلم الخطير المقدم

(١) السكة : الطريقة . والمأبورة : اللقعة ، وانظر نهاية ابن الأثير ١ : ١٠٠

وما مدح العلمَ امرؤٌ ظفرت به يداه ولكن كلُّ مُقوٍ ومنعِدٍ
وقال الشاعر :

ولم أر بعد الدين خيراً من الغنى ولم أر بعد الكفر شرّاً من الفقر

وقال العتّابي : الناس لصاحب المال ألزَمُ من الشعاع للشمس ؛ وهو عندهم
أرفع من السماء ، وأعذب من الماء ، وأحلى من الشهد ، وأزكى من الورد ؛ خطؤه
صواب ، وسيئته حسنة . وقوله مقبول ، يُفشى مجلسه ، ولا يُملّ حديثه ، والمفلس
عندهم أكذب من لمعان السراب ، ومن رؤيا الكِظّة ، ومن مرآة اللّقة ، ومن سحاب
تمّوز ، لا يسأل عنه إن غاب ، ولا يسلمّ عليه إذا قدم ؛ إن غاب شتموه ، وإن حضر
طردوه ؛ مصاحفته تنقض الوضوء ، وقراءته تقطع الصلاة ؛ أثقل من الأمانة ، وأبغض
من السائل المبرم .

وقال بعض الشعراء الظرفاء ، وأحسن كل الإحسان مع خلاعته :

أصونُ دراھمی وأذْبَ عنها	لِعلیٰ أنہـا سَینِی وتُرُسی
وأذخرُها وأجمعُها بجھدی	ویأخذ وارثی منها وعُرُسی
فیأكلُها ویشرِبُها هنیئاً	علی النّفات من نقر وَجَسِّ
ویقعد فوق قبری بعد موتی	ولا یتصدّقن عَنی بفلس
أحبّ إلیّ من قصدی عظیما	کبیراً أصله من عبد شمس
أمدّ إلیه کفّی مستیحاً	وأصبحُ عبْدَ خدمته وأمسی
ویترکني أجرّ الرّجل مِنّی	وقد صارت کنفس الکلب نفسی

وقال أصحاب الفقر : الغنى سبب الطغيان ، قال الله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّ الْإِنْسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنَافٍ ﴾ (١) .

وقال تعالى : ﴿ وَإِذَا أَنْعَمْنَا عَلَى الْإِنْسَانِ أَعْرَضَ وَنَأَى بِجَانِبِهِ ﴾ (٢) .
 وكان يقال : الغنى يورث البطر ، وغنى النفس خيرٌ من غنى المال .
 وقال محمود البقال :

الفقر خيرٌ فالتسّع واقتصدْ إن من العِصْمَةِ ألا تجِدْ
 كم واجدٍ أطلق وجدانه عنانه فى بعض مالم يردْ
 ومُذْمِنٍ للخمر غادٍ على سماع عُودٍ وغناء غردْ
 لو لم يجدْ خمرًا ولا مُسمعا يرد بالماء غليل الكبدِ
 كم من يدٍ للفقر عند امرئٍ طأطا منه الفقر حتى اقتصدْ

وكان يقال : الفقر شعار الصالحين ، والفقر لباس الأنبياء .

ولذلك قال البحترى :

فقر كفقر الأنبياء وغربةٌ وصبايةٌ ليس بالبلاء بواحد (٣)

وكان يقال : الفقر مُخِفٌّ ، والغنى مُثْقَلٌ .

وفى الخبر : نجا الخفون .

وما أحسن قول أبى العتاهية :

ألم تر أن الفقر يُرجى له الغنى وأن الغنى يُخشى عليه من الفقرِ

وقد ذم الله تعالى المال ، فقال : ﴿ إِنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ ﴾ (٤) .

(٢) سورة الإسراء ٨٣

(٤) سورة الأنفال ٢٨

(١) سورة العلق ٦ ، ٧

(٣) ديوانه ١ : ١٦٨

وكان يقال : المال ملول المال ، ميّال المال غاد وزأئح ، طبع المال كطبع الصبي ،
لا يوقف على وقت رضاه ، ولا وقت سخطه . المال لا ينفعك حتى يفارقك .

وإلى هذا المعنى نظر القائل :

وصاحب صدقٍ ليس ينفع قربه ولا وده حتى تفارقه عمداً
— يعنى الدينار .

وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالَهُ الْأَوَّلُ :

وقد يهلك الإنسان حسن ريشه كما يذبح الطّائوس من أجل ريشه
وقال آخر :

رؤيذك إن المال يهلك ربه إذا جمّ واستعلى وسدّ طريقه
ومن جاوز الماء الغزير فحجه وسدّ طريق الماء فهو غريقه

الأفضل :

وقال لسائل سأله عن مسألة :

سَلْ تَفْقَهًا ، وَلَا تَسْأَلْ تَعَمُّتًا ؛ فَإِنَّ الْجَاهِلَ الْمُتَعَلِّمَ شَبِيهُ بِالْعَالِمِ ، وَإِنَّ الْعَالِمَ الْمُتَعَمِّتَ شَبِيهُ بِالْجَاهِلِ .

الشيخ :

قد ورد نهى كثير عن السؤال على طريق الإعانة .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام في كلام له : من حقّ العالم ألاّ تكثر عليه بالسؤال ، ولا تُعنته في الجواب ، ولا تضع له غامضات المسائل ، ولا تلجّ عليه إذا كسل ، ولا تأخذ بثوبه إذا نهض ، ولا تُفش له سرًّا ، ولا تفتابنّ عنده أحدًا ، ولا تنقلنّ إليه حديثًا ، ولا تطلبنّ عثرته ، وإن زلّ قبلت معذرتَه ، وعليك أن توقّره وتُعظّمه لله مادام حافظًا أمر الله ، ولا تجلس أمامه ، وإذا كانت له حاجة فاسبق أصحابك إلى خدمته .

وقال ابن سيرين لسائل سأله : سلّ أخاك إبليس ، إنك لن تسأل وأنت طالب رشد .

وقالوا : اللهمّ إنا نعوذ بك أن تُعنت كما نعوذ بك أن نُعنت ، ونستكفيك أن تفضّح ، كما نستكفيك أن نُفضّح .

وقالوا : إذا آنس المعلم من التلميذ سؤال التعنت حرّم عليه تعليمه .

(٣٢٧)

الأفضل :

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْعَبَّاسِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَقَدْ أَشَارَ إِلَيْهِ فِي شَيْءٍ
لَمْ يُوَافِقْ رَأْيَهُ :
لَكَ أَنْ تُشِيرَ عَلَيَّ وَأَرَى ، فَإِذَا عَصَيْتُكَ فَأَطِيعِي .

الشيخ :

الإمام أفضل من الرعية رأياً وتديراً ، فالواجب على مَنْ يشير عليه بأمرٍ فلا يقبله
أن يطيعَ ويسلمَ ويعلم أن الإمام قد عرّف من المصلحة ما لم يعرف .
ولقد أحسن الصابي في قوله في بعض رسائله : ولولا فضلُ الرّعاة على الرّعايا في
بُعْدِ مَطَرَحِ النظرة ، واستشفاف عيب العاقبة ، لتساوت الأقدام ، وتقاربت الأفهام ، واستغنى
المؤمن عن الإمام .

الأُضَل :

وَرَوَى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا وَرَدَ الْكُوفَةَ قَادِمًا مِنْ صِفِّينَ مَرَّ بِالشَّامِيِّينَ ،
 فَسَمِعَ بُكَاءَ النِّسَاءِ عَلَى قَتْلِ صِفِّينَ ، وَخَرَجَ إِلَيْهِ حَرْبُ بْنُ شَرَحْبِيلَ الشَّامِيُّ ؛
 وَكَانَ مِنْ وَجُوهِ قَوْمِهِ ، فَقَالَ لَهُ : أَيَغْلِبُكُمْ نِسَاؤُكُمْ عَلَى مَا أَسْمَعُ ! أَلَا تَنْهَوْنَهُنَّ
 عَنْ هَذَا الرَّيْنِ !

وَأَقْبَلَ حَرْبُ يَمْشِي مَعَهُ وَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ رَاكِبٌ ، فَقَالَ لَهُ : ارْجِعْ فَإِنَّ مَشَى
 مِثْلَكَ مَعَ مِثْلِي فِتْنَةٌ لِلْوَالِي وَمَذَلَّةٌ لِلْمُؤْمِنِ .

الشُّرُح :

قد ذكرنا نسب الشاميين فيما اقتصرناه من أخبار صِفِّينَ في أول الكتاب .
 والرَّيْنِ : الصوت ، وإنما جعله فتنة للوالى لما يتداخله من العُجْبِ بنفسه
 والزَّهْوِ ، ولا ريب أيضا في أنه مذلة للمؤمن ، فإنَّ الرَّجُلَ الماشى إلى ركب الفارس
 أذلَّ الناس .

الأفضل :

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ مَرَّ بِقَتْلَى الْخَوَارِجِ يَوْمَ النَّهْرَوَانِ :
 بُؤْسًا لَكُمْ ! لَقَدْ ضَرَّكُمْ مِنْ غَرٍّ كُمْ .
 فَقِيلَ لَهُ : مَنْ غَرَّهُمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟

فَقَالَ :

الشَّيْطَانُ الْمُضِلُّ ، وَالنَّفْسُ الْأَمَّارَةُ بِالسُّوءِ ؛ غَرَّتْهُمْ بِالْأَمَانِيِّ ، وَفَسَحَتْ لَهُمْ
 فِي الْمَعَاصِي ، وَوَعَدَتْهُمْ الْإِظْهَارَ ؛ فَاقْتَحَمَتْ بِهِمُ النَّارَ .

الشرح :

يَقَالُ : بُؤْسَى لزيد وبؤساً « بالتثنية » لزيد ، فبؤسى نظيره نُعْمَى = وبؤساً نظيره نعمة ،
 ينتصب على المصدر .

وهذا الكلام ردّ على المجبّة ، وتصريح بأن النفس الأمّارة بالسوء هي الفاعلة .

والإظهار : مصدر ، أظهرته على زيد ، أى جعلته ظاهراً عليه غالباً له ، أى وعدتهم

الانتصار والظفر .

الأصل :

اتَّقُوا مَعَاصِيَ اللَّهِ فِي الْخَلَوَاتِ ، فَإِنَّ الشَّاهِدَ هُوَ الْحَاكِمُ .

الشرح :

إذا كان الشاهد هو الحاكم استغنى عن يشهد عنده ؛ فالإنسان إذن جدير أن يتقى الله حق تقاته ، لأنه تعالى الحاكم فيه وهو الشاهد عليه^(١) .

الأضل :

وقال عليه السلام لما بلغه قتل محمد بن أبي بكر رضي الله عنه :
 إنَّ حزننا عليه على قدر سرورهم به ، إلا أنهم نُقصوا بغيضا ؛
 ونقصنا حبيبا .

الشنخ :

قد تقدّم ذكر مقتل محمد بن أبي بكر رضي الله عنه .
 وقال عليه السلام : إن حزننا به في العظم على قدر فرحهم به ؛ ولكن وقع
 التفاوت بيننا وبينهم من وجه آخر ؛ وهو أننا نقصنا حبيبا إلينا ، وأما هم فنقصوا
 بغيضا إليهم .
 فإن قلت : كيف نقصوا ، ومعلوم أن أهل الشام ما نقصوا بقتل محمد شيئا لأنه ليس
 في عددهم !

قلت : لما كان أهل الشام يعدّون في كل وقت أعداءهم وبغضاءهم من أهل العراق ،
 وصار ذلك العدد معلوما عندهم محصور الكمية ، نقصوا بقتل محمد من ذلك العدد واحدا ،
 فإنّ النقص ليس من عدد أصحابهم ، بل من عدد أعدائهم الذين كانوا يتربّصون بهم
 الدوائر ، ويتمنّون لهم الخطوب والأحداث ، كأنه يقول : استراحوا من واحدٍ من
 جملة جماعة كانوا ينتظرون موتهم .

(٣٣٢)

الأصل :

وقال عليه السلام : العُمر الذي أَعَدَرَ اللهُ فيه ابنِ آدمَ سِتُّونَ سَنَةً .

الشرح :

أَعَدَرَ اللهُ فيه ؛ أى سَوَّغَ لابنِ آدمَ أن يَعْتَذِرَ ، يعنى أن ماقبل السَّتِّينَ هى أيام الصِّبا والشَّيْبَةِ والكُهُولَةِ ، وقد يُمكن أن يُعَذِرَ الإنسانُ فيه على اتِّباعِ هَوَى النفس لغلَبَةِ الشَّهْوَةِ ، وشرِّه الحَدَاثَةِ ، فإذا تَجَاوَزَ السَّتِّينَ دَخَلَ فى سِنِّ الشَّيْخُوخَةِ ، وذهبتُ عنه غُلُوَاءُ شِرَرَّتِهِ ، فلا عُذْرَ له فى الجَهْلِ .

وقد قالت الشعراءُ نحو هذا المعنى فى دُونِ هذه السَّنِّ الَّتِى عَيَّنَهَا عليه السلام .

قال بعضهم :

إذا ما المرءُ قَصَّرَ ثمَّ مرَّتْ عليه الأربعونَ عن الرِّجالِ
ولم يَلْحَقْ بِصالحِهِم فَدَعَاهُ فليسَ بِلَا حِقِّ أُخْرَى اللَّيَالِى

(٣٣٣)

الأصل :

ما ظَفِرَ مَنْ ظَفِرَ الإِثْمُ بِهِ ، والغالبُ بالشرِّ مغلوبٌ .

الشرح :

قد قال عليه السلام نحوَ هذا ، وذَكَرناه في هذا الكتابِ : مَنْ قَصَرَ في الخصومةِ ظَلَمَ ،
وَمَنْ بَالَغَ فيها أَثِمَ .

(٣٣٤)

الأصل :

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ فَرَضَ فِي أَمْوَالِ الْأَغْنِيَاءِ اقْتَوَاتَ الْفُقَرَاءِ ، فَمَا جَاعَ فَقِيرٌ إِلَّا بِمَا مُتَّعَ بِهِ غَنِيٌّ ، وَاللَّهُ تَعَالَى سَائِلُهُمْ عَنْ ذَلِكَ .

الشرح :

قد تقدم القول في الصدقة وفضلها وما جاء فيها .

وقد ورد في الأخبار الصحيحة أن أباذر قال : انتهيت إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو جالس في ظل الكعبة ، فلما رأيته قال : هم الأخسرون ورب الكعبة ! فقلت : من هم ؟ قال : هم الأكثرون أموالا ، إلا من قال هكذا وهكذا من بين يديه ومن خلفه وعن يمينه وعن شماله ، وقليل ما هم ، ما من صاحب إبل ولا بقر ولا غنم لا يؤدي زكاتها إلا جاءت يوم القيامة أعظم ما كانت وأسمه ، تنطحه بقرونها ، وتطأه بأظلافها ، كلما نفدت أخرها عادت عليه أولها حتى يقضى الله بين الناس ..

الأصل :

الاستِغْنَاءُ عَنِ الْعُذْرِ ، أَعَزُّ مِنَ الصَّدَقِ بِهِ .

البَيِّنَةُ :

رَوَى « خَيْرٌ مِنَ الصَّدَقِ » ، والمعنى : لا تفعل شيئاً تعتذر عنه وإن كنت صادقاً في العذر ، فألا تفعل خيراً لك وأعزُّ لك من أن تفعل ثمَّ تعتذر وإن كنت صادقاً .
وَمِنْ حِكْمِ ابْنِ الْمُعْتَزِّ : لا يقوم عِزُّ الغضب بذلِّ الاعتذار .

وكان يقال : إِيَّاكَ أَنْ تَقُومَ فِي مَقَامِ مَعْذِرَةٍ ، فَرَبَّ عَذْرِ أَسْجَلِ بِذَنْبِ صَاحِبِهِ .
اعْتَذَرَ رَجُلٌ إِلَى يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ ، فَقَالَ لَهُ : ذَنْبُكَ يَسْتَفِيثُ مِنْ عَذْرِكَ .
وَمِنْ كَلَامِهِمْ : مَا رَأَيْتُ عُذْرًا أَشَبَّهَ بِذَنْبٍ مِنْ هَذَا .

وَمِنْ كَلَامِهِمْ : أَضْرِبْهُ عَلَى ذَنْبِهِ مِائَةً ، وَأَضْرِبْهُ عَلَى عَذْرِهِ مِائَتَيْنِ .
قال شاعرهم :

إِذَا كَانَ وَجْهُ الْعُذْرِ لَيْسَ بِوَاضِحٍ فَإِنَّ اطِّرَاحَ الْعُذْرِ خَيْرٌ مِنَ الْعُذْرِ
كَانَ النَّخَعَى يَكْرَهُ أَنْ يُعْتَذَرَ إِلَيْهِ وَيَقُولُ : اسْكُتْ مَعْذُورًا ، فَإِنَّ الْمَعَاذِيرَ
يَحْضُرُهَا الْكَذِبُ .

(٣٣٦)

الأُجْبَلُ :

أَقْلُ مَا يَلْزَمُكُمْ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ أَلَّا تَسْتَعِينُوا بِنِعْمِهِ عَلَى مَعَاصِيهِ .

الشَّرْحُ :

لَا شُبْهَةَ أَنْ مِنَ الْقَبِيحِ الْفَاحِشِ أَنْ يُنْعِمَ الْمَلِكُ عَلَى بَعْضِ رَعِيَّتِهِ بِمَالٍ وَعَبِيدٍ وَسِلَاحٍ ،
فَيَجْعَلَ ذَلِكَ الْمَالَ مَادَّةً لِعَصْيَانِهِ وَالْخُرُوجِ عَلَيْهِ ، ثُمَّ يُحَارِبُهُ بِأُولَئِكَ الْعَبِيدِ ، وَبِذَلِكَ
السِّلَاحِ بَعِيْنَهُ .

وَمَا أَحْسَنَ مَا قَالِ الصَّابِيُّ فِي رِسَالَتِهِ إِلَى سُبُكْتُكَيْنِ مِنْ عِزِّ الدَّوْلَةِ بِمُخْتَارٍ :
وَلَيْتَ شِعْرِي بَأَيِّ قَدَمٍ تَوَاقَفْنَا وَرَايَاتُنَا خَافِقَةً عَلَى رَأْسِكَ ، وَمَمَالِيكُنَا عَنْ يَمِينِكَ
وَشِمَالِكَ ، وَخَيْلُنَا مُوسُومَةٌ بِأَسْمَائِنَا تَحْتِكَ ، وَثِيَابُنَا مَحْوُكَةٌ فِي طِرَازِنَا عَلَى جَسَدِكَ ،
وَسِلَاحُنَا الْمَشْحُودُ لِأَعْدَائِنَا فِي يَدِكَ !

الأضل :

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ جَعَلَ الطَّاعَةَ غَنِيمَةً الْأَكْيَاسِ عِنْدَ تَفْرِيطِ الْعَجْزَةِ .

الشُّنْخ :

الأكياس : العقلاء أو لُؤْلُؤُ الْأَثْبَابِ .

قال عليه السلام : جعلَ اللهُ طَاعَتَهُ غَنِيمَةً هَؤُلَاءِ ، إِذَا فَرِطَ فِيهَا الْعَجْزَةُ الْمَخْذُولُونَ
مِنَ النَّاسِ ، كَصَيْدٍ اسْتَدْفَ^(١) لَرَجُلَيْنِ : أَحَدُهُمَا جَلَدٌ وَالْآخَرُ عَاجِزٌ ، فَقَعَدَ عَنْهُ الْعَاجِزُ
لِعَجْزِهِ وَحِرْمَانِهِ ، وَاقْتَنَصَهُ الْجَلَدُ لَشَهَامَتِهِ وَقُوَّةِ جَدِّهِ^(٢) .

الأضل :

السُّلْطَانُ وَزَعَةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ .

البُزْج :

الوازعُ عن الشيء : الكافُ عنه ، والمانعُ منه ، والجمعُ وَزَعَة ، مِثْلُ قَاتِلٍ وَقَتْلَةٍ .

وقد قيل هذا المعنى كثيراً ، قالوا : لا بدَّ للنَّاسِ مِنْ وَزَعَةٍ .

وقيل : ما يَزَعُ الله عن الدين بالسلطان أكثرُ مما يَزَعُ عنه بالقرآن . وتُنسَبُ

هذه اللفظة إلى عُثْمَانَ بْنِ عَفَّانَ .

قال الشاعر :

لَا يَصْلُحُ النَّاسُ فَوْضَى لَا سِرَارَةَ لَهُمْ وَلَا سِرَاةَ إِذَا جُهَّالُهُمْ سَادُوا^(١)

وكان يقال : السلطان القاهر وإن كان ظالماً خيراً للرعية والملك من السلطان

الضعيف وإن كان عادلاً .

وقال الله سبحانه : ﴿ وَلَوْ لَا دَفَعُ اللَّهُ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ

الْأَرْضُ ﴾^(٢) .

قالوا في تفسيره : أراد السلطان .

(١) للأفوه الأودى ، ديوانه ١٠ (ضمن مجموعة الطرائف الأدبية) .

(٢) سورة البقرة ٢٥١

الأصل :

وقال عليه السلام في صفة المؤمن :

بِشْرُهُ فِي وَجْهِهِ ، وَحُزْنُهُ فِي قَلْبِهِ . أَوْسَعُ شَيْءٍ صَدْرًا ، وَأَذَلُّ شَيْءٍ نَفْسًا .
يَكْرَهُ الرِّفْعَةَ ، وَيَسْنَأُ السُّمْعَةَ . طَوِيلٌ نَعْمُهُ ، بَعِيدٌ هَمُّهُ ، كَثِيرٌ صَمْتُهُ ، مَشْغُولٌ
وَقْتُهُ ، شَكُورٌ صَبُورٌ . مَغْمُورٌ بِفِكْرَتِهِ ، ضَنِينٌ بِخَلَّتِهِ . سَهْلٌ أَلْخَلِيقَةِ ، لَيِّنٌ
أَلْعَرِيكََةِ ؛ نَفْسُهُ أَضَلَبُ مِنَ الصَّلْدِ ؛ وَهُوَ أَذَلُّ مِنَ الْعَبْدِ .

الشرح :

هذه صفاتُ العارفين ؛ وقد تقدّم كثيرٌ من القول في ذلك .

وكان يقال : البِشْرُ عُنْوَانُ التَّجَاحِ ، والأمر الذي يختصُّ به العارفُ أن يكون
بِشْرُهُ فِي وَجْهِهِ وهو حزين وحُزْنُهُ فِي قَلْبِهِ ، وإلا فالْبِشْرُ قد يوجد في كثير
من الناس .

ثمّ ذكر أنّه أَوْسَعُ النَّاسِ صَدْرًا ، وَأَذَلَّهُمْ نَفْسًا ، وأنه يَكْرَهُ الرِّفْعَةَ والصَّيْتَ .

وجاء في الخبر في وصفهم : « كلّ خَامِلٍ نُومَةٍ » .

وَطُولُ النِّعَمِ وَبُعْدُ الْهَمِّ مِنْ صِفَاتِهِمْ ، وكذلك كَثْرَةُ الصَّمْتِ وَشُغْلُ الْوَقْتِ
بِالذِّكْرِ وَالْعِبَادَةِ ، وكذلك الشُّكْرُ وَالصَّبْرُ وَالْأَسْتِغْرَاقُ فِي الْفِكْرِ وَتَدَبُّرِ آيَاتِ اللَّهِ تَعَالَى
فِي خَلْقِهِ ، وَالضَّنُّ بِالْخَلَّةِ وَقَلَّةُ الْخَالِطَةِ وَالتَّوَقُّرُ عَلَى الْعُزْلَةِ وَحُسْنُ الْخُلُقِ وَلَيِّنُ الْجَانِبِ ،
وَأَنْ يَكُونَ قَوِيَّ النَّفْسِ جَدًّا ، مع ذلِّ لِلنَّاسِ وَتَوَاضُعِهِمْ ؛ وهذه الأمور كلّها قد أتى
عليها الشرح فيما تقدّم .

الأفضل :

الْفَنَى الْأَكْبَرُ الْيَأْسُ عَمَّا فِي أَيْدِي النَّاسِ .

الشيخ :

هذه الكلمة قد رُوِيَتْ مرفوعةً ، وقد تقدّم القولُ في الطّمع وذمّه ،
واليأس ومدحِه .

وفي الحديث المرفوع : « ازهدّ في الناس يُحبّك الله ، وازهدّ فيما في أيدي الناس
يُحبّك الناس » .

ومن كلام بعضهم : ما أكلتُ طعامَ واحدٍ إلّا هُنتُ عليه .

وكان يقال : نعوذُ بالله من طَمَعٍ يُدْثِي إلى طَبَعٍ ^(١) .

وقال الشاعر :

أَرَحْتُ رُوحِي مِنْ عَذَابِ الْمَلَاخِ لليأسِ روحِ مثلِ روحِ النَّجَاحِ

وقال بعضُ الأدباء : هذا المعنى الذي قد أَطْنَبَ فيه الناسُ ليس كما يزعمونه ، لَعَمْرِي

إنَّ لليأسِ راحةً ، ولكن لا كراحةِ النَّجَاحِ ، وما هوَ إلّا كَقَوْلِ مَنْ قال : لا أُدرِي

نِصْفُ الْعِلْمِ ، قَلِيلٌ لَهُ : ولكِنَّ النِّصْفَ الَّذِي لا يَنْفَعُ !

وقال ابن الفضل :

لا أمدَحُ اليأسَ ولكنّه أروحُ للقلبِ مِنَ المَطْمَعِ

أَفْلَحَ مَنْ أَبْصَرَ رَوْضَ الْمَنَى يُزْعَى فَلَمْ يَزْعَ وَلَمْ يَزْتَعِ
وَمَا يُرَوِّى لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الْمُبَارَكِ الزَّاهِدِ :

قَدْ أَرْحَنَا وَاسْتَرْحَنَا	مِنْ غُدُوٍّ وَرَوَاحٍ
وَاتَّصَلَ بِأَمِيرٍ	وَوَزِيرٍ ذِي سَمَاحٍ
بِقَفَافٍ وَكَفَافٍ	وَقُنُوعٍ وَصَلَاحٍ
وَجَمَلْنَا الْيَأْسَ مِفْتَاحًا	لِأَبْوَابِ النِّجَاحِ

الأصل :

المُسْتُولُ حُرٌّ حَتَّى يَعِدَ .

الشيخ :

[نبذ من الأقوال الحكيمة في الوعد والمطل]

قد سبق القول في الوعد والمطل . ونحن نذكر هاهنا نكثاً أخرى :

في الحديث المرفوع : « مَنْ وَعَدَ وَعْدًا فَكَأَنَّمَا عَاهِدَ عَهْدًا » .

وكان يقال : الوعدُ دينُ الكرام ، والمطلُ دينُ اللثام .

وكان يقال : الوعدُ شبكة من شباك الأحرار يتصيدون بها المحامد .

وقال بعضهم : الوعد مرض المعروف ، والإنجاز برؤه .

وقال يحيى بن خالد : الوعد سحاب ، والإنجاز مطرؤه .

وفي الحديث المرفوع : « عِدَّةُ الْمُؤْمِنِ عَطِيَّةٌ » .

وعنه عليه السلام : « لَا تُوَاعِدْ أَخَاكَ مَوْعِدًا لَتُخْلِفَهُ » .

وقال يحيى بن خالد لبنيه : يَا بَنِيَّ ، كُونُوا أَسْدًا فِي الْأَقْوَالِ ، نُبْجَازًا فِي الْأَفْعَالِ ،

وَلَا تَعِدُوا إِلَّا وَتُنْجِزُوا ، فَإِنَّ الْحُرَّ يَشُقُّ بَوْعِدَ الْكَرِيمِ ، وَرَبَّمَا آدَانَ عَلَيْهِ .

وكان جعفر بن يحيى يكره الوعد ويقول : الوعد من العاجز ، فأما القادر فالتقْدَرُ .

وفي الحديث المرفوع : « مَطْلُ الْغَنِيِّ ظُلْمٌ » .

وقال ابن الفضل :

أَثَرُوا وَلَمْ يَقْضُوا دُيُونَ غَرِيمِهِمْ وَاللَّوْمُ كُلُّ اللَّوْمِ مَطْلُ الْمُوسِرِ

وقال الآخر :

إِذَا أَتَتْ الْعَطِيَّةَ بَعْدَ مَطْلٍ فَلَا كَانَتْ وَإِنْ كَانَتْ سَنِيَّةً
وَكُنْ يَقَالُ : الْمَطْلُ يَسُدُّ عَلَى صَاحِبِهِ بَابَ الْعُذْرِ ، وَيُوجِبُ عَلَيْهِ الْأَخْسَنَ وَالْأَكْثَرَ ،
وَالْتَعْجِيلَ يُحَسِّنُ سَيِّئَهُ ، وَيَبْسُطُ عُذْرَهُ فِي التَّقْلِيلِ .

وقال يحيى بن خالد لبنيه : يَا بَنِي لَا تَمَطُّلُوا مَعْرُوفَكُمْ ، فَإِنَّ كَثِيرَ الْعَطَاءِ بَعْدَ الْمَطْلِ
قَلِيلٌ ، وَعَجَلُوا فَإِنَّ عُذْرَكُمْ مَقْبُولٌ مَعَ التَّعْجِيلِ .

ومن كلام الحسن بن سهل : الْمَطْلُ يَذْهَبُ رَوْتَقُ الْبِرِّ ، وَيَكْدِّرُ صَفْوَ الْمَعْرُوفِ ،
وَيُحْبِطُ أَجْرَ الصَّدَقَةِ ، وَيَعْقِلُ اللِّسَانَ عَنِ الشُّكْرِ . وللتعجيل حلاوة وإن قلت العارفة ،
ولذة وإن صغرت الصنعة ، وربما عَرَضَ مَا يَمْنَعُ الْإِنْجَازَ مِنْ تَعَذُّرِ الْإِمْكَانِ ، وَتَغْيِيرِ
الزَّمَانِ ، فَبَادِرِ الْمَكْنَةَ ، وَعَاجِلِ الْقُدْرَةَ ، وَاتَهِزِ الْفُرْصَةَ .

وقال الشاعر :

تُحِيلُ عَلَى الْفَرَاغِ قَضَاءَ شُغْلِي وَأَنْتَ إِذَا فَرَّغْتَ تَكُونُ مِثْلِي
فَلَا أَدْعِي بِمُخَادِمِكَ الْمَرْجَى وَلَا تُدْعَى بِسَيِّدِنَا الْأَجَلِّ

وقال آخر :

لَوْ عَلِمَ الْمَاظِلُ أَنَّ الْمِطَالَ فَقَدْ بِهِ يَذْهَبُ طَعْمُ النَّوَالِ
وَإِنَّ أَعْلَى الْبِرِّ مَا نَالَهُ طَالِبُهُ نَقْدًا عَقِيبَ السُّؤَالِ
عَجَلَ لِلسَّائِلِ مَعْرُوفَهُ مَهْنًا مِنْ طَوْلِ قِيلٍ وَقَالَ

الأضل :

لو رأى العبدُ الأجلَ ومَصِيرَهُ ، لأَبْغَضَ الأملَ وغُرُورَهُ .

الشُرْح :

قد تقدّم من الكلام في الأمل ما فيه كفاية .

وكان يقال : واعجبا لصاحبِ الأملِ الطويل ! وربما يكون كَفَنُهُ في يدِ النَّسَاجِ

وهو لا يَعْلَمُ .

الأفضل :

لِكُلِّ امْرِئٍ فِي مَالِهِ شَرِيكَانِ : الْوَارِثُ وَالْحَوَادِثُ .

الشُّنْخُ :

أَخَذَهُ الرَّضَىُّ فَقَالَ :

خُذْ مِنْ تَرَائِكَ مَا اسْتَطَعْتَ فَإِنَّمَا تُشْرَكَوْكَ الْأَيَّامُ وَالْوَرَاثُ^(١)
لَمْ يَقْضِ حَقَّ الْمَالِ إِلَّا مَعَشَرٌ نَظَرُوا الزَّمَانَ يَعِثُ فِيهِ ، فَعَاثُوا
وَقَدْ قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي مَوْضِعٍ آخَرَ : بَشَّرُ مَالِ الْبَخِيلِ بِحَادِثٍ أَوْ وَارِثٍ .

ورأيتُ بخطَ ابنِ الخُشَّابِ رحمه الله على ظهرِ كتابِ « لَعَبْدِ اللهِ بنِ أحمد بن
أحمد بن أحمد ثمَّ لحَادِثٍ أَوْ وَارِثٍ » ، كأنَّه يَعْنِي ضَنْنَهُ بِهِ ، أَيْ لَا أَخْرِجْهُ عَنْ
يَدَيَّ اخْتِيَارًا .

الأفضل :

الدَّاعِي بِلا عَمَل ، كالرَّامِي بِلا وَتَرٍ .

الْبُزْخُ :

مَنْ خَلَا مِنَ الْعَمَلِ فَقَدْ أَخْلَى بِالْوَاجِبَاتِ ، وَمَنْ أَخْلَى بِالْوَاجِبَاتِ فَقَدْ فَسَقَ ،
وَاللَّهُ تَعَالَى لَا يَقْبَلُ دُعَاءَ الْفَاسِقِ .

وَشَبَّهَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالرَّامِي بِلا وَتَرٍ ، فَإِنْ سَهَمَهُ لَا يَنْفِذُ ^(١) .

(١) ١ : « فَإِنْ سَهَمَهُ » .

الأصل :

الْعِلْمُ عِلْمَانِ : مُطْبُوعٌ وَمَسْمُوعٌ ، وَلَا يَنْفَعُ الْمَسْمُوعُ ، إِذَا لَمْ يَكُنِ الْمَطْبُوعُ .

* * *

البيان :

هذه قاعدةٌ كَلَيْتَةٌ مذكورةٌ في الكتب الحكيمية ، إنَّ العلومَ منها ما هو غَرِيزِيٌّ ، ومنها ما هو تَكْلِيفِيٌّ ؛ ثُمَّ كُلُّ واحدٍ من القسمين يَخْتَلِفُ بالأشدِّ والأضعف ، أما الأول فقد يكون في الناس من لا يحتاج في النظر إلى ترتيب المقدمات ، بل تَنَسَّقُ النتيجةُ النظريةُ إليه سَوَاقًا من غير احتياج منه إلى التأمل والتدبر ، وقد يكون فيهم مَنْ هُوَ دُونَ ذلك ، وقد يكون مَنْ هُوَ دُونَ الدُّوْنِ ، وأما الثاني فقد يكون في الناس من لا يُجِدِي فيه التعليم ، بل يكون كالصخرة الجامدةِ بلا دةٍ وغباوةٍ ، ومنهم من يكون أقلَّ تبَلُّداً وجُنُوحَ ذهنٍ من ذلك ، ومنهم مَنْ يكون الوَقْفَةُ عنده أقلَّ ، فيكون ذا حالٍ متوسطَّةٍ ، وبالجملة فاستقرأ أحوالِ الناس يَشْهَدُ بصحَّةِ ذلك .

وقال عليه السلام : ليس يَنْفَعُ المسموعُ ، إذا لم يكن المطبوع ، يقول : إذا لم يكن هناك أحوالٌ استعدادٍ لم يَنْفَعِ الدَّرْسُ والتَّكْرارُ ، وقد شاهدنا مِثْلَ هذا في حَقِّ أشخاصٍ كثيرةٍ اشتغلوا بِالْعِلْمِ الدَّهْرَ الأطولَ ؛ فلم يَنْجَعْ معهم العِلاجُ ، وفارقوا الدُّنْيَا وهم على الغَرِيْزَةِ الأولى في الساذجِيَّةِ وَعَدَمِ الفَهْمِ .

الْأَنْجِلُ :

صَوَابُ الرَّأْيِ بِالْأَدْوَلِ يُقْبَلُ بِإِقْبَالِهَا ، وَيُذَبَّرُ بِإِذْبَارِهَا .

الشَّرْحُ :

قال الصُّوْلِيُّ :

اجْتَمَعَ بَنُو بَرْمَكٍ عِنْدَ يَحْيَى بْنِ خَالِدٍ فِي آخِرِ دَوْرِهِمْ وَهُمْ يَوْمُئِذٍ عَشْرَةٌ ، فَأَدَارُوا بَيْنَهُمُ الرَّأْيَ فِي أَمْرٍ فَلَمْ يَصْلَحْ لَهُمْ ، فَقَالَ يَحْيَى : إِنَّا لِلَّهِ ! ذَهَبَتْ وَاللَّهِ دَوْلَتُنَا ! كُنَّا فِي إِقْبَالِنَا يُبْرِمُ الْوَاحِدُ مِثْلَ عَشْرَةِ آرَاءِ مُشْكَلَةٍ فِي وَقْتٍ وَاحِدٍ ، وَالْيَوْمَ نَحْنُ عَشْرَةٌ فِي أَمْرٍ غَيْرِ مُشْكَلٍ ، وَلَا يَصِحُّ لَنَا فِيهِ رَأْيٌ ! اللَّهُ نَسْأَلُ حُسْنَ الْخَاتَمَةِ .

أَرْسَلَ الْمَنْصُورُ لَمَّا ^(١) هَاضَمَهُ أَمْرُ إِبْرَاهِيمَ إِلَى عَمِّهِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَلِيٍّ وَهُوَ فِي السَّجَنِ يَسْتَشِيرُهُ مَا يَصْنَعُ ! وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ قَدْ ظَهَرَ بِالْبَصْرَةِ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ : أَنَا مُجْبُوسٌ ، وَالْمُجْبُوسُ مُجْبُوسُ الرَّأْيِ ، قَالَ لَهُ : فَعَلَى ذَاكَ ؟ قَالَ يُفَرِّقُ الْأَمْوَالَ كُلَّهَا عَلَى الرِّجَالِ وَيَلْقَاهُ ، فَإِنْ ظَفِرَ فِذَاكَ ، وَإِلَّا يَتَوَجَّهْ إِلَى أَبِيهِ مُحَمَّدٍ بِحُرْجَانٍ ، وَيَتْرَكْهُ يَقْدُمُ عَلَى بُيُوتِ أَمْوَالٍ فَارِغَةٍ ، فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ مِنْ أَنْ تَكُونَ الدَّبْرَةُ عَلَيْهِ ، وَيَقْدُمَ عَدُوَّهُ عَلَى بُيُوتِ أَمْوَالٍ مَمْلُوءَةٍ . قَالَ سُلَيْمَانُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ لِيَزِيدَ بْنِ أَبِي مُسْلِمٍ صَاحِبِ شُرْطَةِ الْحِجَاجِ يَوْمًا : لَعَنَ اللَّهُ رَجُلًا أَجْرَكَ رَسَنَهُ ، وَخَرَّبَ لَكَ آخِرَتَهُ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، رَأَيْتُنِي وَالْأَمْرُ عَنِّي مُدْبَرٌ وَلَوْ رَأَيْتُنِي وَالْأَمْرُ عَلَى مُقْبِلٍ لَأَسْتَكْبَرْتَ مِنِّي مَا اسْتَصَفَرْتَ ، وَلَا اسْتَعْظَمْتَ مِنِّي مَا اسْتَحَقَرْتَ .

(٣٤٧)

الأضل :

العَفَافُ زِينَةُ الْفَقْرِ ، وَالشُّكْرُ زِينَةُ الْغِنَى .

الشرح :

قد سبق القولُ في أنَّ الأَجْمَلَ بالفَقِير أن يكون عَفِيفاً ، وألَّا يكون جَشَعاً حَرِيصاً ، ولا جَادًّا في الطَّلَب مُتَهَالِكاً ، وأنَّه ينبغي أنه إذا افتقر أن يتَّه على الوقتِ وأبناءِ الوقتِ ، فإنَّ التَّيَّه في مثل ذلك المَقَام لا بأسَ به ، لِيَعْدُ جَدًّا عَنِ مَظَنَّةِ الحِرْصِ وَالطَّمَعِ .

وقد سبق أيضاً القولُ في الشُّكْرِ عند النعمة ووجوبه ، وأنَّه سبب لاستدامتها ، وأن الإخلالَ به داعيةٌ إلى زوالها وانتقالها ، وذَكَرْنَا في هذا الباب أموراً مستَحْسَنَةً ، فلتراجع ، وقال عبدُ الصَّمَد بنُ المَعْدَّل في العَفَاف :

سَأَقْنِي الْعَفَافَ وَأَرْضِي الْكَفَافَ وليس غِنَى النفسِ حَوْزُ الْجَزِيلِ
ولا أَتَصَدَّى لَشُكْرِ الْجَوَادِ ولا أَسْتَعِدُّ لَذَمَ الْبَخِيلِ
وأَعْلَمُ أَنَّ بَنَاتِ الرَّجَاءِ تُحِلُّ الْعَزِيزَ مُحَلَّ الدَّلِيلِ
وَأَنَّ لَيْسَ مُسْتَغْنِيًّا بِالكَثِيرِ مَنْ لَيْسَ مُسْتَغْنِيًّا بِالْقَلِيلِ

(٣٤٨)

الأصل :

يَوْمُ الْعَدْلِ عَلَى الظَّالِمِ ، أَشَدُّ مِنْ يَوْمِ الْجَوْرِ عَلَى الْمَظْلُومِ .

الْبَنْجُ :

شَيْئَانِ مُؤَلَّانِ : أَحَدُهُمَا يُنْقَضِي سَرِيعًا ، وَالْآخَرُ يَدُومُ أَبَدًا ؛ فَلَا جَرَمَ ، كَانَ الْيَوْمُ

الْمَذْكُورَ عَلَى الظَّالِمِ ؛ أَشَدَّ مِنْ يَوْمِ الْجَوْرِ عَلَى الْمَظْلُومِ !

الأصل :

الْأَقَاوِيلُ مَحْفُوظَةٌ ، وَالسَّرَائِرُ مُبْلُوءَةٌ ﴿ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ ۖ وَالنَّاسُ مُنْقُصُونَ مَدْخُولُونَ إِلَّا مَنْ عَصَمَ اللَّهُ ۚ سَأَلْتَهُمْ مُتَعَمِّتٌ ، وَمُجِيبُهُمْ مُتَكَلِّفٌ ، يَكَادُ أَفْضَلُهُمْ رَأْيَا يَرُدُّهُ عَنْ فَضْلِ رَأْيِهِ الرِّضَا وَالسُّخْطُ ، وَيَكَادُ أَصْلَبُهُمْ عُدُوًّا تَنْكَوُهُ اللَّحْظَةُ ، وَتَسْتَحِيلُهُ الْكَلِمَةُ الْوَاحِدَةُ .

الشرح :

السرائرها هنا : ما أُسِرَّ في القلوب من النيات والعقائد وغيرها ، وما يخفى من أعمال الجوارح أيضا . وبلاؤها : تعرفها وتصفحها ، والتمييز بين ما طاب منها وما خُبث .

وقال عمر بن عبد العزيز للأحوص لما قال :

سَدَّنِي لَهَا فِي مُضْمَرِ الْقَابِ وَالْحَشَا سَرِيرَةٌ حُبِّي يَوْمَ تُبْلَى السَّرَائِرُ
إِنَّكَ يَوْمَئِذٍ عَنْهَا لَمَشْغُولٌ .

ذكر عليه السلام الناس فقال : قد عَمَّتهم النقص إلا المعصومين . ثم قال : سَأَلْتَهُمْ تَعَمُّتًا ، وَالسُّؤَالَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ مَذْمُومٌ ، وَمُجِيبُهُمْ مُتَكَلِّفٌ لِلْجَوَابِ ، وَأَفْضَلُهُمْ رَأْيَا يَكَادُ رِضَاهُ تَارَةً وَسُخْطُهُ أُخْرَى يَرُدُّهُ عَنْ فَضْلِ رَأْيِهِ ، أَيْ يَتَّبِعُونَ الْهَوَى

و يكاد أصلُهم عودا ، أى أشدَّهم احتمالا .

تنكَّوه اللَّحْظَةَ ، نكَّأتُ القَرْحَةَ إذا صَدَمَتْها بشيء فتَقَشَّرَها .

قال : « وَتَسْتَحِيلُهُ الْكَلِمَةُ الْوَاحِدَةُ » ، أى تحيله وتغيِّره عن مُقتضى طبعه ؛ يَصِفُهُم

بسرعة التَّغَلُّبِ والتَّلَوُّنِ ، وأنَّهم مُطِيعُونَ دَوَاعِيَ الشَّهْوَةِ وَالْفَضَبِ . وَاسْتَفْعَلَ بِمَعْنَى

« فَعَلَ » قَدْ جَاءَ كَثِيرًا اسْتَفْلَظَ الْعَسَلُ ، أى غَلِظُ .

الأفضل :

قال : معاشِرَ النَّاسِ ، اتَّقُوا اللَّهَ ؛ فَكَمْ مِنْ مُؤْمِلٍ مَالًا يَبْلُغُهُ ، وَبِإِنٍ مَالًا يَسْكُنُهُ ،
وَجَامِعٍ مَسَوْفَ يَثْرَكُهُ ، وَلَعَلَّهُ مِنْ بَاطِلٍ جَمَعَهُ ، وَمِنْ حَقٍّ مَنَعَهُ ؛ أَصَابَهُ
حَرَامًا ، وَاحْتَمَلَ بِهِ آثَامًا ، فَبَاءَ بِوِزْرِهِ ، وَقَدِمَ عَلَى رَبِّهِ ، آسِفًا لَاهِفًا ، قَدْ خَسِرَ
الدُّنْيَا وَالْآخِرَةَ ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ ﴿ ١ 〉 .

الشرح :

قد تقدم شرح هذه المعاني والكلام عليها ، أما الآمال التي لا تُبْلَغ ، فأكثر من
أن تُحصى ، بل لا نهاية لها .

وما أحسن قول القائل :

واحسرتا ماتَ حَظِّي مِنْ وَصَالِكُمْ وللحُظُوظِ كما للنَّاسِ آجَالُ
إِنَّ مَتَّ شَوْقًا وَلَمْ أَبْلُغْ مَدَى أُمِّي كم تحت هَذِي الْقُبُورِ الْخُرْسِ آمَالُ !
وأما بناء مالا يُسْكَن ، فنحو ذلك .

وقال الشاعر :

ألم تَرَحَّوْشَبًا بِالْأَمْسِ يَدِّي بناءً نَفَعَهُ لَبْنِي نُفَيْلَةَ
يُؤْمَلُ أَنْ يُعَمَّرَ عَمْرُ نُوْحٍ وأمرُ اللَّهِ يَطْرُقُ كُلَّ لَيْلَةٍ
وأما جامعُ مَسَوْفَ يَثْرَكُهُ ، فأكثرُ النَّاسِ ، قال الشاعر :

وَذِي إِبِلٍ يَسْعَى وَيَحْسَبُهَا لَهُ أخوتُ عَيْبٍ فِي رَغِيهَا وَدُؤُوبِ
غَدَتْ وَغَدَا رَبٌّ سِوَاهُ يَسُوقُهَا وَبُدِّلَ أَحْجَارًا وَجَالَ قَلْبُهَا

(٣٥١)

الأصل :

مِنَ الْعِصْمَةِ تُعَذَّرُ الْمَقَاضِي .

الْبُيْنُحُ :

قد وردت هذه الكلمة على صيغ مختلفة . من الْعِصْمَةِ أَلَا تُقَدَّرُ . وأيضاً ، من الْعِصْمَةِ أَلَا تُجَدُّ .

وقد رُوِيَ مَرْفُوعَةً أَيْضًا .

وليس المرادُ بِالْعِصْمَةِ هَاهُنَا الْعِصْمَةُ الَّتِي ذَكَرَهَا الْمُتَكَلِّمُونَ ، لِأَنَّ الْعِصْمَةَ عِنْدَ الْمُتَكَلِّمِينَ مِنْ شَرْطِهَا الْقُدْرَةُ ، وَحَقِيقَتُهَا رَاجِعَةٌ إِلَى لُطْفٍ يُمْنَعُ الْقَادِرَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ عِنْدَهُ مِنَ الْمَعْصِيَةِ ، وَإِنَّمَا الْمُرَادُ أَنَّ غَيْرَ الْقَادِرِ فِي انْدِفَاعِ الْعُقُوبَةِ عَنْهُ كَالْقَادِرِ الَّذِي لَا يَفْعَلُ .

الأضل :

ماء وجهك جامدٌ يُقطرُهُ السُّؤالُ ، فانظُرْ عِنْدَ مَنْ تُقطِرُهُ .

البنج :

هذا حسن ، وقد أخذه شاعرٌ فقال :

إذا أظمأتكَ أكْفُ اللثامِ كَفَتِكَ القِنَاعَةُ شِعْمَةً وَرِيًّا
فكنْ رَجُلًا رِجْلُهُ فِي الثَّرَى وَهَامَةً هِمَّتِهِ فِي الثَّرِيَّا
فإن إِرَاقَةَ ماءِ الحَيَاةِ دُونَ إِرَاقَةِ ماءِ الحَيَا

وقال آخر :

رددتَ لى ماءِ وَجْهِى فى صَفِيحَتِهِ رَدَّ الصَّقَالُ بِهَاءِ الصَّارِمِ الجَذِمِ
وما أبا لى وخيرُ القولِ أَصْدَقُهُ حَقَنْتَ لى ماءَ وَجْهِى أَوْ حَقَنْتَ دَمِى
وقال مصعب بنُ الزَّبير : إني لأستحي من رجل وجهه إلى رغبته ، فبات ليلته
يتململ ويتقلقل على فراشه ، ينتظر الصبح ، قد جعلنى أهلاً لأن يقطر ماء وجهه
لدى أن أردّه خائباً .

وقال آخر :

ماماء كفئك إن أرسلت مُزْنَتَهُ من ماء وَجْهِى إذا استقطرتَه عَوْضُ

الأفضل :

الثَّناء بِأَكْثَرٍ مِنَ الاسْتِحْشاقِ مَلَقٌ ، وَالتَّقْصِيرُ عَنِ الاسْتِحْشاقِ عِيٌّ
أَوْ حَسَدٌ .

الشُّنْخ :

كانوا يَكْرَهُونَ أَنْ يُثْنِيَ الشَّاعِرُ فِي شِعْرِهِ عَلَى الْمَدْحِ الثَّناءَ الْمَفْرُطَ ؛ وَيَقُولُونَ :
خَيْرُ الْمَدْحِ مَا قَارَبَ فِيهِ الشَّاعِرُ وَاقْتَصَدَ ، وَهَذَا هُوَ الْمَذْهَبُ الصَّحِيحُ ، وَإِنْ كَانَ قَوْمٌ
يَقُولُونَ : إِنْ خَيْرَ الشُّعْرِ الْمَنْظُومُ فِي الْمَدْحِ مَا كَانَ أَشَدَّ مُغَالَاةً وَأَكْثَرَ تَبْجِيلًا وَتَعْظِيمًا
وَوَصْفًا وَتَعْتًا .

وَيَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَحْمُولًا عَلَى الثَّناءِ فِي وَجْهِ الْإِنْسَانِ ؛ لِأَنَّهُ هُوَ الْمَوْصُوفُ
بِالْمَلَقِ إِذَا أَفْرَطَ ، فَأَمَّا مَنْ يُثْنِي بظَهْرِ الْغَيْبِ فَلَا يُوصَفُ ثَنًاؤُهُ بِالْمَلَقِ ؛ سِوَاهُ كَانَ مَقْتَصِدًا
أَوْ مَسْرِفًا .

وقوله عليه السلام : « وَالتَّقْصِيرُ عَنِ الاسْتِحْشاقِ عِيٌّ أَوْ حَسَدٌ » لَا مَزِيدَ عَلَيْهِ فِي
الْحُسْنِ ؛ لِأَنَّهُ إِذَا قَصَرَ بِهِ عَنِ اسْتِحْشاقِهِ كَانَ الْمَانِعُ إِمَّا مِنْ جَانِبِ الْمُثْنَى فَقَطْ مِنْ غَيْرِ تَعَلُّقٍ
لَهُ بِالْمُثْنَى عَلَيْهِ ، أَوْ مَعَ تَعَلُّقٍ بِهِ ؛ فَالْأَوَّلُ هُوَ الْعِيُّ وَالْخَصَرُ ، وَالثَّانِي هُوَ الْحَسَدُ وَالْمَنَافَسَةُ .

الأفضل :

أشدُّ الذُّنُوبِ ما استَهَانَ بها صاحبُها .

الشُّنْحُ :

قد ذكرنا هذا فيما تقدّم وذكرنا العِلَّةَ فيه ، وهى أن فاعل ذلك الذَّنْبِ قد جَمَعَ بين فعل الذَّنْبِ وفعل ذَنْبٍ آخَرَ ، وهو الاستهانة بما لا يُستهان به ، لأنَّ المَعاصِيَ لا هين فيها ، والصغير منها كبير ، والحقير منها عظيم ، وذلك لجلالةِ شأنِ المعصِي سُبْحَانَهُ . فأمّا من يذنب ويَسْتَعِظُم ما أتاه ، فحالُه أخفّ من حالِ الأوّل ، لأنّه يكاد يكون نادماً^(١) .

(١) بعدها فى ١ : « على ما فعل » .

الأضل :

مَنْ نَظَرَ فِي عَيْبِ نَفْسِهِ اشْتَغَلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ ، وَمَنْ رَضِيَ بِرِزْقِ اللَّهِ لَمْ يَحْزَنْ عَلَى مَافَاتِهِ ، وَمَنْ سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ قُتِلَ بِهِ ، وَمَنْ كَابَدَ الْأُمُورَ عَطِبَ ، وَمَنْ أَقْتَحَمَ اللَّهَجَّ غَرِقَ ، وَمَنْ دَخَلَ مَدَاخِلَ الشُّوءِ أَتَاهُمْ .

وَمَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ كَثُرَ خَطْوُهُ ، وَمَنْ كَثُرَ خَطْوُهُ قَلَّ حَيَاؤُهُ ، وَمَنْ قَلَّ حَيَاؤُهُ قَلَّ وَرَعُهُ ، وَمَنْ قَلَّ وَرَعُهُ مَاتَ قَلْبُهُ ، وَمَنْ مَاتَ قَلْبُهُ دَخَلَ النَّارَ .

وَمَنْ نَظَرَ فِي عُيُوبِ غَيْرِهِ فَأَنْكَرَهَا ثُمَّ رَضِيَهَا لِنَفْسِهِ فَذَلِكَ الْأَحَقُّ بِعَيْنِهِ . وَالْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ .

وَمَنْ أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِ الْمَوْتِ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيَسِيرِ .
وَمَنْ عَلِمَ أَنَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيمَا يَعْنِيهِ .

الشُّرْحُ :

كلُّ هذه الفصول قد تقدّم الكلامُ فيها ، وهي عشرة :

أولها : مَنْ نَظَرَ فِي عَيْبِ نَفْسِهِ اشْتَغَلَ عَنْ عَيْبِ غَيْرِهِ ؛ كان يقال : أَصْلَحَ نَفْسَكَ أولاً ، ثُمَّ أَصْلَحَ غَيْرَكَ .

وثانيها : مَنْ رَضِيَ بِرِزْقِ اللَّهِ لَمْ يَحْزَنْ عَلَى مَافَاتِهِ ؛ كان يقال : الْحُزْنُ عَلَى الْمَنَافِعِ الدُّنْيَوِيَّةِ سُمٌّ تُرِيْقُهُ الرِّضَا بِالْقَضَاءِ .

وثالثها : من سَلَّ سَيْفَ الْبَغْيِ قَتِلَ بِهِ ؛ كَانَتْ يَقَالُ : الْبَاغِي مَضْرُوعٌ وَإِنْ كَثُرَ جُنُودُهُ .

ورابعها : مَنْ كَابَدَ الْأُمُورَ عَطِبَ ، وَمَنْ اقْتَحَمَ اللَّجَجَ غَرِقَ ؛ مِثْلُ هَذَا قَوْلُ الْقَائِلِ :

مَنْ حَارَبَ الْأَيَّامَ أَصْبَحَ رُحْمُهُ قِصْدًا وَأَصْبَحَ سَيْفُهُ مَقُولًا
وخامسها : مَنْ دَخَلَ مَدَاخِلَ السُّوءِ أَتَاهُمْ ؛ هَذَا مِثْلُ قَوْلِهِمْ : مَنْ عَرَّضَ نَفْسَهُ
لِلشُّبُهَاتِ فَلَا يُلَومَنَّ مَنْ أَسَاءَ بِهِ الظَّنَّ .

وسادسها : مَنْ كَثُرَ كَلَامُهُ... إِلَى قَوْلِهِ : دَخَلَ النَّارَ ؛ قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي الْمَنْطِقِ الزَّائِدِ
وَمَا فِيهِ مِنَ الْمَحْذُورِ ؛ وَكَانَ يَقَالُ : قَلَمًا سَلِمَ مِثْلُكَ ، أَوْ أَمِنَ مِنْ عِثَارِ .

وسابعها : مَنْ نَظَرَ فِي عُيُوبِ غَيْرِهِ فَأَنْكَرَهَا تَمَّ رِضْيَهَا لِنَفْسِهِ فَذَاكَ هُوَ الْأَحَقُّ
بِعَيْنِهِ ؛ كَانَ يَقَالُ : أَجْهَلُ النَّاسِ مَنْ يَرْضَى لِنَفْسِهِ بِمَا يَسْخَطُهُ مِنْ غَيْرِهِ .

وثامنها : الْقَنَاعَةُ مَالٌ لَا يَنْفَدُ ؛ قَدْ سَبَقَ الْقَوْلُ فِي هَذَا ، وَسَيَأْتِي أَيْضًا .

وتاسعها : مَنْ ذَكَرَ الْمَوْتَ رَضِيَ مِنَ الدُّنْيَا بِالْيُسْرِ ؛ كَانَ يَقَالُ : إِذَا أَحْبَبْتَ
أَلَّا تَحْسُدَ أَحَدًا فَأَكْثِرْ ذِكْرَ الْمَوْتِ ، وَأَعْلَمْ أَنَّكَ وَمَنْ تَحْسُدُهُ عَنْ قَلِيلٍ مِنْ
عَدِيدِ الْهَلَكَةِ .

وعاشرها : مَنْ عَلِمَ أَنَّ كَلَامَهُ مِنْ عَمَلِهِ قَلَّ كَلَامُهُ إِلَّا فِيمَا يَعْنِيهِ ؛ لَا رَيْبَ أَنَّ
الْكَلَامَ عَمَلٌ مِنَ الْأَعْمَالِ ، وَفِعْلٌ مِنَ الْأَفْعَالِ ، فَكَمَا يُسْتَهْجَنُ مِنَ الْإِنْسَانِ أَنْ يَزَالَ
يُحَرِّكُ يَدَهُ وَإِنْ كَانَ عَابِثًا ، كَذَلِكَ يُسْتَهْجَنُ أَلَّا يَزَالَ يُحَرِّكُ لِسَانَهُ فِيمَا هُوَ عَبَثٌ ،
أَوْ يَجْرِي بِجَرَى الْعَبَثِ .

وقال الشاعر :

يَخُوضُ أَنْاسٌ فِي الْكَلَامِ لِيُوجِزُوا وَلَلصَّمْتُ فِي بَعْضِ الْأَحَايِينِ أَوْجَزُ
إِذَا كُنْتَ عَنْ أَنْ تُحْسِنَ الصَّمْتَ عَاجِزًا فَأَنْتَ عَنِ الْإِبْلَاحِ فِي الْقَوْلِ أَعْجَزُ

الأفضل :

لِلظَّالِمِ مِنَ الرِّجَالِ ثَلَاثُ عِلَامَاتٍ :
يُظْلِمُ مَنْ فَوْقَهُ بِالْمَعْصِيَةِ ، وَمَنْ دُونَهُ بِالْغَلَبَةِ ، وَيُظَاهِرُ الْقَوْمَ الظَّالِمَةَ .

الشرح :

يُمْكِنُ أَنْ يَفْسَّرَ هَذَا الْكَلَامُ عَلَى وَجْهَيْنِ .

أحدهما أَنَّ كُلَّ مَنْ وُجِدَتْ فِيهِ إِحْدَى هَذِهِ الثَّلَاثِ فَهُوَ ظَالِمٌ ، إِمَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ وَجِبَتْ عَلَيْهِ طَاعَةُ مَنْ فَوْقَهُ فَمَعْصَاهُ ، فَهُوَ بَعْصِيَانُهُ ظَالِمٌ لَهُ ، لِأَنَّهُ قَدْ وَضَعَهُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ ، وَالظُّلْمُ فِي أَصْلِ اللَّفْظِ ؛ هُوَ هَذَا الْمَعْنَى ، وَلِذَلِكَ سَمَّوْا اللَّبْنَ يُشْرَبُ قَبْلَ أَنْ يَبْلُغَ الرَّوْبَ مَظْلُومًا ، لِأَنَّ الشَّرْبَ مِنْهُ كَانَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهِ إِذَا لَمْ يَرْبُ وَلَمْ يَخْرُجْ زُبْدُهُ ، فَكَذَلِكَ مَنْ عَصَى مَنْ فَوْقَهُ فَقَدْ زَحَزَحَهُ عَنْ مَقَامِهِ إِذَا لَمْ يُطِعه . وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ قَهَرَ مَنْ دُونَهُ وَغَلَبَهُ . وَإِمَّا أَنْ يَكُونَ قَدْ ظَاهَرَ الظَّالِمَةَ .

وَالْوَجْهُ الثَّانِي أَنَّ كُلَّ ظَالِمٍ فَلَا بَدَّ مِنْ أَجْمَاعِ هَذِهِ الْعِلَامَاتِ الثَّلَاثِ فِيهِ ؛ وَهَذَا هُوَ الْأَظْهَرُ .

الأضل :

عِنْدَ تَنَاهِي الشَّدَّةِ تَكُونُ الْفَرْجَةُ ، وَعِنْدَ تَضَائِقِ حَاقِ الْبَلَاءِ يَكُونُ الرَّخَاءُ .

الشَّرْح :

كان يقال : إذا اشتدَّ المَضِيقُ ، اتَّسَعَتِ الطَّرِيقُ ، وكان يقال : توقَّعوا الفَرْجَ عند ارتجاجِ المَخْرَجِ ، وقال الشاعر :

إِذَا بَلَغَ الْحَوَادِثُ مُنْتَهَاهَا فَرَجٌ بُعِيدَهَا الْفَرْجَ الْمُطْلَأُ

فَكَمْ كَرِبَ تَوَلَّى إِذْ تَوَالَى وَكَمْ خَطْبُ تَجَلَّى حِينَ جَلَّى

وفي الأثر : تَضَائِقِي نَنْفَرِجِي ، سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ الْعُسْرِ يُسْرًا .

والفَرْجَةُ بفتح الفاء : التَّفَصُّيُّ مِنَ الْهَمِّ ، قال الشاعر :

رَبَّمَا تَجْزَعُ النُّفُوسُ مِنَ الْأَمْرِ لَهُ فَرْجَةٌ كَحُلِّ الْعِقَالِ^(١)

فَأَمَّا الْفَرْجَةُ بِالضَّمِّ ، فَفَرْجَةُ الْخَائِطِ وَمَا أَشْبَهَهُ .

(١) لأمية أبي الصلت ، وقوله :

لَا تَضِيقَنَّ فِي الْأُمُورِ فَقْدُ يُكْشَفُ غَمَاؤُهَا بِغَيْرِ احْتِيَالٍ

الأصل :

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِبَعْضِ أَصْحَابِهِ : لَا تَجْعَلَنَّ أَكْثَرَ شُغْلِكَ بِأَهْلِكَ وَوَلَدِكَ ، فَإِنْ
يَكُنْ أَهْلُكَ وَوَلَدُكَ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضَيِّعُ أَوْلِيَاءَهُ ، وَإِنْ يَكُونُوا أَعْدَاءَ اللَّهِ
فَاهْطِكْ وَشُغْلُكَ بِأَعْدَاءِ اللَّهِ !

الشرح :

قد تقدّم القولُ نحوَ هذا المعنى ، وهو أمر بالتفويض والتوكّل على الله تعالى فيمن
يُخلّفه الإنسان من ولده وأهله ، فإن الله تعالى أعلم بالمصلحة ، وأرأف بالإنسان من أبيه
وأُمّه ؛ ثم إن كان الولد في عِلْمِ الله تعالى ولياً من أولياء الله سبحانه ، فإنّ الله تعالى
لا يضيّعه ، قال سبحانه : ﴿ وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ ﴾ (١) .

وكلُّ وليٍّ لله فهو متوكّل عليه لا محالة ، وإن كان عدواً لله لم يَجْزِ الاهتمامُ له
والاعتناء بأمره ، لأنّ أعداء الله تجب مقاطعتهم ، ويحرّم تولّيهم ، فعلى كلّ حال لا ينبغي
للإنسان أن يحفل بأهله وولده بعد موته .

واعلم أن هذا كلامُ العارفين الصّديقين ، لا كلامُ أهل هذه الطبقات التي نعرّفها ،
فإن هذه الطبقات تقصّر أقدامهم عن الوصول إلى هذا المقام .

ويعجبنى قولُ الشاعر :

أيا جامعَ المالِ وفَرَّتْهُ لغيرك إذ لم تكن خالدا
فإن قلتَ : أجمعه للبَينِ فقد يسبقُ الولدُ الوالدا
وإن قلتَ أخشى صروفَ الزمان فكن من تصاريفه واحدا

(٣٥٩)

الأصل :

أَكْبَرُ الْعَيْنِ أَنْ تَعِيبَ مَا فِيكَ مِثْلُهُ .

الشرح :

قد تقدّم هذا المعنى مراراً .

وقال الشاعر :

إذا أنت عِيبَتِ الأمرُ ثم أتيتَه فأنْتَ وَمَنْ تُزِرِي عَلَيْهِ سَوَاهُ

(٣٦٠)

الأضل :

وهنا يحضرته رجلٌ رجلاً آخر بغلامٍ ولد له فقال له : ليهنئك الفارس ! فقال عليه السلام :

لا تقل ذلك ، ولكن قل : شكرت الواهب ، وبورك لك في الموهوب ، وبلغ أشده ، ورزقت برّه .

الشنخ :

هذه كلمة كانت من شعار الجاهلية ، فنهى عنها كما نهى عن تحية الجاهلية : « أبيت اللعن » ، وجعل عوضها « سلامٌ عليكم » .

وقال رجلٌ للحسن البصرى وقد بشره بغلام : ليهنئك الفارس ! فقال : بل الرجل ، ثم قال : لا مرحبا بمن إن عاش كدّنى ، وإن مات هدّنى ، وإن كنت مُقلاً أنصبتنى ، وإن كنت غنياً أذهلتنى ، ثم لا أرضى بسعي له سعياً ، ولا بكدّى عليه فى الحياة كدّاً ، حتى أشفق عليه بعد موتى من الفاقة ، وأنا فى حالٍ لا يصل إلى من فرجه سرورٌ ، ولا من همّه حزن .

الأصل :

وَبَنَى دَجْلٌ مِنْ عَمَّالِهِ بِنَاءً فَخْمًا فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
أَطْلَعْتَ الْوَرِقَ رُءُوسَهَا ؛ إِنَّ الْبِنَاءَ يَصِفُ لَكَ الْغِنَى .

الشُّنْج :

قد رُوِيَ هذه الكلمةُ عن عمر - رضى الله عنه - ذكر ذلك ابن قُتَيْبَةَ في
” عَيُونُ الْأَخْبَارِ “ .

ورُويَ عنه أيضا : لى على كلِّ خائنٍ أمينان : الماء والطَّين .
قال يحيى بنُ خالد لابنه جعفر حين اختطَّ داره ببغداد لِبَنِيهَا : هى قَيْصُك ، فإن
شئت فوسَّعه ، وإن شئت فضيَّقه .
ورآه وهو يَحْصُصُ حِيطَانَ دارِهِ الْمَبْنِيَّةِ بِالْأَجْرِ ، فقال له : إِنَّكَ تَغْطِى الذَّهَبَ بِالْفِضَّةِ ،
فقال جعفر : ليس فى كلِّ مكان يكون الذهبُ خيرا من الفضة ، ولكن هل تَرَى عيبا ؟
قال : نعم ، مَخَالَطَتُهَا دُورَ السُّوقَةِ .
وقيل ليزيد بن المهلب .

أَلَا يَبْنِى الْأَمِيرُ دَاراً ؟ فقال : منزلى دارُ الإمارة أو الحبس .
وكان يقال ، فى الدار : لَتَكُنْ أَوَّلُ مَا يُبْتَاعُ وَآخِرَ مَا تُبَاعُ .
ومرَّ رجلٌ من الخوارج بآخر من أصحابهم وهو يَبْنِى داراً فقال : من ذا الَّذِى
يقيم كَفَيْلا .

وقالوا : كلُّ ما يخرجُ بخروجِكَ ، ويرجع برُجوعِكَ ، كالدار والنخل ونحوهما
فهو كَفِيل .

الأفضل

وَقِيلَ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لَوْ سُدَّ عَلَى رَجُلٍ بَابُ يَتِّ وَتُرِكَ فِيهِ ، مِنْ أَيْنَ كَانَ يَأْتِيهِ رِزْقُهُ ؟ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
مَنْ جِئْتُ يَأْتِيهِ أَجَلُهُ .

* * *

البُزْج :

ليس يعنى عليه السلام أن كل من يُسَدَّ عليه بابُ بيت ؛ فإنه لا بد أن يرزقه الله تعالى ، لأنَّ البَيَان والمُشَاهَدَة تقتضى خلاف ذلك ؛ وما رأينا من سُدَّ عليه بابُ بيت مدَّةً طويلة فعاش ، ولا ريب أن مَنْ شَقَّ أَسْطُوَانَة وَجُمِعَ فيها حَيًّا ثُمَّ بَنِيَتِ الأَسْطُوَانَة عليه فإنه يموت مُحْتَقًا ، ولا يَأْتِيهِ رِزْقُهُ ولا حَيَاتُهُ ؛ ولأنَّ للحُكَمَاء أن يقولوا في الفَرَق بين الموضِعين : إنَّ أَجَلَهُ إِنَّمَا يَأْتِيهِ لَأَنَّ الأَجَلَ عَدَمُ الحَيَاة ، والحَيَاةُ تَعَدَمُ لَعَدَمَ ما يوجبها ، والذي يُوجِب استمرارها الغِذاء ، فلما انقطع الغِذاء حُضِرَ الأَجَلَ ، فهذا هو الوجه الذى يَأْتِيهِ مِنْهُ أَجَلُهُ ، ولا سَبِيل إلى ذكر مثله فى حُضُور الرِّزْق لمن يُسَدَّ عليه الباب .

فإذا معنى كلامه عليه السلام أن الله تعالى إذا علم فيمن يعمل في دارٍ وَيُسَدُّ عليه بابُها أن في بقاء حَيَاتِهِ لُطْفًا لِبَعْضِ المُكَلَّفِينَ فإنه يجب على الله تعالى أن يُدِيمَ حَيَاتِهِ ، كما يشاء سبحانه ؛ إما بغذاء يقيم به مادة حَيَاتِهِ ، أو

أو يديمُ حياته بغير سبب ، وهذا هو الوجه الذى منه يأتيه أجله أيضا ، لأن إِمَاتَةَ
الله المكلف أمرٌ تابعٌ للمصلحة ، لأنه لا بدّ من انقطاع التكليف على كلِّ حال
للوجه الذى يذكره أصحابنا فى كتبهم ، فإذا كان الموتُ تابعاً للمصلحة ، وكان
الإحياء تابعاً للمصلحة ، فقد أتى الإنسان رِزقه - يعنى حياته - من حيثُ يأتيه أجله .
وانتظمَ الكلام .

الأفضل :

وَعَزَى قَوْمًا عَنْ مَيْتٍ مَاتَ لَهُمْ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
 إِنَّ هَذَا الْأَمْرَ لَيْسَ لَكُمْ بَدَأٌ ، وَلَا إِلَيْكُمْ اِتِّهَامٌ ، وَقَدْ كَانَ صَاحِبُكُمْ هَذَا
 يُسَافِرُ ؟ فَقَالُوا : نَعَمْ ؛ قَالَ : فَعُدُّوهُ فِي بَعْضِ سَفَرَاتِهِ ، فَإِنْ قَدِمَ عَلَيْكُمْ وَإِلَّا
 قَدِمْتُمْ عَلَيْهِ .

الشُّنْخ :

قد أَلَمَ إبراهيمُ بنُ المهديِّ ببعض هذا في شعره الذي رثى به ولده فقال :
 يَثُوبُ إِلَى أوطَانِهِ كُلُّ غَائِبٍ وَأَحَدٌ فِي الْغِيَابِ لَيْسَ يَثُوبُ^(١)
 تَبَدَّلَ دَارًا غَيْرَ دَارِي وَجِبَرَةً سِوَايَ وَأَحْدَاثُ الزَّمَانِ تَنُوبُ
 أَقَامَ بِهَا مَسْتَوِطِنًا غَيْرَ أَنَّهُ عَلَى طُولِ أَيَّامِ الْمَقَامِ غَرِيبُ^(٢)
 وَإِنِّي وَإِنْ قَدُمْتُ قَبْلِي لِعَالَمٍ بَأْنِي وَإِنْ أَبْطَأْتُ عَنْكَ قَرِيبُ
 وَإِنْ صَبَاحًا تَلْتَقِي فِي مَسَائِهِ صَبَاحٌ إِلَى قَلْبِي الْغَدَاةَ حَبِيبُ

(١) من كلمة له في الكامل ٤ : ٢٣ - ٢٥

(٢) بعده :

كَانَ لَمْ يَكُنْ كَالْفَصْنِ فِي مَبِيعَةِ الضُّحَى سَقَاهُ النَّدَى فَاهْتَزَّ وَهُوَ رَطِيبُ

الأصل :

أَيُّهَا النَّاسُ ، لَبَّرَ كُمْ اللَّهُ مِنَ النِّعْمَةِ وَحَبْلَيْنِ ، كَمَا يَرَاكُمْ مِنَ النِّعْمَةِ فَرِيقَيْنِ .
 إِنَّهُ مَنْ وَسَّعَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ ، فَلَمْ يَرَ ذَلِكَ اسْتِدْرَاجًا ، فَقَدْ أَمِنَ مَخُوفًا ،
 وَمَنْ ضَيَّقَ عَلَيْهِ فِي ذَاتِ يَدِهِ ، فَلَمْ يَرَ ذَلِكَ اخْتِبَارًا ، فَقَدْ ضَيَّعَ بِأُمُورًا .

الشرح :

قد تقدّم القول في استدراج المترّف الغنى ، واختبار الفقير الشَّقِّ ، وأنه يجب على
 الإنسان وإن كان مشمولاً بالنعمة أن يكون وَجِلًا^(١) ، كما يجب عليه إذا كان فقيرًا أن
 يكون شَكُورًا صَبُورًا .

(١) وجلا : خائفًا .

الأضل :

يا أَسْرَى الرَّغْبَةِ ، أَقْصِرُوا ، فَإِنَّ الْمُعْرِجَ عَلَى الدُّنْيَا لَا يَرْوَعُهُ مِنْهَا إِلَّا صَرِيفُ
أَنْيَابِ الْحَدَثَانِ .

أَيُّهَا النَّاسُ ؛ تَوَلَّوْا عَنْ أَنْفُسِكُمْ تَأْدِيبَهَا ، وَاعْدِلُوا بِهَا عَنْ ضَرَاوَةِ عَادَاتِهَا .

البُزْجُ :

ضَرَى يَضْرِي ضَرَايَةً مِثْلَ رَمَى يَرْمِي رِمَايَةً ، أَيْ جَرَى وَسَالَ ، ذَكَرَهُ ابْنُ
الْأَعْرَابِيِّ ، وَعَلَيْهِ يَبْنَى أَنْ يُحْمَلَ كَلَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ أَيْ اَعْدِلُوا بِهَا
عَنْ عَادَاتِهَا الْجَارِيَةِ ، مِنْ بَابِ إِضَافَةِ الصِّفَةِ إِلَى الْمَوْصُوفِ ، وَهَذَا خَيْرٌ مِنْ تَفْسِيرِ
الرَّائِزِ دِي ؛ وَقَوْلُهُ : إِنَّهُ مِنْ ضَرَى الْكَلْبِ بِالْصَّيْدِ ؛ لِأَنَّ الْمَصْدَرَ مِنْ ذَلِكَ الضَّرَاوَةُ
بِالْوَاوِ وَقَفَتْ الضَّادُ ، وَلَمْ يَأْتِ فِيهِ ضَرَايَةً .

وقوله : « يا أَسْرَى الرَّغْبَةِ » كلمةٌ فصِيحَةٌ .

وكذلك قوله : « لَا يَرْوَعُهُ مِنْهَا إِلَّا صَرِيفُ أَنْيَابِ الْحَدَثَانِ » ، وَذَلِكَ لِأَنَّ الْفَهْدَ
إِذَا وَتَّبَ وَالذَّنْبَ إِذَا حَمَلَ يَصْرِفُ نَابَهُ ، وَيَقُولُونَ لِكُلِّ خَطْبٍ وَدَاهِيَةٍ جَاءَتْ !
تَصْرِفُ نَابَهَا . وَالصَّرِيفُ : صَوْتُ الْأَسْنَانِ إِذَا عِنْدَ رِغْدَةٍ أَوْ عِنْدَ شِدَّةِ الْغَضَبِ
وَالْحَنْقِ ، وَالْحِرْصِ عَلَى الْإِنْتِقَامِ ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ .

وقد تقدّم الكلامُ فِي الدُّنْيَا وَالرَّغْبَةِ فِيهَا ، وَغَدَرِهَا وَحَوَادِثِهَا ، وَوُجُوبِ الْعُدُولِ
عَنْهَا ، وَكُسْرِ عَادِيَةِ عَادَاتِ السُّوءِ الْمَكْتَسِبَةِ فِيهَا .

الأفضل :

لا تَظُنَنَّ بِكَلِمَةٍ خَرَجَتْ مِنْ أَحَدٍ سُوءًا وَأَنْتَ تَجِدُ لَهَا فِي الْخَيْرِ مُحْتَمَلًا^(١) .



الْبَزْخ :

هذه الكلمة يروونها كثير من الناس لعمر بن الخطّاب ، ورووها بعضهم لأُمير المؤمنين عليه السلام . وكان ثُمّامة يحدث بسوء دُرِّ يحيى بن خالد وابنه جعفر . ويقول : إنَّ الرّشيدَ نَكَبَ عليّ بنَ عيسى بنَ ماهان^(٢) وألزمه مائه ألف دينارٍ أدّى منها خمسين ألفاً ، وبلغَ بالباقي ، فأقسم الرّشيدُ إن لم يؤدِّ المالَ في بقية هذا اليوم وإلا قَتَلَه . وكان عليّ بنُ عيسى عدوًّا للبرامكة مكاشفًا ، فلما علم أنه مقتول سأل أن يمكن من السعي إلى الناس يستنجدهم ، ففُسِّحَ له في ذلك ، ففضى ومعه وكيلُ الرّشيدِ وأعوانه إلى باب يحيى وجعفر ، فأشبلًا عليه^(٣) وصحّاحًا من صُلُبِ أموالها خمسين ألف دينارٍ في باقى نهارٍ ذلك اليوم بديوان الرّشيدِ باسم عليّ بن عيسى ، واستخلصاه ؛ فنقل بعض المتنصّحين لهما إليهما أن عليّ بن عيسى قال في آخر نهار ذلك اليوم متمثلاً :

فما بُقيًا عليّ تركُماني ولكن خِفْتُمَا صَرَدَ النَّبَالِ^(٤)

(١) في د « محلا » ؛ وهو يستقيم أيضًا .

(٢) ب : « هامان » تصحيف .

(٣) أشبلا : عطفا .

(٤) اللسان (صرد) ، ونسبه إلى اللعين النقرى يخاطب جريراً والفرزدق . وصرد السهم : نفذ حده .

فقال يحيى للناقل إليه ذلك : يا هذا إنَّ المرعوب ليسبق لسانه إلى ما لم يخطر بقلبه .
وقال جعفر : ومن أين لنا أنه تمثَّل بذلك وعَنَّا ، ولعله أراد أمراً آخر فكان
ثمامة يقول : ما في الأرض أسودُّ من رجلٍ يتأوَّل كلامَ عدوِّه فيه ويحمِّله على
أحسنِ محامِله .

وقال الشاعر :

إذا ما أتت من صاحبٍ لك زلَّةٌ فكن أنت مُختالاً لزلَّته عُذراً^(١)

الأصل :

إِذَا كَانَتْ لَكَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ حَاجَةٌ فَابْدَأْ بِمَسْأَلَةِ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، ثُمَّ سَلْ حَاجَتَكَ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ أَكْرَمُ مِنْ أَنْ يُسْأَلَ حَاجَتَيْنِ ، فَيَقْضَى إِحْدَاهُمَا وَيَمْنَعَ الْأُخْرَى .

البُزْخُ :

هَذَا الْكَلَامُ عَلَى حَسَبِ الظَّاهِرِ الَّذِي يَتَعَارَفُهُ النَّاسُ بَيْنَهُمْ ، وَهُوَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَسْأَلُ هَذَا الْمَسْأَلَةَ كَثِيرًا ، وَيُخَاطِبُ النَّاسَ عَلَى قَدْرِ عُقُولِهِمْ ، وَأَمَّا بَاطِنُ الْأَمْرِ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لِأَجْلِ دُعَائِنَا إِيَّاهُ أَنْ يُصَلِّيَ عَلَيْهِ ، لِأَنَّ مَعْنَى قَوْلِنَا : اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ ، أَيْ أَكْرَمِهِ ، وَارْفَعْ دَرَجَتَهُ ، وَاللَّهُ سُبْحَانَهُ قَدْ قَضَى لَهُ بِالْإِكْرَامِ التَّامِّ وَرِفْعَةِ الدَّرَجَةِ مِنْ دُونِ دُعَائِنَا ، وَإِنَّمَا تَقَبَّدْنَا نَحْنُ بِأَنْ نُصَلِّيَ عَلَيْهِ لِأَنَّ لَنَا ثَوَابًا فِي ذَلِكَ ، لَا لِأَنَّ إِكْرَامَ اللَّهِ تَعَالَى لَهُ أَمْرٌ يَسْتَعْقِبُهُ وَيَسْتَتْبِعُهُ دَعَاؤُنَا .

وَأَيْضًا فَأَيُّ غَضَاضَةٍ عَلَى الْكَرِيمِ إِذَا سُئِلَ حَاجَتَيْنِ فَقَضَى إِحْدَاهُمَا دُونَ الْأُخْرَى إِنْ كَانَ عَلَيْهِ فِي ذَلِكَ غَضَاضَةٌ فَعَلِيهِ فِي رَدِّ الْحَاجَةِ الْوَاحِدَةِ غَضَاضَةٌ أَيْضًا .

(٣٦٨)

الأضل :

مَنْ ضَنَّ بِعِرْضِهِ فَلْيَدْعِ الْمِرَاءَ .

الشُّنْحُ :

قد تقدّم من القول في المراء ما فيه كفاية ، وحدّ المراء الجدال المتصل
لا يقصد به الحق .

وقيل لثيمون بن مهران : مالك لا تُفارق أخاك عن قلّي ؟ قال : لأني
لا أشاركه ولا أماريه .

وكان يقال : ماض قومٌ بعد إذ هداهم الله [تعالى^(١)] إلا بالمراء والإصرار في الجدال
على نُصرة الباطل .

وقال سُفيان الثوري : إذا رأيتم الرجل مُلجوا مُمارياً معجبا بنفسه فقد
تمّت خسارته .

(٣٦٩)

الأصل :

مِنَ الْخُرْقِ الْمَعَاجِلَةِ قَبْلَ الْإِمْكَانِ ، وَالْأُنَاةُ بَعْدَ الْفُرْصَةِ .

الشرح :

قد تقدم القولُ في هذين المعنيين .

ومن كلام ابن المعتز : إهمالُ الفرصة حتى تفوتَ عجز ، والمعجلة قبل التمكن خرق .

وقد جعل أمير المؤمنين عليه السلام كلتا الحالتين خرقاً ؛ وهو صحيح ، لأن الخرق الحلق ، وقلة العقل ، وكلتا الحالتين دليلٌ على الحلق والنقص .

الأصل :

لَا تَسْأَلْ عَمَّا لَمْ يَكُنْ ، فَفِي الَّذِي قَدْ كَانَ لَكَ شُغْلٌ .

الشُّنْجُ :

من هذا الباب قولُ أبي الطَّيِّبِ في سَيْفِ الدولة ^(١) :

لَيْسَ الْمَدَامُحُ تَسْتَوِي مَنَاقِبَهُ فَمَنْ كَلَيْبٌ وَأَهْلُ الْأَعْصُرِ الْأَوَّلِ ! ^(٢)

خُذْ مَا تَرَاهُ وَدَعْ شَيْئًا سَمِعْتَ بِهِ فِي طَلْعَةِ الْبَدْرِ مَا يُغْنِيكَ عَنْ زُحَلٍ ^(٣)

(١) ديوانه ٣ : ٨١ .

(٢) كليب هو ابن ربيعة رئيس بني تغلب وسيدهم في الجاهلية .

(٣) بعده :

وَقَدْ وَجَدْتَ مَكَانَ الْقَوْلِ ذَا سَعَةٍ فَإِنْ وَجَدْتَ لِسَانًا قَائِلًا فَقُلْ

الأضل :

الفكرُ مرآةُ صافيةٌ ، والاعتبارُ مُنذِرٌ ناصحٌ ، وكفى أدباً لنفسِكَ تجنُّبك
ما كرهته لغيرِكَ .

الشبح :

قد تقدّم القولُ في نحو هذا . وفي المثل : كفى بالاعتبار مندرأ ، وكفى بالشئب
زاجرا ، وكفى بالموتِ واعظا ، وقد سبق القولُ في وجوب تجنُّب الإنسانِ ما يكرهه
من غيره .

وقال بعضُ الحكماء : إذا أحببتَ أخلاقَ امرئٍ فكُنْه ، وإن أبغضتَها
فلا تَكُنْه . أخذه شاعرُهم فقال :

إذا أعجبتكَ خِصالُ امرئٍ فكُنْه يكنْ منك ما يُعجِبُكَ
فليسَ على المجدِ والبكرُماتِ إذا جتَها حاجِبُ يَحْجُبُكَ

الأفضل :

الْعِلْمُ مَقْرُونٌ بِالْعَمَلِ ، فَمَنْ عِلِمَ عَمِلَ ، وَالْعِلْمُ يَهْتَفُ بِالْعَمَلِ ، فَإِنْ أَجَابَ
وَالْإِلَّا أُرْتَحَلَ عَنْهُ .

الشرح :

لا خيرَ في عِلْمٍ بلا عَمَلٍ ، والعِلْمُ بغيرِ الْعَمَلِ حُجَّةٌ على صاحبه ، وكلامُ أمير المؤمنين
عليه السلام يُشعرُ بأنه لا عالِمَ إلَّا وهو عاملٌ ، ومُرادهُ بالعلم هاهنا العِرْفَانُ ؛ ولا رَيْبَ أن
العارف لا بدَّ أن يكون عاملاً .

ثمَّ استأنف فقال : الْعِلْمُ يَهْتَفُ بِالْعَمَلِ أَى يُنَادِيهِ ، وهذه اللفظة أستعاره .
قال : فَإِنْ أَجَابَهُ وَالْإِلَّا أُرْتَحَلَ ، أَى إِنْ كَانَ الْإِنْسَانُ عالماً بالأُمُورِ الدِّينِيَّةِ
ثُمَّ لَمْ يَعْمَلْ بِهَا سَلَبَهُ اللَّهُ تَعَالَى عِلْمَهُ ، وَلَمْ يَمُتْ إِلَّا وَهُوَ مَعْدُودٌ فِي زُمْرَةِ الْجَاهِلِينَ ،
وَيُمْكِنُ أَنْ يَفْسَّرَ عَلَى أَنَّهُ أَرَادَ بِقَوْلِهِ : أُرْتَحَلَ أُرْتَحَلْتُ ثَمَرَتُهُ وَنَتِيجَتُهُ ، وَهِيَ الثَّوَابُ ،
فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى لَا يُثِيبُ الْمَكْلَفَ عَلَى عِلْمِهِ بِالشَّرَائِعِ إِذَا لَمْ يَعْمَلْ بِهَا ، لِأَنَّ إِخْلَالَ
بِالْعَمَلِ يُحْبِطُ مَا يَسْتَحِقُّهُ مِنْ ثَوَابِ الْعِلْمِ لَوْ قَدَرْنَا أَنَّهُ اسْتَحَقَّ عَلَى الْعِلْمِ ثَوَابًا ، وَأَتَى
بِهِ عَلَى الشَّرَاطِطِ الَّتِي مَعَهَا يَسْتَحَقُّ الثَّوَابُ .

الأصل :

أيُّهَا النَّاسُ مَتَاعُ الدُّنْيَا حُطَامٌ مُؤَبَّى ، فَتَجَنَّبُوا مَرَعَاةَ قُلْعَتِهَا أَحْظَى مِنْ طُمَأْنِينِهَا ،
وَبُلْفَتِهَا أَزْكَى مِنْ ثَرَوَتِهَا ، حُكِمَ عَلَى مُكْثَرِهَا بِالْفَاقَةِ ، وَأُعِينَ مَنْ غَنِيَ عَنْهَا
بِالرَّاحَةِ ، مَنْ رَاقَهُ زَبْرُجُهَا أَعْقَبَتْ نَاطِرِيهِ كَهْمًا ، وَمَنْ اسْتَشْعَرَ الشَّغْفَ بِهَا مَلَأَتْ
ضَمِيرَهُ أَشْجَانًا ، لَهْنٌ رَقَصَ عَلَى سُودَاءِ قَلْبِهِ ، هَمٌّ يَشْغَلُهُ ، وَغَمٌّ يُخْزِنُهُ ، كَذَلِكَ حَتَّى
يُؤْخَذَ بِكَظْمِهِ فَيُلْقَى بِالْفَضَاءِ ، مُنْقَطِعًا أَبْهَرَاهُ ، هِينًا عَلَى اللَّهِ فَنَائُهُ ، وَعَلَى الْإِخْوَانِ
إِقْلَاؤُهُ .

إِنَّمَا يَنْظُرُ الْمُؤْمِنُ إِلَى الدُّنْيَا بِعَيْنِ الْاِعْتِبَارِ ، وَيَقْتَاتُ مِنْهَا بِبَطْنِ الْاِضْطِرَارِ ،
وَيَسْمَعُ فِيهَا بِأُذُنِ الْمَقْتِ وَالْإِبْقَاضِ ، إِنْ قِيلَ أَثَرَى قِيلَ أَكْدَى ، وَإِنْ فُرِحَ لَهُ
بِالْبَقَاءِ حُزِنَ لَهُ بِالْفَنَاءِ ، هَذَا وَلَمْ يَأْتِيهِمْ يَوْمٌ هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ .

الشَّيْخ :

مَتَاعُ الدُّنْيَا : أَمْوَالُهَا وَقُنْيَاتُهَا .

وَالْحُطَامُ : مَا تَكَسَّرَ مِنَ الْحَشِيشِ وَالْيَبَسِ ، وَشَبَّهَ مَتَاعَ الدُّنْيَا بِذَلِكَ لِحَقَارَتِهِ .

وَمُؤَبَّى : مُحَدَّثٌ لِلْوَبَاءِ ، وَهُوَ الْمَرَضُ الْعَامُّ .

وَمَرَعَاةٌ : بَقْعَةٌ تُرْعَى ، كَقَوْلِكَ مَأْسَدَةً فِيهَا الْأَسَدُ ، وَنُحْيَاةٌ ، فِيهَا الْحَيَّاتُ .

وَقُلْعَتُهَا بِسُكُونِ اللَّامِ . خَيْرٌ مِنْ طُمَأْنِينِهَا : أَى كَوْنِ الْإِنْسَانِ فِيهَا مَرْجَحًا مَتَهَيِّجًا

للزَّحِيل عنها خيرٌ له من أن يكون ساكناً إليها ، مطمئناً بالمقام فيها .
 وإِبلُغة : ما يتبلَّغ به . والثروة : اليسار والغنى ، وإنما حُكِم على مُكثريها بالفاقة
 والفقر لأنهم لا ينتهون إلى حَدٍّ من الثروة والمال إلا وجدوا واجتهدوا ، وحرصوا في
 طلب الزيادة عليه ، فهم في كلِّ أحوالهم فقراء إلى تحصيل المال ، كما أنَّ من لا مال له
 أصلاً يَجِدْ ويَجْتَهد في تحصيل المال ، بل ربما كان جِدُّهم وحرصُهم على ذلك أعظم من
 كَدْح الفقير وحرصه ، ورُوى : « وأعين من غني عنها » ومن رواه « أغني » أى أغنى الله ،
 من غني عنها وزهد فيها بالراحة وخلو البال وعدم الهم والغم .

والزَّبْرَج : الزينة ، وراقه : أعجبه .

والكَمه : العمی الشديد ، وقيل : هو أن يولد أعمى .

والأشجان : الأحران .

والرَّقْصُ بفتح القاف : الاضطراب ^(١) والغليان والحركة .

والكظَم بفتح الظاء : مجرى النفس .

والأبهران : عِرْقَان متصلان بالقلب ؛ ويقال للميت : قد انقطع أبهراه .

قوله : « وإنما ينظر المؤمن » : أخبارٌ في الصورة ، وأمرٌ في المعنى ، أى لينظر المؤمن إلى
 الدنيا بعين الاعتبار ، ولأى كُُل منها يبطن الاضطراب ، أى قَدَّر الضرورة ، لا احتكار
 أو استكثار ، وليسمع حديثها بأذن اللقَّت والبُغْض ، أى ليتخذها عدوًّا قد صاحبه في
 طريق ، فلأخذ حذرَه منه جُهدَه وطاقته ، وليسمع كلامه وحديثه لا أستماع مُصنَع ومحبِّ
 واميق ، بل أستماع مُبغِضٍ محترزٍ من غائلته .

(١) ب : « الاضطراب » تحريف .

ثم عاد إلى وصف الدنيا وطالبها فقال : إن قيل أترى قيل : أكرهى ، وفاعلُ « أترى » هو الضمير العائد إلى مَنْ استشعر الشَّغَفَ بها . يقول : ينال يقال : أترى ، قيل : افتقر ، لأن هذه صفة الدنيا في قلبها بأهلها ، وإن فرح له بالحياة ودوامها ، قيل : مات وعَدِم ، هذا ولم يأتهم يوم القيامة يوم هم فيه مُبْلِسُونَ ، ألبس الرجلُ يُبْلِسُ إبلاسا أى قَنِطَ ويئس ، واللفظ من لَفَظَات الكتاب العزيز^(١) .

[نبذ من الأقوال الحكيمة في وصف حال الدنيا وصروفها]

وقد ذكرنا من حال الدنيا وصروفها وعُذْرُهَا بأهلها فيما تقدم أبوابا كثيرة نافعة .

ونحن نذكرها هنا زيادة على ذلك .

فمن كلام بعض الحكماء : ويلٌ لصاحب الدنيا ، كيف يموت ويتركها ، وتفره ويأمنها وتخذله ويثق بها ! ويلٌ للمفتريين ، كيف أرثهم ما يكرهون ، وفاتهم ما يحبون ، وجاءهم ما يوعدون ! ويل لمن الدنيا همه ، والخطايا عمله ، كيف يفتضح غداً بذنبه .

وروى أنس قال : كانت ناقة رسول الله صلى الله عليه وآله العضباء لا تسبق ، فجاء أعرابيٌّ بناقة له فسبقها ، فشق ذلك على المسلمين ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « حق على الله ألا يرفع في الدنيا شيئا إلا وضعه » .

وقال بعض الحكماء : من ذا الذى يبنى على موج البحر داراً ! تلکم الدنيا ، فلا تتخذوها قرارا .

(١) وهو قوله تعالى في سورة الروم ١٢ : ﴿ وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ ﴾ .

وقيل لحكيم : عَلَّمْنَا عَمَلًا وَاحِدًا إِذَا عَمِلْنَاهُ أَحَبَّنَا اللَّهُ عَلَيْهِ ، فَقَالَ : ابْفَضُوا الدُّنْيَا يُحِبِّبُكُمْ اللَّهُ .

وقال أبو الدرداء : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « لَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعْلَمَ لَضَحِكْتُمْ قَلِيلًا ، وَلَبَكَيْتُمْ كَثِيرًا ، وَلَهَانَتْ عَلَيْكُمُ الدُّنْيَا ، وَلَا تَأْتِيَنَّكُمْ الْآخِرَةُ » .

ثُمَّ قَالَ أَبُو الدَّرْدَاءِ مِنْ قَبْلِ نَفْسِهِ : أَيُّهَا النَّاسُ ، لَوْ تَعَلَّمُونَ مَا أَعْلَمَ لَخَرَجْتُمْ إِلَى الصُّعْدَاتِ تَبْكُونَ عَلَى أَنْفُسِكُمْ ، وَلَتَرَكْتُمْ أَمْوَالَكُمْ لَا حَارِسَ لَهَا ، وَلَا رَاجِعَ إِلَيْهَا إِلَّا مَا لَا بَدَّ لَكُمْ مِنْهُ ، وَلَكِنْ غَابَ عَنْ قُلُوبِكُمْ ذِكْرُ الْآخِرَةِ ، وَحَضَرَهَا الْأَمَلُ ، فَصَارَتِ الدُّنْيَا أَمْلَكَ بِأَعْمَالِكُمْ ، وَصِرْتُمْ كَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ، فَبَعْضُكُمْ شَرٌّ مِنَ الْبَهَائِمِ الَّتِي لَا تَدَّعِي هَوَاهَا ، مَا لَكُمْ لَا تَحَابُّونَ وَلَا تَنَاصَحُونَ فِي أُمُورِكُمْ ، وَأَنْتُمْ إِخْوَانٌ عَلَى دِينٍ وَاحِدٍ ، مَا فَرَّقَ بَيْنَ أَهْوَائِكُمْ إِلَّا خُبْتُ سَرَائِرِكُمْ ، وَلَوْ اجْتَمَعْتُمْ عَلَى الْبِرِّ لَتَحَابَبْتُمْ ، مَا لَكُمْ لَا تَنَاصَحُونَ فِي أُمُورِكُمْ ، مَا هَذَا إِلَّا مِنْ قِلَّةِ الْإِيمَانِ فِي قُلُوبِكُمْ ، وَلَوْ كُنْتُمْ تَوْقِنُونَ بِأَمْرِ الْآخِرَةِ كَمَا تَوْقِنُونَ بِالدُّنْيَا لَأَثَرْتُمْ طَلِبَ الْآخِرَةِ ، فَإِنْ قَلْتُمْ حُبَّ الْعَاجِلَةِ غَالِبٌ ، فَإِنَّا نَرَاكُمْ تَدَّعُونَ الْعَاجِلَ مِنَ الدُّنْيَا لِلْآجِلِ مِنْهَا ، مَا لَكُمْ تَفَرَّحُونَ بِالْيَسِيرِ مِنَ الدُّنْيَا ، وَتَحْزَنُونَ عَلَى الْيَسِيرِ مِنْهَا يَفُوتَكُمْ ، حَتَّى يَتَبَيَّنَ ذَلِكَ فِي وُجُوهِكُمْ ، وَيُظْهَرَ عَلَى أَلْسِنَتِكُمْ ، وَتَسْمُونَهَا الْمَصَائِبَ ، وَتُقِيمُونَ فِيهَا الْمَآتِمَ ، وَعَامَّتْكُمْ قَدْ تَرَكُوا كَثِيرًا مِنْ دِينِهِمْ ثُمَّ لَا يَتَبَيَّنُ ذَلِكَ فِي وُجُوهِهِمْ ، وَلَا تَتَغَيَّرُ حَالُهُمْ بِهِمْ ، يَلْقَى بَعْضُهُمْ بَعْضًا بِالسَّرَّةِ ، وَيَكْرَهُ كُلُّ مِنْكُمْ أَنْ يَسْتَقْبَلَ صَاحِبَهُ بِمَا يَكْرَهُ مَخَافَةَ أَنْ يَسْتَقْبَلَهُ صَاحِبُهُ بِمِثْلِهِ ، فَاصْطَحَبْتُمْ عَلَى الْغِلِّ ، وَبَنَيْتُمْ مَرَاغِيَكُمْ عَلَى الدَّمَنِ ، وَتَصَافَيْتُمْ عَلَى رَفْضِ الْأَجَلِ ، أَرَاخَنِي اللَّهُ مِنْكُمْ ، وَأَلْحَقَنِي بِمَنْ أَحَبُّ رُؤْيَاهُ .

وَقَالَ حَكِيمٌ لِأَصْحَابِهِ : ارْضُوا بِدَنِيِّ الدُّنْيَا مَعَ سَلَامَةِ الدِّينِ ، كَمَا رَضِيَ أَهْلُ الدُّنْيَا بِدَنِيِّ الدِّينِ مَعَ سَلَامَةِ الدُّنْيَا .

وقيل في معناه :

أَرَى رَجَالًا بِأَذَى الدِّينِ قَدِ قَنِعُوا وَلَا أَرَاهُمْ رَضُوا فِي الْعَيْشِ بِالْذُّونِ
فَاسْتَفَنَ بِالَّذِينَ عَنْ دُنْيَا الْمُلُوكِ كَمَا اسْتَفَنَى الْمُلُوكُ بِدُنْيَاهُمْ عَنْ الدِّينِ
وفي الحديث المرفوع : « لَتَأْتِيَنَّكُمْ بَعْدِي دُنْيَا تَأْكُلُ إِيْمَانَكُمْ كَمَا تَأْكُلُ
النَّارُ الْحَطَبَ » .

وقال الحسن رحمه الله : أدركتُ أقواماً كانت الدنيا عندهم وديعةً فأدَّوها إلى من
اتَّمنهم عليها ، ثم رَكضوا خِفافاً .

وقال أيضاً : من نَافَسَكَ فِي دِينِكَ فَنَافِسْهُ ، وَمَنْ نَافَسَكَ فِي دُنْيَاكَ فَالْقِيْهَا فِي نَحْرِهِ .
وقال الفضيل : طالت فِكْرَتِي فِي هَذِهِ الْآيَةِ : ﴿ إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ زِينَةً
لَّهَا لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ * وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا جُرُزًا ﴿ ^(١) .

ومن كلام بعض الحكماء : لَنْ تَصْبِحَ فِي شَيْءٍ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَقَدْ كَانَ لَهُ أَهْلٌ قَبْلَكَ ،
وَيَكُونُ لَهُ أَهْلٌ مِنْ بَعْدِكَ ، وَلَيْسَ لَكَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا عَشَاءُ لَيْلَةٍ ، وَغَدَاةُ يَوْمٍ ، فَلَا
تُهْلِكُ نَفْسَكَ فِي أَكْلِهِ ، وَصُمْ عَنْ الدُّنْيَا وَأَفِطِرْ عَلَى الْآخِرَةِ ، فَإِنَّ رَأْسَ مَالِ الدُّنْيَا
الْهَوَى ، وَرَبِّحْهَا النَّارَ .

وقيل لبعض الرهبان : كيف تَرَى الدَّهْرَ ؟ قَالَ : يُخْلِقُ الْأَبْدَانَ ، وَيَجِدُّ الْأُمَالَ ،
وَيَقْرُبُ الْمَنِيَّةَ ، وَيَبَاعِدُ الْأُمْنِيَّةَ . قِيلَ : فَمَا حَالُ أَهْلِهِ ؟ قَالَ : مَنْ ظَفِرَ بِهِ تَعَبٌ ، وَمَنْ
فَاتَهُ أَكْتَابٌ .

ومن هذا المعنى قولُ الشاعر :

وَمَنْ يَحْمَدِ الدُّنْيَا لِعَيْشٍ يَسْرُهُ فَسَوْفَ لَعَمْرِي عَنْ قَلِيلٍ يُلُومُهَا

إذا أدبرتْ كانت على المرءِ حَسْرَةً . وإن أقبلتْ كانت كثيراً همومُها
 وقال بعضُ الحكماء : كانت الدُّنيا ولم أكنْ فيها ، وتذهب الدنيا ولا أكون
 فيها ، ولستُ أسكنُ إليها ، فإن عَيْشَها نَكْدٌ ، وصفوها كَدَرٌ ، وأهلها منها على
 وجل ، إِمَّا بنعمةٍ زائلة ، أو بيليةٍ نازلة ، أو مِيتةٍ قاضية . وقال بعضهم : من عَيْبِ الدُّنيا
 أنها لا تُعْطَى أحداً ما يستحقُّ إِمَّا أن تزيد له ، وإمَّا أن تنقصُ .
 وقال سُفيان الثَّورِيُّ : أما تَرَوْنَ النِّعمَ كأنَّها مفضوبٌ عليها ، قد وُضِعَتْ في
 غير أهلها .

وقال يحيى بن مُعَاذٍ : الدنيا حانوتُ الشَّيْطان ، فلا تسرق من حانوته شيئاً ، فإنه
 يَجِيءُ في جِطابِكَ حتَّى يأخذَكَ .

وقال الفُضَيْلُ : لو كانت الدُّنيا من ذَهَبٍ يَفْنَى والآخرةُ من خَزَفٍ يَبْقَى
 لكانَ يَنْبَغِي لَنَا أَنْ نَخْتارَ خَزَفاً يَبْقَى على ذَهَبٍ يَفْنَى ، فكيف وقد اخترنا خَزَفاً يَفْنَى
 على ذَهَبٍ يَبْقَى !

وقال بعضهم : ما أصبح أحدٌ في الدُّنيا إلَّا وهو ضَيْفٌ ، ولا شُبْهَةٌ في أن
 الضيف مُرْتَحِلٌ ، وما أصبح ذو مالٍ فيها إلَّا وماله عاريةٌ عنده ، ولا رَيْبُ أن
 العاريةَ مردودةٌ .

ومثل هذا قول الشاعر :

وما المَالُ والأَهْلُونَ إلَّا ودِيعَةٌ ولا بدَّ يوماً أن تُردَّ الودائعُ ^(١)

وقيل لإبراهيم بن أدهم : كيف أنت ؟ فأنشد :

نُرَقِّعُ دُنْيَانَا بتمزيقِ ديننا فلا ديننا يَبْقَى ولا ما نُرَقِّعُ

وزارَ رابعةَ العَدَوِيَّةِ أَصْحَابُهَا ، فَذَكَرُوا الدُّنْيَا فَأَقْبَلُوا عَلَى ذِمِّهَا ، فَقَالَتْ : اسْكُتُوا
عَنْ ذِكْرِهَا وَكُفُّوا ، فَلَوْلَا مَوْقِعُهَا فِي قُلُوبِكُمْ مَا أَكْثَرْتُمْ مِنْ ذِكْرِهَا ، إِنَّ مِنْ
أَحَبِّ شَيْئًا أَكْثَرَ مِنْ ذِكْرِهِ .

وَقَالَ مُطَرِّفُ بْنُ الشَّخِيرِ : لَا تَنْظُرُوا إِلَى خَفْضِ عَيْشِ الْمُلُوكِ ، وَلَيْنَ رِيَاشِهِمْ ،
وَلَكِنْ انْظُرُوا إِلَى سُرْعَةِ ظُغْنِهِمْ ، وَسُوءِ مَنَقَلَبِهِمْ قَالَ الشَّاعِرُ :

أَرَى طَالِبَ الدُّنْيَا وَإِنْ طَالَ عَمْرُهُ وَنَالَ مِنَ الدُّنْيَا سُرُورًا وَأَنْعَمًا
كَبَانَ بَنَى بُنْيَانَهُ فَأَقَامَهُ فَلَمَّا اسْتَوَى مَاقِدَ بَنَاهُ تَهَدَّمَ
وَقَالَ أَبُو الْعَتَاهِيَةِ :

تَعَالَى اللَّهُ يَا سَلَمُ بْنُ عَمْرِو أَذَلَّ الْحِرْصُ أَعْنَاقَ الرِّجَالِ ^(١)
هَبِ الدُّنْيَا تُسَاقُ إِلَيْكَ عَفْوًا أَلَيْسَ مَصِيرُ ذَاكَ إِلَى الزَّوَالِ !
وَمَا دُنْيَاكَ إِلَّا مِثْلُ فَيْءٍ أَظْلَكَ ثُمَّ آذَنَ بَاتِقُ الْمَلِكِ

وَقَالَ بَعْضُهُمْ : الدُّنْيَا جَيْفَةٌ ، فَمَنْ أَرَادَ مِنْهَا شَيْئًا فَلْيَصْبِرْ عَلَى مُعَاشَرَةِ الْكَلَابِ .
وَقَالَ أَبُو أَمَامَةَ الْبَاهِلِيُّ : لَمَّا بَعَثَ اللَّهُ مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنْتَ إِبْلِيسَ
جَنُودُهُ وَقَالُوا : قَدْ بُعِثَ نَبِيٌّ ، وَجَدَدَتْ مِلَّةَ وَأُمَّةٌ ، فَقَالَ : كَيْفَ حَالُهُمْ ؟ أَيُحِبُّونَ
الدُّنْيَا ؟ قَالُوا : نَعَمْ . قَالَ : إِنْ كَانُوا يُحِبُّونَهَا فَلَا أَبَالِي إِلَّا يَعْْبُدُوا الْأَصْنَامَ ،
فَلِئِمَّا أَغْدُو عَلَيْهِمْ وَأَرْوَحُ بِثَلَاثَ : أَخْذِ الْمَالِ مِنْ غَيْرِ حَقِّهِ ، وَإِنْفَاقِهِ فِي غَيْرِ
حَقِّهِ ، وَإِمْسَاكِهِ عَنْ حَقِّهِ ، وَالشَّرُّ كُلُّهُ لِهَذِهِ الثَّلَاثِ تَبَعَ .

وَكَانَ مَالِكُ بْنُ دِينَارٍ يَقُولُ : اتَّقُوا السَّحَّارَةَ فَإِنَّهَا تَسْحَرُ قُلُوبَ الْعُلَمَاءِ ، يَعْنِي الدُّنْيَا .

وقال أبو سليمان الرازي: إذا كانت الآخرة في القلب جاءت الدنيا فزاحمها ، وإذا كانت الدنيا في القلب لم تزاحمها الآخرة ، لأن الآخرة كريمة ، والدنيا لثيمة .

وقال مالك بن دينار : بقدر ماتحزن للدنيا يخرج هم الآخرة من قلبك ، وبقدر ماتحزن للآخرة يخرج هم الدنيا من قلبك . وهذا مقتبس من قول أمير المؤمنين عليه السلام : الدنيا والآخرة ضرّتان : فبقدر ماترضى إحداها تسخط ^(١) الأخرى .

وقال الشاعر :

يا خاطِبَ الدُّنيا إلى نفسها تَنَحَّ عن خِطْبِهَا تَسَلِّمَ
إِنَّ الَّتِي تَخْطُبُ غَدَاةً قَرِيبَةُ الْعِرْسِ مِنَ الْمَأْتَمِ

وقالوا : لو وصفت الدنيا نفسها لما قالت أحسن من قول أبي نواس فيها :

إذا امتحَنَ الدُّنيا لِيَبَّ تَكشَفَتْ له عن عِدْوٍ في ثِيَابِ صَدِيقٍ ^(٢)

ومن كلام الشافعي يعظُ أخاه : يا أخي ، إِنَّ الدُّنيا دَخَضَ مَزَلَةٌ ^(٣) ، ودارُ مَذَلَّةٍ ؛ عمرانها إلى الخراب سائر ، وساكنها إلى القبور زائر ؛ شملها على الفرقة موقوف ، وغناها إلى الفقر مصروف ، إلا كثارُ فيها إغسار ، والإغسار فيها يسار ؛ فافزع إلى الله ، وأرض برزق الله ، ولا تستسلف من دار بقائك في دار فنائك ، فإن عيشك في زائل ، وجدارُ مائل . أكثر من عملك ، وأقصر من أملاك .

وقال إبراهيم بن أدهم لرجل : أدركهم في المنام أحب إليك أم دينار في اليقظة ؟ فقال : دينار في اليقظة . فقال : كذبت ، إن الذي تحبه في الدنيا فكأنك تحبه في المنام ، والذي تحبه في الآخرة فكأنك تحبه في اليقظة .

وقال بعض الحكماء : من فرح قلبه بشيء من الدنيا فقد أخطأ الحكمة ، ومن

جَعَلَ شَهْوَتَهُ تَحْتَ قَدَمَيْهِ فَرَقَ الشَّيْطَانُ مِنْ ظِلِّهِ ، وَمَنْ غَلَبَ عَلَيْهِ هَوَاهُ فَهُوَ الْغَالِبُ .
وقال بعضهم : الدنيا تُبَغِّضُ إِلَيْنَا نَفْسَهَا وَنَحْنُ نَحْبُهَا ، فَكَيْفَ لَوْ تَحَبَّيْتُ إِلَيْنَا !

وقال بعضهم : الدنيا دارُ خراب ، وأخربُ منها قلبُ من يَعْمُرُها ، والجنة دارُ
عُمران ، وأعمرُ منها قلبُ من يَطْلُبُها .

وقال يحيى بن مُعَاذٍ : القُلَلَاءُ ثَلَاثَةٌ : مَنْ تَرَكَ الدُّنْيَا قَبْلَ أَنْ تَتْرُكَهَ ، وَوَبَّيَ قَبْرَهُ
قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهُ ، وَأَرْضَى خَالِقَهُ قَبْلَ أَنْ يَلْقَاهُ .

وقال بعضهم : مَنْ أَرَادَ أَنْ يَسْتَغْنِيَ عَنِ الدُّنْيَا بِالْدُّنْيَا كَانَ كَمُطْفِئِ
النَّارِ بِالنَّارِ .

ومن كلامِ بعضِ فَصَحَاءِ الزَّهَّادِ : أَيُّهَا النَّاسُ ااعْمَلُوا فِي مَهَلٍ ، وَكُونُوا مِنَ اللَّهِ عَلَى
وَجَلٍ ، وَلَا تَفْتَرُوا بِالْأَمَلِ ، وَنِسْيَانِ الْأَجَلِ ، وَلَا تَرَكُّنُوا إِلَى الدُّنْيَا ؛ فَإِنَّهَا غَدَارَةٌ غَرَارَةٌ
خَدَاعَةٌ قَدْ تَزَخَّرَتْ لَكُمْ بِغُرُورِهَا ، وَفَتَنَتْكُمْ بِأَمَانِيَّهَا ، وَتَزَيَّنَتْ لِحُطَّابِهَا ، فَأَضَحَتْ
كَالْعُرُوسِ الْمُتَجَلِّيةِ ، الْعَيُونُ إِلَيْهَا نَازِرَةٌ ، وَالْقُلُوبُ عَلَيْهَا عَاكِفَةٌ ، وَالنَّفُوسُ لَهَا عَاشِقَةٌ .
فَكَمْ مِنْ عَاشِقٍ لَهَا قَتَلَتْ ، وَمُطْمَئِنٍّ إِلَيْهَا خَذَلَتْ ! فَانظُرُوا إِلَيْهَا بِعَيْنِ الْحَقِيقَةِ ، فَإِنَّهَا
دَارٌ كَثُرَتْ بَوَائِقُهَا ، وَذَمَّهَا خَالِقُهَا ، جَدِيدُهَا يَبْلَى ، وَمُلْكُهَا يَفْنَى ، وَعَزِيزُهَا يَذِلُّ
وَكَثِيرُهَا يَقِلُّ ، وَحَيُّهَا يَمُوتُ ، وَخَيْرُهَا يَفُوتُ ؛ فَاسْتَيْقِظُوا مِنْ غَفْلَتِكُمْ ، وَانْتَبِهُوا مِنْ
رَقَدَتِكُمْ ، قَبْلَ أَنْ يَقَالَ : فَلَانٌ عَلِيلٌ ، وَمَدَنَفٌ ثَقِيلٌ ، فَهَلْ عَلَى الدَّوَاءِ مِنْ دَلِيلٍ ، وَهَلْ
إِلَى الطَّيِّبِ مِنْ سَبِيلٍ ؟ فِدَعَى لَكَ الْأَطْبَاءُ ، وَلَا يُرْجَى لَكَ الشِّفَاءُ ، ثُمَّ يَقَالَ : فَلَانٌ
أَوْصَى ، وَمَالُهُ أَحْصَى ، ثُمَّ يَقَالَ : قَدْ ثَقُلَ لِسَانُهُ فَمَا يَكَلِّمُ إِخْوَانَهُ ، وَلَا يَعْرِفُ جِيرَانَهُ ،
وَعَرِقَ عِنْدَ ذَلِكَ جَبِينُكَ ، وَتَتَابَعُ أُنْيُوكَ ، وَثَبَتَ يَقِينُكَ ، وَطَمَحَتْ جَفُونُكَ ، وَصَدَقَتْ
ظُنُونُكَ ، وَتَلْجَلَجَجَ لِسَانُكَ ، وَبَكَى إِخْوَانُكَ ، وَقِيلَ لَكَ : هَذَا أُنْيُوكَ فَلَانٌ ، وَهَذَا أَخُوكَ

فلان ؛ مُنِعَتْ من الكلام فلا تَنطِقْ ، وَخُتِمَ على لسانك فلا يَنْطَبِقْ ، ثُمَّ حَلَّ بِكَ القضاء ، وَأُنْزِعَتْ رَوْحُكَ من الأعضاء ، ثُمَّ عُرِجَ بها إلى السماء ، فَأَجْتَمَعَ عند ذلك إِخْوَانُكَ ، وَأَحْضِرَتْ أَكْفَانُكَ ، ففَسَّلوكَ وَكَفَّنوكَ ، ثُمَّ حَمَلوكَ فدفَنوكَ ، فانقطع عَوَادُكَ ، وَأُستراح حُسَادُكَ ، وانصَرَفَ أَهْلُكَ إلى مَالِكَ ، وبقيتَ مرثَهاً بأعمالِكَ .

وقال بعضُ الزَّهاد لبعض الملوك : إِنَّ أَحَقَّ الناسِ بِذَمِّ الدنيا وَقِلَافِها مَنْ بُسِطَ له فيها ، وَأُعْطِيَ حاجَتُه منها ، لِأَنَّهُ يَتَوَقَّعُ آفَةً تَفْدُو على ماله فتَجْتَاحُه ، وعلى جَمْعِه فتَفْرُقُه أو تأتي على سُلطانِه فتَهْدِمُه من القواعد ، أو تدبُّ إلى جسمِه فتُسْقِمُه ، أو تَفْجَعُه بشيء هو ضَئِنٌ به من أَحبابِه ، فالدنيا الأَحَقُّ بِالذَّمِّ ، وهى الآخِذَةُ مَاتُعْطَى ، الراجِعةُ فيما تَهَبُ ؛ فبينما هى تُضْحِكُ صاحبَها إِذْ أَضْحَكَتْ مِنْهُ غَيْرَه ، وبينما هى تَبْكِي له إِذْ أَبَكَتْ عَليه وبينما هى تَبْسُطُ كَفَّهُ بالإِعْطاء إِذْ بَسَطَتْ كَفَّها إِليه بِالأُستِرجاع والأُستِرداد ، تَعْقِدُ التَّاجَ على رَأْسِ صاحبِها اليوم وتُغْفِرُه فى التَّرابِ غداً ، سواءَ عليها ذهابُ مَنْ ذهبَ وبقاءُ مَنْ بَقِيَ ، تَجِدُ فى الباقى من الذاهِبِ خَلْفاً ، وتَرْضَى بِكُلِّ مَنْ كَلَّ بِدَلا .

وكتب الحسنُ البَصْرِىُّ إلى عمر بن عبد العزيز : أَمَّا بَعْدُ ، فَإِنَّ الدُّنْيا دارُ ظَنٍّ لَيْسَتْ بِدارِ إِقامَةٍ ، وَإِنَّمَا أَُنْزِلُ إِليها عِقوبَةٌ فاحذَرُها فَإِنَّ الزَّادَ مِنْها رَجَحُها ، والغنى مِنْها فَقْرُها ، لها فى كُلِّ حينٍ قَتِيلٌ ، تُذِلُّ مَنْ أَعَزَّها ، وتُفْقِرُ مَنْ جَمَعها ، هى كالسَّمِّ يَأْكُلُه مَنْ لا يَعرِفُه وهو حَتْفُه ، فَكُنْ فيها كالمُداوِى جراحِه ، يَحْمِي قَلِيلاً مَخافَةَ ما يَكْرَهُه طويلاً ، ويصبر على شِدَّةِ الدَّواءِ ، مَخافَةَ طُولِ البلاءِ ، فاحذَرِ هَذه الدُّنْيا الفَدَّارةَ المَكَّارةَ ، الخِثَّالةَ الخَدَّاعةَ ، التى قد تَزِينَتْ بِخُدَعِها ، وَفَتَنْتْ بِغُرُورِها ، وَتَحَلَّتْ بِأَمالِها ، وَتَشَرَّفَتْ لُخْطابِها ، فَأَصْبَحَتْ بَيْنَهُم كالعروسِ تُجلى على بَعلِها ، العيونُ إِليها ناظِرَةٌ ، والقلوبُ عَلَيْها والهِمةُ ، والنفوسُ لها عاشِقَةٌ ، وهى لأَزْواجِها كُلِّها قاتِلَةٌ ، فلا الباقى بِالماضى مَعْتَبِرٌ ، ولا الآخِرُ بِالأَوَّلِ مَزْدَجِرٌ ، ولا العارفُ باللهِ حينَ أَخْبَرَه عَنْها مَدَّ كَرٍ ، فَمَنْ عاشِقٌ لها قد

خلف منها بحاجته ، فاعتز وطنى ونسى المعاد ، وشغل بها قلبه حتى زلت عنها قدمه ،
فعمُتْ ندامته ، وكثرت حسرته ، واجتمعت عليه سكرات الموت بألمه ، وحسرات
القوت بفصته ، ومن رغب فيها لم يدرك منها ما طلب ، ولم يرح نفسه من التعب ،
خرج منها بغير زاد ، وقدم على غير مهاد ؛ فاحذرْها ثم احذرْها وكن أسراً ما تكون فيها
أحذر ما تكون لها ، فإن صاحبها كلما اطمأن منها إلى سرور أشخصته إلى مكروه ،
والسار منها لأهلها غار ، والنافع منها فى غدٍ صار ، قد وصل الرخاء منها بالبلاء ، وجعل
البقاء فيها للفناء ؛ فسرورها مشوب بالأحزان ، ونعيمها مكدر بالأشجان ، لا يرجع ما ولى
منها وأدبر ، ولا يدري ما هو آت فينتظر ، أمانيتها كاذبة ، وآمالها باطلة ، وصفوها
كدر ، وعيشها نكد ، والإنسان فيها على خطر إن عقل ونظر ، وهو من النعماء على
غرر ، ومن البلاء على حذر ، فلو كان الخالق لها لم يخبر عنها خبراً ، ولم يضرب لها مثلاً ،
لكانت هى نفسها قد أيقظت النائم ، ونبّهت الغافل ، فكيف وقد جاء من الله عنها
زاجر ، وبتصاريدها واعظ ، فما لها عند الله قدر ، ولا نظر إليها منذ خالقها ، ولقد عرّضت
على نبيك محمد صلى الله عليه وسلم بمفاتيحها وخزائنها لا ينقصه ذلك عند الله جناح
بعوضة ، فأبى أن يقبلها ، كره أن يخالف على الله أمره ، أو يحب ما أبغضه خالقه ،
أو يرفع ما وضعه مليكه ، زواها الرب سبحانه عن الصالحين اختباراً ، وبسطها لأعدائه
اغتراراً ، فيظنّ المغرور بها ، المقتدر عليها ، أنه أكرم بها ، وينسى ما صنع الله تعالى
بمحمد صلى الله عليه وسلم من شدة الحجر على بطنه ، وقد جاءت الرواية عنه عن ربه
سبحانه أنه قال لموسى : إذا رأيت الغنى مقبلاً فقل ذنبٌ عجبت عقوبته ، وإذا رأيت
الفقر مقبلاً فقل مرحباً بشعار الصالحين ؛ وإن شئت اقتديت بصاحب الرّوح والكلمة
عيسى ؛ كان يقول : إدامى الجوع ، وشعارى الخوف ، ولباسى الصّوف ، وصلاى
فى الشتاء مشارق الشمس ، وسراجى القمر ، ووسادى الحجر ، ودابتى رجلاى ،

وفاكهي وطعامي ما أنبت الأرض ، أيتُ وليس لي شيء ، وليس على الأرض أحدٌ أغني مني .

وفي بعض الكتب القديمة : إن الله تعالى لما بعث موسى وهارون عليهما السلام إل فرعون قال : لا يروعنكما لباسه الذي لبس من الدنيا ، فإن ناصيته بيدي ليس ينطق ولا يطرّف ولا يتنفس إلا بإذني ، ولا يُعجبكما ما مُتّع به منها ، فإن ذلك زهرة الحياة الدنيا ، وزينة المترفين ، ولو شئت أن أزينكما بزينة من الدنيا يعرف فرعون حين يراها أنّ مقدرته تعجز عمّا وهبما لفعلت ، ولكني أرغب بكما عن ذلك ، وأزوي ذلك عنكما ، وكذلك أفل بأوليائي ، إني لأذودهم عن نعيمها كما يذود الراعي الشفيق غنمه من مراتع الهلكة ، وإني لأجنبهم حُبّ المقام فيها كما يجنب الراعي الشفيق إبله عن مبارك العرّ ، وما ذاك لهوانهم عليّ ، ولكن ليستكملوا نصيبهم من كرامتي سالما موفورا ، إنما يتزين لي أوليائي بالذلّ والخضوع والخوف ، وإن التقوى لتثبت في قلوبهم ، فتظهر على وجوههم ، فهي ثيابهم التي يلبسونها ، ودثارهم الذي يظهرون ، وضميرهم الذي يستشعرون ، ونجائهم التي بها يفورون ، ورجاؤهم الذي إياه يأملون ، ومجدهم الذي به يفتخرون ، وسيّاهم التي بها يُعرفون ، فإذا لقيهم أحدكم فليخفض لهم جناحه ، وليذلّ لهم قلبه ولسانه ، وليعلم أنه من أخاف لي وليّا فقد بارزني بالمحاربة ، ثمّ أنا الناصر به يوم القيامة .

ومن كلام بعض الحكماء : الأيام سهام ، والناس أغراض ، والدهر يرميك كلّ يوم بسهامه ، ويتخرّمك بلياليه وأيامه ؛ حتّى يستغرق جميع أجزاءك ، ويصمى جميع أبعاضك ، فكيف بقاء سلامتك مع وقوع الأيام بك ، وسرعة الليالي في بدنك ! ولو كُشف لك عمّا أحدثت الأيام فيك من النقص لا ستوحشت من كلّ يوم يأتي عليك ، واستنقلت ممرّ الساعات بك ، ولكن تدبير الله تعالى فوق النظر والاعتبار .

وقال بعض الحكماء - وقد استوصف الدنيا وقدر بقائها - : الدنيا وقتك الذي يرجع إليه طرفك ، لأن ما مضى عنك فقد فاتك إدراكه ، وما لم يأت فلا علم لك به ؛ والدهر يومٌ مقبل تنعاه ليلته ، وتطويه ساعاته ، وأحداثه تتوالى على الإنسان ، بالتغيير والنقصان ، والدهر موكلٌ بنشيت الجماعات ، وانخرام الشمل ، وتنقل الدُّول ، والأمل طويل ، والعمر قصير ، وإلى الله تصير الأمور .

وقال بعض الفضلاء : الدنيا سريعة الفناء ، قريبة الانقضاء ، تعد بالبقاء ، وتُخلف في الوفاء ، تنظر إليها فتراها ساكنةً مستقرّةً ، وهي سائرةٌ سيّرا عنيفاً ، ومرتحلةٌ ارتحالا سريعا ، ولكن الناظر إليها قد لا يُحسن بحركتها فيطمئن إليها ، وإنما يحسن بذلك بعد انقضائها ؛ ومثالها الظلُّ ، فإنه متحرّكٌ ساكنٌ ؛ متحرّكٌ في الحقيقة ، وساكنٌ في الظاهر ، لا تدرك حركته بالبصر الظاهر ، بل بالبصيرة الباطنة .

الأصل :

إِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ وَضَعَ الثَّوَابَ عَلَى طَاعَتِهِ ، وَالْعِقَابَ عَلَى مَعْصِيَتِهِ ، زِيَادَةً لِعِبَادِهِ
عَنْ نِقْمَتِهِ ، وَحَيَاشَةً لَهُمْ إِلَى جَنَّتِهِ .

* * *

الشرح :

زيادة ، أى دَفَعَا دُذَّتُهُ عَنْ كَذَا ، أى دَفَعْتُهُ وَرَدَدْتُهُ . وَحَيَاشَةً مُصْدَرُ حُشْتُ الصَّيْدِ
بِضْمِ الْحَاءِ ، أَحْوَشُهُ ، إِذَا جِئْتَهُ مِنْ حَوَالِيهِ لَتَصْرِفَهُ إِلَى الْحَبَالَةِ ، وَكَذَلِكَ أَحْشْتُ الصَّيْدَ
وَأَحْوَشْتُهُ ، وَقَدْ احْتَوَشَ الْقَوْمُ الصَّيْدَ إِذَا نَفَرَهُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ .

وهذا هو مذهب أصحابنا ، إن الله تعالى لما كَلَّفَ الْعِبَادَ التَّكَالِيفَ الشَّاقَّةَ ، وَقَدْ كَانَ
يُمْكِنُهُ أَنْ يَجْعَلَهَا غَيْرَ شَاقَّةٍ عَلَيْهِمْ بِأَنْ يَزِيدَ فِي قَدْرِهِمْ ، وَجِبَ أَنْ يَكُونَ فِي مَقَابَلَةِ تِلْكَ
التَّكَالِيفِ ثَوَابٌ ، لِأَنَّ إِزَامَ الْمَشَاقِّ كَانِزَالُ الْمَشَاقِّ ، فَكَمَا يَتَضَمَّنُ ذَلِكَ عَوْضًا ، وَجِبَ أَنْ
يَتَضَمَّنَ هَذَا ثَوَابًا ، وَلَا بَدَأَنْ يَكُونَ فِي مَقَابَلَةِ فِعْلِ الْقَبِيحِ عِقَابٌ ، وَإِلَّا كَانَ سُبْحَانَهُ مُمْكِنًا
الْإِنْسَانَ مِنَ الْقَبِيحِ ، مَغْرِبًا لَهُ ^(١) بِفَعْلِهِ ، إِذِ الطَّبِيعُ الْبَشَرِيُّ يَهْوَى الْعَاجِلَ ، وَلَا يَحْفَلُ بِالذَّمِّ ،
وَلَا يَكُونُ الْقَبِيحُ قَبِيحًا حِينَئِذٍ فِي الْعَقْلِ ، فَلَا بَدَأَ مِنَ الْعِقَابِ لِيَقَعَ الْإِنْزِجَارُ .

الأصل :

يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ لَا يَبْقَى فِيهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ إِلَّا رَسْمُهُ ، وَمِنَ الْإِسْلَامِ إِلَّا
 اسْمُهُ ، وَمَسَاجِدُهُمْ يَوْمَئِذٍ عَامِرَةٌ مِنَ الْبِنَاءِ ، خَرَابٌ مِنَ الْهُدَى ، سُكَّانُهَا وَعُمَارُهَا
 شَرُّ أَهْلِ الْأَرْضِ ، مِنْهُمْ تَخْرُجُ الْفِتْنَةُ ، وَإِلَيْهِمْ تَأْوِي الْخَطِيئَةُ ، يَرُدُّونَ مَنْ شَذَّ عَنْهَا
 فِيهَا ، وَيَسُوقُونَ مَنْ تَأَخَّرَ عَنْهَا إِلَيْهَا ، يَقُولُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ فَبِي حَلَفْتُ ، لَا بُعْثَنَ عَلَى أَوْلَئِكَ
 فِتْنَةً أَتْرَكُ الْحَلِيمَ فِيهَا حَيْرَانَ ، وَقَدْ فَعَلَ ، وَنَحْنُ نَسْتَقِيلُ اللَّهَ عَثَرَةَ الْعَفْلَةِ .

الشرح :

هذه صفة حالِ أهلِ الضلال والفسق والرياء من هذه الأمة ، ألا تراه يقول : سُكَّانُهَا
 وَعُمَارُهَا ، يعنى سكان المساجد ، وعمار المساجد شرُّ أهل الأرض ؛ لأنهم أهل ضلالة كمن
 يسكن المساجد الآن ممن يعتقد التجسم والتشبيه والصورة والنزول والصدود والأعضاء
 والجوارح ، ومن يقول بالقدر يُضَيِّفُ فعل الكُفْر والجهل والقيبح إلى الله تعالى ،
 فكل هؤلاء أهل فتنة ، يردُّون من خرج منها إليها ، ويسوقون من لم يدخل
 فيها إليها أيضاً .

ثم قال حاكياً عن الله تعالى : إنه حلف بنفسه ليعنن على أولئك فتنةً ، يعنى استتاراً
 وسيفاً حاصداً يترك الحليم أى العاقل اللبيب فيها حيران لا يعلم كيف وجهُ خلاصه .

ثم قال عليه السلام : وقد فعل .

وينبغى أن يكون قد قال هذا الكلام فى أيام خلافته ، لأنها كانت أيام السيف
 المسلط على أهل الضلال من المسلمين ، وكذلك ما بعثه الله تعالى على بنى أمية وأتباعهم من
 سيوف بنى هاشم بعد انتقاله عليه السلام .

الأفضل :

وروى أنه عليه السلام قلما اعتدل به المنبر إلا قال أمام خطبته :
أيها الناس ، اتقوا الله فما خلق أمروا عبثا فيلهو ، ولا ترك سدى فيلغو ،
وما دنياه التي تحسنت له بخلف من الآخرة التي قبحها سوء النظر عنده ،
وما المفرور الذي ظفر من الدنيا بأعلى همته كالأخر الذي ظفر من الآخرة
بأدنى سهمته .

الشرح :

قال تعالى : ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ ﴾ ^(١) .

ومن الكلمات النبوية : إن المرء لم يترك سدى ، ولم يخلق عبثا .

وقال أمير المؤمنين عليه السلام : إن من ظفر من الدنيا بأعلى وأعظم أمنيّة
ليس كآخر ظفر من الآخرة بأدون درجات أهل الثواب ، لا مناسبة ولا قياس
بين نعيم الدنيا والآخرة .

وفي قوله عليه السلام : « التي قبحها سوء المنظر عنده » تصريح بمذهب
أصحابنا أهل العدل رحمهم الله ، وهو أن الإنسان هو الذي أضل نفسه لسوء نظره ،
ولو كان الله تعالى هو الذي أضله لما قال : قبحها سوء النظر عنده .

الأضل :

لَا شَرَفَ أَعْلَى مِنَ الْإِسْلَامِ ، وَلَا عِزَّ أَعَزَّ مِنَ التَّقْوَى ، وَلَا مَقِيلَ أَحْسَنَ مِنَ
الْوَرَعِ ، وَلَا شَفِيعَ أَنْجَحُ مِنَ التَّوْبَةِ ، وَلَا كَنْزَ أَغْنَى مِنَ الْقَنَاعَةِ ، وَلَا مَالَ أَذْهَبَ لِلْفَاقَةِ
مِنَ الرِّضَى بِالنُّوْتِ .

وَمَنْ اقْتَصَرَ عَلَى بُلْغَةِ الْكَفَافِ فَقَدْ انْتَضَمَ الرَّاحَةُ ، وَتَبَوَّأَ خَفْضَ الدَّعَةِ .
وَالدَّعَةِ مِفْتَاحُ النَّصَبِ ، وَمَطْيَةُ التَّعَبِ ، وَالْحِرْصُ وَالْكِبَرُ وَالْحَسَدُ دَوَائِعُ إِلَى
التَّقَحُّمِ فِي الذُّنُوبِ ، وَالشَّرُّ جَامِعٌ لِمَسَاوِي الْعُيُوبِ .

الشرح :

كلّ هذه المعاني قد سبق القول فيها مرارا شتّى ؛ نأتى كلّ مرّة بما لم نأت به فيما
تقدّم ، وإِنَّمَا يَكْرَرُهَا أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِإِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَى الْمَكْلَفِينَ ، كَمَا يَكْرَرُ
اللَّهُ سُبْحَانَهُ فِي الْقُرْآنِ الْمَوْاعِظَ وَالزُّوْجَرَ ، لِذَلِكَ كَانَ أَبُو ذَرٍّ - رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - جَالِسًا بَيْنَ
النَّاسِ فَأَتَتْهُ امْرَأَتُهُ فَقَالَتْ : أَنْتَ جَالِسٌ بَيْنَ هَؤُلَاءِ ، وَلَا وَاللَّهِ مَا عُنْدُنَا فِي الْبَيْتِ هِفَّةٌ
وَلَا سُفَّةٌ^(١) ؛ فَقَالَ : يَا هَذِهِ ، إِنْ بَيْنَ أَيْدِينَا عَقَبَةٌ كَوْثُودًا ، لَا يَنْجُو مِنْهَا إِلَّا كُلُّ مَنْخَفَةٍ .
فَرَجَعَتْ وَهِيَ رَاضِيَةٌ .

(١) نهاية ابن الأثير ٢ : ١٦٧ ، ٤ : ٢٥٠ . الهفة : السحاب لا ماء فيه ؛ والسفة : ما ينسج من
الحوس كالزبيل ؛ أى لا مشروب في بيتك ولا مأكول .

وقيل لبعض الحكماء : ما مالك ؟ قال : التَّجَمُّلُ في الظاهر ، والقَصْدُ في الباطن ،
والغِنَى عَمَّا في أيدي الناس :

وقال أبو سليمان الدَّارانيّ : تنفّس فقيرٍ دُونَ شهوةٍ لا يَقْدِر عليها أَفْضَلُ من عِبَادَةٍ
غَنَى ألف عام .

وقال رجلٌ لبشر بن الحارث : ادعُ لي فقد أضَرَ الفقرُ بِي وبِعِيَالِي ؛ فقال : إذا قال
لك عِيَالُكَ : ليس عندنا دقيق ولا خبز فادعُ لبشر بن الحارث في ذلك الوقت ، فإنّ
دعائك أَفْضَلُ من دعائه .

ومن دعاء بعض الصالحين : اللهم إني أسألك ذُلَّ نفسي ، والزَّهْدَ فيما
جَاوَزَ الكَفَافَ .

الأفضل :

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : لجابر بن عبد الله الأنصاري :

يا جابرُ ، قَوَامُ الدِّينِ والدُّنْيَا بِأَرْبَعَةٍ : عَالِمٌ يَسْتَعْمِلُ عِلْمَهُ ، وَجَاهِلٌ لَا يَسْتَنْكِفُ أَنْ يَتَعَلَّمَ ، وَجَوَادٌ لَا يَبْخُلُ بِمَعْرُوفِهِ ، وَفَقِيرٌ لَا يَبِيعُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ ، فَإِذَا ضَيَّعَ الْعَالِمُ عِلْمَهُ اسْتَنْكَفَ الْجَاهِلُ أَنْ يَتَعَلَّمَ ، وَإِذَا بَخِلَ الْغَنِيُّ بِمَعْرُوفِهِ بَاعَ الْفَقِيرُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ .

يا جابرُ ، مَنْ كَثُرَتْ نِعْمَةُ اللَّهِ عَلَيْهِ ، كَثُرَتْ حَوَائِجُ النَّاسِ إِلَيْهِ ، فَمَنْ قَامَ بِمَا يَجِبُ لِلَّهِ فِيهَا عَرَضَ نِعْمَةِ اللَّهِ لِدَوَامِهَا ، وَمَنْ ضَيَّعَ مَا يَجِبُ لِلَّهِ فِيهَا عَرَضَ نِعْمَتُهُ لِرِزْوَالِهَا .

الشرح :

قد تقدّم القولُ في هذه المعاني . والحاصلُ أنه رَبَطَ اثنتين من أَرْبَعَةٍ إحداهما بالأخرى ، وكذلك جعل في الاثنتين الآخرتين ، فقال : إِنَّ قَوَامَ الدِّينِ والدُّنْيَا بِأَرْبَعَةٍ : عَالِمٌ يَسْتَعْمِلُ عِلْمَهُ ، يَعْنِي يَعْمَلُ وَلَا يَقْتَصِرُ عَلَى أَنْ يَعْلَمَ فَقَطْ وَلَا يَعْمَلُ ، وَجَاهِلٌ لَا يَسْتَنْكِفُ أَنْ يَتَعَلَّمَ ، وَأَضْرُؤُ مَا عَلَى الْجُهْلَاءِ الِاسْتِنْكَافُ مِنَ التَّعَلُّمِ ؛ فَإِنَّهُمْ يَسْتَمِرُّونَ عَلَى الْجُهَالَةِ إِلَى الْمَوْتِ ، وَالثَّالِثُ جَوَادٌ لَا يَبْخُلُ بِالْمَعْرُوفِ ، وَالرَّابِعُ فَقِيرٌ لَا يَبِيعُ آخِرَتَهُ بِدُنْيَاهُ ، أَيْ لَا يَسْرِقُ ، وَلَا يَقْطَعُ الطَّرِيقَ ، أَوْ يَكْتَسِبُ الرِّزْقَ مِنْ حَيْثُ لَا يَجِبُ لِلَّهِ ، كَالْقَهَّارِ ، وَالْمُؤَاخِرِ ، وَالْمُزَاجِرِ ، وَالْمَآصِرِ ، وَنَحْوِهَا .

ثم قال : فالثانية مرتبطة بالأولى إذا لم يستعمل العالم علمه استنكف الجاهل من التعلم ، وذلك لأنّ الجاهل إذا رأى العالم يعصى ويجاهر الله بالفسق زهد في التعلم ؛ وقال : لماذا تعلم العلم إذا كانت ثمرته الفسق والمعصية .

ثم قال : والرابعة مرتبطة بالثالثة ، إذا بخل الغنى بمعروفه ، باع الفقير آخرته بدنياء ، وذلك لأنّه إذا عدم الفقير المواساة مع حاجته إلى القوت دعتّه الضرورة إلى الدخول في الحرام ، والاكتساب من حيث لا يحسن ، وينبغي أن يكون عوض لفظة جواد لفظة غنى ليطابق أوّل الكلام آخره ، إلا أنّ الرواية هكذا وردت ، وجواد لا يبخل بمعروفه ، وفي ضمير اللفظ كون ذلك الجواد غنياً لأنه قد جعل له معروفاً والمعروف لا يكون إلا عن ظهر غنى ؛ وبقى الفصل قد سبق شرح أمثاله .

الأصل :

وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ الطَّبْرِيُّ فِي تَارِيخِهِ ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ أَبِي لَيْلَى الْفَقِيهِ ،
وَكَانَ مِمَّنْ خَرَجَ لِقِتَالِ الْحَجَّاجِ مَعَ ابْنِ الْأَشْعَثِ ، أَنَّهُ قَالَ فِيمَا كَانَ يَحُضُّ بِهِ
النَّاسَ عَلَى الْجِهَادِ : إِنِّي سَمِعْتُ عَلِيًّا رَفَعَ اللَّهُ دَرَجَتَهُ فِي الصَّالِحِينَ ، وَأَثَابَهُ
ثَوَابَ الشُّهَدَاءِ وَالصَّادِقِينَ ، يَقُولُ يَوْمَ لَقِينَا أَهْلَ الشَّامِ :

أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ ، إِنَّهُ مَنْ رَأَى عَدُوَّنَا يُعْمَلُ بِهِ ، وَمُنْكَرًا يُدْعَى إِلَيْهِ ، فَأَنْكَرَهُ
بِقَلْبِهِ فَقَدْ سَلِمَ وَبَرِيَ ، وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِلِسَانِهِ فَقَدْ أُجِرَ ، وَهُوَ أَفْضَلُ مِنْ صَاحِبِهِ ،
وَمَنْ أَنْكَرَهُ بِالسَّيْفِ لَتَكُونَ كَلِمَةُ اللَّهِ هِيَ الْعُلْيَا وَكَلِمَةُ الظَّالِمِينَ هِيَ السُّفْلَى ،
فَذَلِكَ الَّذِي أَصَابَ سَبِيلَ الْهُدَى ، وَقَامَ عَلَى الطَّرِيقِ ، وَنُورَ فِي قَلْبِهِ الْيَقِينُ .

الشرح :

قد تقدّم الكلام في النهي عن المنكر ، وكيفية ترتيبه ، وكلام أمير المؤمنين في
هذا الفصل مطابق^(١) لما يقوله المتكلمون - رحمهم الله .

وقد ذكرنا فيما تقدّم ، وسنذكر فيما بعد من هذا المعنى ما يجب . وكان النهي عن
المنكر معروفا في العرب في جاهليتها ؛ كان في قريش حلف الفضول ، تحالفت قبائل
منها على أن يردعوا الظالم ، وينصروا المظلوم ، ويردّوا عليه حقه ما بلّ بحر صوفة ، وقد
ذكرنا فيما تقدّم .

الأصل :

وقال عليه السلام في كلام له غير هذا يجري هذا المجرى :

فَمِنْهُمْ الْمُنْكَرُ لِلْمُنْكَرِ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ ، فَذَلِكَ الْمُسْتَكْمِلُ لِخِصَالِ الْخَيْرِ ؛
وَمِنْهُمْ الْمُنْكَرُ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَالتَّارِكُ بِيَدِهِ ، فَذَلِكَ مُتَمَسِّكٌ بِخَصَلَتَيْنِ مِنْ خِصَالِ
الْخَيْرِ ، وَمُضَيِّعٌ خَصْلَةً ؛ وَمِنْهُمْ الْمُنْكَرُ بِقَلْبِهِ ، وَالتَّارِكُ بِيَدِهِ وَلِسَانِهِ ، فَذَلِكَ الَّذِي
ضَيَّعَ أَشْرَفَ الْخَصَلَتَيْنِ مِنَ الثَّلَاثِ ، وَتَمَسَّكَ بِوَاحِدَةٍ ؛ وَمِنْهُمْ تَارِكُ لِإِنْكَارِ
الْمُنْكَرِ بِلِسَانِهِ وَقَلْبِهِ وَيَدِهِ ، فَذَلِكَ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ ؛ وَمَا أَعْمَالُ الْبِرِّ كُلُّهَا وَالْجِهَادُ
فِي سَبِيلِ اللَّهِ عِنْدَ الْأَمْرِ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ إِلَّا كَنْفَثَةٌ فِي بَحْرِ لُجِّيٍّ ،
وَإِنَّ الْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ وَالنَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ لَا يُقَرَّبَانِ مِنْ أَجَلٍ ، وَلَا يَنْقُصَانِ
مِنْ رِزْقٍ ، وَأَفْضَلُ مِنْ ذَلِكَ كُلِّهِ كَلِمَةٌ عَدَلٍ عِنْدَ إِمَامٍ جَائِرٍ .

الشَّرْحُ :

قد سبق قولنا في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ، وهو أحد الأصول الخمسة
عند أصحابنا . وَلِجَّةُ الْمَاءِ : أعظمه ، وَبَحْرٌ لُجِّيٌّ : ذو ماء عظيم . وَالتَّفَثَةُ : الفعلة الواحدة ،
مِنْ كَفَثَتْ الْمَاءُ مِنْ فَيٍّ ، أَيْ قَذَفَتْهُ بِقُوَّةٍ .

قال عليه السلام : لا يعتقدنَّ أحدٌ أنه إن أمر ظلماً بمعروف ، أو نهى ظلماً عن منكر ،
أنَّ ذلك يكون سبباً لقتل ذلك الظالم المأمور أو المنهى إياه ، أو يكون سبباً لقطع رزقه
من جهته ، فإنَّ الله تعالى قدَّرَ الأجل ، وقضَى الرِّزْقَ ، ولا سبيلَ لأحد أن يَقْطَعَ على
أحد عمره أو رزقه .

وهذا الكلام ينبغي أن يُحمَل على أنه حثٌّ وحضٌّ وتحريضٌ على النهي عن المنكر والأمر بالمعروف ، ولا يُحمَل على ظاهره ، لأنَّ الإنسان لا يجوز أن يُلقَى بنفسه إلى التهلكة ، معتدّاً على أنَّ الأجل مقدَّر ، وأنَّ الرِّزق مقسوم ، وأنَّ الإنسان متى غلب على ظنّه أنَّ الظالم يقتله ويقم على ذلك المنكر ، ويضيف إليه منكراً آخر لم يجرُ له الإنكار . فأمّا كلمة العدل عند الإمام الجائر فنحو ما رُوِيَ أنَّ زيد بن أرقم رأى عبيد الله بن زياد - ويقال : بل يزيد بن معاوية - يضرب بقضيب في يده ثنائياً الحسين عليه السلام حين حمل إليه رأسه ، فقال له : إيهما ! ارفع يدك ؛ فطالما رأيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله يقبّلهما !

[فصل في الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر]

ونحن نذكر خلاصة ما يقوله أصحابنا في النهي عن المنكر ، ونترك الاستقصاء فيه للكتب الكلامية التي هي أولى ببسط القول فيها من هذا الكتاب .

قال أصحابنا : الكلام في ذلك يقع من وجوه : منها وجوبه ، ومنها طريق وجوبه ، ومنها كيفية وجوبه ، ومنها شروط حسنه ، ومنها شروط وجوبه ، ومنها كيفية إيقاعه ، ومنها الكلام في النّاهي عن المنكر ، ومنها الكلام في التّهي عن المنكر .

أمّا وجوبه ؛ فلا ريب فيه ؛ لأنَّ المنكر قبيح كلّّه ، والقبيح يجب تركه ، فيجب النهي عنه .

وأما طريق وجوبه فقد قال الشيخ أبو هاشم رحمه الله : إنّه لا طريق إلى وجوبه إلا السمع ، وقد أجمع المسلمون على ذلك ، وَوَرَدَ بِهِ نصّ القرآن في غير موضع .

قال الشيخ أبو عليّ - رحمه الله : العقل يدلّ على وجوبه ، وإلى هذا القول مال شيخنا أبو الحسين رحمه الله .

وأما كَيْفِيَّة وجوبه فإنّه واجب على الكفاية دون الأعيان ، لأنّ الغرض ألا يقع المنكر ، فإذا وقع لأجل إنكار طائفة لم يبق وجهٌ لوجوب الإنكار على مَنْ سواها .
وأما شروطُ حُسْنه فوجوه :

منها أن يكون ما ينكره قبيحاً ، لأنّ إنكار الحسَن وتحرّيمه قبيح ، والقيح على ضروب : فمنه ما يقبَح من كلّ مكلف ، وعلى كلّ حال ، كالظلم . ومنه ما يقبَح من كلّ مكلف على وجهٍ دون وجه ، كالرّمى بالسهم ، وتصريف الحمام ، والعلاج بالسّلاح ، لأنّ تعاطى ذلك لمعرفة الحرب والتقوى على العدو ، وتعرّف أحوال البلاد بالحمام حسنٌ لا يجوز إنكاره ، وإن قصد بالاجتماع على ذلك الاجتماع على السّخف واللّهو ومعاشرة ذوى الرّيب والمعاصي فهو قبيحٌ يجب إنكاره .

ومنه ما يقبَح من مكلف ويحسنُ من آخر على بعض الوجوه ، كشرب النّبذ ، والتشاغل بالشّطرنج ، فأما مَنْ يرى حَظَرهما ، أو يختار تقليد مَنْ يُفتى بحَظَرهما فحرامٌ عليه تعاطيهما على كلّ حال ، ومتى فعلهما حسنُ الإنكار عليه ، وأما مَنْ يرى إباحتهما أو مَنْ يختار تقليد مَنْ يُفتى بإباحتهما ، فإنّه يجوز له تعاطيهما على وجهٍ دون وجه ؛ وذلك أنّه يحسنُ شرب النّبذ من غير سُكر ولا مُعاقرة والاشتغال بالشّطرنج للفرجة وتخريج الرأى والعقل ، ويقبَح ذلك إذا قصد به السخف ، وقصد بالشرب المُعاقرة والسُّكر ، فالثاني يحسن إنكاره ويجب ، والأوّل لا يحسنُ إنكاره لأنّه حسنٌ مِنْ فاعله .

ومنّها أن يعلم المنكر أنّ ما يُنكره قبيح ، لأنّه إذا جوز حسنه كان بإنكاره له وتحرّيمه إيّاه محرّماً لما لا يأمن أن يكون حسناً ، فلا يأمن أن يكون ما فعله من النّهي

نَهْيًا عَنْ حَسَنٍ ، وَكُلُّ فَعْلٍ لَا يَأْمَنُ فَاعِلُهُ أَنْ يَكُونَ مُخْتَصًا بِوَجْهِ قَبِيحٍ فَهُوَ قَبِيحٌ ، أَلَا تَرَى
أَنَّهُ يَقْبَحُ مِنَ الْإِنْسَانِ أَنْ يُخْبَرَ عَلَى الْقَطْعِ بِأَنْ زِيدَ فِي الدَّارِ إِذَا لَمْ يَأْمَنُ إِلَّا يَكُونَ فِيهَا ؛
لأنه لَا يَأْمَنُ أَنْ يَكُونَ خَبْرُهُ كَذِبًا !

وَمِنْهَا أَنْ يَكُونَ مَا يَنْهَى عَنْهُ وَاقِعًا ، لِأَنَّ غَيْرَ الْوَاقِعِ لَا يَحْسُنُ النَّهْيُ عَنْهُ ، وَإِنَّمَا
يَحْسُنُ الذَّمُّ عَلَيْهِ ، وَالنَّهْيُ عَنْ أَمْثَالِهِ .

وَمِنْهَا أَلَّا يَغْلِبَ عَلَى ظَنِّ الْمُنْكَرِ أَنَّهُ إِنْ أَنْكَرَ الْمُنْكَرَ ، فَعَلَهُ الْمُنْكَرُ عَلَيْهِ ، وَضُمَّ
إِلَيْهِ مُنْكَرًا آخَرَ ، وَلَوْ لَمْ يَنْكَرْ عَلَيْهِ لَمْ يَفْعَلِ الْمُنْكَرَ الْآخَرَ ، فَهَتَّى غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ ذَلِكَ قَبَحٌ
إِنْكَارُهُ ، لِأَنَّهُ يَصِيرُ مَفْسَدَةً ، نَحْوُ أَنْ يَغْلِبَ عَلَى ظَنِّنَا أَنَّا إِنْ أَنْكَرْنَا عَلَى شَارِبِ الْخَمْرِ
شُرْبَهَا شَرِبَهَا وَقَرْنَ إِلَى شَرِبَهَا الْقَتْلَ ، وَإِنْ لَمْ نَنْكَرْ عَلَيْهِ شَرِبَهَا لَمْ يَقْتُلْ أَحَدًا .

وَمِنْهَا أَلَّا يَغْلِبَ عَلَى ظَنِّ النَّاهِي عَنِ الْمُنْكَرِ أَنْ نَهْيِهِ لَا يُوَثِّرُ ، فَإِنْ غَلَبَ عَلَى ظَنِّهِ
ذَلِكَ قَبَحٌ نَهْيِهِ عِنْدَ مَنْ يَقُولُ مِنْ أَصْحَابِنَا إِنَّ التَّكْلِيفَ مِنَ الْمَعْلُومِ مِنْهُ أَنَّهُ يَكْفُرُ لَا يَحْسُنُ ،
إِلَّا أَنْ يَكُونَ فِيهِ لُطْفٌ لَغَيْرِ ذَلِكَ الْمَكْلُوفِ . وَأَمَّا مَنْ يَقُولُ مِنْ أَصْحَابِنَا إِنَّ التَّكْلِيفَ
مِنَ الْمَعْلُومِ مِنْهُ أَنَّهُ يَكْفُرُ حَسَنٌ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ لُطْفٌ لَغَيْرِ الْمَكْلُوفِ ، فَإِنَّهُ لَا يَصِحُّ مِنْهُ
الْقَوْلُ بِقَبْحِ هَذَا الْإِنْكَارِ .

فَأَمَّا شُرَاطُ وَجُوبِ النَّهْيِ عَنِ الْمُنْكَرِ فَأُمُورٌ :

مِنْهَا أَنْ يَغْلِبَ عَلَى الظَّنِّ وَقُوعُ الْمَعْصِيَةِ نَحْوُ أَنْ يَضِيقَ وَقْتُ صَلَاةِ الظُّهْرِ ، وَيَرَى الْإِنْسَانَ
لَا يَتَهَيَّأُ لِلصَّلَاةِ ، أَوْ يَرَاهُ تَهَيَّأً لَشَرْبِ الْخَمْرِ بِإِعْدَادِ آلَتِهِ ، وَمَتَى لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ حَسُنَ
مَنْ أَنْ نَدْعُوهُ إِلَى الصَّلَاةِ ، وَأَنْ لَمْ يَجِبْ عَلَيْنَا دَعَاؤُهُ .

وَمِنْهَا أَلَّا يَغْلِبَ عَلَى ظَنِّ النَّاهِي عَنِ الْمُنْكَرِ أَنَّهُ إِنْ أَنْكَرَ الْمُنْكَرَ لِحَقَّتْهُ فِي نَفْسِهِ
وَأَعْضَائِهِ مَضَرَّةٌ عَظِيمَةٌ ، فَإِنْ غَلَبَ ذَلِكَ عَلَى ظَنِّهِ وَأَنَّهُ لَا يَمْتَنِعُ مِنْ يَنْكَرُ عَلَيْهِ مِنْ فَعْلٍ

ما يُنْكِرُهُ عليه أيضا ، فإنه لا يجب عليه الإنكار ، بل ولا يحسن منه لأنه مفسدة ، وإن غلب على ظنه أنه لا يفعل ما أنكره عليه ولكنه يضرّ به ؛ نُظِرَ فَإِنْ كَانَ إِضْرَارُهُ بِهِ أَكْثَرَ قُبْحًا مِمَّا يَتْرَكُهُ إِذَا أَنْكَرَ عَلَيْهِ ، فإنه لا يحسن الإنكار عليه ، لأن الإنكار عليه قد صار والحالة هذه مفسدة ؛ نحو أن يُنْكِرَ الْإِنْسَانُ عَلَى غَيْرِهِ شُرْبَ الْخَمْرِ ، فَيَتْرَكَ شَرِبَهَا وَيَقْتُلُهُ . وإن كان ما يتركه إذا أنكر عليه أعظم قبحا مما ينزل به من المضرة ، نحو أن يَهْمَّ بِالْكَفْرِ ، فَإِذَا أَنْكَرَ عَلَيْهِ تَرَكَهُ وَجَرَحَ الْمُنْكَرَ عَلَيْهِ أَوْ قَتَلَهُ فَإِنَّهُ لَا يَجِبُ عَلَيْهِ الْإِنْكَارُ ، ويحسن منه الإنكار ؛ أما قولنا : لا يجب عليه الإنكار ؛ فَلَأَنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَبَاحَ الْتَكْلِمَ بِكَلِمَةِ الْكُفْرِ عِنْدَ الْإِكْرَاهِ ، فَبِأَنُ يَبِيحُنَا تَرْكُ غَيْرِنَا أَنْ يَتَلَفَّظَ بِذَلِكَ عِنْدَ الْخَوْفِ عَلَى النَّفْسِ أَوَّلَى ؛ وَأَمَّا قَوْلُنَا : إنه يحسن الإنكار ، فَلَأَنَّ فِي الْإِنْكَارِ مَعَ الظَّنِّ لَمَّا يَنْزِلُ بِالنَّفْسِ مِنَ الْمَضَرَّةِ إِعْزَازًا لِلدِّينِ ، كما أنَّ فِي الْامْتِنَاعِ مِنْ إِظْهَارِ كَلِمَةِ الْكُفْرِ مَعَ الصَّبْرِ عَلَى قَتْلِ النَّفْسِ إِعْزَازًا لِلدِّينِ ، لا فَضْلَ بَيْنَهُمَا .

فأما كيفية إنكار المنكر فهو أن يبتدئ بالسهل ، فإن نفع وإلا ترقى إلى الصعب ؛ لأن الغرض ألا يقع المنكر ، فإذا أمكن ألا يقع بالسهل فلا معنى لتكلف الصعب ، ولأنه تعالى أمر بالإصلاح قبل القتال في قوله : ﴿ فَأَصْلَحُوا بَيْنَهُمَا فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلُوا الَّتِي تَبْغِي ﴾ ^(١) .

فأما الناهي عن المنكر مَنْ هو؟ فهو كلّ مسلم تمكّن منه واختصّ بشرائطه ، لأنّ الله تعالى ، قال : ﴿ وَلَتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ ﴾ ^(٢) ، وإجماع المسلمين على أن كلّ مَنْ شاهد غيره تاركا للصلاة غير محافظ عاينها فله أن يأمره بها ، بل يجب عليه ، إلا أن الإمام وخلفاءه أوّلَى بالإنكار بالقتال ، لأنّه أعرف بسياسة الحرب وأشدّ استعدادا لآلاتها .

فَأَمَّا الْمُنْهَى مَنْ هُوَ؟ فَهُوَ كُلُّ مُكَلَّفٍ اخْتَصَّ بِمَا ذَكَرْنَاهُ مِنَ الشَّرْطِ، وَغَيْرِ الْمَكَلَّفِ إِذَا هُمْ بِالْإِضْرَارِ لغيرِهِ يَمْنَعُ مِنْهُ، وَيَمْنَعُ الصَّبِيَّانِ وَيَنْهَوْنَ عَنْ شُرْبِ الْخَمْرِ حَتَّى لَا يَتَعَوَّدُوهُ، كَمَا يُؤَاخِذُونَ بِالصَّلَاةِ حَتَّى يَمْرِنُوا عَلَيْهَا، وَهَذَا مَا ذَكَرَهُ أَصْحَابُنَا.

فَأَمَّا قَوْلُهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَمِنْهُمْ الْمُنْكَرُ بِإِسَانِهِ وَقَلْبِهِ، وَالتَّارِكُ بِيَدِهِ، فَذَلِكَ مَتَمَسِّكٌ بِخَصَائِطٍ مِنْ خِصَالِ الْخَيْرِ، وَمُضَيِّعٌ خَصْلَةً»، فَإِنَّهُ يَعْنِي بِهِ مَنْ يَعْجِزُ عَنِ الْإِنْكَارِ بِالْيَدِ لِمَنْعٍ، لِأَنَّهُ لَمْ يُخْرِجْ هَذَا الْكَلَامَ مَخْرَجَ الذَّمِّ، وَلَوْ كَانَ لَمْ يَعْنِ الْعَاجِزَ لَوَجِبَ أَنْ يُخْرِجَ الْكَلَامَ مَخْرَجَ الذَّمِّ، لِأَنَّهُ لَيْسَ بِمَعْذُورٍ فِي أَنْ يُنْكَرَ بِقَلْبِهِ وَإِسَانِهِ إِذَا أَهْلَ بِالْإِنْكَارِ بِالْيَدِ مَعَ الْقُدْرَةِ عَلَى ذَلِكَ، وَارْتِفَاعِ الْمَوَانِعِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «ضَيِّعَ أَشْرَفَ الْخَصْلَتَيْنِ» فَالْأَمُّ زَائِدَةٌ، وَأَصْلُهُ «ضَيِّعَ أَشْرَفَ خَصْلَتَيْنِ مِنَ الثَّلَاثِ»، لِأَنَّهُ لَا وَجْهَ لَتَعْرِيفِ الْمَعْنُودِ هَاهُنَا فِي الْخَصْلَتَيْنِ، بَلْ تَعْرِيفِ الثَّلَاثِ بِالْأَمِّ أَوَّلَى؛ وَيَجُوزُ حَذْفُهَا مِنَ الثَّلَاثِ، وَلَكِنْ إِثْبَاتُهَا أَحْسَنُ، كَمَا تَقُولُ: قَتَلْتُ أَشْرَفَ رَجُلَيْنِ مِنَ الرِّجَالِ الثَّلَاثَةِ.

وَأَمَّا قَوْلُهُ: «فَذَلِكَ مَيِّتُ الْأَحْيَاءِ»، فَهُوَ نِهَايَةُ مَا يَكُونُ مِنَ الذَّمِّ. وَأَعْلَمُ أَنَّ النَّهْيَ عَنِ الْمُنْكَرِ، وَالْأَمْرَ بِالْمَعْرُوفِ عِنْدَ أَصْحَابِنَا أَصْلٌ عَظِيمٌ مِنْ أَصُولِ الدِّينِ، وَإِلَيْهِ تَذَهَبُ الْخَوَارِجُ الَّذِينَ خَرَجُوا عَلَى السَّلْطَانِ، مَتَمَسِّكِينَ بِالدِّينِ وَشِعَارِ الْإِسْلَامِ، مُجْتَهِدِينَ فِي الْعِبَادَةِ، لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا خَرَجُوا لِمَا غَلَبَ عَلَى ظَنُونِهِمْ، أَوْ عَلِمُوا جَوْرَ الْوَلَاةِ وَظُلْمَهُمْ، وَأَنَّ أَحْكَامَ الشَّرِيعَةِ قَدْ غُيِّرَتْ، وَحُكْمٌ بِمَا لَمْ يَحْكُمُ بِهِ اللَّهُ، وَعَلَى هَذَا الْأَصْلِ تَبَنَّى الْإِسْمَاعِيلِيَّةُ مِنَ الشَّيْعَةِ قَتْلَ وَلَاةِ الْجَوْرِ غِيلَةَ، وَعَلَيْهِ بِنَاءُ أَصْحَابِ الزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا الْإِنْكَارَ عَلَى الْأَمْرَاءِ وَالْخُلَفَاءِ، وَمُوَاجَهَتَهُمْ بِالْكَلَامِ الْغَلِيظِ لَمَّا عَجَزُوا عَنِ الْإِنْكَارِ بِالْيَدِ؛ وَبِالْجُمْلَةِ فَهُوَ أَصْلٌ شَرِيفٌ أَشْرَفُ مِنْ جَمِيعِ أَبْوَابِ الْبِرِّ وَالْعِبَادَةِ، كَمَا قَالَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ.

الأصل

وروى أبو جُحَيْفَةَ قال : سَمِعْتُ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَقُولُ :

إِنَّ أَوَّلَ مَا تُغْلَبُونَ عَلَيْهِ مِنَ الْجِهَادِ ، الْجِهَادُ بِأَيْدِيكُمْ ، ثُمَّ بِالْسِنَتِكُمْ ، ثُمَّ بِقُلُوبِكُمْ ، فَمَنْ لَمْ يَعْرِفْ بِقَلْبِهِ مَعْرُوفًا وَلَمْ يُنْكِرْ مُنْكَرًا ، قُلِبَ فَجُعِلَ أَعْلَاهُ أَسْفَلَهُ ، وَأَسْفَلَهُ أَعْلَاهُ .

* * *

الشرح :

إنَّما قال ذلك لأنَّ الإنكار بالقلب آخِرُ المراتب ؛ وهو الذي لا بدَّ منه على كلِّ حال ، فأما الإنكار باللسان وباليد فقد يكون منهما بُدٌّ ، وعنهما عُذْر ، فمن تَرَكَ النهيَ عن المنكر بقلبه ، والأمرَ بالمعروف بقلبه ، فقد سَخِطَ اللهُ عليه لعصيانه ، فصار كالمسوخ الذي يجعل الله تعالى أعلاه أسفله ، وأسفله أعلاه تشويهاً لخالفته ، ومن يقول بالأنفس الجسمانيَّة ، وإنَّها بعد المفارقة يصعد بعضها إلى العالم العلويِّ ، وهي نفوس الأبرار ، وبعضها ينزل إلى المركز ، وهي نفوس الأشرار ، يتأوَّل هذا الكلام على مذهبه ، فيقول : إنَّ مَنْ لا يعرف بقلبه معروفاً ، أى لا يعرف من نفسه باعثاً عليه ولا متقاضياً بفعله ، ولا يُنْكِر بقلبه منكراً ، أى لا يأنف منه ولا يستقبحه ، ويمتنع من فعله يقلب نفسه التي قد كان سبيلها أن تصعد إلى عالمها فتجعل هاويةً في حضيض الأرض ، وذلك عندهم هو العذاب والعقاب .

الأضد :

إِنَّ الْحَقَّ ثَقِيلٌ مَرِيٌّ ، وَإِنَّ الْبَاطِلَ خَفِيفٌ وَبِيٌّ .

الشَّنَح :

تقول : مَرُوْءُ الطَّعَامِ بِالضَّمِّ ، يَمَرُوْءُ مَرَاءَةً فَهُوَ مَرِيٌّ عَلَى « فَعِيل » مثل خفيف وثقيل ، وقد جاء مَرِيُّ الطَّعَامِ بِالْكَسْرِ ، كما قالوا فِقَهُ الرَّجُلُ وَفَقُهُ . وَوَبِيُّ الْبَلَدِ بِالْكَسْرِ يَوْبَاءُ وَبَاءَةٌ فَهُوَ وَبِيٌّ عَلَى « فَعِيل » مثل حَذِرٌ وَأَشِرٌ .

يقول عليه السلام : الحق وإن كان ثقيلا إلا أن عاقبته محمودة ، ومغيبته صالحة ، والباطل وإن كان خفيفا إلا أن عاقبته مذمومة ، ومغيبته غير صالحة ، فلا يحمان أحدكم حلاوة عاجل الباطل على فعله ، فلا خير في لذة قليلة عاجلة ، يتعقبها مضارٌ عظيمةٌ آجلة ، ولا يصرفن أحدكم عن الحق ثقله فإنه سيحمد عقبى ذلك ، كما يحمد شارب الدواء المرّ شرّبه فيما بعد إذا وجد لذة العافية .

الأفضل :

لَا تَأْمَنَنَّ عَلَى خَيْرِ هَذِهِ الْأُمَّةِ عَذَابَ اللَّهِ ، لِقَوْلِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى : ﴿ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ ^(١) وَلَا تَيَأَسَنَّ لِشَرِّ هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ تَعَالَى ، ﴿ إِنَّهُ لَا يَيَأَسُ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ ﴾ ^(٢) .

الشَّرْحُ :

هذا كلامٌ ينبغى أن يُحمَل على أنه أراد عليه السلام النهي عن القطع على مغيب أحدٍ من الناس ، وأنه لا يجوز لأحد أن يقول : فلان قد نجا ، ووجبت له الجنة ، ولا فلان قد هلك ووجبت له النار ، وهذا القول حق ، لأن الأعمال الصالحة لا يُحكم لصاحبها بالجنة إلا بسلامة العاقبة ، وكذلك الأعمال السيئة لا يُحكم لصاحبها بالنار إلا إن مات عليها ؛ فأمّا الاحتجاج بالآية الأولى فلقابل أن يقول : إنها لا تدلّ على ما أفقّى عليه السلام به ، وذلك لأن معناها أنه لا يجوز للعاصي أن يأمن مكر الله على نفسه ، وهو مقيمٌ على عصيانه ، ألا ترى أن أولها : ﴿ أَفَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا بَيَاتًا وَهُمْ نَائِمُونَ * أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُجًى وَهُمْ يُلْعَبُونَ * أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ ^(٣) ، وليست دالة على ما نحن

فيه ، لأنّ الذي نحن فيه : هل يجوز لأحدٍ أن يأمن على الصّالحين من هذه الأُمَّة عذابَ الله .

فأمّا الآية الثانية فالاحتجاج بها جيّد لا شُبْهة فيه ، لأنّه يجوز أن يتوب العاصي والتّوبة من رَوْح الله .

فإن قلتَ : وكذاك يجوز أن يكفّر المسلم الطّيع .

قلت : صدقتَ ، ولكنّ كفره ليس من مكرِ الله ، فدَلّ على أنّ المراد بالآية أنّه لا ينبغي للعاصي أن يأمن من عقوبة الله مادام عاصياً ، وهذا غيرُ مسألَتنا .

الأصل :

الْبُخْلُ جَامِعٌ لِمَسَاوِي الْعُيُوبِ ، وَهُوَ زِمَامٌ يُقَادُّ بِهِ إِلَى كُلِّ سُوءٍ .

الشَّح :

قد تقدّم القول في البخل والشَّح . ونحن نذكر هاهنا زيادات أخرى .

[أقوال مأثورة في الجود والبخل]

قال بعض الحكماء : السَّخَاءُ هَيْئَةٌ لِلْإِنْسَانِ ، دَاعِيَةٌ إِلَى بَذْلِ الْمُقْتَنِيَّاتِ ، حَصَلَ مَعَهُ الْبَذْلُ لَهَا أَوْ لَمْ يَحْصُلْ ، وَذَلِكَ خُلُقٌ ، وَيُقَابِلُهُ الشَّحُّ ؛ وَأَمَّا الْجُودُ ، فَهُوَ بَذْلُ الْمُقْتَنَى ؛ وَيُقَابِلُهُ الْبُخْلُ ؛ هَذَا هُوَ الْأَصْلُ ، وَإِنْ كَانَ كُلٌّ وَاحِدًا مِنْهُمَا قَدْ يُسْتَعْمَلُ فِي مَوْضِعِ الْآخَرِ ، وَالَّذِي يَدُلُّ عَلَى صِحَّةِ هَذَا الْفَرْقِ أَنَّهُمْ جَعَلُوا اسْمَ الْفَاعِلِ مِنَ السَّخَاءِ وَالشَّحِّ عَلَى بِنَاءِ الْأَفْعَالِ الْغَرِيزِيَّةِ ، فَقَالُوا : شَحِيحٌ وَسَخِيٌّ ، فَبَنَوْهُ عَلَى « فَعِيل » كَمَا قَالُوا : حَلِيمٌ وَسَمِيهِ وَعَفِيفٌ ، وَقَالُوا : جَائِدٌ وَبَاحِلٌ ، فَبَنَوْهُمَا عَلَى « فَاعِل » كَضَارِبٍ وَقَاتِلٍ ؛ فَأَمَّا قَوْلُهُمْ : بِخِيلٌ ، فَمَصْرُوفٌ عَنْ لَفْظِ « فَاعِل » لِلْمُبَالَغَةِ ، كَقَوْلِهِمْ فِي رَاحِمٍ رَحِيمٌ ، وَيدُلُّ أَيْضًا عَلَى أَنَّ السَّخَاءَ غَرِيزَةٌ وَخُلُقٌ أَنَّهُمْ لَمْ يَصِفُوا الْبَارِيَّ سُبْحَانَهُ ، بِهِ فَيَقُولُوا سَخِيٌّ ، فَأَمَّا الشَّحُّ فَقَدْ عَظُمَ أَمْرُهُ وَخَوْفُ مِنْهُ ، وَلِهَذَا قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « ثَلَاثٌ مُهْلِكَاتٌ : شَحٌّ مُطَاعٌ ، وَهُوَى مُتَّبَعٌ ، وَإِعْجَابُ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ » ، نَحْصُ الْمَطَاعِ تَنْبِيهَا عَلَى أَنَّ وَجُودَ الشَّحِّ

فى النفس فقط لفس ممآ يستحق به ذمّ لآنه لفس من فعله ، وإتمآ يذم بالانقياد له ؛ قال سبحانه : ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ ﴾ ^(١) ، وقال : ﴿ وَأُخْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ ﴾ ^(٢) .

وقال عليه السلام : لا يجتمع شح وإيمان فى قلب أبدا .

فأمآ الجود فإنّه محمود على جميع السنة العالم ، ولهذا قيل : كفى بالجود مدحا أن اسمه مطلقا لا يقع إلا فى حمد ، وكفى بالبخل ذمّا أن اسمه مطلقا لا يقع فى ذم .

وقيل الحكيم : أى أفعال البشر أشبه بأفعال البارى سبحانه ؟ فقال : الجود .

وقال النبى صلى الله عليه وآله : « الجود شجرة من أشجار الجنة ، من أخذ بفصن من أغصانها أداه إلى الجنة ، والبخل شجرة من أشجار النار من أخذ بفصن من أغصانها أداه إلى النار » .

ومن شرف الجود أن الله سبحانه قرّن ذكره بالإيمان ، ووصف أهله بالفلاح ، والفلاح اسم جامع لسعادة الدارين ؛ قال سبحانه : ﴿ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ ﴾ إلى قوله : ﴿ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ^(٣) . وقال : ﴿ وَمَنْ يُوقِ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ ^(٤) .

وحقّ للجود بأن يُقرّن بالإيمان ، فلا شيء أخصّ به وأشدّ مجانسة له منه ، فإن من صفة المؤمن انشراح الصدر ، كما قال تعالى : ﴿ فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يُمْشِكْ يَمْشِكْ يَمْشِكْ ﴾ ^(٥) ، وهذا للإسلام ومن يُريد أن يُضله يجعل صدره ضيقا حرجا كما تما يصعد فى السماء ؛ وهذا من صفات الجواد والبخل ، لأنّ الجواد واسع الصدر ، منشرح مستبشر ، للإفناق والبذل ، والبخل قنوط ضيق الصدر ، حرج القلب مُمسك .

وقال النبى صلى الله عليه وآله : « وأىّ داء أدوأ من البخل » .

والبخل على ثلاثة أضرب : بخل الإنسان بماله على نفسه ، وبخله بماله على غيره ، وبخله

(٢) سورة النساء ١٢٨

(٤) سورة الحشر ٩

(١) سورة التباين ١٦

(٣) سورة البقرة ٣ - ٥

(٥) سورة الأنعام ١٢٥

بمالٍ بيّره على نفسه أو على غيره وأخفّسها بخُله بمالٍ غيره على نفسه ، وأهونّها وإن كان لا هيّنَ فيها ، بخُله بماله على غيره .

وقال عليه السلام : « اللَّهُ اجْعَلْ لِمَنْفَقِ خَلْفًا ؛ وَلِمَسِيكِ تَلْفًا » .

وقال : « إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يُنْزِلُ الْمَعُونَةَ عَلَى قَدْرِ الْمُؤْنَةِ » .

وقال أيضا : « مَنْ وَسَّعَ وَسَّعَ عَلَيْهِ » .

وقالت الفلاسفة : الجود على أقسام : فمنها الجودُ الأعظم ، وهو الجود الإلهي ، وهو الفيضُ العامُّ المطلق ، وإنما يختلف باختلاف الموادِّ واستعداداتها ، وإلا فالفيض في نفسه عامٌّ غيرُ خاصٍّ ، وبعده جودُ الملوك ، وهو الجودُ بجزءٍ من المالِ على من تدعوهم الدّواعي والأغراض إلى الجود عليه ، ويتلوه جودُ السّوقة ، وهو بذلُ المالِ للعفاة أو التّدامي والشّرب والمعاشرين والإحسان إلى الأقارب .

قالوا : واسم الجودِ مجازٌ إلا الجود^(١) الإلهي العامُّ ؛ فإنه عارٍ عن الغرض والدّاعي . وأما من يُعطى لغرضٍ وداعٍ نحو أن يحبّ الثناء والحمدة ، فإنه مستعيبٌ وتاجرٌ يُعطى شيئا ليأخذَ شيئا ، قالوا قولَ أبي نواس .

فَتَيَّ يَشْتَرِي حُسْنَ الثَّنَاءِ بِمَالِهِ وَيَعْلَمُ أَنَّ الدَّائِرَاتِ تَدُورُ
ليس بغاية في الوصف بالجود التّامّ ، بل هو وصف بتجارة محدودة ، وأحسن منه قولُ ابن الرّومي :

وتاجر البرِّ لا يزالُ له ربحان في كلِّ متجر تجرّه

أجرٌ وحمدٌ وإنما طلب الأجر ولو لکن کلاهما اعتوره

وأحسن منهما قولُ بشار :

ليس يُعطيك للرجاء ولا الخوفِ ولكن يَأْذُ طَعْمَ الْعَطَاءِ^(٢)

ونحن قد ذكرنا ما في هذا الموضع من البَحْثِ العقلي في كُتُبنا العقليّة .

الأفضل :

يَا بَنَ آدَمَ ، الرِّزْقُ رِزْقَانِ : رِزْقٌ تَطْلُبُهُ ، وَرِزْقٌ يَطْلُبُكَ ، فَإِنْ لَمْ تَأْتِهِ أَتَاكَ ،
فَلَا تَحْمِلْ هَمَّ سَنِكَ عَلَى هَمِّ يَوْمِكَ ؛ كَفَاكَ كُلُّ يَوْمٍ مَا فِيهِ ، فَإِنْ تَكُنِ السَّنَةُ مِنْ
عُمْرِكَ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى سَيُؤْتِيكَ فِي كُلِّ غَدٍ جَدِيدٍ مَا قُسِمَ لَكَ ، وَإِنْ لَمْ تَكُنِ السَّنَةُ
مِنْ عُمْرِكَ ، فَمَا تَصْنَعُ بِهِمْ فِيمَا لَيْسَ لَكَ ، وَلَمْ يَسْبِقْكَ إِلَى رِزْقِكَ طَالِبٌ ، وَلَنْ يَغْلِبَكَ
عَلَيْهِ غَالِبٌ ، وَلَنْ يُبْطِئَ عَنْكَ مَا قَدْ قُدِّرَ لَكَ .

قَالَ : وَقَدْ مَضَى هَذَا الْكَلَامُ فِيمَا تَقَدَّمَ مِنْ هَذَا الْبَابِ ، إِلَّا أَنَّهُ هَاهُنَا
أَوْضَحُ وَأَشْرَحُ ، فَلِذَلِكَ كَرَّرْنَاهُ عَلَى الْقَاعِدَةِ الْمَقْرُورَةِ فِي أَوَّلِ هَذَا الْكِتَابِ .

الشَّرْحُ :

قَدْ تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي مَعَانِي هَذَا الْفَصْلِ ؛ وَرُوي أَنَّ جَمَاعَةً دَخَلُوا عَلَى الْجُنَيْدِ ،
فَاسْتَأْذَنُوهُ فِي طَلَبِ الرِّزْقِ ، فَقَالَ : إِنْ عَلِمْتُمْ أَيَّ مَوْضِعٍ هُوَ فَاطْلُبُوهُ ، قَالُوا : فَتَسْأَلُ
اللَّهُ تَعَالَى ذَلِكَ ؛ قَالَ : إِنْ عَلِمْتُمْ أَنَّهُ يَنْسَاكُمْ فَذَكِّرُوهُ ، قَالُوا : فَتَدْخُلُ الْبَيْتَ وَتَتَوَكَّلُ
وَنَنْتَظِرُ مَا يَكُونُ ؛ فَقَالَ : التَّوَكَّلْ عَلَى التَّجَرِبَةِ شَكٍّ ، قَالُوا : فَمَا الْحِيلَةُ ؟ قَالَ :
تَرْكُ الْحِيلَةِ .

وَرُوي أَنَّ رَجُلًا لَازِمَ بَابِ عُمَرَ فَضَجَّرَ مِنْهُ ، فَقَالَ لَهُ : يَا هَذَا ، هَاجَرْتَ إِلَى اللَّهِ
تَعَالَى أَمْ إِلَى بَابِ عُمَرَ ! اذْهَبْ فَتَعَلَّمِ الْقُرْآنَ ؛ فَإِنَّهُ سَيَغْنِيكَ عَنْ بَابِ عُمَرَ ، فَذَهَبَ الرَّجُلُ

وخاب مدّة حتى افتقده عمرُ ، فإذا هو معتزل مشغول بالعبادة ، فأتاه عمرُ فقال له : إني اشتقت إليك ، فما الذي شغلك عنا ! قال : إني قرأتُ القرآن فأغنانى عن عمر و آل عمر ، فقال : رحمك الله ! فما وجدتَ فيه ؟ قال : وجدتُ فيه : ﴿ وَفِي السَّمَاءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ ﴾^(١) ؛ فقلت : رزقى في السماء ، وأنا أطلبه في الأرض ، إني لبئس الرّجل ، فبكى عمرُ وقال : صدقت ، وكان بعد ذلك ينتابه ويجلسُ إليه .

الأصل :

رُبَّ مُسْتَقْبِلٍ يَوْمًا لَيْسَ بِمُسْتَذْبِرِهِ ، وَمَغْبُوطٍ فِي أَوَّلِ لَيْلَةٍ قَامَتْ بِوَاكِهٍ
فِي آخِرِهِ ^(١) .

الشَّيْخُ :

مثلُ هذا قولُ الشاعر :

يَارَاقِدَ اللَّيْلِ مَسْرُورًا بِأَوَّلِهِ إِنَّ الْحَوَادِثَ قَدْ يَطْرُقُنَّ أُسْحَارًا
وَمِثْلُهُ :

لَا يَفْرُغُ نَفْسُكَ عِشَاءً سَاكِنٌ قَدْ يُوفَى بِالْمَنِيِّاتِ السَّحَرُ

(١) في د « ومغبوط في أول ليل قامت بواكيه في آخره » .

الأفضل :

الكلامُ في وثاقِكَ ما لمَ تَتَكَلَّمْ بِهِ ، فإذا تَكَلَّمْتَ به صِرْتَ في وثاقِهِ ؛
فاخزُنْ لِسَانَكَ كما تَحْزُنُ ذَهَبَكَ وَوَرَقَكَ ؛ فَرُبَّ كَلِمَةٍ سَلَبَتْ نِعْمَةً .

البَّخُ :

قد تقدم القولُ في مدح الصَّمْتِ وذمِّ الكلامِ الكثيرِ .

وكان يقال : لا خير في الحياة إلا لَصَمُوتٍ وَاِيعٍ ، أو ناطقٍ مُحْسِنٍ .

وقيل للحذيفة : قد أطلتَ سجنَ لِسَانِكَ ! فقال : لأنه غيرُ مأمونٍ [إذا أُطْلِقَ] ^(١) .
ومن أمثال العرب : رُبَّ كَلِمَةٍ تَقُولُ : دَعْنِي .

وقالوا : أصْلُهَا أَنَّ بعضَ ملوكِ الحيرة كان قد استرابَ ببعضِ خَوَلِهِ ، فنزلَ يوماً وهو
يتصيدُ على تَلْعَةٍ ، ونزلَ أصحابُهُ حوله فأفاضوا في حديثٍ كثيرٍ ، فقال ذلكُ الإنسانُ :
أترى لو أَنَّ رجلاً ذُبِجَ على رأسِ هذه التَّلْعَةِ هل كان يسيلُ دُمُهُ إلى أوَّلِ الغائطِ ؟ فقال
الملكُ : هَلُمُّوا فَادْبَحُوهُ لِنَنْظُرَ ، فذَبَحُوهُ ، فقال الملكُ : رَبَّ كَلِمَةٍ تَقُولُ : دَعْنِي .

وقال أكرمُ بنُ صَيْفِيٍّ : من إكرامِ الرَّجُلِ نَفْسُهُ أَلَّا يَتَكَلَّمَ بِكُلِّ ما يعلمُ .

وتذاكر قومٌ من العربِ وفيهم رجلٌ باهليٌّ ساكتٌ ، فقيلَ له : بِحَقِّ ما سُمِّيتَ
خُرْسَ العَرَبِ ^(٢) ، فقال : أما علمتم أَنَّ لسانَ المرءِ لغيرهِ ، وسمعه لنفسِهِ !

(١) من ١ ، د .

(٢) كذا في ١ ، وبهذا في ب : فقالوا له : لم لا تتكلم ؟ فقال : أما علمتم

الأُسْلُ:

لَا تَقُلْ مَا لَا تَعْلَمُ؛ بَلْ لَا تَقُلْ كُلَّ مَا تَعْلَمُ، فَإِنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ قَدْ فَرَضَ عَلَى جَوَارِحِكَ كُلِّهَا فَرَائِضَ يَحْتَاجُ بِهَا عَلَيْكَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

الشُّنْجُ:

هَذَا نَهَىٌ عَنِ الْكَذِبِ، وَأَنْ تَقُولَ مَا لَا تَأْمَنُ مِنْ كَوْنِهِ كَذِبًا، فَإِنَّ الْأَمْرَيْنِ كِلَيْهِمَا قَبِيحَانِ عَقْلًا عِنْدَ أَصْحَابِنَا .

فَإِنْ قُلْتَ كَيْفَ يَقُولُ أَصْحَابُكُمْ: إِنَّ الْخَبَرَ الَّذِي لَا يَأْمَنُ كَوْنُهُ كَذِبًا قَبِيحٌ، وَالنَّاسُ يَسْتَحْسِنُونَ الْأَخْبَارَ عَنِ الْمُظَنُّونِ^(١) .

قُلْتُ: إِذَا قَالَ الْإِنْسَانُ: زَيْدٌ فِي الدَّارِ وَهُوَ يَظُنُّهُ فِي الدَّارِ وَلَا يَقْطَعُ عَلَيْهِ، فَإِنَّ الْحَسَنَ مِنْهُ أَنْ يُخْبَرَ عَنْ ظَنِّهِ كَأَنْ يَقُولَ: أَخْبِرْ عَنْ أَتَى أَظُنُّ أَنَّ زَيْدًا فِي الدَّارِ، وَإِذَا كَانَ هَذَا هُوَ تَقْدِيرُهُ فَالْخَبَرُ إِذَنْ خَيْرٌ عَنْ مَعْلُومٍ لَا عَنْ مَظْنُونٍ، لِأَنَّهُ قَاطِعٌ عَلَى أَنَّهُ ظَانَ أَنَّ زَيْدًا فِي الدَّارِ .

فَأَمَّا إِذَا فَرَضَ الْخَبَرَ لَا عَلَى هَذَا الْوَجْهِ بَلْ عَلَى الْقَطْعِ بِأَنْ زَيْدًا فِي الدَّارِ وَهُوَ لَا يَقْطَعُ عَلَى أَنَّ زَيْدًا فِي الدَّارِ، فَقَدْ أَخْبَرَ بِخَيْرٍ لَيْسَ عَلَى مَا أَخْبَرَ بِهِ عَنْهُ، لِأَنَّهُ أَخْبَرَ عَنْ أَنَّهُ قَاطِعٌ، وَلَيْسَ بِقَاطِعٍ، فَكَانَ قَبِيحًا .

(١) كَذَا فِي أ، ب وَفِي د: « الْمُظَنُّونَاتِ » .

الأضل :

احذَرُ أَنْ يَرَاكَ اللَّهُ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ ؛ وَيَفْقِدَكَ عِنْدَ طَاعَتِهِ ، فَتَكُونَ مِنَ الْخَاسِرِينَ ؛ وَإِذَا قَوَّيْتَ فَأَقْوَى عَلَى طَاعَةِ اللَّهِ ، وَإِذَا ضَعُفْتَ فَاضْعُفْ عَنْ مَعْصِيَةِ اللَّهِ .

الشنخ :

مَنْ عِلْمُ يَقِينَا أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَرَاهُ عِنْدَ مَعْصِيَتِهِ ، كَانَ أَجْدَرَ النَّاسِ أَنْ يَحْتَنِبَهَا ؛ كَمَا إِذَا عَلِمْنَا يَقِينَا أَنَّ الْمَلِكَ يَرَى الْوَاحِدَ مِنَّا وَهُوَ يَرَاوِدُ جَارِيَتَهُ عَنْ نَفْسِهَا ، أَوْ يَحَادِثُ وَلَدَهُ لِيَفْجُرَ بِهِ ، وَلَكِنَّ الْيَقِينَ فِي الْبَشَرِ ضَعِيفٌ جِدًّا ، أَوْ أَنَّهُمْ أَحَقُّ الْحَيَوَانَ وَأَجْهَلُهُ ، وَبِحَقِّ أَقُولُ : إِنَّهُمْ إِنْ اعْتَقَدُوا ذَلِكَ اعْتِقَادًا لَا يَخَالِطُهُ الشَّكُّ ، ثُمَّ وَاقَعُوا الْمَعْصِيَةَ ، وَعِنْدَهُمْ عَقِيدَةٌ أُخْرَى نَابِتَةٌ أَنَّ الْعِقَابَ لَاحِقٌ بِمَنْ عَصَى ، فَإِنَّ الْإِبِلَ وَالْبَقَرَ أَقْرَبُ إِلَى الرَّشَادِ مِنْهُمْ .

وَأَقُولُ : إِنَّ الَّذِي جَرَّ النَّاسَ عَلَى الْمَعْصِيَةِ الطَّمَعُ فِي الْمَغْفَرَةِ ، وَالْعَفْوِ الْعَامِّ . وَقَوْلُهُمْ : الْحِلْمُ وَالْكَرَمُ وَالصَّفْحُ مِنْ أَخْلَاقِ ذَوِي النَّبَاهَةِ وَالْفَضْلُ مِنَ النَّاسِ ، فَكَيْفَ لَا يَكُونُ مِنَ الْبَارِي سُبْحَانَهُ عَفْوٌ عَنِ الذُّنُوبِ !

وَمَا أَحْسَنَ قَوْلَ شَيْخِنَا أَبِي عَلِيٍّ رَحِمَهُ اللَّهُ : لَوْلَا الْقَوْلُ بِالْإِزْجَاءِ ، لَمَا عُصِيَ اللَّهُ فِي الْأَرْضِ .

(٣٩٠)

الأفضل

الرُّكُونُ إِلَى الدُّنْيَا مَعَ مَتَاعَيْنِ مِنْهَا جَهْلٌ ، وَالتَّقْصِيرُ فِي حُسْنِ الْعَمَلِ
إِذَا وَثِقْتَ بِالثَّوَابِ عَلَيْهِ غَبْنٌ ، وَالطَّمَأْنِينَةُ إِلَى كُلِّ أَحَدٍ قَبْلَ الْاِخْتِبَارِ
لَهُ عَجْزٌ .

البنرخ :

قد تقدم الكلام في الدنيا وُحْمَق من يَرَكُن إليها مع معاينة غدرها ، وقلة وفائها
ونقضها عهودها ، وقتلها عشاقها .

ولا ريب أن الغبن وأعظم الغبن هو التقصير في الطاعة مع يقين الثواب عليها ،
وأما الطمأنينة إلى مَنْ لم يعرف ولم يختبر فإنها عجز - كما قال عليه السلام - يعنى عجزاً
في العقل والرأى ، فإن الوثوق مع التجربة فيه مافيه ، فكيف قبل التجربة !
وقال الشاعر :

وكنْتُ أرى أَنَّ التجاربَ عُدَّةٌ فخانَتْ ثقاتُ النَّاسِ حينَ التجاربِ

الأضل :

مِنْ هَوَانِ الدُّنْيَا عَلَى اللَّهِ أَنَّهُ لَا يُعْصَى إِلَّا فِيهَا ، وَلَا يُنَالُ مَا عِنْدَهُ إِلَّا بِتَزَكِيَّهَا .

البُزْخ :

هذا الكلام نسبته الغزالي في كتاب ” إحياء علوم الدين “، إلى أبي الدرداء ، والصحيح أنه من كلام علي عليه السلام ، ذكره شيخنا أبو عثمان الجاحظ في غير موضع من كتبه ، وهو أعرف بكلام الرجال .

[نبذ مما قيل في حال الدنيا وهوانها واغترار الناس بها]

وقد تقدّم من كلامنا في حال الدنيا وهوانها على الله واغترار الناس بها وغدرها بهم^(١)، وذمّ العقلاء لها ، وتحذيرهم منها ما فيه كفاية . ونحن نذكر هاهنا زيادةً على ذلك .

يقال : إن في بعض كتب الله القديمة : الدنيا غنيمة الأكياس ، وغفلة الجاهل ، لم يعرفوها حتى خرجوا منها ، فسألوا الرجعة فلم يرجعوا . وقال بعض العارفين : من سأل الله [تعالى]^(٢) الدنيا فإنما سأل طول الوقوف بين يديه .

وقال الحسن : لا تخرج نفسك ابن آدم من الدنيا إلا بحسرات ثلاث : أنه لم يشبع مما جمع ، ولم يدرك ما أمل ، ولم يحسن الزاد لما يقدم^(١) عليه .

ومن كلامه : أهينوا الدنيا ، فوالله ما هي لأحدٍ بأهنا منها لمن أهانها .

وقال محمد بن المنكدر^(٢) : أرأيت لو أن رجلا صام الدهر لا يفطر ، وقام الليل لا يفتر ، وتصدق بماله ، وجاهد في سبيل الله ، واجتنب محارم الله تعالى ، غير أنه يؤتى به يوم القيامة فيقال : إن هذا مع ما قد عمل كان يعظم في عينه ما صغر الله ، ويصغر في عينه ما عظم الله ، كيف ترى يكون حاله ! فمن منا ليس هكذا ؛ الدنيا عظيمة عنده مع ما أقتربنا من الذنوب والخطايا .

وقد ضربت الحكماء مثلا للدنيا نحن نذكره هاهنا ، قالوا : مثل الدنيا وأهلها كقوم ركبوا سفينة فاتهت بهم إلى جزيرة ، فأمرهم الملاح بالخروج لقضاء الحاجة وحذرهم المقام ، وخوفهم مرور السفينة ؛ واستعجالها ، فنفرتوا في نواحي الجزيرة ، فقضى بعضهم حاجته وبادر إلى السفينة ؛ فصادف المكان خاليا ، فأخذ أوسع المواضع وألتيها وأوقفها لمراده . وبعضهم توقف في الجزيرة ينظر إلى أزهارها وأنوارها العجيبة ، وغياضها الملتفة ، ونفحات طيورها الطيبة ، وألحانها الموزونة الغريبة ، ولحظ في تزيينها أحجارها وجواهرها ومعادنها المختلفة الألوان ذوات الأشكال الحسنة المنظر ، العجيبة النقش ، السالبة أعين الناظرين بحسن زبرجها ، وعجائب صورها ، ثم تنبه لخطر فوات السفينة ، فرجع إليها فلم يصادف إلا مكانا ضيقا حرجا ، فاستقر فيه . وبعضهم أكب فيها على تلك الأصداف والأحجار ، وقد أعجبه حسنُها ، ولم تسمح نفسه بإهاها وتركها ، فأستصحب منها جملة ، فجاء إلى السفينة فلم يجد إلا مكانا ضيقا ، وزاده ما حمله ضيقا ، وصار ثقلا عليه وبالا ، فندم على أخذه ، ولم تطفه نفسه على رميه ، ولم يجد موضعا له ، فحمله على عنقه

(٢) كذا في ١ ، وهو الصواب ، وفي ب ، د : « المنذر » .

(١) ١ : « قدم عليه » .

ورأسه ، وجلس في المكان الضيق في السفينة ؛ وهو متأسف على أخذه ونادم ، وليس ينفعه ذلك . وبعضهم توجّ ب تلك الأنوار والغياض ، ونسى السفينة وأبعد في متفرّجه ومتنزّهه ، حتّى إنّ نداء الملاح لم يبلغه لأشتغاله بأكل تلك الثمار ، واشتامي تلك الأنوار ، والتفرّج بين تلك الأشجار ، وهو مع ذلك خائف على نفسه من السباع ، والسقطات والنكبات ، ونهش الحيات ، وليس ينفك عن شوك يشبّث بتيابه ، وغصن يجرّح جسمه ، ومروّة تدبّ رجلاه ، وصوت هائل يفزع منه ، وعوسج يملأ طريقه ، ويمتنعه عن الانصراف لو أراد ، وكان في جماعة ممن كان معه في السفينة حالهم حاله ، فلمّا بلغهم نداء السفينة راح بعضهم مثقلا بما معه فلم يجد في السفينة موصلا واسعا ولا ضيقا ، فبقى على الشطّ حتّى مات جوعا . وبعضهم بلفه النداء فلم يُرّج عليه ، واستغرقته اللذّة ، وسارت السفينة ؛ فمنهم من أفرسته السباع ، ومنهم من تاه وهام على وجهه حتّى هلك ، ومنهم من ارتطم في الأوحال ، ومنهم من نهشته الحيات ، ففترقوا هلكى كالجيف المنتنة . فأمّا من وصل إلى السفينة مثقلا بما أخذه من الأزهار والفاكهة اللذيذة ، والأحجار المعجبة ، فإنها استرقتة وشغله الحزن بحفظها والخوف من ذهابها عن جميع أموره ؛ وضاق عليه بطريقها مكانه ، فلم تلبث أن ذبلت تلك الأزهار ، وفستت تلك الفاكهة الغضة ، وكمدت ألوان الأحجار وحالت ، فظهر له تنن رانحتها ، فصارت مع كونها مضيقا عليه مؤذية له بنتنها وبحستها ، فلم يجد حيلة إلا أن ألقتها في البحر هربا منها وقد أثر في مزاجه ما أكله منها ، فلم ينته إلى بلده إلا بعد أن ظهرت عليه الأسقام بما أكل وما شتم من تلك الروائح ، فبلغ سقيا وقيدا مدبرا ، وأمّا من كان رجوع عن قريب ومافاته إلا سعة المحلّ ؛ فإنه تأذى بضيق المكان مدّة ، ولكن لما وصل إلى الوطن أسترّاح ، وأمّا من رجع أولا فإنه وجد المكان الأوسع ، ووصل إلى الوطن سالما طيب القلب مسرورا .

فهذا مثال أهل الدنيا في اشتغالهم بمحظوظهم العاجلة ، ونسيانهم موردَهم ومصدرهم ، وغفلتهم عن عاقبة أمرهم ، وما أقبح حال من يزعم أنه بصير عاقل وتفرّج حجارة الأرض ، وهى الذهب والفضة ، وهشيم النبت وهو زينة الدنيا ، وهو يعلم يقينا أن شيئاً من ذلك لا يصحبه عند الموت ، بل يصير كُله وبألاً عاياه ، وهو فى الحال الحاضرة شاغلٌ له بالخوف عليه ، والحزن والهم لحفظه ، وهذه حال الخلق كلّهم إلا من عصمه الله .

وقد ضرب أيضاً لها مثال آخر فى عبور الإنسان عليها ؛ قالوا : الأحوال ثلاثة : حالٌ لم يكن الإنسان فيها شيئاً ، وهى ما قبل وجوده إلى الأزل ، وحالٌ لا يكون فيها موجوداً مُشاهداً للدنيا ، وهى بعد موته إلى الأبد ، وحالة متوسطة بين الأزل والأبد ، وهى أيام حياته فى الدنيا ، فلينظر العاقل إلى الطّرفين الطويلين ، ولينظر إلى الحالة المتوسطة ، هل يجد لها نسبةً إليها^(١) ، وإذا رأى العاقل الدنيا بهذه العين لم يرَ كن إليها ، ولم يُبالِ كيف تقصّت أيامه فيها ؛ فى ضرّ وضيق ، أو فى سعةٍ ورفاة ، بل لا يبنى لبنَةً على لبنَةٍ ؛ توفى رسولُ الله صلى الله عليه وآله وما وَضَعَ لبنَةً على لبنَةٍ ، لا قصبة على قصبة . ورأى بعض الصحابة بنى بيتاً من جِصّ فقال : أرى الأمرَ أعجل من هذا ، وأنكر ذلك ، ولهذا قال النبى صلى الله عليه وآله : مالى والدنيا ؛ إنما مثلى ومثلها كراكب سار فى يوم صائف ، فرُفِعَتْ له شجرةٌ فقام تحت ظلّها ساعةً ثم راح وتركها ؛ وإلى هذا أشار عيسى بنُ مريم حيث قال : الدنيا قنطرة ، فأعبروها ولا تعمروها ، وهو مثلٌ صحيح ، فإنّ الحياة الدنيا قنطرةٌ إلى الآخرة ، والمهد هو أحد جانبي القنطرة ، واللحد الجانب الآخر ، وبينهما مسافة محدودة ، فمن الناس من قطع نصف القنطرة ، ومنهم من قطع ثلثيها ، ومنهم من لم يبق له إلا خطوة واحدة وهو غافل عنها ؛ وكيفما كان فلا بدّ من العبور والأتقاء ، ولا ريب أن عمارة هذه القنطرة ، وتزينها بأصناف الزينة لمن

(١) كذا فى ١ ، وفى ب ، د : « إليها » .

هو محمول قسراً وقهراً على عبورها ، يسوقه سائقٌ عنيف ، غاية الجهل والخذلان .
وفي الحديث المرفوعُ : إنَّ رسول الله صَلَّى الله عليه وآله مرَّ على شاةٍ مَيْتَةٍ ، فقال :
أَتَرُونَ أَنَّ هَذِهِ الشَّاةَ هَيِّنَةٌ عَلَى أَهْلِهَا : قالوا : نعم ، وَمِنْ هَوَانِهَا أَلْقَوْهَا ، فقال : والذي
نفسى بيده لَلدُّنْيَا أَهْوَنَ عَلَى اللَّهِ مِنْ هَذِهِ الشَّاةِ عَلَى أَهْلِهَا ، ولو كانت الدُّنْيَا تعدل عند
الله جَنَاحَ بَعُوضَةٍ لَمَا سَقَى كَافِرًا مِنْهَا شَرْبَةَ مَاءٍ .

وقال صلى الله عليه وآله : « الدُّنْيَا سِجْنُ الْمُؤْمِنِ ، وَجَنَّةُ الْكَافِرِ » .
وقال أيضا : « الدُّنْيَا مَلْعُونَةٌ ، مَلْعُونٌ مَا فِيهَا ، إِلَّا مَا كَانَ لِلَّهِ مِنْهَا » .
وقال أيضا : « مَنْ أَحَبَّ دُنْيَاهُ أَضُرَّ بِآخِرَتِهِ ، وَمَنْ أَحَبَّ آخِرَتَهُ أَضُرَّ بِدُنْيَاهُ ،
فَاثَرُوا مَا يَبْقَى عَلَى مَا يَفْنَى » .

وقال أيضا : « حُبُّ الدُّنْيَا رَأْسُ كُلِّ خَطِيئَةٍ » :
وروى زيدُ بْنُ أَرْقَمٍ قال : كنَّا مع أَبِي بَكْرٍ ، فدعا بِشَرَابٍ ، فَأَتَانِي بِمَاءٍ وَعَسَلٍ ،
فلما أَدْنَاهُ مِنْ فِيهِ بَكَى حَتَّى أَبْكَى أَصْحَابَهُ ، فسكتوا وما سَكَتَ ، ثُمَّ عَادَ لِيَشْرَبَ ، فَبَكَى
حَتَّى ظَنُّوا أَنَّهُمْ لَا يَقْدِرُونَ عَلَى مَسْأَلَتِهِ ، ثُمَّ مَسَحَ عَيْنَيْهِ ، فقالوا : يَا خَلِيفَةَ رَسُولِ اللَّهِ ،
مَا أَبْكَاكُ ؟ قال : كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَرَأَيْتُهُ يَدْفَعُ بِيَدِهِ عَنِ نَفْسِهِ
شَيْئًا ، وَلَمْ أَرْ مَعَهُ أَحَدًا ، فقالت : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا الَّذِي تَدْفَعُ عَنِ نَفْسِكَ ؟ قال : هَذِهِ
الدُّنْيَا مُثِّلَتْ لِي ، فَقُلْتُ لَهَا : إِلَيْكَ عَنِي ، فَرَجَعْتُ وَقَالَتْ : إِنَّكَ إِنْ أَفْلَتَ مِنِّي لَمْ يَفْلِتْ
مَنِّي مَنْ بَعْدَكَ . وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « يَا عَجَبًا كُلَّ الْعَجَبِ لِلْمَصْدُوقِ بَدَارُ الْخُلُودِ
وَهُوَ يَسْعَى لِدَارِ الْغُرُورِ ! » .

ومن الكلام المأثور عن عيسى عليه السلام : لَا تَتَّخِذُوا الدُّنْيَا رِبًّا فَتَتَّخِذَ الدُّنْيَا
عَبِيدًا ؛ فَاكْنُزُوا كَنْزَكُمْ عِنْدَ مَنْ لَا يَضِيعُهُ ؛ فَإِنْ صَاحَبَ كَنْزُ الدُّنْيَا يَخَافُ عَلَيْهِ
الْآفَةُ ، وَصَاحِبُ كَنْزِ الْآخِرَةِ لَا يَخَافُ عَلَيْهِ .

الأصل :

مَنْ أَبْطَأَ بِهِ عَمَلُهُ ، لَمْ يُسْرِعْ بِهِ نَسَبُهُ .
وفي روايةٍ أُخرى : مَنْ فَاتَهُ حَسَبُ نَفْسِهِ ، لَمْ يَنْفَعَهُ حَسَبُ آبَائِهِ .

الْبُخْرُ :

قد تقدّم مثلُ هذا ، وقد ذكرنا ما عندنا فيه ، وقال الشاعر :

لئن نَحَرْتَ بِآبَاءِ ذَوِي حَسَبٍ لقد صدقتَ ولكنْ بئسَ ما وَلَدُوا

وكان يقال : أَجْهَلُ النَّاسِ مَنْ افْتَخَرَ بِالْعِظَامِ الْبَالِيَةِ ، وَتَبَجَّحَ بِالْقُرُونِ الْمَاضِيَةِ ، وَاتَّكَلَى عَلَى الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ .

وكان يقال : مَنْ طَرِيفَ الْأُمُورِ حَتَّى يَتَّكِلَ عَلَى مَيِّتٍ . وكان يقال : ضَعَةُ الدُّنْيَا فِي نَفْسِهِ وَالرَّفِيعُ فِي أَصْلِهِ ، أَقْبَحُ مِنْ ضَعَةِ الْوَضِيعِ فِي نَفْسِهِ وَأَصْلِهِ ؛ لِأَنَّ هَذَا تَشَبَّهُ بِآبَائِهِ وَسَافِهِ ، وَذَاكَ قَصَرَ عَنْ أَصْلِهِ وَسَلَفِهِ ، فَهُوَ إِلَى الْمَلَامَةِ أَقْرَبُ ، وَعَنِ الْعِذْرِ أَبْعَدُ .

افتخر شريفٌ بأبيه ، فقال خصمه : لو وفقتَ ، لما ذكرتَ أباك ، لأنه حجةٌ عليك تُنادى بنقصك ، وتقرّ بتخلّلك .

كان جعفر بنُ يحيى يقول : ليس من الكِرَامِ مَنْ افْتَخَرَ بِالْعِظَامِ .
وقال الفضل بنُ الرّبيع : كفى بالمرءِ عاراً أَنْ يَفْتَخِرَ بغيره .

وقال الرشيد : من افتخر بآبائه فقد نادى على نفسه بالعجز ، وأقرّ على
فهمته بالدناءة .

وقال ابن الرومي :

وما الحسبُ الموروثُ لا درّ درّه بمحتسب إلا بآخر مُكتسب
إذا العود لم يُثمر وإن كان شعبةً من الثمرات اعتدّه الناس في الحطب

وقال عبد الله بن جعفر :

لسنا وإن أحسابنا كرمتم يوما على الآباء تتكل
تبني كما كانت أوائلنا تبني ، ونفعل مثل ما فعلوا

وقال آخر :

وما نفخرى بمجدٍ قام غيرى إليه إذا رقدت الليل عنه
إلى حسب الفتى في نفسه أنظر ولا تنظر هُديت إلى ابن من هو

وقال آخر :

إذا نفرت بآبائي وأجدادي فقد حكمت على نفسي لأضدادي
هل نافعى إن سعى جدّي لمكرمة ونمت عن أختها في جانب الوادي !

وقال آخر :

أيقنني كوني بمن كوني ابنه أبالي أن أرضى لفخرى بمجده
إذا المرء لم يحو العلاء بنفسه فليس يحاو للعلاء بمجده
وهل يقطع السيف الحسام بأصله إذا هو لم يقطع بصارم حدّه !

وقيل لرجل يدلّ بشرف آبائه : لعمري لك أول ، ولكن ليس لأوّلك آخر .

ومثله ، أن شريفاً بآبائه فاخر شريفاً بنفسه ، فقال الشريف بنفسه : انتهى إليك شرف
أهلك ، ومنى ابتداء شرف أهلي ، وشتان بين الابتداء والانتها !

وقيل لشريف ناقص الأدب : إن شرفك بأبيك لغيرك ، وشرفك
بنفسك لك ، فافرق بين ما لك وما لغيرك ، ولا تفرح بشرف النسب ، فإنه
دون شرف الأدب .

(٣٩٣)

الأصل :

مَنْ طَلَبَ شَيْئًا نَالَهُ أَوْ بَعْضُهُ .

الشرح :

هذا مثل قولهم : مَنْ طَلَبَ وَجَدَّ وَجَدَّ .

وقال بعض الحكماء : ما لازم أحدٌ باب الملكِ فاحتمل الذلَّ وكظم الغيظ ورفق

بالبواب وخالط الحاشية إلّا وصل إلى حاجته من الملك .

الأصل :

ما خَيْرٌ بِخَيْرِ بَعْدَهُ النَّارُ ، وما شَرٌّ بِشَرِّ بَعْدَهُ الْجَنَّةُ ؛ وَكُلُّ نَعِيمٍ دُونَ الْجَنَّةِ
مَحْقُورٌ ، وَكُلُّ بَلَاءٍ دُونَ النَّارِ عَافِيَةٌ

الشرح :

موضع «بعده النار» رَفَعَ لِأَنَّهُ صِفَةُ «خير» الذي بعد «ما» ، وخير يرفع لأنه اسمٌ ما ،
وموضع الجار والمجرور نَصَبٌ لِأَنَّهُ خَبَرٌ ما ، والباء زائدة ، مِثْلُهَا في قولك : ما أنت بزيد ،
كما تزداد في خبر ليس ، والتقدير ما خيرٌ تَتَعَقَّبُهُ النار بخير ، كما تقول : ما لذة تتلوها
نفصة بلذة ، ولا ينقدح في ما : الوجهان اللذان ذكرهما أربابُ الصَّنَاعَةِ النحوية في «لا» في
قولهم : لا خير بخير بعده النار ، أحدهما ما ذكرناه في ما ، والآخر أن يكون موضع
«بعده النار» جرًّا لِأَنَّهُ صِفَةُ خير المجرور ، ويكون معنى الباء معنى في كقولك : زيدٌ بالدار
وفي الدار ، ويصير تقديرُ الكلام : لا خير في خيرٍ تَعَقَّبُهُ النار ، وذلك أن ما تَسْتَدْعِي
خبرًا موجودا في الكلام ، بخلاف لا ، فإن خبرها محذوف في مثل قولك : لا إله إلا
الله ، ونحوه ، أي في الوجود أولنا أو ما أشبه ذلك ، وإذا جعلت بعده صفة خير المجرور
لم يبق معك ما تجعله خبر ما .

وأيضاً فإن معنى الكلام يفسد في ما بخلاف لا ، لأن لا لنفي الجنس ، فكأنه

نفى جنس الخير عن خير تتبعه النار ؛ وهذا معنى صحيح ، وكلامٌ منتظم ، وما ها هنا
إن كانت نافيةً احتاجتْ إلى خبر ينتظم به الكلام ، وإن كانت استفهاماً فسد المعنى ،
لأنَّ «ما» لفظ يُطلب به معنى الاسم ، كقوله : ما العنقاء ؛ أو يُطبَّ به حقيقةُ الذات ،
كقولك : ما الملك ؟ ولست تطيق أن تدَّعي أن ما للاستفهام ها هنا عن أحد القسمين
مدْ خلا لأنك تكون كأنك قد قلت : أى شيء هو خيرٌ في خير تتبعه النار ؟ وهذا
كلامٌ لا معنى له .

الأفضل :

أَلَا وَإِنَّ مِنَ الْبَلَاءِ الْفَاقَةَ ، وَأَشَدُّ مِنَ الْفَاقَةِ مَرَضُ الْبَدَنِ ، وَأَشَدُّ مِنْ مَرَضِ الْبَدَنِ مَرَضُ الْقَلْبِ ؛ أَلَا وَإِنَّ مِنَ النَّعَمِ سَعَةَ الْمَالِ ، وَأَفْضَلُ مِنْ سَعَةِ الْمَالِ صِحَّةُ الْبَدَنِ ، وَأَفْضَلُ مِنْ صِحَّةِ الْبَدَنِ تَقْوَى الْقَلْبِ .

الشرح :

قد تقدّم الكلام في الفاقة والغنى ، فأما المرض والعافية ففي الحديث المرفوع : « إِيَّاكَ أَتَيْتُ الْأَمَانِيَّ يَا صَاحِبَ الْعَافِيَةِ » . فأما مَرَضُ الْقَلْبِ وَصِحَّتُهُ فالمراد به التَّقْوَى وَضَدُهَا ، وقد سبق القول في ذلك .

وقال أحمد بن يوسف الكاتب :

المالُ للمرءِ في معيشتِهِ	خيرٌ من الوالدَيْنِ والولدِ
وإنْ تَدُمُ نِعْمَةً عَلَيْكَ تَجِدُ	خيراً من المالِ صِحَّةَ الْجَسَدِ
وما بمن نالَ فضلَ عَافِيَةٍ	وقوتَ يومٍ فَقَرٌ إلى أَحَدٍ

الأُضْلُ :

لِلْمُؤْمِنِ ثَلَاثُ سَاعَاتٍ : فَسَاعَةٌ يُتَاجَى فِيهَا رَبَّهُ ، وَسَاعَةٌ يَرُمُّ فِيهَا مَعَايِشُهُ ،
وَسَاعَةٌ يُخَلَّى فِيهَا بَيْنَ نَفْسِهِ وَبَيْنَ لَذَّتِهَا فِيمَا يَحِلُّ وَيَجْمَلُ ؛ وَلَيْسَ لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ
شَاخِصًا إِلَّا فِي ثَلَاثٍ : مَرَمَّةٍ لِمَعَاشٍ ، أَوْ خُطْوَةٍ فِي مَعَادٍ ، أَوْ لَذَّةٍ فِي غَيْرِ مُحَرَّمَ .

الْبَرْخُ :

تقدير الكلام : يَنْبَغِي أَنْ يَكُونَ زَمَانُ الْعَاقِلِ مَقْسُومًا ثَلَاثَةَ أَقْسَامٍ .
وَيَرُمُّ مَعَايِشُهُ : يُصْلِحُهُ . وشاخِصًا : راحلًا . وخطوة في معاد ، يعني في عمل المعاد ،
وهو العبادة والطاعة .

وكان شيخنا أبو علي رحمه الله يَقْسِمُ زَمَانَهُ عَلَى مَا أَصْفَى لَكَ : كَانَ يُصَلِّي الصُّبْحَ
وَالْكُوَاكِبُ طَالَعَةً ، وَيَجْلِسُ فِي مِحْرَابِهِ لِلذِّكْرِ وَالتَّسْبِيحِ إِلَى بَعْدِ طُلُوعِ الشَّمْسِ بَقِيلٍ ،
ثُمَّ يَتَكَلَّمُ مَعَ التَّلَامِذَةِ وَطَلَبَةِ الْعِلْمِ إِلَى ارْتِفَاعِ النَّهَارِ ، ثُمَّ يَقُومُ فَيُصَلِّي الضُّحَى ، ثُمَّ يَجْلِسُ
فَيَتِمُّ الْبَحْثَ مَعَ التَّلَامِذَةِ إِلَى أَنْ يُؤْذَنَ لِلظُّهْرِ ، فَيُصَلِّي بِنَوَافِلِهَا ، ثُمَّ يَدْخُلُ إِلَى أَهْلِهِ
فَيُصْلِحُ شَأْنَهُ ، وَيَقْضِي حَوَائِجَهُ ، ثُمَّ يَخْرُجُ لِلْعَصْرِ فَيُصَلِّي بِنَوَافِلِهَا ، وَيَجْلِسُ مَعَ التَّلَامِذَةِ
إِلَى الْمَغْرَبِ فَيُصَلِّي بِهَا ، وَيُصَلِّي الْعِشَاءَ ، ثُمَّ يَسْتَقِيلُ بِالْقُرْآنِ إِلَى ثُلْثِ اللَّيْلِ ، ثُمَّ يَنَامُ الثَّلَاثَ
الْأَوْسَطَ ، ثُمَّ يَقُودُ فَيُصَلِّي الثَّلَاثَ الْآخِرَ كُلَّهُ إِلَى الصُّبْحِ .

الأضل :

ازهد في الدنيا يبصرَكَ اللهُ عَوْرَاتِهَا ، وَلَا تَفْعُلْ فَلَسْتَ بِمَفْعُولٍ عَنْكَ .

* * *

الشُّرُح :

أمره بالزهد في الدنيا ، وجعل جزاء الشرط تبصير الله تعالى له عَوْرَاتِ الدنيا ، وهذا حق ، لأنَّ الراغب في الدنيا عاشقٌ لها ، والعاشق لا يرى عيبَ معشوقه ، كما قال القائل :

وعينُ الرضا عن كلِّ عيبٍ كَلِيلَةٌ ولكنَّ عينَ السُّخْطِ تُبْدِي الْمَسَاوِيَا^(١)
فإذا زهد فيها فقد سَخِطَها ، وإذا سَخِطَها أبصرَ عيوبَها مُشَاهِدَةً لا رواية .

ثمَّ نهاه عن الغفلة ، وقال له : إنَّكَ غيرُ مَفْعُولٍ عَنْكَ ، فَلَا تَفْعُلْ أَنْتَ عَنْ نَفْسِكَ ، فَإِنَّ أَحَقَّ النَّاسِ وَأَوْلَاهُمْ أَلَّا يَفْعُلَ عَنْ نَفْسِهِ مِنْ لَيْسَ بِمَفْعُولٍ عَنْهُ ؛ وَمِنْ عَلَيْهِ رَقِيبٌ شَهِيدٌ يَنَاقِشُهُ عَلَى الْفَتِيلِ وَالنَّقِيرِ^(٢) .

(١) هو عبد الله بن معاوية ، الأغاني ١٢ : ٢١٤ (طبعة دار الكتب) .

(٢) الفتيل : ما يكون في شق النواة ، والنقير : النقرة التي في ظاهر النواة .

الأصل :

تَكَلَّمُوا تُعَرَّفُوا ، فَإِنَّ الْمَرْءَ مَحْبُودٌ تَحْتَ لِسَانِهِ .

الشرح :

هذه إحدى كلماته عايه السلام التي لا قيمة لها ، ولا يقدر قدرها ؛ والمعنى قد تداوله

الناس قال :

وكأئن ترى من صامتٍ لك معجبٍ زيادته أو نقصه في التَّكَلَّمَ^(١)

لسانُ الفتى نصفٌ ونصفٌ فؤادهُ فلم يَبْقَ إِلَّا صورةُ اللحمِ والدمِ

وكان يحيى بن خالد يقول : ما جاسَ إلى أحدٍ قطَّ إِلَّا هَبْتُهُ حتَّى يتكَلَّمَ ، فإذا

تكَلَّمَ إمَّا أنْ تزدادَ تلكَ الهَيبةُ أو تنقُصَ .

(١) ينسبان لزهير ، من معلقته بشرح الزوزنى ٩٤ ، وينسبان أيضا للأحنف بن قيس ، وانظر شرح العيون ١١٢ .

الأصل :

نَعَمَ الطَّيِّبُ الْمِسْكُ ، خَفِيفٌ مُحْمَلُهُ ، عَطِرٌ رِيحُهُ .

* * *

[فصل فيما ورد في الطَّيِّب من الآثار]

الشَّيْخُ :

كان النبي صَلَّى الله عليه وآله كثيرَ التَّطَيُّبِ بالمِسْك وبغيره من أصناف الطَّيِّب .
وجاء في الخبر الصحيح عنه : « حُبُّ إِلَى من دنيا كم ثلاث : الطَّيِّب ، والنِّسَاء ، وقرّة عيني
في الصَّلَاة » .

وقد رُوِيَتْ لفظَةُ أمير المؤمنين عليه السلام عنه مرفوعة . ونحوها : « لا تردُّوا الطَّيِّب
فإنَّه طيِّبُ الرِّيح ، خَفِيفُ الْمَحْمَل » .

سَرَقَ أَعْرَابِيٌّ نَافِجَةَ مِسْك ، فقيل له : ﴿ وَمَنْ يَفْلُلْ يَأْتِ بِمَا غَلَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ ^(١)
قال : إِذَنْ أَحْمِلْهَا طَيِّبَةَ الرِّيح ، خَفِيفَةَ الْمَحْمَل .

وفي الحديث المرفوع أنَّه عليه السلام بايع قومًا كان بيد رجلٍ منهم رَدْعٌ ^(٢) خَلُوق ،
فبايعه بأطراف أصابعه ، وقال : « خيرُ طيِّبِ الرجال ما ظهرَ رِيحُهُ وخَفِيَ لَوْنُهُ ، وخيرُ طيِّبِ
النِّسَاء ما ظهرَ لَوْنُهُ وخَفِيَ رِيحُهُ » .

وعنه عليه السلام في صفة أهل الجنة : « وَجَمَائِرُهُمُ الْأَلْوَةُ ^(٣) » ، وهي العودُ الهندي .

(١) سورة آل عمران ١٦١ (٢) ردع الزعفران : لطفه . (٣) نهاية ابن الأثير : ٧٠

وَرَوَى سَهْلُ بْنُ سَعْدٍ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « إِنَّ فِي الْجَنَّةِ لَمَرَاغًا مِنْ مِسْكِ مِثْلَ مَرَاغِ دَوَابِّكُمْ هَذِهِ » .

وَرَوَى عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَيْضًا فِي صِفَةِ الْكَوْثَرِ : « جَالُهُ الْمِسْكُ - أَيْ جَانِبُهُ - وَرَضْرَاةُ الثُّومِ ، وَحَصْبَاؤُهُ اللَّوْلُؤُ (١) » .

وَقَالَتْ عَائِشَةُ : كَأَنِّي أَنْظُرُ إِلَى وَبِيصِ الْمِسْكِ فِي مَفَارِقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَهُوَ مُحْرِمٌ (٢) .

وَكَانَ ابْنُ عُمَرَ يَسْتَجِمِرُ بِعُودٍ غَيْرِ مُطَرَّرٍ وَيَجْعَلُ مَعَهُ الْكَافُورَ ، وَيَقُولُ : هَذَا رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَصْنَعُ .

وَرَوَى أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ قَالَ : دَخَلَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ عِنْدَنَا وَالْوَقْتُ صَيْفٌ ، فَعَرِقَ ، لِحَاءَتِ أُمِّي بِقَارُورَةٍ فَجَعَلَتْ تَسْلُتُ عِرْقَهُ ، فَاسْتَقِظَ وَقَالَ : يَا أُمَّ سُلَيْمٍ ، مَا تَصْنَعِينَ ؟ قَالَتْ : هَذَا عِرْقُكَ نَجْعَلُهُ فِي طِينِنَا ، فَإِنَّهُ مِنْ أَطْيَبِ الطِّيبِ ، وَنَرْجُو بِهِ بَرَكَهَ صِبْيَانِنَا ؛ فَقَالَ : أَصَبْتَ .

وَمِنْ كَلَامِ عُمَرَ : لَوْ كُنْتُ تَاجِرًا مَا اخْتَرْتُ غَيْرَ الْعِطْرِ ، إِنْ فَاتَنِي رِيحُهُ لَمْ يَفْتِنِي رِيحُهُ .

نَاوِلِ الْمُتَوَكِّلَ أَحْمَدَ بْنَ أَبِي قَنَنٍ فَأُتِيَ مِسْكَ ، فَأَنْشَدَهُ :

لَئِنْ كَانَ هَذَا طِينِنَا وَهُوَ طَيِّبٌ لَقَدْ طَيَّبْتَهُ مِنْ يَدَيْكَ الْأَنَاْمِلُ

قَالُوا : سُمِّيتِ الْغَالِيَةُ غَالِيَةً ، لِأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ جَعْفَرَ أَهْدَى لِمَعَاوِيَةَ قَارُورَةً مِنْهَا ، فَسَأَلَهُ ، كَمْ أَنْفَقَ عَلَيْهَا ، فَذَكَرَ مَالًا ، فَقَالَ : هَذِهِ غَالِيَةٌ ، فَسُمِّيتْ غَالِيَةً .

نَسَمَ مَالِكُ بْنُ أَسْمَاءَ بْنِ خَارِجَةَ الْفَزَارِيَّ مِنْ أُخْتِهِ هِنْدَ بِنْتِ أَسْمَاءَ رِيحَ غَالِيَةٍ ، وَكَانَتْ تَحْتَ الْحِجَابِ ، فَقَالَ : عَلَّمَنِي طِيْبُكَ ؛ قَالَتْ : لَا أَفْعَلُ ، أَتُرِيدُ أَنْ تَعْلَمَهُ

جَوَارِيكَ ! هُوَ لَكَ عِنْدِي مَا أَرَدْتَهُ ، ثُمَّ ضَحَكَتْ وَقَالَتْ : وَاللَّهِ مَا تَعَلَّمْتُهُ إِلَّا مِنْ شِعْرِكَ حَيْثُ قُلْتَ :

أَطِيبُ الطَّيِّبِ طِيبُ أُمِّ أَبَانَ فَأَرْمَسِكِ بَعْبِرِ مَسْحُوقِ
خَلَطْتَهُ بَعُودِهَا وَبِيَانِ فَهُوَ أَحْوَى عَلَى الْيَدَيْنِ شَرِيقِ

وَرَوَى أَبُو قِلَابَةَ قَالَ : كَانَ أَبُو مَسْعُودٍ إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِهِ إِلَى الْمَسْجِدِ عَرَفَ مَنْ فِي الطَّرِيقِ أَنَّهُ قَدْ مَرَّ مِنْ طِيبِ رِيحِهِ .

وَرَوَى الْحَسَنُ بْنُ زَيْدٍ عَنْ أَبِيهِ ، قَالَ : رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ حِينَ أَحْرَمَ وَالْغَالِيَةَ عَلَى صَلَّعَتِهِ كَأَنَّهَا الرُّبَّ .

أَوَّلَ الْمُتَوَكِّلِ فِي طَهْرِ بَنِيهِ ، فَلَمَّا كَثُرَ اللَّعِبُ قَالَ لِيَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ : انصَرِفْ آيَهَا الْقَاضِي ، قَالَ : وَلَمْ ؟ قَالَ : لِأَنَّهُمْ يَرِيدُونَ أَنْ يَخْلِطُوا ؛ قَالَ : أَحْوَجَ مَا يَكُونُونَ إِلَى قَاضٍ إِذَا خَلَطُوا ، فَاسْتَظَرَفَهُ وَأَمَرَ أَنْ تُغْلَفَ لِحْيَتُهُ ؛ فَفَعَلَ ؛ فَقَالَ يَحْيَى : إِنَّا لِلَّهِ ! ضَاعَتِ الْغَالِيَةُ ، كَانَتْ هَذِهِ تَكْفِينِي دَهْرًا لَوْ دُفِعَتْ إِلَيَّ ، فَأَمَرَ لَهُ بِزَوْرَقٍ لَطِيفٍ مِنْ ذَهَبٍ مَمْلُوءٍ مِنْ غَالِيَةٍ وَدُرُجٍ بِخُورٍ ، فَأَخَذَهَا وَأَنْصَرَفَ .

وَرَوَى عِكْرَمَةُ أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ كَانَ يَطْلِي جَسَدَهُ بِالْمِسْكِ ، فَإِذَا مَرَّ بِالطَّرِيقِ قَالَ النَّاسُ : أَمَرَ ابْنُ عَبَّاسٍ أُمَّ الْمِسْكِ ؟

وَقَالَ أَبُو الضُّحَى : رَأَيْتُ عَلَى رَأْسِ ابْنِ الزَّيَّيرِ مِنَ الْمِسْكِ مَا لَوْ كَانَ لِي لَكَانَ رَأْسُ مَالِي .
لَمَّا بَنَى عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ عَلَى فَاطِمَةَ بِنْتِ عَبْدِ الْمَلِكِ أُسْرِجَ فِي مَسَارِحِهِ تِلْكَ اللَّيْلَةَ الْغَالِيَةَ إِلَى أَنْ طَلَعَتِ الشَّمْسُ .

كَانَتْ لِأَبْنِ عَمْرِو بْنِ بَنْدُوقَةٍ مِنْ مِسْكِ يَبُوكُهَا بَيْنَ رَاحَتَيْهِ فَتَفُوحُ رَائِحَتُهَا^(١) .
كَانَ عَمْرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ فِي إِمَارَتِهِ الْمَدِينَةَ يَجْعَلُ الْمِسْكَ بَيْنَ قَدَمَيْهِ وَنَعْلِهِ ، فَقَالَ فِيهِ الشَّاعِرُ يَمْدَحُهُ :

لَهُ نَعْلٌ لَا تَطْبِي الْكَلْبَ رِيحُهَا^(٢) وَإِنْ وُضِعَتْ فِي مَجْلِسِ الْقَوْمِ شُمَّتْ

(١) يَبُوكُهَا بَيْنَ رَاحَتَيْهِ ؛ أَيُّ يَقْبَلُهَا . (٢) يَطْبِي : يَسْتَمِيلُ . وَالْبَيْتُ لِكَثِيرٍ ، انْظُرْ خَزَانَةَ الْأَدَبِ ٤ : ١٤٧

سَمِعَ عَمْرُ قَوْلَ سُحَيْمِ عَبْدِ بَنِي الْحُسَّاسِ :

وَهَبْتَ شِمَالِي آخِرَ اللَّيْلِ قِرَّةً وَلَا ثَوْبَ إِلَّا دِرْعَهَا وَرِدَائِيَا ^(١)

فَمَا زَالَ بُرْدِي طَيِّبًا مِنْ ثِيَابِهَا مَدَى الْخَوْلِ حَتَّى أَنْهَجَ الْبُرْدُ بَالِيَا

فَقَالَ لَهُ : وَيَمُحَكَ ! إِنَّكَ مُقْتُولٌ ، فَلَمْ تَمُضْ عَلَيْهِ أَيَّامٌ حَتَّى قُتِلَ .

قَالَ الشَّعْبِيُّ : الرَّائِحَةُ الطَّيِّبَةُ تَزِيدُ فِي الْعَقْلِ .

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ زَيْدٍ يَتَخَلَّقُ بِالْخُلُقِ ، ثُمَّ يَجْلِسُ فِي الْمَجْلِسِ .

وَكَانُوا يَسْتَحِبُّونَ إِذَا قَامُوا مِنَ اللَّيْلِ أَنْ يَمَسَحُوا مَقَادِيمَ لِحَاهِمَ بِالطَّيِّبِ .

وَاشْتَرَى تَمِيمُ الدَّارِيُّ حُلَّةً بِمِائَةِ دِرْهَمٍ ، وَهَيَّأَ طَيِّبًا ، فَكَانَ إِذَا قَامَ مِنَ اللَّيْلِ

تَطَيَّبَ وَلَبِسَ حُلَّتَهُ ، وَقَامَ فِي الْحَرَابِ .

وَقَالَ أَنَسٌ : يَاجُمَيْلَةُ ، هَيَّئِي لَنَا طَيِّبًا أَمْسَحُ بِهِ يَدِي ، فَإِنَّ ابْنَ أُمِّ ثَابِتٍ إِذَا جَاءَ قَبْلَ

يَدِي - يَعْنِي ثَابِتَ الْبُنَانِيَّ .

وَقَالَ سَلَمُ بْنُ قُتَيْبَةَ : لَقَدْ شَمْتُ مِنْ فُلَانٍ رَائِحَةَ أُطْيَبٍ مِنْ مَشْطَةِ الْعُرُوسِ الْحُسْنَاءِ

فِي أَنْفِ الْعَاشِقِ الشَّبَقِ .

وَمِنْ كَلَامِ بَعْضِ الصَّالِحِينَ : الْفَاسِقُ رِجْسٌ وَلَوْ تَضَمَّنَ بِالْغَالِيَةِ .

عَرَضَتْ مَدَنِيَّةٌ لكَثِيرٍ فَقَالَتْ لَهُ : أَنْتَ الْقَائِلُ :

فَمَارَوْضَةٌ بِالْحَزَنِ طَيِّبَةُ النَّزْرِ يَمِجُّ النَّدَى جَنَاحُهَا وَعَرَارُهَا

بِأُطْيَبٍ مِنْ أُرْدَانٍ عَزَّةَ مَوْهِنًا وَقَدْ أَوْقَدْتُ بِالتَّمْدَلِ الرُّطْبَ نَارُهَا

لَوْ كَانَتْ هَذِهِ الصِّفَةُ لَزَنْجِيَّةٌ تَجْتَلِي الْحُلَّةَ لَطَابَتْ ، هَلَّا قُلْتُ كَمَا قَالَ سَيِّدُكَ ^(٢)

أَمْرُو الْقَيْسِ :

ألم تَرَ يَانِي كَلَّمَا جِئْتُ طَارِقًا وَجَدْتُ بِهَا طِيبًا وَإِنْ لَمْ تَطِيبْ ^(١)
 وَقَالَ الزَّخْشَرِيُّ : إِنَّ النَّوَى الْمُنَقَّعَ بِالْمَدِينَةِ يَنْتَابُ أَشْرَافُهَا الْمَوَاضِعَ الَّتِي يَكُونُ فِيهَا
 أَلْتِمَاسُ لَطِيبِ رِيحِهِ ، وَإِذَا وَجَدُوا رِيحَهُ بِالْعِرَاقِ هَرَبُوا مِنْهَا نُحْبِشُهَا ؛ قَالَ : وَمِنْ اخْتَلَفَ
 فِي طُرُقَاتِ الْمَدِينَةِ وَجَدَ رَائِحَةً طَيِّبَةً وَبَنَةً ^(٢) عَجِيبةً ؛ وَلِذَلِكَ سُمِّيَتْ طَيِّبَةً ، وَالزَّخْشَرِيُّ بِهَا
 تَجَعَلَ فِي رَأْسِهَا شَيْئًا مِنْ بَلَحٍ وَمَالًا قِيمَةً لَهُ ، فَتَجِدُ لَهُ خُمْرَةً لَا يَعْدِلُهَا يَتُّ عَرُوسٍ مِنْ
 ذَوَاتِ الْأَقْدَارِ .

قَالَ : وَلَوْ دَخَلْتَ كُلَّ غَالِيَةٍ وَعَطَرِ قِصْبَةِ الْأَهْوَازِ وَقِصْبَةِ أَنْطَاكِةٍ لَوَجَدْتَهَا قَدْ تَغَيَّرَتْ
 وَفَسَدَتْ فِي مَدَّةٍ يَسِيرَةٍ .

أَرَادَ الرَّشِيدُ الْقَامَ فِي أَنْطَاكِةٍ ، فَقَالَ لَهُ شَيْخٌ مِنْهَا : إِنَّهَا لَيْسَتْ مِنْ بِلَادِكَ ، فَإِنَّ
 الطَّبِيبَ الْفَاخِرَ يَتَغَيَّرُ فِيهَا حَتَّى لَا يُنْتَفِعَ مِنْهُ شَيْءٌ ، وَالسَّلَاحُ يَصْدَأُ فِيهَا .
 سِيرَافٌ : مِنْ بِلَادِ فَارَسٍ ، لَهَا قِغْمَةٌ طَيِّبَةٌ .

فَأَرَادَ الْمِسْكَ دُوبِيَّةً شَبِيهَةً بِالْخُشْفِ ^(٣) تَكُونُ فِي نَاحِيَةٍ تَبَّتْ تُصَادُ لِأَجْلِ سُرَّتِهَا ،
 فَإِذَا صَادَهَا الصَّائِدُ عَصَبَ سُرَّتِهَا بِعَصَابٍ شَدِيدٍ وَهِيَ مَدْلَاةٌ ، فَيَجْتَمِعُ فِيهَا دَمُهَا ، ثُمَّ
 يَذْبَحُهَا ، وَمَا أَكْثَرَ مَنْ يَأْكُلُهَا ، ثُمَّ يَأْخُذُ السَّرَّةَ فَيَدْفِنُهَا فِي الشَّعْرِ حَتَّى يَسْتَحِيلَ
 الدَّمُ الْمُحْتَقِنُ فِيهَا مَسْكًا ذَكِيًّا بَعْدَ أَنْ كَانَ لَا يَرَامُ نَتْنًا ، وَقَدْ يَوْجَدُ فِي الْبُيُوتِ
 جِرْذَانٌ سُودٌ يُقَالُ لَهَا : فَأَرِ الْمِسْكَ لَيْسَ عِنْدَهَا إِلَّا رَائِحَةٌ لَا زَمَةَ لَهَا .

وَذَكَرَ شَيْخُنَا أَبُو عُمَانَ الْجَاهِظُ قَالَ : سَأَلْتُ بَعْضَ أَصْحَابِنَا الْمُعْتَزِلَةَ عَنْ شَأْنِ الْمِسْكَ ،
 فَقَالَ : لَوْلَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ تَطَيَّبَ بِالْمِسْكَ لَمَا تَطَيَّبْتُ بِهِ ، لِأَنَّهُ دَمٌ ؛ فَأَمَّا

(٢) البنة : الرائحة مطلقاً .

(١) ديوانه ٤١

(٣) الخشف : ولد الطلي .

الزَّباد فليس ممَّا يَقْرُبُ ثِيَابِي ، فقلتُ له : قد يرتضع الجُدَى من لبن خنزيرة فلا يَحْرُمُ لَحْمُهُ ، لأنَّ ذلك اللَّبَنُ أُسْتَحَالُ لَحْمًا ، وخرج من تلك الطَّيْبَةِ ، وعن تلك الصورة ، وعن ذلك الاسم ، وكذا لحم الجَلَّالَةِ ، فالْمِسْكُ غَيْرُ الدَّمِّ ، والخلَّ غَيْرُ الْخَمْرِ ، والجوهر لا يَحْرُمُ لذاته وعَيْنِهِ ، وإِنَّمَا يَحْرُمُ للأَعْرَاضِ والعِلَالِ فلا تَقْرُزُ^(١) منه عند ذِكْرِكَ الدَّمِّ ، فليس به بأس .

قال الزَّخَشَرِيُّ : والزَّبادُ هِرَّةٌ . ويقال للزَّيْلَعِ ، وهم الَّذِينَ يَجْتَلِبُونَ الزَّبادَ يَزِيلَعُ ، الزَّبادُ ماتت ، فَيَفْضَبُ .

وقال ابنُ جَزَلَةَ الطَّيِّبُ في الْمَهَاجِ^(٢) : الزَّبادُ طَيْبٌ يُؤْخَذُ من حيوانٍ كَالسَّنُورِ يقال : إِنَّهُ وَسَخٌ في رَحِمِهَا .

وقال الزَّخَشَرِيُّ : العَنْبَرُ يَأْتِي طُفَاوَةً على الْمَاءِ لا يَنْزِي أَحَدٌ مَعْدَنَهُ ، يَقْذِفُهُ الْبَحْرُ إلى الْبَرِّ فلا يأكل منه شيءٌ إِلَّا مات ، ولا يَنْقُرُهُ طَائِرٌ إِلَّا بَقِيَ مِنْقَارُهُ فيه ، ولا يقع عليه إِلَّا نَصَلَتْ أَظْفَارُهُ ، وَالْبَحْرِيُّونَ وَالْعِطَّارُونَ رَبَّمَا وَجَدُوا فيه الْمَنْقَارَ وَالظَّفَرَ .

قال : والبال ، وهو سَمَكَةٌ طُولُهَا خَمْسُونَ ذِرَاعًا ، يُؤْكَلُ منه الْيَسِيرُ فيموت .

قال : وَسَمِعْتُ نَاسًا من أَهْلِ مَكَّةَ يَقُولُونَ : هو ضَفْعٌ^(٣) ثورٍ في بَحْرِ الْهِنْدِ ، وقيل : هو من زَبْدِ بَحْرِ سَرَندِيبَ ، وَأَجْوَدُهُ الْأَشْهَبُ ، ثُمَّ الْأَزْرَقُ ، وَأَدْوَنُهُ الْأَسْوَدُ .

وفي حديث ابنِ عَبَّاسٍ : ليس في العَنْبَرِ زَكَاةٌ ، إِنَّمَا هو شيءٌ يَدْسُرُهُ الْبَحْرُ ، أَى يَدْفَعُهُ .

(١) تقرز منه : تباعد .

(٢) كتاب المهاج لابن جزلة الطيب ؛ منه نسخة مخطوطة بدار الكتب رقم ١٠٧ - طب .

(٣) ضفء الثور : نجوه

فأما صاحب المنهاج في الطب فقال : العنبر من عين في البحر ، ويكون جماجم أكبرها وزنه ألف مثقال ، والأسود أردأ أصنافه ، وكثيرا ما يوجد في أجواف السمك التي تأكله وتموت ، وتوجد فيه سُهوكَة .

وقال في المسك : إنه سُرّة دابة كالظبي ، له نابان أبيضان معقفان إلى الجانب الإنسي كقرنين . جاء في الحديث المرفوع : « لا تمنعوا إماء الله مساجد الله ، وليخرجن إذا خرجن ثَفَلَاتٍ » ، أي غير متطيّبات^(١) .

وفي الحديث أيضا : « إذا شهدت إحداكن العشاء فلا تمسّ طيبا » ؛ والمراد من ذلك ألا تهيج عليهنّ شهوة الرجال .
قال الشاعر :

والمسك بينا تراه ممتنّاً بفهر عطاره وساحقه
حتى تراه في غارضى ملكٍ أو موضع التاج من مفارقة
الصنوبرى في استهداء المسك :

المسك أشبه شيء بالشباب فهبَّ بعض الشباب لبعض العُصبة الشيبِ

يقال : إن رجلا وجد قرطاسا فيه اسم الله تعالى ، فرفعه ، وكان عنده دينار ، فاشترى به مسكا ، فطيبه ، فرأى في المنام قائلا يقول له : كما طيبت اسمي لأطيبنّ ذكرك .

قال خالد بن صفوان ليزيد بن المهلب : ما رأيت صدا المغفر ، ولا عبق العنبر بأحد أليق منه بك ، فقال : حاجتك ؛ قال : ابن أخ لي في حبسك ، فقال : يسبقك إلى المنزل .

شاعر :

كَأَنَّ دُخَانَ النَّدِّ مَا بَيْنَ جَمْرِهِ بقايا ضبابٍ في رياضٍ شقيقٍ

قالوا : خيرُ العُودِ المَندَلِيّ ، وهو منسوبٌ إلى مَندَلِ قريةٍ من قُرَى الهِنْدِ ، وأجودُهُ أصْلَبُهُ ، وامْتَحَانِ رَطْبُهُ أَنْ يَنْطَبِعَ فِيهِ نَقْشُ الخَاتَمِ ، واليابسُ تَفْصِحُ عَنْهُ النَّارُ ، ومن خاصيةِ المَندَلِيّ أَنْ رَائِحَتَهُ تَثْبِتُ فِي الثَّوبِ أسبوعاً ، وأنه لَا يَقْمَلُ مَا دَامَتْ فِيهِ .

قال صاحبُ المِناهج^(١) : العُودُ عَرُوقُ أَشْجَارٍ تُقْلَعُ وَتُدْفَنُ فِي الْأَرْضِ حَتَّى تَتَفَعَّنَ ، مِنْهَا الخَشَبِيَّةُ والقَشْرِيَّةُ ، ويبقى العودُ الخالصُ ، وأجودُهُ المَندَلِيّ ، ويَجْلِبُ مِنْ وَسَطِ بِلَادِ الهِنْدِ ، ثمَّ العودُ الهِنْدِيُّ ، وهو يَفْضَلُ عَلَى المَندَلِيّ بِأَنَّهُ لَا يُولَدُ القَمَلُ ، وهو أعْبَقُ بِالثَّيَابِ . قال : وَأَفْضَلُ العُودِ أَرْسَبُهُ فِي الْمَاءِ ، وَالطَّافِي رَدِيٌّ .

قال أبو العباس الأعمى :

لَيْتَ شَعْرِي مِنْ أَيْنَ رَائِحَةُ الْمِسِّ لِكِ وَمَا إِنْ أَخَالُ بِالْخَيْفِ أَنْسِي
حِينَ غَابَتْ بَنُو أُمَيَّةَ عَنْهُ وَبِالْهَالِيلِ مِنْ بَنِي عَبْدِ شَمْسٍ
خُطْبَاءَ عَلَى الْمَنَابِرِ فُرْسًا نَّ عَلَى الْخَيْلِ قَالَةٌ غَيْرُ خُرْسٍ
بُحُلُومٍ مِثْلَ الْجِبَالِ رِزَانٍ وَوَجُوهٍ مِثْلَ الدَّانَانِيرِ مُلْسٍ

المسيب بن علس^(٢) :

تَبَيْتَ الْمُلُوكُ عَلَى عَتَبِهَا وَشَيْبَانُ إِنْ غَضِبْتَ تُعْتَبُ^(٣)
وَكَلَّ الشَّهْدَ بِالرَّاحِ الْفَاطِمُ وَأَخْلَاقُهُمْ مِنْهَا أَعَذَبُ

وَكَالِيسِكَ تُرْبُ مَقَامِهِمْ وَتُرْبُ قُبُورِهِمْ أَطِيبُ
أَخَذَهُ الْعَبَّاسُ بْنُ الْأَحْنَفِ فَقَالَ :

وَأَنْتَ إِذَا مَا وَطِئْتَ التُّرَابَ كَانَ تَرَابُكَ لِلنَّاسِ طِيبًا
وَهَجَا بَعْضُ الشُّعْرَاءِ الْعَمَّالِ فِي أَيَّامِ عُمَرَ ، وَوَقَعَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ فِي بَعْضِ شَعْرِهِ :
تُوبُ إِذَا آبَا وَنَفَرُوا إِذَا غَزَوْا فَأَنْتَ لَهُمْ وَفَرُّهُ وَلَسْنَا ذَوِي وَفَرِّ
إِذَا التَّاجِرُ الدَّارِيُّ جَاءَ بِفَارَةٍ مِنْ الْمِسْكِ رَاحَتْ فِي مَفَارِقِهِمْ تَجْرِي
فَقَبِضْ عُمَرُ عَلَى الْعَمَالِ وَصَادَرَهُمْ .

قَالُوا فِي الْكَافُورِ : إِنَّهُ مَاءٌ فِي شَجَرٍ مَكْفُورٍ فِيهِ يَفْرُزُونَهُ بِالْحَدِيدِ ، فَإِذَا خَرَجَ إِلَى
ظَاهِرِ ذَلِكَ الشَّجَرِ ضَرَبَهُ الْهَوَاءُ فَانْمَقَدَ كَالصَّمُوغِ الْجَامِدَةِ عَلَى الْأَشْجَارِ .

وَقَالَ صَاحِبُ الْمَهَاجِ ^(١) : هُوَ أَصْنَافٌ : مِنْهَا الْفَنْصُورِيُّ ^(٢) ، وَالرَّبَّاحِيُّ ^(٣) ، وَالْأَزَادُ ،
وَالْإِسْفَرَكُ ^(٤) الْأَزْرَقُ ، وَهُوَ الْمُخْتَلَطُ بِخَشْبِهِ ، وَقِيلَ إِنَّ شَجَرَتَهُ عَظِيمَةٌ تُظِلُّ أَكْثَرَ مِنْ
مِائَةِ فَارَسٍ ، وَهِيَ بَحْرِيَّةٌ ، وَخَشَبُ الْكَافُورِ أَبْيَضُ إِلَى الْحُمْرَةِ خَفِيفٌ ، وَالرَّبَّاحِيُّ يَوْجَدُ
فِي بَدَنِ شَجَرَتِهِ قِطْعَ كَالثَّلْجِ ، فَإِذَا شَقَقْتَ الشَّجَرَةَ تَنَاقَرَتْ مِنْهَا الْكَافُورُ .

النَّدَى : هُوَ الْغَالِيَةُ ، وَهُوَ الْعُودُ الْمَطْرَعِيُّ بِالْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ وَدُهْنِ الْبَانِ ، وَمِنْ النَّاسِ مَنْ لَا
يُضِيفُ إِلَيْهِ دُهْنَ الْبَانِ ، وَيَجْعَلُ عَوْضَهُ الْكَافُورَ ، وَمِنْهُمْ لَا يُضِيفُ إِلَيْهِ الْكَافُورَ
أَيْضًا ، وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَرْكَبُ الْغَالِيَةَ مِنَ الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرِ وَالْكَافُورِ وَدُهْنِ النَّيْلُوفَرِ .

قَالَ الْأَصْمَعِيُّ : قُلْتُ لِأَبِي الْمَهْدِيَّةِ الْأَعْرَابِيِّ : كَيْفَ تَقُولُ : لَيْسَ الطَّيِّبُ إِلَّا الْمِسْكِ ؟
فَلَمْ يَحْفَلِ الْإِعْرَابِيُّ ، وَذَهَبَ إِلَى مَذْهَبِ آخَرٍ ، فَقَالَ : فَأَيْنَ أَنْتَ عَنِ الْعَنْبَرِ ؟ فَقُلْتُ :
كَيْفَ تَقُولُ : لَيْسَ الطَّيِّبُ إِلَّا الْمِسْكِ وَالْعَنْبَرُ ؟ قَالَ : فَأَيْنَ أَنْتَ عَنِ الْبَانِ ، قُلْتُ : فَكَيْفَ

(١) الْمَهَاجُ : وَرَقَةٌ ١٧٧ .

(٢) فَنْصُورُ : جَزِيرَةٌ سَرَنْدِيبَ . انْظُرِ الْمَفْرَدَاتِ لِابْنِ الْبَيْطَارِ ج ٤ : ٤٢ طَبْعُ بُولَاقِ .

(٣) نِسْبَةٌ إِلَى مَلِكٍ اسْمُهُ رَبَّاحٌ انْظُرِ نَهَايَةَ الْأَرْبِ ج ١١ : ٢٩٤ .

(٤) كَذَا فِي قَانُونِ ابْنِ سِينَا وَشَرَحَ الْأَدْوِيَّةَ الْمَفْرَدَةَ لِلْكَازِرُونِيِّ وَنَهَايَةَ الْأَرْبِ ج ١١ : ٢٩٤ .

تقول : ليس الطَّيِّبُ إِلَّا الْمِسْكُ والعنبر والبان ؟ قال : فأين أنت عن أدهان بحجرٍ - يعنى اليمامة ، قلت : فكيف تقول ليس الطَّيِّبُ إِلَّا الْمِسْكُ والعنبر والبان وأدهان بحجرٍ ؟ قال : فأين أنت عن فارة الإبل صادرةً ؟ فرأيت أنى قد أكرثُ عليه ، فتركتهُ قال : وفارة الإبل ريحها حين تصدرُ عن الماء . وقد أكلت العُشب الطيب .

وفى فارة الإبل يقول الشاعر :

كَأَنَّ فَارَةَ مِسْكٍ فِي مَبَاءَتِهَا إِذَا بَدَأَ مِنْ ضِيَاءِ الصَّبْحِ تَنْتَشِرُ
كَانَ لِأَبِي أَيُّوبَ الْمَرْزُبَانِيِّ وَزِيرِ الْمَنْصُورِ دُهْنٌ طَيِّبٌ يَدُهْنُ بِهِ إِذَا رَكِبَ إِلَى الْمَنْصُورِ ،
فَلَمَّا رَأَى النَّاسُ غَلْبَتَهُ عَلَى الْمَنْصُورِ وَطَاعَتَهُ لَهُ فِيمَا يَرِيدُهُ ، حَتَّى إِنَّهُ رُبَّمَا كَانَ يَسْتَحْضِرُهُ
لِيُوقِعَ بِهِ ، فَإِذَا رَأَاهُ تَبَسَّمَ إِلَيْهِ وَطَابَتْ نَفْسُهُ قَالُوا : دُهْنُ أَبِي أَيُّوبَ مِنْ عَمَلِ السَّحَرَةِ ،
وَضَرَبُوا بِهِ الْمَثَلَ ، فَقَالُوا لِمَنْ يَغْلِبُ عَلَى الْإِنْسَانِ : مَعَهُ دُهْنُ أَبِي أَيُّوبَ .
أَعْرَابِيٌّ : فِيهَا مَدَرٌ كَفَّ وَمَشَمَّ أَنْفَ .

وقال عيينة بن أسماء بن خازجة الفزارى :

لَوْ كُنْتُ أَحْمَلُ خَمْرًا حِينَ زُرْتُكُمْ لَمْ يَنْكَرِ الْكَلْبُ أَنَّي صَاحِبُ الدَّارِ
لَكِنْ أَتَيْتُ وَرِيحَ الْمِسْكِ يَقْدُمُنِي وَالْعَنْبَرُ الْوَرْدَ مَشْبُوبًا عَلَى النَّارِ
فَأَنْكَرَ الْكَلْبُ رِيحِي حِينَ خَالَطَنِي وَكَانَ يَأْلَفُ رِيحَ الزُّقِّ وَالْقَارِ
قال الأصمعي : ذكر لأبي أيوب هؤلاء الذين يتقشّفون ، فقال : ما علمتُ أن القَدَرِ
والذَّفَرِ مِنَ الدِّينِ .

رِيحُ الْكَلْبِ مَثَلٌ فِي النَّتَنِ ، قال الشاعر :

رِيحُهَا رِيحُ كَلَابٍ هَارِشَتْ فِي يَوْمٍ ظَلٌّ

وقال آخر :

يَزْدَادُ لَوْ مَا عَلَى الْمَدِيحِ كَمَا يَزْدَادُ نَتْنُ الْكَلَابِ فِي الْمَطْرِ

وقالت امرأة امرئ القيس له وكان مُفَرَّكاً عند النساء : إذا عرقت عرقت بريح
كَلْب . قال : صدقتِ ، إنَّ أهلي أرضعوني مرّةً بلبن كلبه .

قال سلمة بن عيَّاش ، يقول لجعفر بن سليمان :

فما شَمُّ أنفى رِيحٍ كَفِّ رأيتها من الناس إلا رِيحَ كَفِّكَ أَطيبُ

فأمر له بألف دينار ومائة مثقال من المسك ومائة مثقال من العنبر .

وجَّه عمرُ إلى مَلِكِ الرُّومِ بريدًا فاشترت أمُّ كلثوم امرأة عمر طيباً بدنانير وجعلته
في قارورتين وأهدتهما إلى امرأة ملك الرُّوم ، فرجع البريد إليها ومعه ملء القارورتين
جواهر ، فدخل عليها عمر ، وقد صبَّت الجواهر في حجرها ، فقال : من أين لك هذا ؟
فأخبرته ، فقبض عليه ، وقال : هذا للمسلمين ؛ قالت : كيف وهو عَوْضُ هديتي ! قال :
يبنى وبينك أبوك ، فقال علىَّ عليه السلام : لك منه بقيمة دينارك ، والباقي للمسلمين
جملة لأن بريد المسلمين حمَّله :

قيل لخديجة بنت الرشيد : رُسِّلَ العباس بن محمد على الباب ، معهم زنبيل يحمله
رجلان . فقالت : تراه بعث إليَّ باقلاء؟ فكشف الزنبيل عن جرّة مملوءة غالية فيها مسحاة
من ذهب ، وإذا برُقعة : هذه جرّة أصيبتْ هي وأختها في خزانِ بني أميّة ، فأما
أختها فغَلَبَ عليها الخلفاء ، وأما هذه فلم أرَ أحداً أحقَّ بها منك .

الأضل :

ضَعُ فَخْرَكَ ، وَاحْطُ كِبْرَكَ ، وَادْكُرْ قَبْرَكَ .

الشُّرُخُ :

قد تقدّم القولُ في العجب والكبر والفخر .

[نبذمّا قيل في التّيه والفخر]

في الحديث المرفوع : « إنّ الله قد أذهب عنكم عيبة الجاهليّة وفخرها بالآباء ، الناسُ لآدم ، وآدمُ من تراب ، مؤمنٌ تقى ، وفاجرٌ شقى ، لينتهين أقوامٌ يتفakhرون برجالٍ إنّما هم فحمٌ من فحم جهنّم أو ليكوننّ أهونَ على الله من جُمَلات^(١) تدفع النَّتنُ بأنفها » .

ومن وصيّته صلى الله عليه وآله إلى عليّ عليه السلام : « لا فقر أشدّ من الجهل ، ولا وحشة أفحش من العُجب » .

أتى وائلُ بنُ حُجر النّبىّ صلى الله عليه وآله فأقطعه أرضاً ، وأمر معاوية أن يمضى معه فيريّه الأرض ويعرضها عليه ، ويكتبها له ، فخرج مع وائل في هاجرة

(١) الجملات : جمع جعل ؛ بضم ففتح : دويبة معروفة تغشى الأمكنة القذرة .

شاوية ، ومشى خلف ناقته فأحرقته الرَّمضاء ، فقال : أردفتني : قال : لست من أزد الملوك ، قال : فادفع إليّ نعليك ، قال : ما بخل يمنعني يا بن أبي سُفْيَان ، ولكن أكره أن يبلغ أقبال^(١) . ألين أنك لبست نعلي ، ولكن امش في ظلّ ناقتي فحسبك بذلك شرفا ، ويقال : إنّه عاش حتى أدرك زمن معاوية فأجلسه معه على سريريه .

قيل لحكيم : ما الشيء الذي لا يحسن أن يقال وإن كان حقا ؟ فقال : الذنير حبس هشامُ بنُ عبد الملك الفرزدقَ في سجن خالد بن عبد الله القسريّ ، فوفد جرير إلى خالد ليشفع فيه ، فقال له خالد : ألا يسرك أن الله قد أخزى الفرزدقَ ؟ فقال : أيّها الأمير ، والله ما أحبّ أن يخزيه الله إلّا بشعري ، وإِنّما قدمتُ لأشفع فيه . قال : فاشفع فيه في ملأ ليكون أخزى له^(٢) ، فشفع فيه ، فدعاه فقال : إني مُطلقك بشفاعتي جرير ، فقال : أسيرُ قسريّ ، وطلّيقُ كلبيّ ، فبأى وجه أفاخر العربَ بعدها ! ردّني إلى السّجن .

ذكر أعرابيّ قوما فقال : مانالوا بأناملهم شيئا إلّا وقد وطئناه بأخامص أقدامنا ، وإن أقصى مُناهم لأدنى فعالنا .

نظر رجل إلى بعض ولد أبي موسى يَحْتال في مشيته ، فقال : ألا ترون مشيته ؟ كأنّ أباه خدع عمرو بن العاص !

سمع الفرزدق أبا بُردة يقول : كيف لا أتبختر وأنا ابن أحد الحكمين ، فقال : أحدهما مائق ، والآخر فاسق ، فكن ابن أيّهما شئت .

نظر رسول الله صلى الله عليه وآله إلى أبي دُجّانة وهو يتبختر بين الصّفين ، فقال : « إنّ هذه مشية يبغضها الله إلّا في هذا الوطن » .

(١) الأقبال : جمع قيل ؛ وهو الملك . (٢) في د : « أذل له » ؛ وهو مستقيم أيضاً .

لما بلغ الحسن بن عليّ عليه السلام قول معاوية : إذا لم يكن الهاشمي جوادا والأمويّ
 حلما والعواميّ شجاعا والخزوميّ تيّها لم يشبهوا آباءهم ؛ فقال : إنه والله ما أراد بها
 النصيحة ، ولكن أراد أن يُفنيّ بنو هاشم مافي أيديهم فيحتاجوا إليه ، وأن يشجعوا بني
 العوام فيقتلوا ، وأن يتيه بنو مخزوم فيمقتوا ، وأن يحلم بنو أمية فيحبّهم الناس .
 كان قاضي القضاة محمد بن أبي الشوارب الأمويّ تائها ، فهجّاه عبدُ الأعلى
 البصريّ فقال :

إني رأيتُ محمداً متشاوراً مستصغراً لجميع هذي الناس^(١)
 ويقول لما أن تنفّس خالياً نفساً له يعلو على الأنفاسِ
 ويح الخلافة في جوانب لحيتي تستنّ دون ليحيى بني العباسِ !
 بعض الأموية :

إذا تائه من عبدٍ شمسٍ رأيتُهُ يتيهُ فرشحه لكلِّ عظيمٍ
 وإن تاهَ تيّادٌ سواه فإنه يتيهُ لحقٍ أو يتيه لُلومِ
 لبعض الأموية أيضاً :

ألسنا بنى مروان كيف تبدلتُ بنا الحالُ أودارت علينا الدوائرُ !
 إذا وُلد المولود منا تهلّتُ له الأرض واهتزّت إليه المنابرُ
 بعض التياهيّين :

أتيةُ على إنسٍ البلاد وجنّها ولو لم أجد خلقاً أتيةُ على نفسى
 أتية فلا أدرى من التّيه من أنا سوى من يقول الناسُ فيّ وفي جنسى
 فإن زعموا أنّي من الإنس مثلهم فإلى عيبٍ غير أنّي من الإنس

(١) المتشاورس : المختال عجباً وكبراً ..

بعض العلوية :

لقد نازعنا من قريش عصابة بَمَطَّ خُدُودٍ وامتدادِ أصابعٍ
فلما تنازعنا الفَخَّارَ قَضَى لنا عليهم بما نهوى نداء الصوامع
ترانا سُكُوتاً والشَّهيدُ بفضلنا عليهم أذانُ الناسِ في كلِّ جامع
بأن رسول الله لا شكَّ جدُّنا وأنَّ بَنيهِ كالنجوم الطوالع

كان عُمارة بن حمزة بن ميمون مولى بنى العباس مثلاً فى التَّيِّه ؛ حتَّى قيل : أتَيْهِ
من عُمارة . وكان يتولَّى دواوينَ السَّفاحِ والنَّصُور ، وكان إذا أخطأ مضى على خطئه
تَكَبُّراً عن الرجوع ، ويقول : نَقَضَ وإبرام فى حالة واحدة ، الإصرار على الخطأ
أهون من ذلك .

وافتخرت أمَّ سلمة الحزومِيَّة امرأةُ السَّفاح ذاتَ ليلة بقومها على السَّفاح ، وبنو
مُحْزُومٍ يُضْرَبُ بهم المَثَلُ فى الكِبَرِ والتَّيِّه ، فقال : أنا أُحْضِرُكَ السَّاعَةَ على غير أَهْبَةِ
مولى من موالىِّ ليس فى أهلك مثله ، فأرسل إلى عُمارة ، وأمر الرسول أن يُعْجِلَه عن
تغييرِ زِيَّه ، فجاء على الحال التى وجده عليها الرسول فى ثياب ممسَّكة مزرَّرة بالذهب ،
وقد غُلِّفَ لحيته بالغالية حتَّى قامت ، فرمى إليه السَّفاح بِمُدَّهَن ذهب مملوء غالية ، فلم
يلتفت إليه ، وقال : هل ترى لها فى لحيته موضعاً ؟ فأخرجت أمَّ سلمة عِقْداً لها ثميناً ،
وأمرت خادماً أن يضعه بين يديه ، فقام وتركه ، فأمرت الخادِمَ أن يتَّبِعَه به ، ويقول :
إنَّها تسألك قبولَه ، فقال للخادم : هو لك ، فأنصَرَفَ بالعِقدِ إليها ، فأعطت الخادِمَ
فكاكه عشرة آلاف دينار ، واسترجعته ، وعجبت من نفس عُمارة ، وكان عُمارة لا يذلل
للخُلَفاء وهم مواليه وَيَتِيهِ عليهم .

نظر رجل إلى المَهْدَى ويده فى يد عُمارة ، وهما يَمْسِيان ، فقال : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ

مَنْ هَذَا؟ قال: هذا أخى، وابن عمى عُمارة بن حَمْزة، فلما رى الرجل ذكر المهديّ
الكلمة كالمزاح لعمارة، فقال عُمارة: والله لقد أنتظرت أن تقول: مولاى فأنفُض
يدى من يدِكَ، فتبسّم المهديّ.

وكان أبو الرّبيع الغنوىّ أعرابيّاً جافياً تيّها شديد الكبر، قال أبو العباس المبرّد
فى الكامل: فذكر الجاحظ أنّه أتاه ومعه رجل هاشمىّ، قال: فنأديتُ: أبو الرّبيع هنا؟
فخرج إلىّ وهو يقول: خرج إليك رجلٌ أكرم الناس، فلما رأى الهاشمىّ استحيّاً وقال:
أكرمُ الناسِ رديفاً، وأشرفهم حليفاً^(١) - أراد بذلك أبا مرثد الغنوىّ، لأنّه كان
رديفَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله وحليفَ أبى بكر - قال: حدّثنا ساعة ثمّ نهض
الهاشمىّ فقلت له: مَنْ خير الخلق؟ قال: الناس والله، قلت: مَنْ خيرُ الناس؟ قال:
العرب والله؛ قلت: فمَنْ خيرُ العرب؟ قال: مُضَر والله؛ قلت: فمَنْ خيرُ مُضَر؟
قال: قيس والله؛ قلت: فمَنْ خير قيس؟ قال: يَعْصُر والله، قلت: فمَنْ خير يَعْصُر، قال:
غنىّ والله، قلت: فمَنْ خيرُ غنىّ؟ قال: المخاطبُ لك والله؛ قلت: أفأنتَ خيرُ الناس؟
قال: إى والله؛ قلت: أيسرُك أن تكون تحتك أُمّة يزيد بن المهلب؟ قال: لا والله
قلت: ولك ألف دينار؛ قال: لا والله؛ قلت: فألفا دينار؛ قال: لا والله؛ قلت: ولك
الجَنّة، قال: فأطرق ثمّ قال: على ألاّ تلدّ مَتى، ثمّ أنشد:

تَأْبَى لِيَعْصُرَ أَعْرَاقُ^(٢) مَهْدَبَةٌ من أن تُناسِبَ قومًا غيرَ أكفاء
فإن يكن ذاكَ حتماً لا مرَدَّ له فأذكر حذيفَ فإنى غيرُ أباءٍ^(٣)

(١) قال أبو العباس: قوله: « وأشرفهم حليفاً »؛ كان أبو مرثد حليف حمزة بن عبد المطلب.

(٢) فى د: « أخلاق » والمعنى عليه يستقيم أيضاً.

(٣) قال أبو العباس: « قوله: « فأذكر حذيف »؛ أراد حذيفة بن بدر الفزارى؛ وإنما ذكره من
بين الأشراف لأنه أقربهم إليه نسباً؛ وذاك يعصر بن سعد بن قيس، وهؤلاء بنو ريث بن غطفان بن
سعد بن قيس.

أراد حذيفة بن بدر الفزاري ، وكان سيّد قيس في زمانه ^(١) .

رأى عمر رجلا يمشي مُرخياً يديه ، طارحاً رجليه ، يتبختر ، فقال له : دع هذه المشية ، فقال : ما أطيق ، فجَلده ثمّ خلّاه ، فترك التبختر ، فقال عمر : إذا لم أجلد في هذا فقيم أجلد ؛ فجاءه الرجل بعد ذلك فقال : جزاك الله يا أمير المؤمنين خيرا ، إن كان إلا شيطانا سُلّط علىّ فأذهبه الله بك .

(١) الكامل ٢ : ٢٠٥ ، ٢٠٦

(٤٠١)

الأفضل :

خُذْ مِنَ الدُّنْيَا مَا أَتَاكَ ، وَتَوَلَّ عَمَّا تَوَلَّى عَنْكَ ، فَإِنْ أَنْتَ لَمْ تَفْعَلْ فَأَجِلْ
فِي الطَّلَبِ .

الشرح :

كان يقال : اجعل الدنيا كفرًا يم السوء حصّل منه ما يرضخ لك به ، ولا تأس على
مادفعك عنه ؛ ثمّ قال عليه السلام : فإن لم تفعل فأجل في الطلب ، وهي من الألفاظ
النبويّة : « لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، فأجلوا في الطلب »
قيل لبعض الحكماء : ما الغنى ؟ فقال : قلّة تمنّيك ، ورضاك بما يكفيك .

الأفضل :

رُبَّ قَوْلٍ ، أَفْعَدُ مِنْ صَوْلِ .

الشنخ :

قد قيل هذا المعنى كثيرا ، فمنه قولهم :

* والقولُ يَنْفَعُ مَالًا تَنْفَعُ الْإِبْرُ *

ومن ذلك : القولُ لَا تَمْلِكُكَ إِذَا نَمَا ، كالتَّهْم لَا تَمْلِكُكَ إِذَا رَمَى ، وقال الشاعر :

وقافيةٍ مثلِ حَدِّ السَّنا نِ تَبْقَى وَيَذْهَبُ مَنْ قَالَهَا

تَخَيَّرْتُهَا ثُمَّ أَرْسَلْتُهَا وَلَمْ يُطِيقِ النَّاسُ إِرسَالَهَا

وقال محمود الوراق :

أَتَانِي مِنْكَ مَا لَيْسَ عَلَى مَكْرُوهِهِ صَبْرُ

فَأَغْضَيْتُ عَلَى عَمْدٍ وَكَمْ يُفْضِي الْفَتَى الْحُرُ

وَأَدْبَتُكَ بِالْهَجْرِ فَمَا أَدْبَكَ الْهَجْرُ

وَلَا رَدَّكَ عَمَّا كَا نَ مِنْكَ الصَّفْحُ وَالْبِرُ

فَلَمَّا اضْطَرَّنِي الْمَكْرُو هُ وَاشْتَدَّ بِي الْأَمْرُ

تَنَاوَلْتُكَ مِنْ شِعْرِي بِمَا لَيْسَ لَهُ قَدْرُ

فَحَرَّكَتَ جَنَاحَ الضَّرِّ لَمَّا مَسَّكَ الضَّرُّ

إِذَا لَمْ يُصْلَحِ الْخَيْرُ أَمْ رَأَى أَصْلَحَهُ الشَّرُّ

وقال الرضى رحمه الله :

سَامَضْعُ بِالْأَقْوَالِ أَعْرَاضُ قَوْمِكُمْ
يُرَى لِلْقَوَافِي وَالسَّمَاءِ جَلِيَّةٌ
وقال أيضا :

كَمَمْتُ لِسَانِي أَنْ يَقُولَ وَإِنْ يَقُلْ
وَإِنْ بُرُودًا لِلْمَخَازِي مَعْدَّةٌ
قَلَانْدٌ فِي الْأَعْنَاقِ بِالْعَارِ لَا تَهْيِ
إِذَا صَلَّصْتَ بَيْنَ الْقَنَا قَضَّتْ الْقَنَا
فَقُلْ فِي الْجِرَازِ الْعَضْبُ إِنْ فَارَقَ الْغِمْدُ (١)
فَمَنْ شَاءَ مِنْ ذَا الْحَيِّ أَصْحَبْتُهُ بُرْدًا
عَلَى مَرٍّ أَيَّامَ الزَّمَانِ وَلَا تَصْدَا
وَإِنْ زَفَرْتُ فِي السَّرْدِ قَطَعْتَ السَّرْدَا (٢)

(١) ديوانه : ٣١٢

(٢) ديوانه ١ : ٣٠٩ كعمت : شددت . والجراز العضب : السيف القاطع .

(٣) صلصت : صوّتت . والسرد : الدروع

(٤٠٣)

الأصل :

كلُّ مُقْتَصِرٍ عَلَيْهِ كَافٍ .

الشرح :

هذا من باب القناعة ، وإنَّ من أقتصر على شيء وقتعت به نفسه فقد كفاه ، وقام مقام الفضول التي يرغب فيها المتزفون ؛ وقد تقدّم القول في ذلك .

الأضل :

الْمَنِيَّةُ وَلَا الدَّيْنِيَّةُ ، وَالتَّقَلُّ وَلَا التَّوَسُّلُ .

الشَّيْخُ :

قد تقدّم من كلامنا في هذا الباب شيء كثير ، وقال الشاعر :

أَقْسِمُ بِاللّهِ لَمَصُّ النّوَى	وشربُ ماءِ القُلُبِ المالحه ^(١)
أَحْسَنُ بِالْإِنْسَانِ مِنْ ذُلِّهِ	ومن سؤال الأوجهِ الكالحه
فاسْتَفْنِ بِاللّهِ تَكُنْ ذَا غِنَى	مفتبطا بالصّفقه الرابحه
فَالزَّهْدُ عَزْزٌ وَالتَّقَى سُودٌ	وذلة النفس لها فاضحه
كَمْ سَالِمٍ صَبِيحٌ بِهِ بَقْتَةٌ	وقائلٍ عهدى به البارحه
أَمْسَى وَأَمْسَتْ عِنْدَهُ قَيْنَةٌ	وأصبحت تنذبه نائمته
طَوْبَى لِمَنْ كَانَتْ مَوَازِينُهُ	يومَ يلاقى ربّه راجعه

وقال أيضا :

لَمَصُّ الثَّمَادِ وَخَرْطُ الْقَتَادِ	وشربُ الخُجّاجِ أو ان الظمى
عَلَى الْمَرْءِ أَهْوَنُ مِنْ أَنْ يُيَسَى	ذليلاً لخلقٍ إذا أعدما
وَخَيْرُ لَعِينِيكَ مِنْ مَنْظَرٍ	إلى ما بأيدي اللّثامِ العمى

قلتُ : لحاه الله ، هلاّ قال : بأيدي الرجال !

(١) القلب بضمّين : جمع قلب ؛ وهى البئر .

(٤٠٥)

الأفضل :

مَنْ لَمْ يُعْطَ قَاعِدًا ، لَمْ يُعْطَ قَائِمًا .

السنخ :

مراده أن الرزق قد قَسَمه الله تعالى ، فمن لم يرزقه قاعدا لم يجب عليه القيام والحركة .

وقد جاء في الحديث : إِنَّهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ نَاولُ أَعْرَابِيًّا تَمْرَةً ، وَقَالَ لَهُ : « خُذْهَا فَلَوْ لَمْ تَأْتِهَا لِأَتْنُكَ » .

وقال الشاعر :

جَرَى قَلَمُ الْقَضَاءِ بِمَا يَكُونُ فسيان التحرك والسكون
جنونٌ منك أن تسعى لرزقٍ ويرزق في غشاوته الجنين

الأفضل :

الدَّهْرُ يَوْمَانِ : يَوْمٌ لَكَ ، وَيَوْمٌ عَلَيْكَ ، فَإِذَا كَانَ لَكَ فَلَا تَبْطُرْ ، وَإِذَا كَانَ عَلَيْكَ فَاصْبِرْ .

الشرح :

قديمًا قيل هذا المعنى : الدهر يومان : يوم بلاء ، ويوم رخاء . والدهر : ضربان : حَبْرَةٌ وَعَبْرَةٌ . والدهر وقتان : وقت سرور ، ووقت ثبور^(١) .

وقال أبو سفيان يوم أحد : يومٌ بيومٍ بدرٍ ، والدنيا دُول .

قال عليه السلام : فإذا كان لك فلا تَبْطُرْ ، وإذا كان عليك فاصبر .

قد تقدّم القولُ في ذمِّ البَطَرِ ومدحِ الصَّبْرِ ، ويُحْمَلُ ذَمُّ البَطَرِ هَاهُنَا عَلَى مَحْمَلَيْنِ . أَحَدُهُمَا البَطَرُ بِمَعْنَى الْأَثَرِ ، وَشِدَّةُ المَرَحِ ، يَطِرُ الرَّجُلُ بِالكَسْرِ يَبْطُرُ ، وَقَدْ أَبْطَرَهُ الْمَالُ ، وَقَالُوا : بَطَرَ فُلَانٌ مَعِيشَتَهُ ، كَمَا قَالُوا : رَشِدَ فُلَانٌ أَمْرَهُ . وَالثَّانِي البَطَرُ بِمَعْنَى الْحَيْرَةِ وَالدَّهْشِ ، أَيْ إِذَا كَانَ الْوَقْتُ لَكَ فَلَا تَقْطَعَنَّ زَمَانَكَ بِالْحَيْرَةِ وَالدَّهْشِ عَنْ شُكْرِ اللَّهِ وَمُكَافَأَةِ النِّعْمَةِ بِالطَّاعَةِ وَالْعِبَادَةِ ، وَالْمَحْمَلُ الْأَوَّلُ أَوْضَحُ .

الأصل :

إِنَّ لِلْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ حَقًّا ، وَإِنَّ لِلْوَالِدِ عَلَى الْوَلَدِ حَقًّا ، فَحَقُّ الْوَالِدِ عَلَى الْوَلَدِ أَنْ يُطِيعَهُ فِي كُلِّ شَيْءٍ إِلَّا فِي مَعْصِيَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ ، وَحَقُّ الْوَلَدِ عَلَى الْوَالِدِ أَنْ يُحَسِّنَ اسْمَهُ ، وَيُحَسِّنَ أَدَبَهُ ، وَيُعَلِّمَهُ الْقُرْآنَ .

البنخ :

أَمَّا صَدْرُ الْكَلَامِ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ : ﴿ أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَا دَيْكَ إِلَى الْمَصِيرِ ﴾ وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ (١) .

[طرائف حول الأسماء والكنى]

وأما تعاليم الوالد الولد القرآن والأدب فأمور به ، وكذلك القول في تسميته باسم حسن ؛ وقد جاء في الحديث : « تسموا بأسماء الأنبياء ، وأحبّ الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن . وأصدقها حارث وهمام . وأقبحها حرب ومرة » .

وروى أبو الدرداء عن النبي صلى الله عليه وآله : « إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم ، فأحسنوا أسماءكم »

وقال عليه السلام : « إِذَا سَمَّيْتُمْ فَعَبَّدُوا » أَيْ سَمُّوا بَنِيكُمْ عَبْدَ اللَّهِ وَنَحْوَهُ مِنْ أَسْمَاءِ
الإِضَافَةِ إِلَيْهِ عَزَّ اسْمُهُ .

وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يَغَيِّرُ - بَعْضَ الْأَسْمَاءِ ، سَمَّى أَبَا بَكْرٍ عَبْدَ اللَّهِ ،
وكان اسْمُهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ عَبْدَ الْكَعْبَةِ ، وَسَمَّى ابْنَ عَوْفٍ عَبْدَ الرَّحْمَنِ ، وَكَانَ اسْمُهُ عَبْدَ
الْحَارِثِ ، وَسَمَّى شُعْبَ الضَّلَالَةِ شُعْبَ الْهَدَى ، وَسَمَّى يَثْرِبَ طَيْبَةَ ، وَسَمَّى بَنِي الرَّيَّةِ بَنِي
الرَّشْدَةِ ، وَبَنِي مَعَاوِيَةَ بَنِي مُرْشِدَةٍ .

كان سَعِيدُ بْنُ الْمُسَيَّبِ بْنِ حَزْنٍ الْخَزَوْمِيُّ أَحَدَ الْفُقَهَاءِ الْمَشْهُورِينَ ، أَتَى جَدَّهُ
رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فَقَالَ لَهُ : مَا اسْمُكَ ؟ قَالَ : حَزْنٌ ؛ قَالَ : لَا ، بَلْ أَنْتَ
سَهْلٌ ، فَقَالَ : لَا ، بَلْ أَنَا حَزْنٌ ، عَاوَدَهُ فِيهَا ثَلَاثًا ، ثُمَّ قَالَ : لَا أَحِبُّ هَذَا الْأِسْمَ
السَّهْلَ يَوْطَأُ وَيُمْتَنَنُ ، فَقَالَ : فَانْتَ حَزْنٌ ، فَكَانَ سَعِيدٌ يَقُولُ : فَمَا زِلْتُ أَعْرِفُ
تِلْكَ الْحَزُونََةَ فِينَا .

وروى جابر عنه عليه السلام : « مَا مِنْ بَيْتٍ فِيهِ أَحَدٌ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ إِلَّا وَسَّعَ اللَّهُ عَلَيْهِ الرِّزْقَ
فَإِذَا سَمَّيْتُمُوهُمْ بِهِ فَلَا تَضْرِبُوهُمْ وَلَا تَشْتُمُوهُمْ ، وَمَنْ وُلِدَ لَهُ ثَلَاثَةٌ ذُكُورٌ وَلَمْ يَسْمَعْ أَحَدَهُمْ
أَحْمَدًا أَوْ مُحَمَّدًا فَقَدْ جَفَانِي » .

أَبُو هُرَيْرَةَ عَنْهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، أَنَّهُ نَهَى أَنْ يَجْمَعَ بَيْنَ اسْمِهِ وَكُنْيَتِهِ لِأَحَدٍ .

وروى أَنَّهُ أَذِنَ لَعَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي ذَلِكَ ، فَسَمَّى ابْنَهُ مُحَمَّدَ بْنَ الْحَنْفِيَّةِ
مُحَمَّدًا ، وَكُنَاهُ أَبَا الْقَاسِمِ .

وَقَدْ رُوِيَ أَنَّ جَمَاعَةً مِنْ أَبْنَاءِ الصَّحَابَةِ جُمِعَ لَهُمْ بَيْنَ الْأِسْمِ وَالْكُنْيَةِ .

وَقَالَ الزُّنْجَرِيُّ : قَدْ قَدَّمَ الْخُلَفَاءُ وَغَيْرُهُمْ مِنَ الْمُلُوكِ رِجَالًا بِحُسْنِ أَسْمَائِهِمْ ، وَأَقْصَوْا
قَوْمًا لَشَنَاعَةِ أَسْمَائِهِمْ ، وَتَعَلَّقَ الْمَدْحُ وَالذَّمُّ بِذَلِكَ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْأُمُورِ .

وفي رسالة الجاحظ إلى أبي الفرج نجاح بن سلمة : قد أظهر الله في أسمائكم وأسماء آبائكم وكنائكم وكفى أجدادكم من برهان الفأل الحسن ، ونفى طيرة السوء ، ما جمع لكم صنوف الأمل ، وصرف إليكم وجوه الطلب ، فأسماءكم وكنائكم بين فرج ونجاح ، وسلامة وفضل ، ووجوهكم وأخلاقكم وفق أعراقكم وأفعالكم ، فلم يضرب التفاوت فيكم بنصيب .

أراد عمر الاستعانة برجل ! فسأله عن اسمه واسم أبيه ، فقال : سراق بن ظالم ، فقال : تسرق أنت ويظلم أبوك ! فلم يستعن به .

سأل رجل رجلاً : ما اسمك ؟ فقال : بحر ؛ قال : أبو من ؟ قال : أبو الفيض ؛ قال : ابن من ؟ قال : ابن القرات ، قال : ما ينبغي لصديقك أن يلقاك إلا في زورق . وكان بعض الأعراب اسمه وثاب ، وله كلب اسمه عمرو ، فهجاه أعرابي آخر فقال :

ولو هيا له الله من التوفيق أسبابا
لسمى نفسه عمراً وسمى الكلب وثابا

قالوا : وكلما كان الاسم غريباً كان أشهر لصاحبه وأمنع من تعلق النبز^(١) به قال رؤبة :

قد رفع العجاج ذكرى فادعني باسمي إذا الأسماء طالت تكفيني
ومن ها هنا أخذ المعري قوله يمدح الرضي والمرضى رحمهما الله :

أنتم ذوو النسب القصير فطولكم باد على الكبراء والأشراف^(٢)
والراح إن قيل ابنة العنب اكتفت بأب عن الأسماء والأوصاف

(١) النبز : أن يلقب الإنسان بما يكره (٢) سقط الزند ١٣٠٢

وسأل النّسابة البكرى رؤية عن نسبه ولم يكن يعرفه ، قال : أنا ابن العجاج ؛
قال : قصرت وعرفت .

صاح أعرابيّ بعبد الله بن جعفر : يا أبا الفضل ! قيل : ليست كنيته ، قال : وإن
لم تكن كنيته فإنّها صفته . نظر عمرُ إلى جارية له سوداء تبكى فقال : ما شأنك ؟
قالت : ضربني ابنك أبو عيسى ، قال : أوقد تكفيّ بأبي عيسى ! علىّ به ، فأحضره ،
فقال : ويحك ! أكان لعيسى أب فتكفيّ به ! أتدري ما كفيّ العرب ! أبو سلمة ،
أبو عرفة ، أبو طلحة ، أبو حنظلة ، ثمّ أدبه .

لما أقبل قحطبة بن شبيب نحو ابن هبيرة أراد ابن هبيرة أن يكتب إلى
مروان بنجره ، وكره أن يسميه ، فقال : اقلّبوا اسمه ، فوجدوه هبط حقّ ، فقال :
دعوه على هيئته .

قال برصوما الزامر لأمه : ويحك ! أما وجدت لي اسماً تسبيني به غير هذا ! قالت :
لو علمت أنّك تجالس الخلفاء والملوك سميتك يزيد بن مزيد .

قيل لبعض صبيان الأعراب : ما اسمك ؟ قال : قراد ، قيل : لقد ضيقَ أبوك
عليك الاسم ، قال : إن ضيقَ الاسمَ لقد أوسع الكنية ، قال : ما كُنتك ؟
قال : أبو الصحاري .

نظر المأمونُ إلى غلامٍ حسن الوجه في الموكب ، فقال له : يا غلام ، ما اسمك ؟ قال :
لا أدري ، قال : أو يكون أحد لا يعرف اسمه ؟ فقال : يا أمير المؤمنين ، اسمي الذي
أعرف به « لا أدري » ؛ فقال المأمون :

وسُميت لا أدري لأنك لا تدري بما فعل الحبُّ المبرح في صدري

ولد لعبد الله بن جعفر بن أبي طالب ولدٌ ذكر ، فبُشِّر به وهو عند معاوية

ابن أبي سُفيان ، فقال له معاوية : سَمِّهَ بِاسْمِي وَلَكَ مِائَةُ أَلْفِ دِرْهَمٍ ؛ فَسَمَّاهُ مَعَاوِيَةَ ، فَدَفَعَهَا إِلَيْهِ ، وَقَالَ اشْتَرِ بِهَا لِسَمِيِّ ضَيْعَةً .

وَمِنْ حَدِيثِ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « إِذَا سَمَّيْتُمْ الْوَلَدَ مُحَمَّدًا فَخَا كَرِمُوهُ ، وَأَوْسِعُوا لَهُ فِي الْمَجَاسِ ، وَلَا تَقْبَحُوا لَهُ وَجْهًا » .

وَعَنْهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « مَا مِنْ قَوْمٍ كَانَتْ لَهُمْ مَشُورَةٌ فَحَضَرَ مَعَهُمْ عَلَيْهَا مَنْ اسْمُهُ مُحَمَّدٌ أَوْ أَحْمَدُ فَأَدْخَلُوهُ فِي مَشُورَتِهِمْ إِلَّا خَيْرَ لَهُمْ ؛ وَمَا مِنْ مَائِدَةٍ وُضِعَتْ فَخَضَرَ عَلَيْهَا مِنْ اسْمِهِ مُحَمَّدٌ أَوْ أَحْمَدُ إِلَّا قُدِّسَ ذَلِكَ الْمَنْزِلُ فِي كُلِّ يَوْمٍ مَرَّتَيْنِ » .

مِنْ أَيْيَاتِ الْمَعَانِي :

وَحَلَّتْ مِنْ مَضَرٍ بِأَمْنٍ ذُرْوَةٌ مَنَعَتْ بِحَدِّ الشُّوكِ وَالْأَحْجَارِ

قَالُوا : يَرِيدُ بِالشُّوكِ أَخْوَالَهُ ، وَهُمْ قَتَادَةُ وَطَلْحَةُ وَعَوْسَجَةٌ ، وَبِالْأَحْجَارِ أَعْمَامَهُ ، وَهُمْ صَفْوَانٌ وَفَهْرٌ وَجَنْدَلٌ وَصَخْرٌ وَجَرُولٌ .

سَمَّى عَبْدُ الْمَلِكِ ابْنًا لَهُ الْحَجَّاجَ لِحُبِّهِ الْحَجَّاجَ بْنَ يَوْسُفَ وَقَالَ فِيهِ :

سَمَّيْتُهُ الْحَجَّاجَ بِالْحَجَّاجِ النَّاصِحِ الْمَكَاشِفِ الْمُدَاجِي

اسْتَأْذِنَ الْجَاهِظُ وَالشَّكَّاكُ - وَهُوَ مِنَ الْمُتَكَلِّمِينَ - عَلَى رَأْسِ ، فَقَالَ الْخَادِمُ لِمَوْلَاهُ : الْجَاهِدُ وَالشَّكَّاكُ ، فَقَالَ : هَٰذَا مِنَ الزَّانِقَةِ لَا مَحَالَةَ ! فَصَاحَ الْجَاهِظُ : وَيْحَكَ ! ارْجِعْ قَلَّ : الْحَدِيقُ بِالْبَابِ - وَبِهِ كَانَ يُعْرَفُ - فَقَالَ الْخَادِمُ : الْحَلَقِيُّ بِالْبَابِ ، فَصَاحَ الْجَاهِظُ : وَيْلَكَ ! ارْجِعْ إِلَى الْجَاهِدِ .

جَمَعَ ابْنُ دُرَيْدٍ ثَمَانِيَةَ أَسْمَاءَ فِي بَيْتٍ وَاحِدٍ فَقَالَ :

فَنِعْمَ أَخُو الْجُلَى وَمُسْتَنْبِطُ النَّدَى وَمَلْجَأُ مَكْرُوبٍ وَمَفْزَعُ لَاهِثٍ ^(١)

عِيَاذُ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْجَلِيسِ بْنِ جَابِرٍ بْنِ زَيْدِ بْنِ مَنْظُورِ بْنِ زَيْدِ بْنِ وَارِثِ

(١) الْحَدِيقُ ، مِنْ أَلْقَابِ الْجَاهِظِ .

قال محمد بنُ صدقة المقرئ لميوتَ بن المزرع: صدق الله فيك اسمك ! فقال له: أحوَجَك الله إلى اسم أبيك .

سأل رجلٌ أبا عبيدة عن اسم رجلٍ من العرب ، فلم يَعْرِفه ، فقال : كَيْسَانُ غلامُهُ : أنا أعرَفُ الناس به ، هو خِراش أو خِدَاش أو رياش ^(١) أو شَيْءٌ آخر ، فقال أبو عبيدة : ما أحسنَ ما عرفته يا كَيْسَان ! قال : إِي والله ، وهو قرشيٌّ أيضاً ، قال : وما يدُرِيكَ به ؟ قال : أما ترى كيف احتوشته الشينات من كلِّ جانب ! قال الفرزدق :

وقد تَلْتَقِي الأسماءُ في النَّاسِ والْكُنَى كثيرا ولكنَّ مِيْزُوا في الخلائقِ ^(٢)

رَأَى الإسْكَندَرُ في عسكره رجلا لا يزال يَنْهَزِمُ في الحرب ، فسأله عن اسمه ؟ فقال : اسْمِي الإسْكَندَر ، فقال : يا هذا ، إمَّا أن تغيِّرَ اسمك ، وأما أن تغيِّرَ فعلك .

قال شيخنا أبو عثمان: لولا أنَّ القدماء من الشعراء سَمَّتِ الملوكَ وكنَّتها في أشعارها ، وأجازتْ واصطاحت عليَّه ما كان جزاء مَنْ فعل ذلك إلا العقوبة ؛ على أنَّ ملوك بني سَامَانَ لم يُكَنَّها أحد من رعاياها قط ، ولا سَمَّها في شعر ولا خُطبة ، وإنما حَدَثَ هذا في ملوك الحيرة . وكانت الجُفَاءُ من العرب لسوء أدبها وغلظ تركيبها إذا أتوا النبيَّ صَلَّى الله عليه وسلم خاطبوه باسمه وكنيته ، فأما أصحابه فكانت مخاطبتهم له : يا رسولَ الله ؛ وهكذا يجب أن يقال للملك في المخاطبة : يا خليفة الله ، ويا أمير المؤمنين .

وينبغي للدَّاخِلِ على الملك أن يتلطَّفَ في مراعاة الأدب ، كما حكى سعيدُ بن مُرَّة الكنديّ ، دخل على معاوية فقال : أنت سعيد ؟ فقال: أمير المؤمنين السعيد ، وأنا ابن مُرَّة . وقال المأمون للسَّيِّد بن أنس الأزدِيّ : أنت السيِّد ؟ فقال : أنت السيِّد يا أمير المؤمنين ، وأنا ابن أنسٍ .

(١) ب : « دياس » . (٢) ديوانه ٥٧٨ ، وروايته : « ولكن لا تلاق الخلائق » .

شاعر :

لَعَمْرُكَ مَا الْأَسْمَاءُ إِلَّا عِلَامَةٌ مَنَارٌ وَمِنْ خَيْرِ الْمَنَارِ ارْتِفَاعُهَا
كَانَ قَوْمٌ مِنَ الصَّحَابَةِ يَخَاطِبُونَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ: « يَا نَبِيَّ اللَّهِ » بِالْهَمْزَةِ ،
فَأَنكَرَ ذَلِكَ وَقَالَ : « لَسْتُ بِنَبِيِّ اللَّهِ ، وَلَكِنِّي نَبِيُّ اللَّهِ » .
وَكَانَ الْبَحْتَرِيُّ إِذَا ذَكَرَ الْخُلُوعِيَّ الشَّاعِرَ يَقُولُ : ذَاكَ الْفَتْحُ الْعَمِيُّ .
وَكَانَ صَاحِبُ رَبِيعٍ يَتَشَبَّعُ ، فَارْتَفَعَ إِلَيْهِ خَصْمَانُ : اسْمُ أَحَدِهِمَا عَلِيٌّ ، وَالْآخَرُ
مَعَاوِيَةُ ، فَانْحَنَى عَلَى مَعَاوِيَةَ فَضْرَبَهُ مِائَةَ سَوْطٍ مِنْ غَيْرِ أَنْ اتَّجَهَتْ عَلَيْهِ حِجَّةٌ ، فَفِطِنَ مِنْ
أَيْنَ أَتَى ! فَقَالَ : أَصْلَحَكَ اللَّهُ ! سَلْ خَصْمِي عَنْ كُنْيَتِهِ ، فَإِذَا هُوَ أَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ -
وَكَانَتْ كُنْيَةُ مَعَاوِيَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ - فَبَطَّحَهُ وَضْرَبَهُ مِائَةَ سَوْطٍ ، فَقَالَ لِصَاحِبِهِ : مَا أَخَذْتَهُ
مَنَى بِالْإِسْمِ اسْتَرْجَعْتُهُ مِنْكَ بِالْكُنْيَةِ .

الأصل :

الْعَيْنُ حَقٌّ ، وَالرُّقَى حَقٌّ ، وَالسَّحَرُ حَقٌّ ، وَالْفَأَلُ حَقٌّ . وَالطَّيْرَةُ لَيْسَتْ بِحَقٍّ ،
وَالْعَدْوَى لَيْسَتْ بِحَقٍّ . وَالطَّيْبُ نُشْرَةٌ ، وَالْعَسَلُ نُشْرَةٌ ، وَالرُّكُوبُ نُشْرَةٌ ^(١) ،
وَالنَّظَرُ إِلَى الْخُضْرَةِ نُشْرَةٌ .

الشَّرْحُ :

ويروى : « والفعل نُشْرَةٌ » بالعين المعجمة ، أى التطهير بالماء .

[أقوال فى العين والسحر والفأل والعدوى والطيرة]

وقد جاء فى الحديث المرفوع : « الْعَيْنُ حَقٌّ ، ولو كان شئ يسبق القدر لسبقته
العين ، وإذا استغسلتم فاغسلوا » ؛ قالوا فى تفسيره : إنهم كانوا يطلبون من العائن أن
يتوضأ بماء ثم يسقى منه العين ^(٢) ويفتسل بسائره .

وفى حديث عائشة : « العين حق كما أن محمد حق » .

والحكماء فى تعليل ذلك قول لا بأس به ، قالوا : هذا عائد إلى نفس العائن ،
وذلك لأن الهوى مطيعة للأنفس ، متأثرة بها ؛ ألا ترى أن نفوس الأفلاك تؤثر
فيها بتعاقب الصور عليها ! والنفوس البشرية من جوهر نفوس الأفلاك ، وشديدة
الشبه بها ؛ إلا أن نسبتها إليها نسبة السراج إلى الشمس ، فايست عامة التأثير ، بل
تأثيرها فى أغلب الأمر فى بدنها خاصة ، ولهذا يحصى مزاج الإنسان عند الغضب ،

(٢) العين : الميون ، أى المصاب بالعين

(١) النشرة : كالعوذة والرقية .

يستعدّ للجِماع عند تصوّر النفس صورةَ المَعشوق ، فإذا قد صار تصوّر النفس مؤثراً فيما هو خارجٌ عنها ؛ لأنها ليست حالةً في البدن ، فلا يُستبعد وجود نفس لها جوهر مخصوص مخالفٌ لغيره من جواهر النفوس تؤثر في غير بدنها ، ولهذا يقال : إن قوماً من الهند يُقتلون بالوَهْم ؛ والإصابة بالعين من هذا الباب ، وهو أن تستخسِن النفس صورةً مخصوصة وتتعجّب منها ، وتكون تلك النفس خبيثة جداً ؛ فينفعل جسمُ تلك الصورة طيعاً لتلك النفس كما ينفعل البدن للسم .

وفي حديث أمّ سلمة أن رسول الله صلى الله عليه وآله رأى في وجهه جارية لها سَعَفَةٌ^(١) ، فقال : « إن بها نظرةً فاسترقوا لها » .

وقال عوف بن مالك الأشجعيّ : كنّا نرقى في الجاهليّة ، فقلت : يا رسول الله ، ماترَى في ذلك ؟ فقال : « اعرضوا على رُقام فلا بأس بالرُقَى ما لم يكن فيها شرك » .
كان ناسٌ من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله في سفرٍ ، فمرّوا بحَيٍّ من أحياء العرب ؛ فأستضافوهم فلم يُضيفوهم وقالوا لهم : هل فيكم من راقٍ ، فإن سيّد الحَيّ لدِيع ؟ فقال رجل منهم : نعم ، فأتاه فرّقه بفتحة الكتاب فبرئ ، فأعطى قطيعاً من الغنم ، فأبى أن يقبّلها حتّى يأتى رسول الله صلى الله عليه وآله ، فذكر ذلك لرسول الله صلى الله عليه وآله ، وقال : وعيشك مارقيتُهُ إلا بفتحة الكتاب ، فقال : « ما أدراك إنّها رُقِيّة ! خذوا منهم ، واضربوا لي معكم بسنهم » .

وروى بُرَيْدَة ، قال : قال رسول الله صلى الله عليه وآله وقد ذُكرت عنده الطّيّرة : « مَنْ عَرَضَ لَهُ مِنْ هَذِهِ الطّيّرة شَيْءٌ فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ لَا طَيْرَ إِلَّا طَيْرُكَ ، وَلَا خَيْرَ إِلَّا خَيْرُكَ ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُكَ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ » .

وعنه عليه السلام : « ليس منّا من تطيّر أو تطيّره ، أو تكهن أو تُكهن له » .

(١) السعفة : قروح تخرج على رأس الصبي . واسترقوا ، أى طلبوا من يرقبها .

أَنَسُ بْنُ مَالِكٍ يَرْفَعُهُ : « لَا عَدُوَّ وَلَا طَيْرَةَ ، وَيُعْجِبُنِي الْفَالُ الصَّالِحُ » ؛ قَالُوا : فَمَا الْفَالُ الصَّالِحُ ؟ قَالَ : الْكَلِمَةُ الطَّيِّبَةُ .

وعنه عليه السلام : « تَفَاءَلُوا وَلَا تَطَيَّرُوا » .

وَرَوَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ بُرَيْدَةَ ، عَنْ أَبِيهِ ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَانَ لَا يَتَطَيَّرُ مِنْ شَيْءٍ ، وَكَانَ إِذَا بَعَثَ عَامِلًا سَأَلَهُ عَنْ أَسْمِهِ ، فَإِذَا أَعْجَبَهُ سُرَّ بِهِ ، وَرَأَى بِشْرُ ذَلِكَ فِي وَجْهِهِ ، وَإِنْ كَرِهَ اسْمَهُ رُئِيَ تِلْكَ الْكَرَاهَةُ عَلَى وَجْهِهِ ، وَإِذَا دَخَلَ قَرْيَةً سَأَلَ عَنْ أَسْمِهَا فَإِذَا أَعْجَبَهُ ظَهَرَ عَلَى وَجْهِهِ .

بَنَى عُمَيْدُ اللَّهِ بْنُ زِيَادٍ بِالْبَصْرَةِ دَارًا عَظِيمَةً ، فَمَرَّ بِهَا بَعْضُ الْإِعْرَابِ ، فَرَأَى فِي دِهْلِيزِهَا صُورَةَ أَسَدٍ وَكَلْبٍ وَكَبْشٍ ، فَقَالَ : أَسَدٌ كَالْحِ ، وَكَبْشٌ نَاطِحٌ ، وَكَلْبٌ نَاجِحٌ ، وَاللَّهِ لَا يُمْتَنِعُ بِهَا ؛ فَلَمْ يَلْبَثْ عُمَيْدُ اللَّهِ فِيهَا إِلَّا أَيَّامًا سِيرَةً .

أَبُو هُرَيْرَةَ يَرْفَعُهُ : « إِذَا ظَنَنْتُمْ فَلَا تُحَقِّقُوا ، وَإِذَا تَطَيَّرْتُمْ فَامْضُوا ، وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا » . .
وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : « أَحْسَنْهَا الْفَالُ ، وَلَا يَرُدُّ قَدْرًا ، وَلَكِنْ إِذَا رَأَى أَحَدُكُمْ مَا يَكْرَهُ فَلْيَقُلْ : اللَّهُمَّ لَا يَأْتِي بِالْحَسَنَاتِ إِلَّا أَنْتَ ، وَلَا يَدْفَعُ السَّيِّئَاتِ إِلَّا أَنْتَ ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِكَ » .

وَقَالَ بَعْضُ الشُّعْرَاءِ :

لَا يَعْلَمُ لِلزَّمَنِ كَيْلًا مَا يُصْبِحُهُ إِلَّا كَوَاذِبُ مَا يَجْرِي بِهِ الْفَالُ

وَالْفَالُ وَالزَّجَرُ وَالْكُفَّانُ كُلُّهُمْ مُضَلَّلُونَ وَدُونَ الْغَيْبِ أَقْفَالُ

وَعَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « الْقِيَافَةُ وَالطَّرْقُ وَالطَّيْرَةُ مِنَ الْخَبَثِ » .

ابْنُ عَبَّاسٍ يَرْفَعُهُ : « مَنْ اقْتَبَسَ عِلْمًا مِنَ النُّجُومِ اقْتَبَسَ شُعْبَةً مِنَ السَّحَرِ » .

أَبُو هُرَيْرَةَ يَرْفَعُهُ : « مَنْ أَتَى كَاهِنًا فَصَدَّقَهُ فِيمَا يَقُولُ فَقَدْ بَرَّيَ مِمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ عَلَى

أَبِي الْقَاسِمِ »

شاعر :

لَعَمْرُكَ مَا تَدْرِي الطَّوَارِقُ بِالْحَصَى وَلَا زَاكِراتُ الطَّيْرِ مَا اللَّهُ صَانِعُ^(١)
وقال آخر :

لَا يَقْعِدَنَّكَ عَنْ بَغَا ۞ الْخَيْرِ تَعْقَادُ الْعِزَائِمِ^(٢)
فَلَقَدْ غَدَوْتُ وَكُنْتُ لَا أَغْدُو عَلَى رَاقٍ وَحَائِمٍ
فَإِذَا الْأَشَائِمُ كَالْأَيَا مِنْ وَالْأَيَامِنْ كَالْأَشَائِمِ
وَكَذَاكَ لَا خَيْرَ وَلَا شَرٌّ عَلَى أَحَدٍ بِدَائِمٍ

تَفَاعُلُ هِشَامُ بْنُ عَبْدِ الْمَلِكِ بَنَصْرَ بْنَ سَيَّارٍ فَقَلَّدَهُ خُرَّاسَانَ ، فَبَقِيَ فِيهَا عَشْرَ سِنِينَ .
وَتَفَاعُلُ عَامِرُ بْنُ إِسْمَاعِيلَ قَاتِلَ مَرْوَانَ بْنِ مُحَمَّدٍ بِاسْمِ رَجُلٍ لَقِيَهِ ، فَسَأَلَهُ عَنْ أَسْمِهِ ،
فَقَالَ : مَنْصُورُ بْنُ سَعْدٍ ، قَالَ : مِنْ أَىِّ الْعَرَبِ ؟ قَالَ : مِنْ سَعْدِ الْعَشِيرَةِ ، فَأَسْتَصْحَبَهُ
وَطَلَبَ مَرْوَانَ فَظَفِرَ بِهِ وَقَتْلَهُ .

وَتَفَاعُلُ الْمَأْمُونُ بِمَنْصُورِ بْنِ بَسَّامٍ فَكَانَ سَبَبَ مَكَانَتِهِ عِنْدَهُ .
قَالُوا : إِنَّمَا أَصْلُ الْيَدِ الْيُسْرَى الْعُسْرَى ؛ إِلَّا أَنَّهُمْ أَبَدَلُوا الْيُسْرَى مِنَ الْيُسْرِ تَفَاوُلًا .
مَرْزُوقُ بْنُ ضِرَارٍ :

وَإِنِّي أَمْرٌ لَا تَقْشَعِرُ ذَوَابَّتِي مِنَ الذَّنْبِ يَعْوِي وَالْغَرَابِ الْحَجَلِ
الْكُمَيْتِ :

وَلَا أَنَا مَن يَزْجُرُ الطَّيْرَ هَمَّةً أَصْحَا غَرَابًا أَمْ تَعْرِضُ ثَعْلَبُ^(٣)
وقال بعض العرب : خَرَجْتُ فِي طَلَبِ نَاقَةٍ ضَلَّتْ لِي ، فَسَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ :
وَلَنْ بَعَثَ لَهَا بُغَا ۞ فَمَا الْبَغَاُ بِوَاجِدِينَ^(٤)

(١) للبيد ، ديوانه ١٧٢ (٢) عيون الأخبار ١ : ١٤٥ ، ونسبها إلى الرقش .
(٣) الهاشميات ٣٦ . (٤) للبيد ، ديوانه ٣٢٣ .

فلم أَطَيَّرْ ومضيتُ لوجهي ، فلقيني رجلٌ قبيح الوجه به ماشئت من عاهة ؛ فلم أَطَيَّرْ
وتقدّمت فلاحَت لي أكمة ^(١) فسَمِعْتُ منها صأحاً :

* والشرُّ يلقي مطالِعَ الأكرم *

فلم أَكثَرْتُ ولا انشيتُ وعلوتُها ، فوجدتُ ناقتي قد تفاجّت ^(٢) للولادة فنتجتُها ^(٣) ،
وعدتُ إلى منزلي بها ومعها ولدها .

وقيل لعلّي عليه السلام : لا تحاربهم اليوم فإن القمر في القُرب ، فقال : قمرُنا
أم قمرُهم !

وروي عنه عليه السلام أنه كان يكره أن يسافر أو يتزوَّج في محاق ^(٤) الشهر، وإذا
كان القمر في القُرب .

وروي أن ابن عباس قال على منبر البصرة: إن الكلاب من الحنّ وإن الحنّ من
ضعفاء الحنّ ؛ فإذا غشيكم منهم شيء فآلقوا إليه شيئاً أو اطردوه ، فإن لها أنفُسَ سوء .

وقال أبو عثمان الجاحظ : كان علماء الفُرس والهند وأطبّاء اليونانيين ودُعاة العرب
وأهل التجربة من نازلة الأمصار وحُذاق المتكلمين يكرهون الأكل بين يدي السباع
يخافون عيونها للذي فيها من النهم والشرّ ، ولما ينحلّ عند ذلك من أجوافها من البخار
الردّي ، وينفصل من عيونها ممّا إذا خالط الإنسان نقض بنية قلبه وأفسده . وكانوا
يكرهون قيامَ الخدم بالمذاب والأشربة على رؤوسهم خوفاً من أعينهم وشدة ملاحظتهم
إياهم ؛ وكانوا يأمرّون بإشباعهم قبل أن يأكلوا ، وكانوا يقولون في الكلب والسنور
إمّا أن يُطرَد أو يُشغل بما يُطرح له .

(١) الأكمة : الموضع يكون أشد ارتفاعاً مما حوله ، وانظر عيون الأخبار ١ : ١٤٥ .

(٢) تفاجت : وسعت ما بين رجلها . (٣) نتجتها أي أولدتها .

(٤) المحاق مثلثة : آخر الشهر أو ثلاث ليالٍ من من آخره ، أو أن يستتر القمر فلا يرى غدوة ولا
عشية ، سمي محاقاً لأنه طلع مع الشمس فحجته .

وقالت الحكماء : نفوسُ السَّباعِ أَرْدأُ النفوسِ وأخبثُها لَفَرطِ شرِّها وشرِّها ، قالوا :
وقد وجدنا الرجل يضرب الحيَّةَ بعصا فيموت الضارب والحيَّةُ ، لأنَّ سمَّ الحيَّةِ فُصِّلَ منها
حتى خالط أحشاء الضارب وقلْبَه ، ونفذ في مَسامِّ جسديهِ .

وقد يُدِيمُ الإنسانُ النظرَ إلى العينِ المحمَّرة فتعتري عينه حمرة ، والتثاؤبُ يُرِدِّي
إعداءَ ظاهراً ، ويكره دنوُ الطامثِ من اللِّبَنِ لتسوطه ، لأنَّ لها رائحةً وبُخاراً يُفسِدُ
اللبنَ المُسَوِّطَ^(١) .

وقال الأصمعيّ : رأيت رجلاً عَيوناً^(٢) كان يذكُر عن نفسه أنه إذا أعجبه شيءٌ
وَجَدَ حرارةً تَخْرُجُ من عينه .

وقال أيضاً : كان عندنا عَيونان فمرَّ أحدهما بِخَوْضٍ من حجارة ؛ فقال : تالله ما رأيتُ
كالِيومِ حَوْضاً ! فأنصَدَعَ فِلَقَتَيْنِ ، فمرَّ عليه الثاني ، فقال : وأبيك لقلماً ضررت أهلك
فيك ! فتطاير أربع فِلَقٍ .

وسمع آخر صوت بَوَلٍ من وراء جِدَارٍ حائط ، فقال : إنك كثيرُ الشَّخْبِ ، فقالوا :
هُوَ أبْنُكَ ؛ فقال : أوه انقطع ظَهْرُهُ ! فقيل : لا بأس عليه إن شاء الله ، فقال : والله
لا يَبُولُ بَعْدَها أبداً ، فما بال حتى مات .

وسمع آخر صوت شَخْبٍ ناقَةٍ بِمَوْتِ فاعجبه ، فقال : أيتها هذه ، فورّوا بأخرى
عنها ، فهلكنا جميعاً ، المورّي بها والمورّي عنها .

قال رجل من خاصّة المنصور له قبل أن يقتل أبا مسلم بيوم واحد : إنّي رأيتُ
اليوم لأبى مسلم ثلاثاً تعايّرت له منها . قال : ما هي ؟ قال : ركب فوقعت قلنسوتُه

(١) الضامت : الحائض . والمسوط : المخلوط .

(٢) العيون : الشديد الإصابة بالعين .

عن رأسه ، فقال المنصور : الله أكبر ! تبعها والله رأسه ، فقال : وكبابه فرسه ، فقال :
الله أكبر ! كبا والله جدّه ، وأصلد زنده ، فما الثالثة ؟ قال : أنه قال لأصحابه : أنا
مقتول ، وإنما أخادع نفسي ، وإذا رجلٌ يُنادي آخر من الصحراء : اليوم آخر
الأجل يا فلان . فقال : الله أكبر ! انقضى أجله إن شاء الله ؛ وانقطع من الدنيا أثره .
فقتل في غدٍ ذلك اليوم .

تجهز النابغةُ الديبانيّ للغزو - واسمه زياد بن عمرو - مع زبّان بن سيّار الفزاريّ - فلما
أراد الرحيل سقطت عليه جرادة فتطيّر ، وقال : ذات لَوْنين تجرد ، غُرّي من خرج ،
فأقام ولم يلتفت زبّان إلى طيّرته ، فذهب ورَجَعَ غانماً ، فقال :

تطيّر طيرةً يوماً زيادٌ لتخبره وما فيها خبير^(١)
أقامَ كأنّ لقمانَ بن عادٍ أشارَ له بحكمته مُشيرٌ
تعلّمَ أنه لا طير إلا على متطيّر وهو الثبورُ
بلى شيءٌ يوافق بعض شيءٍ أحياناً وباطله كثيرٌ

حضر عمر بن الخطاب الموسم ، فصاح به صائح : يا خليفة رسول الله ، فقال رجل
من بني لهب : وهم أهل عِيافة وزجر : دعاه باسم ميّت : مات والله أمير المؤمنين عليه السلام ،
فلما وقف الناس للجمار إذا حصاة صكت صلعة عمر ، فأدعى منها ، فقال ذلك القائل : أشعر
والله أمير المؤمنين ، لا والله ما يقف هذا الموقف أبداً ، فقتل عمر قبل أن يحول الحول ،
وقال كثير بن عبد الرحمن :

تيممت لهباً أبتغي العلمَ عندها وقد صار علمُ العائنين إلى لهب^(٢)

(١) الحيوان ٣ : ٤٤٧ .

(٢) عيون الأخبار ١ : ١٤٩ .

كان للعرب كاهنان اسمُ أحدهما شِقّ ، وكان نصف إنسان ، واسم الآخر
سَطِيح ، وكان يُطَوَّى طَيَّ الحَصِير ، ويتكلمان بكلِّ عَجُوبة في الكهانة ، فقال
ابنُ الرُّومى .

لك رأى كأنه رأى شِقّ وسَطِيحٍ قَرِيعَى الكُهَّانِ
يستشف الغيوب عما توارى بعيون جليّة الإنسان

وقال أبو عثمان الجاحظ : كان مُسَيْلَمَة قبل أن يتنبأ يدور في الأسواق التي كانت
بين دُور العرب والعجم كسُوق الأُبَلَّة وسُوق بَقَّة وسُوق الأنبار وسُوق الحِيرة يلتبس
تعلُّم الحيل والنير نَجْمِيَّات واحتِيالات أصحاب الرُّقى والعزائم والنجوم ، وقد كان أحكم علم
الحِزاة وأصحاب الزجر والخط ، فعمد إلى بَيْضَة فصبَّ إليها خالاً حاذقاً قاطعاً ، فلانت ،
حتى إذا مدّها الإنسان استطالت ودقَّت كالعلك ؛ ثم أدخلها قارورة ضيقة الرأس وتركها
حتى انضمت واستدارت وجمدت ، فعادت كهيئتها الأولى ، فأخرجها إلى قوم وهم أعرابٌ
واستغواهم بها ، وفيه قيل :

ببيضّة قارور وراية شادنٍ وتوصيل مَقْطُوع من الطير حاذقٍ

قالوا : أراد براية الشادن التي يعملها الصبي من القِرطاس الرقيق ، ويجعل لها ذنباً
وجناحين ويرسها يوم الرِّيح بخيط طويل .

كان مُسَيْلَمَة يعمل راياتٍ من هذا الجنس ، ويعلق فيها الجلاجِل ، ويرسلها ليلاً
في شدّة الريح ، ويقول : هذه الملائكة تنزل على ، وهذه خَشْخَشَة الملائكة وزجّاءها ،
وكان يصل جناح الطير المقصوص بريشٍ معه فيطير ويستغوى به الأعراب .
شاعرٌ في الطيرة :

وأمنع الياسمين الغضّ من حذري عليك إذ قيل لي نصف اسمي ياس
وقال آخر :

أهدت إليه سفر جلاً فتطيراً منه وظل مفكراً مستعبراً^(١)
خوف الفراق لأن شطر هجائه سفرٌ وحق له بأن يتطيراً
وقال آخر :

يا ذا الذي أهدى لنا سوسناً ما كنت في إهدائه محسناً
نصف اسمي بسوء فقد ساءني ياليت أني لم أر السوسناً
ومثله :

لا تراني طـوال دهـ رى أهوى الشقائقاً
إن يكن يشبه الخلدو د فنصف اسمي شقاً
وكانوا يتفائلون بالأس لدوامه ، ويتطيّرون من الترجس لسرعة أنقضائه ،
ويسمونه الغدار .

وقال العباس بن الأحنف :

إن الذي سمالك يامنيتي بالترجس الغدار ما أنصفا
لو أنه سمالك بالأسـ وفيت إن الأس أهل الوفا
خرج كثير يريد عزة ومعه صاحب له من نهد ، فرأى غراباً ساقطاً فوق بانه
ينثف ريشه ، فقال له النهدي : إن صدق الطير فقد ماتت عزة ، فوافي أهلها وقد أخرجوا
جنازتها ، فقال :

وما أعيف النهدي لا در دره وأزجره للطير لا عز ناصر^(٢)
رأيت غراباً ساقطاً فوق بانه ينثف أعلى ريشه ويطيره

فقال غرابٌ لا غرابٍ ، وبانةٌ لبين ، وفقد من حبيبٍ تعاشرُ
وقال الشاعر :

وسمّيته يحيى ليحياً ولم يكن إلى ردِّ حكم الله فيه سبيلُ
تيمّمتُ فيه الفألَ حين رزقته ولم أدرِ أن الفأل فيه يفيْلُ

فأما القول في السّحر فإنّ الفقهاء يُثبتونه ويقولون : فيه القوّد ، وقد جاء في الخبر
أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله سحره لبيد بن أعصم اليهودي حتّى كان يُخيّل إليه أنّه
عمل الشّيء ولم يعملهُ .

وروى أنّ امرأةً من يهود سحرته بشعر وقصاص ظفر وجعلت السّحر في بئر ،
وأنّ الله تعالى دلّه على ذلك ، فبعث عليّاً عليه السلام فاستخرجه وقتل المرأة .

وقومٌ من المتكلّمين ينفون هذا عنه عليه السلام ، ويقولون : إنه معصوم
من مثله .

والفلاسفة تزعم أنّ السّحر من آثار النّفس الناطقة ، وأنّه لا يبعد أن يكون في
النفوس نفس تؤثر في غير بدنها المرض والحبّ والبغض ، ونحو ذلك ، وأصحاب
الكواكب يجعلون للكواكب في ذلك تأثيراً ، وأصحاب خواصّ الأحجار والنبات
وغيرها يُسندون ذلك إلى الخواصّ ، وكلامُ أمير المؤمنين عليه السلام دالٌّ على تصحيح
ما يدعى من السّحر .

وأما العدوى فقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله : « لا عدوى في الإسلام » .
وقال لمن قال : أعدى بعضها بعضاً - يعني الإبل : « فمن أعدى الأول ؟ » وقال : « لا عدوى
ولا هامة ولا صفر » ، فالعدوى معروفة ، والهامة : ما كانت العرب تزعمه في المقتول

لا يؤخذ بثأره ، والصَّفر : ما كانت العرب تزعمه من الحيّة في البطن تَعَضُّ عند الجوع .

[نكت في مذاهب العرب وتخيّلاتها]

وسنذكرها هنا نكتاً مُمتعةً من مذاهب العرب وتخيّلاتها ، لأنّ الموضوع قد ساقنا إليه ، أنشد هشامُ بن الكلبيّ لأمية بن أبي الصلت :

سَنَةُ أَرْزَمَةٌ تُبْرِحُ بَالِنَا سِ تَرَى لِلْعِضَاهِ فِيهَا صَرِيرًا^(١)
لَا عَلَى كوكبٍ تَنْوُهُ وَلَا رِيحٍ حِ جنوبٍ وَلَا تَرى طُحُورًا^(٢)
وَيُسْقَوْنَ بِأَقْرَ السَّهْلِ لِلطَّوْرِ دِ مَهازِيلَ خَشِيَّةً أَنْ تَبُورَا
عَاقِدِينَ النَّيْرَانَ فِي ثُكْنِ الْأَذَى نَابِ مِنْهَا لِكِي تَهِيَجَ الْبَحُورَا
سَلَعٌ مَا وَمِثْلُهُ عَشْرٌ مَا عَامِلٌ مَا وَعَالَتِ الْبَيْقُورَا

يُروى أنّ عيسى بن عمر قال : ما أدرى معنى هذا البيت ! ويقال : إنّ الأصمعيّ صحّف فيه ، فقال : « وعَالَتِ الْبَيْقُورَا » بالعين المعجمة ، وفسّره غيره فقال : عَالَتِ بمعنى أثقلت البقر بما حملتها من السّلع والعُشْرِ ، والبَيْقُور : البقر . وعائل : غالب ، أو مُثْقَل . وكانت العرب إذا أجْدَبَتْ وأمسكت السماء عنهم وأرادوا أن يُسْتَمْطَرُوا عَمَدُوا إلى السّلع والعُشْرِ فحزموها وعقدوها في أذنان البقر ، وأضرموها فيها النيران ، وأصعدوها في جبل وعير ، واتبعوها يدعون الله ويستسقونه ؛ وإِنَّمَا يَضُرِّمُونَ النَّيْرَانَ فِي أَذْنَابِ الْبَقَرِ تَفَاؤُلًا لِلْبَرْقِ بِالنَّارِ ، وكانوا يسوقونها نحو المغرب من دون الجهات . وقال أعرابي :

شَفَعْنَا بِبَيْقُورٍ إِلَى هَاطِلِ الْحَيَا فَلَمْ يُغْنِ عَنَّا ذَاكَ بَلْ زَادَنَا جَدًّا
فَعُدْنَا إِلَى رَبِّ الْحَيَا فَأَجَارَنَا وَصَيَّرَ جَدَّبَ الْأَرْضِ مِنْ عِنْدِهِ خَصْبًا

(١) شعراء البصرة ٢٣٥ ، في وصف سنة ومجاعة . (٢) الطحور : القطع من السحاب .

وقال آخر :

قُلْ لِبَنِي نَهْشَلٍ أَصْحَابِ الْحَوَرِ : أَتَطْلُبُونَ الْغَيْثَ جَهْلًا بِالْبَقَرِ !
وسَلَعٌ مِنْ بَعْدِ ذَاكَ وَعُشْرٌ لَيْسَ بِذَا يُجَلِّلُ الْأَرْضَ الْمَطَرُ
ويمكن أن يُحْمَلَ تَفْسِيرُ الْأَصْمَعِيِّ عَلَى مَحَلِّ صَحِيحٍ ، فيقال : غَالَتْ بِمَعْنَى أَهْلَكَتْ ،
يقال : غَالَهُ كَذَا وَاغْتَالَهُ أَيْ أَهْلَكَهُ ، وَغَالَتْهُمْ غُولٌ ؛ يَعْنِي الْمَنِيَّةَ ، وَمِنْهُ الْفَضْبُ
غُولُ الْحَلَمِ

وقال آخر :

لَمَّا كَسَوْنَا الْأَرْضَ أَذْنَابَ الْبَقَرِ بِالسَّلَعِ الْمَقْعُودِ فِيهَا وَالْعُشْرِ
وقال آخر :

يَا كُحْلٌ قَدْ أَثْقَلْتَ أَذْنَابَ الْبَقَرِ بِسَلَعٍ يَعْقِدُ فِيهَا وَعُشْرٍ
* فِهْلٌ تَجُودِينَ بَبَرْقٍ وَمَطَرٍ *

وقال آخر يعيب العربَ بفعالهم هذا :

لَا دَرَّ دَرَّ رَجَالٍ خَابَ سَعِيهِمْ يَسْتَمِطِرُونَ لَدَى الْإِعْسَارِ بِالْعُشْرِ
أَجَاعِلُ أَنْتَ بَيَقُورًا مَسْلَعَةً ذَرِيعَةً لَكَ بَيْنَ اللَّهِ وَالْمَطَرِ

وقال بعضُ الأذكياء : كُلَّ أُمَّةٍ قَدْ تَحَذَوْ فِي مَذَاهِبِهَا مَذَاهِبَ مِلَّةٍ أُخْرَى ، وَقَدْ
كَانَتْ الْهُنْدُ تَزْعُمُ أَنَّ الْبَقَرَ مَلَأَتْهُ سَخَطُ اللَّهِ عَلَيْهَا فَجَعَلَهَا فِي الْأَرْضِ ، وَأَنَّ لَهَا
عِنْدَهُ حَرَمَةً ، وَكَانُوا يُلَطِّخُونَ الْأَبْدَانَ بِأَخْثَائِهَا^(١) ، وَيَفْسِلُونَ الْوُجُوهَ بَبُورِهَا وَيَجْعَلُونَهَا
مُهِوَرًا نِسَائِهِمْ ، وَيتَبَرَّكونَ بِهَا فِي جَمِيعِ أَحْوَالِهِمْ ، فَاعْلَمْ أَنَّ أَوَائِلَ الْعَرَبِ حَذَوْا هَذَا الْحَذْوَ ،
وَاتَهَجَّوْا هَذَا الْمَسْلَكَ .

(١) الْأَخْثَاءُ : جَمْعُ خَثَةٍ ؛ وَهِيَ الْعَرَّةُ اللَّيْنَةُ .

والعرب في البقر خيال آخر ، وذلك أنهم إذا أوردوها فلم تردّ ضربوا الثور ليقتم الماء ، فتقتم البقر بعده ، ويقولون : إن الجن تصدّ البقر عن الماء ، وإن الشيطان يركب قرني الثور ، وقال قائلهم :

إني وقتلي سليكا حين أعقله كالثور يضرب لما عافت البقر^(١)
وقال نهشل بن حري :

كذلك الثور يضرب بالهرأوى إذا ما عافت البقر الظماء
وقال آخر :

كالثور يضرب للورود إذا تمتعت البقر
فإن كان ليس إلا هذا فليس ذاك بعجيب من البقر ولا بمذهب من مذاهب العرب : لأنه قد يجوز أن تمتنع البقر من الورود حتى يرد الثور كما تمتنع الغنم من سلوك الطرُق أو دخول الدُور والأخبية حتى يتقدمها الكباش أو النيس ، وكانحل تتبع اليعسوب ، والكراكي تتبع أميرها ، ولكن الذي تدلّ عليه أشعارها أن الثور يرد ويشرب ولا يمتنع ، ولكن البقر تمتنع وتعاقد الماء وقد رأت الثور يشرب ، فحينئذ يضرب الثور مع إجابته إلى الورود فتشرب البقر عند شربه ، وهذا هو العجب ، قال الشاعر :

فإني إذن كالثور يضرب جنبه إذا لم يعف شربا وعافت صواحيبه
وقال آخر :

فلا تجعلوني كالبقير وفحلها يكسر ضربا وهو للورد طائع
وما ذنبه إن لم يرد بقراته وقد فاجأته عند ذاك الشرائع

(١) للسليك بن السلكة ، والبيت من شواهد ابن عقيل ٢ : ٢٨٢ .

وقال الأعشى :

لَكَاتُّورَ وَالْجَنَى يُضْرَبُ وَجْهُهُ وما ذَنْبُهُ إِنْ عَافَ الْمَاءُ مَشْرَبًا !^(١)

وما ذَنْبُهُ إِنْ عَافَ الْمَاءُ بِاقِرٍّ وما أَنْ يَعاْفُ الْمَاءُ إِلَّا لِيُضْرَبَا

قالوا في تفسيره : لما كان أمتناعها يتعقبه الضرب ، حَسُنَ أَنْ يُقالَ : عَافَ الْمَاءُ

لِتُضْرَبَ ، وهذه اللَّامُ هِيَ لامُ العاقبة ، كقوله : «لِدُوا لِمَوْتِ» ، وَعلَى هَذَا فسر أصحابنا

قوله سبحانه : ﴿ وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِنَ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ ﴾^(٢) .

ومن مذاهب العرب أيضا تعليق الحلى والجلال على اللديغ يروون أنه يُفِيْقُ بِذلك ،

ويقال : إنه إِنَّمَا يعلق عليه لأنهم يروون [أنه] إِنْ نام يَسْرِى السَّمُّ فِيهِ فَيَهْلِكُ ، فَشَغَلُوهُ

بِالحلى والجلال وأصواتها عن النوم ، وهذا قول النَّضْرِ بْنِ شُمَيْلٍ ، وبعضهم يقول :

إنَّه إِذَا عُلِقَ عَلَيْهِ حَلَى الذَّهَبِ بَرَأَ ، وَإِنْ عُلِقَ الرَّصَاصُ أَوْ حَلَى الرَّصَاصِ مَاتَ .

وقيل لبعض الأعراب : أتريدون شهرة ؟ فقال : إِنْ الحلى لَا تُشهرُ ، ولكنها

سُنَّةٌ وَرِثَانَا .

وقال النابغة :

فَبِتَ كَأَنِّي سَاوَرْتَنِي ضَيْئُ لَهْ مِنْ الرُّقْشِ فِي أَنْبِإِهَا السَّمُّ نَاقِعٌ^(٣)

يُسَهِّدُ مِنْ لَيْلِ التَّمَامِ سَلِيمُهَا لِحَلَى النِّسَاءِ فِي يَدَيْهِ قَعَاقِعُ

وقال بعض بنى عُذْرَةَ :

كَأَنِّي سَلِيمٌ نَالَهُ كَلَمُ حَيَّةٍ تَرى حَوْلَهُ حَلَى النِّسَاءِ مَوْضِعَا

(٢) سورة الأعراف ١٧٩

(١) ديوانه ٩٠ .

(٣) ديوانه ٥١ .

وقال آخر :

وقد علّوا بالبطل في كلّ موضعٍ وغرّوا كما غرّ السليم الجلاجلُ
وقال جميل وظرف في قوله ، ولو قاله العباس بن الأحنف لكان ظريفاً
إذا ما لدِيعُ أبرأ الحلّى داءه فحَلَيْكِ أَمْسَى يَا بُثَيْنَةَ دائياً ^(١)
وقال عويمر النّبّهاني وهو يؤكّد قول النضر بن شميل :
فبتّ معنّى بالهموم كأنّني سليمٌ نفى عنه الرّقادَ الجلاجلُ
ومثله قول الآخر :

كأنّني سليمٌ سَهَّدَ الحلّى عينه فراقب من ليل التّمام الكواكباً
ويشبه مذهبهم في ضرب الثور مذهبهم في العرّ يصيبُ الإبل فيكوى الصّحيح
ليبراً السّقيم . وقال النابغة :
وكلفتنِي ذنبَ امرئٍ وتركته كذى العرّ يكوى غيره وهو راتِعٌ ^(٢)
وقال بعضُ الأعراب :

كمن يكوى الصّباح يرومُ بُراً به من كلّ جرّاء الإهابِ
وهذا البيت يُطِلُ رواية من روى بيت النابغة « كذى العرّ » بضم العين ، لأنّ العرّ
بالضم قرّح في مَشافِرِ الإبل غيرُ الجَرَبِ ، والعرّ بالفتح الجَرَبُ نفسه ، فإذا دلّ
الشعر على أنه يكوى الصّحيح ليبراً الأجرَبُ فالواجبُ أن يكون بيتُ النابغة
« كذى العرّ » بالفتح .

ومثله هذا البيت قول الآخر :

فألزمتني ذنباً وغيّري جرّه حنانيك لا يكوى الصّحيح بأجرها
إلا أن يكون إطلاق لفظِ الجَرَبِ على هذا المرض الخاص من باب المجاز لمشابهة له .

ومن تحيّلاتِ العَرَبِ ومذاهبيها أنَّهُم كانوا يَفْقُثونَ عَيْنَ الفَحْلِ من الإِبِلِ إذا بلغت ألفاً ، كأنَّهُم يَدْفَعُونَ العَيْنَ عنها ، قال الشاعر :

فَقَأْنَا عِيونًا من فُحولِ بهازِرٍ وأتمَّ برَغَى البُهْمِ أُولَى وأجدرُ
وقال آخر :

وهَبَّتْهَا وَكُنْتَ ذَا امْتِنَانٍ تَفَقَّأَ فِيهَا أَعْيُنَ البُعْرَانِ
وقال الآخر :

أَعْطَيْتَهَا أَلْفًا ولم تَبْخَلْ بِهَا فَفَقَّأَتْ عَيْنَ فُحَيْلِهَا مُعْتَابَا
وقد ظَنَّ قومٌ أَنَّ بَيْتَ الفرَزْدَقِ وهو :

غَلَبْتُكَ بِالْمَقْصِيِّ وَالْمَعْنَى وَبَيْتَ الْمُحْتَبَى وَالْخَافِقَاتِ^(١)

من هذا الباب ، وليس الأمر على ذلك ، وإِنَّمَا أراد بالفقء قوله لجرير :

ولستَ ولو فَقَّأْتُ عَيْنِيكَ واجداً أَخًا كَلَقِيطٍ أَوْ أَبَا مِثْلَ دَارِمٍ^(٢)
وأرادَ بالمعنى قوله لجرير أيضاً :

وَإِنَّكَ إِذْ تَسْعَى لِتُدْرِكَ دَارِمًا لَأَنْتَ الْمَعْنَى يَاجَرِيرُ الْمَكْلَفُ^(٣)
وأراد بقوله : « بَيْتَ الْمُحْتَبَى » قوله :

بَيْتُ زُرَّارَةَ مُخْتَبٍ بِفِنَائِهِ وَمُجَاشَعٌ وَأَبُو الْفَوَارِسِ نَهْشَلُ^(٤)
وبَيْتَ الْخَافِقَاتِ ، قوله :

وَمَعْصَبٍ بِالتَّاجِ يَخْفِقُ فَوْقَهُ خِرْقَ الْمُلُوكِ لَهُ خَمِيسٌ جَحْفَلُ^(٥)

(١) ديوانه ١٣١ . والخاصات : الرايات . (٢) في شرح ديوانه : « أَوْ أَبَا مِثْلَ نَهْشَلِ » .

(٤) ٧١٤

(٣) ديوانه ٤٣٦

(٥) ديوانه ٧١٥ ؛ وفي شرح الديوان . والخاصات يريد قوله :

وَأَيْنَ تَقْضَى الْمَالِكِ أُمُورَهَا بِحَقٍّ وَأَيْنَ الْخَافِقَاتُ اللَّوَامِعُ

قال أبو الهيثم : « فخر الفرزدق في هذا البيت على جرير ؛ لأن العرب كانت إذا بلغ لأحدهم ألف بعير فقأ عين بعير منها ؛ فإذا تمت ألفان أعماه ؛ فافتخر عليه بكثرة ماله » .

فأما مذهبهم في البلية ، وهي ناقةٌ تُعَقَلُ عند القبر حتى تموت ، فمذهبٌ مشهور ، والبلية أنهم إذا مات منهم كريمٌ بلوا ناقةً أو بغيره ، ففكسوا عنقها ، وأداروا رأسها إلى مؤخرها ، وتركوها في حفيرة لا تطعم ولا تسقى حتى تموت ، وربما أحرقت بعد موتها ، وربما سلخت وملئ جلدُها ثمنا . وكانوا يزعمون أن من مات ولم يُبَلِّ عليه حُشْرٌ ماشيا ، ومن كانت له بلية حُشْرٌ راكبا على بليته ، قال جريرة ^(١) بن الأشيم الفقعسي لا بنه :

يَسْعُدُ إِمَّا أَهْلِكُنْ فَإِنِّي أَوْصِيكَ إِن أَخَا الْوَصَاةِ الْأَقْرَبُ
لَا أَعْرِفَنَّ أَبَاكَ يَحْشُرُ خَلْفَكُمْ تَعْبًا يُجَرِّئُ عَلَى الْيَدَيْنِ وَيُنْكَبُ
وَاحْمِلْ أَبَاكَ عَلَى بَعِيرٍ صَالِحٍ وَتَقِ الْخَطِيئَةَ إِنَّهُ هُوَ أَصَوَّبُ
وَلَعَلَّ لِي مِمَّا جَمَعْتُ مَطِيَّةً فِي الْحَشْرِ أُرْكَبُهَا إِذَا قِيلَ ارْكَبُوا
وَقَالَ جُرَيْرَةُ أَيْضًا :

إِذَا مِتُّ فَادْفَنِي بِجَدَاءٍ مَابِهَا سِوَى الْأَصْرَخِينِ أَوْ يَفُوزَ رَاكِبُ
فَإِن أَنْتَ لَمْ تَعْقِرْ عَلَى مَطِيَّتِي فَلَا قَامَ فِي مَالٍ لَكَ الدَّهْرُ جَالِبُ
وَلَا تَدْفِنَنِي ^(١) فِي صُورِي وَادْفِنْنِي بِدِيْمُومَةٍ تَنْزُو عَلَيْهَا الْجَنَادِبُ

وقد ذكرتُ في مجموعي المسمى « بالعنقري الحسن » أن أبا عبد الله الحسين بن محمد ابن جعفر الخالغ رحمه الله ذكر في كتابه في آراء العرب وأديانها هذه الأبيات ، واستشهد بها على ما كانوا يعتقدون في البلية ، وقلت : إنه وهم في ذلك ، وإنه ليس في هذه الأبيات دلالة على هذا المعنى ، ولا لها به تعلق ، وإنما هي وصية لولده أن يعقر مطيته بعد موته ؛ إمَّا لِكَيْلَا يَرْكَبَهَا غَيْرُهُ بَعْدَهُ ، أَوْ عَلَى هَيْئَةِ الْقُرْبَانِ كَالْهَدْيِ الْمَقْشُورِ

بمكة ، أو كما كانوا يعقرون عند القبور ، ومذهبهم في العقر على القبور ، كقول زياد الأعجم في المفيدة بن المهلب :

إِنَّ السَّامَاةَ وَالْمَرْوَةَ ضُمَّنَا قَبْرًا بَمَرَوْ عَلَى الطَّرِيقِ الْوَاضِحِ ^(١)
فَإِذَا مَرَرْتَ بِقَبْرِهِ فَأَعْقِرْ بِهِ كَوْمَ الْهَجَانِ وَكُلَّ طَرْفٍ سَابِحٍ ^(٢)
وَقَالَ الْآخَرُ :

نَفَرَتْ قَلَوِصِي عَنْ حِجَارَةِ حَرَّةٍ بُنِيتْ عَلَى طَلْقِ الْيَدَيْنِ وَهَوْبٍ ^(٣)
لَا تَنْفِرِي يَا نَاقُ مِنْهُ فَإِنَّهُ شَرِيبُ خَمْرِ مِسْفَرٍ لِحُرُوبٍ
لَوْلَا السَّفَارُ وَبَعْدُ خَرَقٍ مَهْمَةٍ لَتَرَكْتُهَا تَحْبُو عَلَى الْعُرْقُوبِ

ومذهبهم في العقر على القبور مشهور ، وليس في هذا الشعر ما يدل على مذهبهم في البليّة ، فإن ظنّ ظانّ أن قوله : « أَوْ يُفَوِّزُ رَاكِبٌ » ، فيه إيحاء إلى ذلك ، فليس الأمر كما ظنه ، ومعنى البيت ادْفِنِيَّ بِفَلَاةٍ جَدَاءٍ مَقْطُوعَةٍ عَنِ الْإِنْسِ ، ليس بها إلا الذئب والغراب ، أو أن يعتسف راكبها المفازة وهي المهلكة ، سموها مفازة على طريق القال ، وقيل : إنها تسمى مفازة من فوز أي هلك ، فليس في هذا البيت ذكر البليّة ، ولكن الخالع أخطأ في إيراده في هذا الباب ، كما أخطأ في هذا الباب أيضا في إيراده قول مالك ابن الرّيب :

وَعَطَّلْتُ قَلَوِصِي فِي الرَّكَّابِ فَإِنَّهَا سَتَبْرِدُ أَكْبَادًا وَتُبْكِي بَوَاكِيًا ^(٤)

فظنّ أنّ ذلك من هذا الباب الذي نحن فيه ، ولم يرد الشاعر ذلك ، وإنما أراد

(١) الشعر والشعراء ٣٩٧

(٢) بعده في الشعر والشعراء :

وَانْضَحْ جَوَانِبَ قَبْرِهِ بِدُمَائِهَا فَلَقَدْ يَكُونُ أَخَا دَمٍ وَذُبَاخٍ

(٣) من أبيات في رثاء ربيعة بن مكرم ، تنسب إلى ضرار بن الخطاب ، وتنسب لحسان أيضا ؛ وانظر

الأغاني ١٦ : ٥٨ ، ٥٩ (طبعة دار الكتب) . (٤) أمالي القالي ٣ : ١٣٨

لَا تَرَ كَبُورَ رَاحِلَتِي بَعْدِي ، وَعَطَّلُوهَا بِحَيْثُ لَا يَشَاهِدُهَا أُعَادِيٌّ وَأَصَادِقِي ذَاهِبَةٌ جَائِيَةٌ
تَحْتَ رَاكِبِهَا ، فَيَشْتَمُ الْعَدُوُّ وَيُسَاءُ الصَّدِيقُ ، وَقَدْ أَخْطَأَ الْخَالِعُ فِي مَوَاضِعَ عِدَّةٍ مِنْ هَذَا
الْكِتَابِ ، وَأُورِدَ أَشْعَارًا فِي غَيْرِ مَوَاضِعِهَا ، وَظَنُّهَا مُنَاسِبَةً لِمَا هُوَ فِيهِ ، فَهِيَ مَا ذَكَرَ نَاهُ ،
وَمِنْهَا أَنَّهُ ذَكَرَ مَذْهَبَ الْعَرَبِ فِي الْحُلِيِّ وَوَضِعَهُ عَلَى اللَّدِيعِ ، وَاسْتَشْهَدَ عَلَيْهِ
بِقَوْلِ الشَّاعِرِ :

يُبْلَاغُنِي مَنْ تَذَكَّرَ آلَ لَيْلَى كَمَا يَلْقَى السَّلِيمُ مِنَ الْعِدَادِ ^(١)
وَلَا وَجْهَ لِإِيرَادِ هَذَا الْبَيْتِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ ، فَالْعِدَادُ مُعَاوَدَةُ السَّمِّ الْمَسُوعِ فِي كُلِّ
سَنَةٍ فِي الْوَقْتِ الَّذِي لُدِغَ فِيهِ ، وَلَيْسَ هَذَا مِنْ بَابِ الْحُلِيِّ بِسَبِيلِ .
وَمِنْ ذَلِكَ إِيرَادُهُ قَوْلَ الْفَرَزْدَقِ « غَلَبْتُكَ بِالْمَفْقِيِّ ^(٢) » فِي بَابِ فَقٍّ عُيُونِ
الْفُحُولِ ، إِذَا بَلَغَتْ الْإِبِلُ أَلْفًا ، وَقَدْ تَقَدَّمَ شَرْحُنَا لِمَوْضِعِ الْوَهْمِ فِي ذَلِكَ . وَسَنَذْكُرُ
هَاهُنَا كَثِيرًا مِنَ الْمَوَاضِعِ الَّتِي وَهَمَ فِيهَا إِنْ شَاءَ اللَّهُ .

وَمِمَّا وَرَدَ عَنِ الْعَرَبِ فِي الْبَلَاءَةِ قَوْلُ بَعْضِهِمْ .
أُبْنَى زَوْدُنِي إِذَا فَارَقْتَنِي فِي الْقَبْرِ رَاحِلَةً بِرَحْلِ فَاتِرِ
لِلْبَعَثِ أَرْكَبُهَا إِذَا قِيلَ أَرْكَبُوا مُسْتَوْثِقِينَ مَعًا لِحَشْرِ الْحَاشِرِ
وَقَالَ عُوَيْمُ النَّبَهَانِيُّ :
أُبْنَى لَا تَنْسَى الْبَلِيَّةَ إِنَّهَا لِأُبْيَكَ يَوْمَ نُشُورِهِ مَرَّ كُوبِ

(٢) وهو قوله :

(١) اللسان ٤ : ٢٧٤ .

غَلَبْتُكَ بِالْمَفْقِيِّ وَالْمَعْنَى وَيَتِ الْحَتْبِيِّ وَالْخَافِقَاتِ

ومن تخيلات العرب ومذاهبها ما حكاه ابن الأعرابي قال : كانت العرب إذا نفرت الناقة فسميت لها أمها سكنت من النفار ، قال الراجز :

أقولُ والوَجْناءُ بى تَقَحَّمُ وَيَلِكُ قُلُ ما اسمُ أمِّها ياعَلَمُ
عَلَمُ : اسمُ عبدٍ له ، وإِثْمًا سألَ عبدَه ترفُّعا أن يَعْرِفَ اسمَ أمِّها ، لأنَّ العبيد بالإبل أعرف ، وهم رُعاتُها .
وأنشد السَّكْرَى .

فقلتُ له ما اسمُ أمِّها هاتِ فادْعُها تُجِبْكَ وَيَسْكُنُ روعُها ونِفارُها

ومما كانت العرب كالجماعة عليه الهامة ، وذلك أنهم كانوا يقولون : ليس من ميت يموت ولا قتيل يُقتل ، إلّا ويخرج من رأسه هامةٌ ، فإن كان قَتِيلٌ ولم يُؤْخَذْ بثأره نادى الهامةُ على قَبْرِه : اسْقُونى ، فإِنّى صَدِيقَةٌ ؛ وعن هذا قال النبیّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وآلُهُ : « لا هامةٌ » .

وحكى أن أبا زيد كان يقول : الهامةُ مشددة الميم إحدى هَوامِّ الأرض ، وأنها هى المتلونة المذكورة .

وقيل : إنَّ أبا عبيد قال : ما أَرى أبا زيد حَفِظَ هذا ، وقد يُسمونها الصَّدى والجمع أصداء ، قال :

* وكيف حَيَاةُ أصداءٍ وهامٍ *

وقال أبو دُوادٍ الإيادى :

سَلَطَ الموتُ وَالْمَنُونُ عَلَيْهِمُ فَاهِمُ فِي صَدَا المَقَابِرِ هَامٌ^(١)

وقال بعضهم لابنه :

ولا تَرْقُونَ لى هامةٌ فوقَ مَرْقَبٍ فإنَّ رُقَاءَ الهامِ للمرءِ عائبُ
تُنَادِي ألا اسقُونِي وكلَّ صَدَى به وتلك التى تبيضُ منها الذَّوائبُ

يقول له: لا تترك ثأرى إن قتلت ، فإنك إن تركته صاحت هامتي : اسقوني ، فإن كل صدى - وهو ها هنا العطش - بأبيك ، وتلك التى تبيض منها الذوائب ، لصعوبتها وشِدَّتْها ، كما يقال : امرئ يشيب رأس الوليد ، ويحتمل أن يريد به صعوبة الأمر عليه وهو مقبور إذا لم يثأر به ، ويحتمل أن يريد به صعوبة الأمر على ابنه ، يعنى أن ذلك عارٌ عليك ، وقال ذو الإصبع :

يا عمرو إلا تدعُ شتمى ومنقصتى أضربك حيث تقولُ الهامةُ اسقُونِي^(١)
وقال آخر :

فياربَّ إن أهلك ولم تَرَوْ هَامَتِي بأبلى أُمْتُ لا قَبْرَ أعطشُ من قَبْرِى^(٢)
ويحتمل هذا البيت أن يكون خارجاً عن هذا المعنى الذى نحن فيه ، وأن يكون رِىَ هامته الذى طلبه من ربه هو وصال لَيْلَى وهما فى الدنيا . وهم يَكُونون عما يشفيهم بأنه يُروى هَامَتَهُمْ .

وقال مغلس الفقمسى :

وإن أخاكم قد علمت مكانه بسفح قُبَا تَسِفَى عليه الأعاصِرُ
له هامةٌ تدعو إذا الليل جَبَّها بَنى عاصِرٍ هل للهلاليِّ نائِرُ
وقال نوبة بن الحُمَيْر :

ولو أن لَيْلى الأَخِيلِيَّةَ سَلَّمْتُ على ودُونِي جَنْدَلٌ وصَفَائِحُ

لَسَلْتُ تَسْلِيمَ الْبَشَاشَةِ أَوْ زَقَاً إِلَيْهَا صَدَى مِنْ جَانِبِ الْقَبْرِ صَاحُ (١)
وقال قيسُ بنُ الْمُلَوَّحِ ، وهو المجنون :

ولو تلتقي أصداؤنا بعد موتنا وَمِنْ دُونِنَا رَمْسٌ مِنَ الْأَرْضِ أَنْكَبُ (٢)
لَظَلَّ صَدَى رَمْسِي وَإِنْ كُنْتُ رِمَّةً لَصَوْتُ صَدَى لَيْلَى يَهْشُ وَيَطْرَبُ
وقال مُحمَّد بنُ ثور :

أَلَا هَلْ صَدَى أُمِّ الْوَلِيدِ مَكَلَّمٌ صَدَايَ إِذَا مَا كُنْتُ رَمْسًا وَأَعْظَا (٣)

ومما أبطله الإسلام قولُ العَرَبِ بِالصَّفَرِ ، زعموا أَنَّ فِي الْبَطْنِ حَيَّةً إِذَا جَاعَ الْإِنْسَانُ عَضَّتْ عَلَى شُرْشُوفِهِ وَكَبَدَهُ ، وَقِيلَ : هُوَ الْجُوعُ بَعَيْنُهُ ، لَيْسَ أَنَّهَا تَعْضُ بَعْدَ حَصُولِ الْجُوعِ ، فَأَمَّا لَفْظُ الْحَدِيثِ : « لَا عُدْوَى وَلَا هَامَةَ وَلَا صَفَرَ ، وَلَا غَوْلَ » ، فَإِنْ أَبَا عُبَيْدَةَ مَعْمَرُ بْنُ الْمَثْنَى قَالَ : هُوَ صَفَرُ الشَّهْرِ الَّذِي بَعْدَ الْحَرَمِّ ، قَالَ : نَهَى عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ تَأْخِيرِهِمُ الْحَرَمَ إِلَى صَفَرٍ يَعْنِي مَا كَانُوا يَفْعَلُونَهُ مِنَ النَّسْيِ ، وَلَمْ يُوَافِقْ أَحَدٌ مِنَ الْعُلَمَاءِ أَبَا عُبَيْدَةَ عَلَى هَذَا التَّفْسِيرِ ، وَقَالَ الشَّاعِرُ :

لَا يَتَأَرَى لِمَا فِي الْقَدْرِ يَرْقُبُهُ وَلَا يَعْضُ عَلَى شُرْشُوفِهِ الصَّفَرُ (٤)

وقال بعضُ شعراءِ بَنِي عَبْسٍ يَذْكُرُ قَيْسَ بْنَ زَهْرٍ لَمَّا هَجَرَ النَّاسَ وَسَكَنَ الْفِيَّافَ

(١) ديوان الحماسة - بشرح التبريزي ٣ : ٢٦٧ .

(٢) ديوانه ٤٦ ، وروايته : * ومن دون رمسينا من الأرض سبب * .

(٣) ديوانه ٣٠ .

(٤) لأعشى باهلة ؛ الكامل للبرد (٤ : ٦٥ ، والرواية فيه :

لَا يَتَأَرَى لِمَا فِي الْقَدْرِ يَرْقُبُهُ وَلَا تَرَاهُ أَمَامَ الْقَدْرِ يَقْتَفِرُ

لَا يَنْمِرُ السَّاقَ مِنْ أَيْنٍ وَلَا وَصْبٍ وَلَا يَعْضُ عَلَى شُرْشُوفِهِ الصَّفَرُ

وَأَنَسَ بِالْوَحْشِ ، ثُمَّ رَأَى لَيْلَةً نَارًا فَعَسَا إِلَيْهَا ، فَشَمَّ عِنْدَهَا قُتَارَ اللَّحْمِ ، فَنَازَعَتْهُ شَهْوَتُهُ ، فَغَلَبَهَا وَقَهَرَهَا ، وَمَالَ إِلَى شَجَرَةٍ سَلَمَ فَلَمْ يَزَلْ يَكْدِمُهَا وَيَأْكُلُ مِنْ خَبْطِهَا^(١) إِلَى أَنْ مَاتَ :

إِنَّ قَيْسًا كَانَ مَيْتَهُ كَرَمٌ وَالْحَيَّ مَنْطِقُ
شَامَ نَارًا بِالْهُوَى فَهَوَى وَشُجَاعَ الْبَطْنِ يَخْتَفِقُ
فِي دَرِيْسٍ لَيْسَ يَسْتُرُهُ رَبٌّ حُرٌّ ثَوْبُهُ خَلَقُ
وقوله : « بالهوى » اسمُ موضعٍ بَعَيْنُهُ .
وقال أبو النّجم العجّليّ :

إِنَّكَ يَا خَيْرَ فِتًى نَسْتَعْدِي عَلَى زَمَانٍ مَسْنِيٍّ بِجَهْدٍ
* عَصَا كَعَصٍّ صَفَرٍ بِكَبْدٍ *

وقال آخر :

أَرَدْتُ شُجَاعَ الْبَطْنِ قَدْ تَعَلَّمِينَهُ وَأَوْثَرَ غَيْرِي مِنْ عِيَالِكَ بِالطَّعَمِ

ومن خُرَافَاتِ الْعَرَبِ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ إِذَا أَرَادَ دُخُولَ فَرِيَةٍ نَخَافُ وَبَاءَهَا أَوْ جَنَّتْهَا وَقَفَ عَلَى بَابِهَا قَبْلَ أَنْ يَدْخُلَهَا فَتَهَيَّأَ نَهَيْقَ الْحِمَارِ ، ثُمَّ عَلَّقَ عَلَيْهِ كَعْبَ أَرْزَبٍ ، كَانَ ذَلِكَ عُودَةً لَهُ وَرُقِيَّةً مِنَ الْوَبَاءِ وَالْجَنِّ ، وَيُسَمُّونَ هَذَا النَّهَيْقَ التَّعْشِيرَ ، قَالَ شَاعِرُهُمْ :

وَلَا يَنْفَعُ التَّعْشِيرُ أَنْ حُمَّ وَاقِعٌ وَلَا زَعَزَعٌ يُغْنِي وَلَا كَعْبُ أَرْزَبٍ

وقال الهيثم بن عديّ : خَرَجَ عُروَةُ بْنُ الْوَرْدِ إِلَى خَيْبَرٍ فِي رُقْفَةٍ لِيَتَارَوْا ، فَلَمَّا قَرَّبُوا مِنْهَا عَشَرُوا ، وَعَافَ عُروَةَ أَنْ يَفْعَلَ فَعَلَهُمْ ، وَقَالَ :

لَعَمْرِي لئن عَشَرْتُ مِنْ خِيفَةِ الرَّدَى مُبَاقَ خَمِيرٍ إِنِّي لَجَزُوعٌ (١)
فَلَا وَأَلَتْ تِلْكَ النُّفُوسُ وَلَا أَتَتْ قُفُولًا إِلَى الْأَوْطَانِ وَهِيَ جَمِيعُ
وَقَالُوا أَلَا أَنهَقُوا لَا تَضُرُّكَ خَيْبَرٌ وَذَلِكَ مِنْ فَعَلِ الْيَهُودِ وَلُوعُ

الولوع بالضم : الكذب ، ولع الرجل إذا كذب ، فيقال إن رُفقتَه مرضوا ومات بعضهم ، ونجا عروة من الموت والمرض .

وقال آخر :

لَا يُنَجِّينَكَ مِنْ حِمَامٍ وَاقِعٍ كَعَبْ تَعَلَّقَهُ وَلَا تَعَشِيرُ

ويُشابه هذا أن الرجل منهم كان إذا ضلَّ في فَلَاةٍ قلب قيصَه وصفق بيديه كأنه يَوْمِيُ بهما إلى إنسان ، فيهتدي ، قال أعرابي :

قَلْبْتُ ثِيَابِي وَالظُّنُونُ تَجُولُ بِي وَتَرْمِي بِرَحْلِي نَحْوَ كُلِّ سَبِيلِ
فَلَأَيًّا بَلَاءِي مَا عَرَفْتُ جَلِّيَّتِي وَأَبْصَرْتُ قَصْدًا لَمْ يَصِبْ بِدَلِيلِ
وقال أبو العَمَلَسِ الطَّائِي :

فَلَوْ أَبْصَرْتُنِي بِلَوَى بَطَانٍ أَصَفَّقُ بِالْبَنَانِ عَلَى الْبَنَانِ
فَأَقْلَبُ تَارَةً خَوْفًا رَدَائِي وَأَصْرُخُ تَارَةً بِأَبِي فُلَانِ
لَقَلْتُ أَبُو الْعَمَلَسِ قَدْ دَهَاهُ مِنَ الْجِنَانِ خَالَعَةُ الْعِنَانِ
والأصل في قَلْبِ الثِّيَابِ التَّفَاوُلُ بِقَلْبِ الْحَالِ ، وقد جاء في الشَّرِيعَةِ الْإِسْلَامِيَّةِ نَحْوُ ذَلِكَ فِي الْأَسْتِسْقَاءِ .

ومن مذاهب العرب أن الرجل منهم كان إذا سافر عمداً إلى خيط فَعَقَدَهُ في غُصْنِ شجرة أو في ساقها ، فإذا عاد نظرَ إلى ذلك الخيط فإنَّ وجَدَهُ بحالِهِ عَلِمَ أن زوجته لم تُخُنْهُ ، وإن لم يجدْهُ أو وجده مُحْلُولاً قال : قد خانتني ، وذلك العَقْدُ يُسَمَّى الرِّثَمَ ، ويقال : بل كانوا يَعْقِدُونَ طَرَفًا من غُصْنِ الشَّجَرَةِ بِطَرَفِ غُصْنٍ آخَرَ ، وقال الراجز :

هل يَنْفَعُكَ اليَوْمَ إنْ هِيتَ بِهِمْ كَثْرَةُ ماتَوْصِي وتَعْقَادِ الرِّثَمِ ^(١)
وقال آخر :

خانتَهُ لما رأت شَيْباً بِمَفْرِقِهِ وَغَرَّهُ حُلْفُهَا والعَقْدُ للرِّثَمِ
وقال آخر :

لا تَحْسَبَنَّ رَتَائِمًا عَقَدْتَهَا تُنْبِيكَ عَنْهَا باليقينِ الصَّادِقِ
وقال آخر :

يَعْلَلُ عَمْرُو بِالرَّتَائِمِ قَلْبَهُ وفي الحَيِّ ظَبْيٌ قد أَحْلَتْ مَحَارِمُهُ
فما نَفَعَتْ تلكَ الوَصَايَا ولا جَنَّتْ عَلَيْهِ سِوَى ما لا يَحِبُّ رَتَائِمُهُ
وقال آخر :

ماذا الَّذِي تَنْفَعُكَ الرَّتَائِمُ إِذْ أَصْبَحْتَ وَعِشْقُهَا مُلَازِمُ
وهي على لَذَائِمِهَا تُدَاوِمُ يَزُورُهَا طَبُّ الْفُؤَادِ عَارِمُ
* بَكلٌ أَدَواءُ النِّساءِ عَالِمُ *

وقد كانوا يَعْقِدُونَ الرِّثَمَ لِلْجُمِيِّ وَيَرَوْنَ أَنَّ من حَالِهَا انْتَقَلَتْ الْحَيُّ إِلَيْهِ ،
وقال الشاعر :

حَلَّتْ رَتِيمَةً فَكُنْتُ شَهْرًا أَكْبَدُ كُلِّ مَكْرُوهِ الدَّوَاءِ

وقال ابنُ السَّكَيْتِ : إِنَّ العربَ كانت تقول : إِنَّ المرأةَ المِقلاتِ وهى التى لا يعيشُ لها ولد ، إِذَا وَطِئَتْ القَتِيلَ الشَّرِيفَ عاشَ ولدها ، قال بِشْرُ بْنُ أَبِي خازِمٍ :
تَظَلُّ مَقَالِيتُ النِّسَاءِ تَطَانَهُ يَقُذْنَ أَلَا يُلْقَى عَلَى الْمَرْءِ مِئْزَرٌ^(١)
وقال أبو عُبَيْدَةَ : تتخطاهُ المِقلاتُ سبعَ مرَّاتٍ ، فذلك وَطؤها له .
وقال ابنُ الأَعرابى : يَمْرُون به ويطئون حوله وقيل : إِنَّمَا كانوا يَفْعَلُونَ ذلك بالشَّرِيفِ يُقَتِّلُ غَدْرًا أَوْ قَوْدًا .

وقال الكُمَيْتُ :

وَتُطِيلُ الرِّزَّاتُ المَقَالِيَةَ تٌ إِلَيْهِ القُعودَ بَعْدَ القِيَامِ
وقال الآخرُ :

تَرَكْنَا الشَّعْثَمِينَ بِرَمْلِ حَبْتٍ تَزُورُهُمُ مَقَالِيتُ النِّسَاءِ
وقال الآخرُ :

بَنَفْسِي الَّتِي تَمْشِي المَقَالِيتُ حَوْلَهُ يُطَافُ لَهُ كَشْحًا هَضِيماً مُهْشِماً
وقال آخرُ :

تَبَاشَرَتِ المَقَالِيتُ حِينَ قَالُوا ثَوَى عَمْرُو بْنُ مُرَّةٍ بِالْخَفِيرِ

ومن تَحْيِلاتِ العَرَبِ وَخُرَافَاتِهَا أَنَّ الغَلامَ مِنْهُمْ كانَ إِذَا سَقَطَتْ لَهُ سِنَّ أَخَذَهَا بَيْنَ السَّبَّابَةِ وَالْإِبْهَامِ وَأَسْتَقْبَلَ الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ وَقَذَفَ بِهَا ، وقال : يَأْشُمُّ أَبْدِلِيْنِي بِسِنَّ أَحْسَنَ مِنْهَا ، وَلِيَجْزِ فِي ظَلَمِهَا يَاتَكَ ، أَوْ تقول : « إِيَاؤُكَ » ، وهما جَمِيعَا شُعَاعِ الشَّمْسِ قال طَرَفَةُ :

* سَقَتَهُ إِيَّاءُ الشَّمْسِ (١) *

وإلى هذا الخيال أشارَ شاعرُهم بقوله :

شَادِنٌ يَجْلُو إِذَا مَا انْتَسَمَتْ عَنْ أَقَاحِ كَأَقَاحِ الرَّمْلِ غَرٌّ
بَدَلَتْهُ الشَّمْسُ مِنْ مَنَبَتِهِ بَرْدًا أَيْضَاصَ مَقْصُولِ الْأَشَرِّ
وَقَالَ آخَرُ :

وَأَشْنَبُ وَاضِحٌ عَذْبُ الثَّنَايَا كَأَنَّ رُضَابَهُ صَافِي الْمُدَامِ
كَسَتْهُ الشَّمْسُ لَوْنًا مِنْ سَنَاهَا فَلَاحَ كَأَنَّهُ بَرَقُ الْغَمَامِ
وَقَالَ آخَرُ :

بَذَى أَشَرٌّ عَذْبُ الْمَذَاقِ تَفَرَّدَتْ بِهِ الشَّمْسُ حَتَّى عَادَ أَيْضَاصَ نَاصِعًا
وَالنَّاسُ الْيَوْمَ فِي صَبِيَانِهِمْ عَلَى هَذَا الْمَذْهَبِ .
وَكَانَتِ الْعَرَبُ تَعْتَقِدُ أَنَّ دَمَ الرَّئِيسِ يَشْفِي مِنَ عَضَّةِ الْكَلْبِ الْكَلْبَ ؛
قَالَ الشَّاعِرُ :

بُنَاةٌ مَكَارِمُ وَأَسَاةٌ جُرَاحُ دِمَاؤُهُمْ مِنَ الْكَلْبِ الشِّفَاءُ
وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْدِ الْأَسَدِيُّ :
مِنْ خَيْرِ بَيْتٍ عَلِمْنَاهُ وَأَكْرَمِهِ كَانَتْ دِمَاؤُهُمْ تَشْفِي مِنَ الْكَلْبِ
وَقَالَ الْكُمَيْتُ :

أَحْلَامُكُمْ لِسَقَامِ الْجَنَهِلِ شَافِيَةٌ كَمَا دِمَاؤُكُمْ تَشْفِي مِنَ الْكَلْبِ

وَمِنْ مِثْلَاتِ الْعَرَبِ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا خَافُوا عَلَى الرَّجُلِ الْجُنُونَ وَتَعَرَّضَ الْأَرْوَاحُ

(١) البيت بتمامه :

سَقَتَهُ إِيَّاءُ الشَّمْسِ إِلَّا لثَاتِهِ . أَسَفَ وَلَمْ تَكْدَمْ عَلَيْهِ بِإِثْمِدِ

الخبثية له نجسوه بتعليق الأقدار عليه ، كخِرقة الخيض وعِظام الموتى ، قالوا : وأنفع من ذلك أن تعلق عليه طامثٌ عِظام موتى ، ثم لا يراها يومه ذلك ، وأنشدوا للممزق العبدى :

فلو أن عندى جارتين وراقياً وعلقَ أنجاساً على المعلق
قالوا : والتنجيس يشفى إلا من العشق ، قال أعرابى :

يقولون علق يالك الخير رمةً وهل ينفع التنجيس من كان عاشقاً !
وقالت امرأة - و نجست ولدها فلم ينفعه ومات !

نجستُ لو ينفع التنجيسُ والموتُ لا تفوته النفوس
وكان أبو مهدية يعلق في عنقه العظام والصوف حذر الموت ، وأنشدوا :
أتوتى بأنجاسٍ لهم ومنجسٍ فقلتُ لهم ماقدّر الله كأنى

ومن مذاهبهم أن الرجل منهم كان إذا خدّرت رجله ذكّر من يحبّ أو دَعاه
فيذهب خدرها .

وروى أن عبد الله بن عمر خدّرت رجله ، فقيل له ادعُ أحبّ الناس إليك ، فقال :
يا رسول الله .

وقال الشاعر :

على أن رجلى لا يزالُ أمّذلاًها مُقيماً بها حتى أُجِلك في فِكرى
وقال كثير :

إذا مَدَلْتُ رجلى ذكركِ أَشتى بدعواك من مَدَلٍ بها فيهن^(١)
وقال جميل :

وأنتِ لَعِينِي قرّةً حينَ نلتقى وذكركِ يَشْفِينِي إذا خدّرتِ رجلى^(٢)

وقالت امرأة :

إِذَا خَدِرْتُ رَجُلِي دَعَوْتُ ابْنَ مَصْعَبٍ فَإِنْ قُلْتُ عَبْدَ اللَّهِ أَجَلِي فَتَوَرُّهَا

وقال آخر :

صَبٌّ مَحَبٍّ إِذَا مَارِجُهُ خَدِرَتْ نَادَى كُبَيْشَةَ حَتَّى يَذْهَبَ الْخَدَرُ

وقال المؤمل :

وَاللَّهِ مَا خَدِرْتُ رَجُلِي وَلَا عَثَرْتُ إِلَّا ذَكَرْتُكَ حَتَّى يَذْهَبَ الْخَدَرُ

وقال الوليد بن يزيد :

أُثْبِي هَائِمًا كَلِيفًا مُعْنًى إِذَا خَدِرْتُ لِرَجُلٍ دَعَاكَ

ونظير هذا الوهم أن الرجل منهم كان إذا اختلجت عينه قال : أَرَى مَنْ أُحِبُّهُ ،

فإن كان غائبا توقع قدومه ، وإن كان بعيدا توقع قرُبه .

وقال بشر :

إِذَا اخْتَلَجَتْ عَيْنِي أَقُولُ لَعَلَّهَا فَتَأْتِ بَنِي عَمْرُو بِهَا الْعَيْنُ تَلْمَعُ^(١)

وقال آخر :

إِذَا اخْتَلَجَتْ عَيْنِي تَيَقَّنْتُ أَنَّي أَرَاكَ وَإِنْ كَانَ الْمَزَارُ بَعِيدَا

وقال آخر :

إِذَا اخْتَلَجَتْ عَيْنِي أَقُولُ لَعَلَّهَا لِرُؤُوبِهَا تَهْتَاجُ عَيْنِي وَتَطْرِفُ

وهذا الوهم باقٍ في الناس اليوم .

ومن مذهبهم أن الرجل منهم كان إذا عَشِقَ ولم يَسْلُ وَأَفْرَطَ عَلَيْهِ الْعِشْقُ حَمَلَهُ

رجلٌ على ظهره كما يحمل الصبيّ ، وقام آخر فأحى حديدةً أو ميلاً ، وكوى به بين
اليتيم فيذهب عشقه فيما يزعمون .

وقال أعرابي :

كويتم بين رافتيّ جَهلاً ونارُ القلب يُضرمُها الغرامُ
وقال آخر :

شكوتُ إلى رفيقٍ اشتياقي فجاءني وقد جمعا دواء
وجاء بالطبيب ليكوياني ولا أبغى - عَدِمتُهما - اِكْتِواء
ولو أتيا بسلمي حين جاء لعاضاني من السقم الشفاء
واستشهد الخالع على هذا المعنى بقول كثير :

أغاضرَ لو شهدتِ غداةَ بَنْتُمُ حُنُوَ العائذاتِ على وسادي
أويتَ لعاشقٍ لم ترحمه بواقِدةٍ تلذّع بالزناد

هذا البيت ليس بصريح في هذا الباب ، ويحتمل أن يكون مراده فيه المعنى المشهور
المطروق بين الشعراء من ذكر حراره الوجد ولذعه ، وتشبيهه بالنار ، إلا أنه قد
روى في كتابه خبراً يؤكد المقصد الذي عزاه وادّعاه ، وهو عن محمد بن سليمان
ابن فليح ، عن أبيه ، عن جدّه ، قال : كنتُ عندَ عبدِ الله بنِ جعفر ، فدخل
عليه كثيرٌ وعليه أثرُ عِلّةٍ ، فقال عبدُ الله : ما هذا بك ؟ قال : هذا ما فعلتُ بي أمُّ
الحويرث ، ثم كَشَفَ عن ثوبه وهو مكوى ، وأنشد :

عفا الله عن أمِّ الحويرثِ ذنبها علامُ تُعَنِّيني وتكُمِّي دوائيا !
ولو آذنوني قبل أن يرقموا بها لقلت لهم : أمُّ الحويرث دائيا

وَمِنْ أَوْهَامِهِمْ وَتَخَيُّلاتِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَزْعُمُونَ أَنَّ الرَّجُلَ إِذَا أَحَبَّ امْرَأَةً وَأَحْبَبَتْهُ
فَشَقَّ بَرُقْعَهَا ، وَشَقَّتْ رِدَاءَهُ ، صَلَحَ حَبُّهُمَا وَدَامَ ، فَإِنْ لَمْ يَفْعَلَا ذَلِكَ فَسَدَ حَبُّهُمَا ؛ قَالَ
سُحَيْمٌ عَبْدُ بَنِي الْحَسْحَاسِ :

وَكَمْ قَدْ شَقَقْنَا مِنْ رِدَاءِ مُحَبَّرٍ وَمَنْ بَرُقَعَ عَنْ طِفْلَةٍ غَيْرِ عَابِسٍ ^(١)
إِذَا شُقَّ بُرْدُ شُقٍّ بِالْبَرْدِ بَرُقَعٌ دَوَالِيكَ حَتَّى كَلَّنَا غَيْرَ لَابِسٍ
نَرُومُ بِهِذَا الْفِعْلِ بَقِيًّا عَلَى الْهَوَى وَإِلْفُ الْهَوَى يَغْرِى بِهِذَى الْوَسَاوِسِ
وَقَالَ آخِرُ :

شَقَقْتُ رِدَائِي يَوْمَ بَرُقَعَةٍ عَالِجٍ وَأُمَكْنِي مِنْ شُقِّ بَرُقَعِكَ السَّحِقِ
فَمَا بَالُ هَذَا الْوُدِّ يَفْسُدُ يَبْنِنَا وَيَمَحَقُ حُبُّ الْوَصْلِ مَا بَيْنَنَا مَحَقًا

وَمِنْ مَذَاهِبِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَرَوْنَ أَنَّ أَكْلَ لَحُومِ السَّبَاعِ تَزِيدُ فِي الشَّجَاعَةِ وَالْقُوَّةِ ،
وَهَذَا مَذْهَبُ طِبِّيٍّ ، وَالْأَطْبَاءُ يَعْتَقِدُونَهُ ، قَالَ بَعْضُهُمْ :

أَبَا الْمَعَارِكِ لَا تُتَعَبُ بِأَكْلِكَ مَا تَنْظُنَّ أَنَّكَ تُنْفَى مِنْهُ كَرَارًا
فَلَوْ أَكَلْتَ سِبَاعَ الْأَرْضِ قَاطِبَةً مَا كُنْتَ إِلَّا جَبَانِ الْقَلْبِ خَوَّارًا
وَقَالَ بَعْضُ الْأَعْرَابِ - وَأَكْلُ فُؤَادِ الْأَسَدِ لِيَكُونَ شَجَاعًا - فَعَدَا عَلَيْهِ نَمِرٌ فَجَرَحَهُ :
أَكَلْتُ مِنَ اللَّيْثِ الْمَصُورِ فُؤَادَهُ لِأَصْبِحَ أَجْرَى مِنْهُ قَلْبًا وَأَقْدَمًا
فَأَدْرَكَ مِنِّي ثَارَهُ بَابِنِ أَخْتِهِ فَيَالَكَ ثَارًا مَا أَشَدَّ وَأَعْظَمًا !
وَقَالَ آخِرُ :

إِذَا لَمْ يَكُنْ قَلْبُ الْفَتَى غُدُوَّةَ الْوَغَى أَصَمَّ فَقَلْبُ اللَّيْثِ لَيْسَ بِنَافِعِ

وما نفعُ قلبِ الليثِ في حَوْمةِ الوَعَى إذا كان سيفُ المرءِ ليس بقاطِع !

ومن مَذاهِبِهِمْ أَنَّ صَاحِبَ الفَرَسِ المَهْقُوعِ إذا رَكِبَهُ فَعَرِقَ تَحْتَهُ اغْتَلَمَتْ أَمْرَأَتُهُ وَطَمَحَتْ إِلَى غَيْرِهِ ، وَالْهَقْعَةُ : دَائِرَةٌ تَكُونُ بِالْفَرَسِ ، وَرَبَّمَا كَانَتْ عَلَى الْكَتِفِ فِي الْأَكْثَرِ ، وَهِيَ مُسْتَقْبَحَةٌ عِنْدَهُمْ ، قَالَ بَعْضُهُمْ لَصَاحِبِهِ :

إِذَا عَرِقَ المَهْقُوعُ بِالْمَرْءِ أَنْعَمْتُ حَلِيلَتُهُ وَازْدَادَ حَرُّ عَجَائِزِهَا فَاجَابَهُ صَاحِبُهُ :

قَدْ يَرْكَبُ المَهْقُوعَ مَنْ لَيْسَ مِثْلَهُ وَقَدْ يَرْكَبُ المَهْقُوعَ زَوْجَ حَصَّانٍ^(١)

وَمِنْ مَذاهِبِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا يُوْقِدُونَ النَّارَ خَلْفَ الْمَسَافِرِ الَّذِي لَا يَجِبُونَ رَجُوعَهُ ، يَقُولُونَ فِي دَعَائِهِمْ : أَبْعَدْهُ اللَّهُ وَأَسْحَقْهُ ، وَأَوْقِدْ نَارًا أَثَرَهُ ! قَالَ بَعْضُهُمْ : صَحَوْتُ وَأَوْقِدْتَ لِلْجَهْلِ نَارًا وَرَدَّ عَلَيْكَ الصَّبَا مَا اسْتَعَارَا وَكَانُوا إِذَا خَرَجُوا إِلَى الْأَسْفَارِ أَوْقَدُوا نَارًا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَنْزِلِ الَّذِي يَرِيدُونَهُ ، وَلَمْ يُوقِدُوها بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْمَنْزِلِ الَّذِي خَرَجُوا مِنْهُ ؛ تَفَاوُلَا بِالرَّجُوعِ إِلَيْهِ .

وَمِنْ مَذاهِبِهِمْ الْمَشْهُورَةُ تَعْلِيقُ كَعْبِ الْأَرْنَبِ ، قَالَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ : قُلْتُ لَزِيدِ بْنِ كَثُوفَةَ : أَتَقُولُونَ : إِنَّ مَنْ عُلِّقَ عَلَيْهِ كَعْبُ أَرْنَبٍ لَمْ تَقْرُبْهُ جَنَّاتُ الدَّارِ ، وَلَا عُتَارَاتُ الْحَيِّ ؟ قَالَ : إِي وَاللَّهِ ، وَلَا شَيْطَانُ الْخِمَاطَةِ وَلَا جَارُ الْعُشَيْرَةِ ، وَلَا غُولُ الْقَفْرِ . وَقَالَ أَمْرُؤُ الْقَيْسِ :

(١) اللسان (هقع) دون نسبة .

أَيَاهُنْدُ لَا تَنْكِحِي بُوهَةً عَلَيْهِ عَقِيقَتُهُ أَحْسَبًا^(١)
 مَرَسْمَةً بَيْنَ أَدْبَاقِهِ بِهِ عَسَمٌ يَبْتَغِي أَرْبَابًا
 لِيَجْعَلَ فِي رِجْلِهِ كَعْبَهَا حِذَارَ الْمَنِيَّةِ أَنْ يَعْطَبَا

والخماطة : شجرة ، والعشيرة : تصغير العشرة ، وهي شجرة أيضا .

وقال أبو محمّد : كانت العرب تعلق على الصبيّ سِنَّ ثعلب وسِنَّ هِرّة خوفا من
 الخطفة والنظرة ، ويقولون : إِنَّ جَنِّيَّةً أَرَادَتْ صَبِيَّ قَوْمٍ فَلَمْ تَقْدِرْ عَلَيْهِ ، فَلَامَهَا قَوْمُهَا
 مِنَ الْجَنِّ فِي ذَلِكَ ؛ فَقَالَتْ تَعْتَذِرُ إِلَيْهِمْ :

كَأَنَّ عَلَيْهِ نَفْرَةً ثَعَالِبٌ وَهِيَ رَرَّةٌ

* وَالْحَيْضُ حَيْضُ السَّمُرَةِ *

والسَّمُرَةُ شَيْءٌ يَسِيلُ مِنَ السَّمُرِ كَدَمِ الْغَزَالِ ؛ وَكَانَتِ الْعَرَبُ إِذَا وَلَدَتِ الْمَرْأَةُ أَخَذُوا
 مِنْ دَمِ السَّمُرِ - وَهُوَ صَمَغُهُ الَّذِي يَسِيلُ مِنْهُ - يَنْقُطُونَهُ بَيْنَ عَيْنَيْ النِّفْسَاءِ ؛ وَخَطُّوا عَلَى وَجْهِ
 الصَّبِيِّ خَطًّا ، وَيُسَمَّى هَذَا الصَّمْغُ السَّائِلُ مِنَ السَّمُرِ الدَّوْدَمَ ؛ وَيُقَالُ بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ أَيْضًا ،
 وَتُسَمَّى هَذِهِ الْأَشْيَاءُ الَّتِي تُلَقَّقُ عَلَى الصَّبِيِّ : النَّفَرَاتُ .

قال عبد الرحمن بنُ أُخِي الْأَصْمَعِيُّ : إِنَّ بَعْضَ الْعَرَبِ قَالَ لِأَبِي : إِذَا وُلِدَ لَكَ وَلَدٌ
 فَنفّر عنه ، فقال له : أَيْ ، وما التنفير ؟ قال : غَرَبَ أَسْمَهُ ؛ فَوُلِدَ لَهُ وَلَدٌ فَسَمَاهُ قُنْفُذًا ،
 وَكَنَاهُ أَبَا الْعَدَاءِ ؛ قَالَ : وَأَنْشَدَ أَبِي :

كَأَلْخَمَرٍ مَزْجُ دَوَائِهَا مِنْهَا بِهَا تَشْنِي الصُّدَاعَ وَتُبْرِئُ الْمَنْجُودَا^(٢)

قال : يريد أن القنفذ من مراكب الجنّ ؛ فداوى منهم ولده بمراكبهم .

ومن مذاهبهم أن الرجل منهم كان إذا ركب مفازةً وخاف على نفسه من طوارق الليل عمد إلى وادى شجر فأناخ راحلته في قرارته ، وعقلها وخط عليها خطاً ثم قال : أعوذ بصاحب هذا الوادى ، وربما قال : بعظيم هذا الوادى ، وعن هذا قال الله سبحانه فى القرآن : ﴿ وَأَنَّهُ كَانَتْ رِجَالٌ مِّنَ الْإِنسِ يَعُوذُونَ بِرِجَالٍ مِّنَ الْجِنِّ فَزَادُوهُمْ رَهَقًا ﴾ (١) .

واستعاذ رجل منهم ومعه ولدٌ فأكله الأسد ، فقال :
قد أستمذنا بعظيم الوادى من شرِّ ما فيه من الأعدى
* فلم يُجِرْنا من هزبرٍ عادى *

وقال آخر :

أعوذُ من شرِّ البلاد البِيدِ بسيدٍ معظَّمٍ مجيدِ
أصبحَ يأوى بِلوى زُرودِ ذى عِزَّةٍ وكاهلٍ شديدِ
وقال آخر :

ياجنّ أجراء اللوى من عاجلِ عاذَ بكم سارى الظلام الدالجِ
* لا ترهقهوه بغوى هائجِ *

وقال آخر :

قد بت ضيفا لعظيم الوادى المانى من سَطوة الأعدى
* راحلتى فى جاره وزادى *

وقال آخر :

هيا صاحب الشجر اهل أنت مانى فإنى ضئيف نازل بفنائكا

وإنك للحنّان في الأرضِ سيّدٌ ومثلك آوى في الظلام الصّالكا

ومن مذهبهم أنّ المسافر إذا خرج من بلده إلى آخر فلا ينبغي له أن يلتفت ، فإنه إذا التفت عاد ، فلذلك لا يلتفت إلّا العاشق الذي يُريدُ العود ؛ قال بعضهم :
دَعِ التَّلَفْتُ يَا مَسْعُودُ وَأُرِمْ بِهَا وَجَهَ الْهَوَا جِرْ تَأْمَنُ رَجْعَةَ الْبَلَدِ
وقال آخر ؛ أنشدّه الخالغ :

عَيْلَ صَبْرِي بِالْثَعْلَبِيَّةِ لَمَّا طَالَ لَيْلِي وَمَلَنِي قُرْنَائِي
كَلَّمَا سَارَتِ الْمَطَايَا بِنَامِي لَأَنْ تَنْفَقْتُ وَالتَفْتُ وَرَائِي

هذان البيتان ذكرهما الخالغ في هذا الباب ، وعندى أنّه لا دلالة فيهما على ما أراد ، لأنّ التلّفت في أشعارهم كثير ، ومُرَادُهُم به الإبانة والإعراب عن كثرة الشوق ، والتأسّف على المفارقة ، وكون الراحل عن المنزل حيث لم يُمكنه المقام فيه بجُثمانه يُدْبِعه بصره ، ويتزوّد من رؤيته ؛ كقول الرضى رحمه الله :

وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى طُلُوهُمْ وَرُسُومِهِمْ بِيَدِ الْبَلَى نَهَبُ^(١)
فَوَقَفْتُ حَتَّى ضَجَّ مِنْ لَغَبٍ نِضْوِي وَلَجَّ بَعْدُ لِي الرَّكْبُ
وَتَلَقَّتْ عَيْنِي فَمَذْخَفِيَتْ عَنِ الطُّلُولِ تَلَفَّتَ الْقَلْبُ

وليس يُقصد بالتلّفت هاهنا التفاؤل بالرجوع إليها ، لأن رسومها قد صارت نهبا ليد البلى ، فأى فائدة في الرجوع إليها ! وإنما يريد ماقدّمنا ذكره من الحنين والتذكّر لما مضى من أيامه فيها ، وكذلك قول الأول :

تَلَفْتُ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى وَجَدْتُنِي وَجِئْتُ مِنَ الْإِصْفَاءِ لَيْتًا وَأُخْدَعًا^(١)
ومِثْلَ ذَلِكَ كَثِيرٌ ، وَقَالَ بَعْضُهُمْ فِي الْمَذْهَبِ الْأَوَّلِ :

تَلَفْتُ أَرْجُو رَجْعَةً بَعْدَ نِيَّةٍ فَكَانَ التَّفَاتِي زَائِدًا فِي بَلَائِيَا
أَأَرْجُو رُجُوعًا بَعْدَ مَا حَالَ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ حَزْنُ الْفَلَا وَالْفَيَافِيَا !
وَقَالَ آخَرُ ، وَقَدْ طَلَّقَ امْرَأَتَهُ فَتَلَفْتُ إِلَى :

تَلَفْتُ تَرْجُو رَجْعَةً بَعْدَ فُرْقَةٍ وَهِيَهَاتَ مِمَّا تَرْتَجِي أُمُّ مَازِنِ !
أَلَمْ تَعْلَمْ أَنِّي جَمُوحٌ عِنَانُهُ إِذَا كَانَ مِنْ أَهْوَاهُ غَيْرَ مَلَائِنِ !

وَمِنْ مَذَاهِبِهِمْ ، إِذَا بُثِرَتْ شَفَّةُ الصَّبِيِّ حَمْلٌ مُنْخَلًا عَلَى رَأْسِهِ ، وَنَادَى بَيْنَ بَيْتِ الْحَيِّ :
الْحَلَا الْحَلَا ، الطَّعَامُ الطَّعَامُ ، فَتَلْقَى لَهُ النِّسَاءَ كَسَرَ الْخُبْزِ وَأَقْطَاعَ التَّمْرِ وَاللَّحْمِ فِي الْمُنْخُلِ ،
ثُمَّ يَلْقَى ذَلِكَ لِلْكَلابِ فِتْنًا كُلَّهُ فَيَبْرَأُ مِنَ الْمَرَضِ ، فَإِنْ أَكَلَ صَبِيًّا مِنَ الصَّبِيَّانِ
مِنْ ذَلِكَ الَّذِي أَلْقَاهُ لِلْكَلابِ تَمْرَةً أَوْ لُقْمَةً أَوْ لَحْمَةً أَصْبَحَ وَقَدْ بُثِرَتْ شَفَّتُهُ .
وَأَنْشِدْ لَامْرَأَةٍ :

أَلَا حَلَا فِي شَفَّةٍ مُشْقُوقَةٍ فَقَدْ قَضَى مُنْخُلُنَا حُقُوقَهُ

وَمِنْ مَذَاهِبِهِمْ أَنَّ الرَّجُلَ مِنْهُمْ كَانَ إِذَا طَرَفَتْ عَيْنُهُ بِثُوبٍ آخَرَ مَسَحَ الطَّارِفَ عَيْنَ
الْمَطْرُوفِ سَبْعَ مَرَّاتٍ ؛ يَقُولُ : فِي الْأُولَى : يَا حُدَى جَاءَتْ مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَفِي الثَّانِيَةِ : بَاثْنَتَيْنِ
جَاءَتَا مِنَ الْمَدِينَةِ ، وَفِي الثَّالِثَةِ بَثْلَاثٍ جِئْنَ مِنَ الْمَدِينَةِ ، إِلَى أَنْ يَقُولَ فِي السَّابِعَةِ : سَبْعُ
جِئْنَ مِنَ الْمَدِينَةِ ، فَتَبْرَأُ عَيْنُ الْمَطْرُوفِ .

وفيه من يقول : بإحدى من سبع جئن من المدينة ، باثنتين من سبع ، إلى أن يقول بسبع من سبع .

ومن مذاهبهم أن المرأة منهم كان إذا عسر عليها خاطب النكاح نشرت جانباً من شعرها ، وكحلت إحدى عينيها مخالفة للشعر المنشور ، وحجّلت على إحدى رجليها ويكون ذلك ليلاً ، وتقول : يالكاح ، أبني النكاح ، قبل الصباح ؛ فيسهل أمرها وتزوّج عن قرب ، قال رجل لصديقه وقد رأى امرأة تفعل ذلك :

أما ترى أملك تبغى بعلاً قد نشرت من شعرها الأقلاباً
ولم تؤفّ مقلتيها كحلاً ترفع رجلاً وتحطّ رجلاً
هذا وقد شاب بنوها أصلاً وأصبح الأصغر منهم كهلأ
خذ القطيع ثم سمنها الذلاً ضرباً به تترك هذا الفعلاً

وقال آخر :

قد كحلت عيناً وأعفت عيناً وحجّلت ونشرت قريناً
* تظنّ زيناً ما تراه شيناً *

وقال آخر :

تصنّعي ما شئت أن تصنّعي وكحلي عينيك أو لا فدعي
ثم احجلي في البيت أوفى الجمع مالك في بعل أرى من مطمع

ومن مذاهبهم كانوا إذا رحل الضيف أو غيره عنهم وأحبّوا ألا يودّ كسروا

شيئا من الأواني وراءه ، وهذا مما تَعَمَلَه الناسُ اليومُ أيضا ، قال بعضهم :
كسَرْنَا القَدْرَ بعد أبي سَواحٍ فَعَادَ وَقَدَرْنَا ذَهَبْتُ ضَيَاعًا
وقال آخَرُ :

وَلَا تَكْسِرِ الكِيزَانَ فِي إِثْرِ ضَيْفِنَا وَلَكِنَّا نَقْفِيهِ زَادًا لِيَرْجِعَا
وقال آخَرُ :

أما والله أنَّ بَنِي نَقِيْلٍ لِحَالِلُونَ بِالشَّرَفِ اليَفَاعِ
أَناسٌ لَيْسَ تَكْسِرُ خَلْفَ ضَيْفٍ أَوَانِيَهُمْ وَلَا شَعْبَ القِصَاعِ

ومن مذاهبهم قولهم : إنَّ من ولد في القَمَرَاءِ تَقَلَّصَتْ غُرْلَتُهُ^(١) ، فكان كالمَخْتُونِ .
ويجوز عندنا أن يكون ذلك من خواصِّ القمر ، كما أنَّ من خواصِّه إبلاءُ الكَتَّانِ ،
وإنتان اللحم ، وقد رَوَى عن أمير المؤمنين عليه السلام : إذا رَأَيْتَ الغلامَ طَوِيلَ الغُرْلَةِ فَأَقْرِبْ
به من السُّوددِ ، وإذا رَأَيْتَهُ قَصِيرَ الغُرْلَةِ كَأَنَّمَا خَتَنَهُ القَمَرُ فَأَبْعِدْ به .
وقال امرؤ القيس لقيصر ، وقد دخل معه الحمامَ فَرَأَاهُ أَقْلَفَ :

إِنِّي حَلَفْتُ يَمِينًا غَيْرَ كاذِبَةٍ لَأَنْتَ أَغْلَفُ إِلَّا مَا جَنَى القَمَرُ^(٢)

ومن مذاهبهم التَّشَاوُمُ بِالْعُطَاسِ ، قال امرؤ القيس :

* وَقَدْ اغْتَدَى قَبْلَ العُطَاسِ^(٣) بَهِيكَلٍ *

وقال آخَرُ :

(١) الغرلة : القلفة ، وهي الجلدة في رأس الإحليل قبل الختان .

(٢) البيت بتمامه :

(٣) ديوانه ٢٨٠

وَقَدْ اغْتَدَى قَبْلَ العُطَاسِ بَهِيكَلٍ شَدِيدٍ مَنِيعٍ الجَنْبِ فَعَمَّ المنطَقِ

وخرقٍ إذا وجهت فيه لفزوة مضيت ولم يحبسك عنه العواطسُ

ومن مذاهبهم قولهم في الدعاء : لا عشتَ إلاّ عيش القراد ! يضربونه مثلاً في الشدة والصبر على المشقة ، ويزعمون أنّ القراد يعيش ببطنه عاماً وبظهره عاماً ، ويقولون : إنه يترك في طينة ويرمى بها الحائط فيبقى سنة على بطنه ، وسنة على ظهره ولا يموت ، قال بعضهم :

فلا عشتَ إلاّ كعيش القرا دعاماً ببطنٍ وعاماً بظهرٍ

ومن مذاهبهم كانت النساء إذا غاب عنهنّ من يحببنه أخذن ثراباً من موضع رجله ، كانت العرب تزعم أنّ ذلك أسرع لرجوعه .
وقالت امرأة من العرب - واقتبضت من أثره :

ياربّ أنت جاره في سفره وجار خصّيه وجار ذكره

وقالت امرأة :

أخذتُ ثراباً من موطن رجله غداة غداً كيما يؤوبَ مسلماً

ومن مذاهبهم ، أنّهم كانوا يسمّون العشا في العين الهدبد ، وأصل الهدبد ، اللبن الخاثر ، فإذا أصاب أحدهم ذلك عمد إلى سنام ففطع منه قطعةً ومن الكبد قطعة ، وقلاهما ، وقال عند كلّ لقمة يأكلها بعد أن يمسح جفنه الأعلى بسبّابته :

فيا سناماً وكبدً ألا أذهبا بالهدبد^(١)

ليس شفاء الهدبد إلا السنام والكبد

قال : فيذهب العشاء بذلك .

ومن مذاهبهم اعتقادهم أَنَّ الْوَرَلَّ وَالْقَنْفِذَ وَالْأَرْبَ وَالظَّيَّ وَالْيَرْبُوعَ وَالنِّعَامَ
مَرَاكِبُ الْجَنِّ يَمْتَطُونَهَا ، وَلَهُمْ فِي ذَلِكَ أَشْعَارٌ مَشْهُورَةٌ ، وَيَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ يَرَوْنَ الْجَنَّ
وَيُظَاهِرُونَهُمْ وَيَخَاطِبُونَهُمْ ، وَيَشَاهِدُونَ الْغُولَ ، وَرَبْمَا جَامِعُوهَا وَتَزَوَّجُوهَا ، وَقَالُوا : إِنْ
عَمِرُو بْنُ يَرْبُوعٍ تَزَوَّجَ الْغُولَ وَأَوْلَدَهَا بَنِينَ ، وَمَكَّثَتْ عِنْدَهُ دَهْرًا ؛ فَكَانَتْ تَقُولُ لَهُ :
إِذَا لَاحَ الْبَرْقُ مِنْ جِهَةِ بِلَادِي - وَهِيَ جِهَةُ كَذَا - فَاسْتَرْهُ عَنِّي ، فَإِنِّي إِنْ لَمْ تَسْتَرْهُ عَنِّي
تَرَكْتُ وَلَدَكَ عَلَيْكَ ، وَطَرْتُ إِلَى بِلَادِ قَوْمِي ؛ فَكَانَ عَمِرُو بْنُ يَرْبُوعٍ كُلَّمَا بَرَقَ الْبَرْقُ
غَطَّى وَجْهَهَا بِرِدَائِهِ فَلَا تُبْصِرُهُ ؛ وَإِلَى هَذَا الْمَعْنَى أَشَارَ أَبُو الْعَلَاءِ الْمَعَرِّيُّ فِي قَوْلِهِ يَذْكُرُ
الْإِبِلَ وَحَنِينَهَا إِلَى الْبَرْقِ :

طَرِبْنَ لَضَوْءَ الْبَارِقِ الْمُتَعَالَى	بِغَدَادَ وَهَنَّا مَا لَهْنٌ وَمَالِي ^(١)
سَمَتْ نَحْوَهُ الْأَبْصَارُ حَتَّى كَانَهَا	بِنَارِيهِ مِنْ هَنَّا وَثُمَّ صَوَالِي
إِذَا طَالَ عَنْهَا سَرَّهَا لَوْ رَوَسَهَا	تَمَدُّ إِلَيْهِ فِي صُدُورِ عَوَالِي
تَمَنَّتْ قَوِيْقًا وَالصَّرَاةَ أَمَامَهَا	تَرَابٌ لَهَا مِنْ أَيْتُقِ وَجَمَالِ
إِذَا لَاحَ إِيْمَاضٌ سَتَرَتْ وَجُوهَهَا	كَأَنِّي عَمِرُو وَالْمَطَى سَعَالِي
وَكَمْ هَمَّ نِضُوٌّ أَنْ يَطِيرَ مَعَ الصَّبَا	إِلَى الشَّامِ لَوْلَا حَبْسُهُ بِعِقَالِي

قالوا : فَفَعَلَ عَمِرُو بْنُ يَرْبُوعٍ عَنْهَا لَيْلَةً وَقَدْ لَمَعَ الْبَرْقُ فَلَمْ يَسْتَرْ وَجْهَهَا ، فَطَارَتْ وَقَالَتْ لَهُ

وَهِيَ تَطِيرُ :

أَمْسِكْ بَنِيكَ عَمِرُو إِنْ أَبَقَ بَرْقٌ عَلَى أَرْضِ السَّعَالِي آَلِقُ^(٢)

ومنهم من يقول : ركبْتُ بعيراً وطارت عليه - أَى أَسْرَعَتْ - فلم يُذَرِكْهَا . وعن هذا قال الشاعر :

رأى برقاً فأَوْضَعَ فوقَ بَكْرِ فَلَإِيكَ مَا أَسَالَ وَلَا أَغَامَا ^(١)
قال : فبنو عمرو بن يَرْبُوع إلى اليوم يُدْعَوْنَ بنى السَّعْلَةِ ، ولذلك قال الشاعر يهجوهم :

يَا قَبِّحَ اللَّهُ بنى السَّعْلَةِ عمرو بن يربوع شِرَار النَّاتِ ^(١)

* ليسوا بأبطالٍ وَلَا أَكْيَاتِ *

فأَبْدَلَ السَّيْنِ تَاءً ، وهى لغة قوم من العرب .

ومن مذاهبهم فى الغول قولهم : إنها إِذَا ضُرِبَتْ ضَرْبَةً وَاحِدَةً بِالسَّيْفِ هَلَكَتْ ، فَإِنْ ضُرِبَتْ ثَانِيَةً عَاشَتْ ، وإلى هذا المعنى أشار الشاعرُ بقوله :

فَقَالَتْ : ثِنٌّ ، قُلْتُ : لَهَا رُؤْيَدًا مَكَانَكَ ، إِنِّى ثُبْتُ الْجِنَانِ

وكانت العرب تسمي أصواتَ الجِنِّ العَرِيفِ وتقول : إن الرجل إذا قَتَلَ قُنْفُذًا أَوْ وَرَلًا لم يَأْمَنَ الجِنُّ على فَحْلٍ إِبْلِهِ ، وإذا أَصَابَ إِبْلَهُ خَطْبٌ أَوْ بَلَاءٌ حَمَلَهُ على ذلك ، ويزعمون أنهم يَسْمَعُونَ الهَاتِفَ بذلك ، ويقولون مثله فى الجَانِّ من الحَيَاتِ ، وقتله عندهم عَظِيمٌ .

ورأى رجلٌ منهم جَانًا فى قعر بُئْرٍ لا يستطيع الخروجَ منها ، فنزل وأَخْرَجَهُ منها على خَطَرٍ عَظِيمٍ ، وَغَمَضَ عَيْنَيْهِ لئلا يرى أين يدخل ، كأنه يريد بذلك التَقَرُّبَ إلى الجِنِّ .

(١) شروح سقط الزند ١١٦٨ . نوادر أبى زيد ١٤٦ ، وروايته : ردما أسال وما أعاما .

وقال أبو عثمان الجاحظ : وكانوا يُسمُّون من يُجاوِر منهم الناسَ عامراً ، والجمع عُمار ، فإن تعرّض للصّبيان فهو رُوح ، فإن خَبُث وتعرّم فهو شيطان ، فإن زاد على ذلك فهو مارد ، فإن زاد على ذلك في القوّة فهو عِفريت ، فإن طَهُر ولطف وصار خيراً كلّهُ فهو مَلَك ؛ ويفاضلون بينهم ، ويعتقدون مع كلّ شاعر شَيْطاناً ، ويسمونهم بأسماء مختلفة ؛ قال أبو عثمان : وفي النّهار ساعاتٌ يُرى فيها الصّغيرُ كبيراً ويوجد لأوساط الفَيافي والرّمالِ والحِرارِ مثل الدّوّى ، وهو طبع ذلك الوقت ، قال ذو الرّمة :

إذا قال حادينا لترّينم نبأه صه لم يكن إلادوى المسمع^(١)

وقال أبو عثمان أيضاً في الذين يذكرون عزيّف الجنّ وتقول الغيلان : إن أثر هذا الأمر وابتداء هذا الخيال أنّ القوم لما نزلوا بلاد الوحش عملت فيهم الوحشة^(٢) ، ومن انفراد وطال مقامه في البلاد الخلاء استوحش ، ولا سيما مع قلة الأشغال وفقد المذاكرين ؛ والوحدة لا تقطع أيامها إلّا بالتمنى والأفكار ، وذلك أحد أسباب الوسواس^(٣) .

ومن عجائب اعتقادات العرب ومذاهبها اعتقادهم في الدّيك والغراب والحمامة وساق حُرّ - وهو الهديل - والحية ، فمنهم من يَعتقد أنّ للجنّ بهذه الحيوانات تعلّقات ، ومنهم من يزعم أنّها نوعٌ من الجنّ ، ويعتقدون أنّ سهيلاً والزّهرة والضّبّ والذئب والضبع مُسُوخ ، ومن أشعارهم في مراكب الجنّ قول بعضهم في قنقذٍ رآه كَيْلاً :

فما يُعجب الجنان منك عدّمتهم وفي الأسد أفراسٌ لهم ونجائب^(٤)
أيسرجُ يربوعٌ ويلجَم قنقذٌ لقد أعوزتكم ما علمت النجائب^(٥) !

(١) ديوانه ٣٦٠ (٢) كذا في ١ والحيوان ، وفي ب : « الوحشة » .

(٤) الحيوان ٦ : ٢٤٠ .

(٣) الحيوان ٦ : ٢٤٩

(٥) الحيوان : « المراكب » .

فإن كانت الجنان جُنَّتْ فبالحرى ولا ذَنْبَ للأقوامِ واللهُ غالبٌ^(١)
ومن الشعر المنسوب إلى الجن :

وكلّ المطايا قد ركبنا فلم نَجِدْ ألدَّ وأشهى من رُكوب الأراب
ومن عَضْرَفُوطٍ عَنْ لِيٍّ فَرَكَبَتْهُ أَبَادِرُ سِرْبًا مِنْ عَطَاءِ قَوَارِبِ^(٢)
وقال أعرابيٌّ يكذب بذلك :

أَيْسَمِعِ الأسرارَ رَاكِبٌ قَنَقُذٍ لَقَدْ ضَاعَ سِرُّ اللَّهِ يَأْمٌ مَعْبَدٍ!

ومن أشعارهم وأحاديثهم في رواية الجنِّ وخطابهم وهتافهم مارواه أبو عثمان
الجاحظ لسمير بن الحرث الضبي :

ونارٍ قد حَضَّتْ بُعِيدَ وَهْنٍ بدارٍ لا أريدُ بها مَقَامًا^(٣)
سِوَى تحليلِ راحلةٍ وَعَيْنِ^(٤) أَكَالِهَا مَخَافَةٌ أَنْ تَنَامَا
أَتَوْا نارِي قُلْتُ : مَنْوَنَ أَنْتُمْ؟ فقالوا : الجنُّ قُلْتُ : عَمُوا ظَلَامَا

ويزعمون أنَّ عُمَيْرَ بْنَ ضُبَيْعَةَ رَأَى غُلَامًا ثَلَاثَةً يَلْعَبُونَ نَهَارًا ، فَوَثَبَ غُلَامٌ مِنْهُمْ
فَقَامَ عَلَى عَاتِقِي صَاحِبِهِ ، وَوَثَبَ الْآخَرُ ، فَقَامَ عَلَى عَاتِقِي الْأَعْلَى مِنْهُمَا ، فَلَمَّا رَأَى كَذَلِكَ
حَمَلَ عَلَيْهِمْ فَصَدَمَهُمْ فَوَقَعُوا عَلَى ظُهُورِهِمْ وَهُمْ يَضْحَكُونَ ، فَقَالَ عُمَيْرُ بْنُ ضُبَيْعَةَ : فَمَا
مَرَرْتُ يَوْمَئِذٍ بِشَجَرَةٍ إِلَّا وَسَمِعْتُ مِنْ تَحْتِهَا ضَحِكًا ؛ فَلَمَّا رَجَعْتُ إِلَى مَنْزِلِي مَرِضٌ
أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ .

(١) الحيوان : « ولا ذنب للأقوام » .

(٢) العضر فوط : دوبة بيضاء ناعمة ؛ وهي ضرب من العطاء .

(٣) الحيوان ٤ : ٤٨١ ، ٦ : ١٩٦ ، ونوادر أبي زيد ؛ وفيه : « سمير بن الحرث الضبي » وانظر
الحزاة ٣ : ٣ ، والمخصص ١ : ٩٤ ، والميداني ١ : ٣٢ . حضأت : أشعلت .

(٤) قوله : « سوى تحليل راحلة » ، أراد سوى راحلة أفت بها فيها بعد نحلة اليمين .

وحكى الأصمعي عن بعضهم أنه خرج هو وصاحب له يسيران ، فإذا غلامٌ على الطريق ، فقالا له : مَنْ أنتَ ؟ قال : أنا مسكين قد قُطِعَ بي ، فقال أحدهما لصاحبه : أَرَدِفْهُ خَلْفَكَ ، فَأَرَدَفَهُ ، فالتفتَ الآخرُ إليه فرأى فَمَهُ يتأجج ناراً ، فشدَّ عليه بالسيف فذهبت النارُ فرَجَعَ عنه ، ثم التفت فرأى فَمَهُ يتأجج ناراً فشدَّ عليه فذهبت النار ، ففعل ذلك مراراً ، فقال ذلك الغلام : قاتلكما الله ! ما أجَلَدَ كما ! والله ما فعلتها بآدمي إلا وانخلع فؤاده ، ثم غابَ عنهما فلم يَعْلَمَا خبره .
وقال أبو البلاد الطهوي - ويروى لتأبط شراً :

لَهَا نَ عَلَى جُهَيْنَةَ مَا أَلَا قِي	من الروعاتِ يومَ رَحَا بِطَانٍ ^(١)
لَقِيتُ الْغَوْلَ تَسْرِي فِي ظَلَامٍ	بَسْهَبٍ كَالْعَبَاءَةِ صَحْصَحَانٍ ^(٢)
فَقُلْتُ لَهَا : كَلَانَا نَقْضُ أَرْضٍ	أَخُو سَفَرٍ نَحْلِي لِي مَكَانٍ ^(٣)
فَشَدْتُ شِدَّةً نَحْوِي فَأَهْوَى	لَهَا كَفِّي بِمَصْقُولٍ يَمَانِي
فَقَالَتْ : زِدْ قُلْتُ : رُوَيْدًا إِنِّي	عَلَى أَمْثَالِهَا ثَبْتُ الْجَنَانِ

والذين يَرَوُونِ هَذَا الشَّعْرَ لِتَأْبُطَ شَرًّا يَرَوُونِ أَوَّلَهُ :

أَلَا مَنْ مُبْلَغٌ فَتَيَاتِ جَهَنَّمَ	بِمَا لَاقِيتُ عِنْدَ رَحَا بِطَانٍ
بَأَنِّي قَدْ لَقِيتُ الْغَوْلَ تَلَوِي	بِمَرَّتِ كَالصَّحِيفَةِ صَحْصَحَانِ
فَصَدْتُ فَانْتَحَيْتُ لَهَا بَعْضُ	حُسَامٍ غَيْرِ مُؤْتَشَبٍ يَمَانِي
فَقَدْتُ سَرَاتِهَا وَالْبَرْكَ مِنْهَا	نَفَرْتُ لِلْيَدَيْنِ وَاللِّجْرَانِ ^(٤)
فَقَالَتْ : ثَنِّ قُلْتُ لَهَا : رُوَيْدًا	مَكَانَكَ إِنَّنِي ثَبْتُ الْجَنَانِ

(١) الحيوان ٦ : ٢٣٤ ، وانظر الأغاني ١٨ : ٢١ ، ٢١٢ ، ومعجم البلدان ٨ : ٢٣١ . ورحا بطان : موضع في بلاد هذيل .
(٢) الصحصعان : ما استوى من الأرض .
(٣) القنص : المهزول قد قنصه السفر .
(٤) السراة ، بالفتح ، الظهر ، والبرك : الصدر .

ولم أنفك مضطجعاً لدَيْهَا لأَ نَظَرَ مصبحاً ماذا دَهَانِي
إذا عَيْنَانِ فِي رَأْسٍ دَقِيقٍ كَرَأْسِ الْهَرِّ مَشْقُوقِ اللِّسَانِ
وساقاً مَخْدَجٍ وَلِسَانٍ كَلْبٍ وَثُوبٍ مِنْ عَبَاءٍ أَوْ شِنَانِ
وقال البَهْرَانِي :

وتزوَّجْتُ فِي الشَّيْبَةِ غُولاً بِغَزَالٍ وَصَدَقْتِي زِقَ خَمْرٍ ^(١)
وقال الجاحظ : أَصْدَقَهَا الْخَمْرُ لَطِيبَ رِيحِهَا ، وَالْغَزَالُ لِأَنَّهُ مِنْ مَرَاكِبِ الْجَنِّ .
وقال أَبُو عبيد بن أَيُوبَ الْعَنْبَرِيُّ أَحَدُ لُصُوصِ الْعَرَبِ :

تَقُولُ - وَقَدْ أَلَمْتُ بِالْإِنْسِ لَمَةً مَخْضِبَةُ الْأَطْرَافِ خُرْسُ الْخِلَاحِلِ ^(٢)
أَهَذَا خَدَيْنِ الْغُولِ وَالذُّبِّ وَالَّذِي يَهِيمُ بِرَبَاتِ الْحِجَالِ الْهَرَاكِلِ ^(٣)
رَأْتُ خَلْقَ الدَّرْسَيْنِ أَسْوَدَ شَاحِبًا مِنْ الْقَوْمِ بَسَامَا كَرِيمِ الشَّمَائِلِ ^(٤)
تَعَوَّدَ مِنْ آبَائِهِ فَتَكَاتِهِمْ وَإِطْعَامَهُمْ فِي كُلِّ غَبَاءٍ شَامِلِ ^(٥)
إِذَا صَادَ صَيْدًا لَفَّهُ بِضَرَامِهِ وَشَيْكَا وَلَمْ يَنْظُرْ لَغُلَى الْمَرَاجِلِ ^(٦)
وَنَهْسًا كَنَهْسِ الصَّقَرِ ثُمَّ مِرَاسِهِ بِكَفِّهِ رَأْسَ الشَّيْخَةِ التَّمَائِلِ ^(٧)

ومن هذه الأبيات .

إِذَا مَا أَرَادَ اللَّهُ ذُلَّ قَبِيلَةٍ رَمَاهَا بِتَشْتِيتِ الْهَوَى وَالتَّخَاذُلِ
وَأَوَّلَ عَجَزِ الْقَوْمِ عَمَّا يَنْوِبُهُمْ تَقَاعُدُهُمْ عَنْهُ وَطُولُ التَّوَاكُلِ
وَأَوَّلَ خُبْثِ الْمَاءِ خُبْثُ تُرَابِهِ وَأَوَّلُ لُؤْمِ الْقَوْمِ لُؤْمُ الْخِلَالِ

(٢) الحيوان ٦ : ١٦٧ . وخرس الخلاخل : كناية عن

(٣) الهراكل : جمع هركلة ؛ وهي الحسنه الجسم التامة والخلق .

(٤) الدرس : البالي من الثياب . وفي الحيوان : « خلق الأدراس » .

(٥) الغبراء : السنة الجدة . (٦) الحيوان : « لنصب المراحل »

(٧) المراس : المسح والدلك ، والشيغة : نبتة .

(١) الحيوان ٦ : ٢٢٥

امتلاء الساق .

وهذا الشعر من جيد شعر العرب ، وإنما كان غرضنا منه مُتَعَلِّقًا بأوله ، وذكرنا
سأثره لما فيه من الأدب .

وقال عُبَيْد بن أَيُّوبَ أيضا في المعنى الذى نحن بصدده :

وصار خليل الغول بعد عداوةٍ صَفِيًّا وربته القِفَارُ البَسَابِسُ^(١)

وقال أيضا

فله دَرُّ الغولِ أَى رَفِيقَةٍ لصاحب قَفَرٍ فى المِهَامِه يُذْعَرُ^(٢)

أرنت بلحن بعد لحن وأوقدت حوالى نيرانا تلوح وتزهَرُ

وقال أيضا :

وغولا قفرةٍ ذَكَرٍ وأنتى كُنَّ عليهما قِطَعِ البَجَادِ^(٣)

وقال أيضا :

فقد لاقَت الغِزلانُ مَنى بِلِيَّةٍ وقد لاقَت الغِيلانُ مَنى الدَّواهِيا^(٤)

وقال البَهْرانى فى قتل الغول :

ضربتُ ضربةً فصارتُ هَبَاءً فى حِجَاقِ القَمَرَاءِ آخِرَ شَهْرِ^(٥)

وقال أيضا ، يزعم أنه لما ثنى عليها الضرب عاشت :

فثنيت والمقدارُ يَحْرُسُ أهله فلنيتَ يَمِينِي يومَ ذلك شَلَّتِ !

وقال تَابِطُ شَرًّا يَصِفُ الغُولَ ويذكر أنه راوَدَهَا عن نفسها فأُمتنعتُ عليه فقتَلَهَا :

فأصبحتُ والغولُ لى جَارَةٍ فباجارَةٍ أنتِ ما أغوَلَا

(١) الحيوان ٦ : ٢٣٥

(٣) الحيوان ٦ : ١٥٩

(٥) الحيوان ٦ : ٢٣٣

(٢) الحيوان ٦ : ١٦٥

(٤) الحيوان ٦ : ١٦٦

وطالبتُها بُضْعَها فَالتَوَتْ فكان من الرأى أن تُقتَلَ
فجَلَّتْها مُرْهَفًا صَارِمًا أبان المرافق والمفصلاً
فطارَ بقحفِ ابنة الجنِّ ذا شقاشقَ قد أخلقَ الحملاً
فمن يكُ يسأل عن جارتي فإن لها باللوى منزلاً
عِظاءُ أرضٍ لها حُلَّتَانِ من ورقِ الطلح لم تُفزلاً
وكنْتُ إذا ما همتُ أبتَهلتُ وأخرى إذا قلتُ أن أفعلاً

ومن أعاجيبهم أنهم كانوا إذا طالت علة الواحد منهم وظنوا أن به مساً من الجن ، لأنه قتل حية أو يربوعاً أو قنفذاً ، عملوا جمالاً من طين ، وجعلوا عليها جوالق ، وملئوها حنطةً وشعيراً وتمراً ، وجعلوا تلك الجمال في باب جحر إلى جهة المغرب وقت غروب الشمس ، وباتوا ليلتهم تلك ، فإذا أصبحوا نظروا إلى تلك الجمال الطين ، فإن رأوا أنها بحالها قالوا : لم تقبل الدية ، فزادوا فيها ، وإن رأوها قد تساقطت وتبدد ما عليها من الميرة قالوا : قد قبلت الدية ، وأستدلوا على شفاء المريض وضربوا بالدُّفِّ ، قال بعضهم :

قالوا وقد طالَ عَنائي والسَّقمُ إحمل إلى الجنِّ جمالاتٍ وضمِّ
فقد فعلتُ^(١) والسَّقامُ لم يَرمُ فبالَّذى يملك بُرئى أعتَصمُ
وقال آخر :

فياليت أن الجنَّ جازوا جِمالتي وزُحِرح عَنى ما عَنانى من السَّقمِ
ويا ليتهم قالوا أنطينا كلَّ ماحوتٍ يمينك في حربٍ عماسٍ وفي سَلَمِ
أعلل قلبي بالَّذى يزعمونه فياليتنى عوفيتُ في ذلك الزَّعمِ

وقال آخر :

أَرَى أَنْ جَنَّانَ الثَّوِيرَةِ أَصْبَحُوا وَهُمْ بَيْنَ غَضْبَانٍ عَلَى وَاسِفِ
حَمَلْتُ وَلَمْ أَقْبَلْ إِلَيْهِمْ حَالَةً تَسْكُنُ عَنْ قَلْبٍ مِنَ السُّقْمِ تَالِفِ
وَلَوْ أَنْصَفُوا لَمْ يَطْلُبُوا غَيْرَ حَقِّهِمْ وَمَنْ لِي مَنْ أَمْثَلُهُمُ بِالْتَّنَاصُفِ
تَغَطُّوا بِثَوْبِ الْأَرْضِ عَنِّي وَلَوْ بَدَّوْا لِأَصْبَحْتُ مِنْهُمْ أَمِينًا غَيْرَ خَائِفِ

وكانوا إذا غمَّ عليهم أمرُ الغائب ولم يعرفوا له خبراً جاءوا إلى بئرٍ عادية^(١) أو حفرةٍ قديمٍ ونادوا فيه : يا فلان ، أو يا أبا فلانٍ ثلاثَ مرَّاتٍ ، ويَزعمون أنه إن كان ميتاً لم يَسْمَعُوا صَوْتَنَا ، وإن كان حياً سَمِعُوا صَوْتَنَا رَبَّمَا تَوَقَّعُوهُ وَهَمَّا ، أو سَمِعُوهُ مِنَ الصَّدى ، فَبَنَوْا عليه عقيدَتَهُمْ ، قال بعضهم :

دَعَوْتُ أَبَا الْمَغْوَارِ فِي الْحَفْرِ دَعْوَةً فَمَا أَضَ صَوْتِي بِالَّذِي كُنْتُ دَاعِيَا
أُظَنُّ أَبَا الْمَغْوَارِ فِي قَعْرِ مُظْلَمٍ تَجَرَّ عَلَيْهِ الذَّارِيَاتُ السَّوَايَا
وقال :

وَكَمْ نَادَيْتُهُ وَاللَّيْلُ سَاجٍ بِعَادِيٍّ الْبُشَارِ فَمَا أَجَابَا

وقال آخر :

غَابَ فَلَمْ أَرْجُ لَهُ إِيَابَا وَالْحَفْرَ لَا يَرْجِعُ لِي جَوَابَا
وَمَا قَرَأْتُ مُذْنَأَى كِتَابَا حَتَّى مَتَى أُسْتَنْشِدُ الرَّكَّابَا
* عنه وكلُّ يَمْنَعُ الْخَطَابَا *

وقال آخر :

ألم تعلمي أتي دعوتُ مجاشعاً من الجفر والظلماء بادٍ كسورها
فجاوبني حتى ظننتُ بأنه سيطلع من جوفاء صعبٍ خدورها
لقد سكنتُ نفسي وأيقنتُ أنه سيقدِّم والدنيا عجبٌ أمورها

وقال آخر :

دعونا من عاديةٍ نضبَ ماؤها وهدم جاليتها اختلافُ عصورِ
فردَّ جوابا ما شككتُ بأنه قريب إلينا بالإياب يصيرُ
أقوى في البيت الثاني ، وسكن « نضب » ضرورةً كما قال :
* لو عُصِرَ منه البانُ والمِسْكُ انْعَصَرَ *

ومن أعاجيبهم أنهم كانوا في الحرب ربما أخرجوا النساءَ فيُكَلَّنَ بين الصِّفِّينِ
يرون أن ذلك يُطفئ نارَ الحربِ ويقودهم إلى السِّلَمِ .

قال بعضهم :

لقونا بأبوالِ النساءِ جهالةً ونحن نُلَاقِيهم ببيضِ قواضبِ

وقال آخر :

بالتِ نساءَ بني خُراشةَ خيفةً مِنَّا وأدبرتِ الرجالُ شلالا

وقال آخر :

بالتِ نساؤُهُم والبيضُ قد أخذت منهم ماخِذَ يَسْتَشْفِي بها الكَلْبُ

وهذان البيتان يُمكن أن يراد بهما أن النساءَ يَكُنَّ خيفةً ودُعرا ، لا على المعنى

الَّذِي نحن في ذكره ، فإذن لا يكون فيهما دلالة على المراد .

وقال الآخر :

هيهات ردّ الخيل بالأبوالِ إذا غَدَت في صُورِ السَّعالي

وقال آخر :

جَعَلُوا السُّيُوفَ الْمَشْرِفِيَّةَ مِنْهُمْ بَوَّلَ النِّسَاءَ وَقَلَّ ذَاكَ غَنَاءُ

فأما ذِكرُهم عَزِيفَ الْجَنِّ في المفاوز والسَّابِيسِ فكثير مشهور ، كقول بعضهم :

وخرقٍ تحدّث غيطانه حديثَ العذارى بأسرارها

وقال آخر :

ودَوِيَّةٍ سَبَسَبَ سَمَلَقٍ من البید تعرّف جِنَانُهَا^(١)

وقال الأعشى :

وبَهَمَاءَ تعرّف جِنَانُهَا مناهلها آجِنَاتٍ سُدُمُ^(٢)

وقال :

وبَلَدَةٍ مِثْلَ ظَهْرِ الثَّرِيسِ مُوحِشَةٍ للجنّ بالليل في حافاتها زَجَلُ^(٣)

وقال آخر :

* يبیداء في أرجائها الجنّ تعرّف *

وقال الشرقيّ بن القطاميّ : كان رجل من كَلْبِـبٍ يقال له عبيد بن الحمارس—شجاعاً ،

وكان نازلاً بالسّماوة أيامَ الرّبيع ، فلما حَسَرَ الرّبيع وقلّ ماؤه وأقلعت أنواؤه ، تحمّل إلى

وادی تبّل ، فرأى رَوْضَةً وغديراً ، فقال : روضةٌ وغدير ، وخطبٌ يسير ؛ وأنا لما

حَوَيْتُ مَجِيرَ ، فَنَزَلَ هُنَاكَ ، وَلَهُ امْرَأَتَانِ : اسْمُ أَحَدَاهُمَا الرَّبَابُ ، وَالْأُخْرَى خَوَلَةٌ ،
فَقَالَتْ لَهُ خَوَلَةٌ :

أَرَى بِلْدَةً قَفْرًا قَلِيلًا أُنِسُهَا وَإِنَّا لَنَخْشَى إِنْ دَجَا اللَّيْلُ أَهْلَهَا
وَقَالَتْ لَهُ الرَّبَابُ :

أَرْنَتْكَ بِرَأْيِي فَاسْتَمِعْ عَنْكَ قَوْلَهَا وَلَا تَأْمَنْ جَنَّ الْعَزِيفِ وَجَهْلَهَا
فَقَالَ مَجِيئًا لَهَا :

أَلَسْتُ كَيْفَ فِي الْحُرُوبِ مُجَرَّبًا شُجَاعًا إِذَا شَبَّتْ لَهُ الْحَرْبُ مُحَرَّبًا
سَرِيعًا إِلَى الْهَيْجَاءِ إِذَا خَمَسَ الْوَعَا فَأَقْسَمَ لَا أُعْدُو الْغَدِيرَ مِنْكَبًا
ثُمَّ صَعِدَ إِلَى جَبَلٍ تُبَلُّ فَرَأَى شَيْهَةً - وَهِيَ الْأُنْثَى مِنَ الْقَنَافِذِ - فَرَمَاهَا فَأَقْصَعَهَا ^(١) وَمَعَهَا
وَلَدُهَا ، فَارْتَبَطَ ، فَلَمَّا كَانَ اللَّيْلُ هَتَفَ بِهِ هَاتِفٌ مِنَ الْجَنِّ :

يَا بَنُ الْحِمَارِ سَ قَدْ أَسَأْتَ جَوَارَنَا وَرَكِبْتَ صَاحِبَنَا بِأَمْرِ مُفْطَعٍ
وَعَقَرْتَ لَقَحَتَهُ وَقُدَّتْ فَصِيلُهَا قَوْدًا عَنِيفًا فِي الْمَنِيْعِ الْأَرْفَعِ
وَنَزَلْتَ مَرَعَى شَائِنًا وَظَلَمْتَنَا وَالظُّلْمَ فَأَعْلَهُ وَخِيْمَ الْمَرْتَعِ
فَلَنَطْرُقَنَّكَ بِالَّذِي أَوْ لَيْتَنَّا شَرٌّ يَجْنُكَ وَمَا لَهُ مِنْ مَدْفَعِ
فَأَجَابَهُ ابْنُ الْحِمَارِ :

يَا مَدْعَى ظُلْمِي وَلَسْتُ بِظَالِمٍ اِسْمَعْ لَدُنْكَ مَقَالَتِي وَتَسْمَعِ
إِنْ كُنْتُمْ جِنًّا ظَلَمْتُمْ قُنْفُذًا عُقِرْتُ فَشَرَّ عَقِيرَةٍ فِي مَصْرَعِ
لَا تَطْمَعُوا فِيمَا لَدَى فَالْكُمُ فِيمَا حَوَيْتُ وَحُزْنُهُ مِنْ مَطْمَعِ
فَأَجَابَهُ الْجِنِّي :

يَا ضَارِبَ اللَّقْحَةِ بِالْعَضْبِ الْأَفْلُ قَدْ جَاءَكَ الْمَوْتُ وَأَوْفَاكَ الْأَجَلُ

(١) أَقْصَعَهَا : قَتَلَهَا فِي مَكَانِهَا .

وساقك الحنين إلى جنِّ تبَلَّ فالיוםَ أقويتَ وأعيتك الحيل^(١)
فأجابه ابنُ الحمارس :

يا صاحبَ اللقحة هل أنت بَجَلْ مستمعٌ مِنِّي فقد قلتَ اخلَطَلْ
وكثرةَ المنطِقِ في الحربِ فشلْ هيجتَ قَمَقَامًا من القومِ بَطَلْ^(٢)
ليثَ ليوثٍ وإذا همَّ فَعَلْ لا يرهَبُ الجنَّ ولا الإنسَ أَجَلْ
* من كان بالعقوة من جنِّ تبَلَّ^(٣) *

قال : فسَمِعَهما شيخٌ من الجنِّ ، فقال . لا والله لا نرى قتلَ إنسانٍ مِثْلَ هذا ثابت
القلبِ ماضى العزيمة ، فقام ذلك الشيخ وحَمِدَ الله تعالى ثمَّ أنشد :

يا ابنَ الحمارس قد نَزَلَتْ بلادنا فأصبتَ منها مشربًا ومَنَامًا
فبدَأَتْنَا ظُلُمًا بعقرٍ لقوحنا وأساتَ لما أن نطقْتَ كلامًا
فاعمدَ لأمرِ الرُّشدِ واجتنبِ الرَّدَى إنا نرى لك حُرْمَةً وذِمَامًا
واغرمْ لصاحبنا لقوحًا متبعًا فلقد أصبتَ بِمَا فعلتَ أَثَامًا
فأجابه ابنُ الحمارس :

الله يعلم حيث يُرْفَعُ عَرْشُهُ أُنَّى لأكرهُ أن أصيبَ أَثَامًا
أَمَّا ادَّعَاؤُكَ ما ادَّعيتَ فَإِنِّى جئتُ البلادَ ولا أريدُ مَقَامًا
فأسمتُ فيها مالنا ونزلتُهَا لأريحَ فيها ظَهْرنا أَيَّامًا
فلينفدُ صاحبكم علينا نُعْطِهُ ماقد سالتَ ولا نراه غَرَامًا
ثم غرم للجنِّ لقوحًا مُتَّبِعًا للقنفذِ وولَدَهَا .

وهذه الحكاية وإن كانت كَذِبًا إِلَّا أَنها تتضمن أدبًا ، وهى من طرائف

(٢) القمقام : السيد .

(١) الحين : الهلاك .

(٣) العقوة : المحلة .

أحاديث العرب فذكرناها لأدبها وأمتاعها ؛ ويقال : إنَّ الشرقيَّ بن القطاميَّ كان يصنع أشعاراً وينحلها غيره .

فأما مذهب العرب في أنَّ لكلَّ شاعر شيطانا يلقي إليه الشعر فذهب مشهور ، والشعراء كافة عليه ، قال بعضهم :

إني وإن كنتُ صغيرَ السنِّ وكان في العين نبوءةً غنيَّ
فإنَّ شيطانيَّ أميرُ الجنِّ يذهب بي في الشعر كلَّ فنِّ
وقال حسَّان بنُ ثابت :

إذا ماترعرع فينا الفُلام فما إنَّ يقال له : مَنْ هُوَ ؟
إذا لم يسُدَّ قبل شدِّ الإزارِ فذلكَ فينا الذي لا هُوَ ؟
ولي صاحبٌ من بني الشَّيصبانِ فطورا أقولُ وطورا هُوَ ؟
وكانوا يزعمون أنَّ اسمَ شيطان الأعشى مسحل ، واسم شيطان الحنبل عمرو ،
وقال الأعشى :

دعوتُ خاليلي مسحلا ودعوا له جهنَّام جدعا للهجين المذمِّم^(١)
وقال آخر :

لقد كان جنِّي الفرزدق قُدوةً وما كان فينا مثل فحل الحنبل
ولا في القوا في مثل عمري وشيخي ولا بعد عمري وشاعري مثل مسحل
وقال الفرزدق يصفُ قصيدته :

كأنَّها الذهب العقيانُ حَبَّرها لسانُ أشعرٍ خلقَ الله شيطاناً

(١) وجهنَّام تابعة الأعشى .

وقال أبو النّجّمْ :

إِنِّي وَكَلَّ شَاعِرٍ مِنَ الْبَشَرِ شَيْطَانَهُ أَتَى وَشَيْطَانِي ذَكَرُ
وَأَبْشَدُ الْخَالِغُ فِيمَا نَحْنُ فِيهِ لِبَعْضِ الرُّجَّازِ :

إِن الشَّيَاطِينَ أَتَوْنِي أَرْبَعَهُ فِي غَلَسِ اللَّيْلِ وَفِيهِمْ زَوْبَعَةٌ
وَهَذَا لَا يَدُلُّ عَلَى مَا نَحْنُ بِصَدَدِهِ مِنْ أَمْرِ الشَّعْرِ وَإِقَائِهِ إِلَى الْإِنْسَانِ ؛ فَلَا وَجْهَ
لِإِدْخَالِهِ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ .

وَمِنْ مَذَاهِبِهِمْ أَنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قَتَلُوا الشُّعْبَانَ خَافُوا مِنَ الْجَنِّ أَنْ يَأْخُذُوا بِثَأْرِهِ ،
فَيَأْخُذُونَ رَوْثَةً وَيُقَتِّلُونَهَا عَلَى رَأْسِهَا ، وَيَقُولُونَ : رَوْثَةُ رَاثٍ ثَائِرُكَ .
وقال بعضهم :

طَرَحْنَا عَلَيْهِ الرَّوْثَ وَالزَّجْرُ صَادِقُ فَرَاثٍ عَلَيْنَا ثَأْرُهُ وَالطَّوَائِلُ
وَقَدْ يُذَرُّ عَلَى الْحَيَّةِ الْمَقْتُولَةِ يَسِيرُ رَمَادٌ ، وَيَقَالُ لَهَا : قَتَلَكِ الْعَيْنُ فَلَا ثَأَرَ لَكِ ؛ وَفِي
أَمْثَالِهِمْ لِمَنْ ذَهَبَ دَمُهُ هَدْرًا : وَهُوَ قَتِيلُ الْعَيْنِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :
وَلَا أَكُنْ كَقَتِيلِ الْعَيْنِ وَسَطَكُمُ وَلَا ذَبِيحَةَ تَشْرِيقٍ وَتَنْحَارِ

فَأَمَّا مَذَاهِبُهُمْ فِي الْخَرَزَاتِ وَالْأَحْجَارِ وَالرُّثَى وَالْعَزَائِمِ فَشَهُورٌ ، فَهِيَ السُّلْوَانَةُ -
وَيَقَالُ السُّلْوَةُ - وَهِيَ خَرَزَةٌ يُسْقَى الْعَاشِقُ مِنْهَا فَيَسْلُو فِي زَعْمِهِمْ ، وَهِيَ بَيضَاءُ
شَفَافَةٌ ، قَالَ الرَّاجِزُ :

لَوْ أَشْرَبُ السُّلْوَانَ مَا سَلَيْتُ مَا بِي غِنَى عَنْكُمْ وَإِنْ غَنَيْتُ
السُّلْوَانَ : جَمْعُ سُلْوَانَةٍ .

وقال اللّحياني : السّلوانة تُرابٌ من قبرٍ يُسقى منه العاشق فيسألو ، وقال عروة
ابن حزام :

جعلتُ لعرّاف اليمامة حُكمه وعرّاف نجدٍ إنّها شفياني
فقالا نعم : نشفى من الدّاء كلّهُ وقاماً مع العوّاد يبتدِرانِ
فما تركّا من رُقِيّةٍ يَعْرِفانها ولا سلوةٍ إلّا وقد سقياني
وقال آخر :

سَقَوْنِي سَلْوَةً فَسَلَوْتُ عَنْهَا سَقَى اللهُ الْمَيِّتَةَ مَنْ سَقَانِي
أَي سَلَوْتُ عَنْ السَّلْوَةِ واشتدّ بِي الْعِشْقُ وَدَام . وقال الشّمر دل :
وَلَقَدْ سَقَيْتُ بِسَلْوَةٍ فَكَلَّامًا قَالَ الْمُدَاوِي لِلْخَيَالِ بِهَا أَزْدَدِ

ومن خَرَزَاتِهِمُ الْهِنَمَةُ تُجْتَلَبُ بِهَا الرِّجَالُ وَتُعْطَفُ بِهَا قُلُوبُهُمْ ، وَرُقِيَّتُهَا : أَخَذَتْهُ بِالْهِنَمَةِ ؛
بِاللَّيْلِ زَوْجٍ وَبِالنَّهَارِ أَمَةٍ .

ومنها الْفَطْسةُ وَالْقُبْلَةُ وَالْدَّرْدَيْسُ ؛ كُلُّهَا لاجْتِلَابِ قُلُوبِ الرِّجَالِ ، قَالَ الشّاعِر :

جَمْعُنْ مِنْ قَبْلِ لَهْنٍ وَفَطْسةٍ وَالْدَّرْدَيْسُ تَمَائِمًا فِي مَنْظَمٍ
فَأَنْقَادَ كُلِّ مُشَدَّبٍ مَرَسِ الْقَوَى لِحِبَاهُنَّ وَكُلِّ جَلْدٍ شَيْظَمٍ^(١)

وقيل : الدَّرْدَيْسُ خَرَزَةٌ سَوْدَاءُ يَتَحَبَّبُ بِهَا النِّسَاءُ إِلَى بُعُولَتِهِنَّ ، تَوْجِدُ فِي
الْقُبُورِ الْعَادِيَةِ ، وَرُقِيَّتُهَا : أَخَذَتْهُ بِالْدَّرْدَيْسِ ، تُدْرِى الْعَرَقَ الْيَبِيسَ ، وَتَذُرُ الْجَدِيدَ
كَالدَّرَيْسِ ، وَأَنْشَدَ :

قَطَعْتُ الْقَيْدَ وَالْخَرَزَاتِ عَنِّي فَمَنْ لِي مِنْ عِلَاجِ الدَّرْدَيْسِ !

(١) الشَّيْظَمُ : الطَّوِيلُ الْجَسْمُ .

وأصل الدَزْدَيسِ الداهية ، ونُقِلَ إلى هذه لقوّة تأثيرها .

وَمِنْ خَرَزَاتِهِمُ الْقِرْزَحَلَةُ ، أَنشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ :

لَا تَنْفَعُ الْفِرْزَحَلَةُ الْعَجَازَا إِذَا قَطَعْنَا دُونَهَا الْمَفَاوِزَا

وهي من خَرَزِ الضَّرَائِرِ ، إِذَا لَبَسَتْهَا الْمَرْأَةُ مَالَ إِلَيْهَا بَعْلُهَا دُونَ ضَرَّتِهَا .

ومنها خَرَزَةُ الْعُقْرَةِ تُشَدُّهَا الْمَرْأَةُ عَلَى حَقْوَيْهَا فُتْمَنَعَ الْحَبْلُ ، ذَكَرَ ذَلِكَ ابْنُ

السَّكَيْتِ فِي إِصْلَاحِ الْمَنْطِقِ .

ومنها الْيَنْجَلِبُ ، وَرُقِيَّتُهَا : أَخَذَتْهُ بِالْيَنْجَلِبِ ، فَلَا يَرْمُ وَلَا يَفِيبُ ، وَلَا يَزَلُ

عِنْدَ الطُّنْبِ .

ومنها كَرَارٍ ، مَبْنِيَّةٌ عَلَى الْكُسْرِ ، وَرُقِيَّتُهَا : يَا كَرَارِ كُرِّيهِ ، إِنْ أَقْبَلَ فُسْرِيهِ ، وَإِنْ

أَدْبَرَ فَضْرِيهِ ، مِنْ فَرْجِهِ إِلَى فِيهِ .

ومنها الْهَمْرَةُ وَرُقِيَّتُهَا : يَا هَمْرَةَ أَهْمِرِيهِ ، مِنْ أَسْتِهِ إِلَى فِيهِ ، وَمَالِهِ وَبَنِيهِ .

ومنها الْخَصْمَةُ خَرَزَةٌ لِلدَّخُولِ عَلَى السَّلْطَانِ وَالْخَصُومَةِ ، تُجْعَلُ تَحْتَ فَصِّ الْخَاتَمِ

أَوْ فِي زَرْقِ الْقَمِيصِ أَوْ فِي حِمَائِلِ السَّيْفِ ، قَالَ بَعْضُهُمْ :

يُعَلَّقُ غَيْرِي خَصْمَةً فِي لِقَائِهِمْ وَمَالِي عَلَيْكُمْ خَصْمَةً غَيْرُ مَنْطِقِي

ومنها الْوَجِيهَةُ ، وَهِيَ كَالْخَصْمَةِ حَمَاءُ كَالْعَقِيقِ .

ومنها الْعَطْفَةُ ، خَرَزَةُ الْعَطْفِ ، وَالْكَحْلَةُ ، خَرَزَةُ سُودَاءِ تُجْعَلُ عَلَى الصَّبْيَانِ لِدَفْعِ الْعَيْنِ

عَنْهُمْ ، وَالْقَبْلَةُ خَرَزَةٌ بَيَضَاءُ تُجْعَلُ فِي عُنُقِ الْفَرَسِ مِنَ الْعَيْنِ ، وَالْفَطْسَةُ خَرَزَةٌ يَمْرُضُ

بِهَا الْعَدُوُّ وَيُقْتَلُ ، وَرُقِيَّتُهَا : أَخَذَتْهُ بِالْفَطْسَةِ ، بِالثُّوبَاءِ وَالْعَطْسَةِ ، فَلَا يَزَالُ فِي تَعَسَةٍ ، مِنْ

أَمْرِهِ وَنَكْسَةٍ ، حَتَّى يَزُورَ رَمْسَهُ .

ومن رُفاهم للحُبِّ : هَوَابَهُ هَوَابَهُ ، البرقُ والسَّحَابَهُ ، أَخَذَتْهُ بِمِرْكَنِ ، فحَبَهُ تَمَكَّنَ .
أَخَذَتْهُ بِإِبْرَةِ ، فَلَا يَزَلُ فِي عَيْبِهِ . خَلَيْتَهُ بِإِشْنِي^(١) ، فَقَلْبُهُ لَا يَهْدَا . خَلَيْتَهُ بِمِبْرَدَ ، فَقَلْبُهُ لَا يَبْرُدُ .
وَتَرَقَّى الْفَارِكُ زَوْجَهَا إِذَا سَافَرَ عَنْهَا فَتَقُولُ : بِأَقْوَلِ الْقَمَرِ ، وَظِلَّ الشَّجَرِ ، شِمَالِ تَشْمَلُهُ ،
وَدَبُورِ تَدْبِرُهُ ، وَنَكْبَاءِ تَنْكُبُهُ ، شَيْكَ فَلَا انْتَعَشَ ؛ ثُمَّ تَرْمِي فِي أَثَرِهِ بِحَصَاةٍ وَنَوَاةٍ
وَرُوثةٍ وَبِعُرَّةٍ ، وَتَقُولُ : حَصَاةٌ حَصَّتْ أَثَرَهُ ، نَوَاةٌ انَّاتْ دَارَهُ ، رُوثةٌ رَاثَ خَبْرَهُ
لَقَعْتَهُ بِبِعُرَّةٍ .

وَقَالَتْ فَارِكُ فِي زَوْجِهَا :

أَتَبَعْتُهُ إِذْ رَحَلَ الْعَيْسَ ضُحَى بَعْدَ النَّوَاةِ رُوثةً حَيْثُ أَنْتَوَى
* الرُّوثُ لِلرَّثَى وَلِلنَّأَى النَّوَى *

وَقَالَ آخَرُ :

رَمَتْ خَلْفَهُ لَمَّا رَأَتْ وَشَكَ بَيْنَهُ نَوَاةً تَلَتْهَا رُوثةٌ وَحَصَاةٌ
وَقَالَتْ : نَأَتْ مِنْكَ الدِّيَارُ فَلَا دَنْتُ وَرَأَتْ بِكَ الْأَخْبَارُ وَالرَّجَعَاتُ
وَحَصَّتْ لَكَ الْآثَارُ بَعْدَ ظُهُورِهَا وَلَا فَارَقَ التَّرْحَالُ مِنْكَ شَتَاتُ
وَقَالَ آخَرُ يُخَاطِبُ أَمْرَأَتَهُ :

لَا تَقْذِفِي خَلْفِي إِذَا الرَّكْبُ أُغْتَدَى رُوثةً عَيْرٍ وَحَصَاةٍ وَنَوَى
لَنْ يَدْفَعَ الْمَقْدَارُ أَسْبَابُ الرُّثَى وَلَا التَّهَاوِيلُ عَلَى جَنِّ الْفَلَا

هَذَا الرَّجْزُ أَوْرَدَهُ الْخَالَعُ فِي هَذَا الْمَعْرُضِ ، وَهُوَ بَأَنَّ يَدُلُّ عَلَى عَكْسِ هَذَا الْمَعْنَى أَوَّلَى ،
لَأَنَّ قَوْلَهُ : « لَنْ يَدْفَعَ الْمَقْدَارُ بِالرُّثَى ، وَلَا بِالتَّهَاوِيلِ عَلَى الْجَنِّ » كَلَامٌ يُشْعِرُ بَأَنَّ قَذْفَ الْحَصَاةِ
وَالنَّوَاةِ خَلْفَهُ كَالْعُودَةِ لَهُ ، لَا كَمَا تَفْعَلُهُ الْفَارِكُ الَّتِي تَتَمَنَّى الْفِرَاقَ .

فأما مذهبهم في القيافة والزَّجْر والكهانة وأختلافهم في السَّامح والبارح ، وتشاتمهم باللفظة والكلمة وتأويلهم لها وتيمنتهم بكلمة أخرى ، وما كانوا يفعلونه من البحيرة والسائبة والوصيلة والحامى فكله مشهورٌ معروفٌ لاحتاجة لنا إلى ذكره هاهنا .

فأما لفظ أمير المؤمنين عليه السلام في قوله : « نَشْرَة » ، فإنَّ النشرة في اللغة كالْعُوذَة والرُقِيَّة ، قالوا : نَشَرْتُ فلانا تَنْشِيرًا ، أى رَقَيْتُهُ وَعَوَّذْتُهُ . وقال الكلبي : إذا نشر المسفوع فكأنما أنشط من عقال ، أى يذهب عنه ما به سَرِيْعًا .

وفي الحديث أنه قال : « فلعلَّ طبًّا أصابه » ، يعنى سِحْرًا ، ثم عَوَّذَهُ : « قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ » ، أى رَقَاه ، وكذلك إذا كَتَبَ له النشرة .

وقد عدَّ أميرُ المؤمنين عليه السلام أموراً أربعةً ذكر منها النشرة ، ولم يكن عليه السلام ليقول ذلك إلا عن تَوْقِيفٍ من رسولِ الله صَلَّى الله عليه وسلّم .

نم الجزء التاسع عشر من شرح نهج البلاغة لابن أبي الحديد

ويبلغ الجزء العشرون

فَهْرَسُ الْمَوْضُوعَاتِ

صفحة

٧-٠٠٠	تابع ماورد من حكمه عليه السلام ومختار أجوبة مسائله وكلامه
٤٧-٤٥	فصل في الحياء وما قيل فيه
٦٢-٦٠	مثل من شجاعة على عليه السلام
٦٤-٦٢	قصة غزوة الخندق
٩٤-٩١	ماجرى بين يحيى بن عبد الله وعبد الله بن مصعب عند الرشيد
١٠٠، ٩٩	من كلامه عليه السلام لكميل بن زياد النخعي وشرح ذلك
١٢٤-١١٦	نبذ من غريب كلام الإمام على وشرحه لأبي عبيد
١٣٩-١٢٤	نبذ من غريب كلام الإمام على وشرحه لابن قتيبة
١٤٣-١٤٠	خطبة منسوبة للإمام على خالية من حرف الألف
١٨٤، ١٨٣	من كلامه عليه السلام في وصف صديق وشرح ذلك
١٩٠-١٨٤	نبذ من الأقوال الحكيمة في حمد القناعة وقلة الأكل
٢٣١-٢٢٧	نبذ من الأقوال الحكيمة في الفقر والغنى
٢٤٩، ٢٤٨	نبذ من الأقوال الحكيمة في الوعد والمطل
٢٩٧-٢٨٧	نبذ من الأقوال الحكيمة في وصف حال الدنيا وصروفها
٣١٨-٣١٦	أقوال مأثورة في الجود والبخل
٣٣٠-٣٢٦	نبذ مما قيل في حال الدنيا وهوانها واغترار الناس بها

صفحة

٣٥١-٣٤١

مما ورد في الطيب من الآثار

٣٥٧-٣٥٢

نبذ مما قيل في التيه والفخر

٣٧١-٣٦٥

طرائف حول الأسماء والكنى

٣٨٢-٣٧٢

أقوال في العين والسحر والعدوى والطيرة والفأل

٠٠٠-٣٨٣

نكت في مذاهب العرب وتخيلاتها

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد

بتحقيق
محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء العشرون

مؤسسة اسماعيليان
للطباعة والنشر والتوزيع
قم - إيران - تلفون ٢٥٢١٣

شرح نهج البلاغة

لابن أبي الحديد

(٥٨٦ - ٦٥٦)

بتحقيق

محمد أبو الفضل إبراهيم

الجزء العشرون

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله الواحد المعدل

(٤٠٩)

الأصل :

وقال عليه السلام :

مُقَارَبَةُ النَّاسِ فِي أَخْلَاقِهِمْ أَضَرُّ مِنْ غَوَائِلِهِمْ .

الشَّرْحُ :

إلى هذا نظر المتنبي في قوله :

وخلّة في جليسٍ أتقى بهـ كما يرى أننا مثلان في الوهن^(١)

وكلمة في طريق خفت أغربها فيهدى لي فلم أقدر على اللحن

وقال الشاعر :

وما أنا إلا كالزّمان إذا صحّا صحوّت وإن ماق الزمان أموق^(٢)

وكان يقال : إذا نزلت على قوم فتشبه بأخلاقهم ، فإنّ الإنسان من حيث يوجد ،

لا من حيث يؤلّد . وفي الأمثال القديمة : من دخل ظفاري حمّر .

شاعر :

أحاميّه حتى يُقال سجيّة ولو كان ذا عقل كنت أعاقله

(٤١٠)

الأُسنلُ :

وَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ لِبَعْضِ مُحَاطِيهِهِ وَقَدْ تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ يُسْتَصْفَرُ مِنْهُ عَنْ
قَوْلٍ مِثْلِهَا :
لَقَدْ طَرَتْ شَكِيرًا ، وَهَدَرَتْ سَقْبًا .

قَالَ : الشَّكِيرُ هَاهُنَا : أَوَّلُ مَا يَنْبُتُ مِنْ رِيشِ الطَّائِرِ قَبْلَ أَنْ يَقْوَى وَيَسْتَحْصِفَ .
وَالسَّقْبُ : الصَّغِيرُ مِنَ الْإِبِلِ ، وَلَا يَهْدِرُ إِلَّا بَعْدَ أَنْ يَسْتَفْجِلَ .

الشَّنْخُ :

هَذَا مِثْلُ قَوْلِهِمْ : قَدْ زَبَبَ قَبْلَ أَنْ يُحْصِرَ .
وَمِنْ أَمْثَالِ الْعَامَّةِ : يقرأ بالشَّوَاذَ ، وَمَا حَفِظَ بَعْدُ جُزْءَ الْمَفْصَلِ .

(٤١١)

الأصل :

وقال عليه السلام :

مَنْ أَوْمَأَ إِلَى مُتَفَاوِتٍ خَذَلَتْهُ الْحِيلُ .

الشرح :

قيل في تفسيره : من أستدلّ بالمشابهة من القرآن في التوحيد والعدل انكشفت حيلته ، فإن علماء التوحيد قد أوضحوا تأويل ذلك .

وقيل : مَنْ بَنَى عَقِيدَةً لَهُ مَخْصُوصَةً عَلَى أَمْرَيْنِ مُخْتَلَفَيْنِ : حَقٍّ وَبَاطِلٍ ، كَانَ مُبْطَلًا .

وقيل : من أومأ بطمعه وأمله إلى فائتٍ قد مضى وأنقضى لن تنفعه حيلة ، أى

لا يتبعن أحدكم أمله ماقد فاتته ؛ وهذا ضعيف لأن المتفاوت في اللغة غير الفائت .

الأفضل :

قَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَدْ سُئِلَ عَنْ مَعْنَى قَوْلِهِمْ : لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ :
إِنَّا لَا تَمْلِكُ مَعَ اللَّهِ شَيْئًا ، وَلَا تَمْلِكُ إِلَّا مَا مَلَكَنَا ، فَمَتَى مَلَكَنَا مَا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ
مِنَّا كَلَّفْنَا ، وَمَتَى أَخَذَهُ مِنَّا وَضَعَ تَكْلِيفَهُ عَنَّا .

الشرح :

مَعْنَى هَذَا الْكَلَامِ أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ جَعَلَ الْحَوْلَ عِبَارَةً عَنِ الْمَلَكِيَّةِ وَالتَّصَرُّفِ ،
وَجَعَلَ الْقُوَّةَ عِبَارَةً عَنِ التَّكْلِيفِ ، كَأَنَّهُ يَقُولُ : لَا تَمْلِكُ وَلَا تَصْرُفُ إِلَّا بِاللَّهِ ،
وَلَا تَكْلِيفَ لَأَمْرٍ مِنَ الْأُمُورِ إِلَّا بِاللَّهِ ؛ فَنَحْنُ لَا تَمْلِكُ مَعَ اللَّهِ شَيْئًا ، أَيْ لَا نَسْتَغْلِظُ بِأَنْ
تَمْلِكُ شَيْئًا ؛ لِأَنَّهُ لَوْلَا إِقْدَارُهُ إِيَّانَا وَخَلْقَتُهُ لَنَا أَحْيَاءَ لَمْ نَكُنْ مَالِكِينَ وَلَا مُتَصَرِّفِينَ ،
فَإِذَا مَلَكَنَا شَيْئًا هُوَ أَمْلَكُ بِهِ - أَيْ أَقْدَرُ عَلَيْهِ مِنَّا - صَرْنَا مَا لِكُنْ لَهُ كَالْمَالِ مِثْلًا حَقِيقَةً ،
وَكَالْعَقْلِ وَالْجَوَارِحِ وَالْأَعْضَاءِ مَجَازًا ، وَحِينَئِذٍ يَكُونُ مَكْلَفًا لَنَا أَمْرًا يَتَعَلَّقُ بِمَا مَلَكَنَا إِيَّاهُ ،
نَحْوُ أَنْ يَكْلَفَنَا الزَّكَاةَ عِنْدَ تَمْلِكِنَا الْمَالَ ، وَيَكْلَفُنَا النَّظَرَ عِنْدَ تَمْلِكِنَا الْعَقْلَ ، وَيَكْلَفُنَا
الْجِهَادَ وَالصَّلَاةَ وَالْحَجَّ وَغَيْرَ ذَلِكَ عِنْدَ تَمْلِكِنَا الْأَعْضَاءَ وَالْجَوَارِحَ ، وَمَتَى أَخَذَ مِنَّا الْمَالَ
وَضَعَ عَنَّا تَكْلِيفَ الزَّكَاةِ ، وَمَتَى أَخَذَ الْعَقْلَ سَقَطَ تَكْلِيفُ النَّظَرِ ، وَمَتَى أَخَذَ الْأَعْضَاءَ
وَالْجَوَارِحَ سَقَطَ تَكْلِيفُ الْجِهَادِ وَمَا يَجْرِي مِجْرَاهُ .

هَذَا هُوَ تَفْسِيرُ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ ؛ فَأَمَّا غَيْرُهُ فَقَدْ فَسَّرَهُ بِشَيْءٍ آخَرَ ، قَالَ

أبو عبد الله جعفر بن محمد عليه السلام : فلا حَوْلَ على الطاعة ولا قوَّةَ على ترك المعاصي
إلا بالله ؛ وقال قوم - وهم المجبرة : لا فعل من الأفعال إلا وهو صادرٌ من الله ، وليس
في اللفظ ما يدل على ما ادَّعَوْا ، وإنما فيه أنه لا اقتدار إلا بالله ، وليس يلزم من نفي
الأقتدار إلا بالله صدق قولنا : لا فعل من الأفعال إلا وهو صادرٌ عن الله ؛ والأولى في
تفسير هذه اللفظة أن تُحمَل على ظاهرها ، وذلك أن الحَوْلَ هو القوَّةُ ، والقوَّةُ هي الحَوْلُ
كلاهما مترادفان ؛ ولا ريب أن القدرة من الله تعالى ، فهو الذي أقدر المؤمنين على الإيمان ،
والكافر على الكفر ، ولا يلزم من ذلك مخالفة القول بالعدل ؛ لأن القدرة ليست
موجبة .

فإن قلت : فأى فائدة في ذكر ذلك وقد علم كل أحد أن الله تعالى خلق القدرة في
جميع الحيوانات ؟

قلت : المراد بذلك الرد على من أثبت صانعاً غير الله ، كالمجوس والثنوية ، فإنهم
قالوا بالهين : أحدهما يخلق قدرة الخير ، والآخر يخلق قدرة الشر .

الأضل :

وقال عليه السلام لِعَمَّارِ بْنِ يَاسِرٍ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى وَقَدْ سَمِعَهُ يُرَاجِعُ الْمُغِيرَةَ
ابْنَ شُعْبَةَ كَلَامًا :

دَعُهُ يَا عَمَّارُ ، فَإِنَّهُ لَمْ يَأْخُذْ مِنَ الدِّينِ إِلَّا مَا قَارَبَهُ مِنَ الدُّنْيَا ، وَعَلَى عَمْدٍ لَبَسَ
عَلَى نَفْسِهِ ، لِيَجْعَلَ الشُّبُهَاتِ عَازِرًا لِسَقَطَاتِهِ .

الشَّرْح :

[المغيرة بن شعبة]

أصحابنا غيرُ متفقين على السكوت على المغيرة ، بل أكثر البغداديين يفسقونه ،
ويقولون فيه ما يقال في الفاسق ؛ ولما جاء عروة بن مسعود الثقفي إلى رسول الله صلى الله
عليه وآله عامَ الحديبية نظر إليه قائما على رأس رسول الله مقلداً سيفاً ، فقيل :
من هذا ؟ قيل : ابنُ أخيك المغيرة ، قال : وأنت ها هنا يا عُدر ! والله إنني إلى الآن
ما غسلتُ سوءَ تلك .

وكان إسلامُ المغيرة من غير اعتقاد صحيح ، ولا إنابة ونية جميلة ، كان قد صحب قوما في
بعض الطرق ، فاستغفلهم وهم نيام ، فقتلهم وأخذ أموالهم وهرب خوفاً أن يلحق فيقتل ،
أو يؤخذ ما فاز به من أموالهم ؛ فقدم المدينة فأظهر الإسلام ، وكان رسول الله صلى الله

عليه وآله لا يردّ على أحدٍ إسلامه ؛ أسلم عن علة أو عن إخلاص ، فامتنع بالإسلام ، واعتصم ، وحجى جانبه .

ذَكَرَ حديثه أبو الفرج عليّ بنُ الحسين الأصفهانيّ في كتاب ” الأغاني “ ،^(١) قال : كان المغيرة يحدث حديث إسلامه ، قال : خرجتُ مع قوم من بني مالك ونحن على دين الجاهليّة إلى المقوقس ملك مصر ، فدخلنا إلى الإسكندرية ، وأهدينا للملك هدايا كانت معنا ، فكنتُ أهون أصحابي عليه ، وقبضَ هدايا القوم ، وأمر لهم بجوائز ، وفضل بعضهم على بعض ، وقصّر بي فأعطاني شيئاً قليلاً لا ذكر له ، وخرجنا ، فأقبلت بنو مالك يشترون هدايا لأهلهم وهم مسرورون ، ولم يعرض أحدٌ منهم علىّ مواساةً ، فلما خرجوا حملوا معهم خرا ، فكانوا يشربون منها ، فأشرب معهم ، ونفسي تأبى أن تدعني معهم ، وقلتُ : ينصرفون إلى الطائف بما أصابوا ، وما حباهم به الملك ، ويخبرون قومي بتقصيره بي وازدراؤه إيّاي ! فأجمعتُ على قتلهم ، فقلت : إني أجد صداعاً ، فوضعوا شرابهم ودعوني ، فقلت رأسي يُصدّع ، ولكن اجلسوا فأسقيكم ، فلم يُنكروا من أمرى شيئاً ، فجلست أسقيهم وأشرب القدح بعد القدح ، فلما دبت الكأس فيهم اشتبهوا الشراب ، فجعلتُ أصرف لهم وأترع الكأس ، [فيشربون ولا يدرون^(٢)] ، فأهدتهم الخمر حتى ناموا ، ما يعقلون ، فوثبتُ إليهم فقتلتهم جميعاً ، وأخذت جميع ما كان معهم .

وقدِمَتُ المدينة فوجدتُ النبيّ صلى الله عليه وآله بالمسجد وعنده أبو بكر - وكان بي عارفاً - فلما رأيته قال : ابن أخى عُرْوَة ؟ قلت : نعم ، قد جئتُ أشهد أن لا إله إلاّ الله ، وأنّ محمداً رسول الله ، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله : الحمد لله : فقال أبو بكر من مصر أقبلت ؟ قلت : نعم ؟ قال : فما فعل المالكيون الذين كانوا معك ؟ قلت : كان

(١) الأغاني ١٦ : ٨٠ - ٨٢ (طبعة دار الكتب) مع اختلاف الرواية .

(٢) من الأغاني

بينى وبينهم بعض ما يكون بين العرب ، ونحن على دين الشرك ، فقتلتهم ، وأخذت أسلابهم ، وجئتُ بها إلى رسول الله صلى الله عليه وآله ليُخَمِّسَهَا [ويرى فيها رأيَه] ^(١) ؛ فإنها غنيمة من المشركين ، فقال رسولُ الله : أمّا إسلامُك فقد قبلته ، ولا نأخذ من أموالهم شيئاً ولا نخمّسها ، لأنّ هذا غدرٌ ، والقدر لا خير فيه ، فأخذنى ما قُرب وما بُعد ، فقلتُ : يا رسول الله ، إنما قتلتهم وأنا على دين قومى ، ثمّ أسلمتُ حين دخلتُ إليك الساعة ، فقال عليه السلام : الإسلام يَجِبُ ما قبله . قال : وكان قتل منهم ثلاثة عشر إنساناً ، واحتوى على ما معهم ؛ فبلغ ذلك ثقيفاً بالطائف ، فتداعوا للقتال ، ثم اصطَلَحُوا على أن حمل عمى عُرْوَة بن مسعود ثلاث عشرة دية .

قال : فذلك معنى قولِ عُرْوَة يوم الحديبية : « ياغدر ، أنا إلى الأُمس أغسل سوءَ تَك ، فلا أستطيع أن أغسلها » ، فإِذَا قال أصحابنا البغداديون : مَنْ كان إسلامُه على هذا الوجه ، وكانت خاتمته ما قد تواتر الخبر به ؛ من لعن عليّ عليه السلام على المنابر إلى أن مات على هذا الفعل ، وكان المتوسط من عمره الفسق والفُجور وإعطاء البَطْن والفرَج سؤالهما ، ومما لآفة الفاسقين ، وصرَف الوقت إلى غير طاعة الله ، كيف نتولاه ! وأى عذر لنا فى الإمساك عنه ، وألا نكشف الناس فسقَه !

[إيراد كلام لأبى المعالى الجوينى فى أمر الصحابة والرد عليه]

وحضرت عند النقيب أبى جعفر يحيى بن محمد العلوى البصرى فى سنة إحدى عشرة وستمائة ببغداد ، وعنده جماعة ، وأحدُهم يقرأ فى الأغانى لأبى الفرج ، فرّ ذكر المغيرة بن شعبة وخاض القوم ، فذمّه بعضهم ، وأثنى عليه بعضهم ، وأمسك عنه آخرون ؛ فقال

بعض فقهاء الشيعة ممن كان يشتغل بطرفٍ من علم الكلام على رأى الأشعرى : الواجب الكف والإمساك عن الصحابة ، وعمّا شجر بينهم ، فقد قال أبو المعالي الجوينى : إن رسول الله صلى الله عليه وآله نهى عن ذلك ، وقال : « إياكم وما شجر بين صحابى » ، وقال : « دَعُوا إلى أصحابى ، فلو أنفق أحدكم مثْلَ أحدٍ ذهباً لما بلغ مدَّ أحدِهِم ولا نصيفَه » ؛ وقال : « أصحابى كالنجوم ، بأيّهم اقتديتم اهتديتم » ، وقال : « خيرُكم القرن الذى أنا فيه ثم الذى يليه ، ثم الذى يليه ، ثم الذى يليه » ، وقد ورد فى القرآن الثناء على الصحابة وعلى التابعين ؛ وقال رسول الله صلى الله عليه وآله : « وما يُذريك لعلّ الله اطّلع على أهل بدر فقال : اعملوا ما شئتم فقد غفرتُ لكم » ؛ وقد روى عن الحسن البصرى أنه ذكر عنده الجبل وصيّف ، فقال : تلك دماء طهر الله منها أسيافنا ، فلا نلطّخ بها ألسنتنا .

ثم إن تلك الأحوال قد غابت عنا وبعُدَتْ أخبارُها على حقائقها ؛ فلا يليق بنا أن نخوضَ فيها ؛ ولو كان واحدٌ من هؤلاء قد أخطأ لوجب [أن يُحفظ رسولُ الله صلى الله عليه وآله فيه ، ومن المروءة]^(١) أن يُحفظ رسولُ الله صلى الله عليه وآله فى عائشة زوجته ، وفى الزبير ابن عمته ، وفى طلحة الذى وقاه بيده . ثم ما الذى ألزَمنا وأوجب علينا أن نلعن أحداً من المسلمين أو نبرأ منه ! وأى ثواب فى اللعنة والبراءة ! إن الله تعالى لا يقول يوم القيامة للمكلف : لمَ لمَ تلعن ؟ بل قد يقول له : لمَ لعنت ؟ ولو أن إنساناً عاش عمره كله لم يلعن إبليسَ لم يكن عاصياً ولا آثماً ، وإذا جعل الإنسان عِوضَ اللعنة أَسْتَغْفِرُ الله كان خيراً له . ثم كيف يجوز للعامة أن تُدخلَ أنفسها فى أمور الخاصة ، وأولئك قوم كانوا أمراء هذه الأمة وقادتها ، ونحن اليوم فى طبقة سافلةٍ جدا عنهم ؛ فكيف يحسن بنا التعرّض لذكرهم ! أليس يقبُح من الرعية أن تخوضَ فى دقائق أمورِ الملكِ وأحواله وشئونهِ التى تجري بينه وبين أهله وبني عمّه ونسائه وسراريّه ! وقد كان رسولُ الله صلى

الله عليه وآله صهراً لمعاوية . وأخته أم حبيبة تحته ، فالأدب ، أن تحفظ أم حبيبة وهي أم المؤمنين في أخيها .

وكيف يجوز أن يُلعن من جعل الله تعالى بينه وبين رسوله مودة ! أليس المفسرون كلهم قالوا : هذه الآية أنزلت في أبي سُفيان وآله ، وهي قوله تعالى : ﴿ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مودةً ﴾ ^(١) ! فكان ذلك مباهرة رسول الله صلى الله عليه وآله أبا سُفيان وترويضه ابنته . على أن جميع ماتنقله الشيعة من الاختلاف بينهم والمشاركة لم يثبت ، وما كان القوم إلا كبنى أم واحدة ولم يتكدر باطن أحد منهم على صاحبه قط ولا وقع بينهم اختلاف ولا نزاع .

فقال أبو جعفر رحمه الله : قد كنت منذ أيام علقت بخطي كلاماً وجدته لبعض الزيدية في هذا المعنى نقضاً ورداً على أبي المعالي الجويني فيما اختاره لنفسه من هذا الرأي ، وأنا أخرجه إليكم لأستغنى بتأمله عن الحديث على ما قاله هذا الفقيه ، فإنني أجدُ لما يمنعني من الإطالة في الحديث ؛ لا سيما إذا خرج مخرج الجدال ومقاومة الخصوم . ثم أخرج من بين كتبه كراساً قرأناه في ذلك المجلس وأستحسنه الحاضرون ، وأنا أذكر هاهنا خلاصته .

قال : لولا أن الله تعالى أوجب معاداة أعدائه ، كما أوجب موالاة أوليائه ، وضيق على المسلمين تركها إذا دلّ العقل عليها ، أو صحّ الخبرُ عنها بقوله سبحانه : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْماً يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءَهُمْ أَوْ أَبْنَاءَهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ ﴾ ^(٢) ، وبقوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ ﴾ ^(٣) ، وبقوله سبحانه : ﴿ لَا تَتَوَلَّوْا قَوْماً

غَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ^(١) ؛ ولإجماع المسلمين على أن الله تعالى فرضَ عداوة أعدائه ، وولاية أوليائه ، وعلى أن : البغض في الله واجب ، والحب في الله واجب - لما تعرضنا لمعاداة أحدٍ من الناس في الدين ، ولا البراءة منه ، ولكانت عداوتنا للقوم تكلفا . ولو ظننا أن الله عز وجل يَعْذِرنا إذا قلنا : يارب غاب أمرهم عنا ، فلم يكن لخوضنا في أمرٍ قد غاب عنا معنى ، لأعتمدنا على هذا العذر ، وواليناهم ، ولكننا نخاف أن يقول سبحانه لنا : إن كان أمرهم قد غاب عن أبصاركم ، فلم يَغِبْ عن قلوبكم وأسماعكم ؛ قد اتَّسَمَ به الأخبارُ الصحيحة التي بمثلها أَلَزَمْتُمْ أَنْفُسَكُمْ الإقرار بالنبي صلى الله عليه وآله ومُوالاة مَنْ صَدَّقَهُ ، ومعاداة مَنْ عَصَاهُ وَجَحَدَهُ ، وأمرتم بتدبر القرآن وما جاء به الرسولُ ، فهلاً حذِرتُم من أن تكونوا من أهل هذه الآية غداً : ﴿ رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلَا ﴾^(٢) !

فأما لفظة اللعن فقد أمر الله تعالى بها ، وأوجبها ، ألا تَرَى إلى قوله : ﴿ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴾^(٣) ، فهو إخبارٌ معناه الأمر ، كقوله : ﴿ وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنْفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ ﴾^(٤) ؛ وقد لعن الله تعالى العاصين بقوله : ﴿ لُعِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ بَنِي إِسْرَائِيلَ عَلَى لِسَانِ دَاوُدَ ﴾^(٥) ، وقوله : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا ﴾^(٦) ، وقوله : ﴿ مَلْعُونِينَ أَيْنَمَا ثُقِفُوا أُخِذُوا وَقُتِلُوا قَتِيلًا ﴾^(٧) ، وقال الله تعالى لإبليس : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ ﴾^(٨) وقال : ﴿ إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا ﴾^(٩) .

(١) سورة المتحنة ١٣

(٢) سورة الأحزاب ٦٧

(٣) سورة البقرة ٢٢٨

(٤) سورة الأحزاب ٥٧

(٥) سورة م ٧٨

(٦) سورة البقرة ١٥٩

(٧) سورة المائدة ٧٨

(٨) سورة الأحزاب ٦١

(٩) سورة الأحزاب ٦٤

فأما قول من يقول : « أئى ثواب فى اللعن ! وإن الله تعالى لا يقول للمكلف لم تلعن ؟ بل قد يقول له : لم لعنت ؟ وأنه لو جعل مكان لعن الله فلانا ، اللهم اغفر لى لكان خيراً له ، ولو أن إنسانا عاش عمره كله لم يلعن إبليس لم يؤاخذ بذلك » ؛ فكلأهم جاهل لا يدرى ما يقول ؛ اللعن طاعة ، وئستحق عايبها الثواب إذا فعات على وجهها ، وهو أن يلعن مستحق اللعن لله وفى الله ، لا فى العصبية والهوى ، ألا ترى أن الشرع قد ورد بها فى نفى الولد ، ونطق بها القرآن ، وهو أن يقول الزوج فى الخامسة : ﴿ أن لعنة الله عليه إن كان من الكاذبين ﴾^(١) فلو لم يكن الله تعالى يريد أن يتلفظ عباده بهذه اللفظة وأنه قد تعبد لهم بها ، لما جعلها من معالم الشرع ، ولما كثرها فى كثير من كتابه العزيز ، ولما قال فى حق القاتل : ﴿ وغضب الله عليه ولعنه ﴾^(٢) ، وليس المراد من قوله : « ولعنه » إلا الأمر لنا بأن نلعنه ، ولو لم يكن المراد بها ذلك لكان لنا أن نلعنه ، لأن الله تعالى قد لعنه ، أفيلعن الله تعالى إنسانا ولا يكون لنا أن نلعنه ! هذا ما لا يسوغ فى العقل ؛ كما لا يجوز أن يمدح الله إنسانا إلا ولنا أن نمدحه ، ولا يذمه إلا ولنا أن نذمه ؛ وقال تعالى : ﴿ هل أنبئكم بشر من ذلك مثوبة عند الله من لعنه الله ﴾^(٣) ، وقال : ﴿ ربنا آتاهم ضممنين من العذاب والعنهم لعنا كبيرا ﴾^(٤) ، وقال عز وجل : ﴿ وقالت اليهود يد الله مغلولة غات أيديهم ولعنوا بما قالوا ﴾^(٥) . وكيف يقول القاتل : إن الله تعالى لا يقول للمكلف : لم تلعن ؟ ألا يعلم هذا القاتل أن الله تعالى أمر بولاية أوليائه ، وأمر بعداوة أعدائه ، فكما يسأل عن التولى يسأل عن التبرى ! ألا ترى أن اليهودى إذا أسلم يطالب بأن يقال له : تلفظ بكلمة الشهادتين ، ثم قل : برئت

(٢) سورة النساء ٩٣

(٤) سورة الأحزاب ٦٨

(١) سورة النور ٧

(٣) سورة المائدة ٦٠

(٥) سورة المائدة ٦٤

من كل دين يُخالف دين الإسلام ، فلا بد من البراءة ، لأن بها يتم العمل ! ألم يسمع هذا القائل قول الشاعر :

تَوَدُّ عَدُوِّيَ ثُمَّ تَزْعُمُ أَنِّي صَدِيقُكَ ، إِنَّ الرَّأْيَ عِنكَ لَعَازِبُ

فَوَدَّ العَدُوَّ خُرُوجَ عَنِ وِلَايَةِ الْوَلِيِّ ، وَإِذَا بَطَلَتِ الْمَوَدَّةُ لَمْ يَبْقَ إِلَّا الْبِرَاءَةُ ؛ لِأَنَّهُ لَا يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ الْإِنْسَانُ فِي دَرَجَةِ مَتَوَسِّطَةٍ مَعَ أَعْدَاءِ اللَّهِ تَعَالَى وَعُصَايَةِ بَاطِلِ الْيُودِهِمْ وَلَا يَبْرَأُ مِنْهُمْ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ عَلَى نَفْيِ هَذِهِ الْوَاسِطَةِ .

وأما قوله : « لَوْ جَعَلَ عِوَضَ اللَّعْنَةِ أَسْتَغْفِرَ اللَّهُ لَكَانَ خَيْرًا لَهُ » ، فإنه لو استغفر من غير أن يلعن أو يعتقد وجوب اللعن لما نفعه استغفاره ولا قبل منه ، لأنه يكون عاصيا لله تعالى ، مخالفا أمره في إمساكه عن أوجب الله تعالى عليه البراءة منه ، وإظهار البراءة ، والمُصِرَّ على بعض المعاصي لا تُقبل توبته واستغفاره عن البعض الآخر ، وأما من يعيش عمره ولا يلعن إبليس ، فإن كان لا يعتقد وجوب لعنه فهو كافر ، وإن كان يعتقد وجوب لعنه ولا يلعنه فهو مخطيء ؛ على أن الفرق بينه وبين ترك لعنه رموس الضلال في هذه الأمة كعماوية والمغيرة وأمثالهما ، أن أحدا من المسلمين لا يُورث عنده الإمساك عن لعن إبليس شبهة في أمر إبليس ، والإمساك عن لعن هؤلاء وأضرابهم يثير شبهة عند كثير من المسلمين في أمرهم ، وتجنّب ما يُورث الشبهة في الدين واجب ، فلهذا لم يكن الإمساك عن لعن إبليس نظيرا للإمساك عن أمر هؤلاء .

قال : ثم يقال للمخالفين : أرايتم لو قال قائل : قد غاب عنا أمر يزيد بن معاوية والحجاج بن يوسف ، فليس ينبغي أن نخوض في قصتهما ، ولا أن نلعنهما ونعاديهما ونبرأ منهما ؛ هل كان هذا إلا كقولكم : قد غاب عنا أمر معاوية والمغيرة بن

شُعبة وأضرأبهما ، فليس نخوضنا في قصصهم معني !

وبعد ، فكيف أدخلتمُ أيها العامة والحشوية وأهل الحديث أنفسكم في أمر عثمان وخُصتم فيه ، وقد غاب عنكم ! وبرثتم من قتلته ، ولعنتموهم ! وكيف لم تحفظوا أبا بكر الصديق في محمد ابنه فإنكم لعنتموه وفسقتموه ، ولا حفظتم عائشة أم المؤمنين في أخيها محمد المذكور ، ومنعتمونا أن نخوض وندخل أنفسنا في أمر عليّ والحسن والحسين ومعاوية الظالم له ولهما ، المتغلب على حقه وحقوقهما ! وكيف صار لعن ظالم عثمان من السنة عندهم ، ولعن ظالم عليّ والحسن والحسين تكلفا ! وكيف أدخلت العامة أنفسها في أمر عائشة وبرثتم ممن نظر إليها ، ومن القائل لها : يا حُميراء ، أو إنما هي حُميراء ، ولعنته بكشفه سترها ، ومنعتمنا نحن عن الحديث في أمر فاطمة وما جرى لها بعد وفاة أبيها .

فإن قلتم : إن بيت فاطمة إنما دُخل ، وسترها إنما كُشف ، حفظا لنظام الإسلام ، وكَيْلا يَنْتَشِرَ الأمرُ ويُخْرِجَ قومٌ من المسلمين أعناقهم من رِبقة^(١) الطاعة ولزوم الجماعة .

قيل لكم : وكذلك ستر عائشة إنما كُشف ، وهودجها إنما هُتِك ، لأنها نشرت^(٢) حبل الطاعة ، وشقت عصا المسلمين ، وأراقت دماء المسلمين من قبل وصول عليّ بن أبي طالب عليه السلام إلى البصرة ، وجرى لها مع عثمان بن حنيف وحكيم بن جبلة ومن كان معهما من المسلمين الصالحين من القتل وسفك الدماء ما تنطق به كتبُ التواريخ والسير ؛ فإذا جاز دخول بيت فاطمة لأمر لم يقع بعدُ جاز كشف ستر عائشة على ما قد وقع وتحقق ، فكيف صار هتك ستر عائشة من الكبائر التي يجب معها التخليد في النار ،

(٢) نشرت حبل الطاعة : أى قطعتة .

(١) رِبقة الطاعة : عرقها .

والبراءة من فاعله ، ومن أَوْكَدِ عُرَا الإيمان ، وصار كُشْفَ بَيْتِ فاطمة والدّخول عليها منزلها وَجَعَ حَطَبِ ببابها ، وتهدّدها بالتحريق من أَوْكَدِ عُرَا الدّين ، وأُثْبِتَ دَعَائِمَ الإسلام ؛ ومما أَعَزَّ الله به المسلمين وأطفأ به نار الفتنة ؛ والحُرْمَتان واحدة ، والسّتران واحد . وما نَحَبَ أن نقول لكم : إن حرمة فاطمة أعظم ، ومكانها أرفع ، وصياتها لأجل رسول الله صَلَّى الله عليه وآله أولى ، فإنها بَصْعَةٌ منه ، وجزء من لحمه ودمه ، وليست كالزوجة الأجنبية التي لا نَسَبَ بينها وبين الزّوج ، وإنما هي وُصْلَةٌ مستعارة ، وعَقْدٌ يجرى مجرى إجارة المنفعة ، وكما يملك رقّ الأمة بالبيع والشراء ، ولهذا قال الفَرَضِيُّونَ : أسباب التوارث ثلاثة : سبب ، ونسب ، وولاء ؛ فالنسب القرابة ، والسبب النكاح ، والولاء : ولاء العتق ؛ فجعلوا النكاح خارجاً عن النسب ؛ ولو كانت الزوجة ذات نسب لجعلوا الأقسام الثلاثة قسمين .

وكيف تكون عائشة أو غيرها في منزلة فاطمة ، وقد أجمع المسلمون كلّهم من يحبّها ومن لا يحبّها منهم أنها سيّدة نساء العالمين !

قال : وكيف يلزمنا اليوم حفظ رسول الله صلى الله عليه وآله في زوجته ، وحفظ أمّ حبيبة في أخيها ، ولم تُلْزَمِ الصحابةُ أنفسها حفظَ رسول الله صلى الله عليه وآله في أهل بيته ، ولا أُلْزِمَتِ الصحابةُ أنفسها حفظَ رسول الله صلى الله عليه وآله في صِهره وابن عمّه عثمان بن عفان ، وقد قتلوه ولعنوه ؛ ولقد كان كثيرٌ من الصحابة يلعن عثمان وهو خليفة ؛ منهم عائشة كانت تقول : اقتلوا نَعَثًا ، لعن الله نَعَثًا ؛ ومنهم عبد الله بن مسعود ؛ وقد لعن معاوية على بن أبي طالب وابنيه حَسَنًا وحُسَيْنًا وهم أحياء يرزقون بالعراق ، وهو يلعنهم بالشام على المنابر ، وَيَقْنُتُ عليهم في الصلوات ، وقد لعن أبو بكر وعمرُ سعد بن عبادة وهو حيّ ، وبرثا منه ، وأخرجاه من المدينة إلى الشام ، ولعن عمرُ

(٢ - نهج - ٢٠)

خالد بن الوليد لما قتل مالك بن نويرة ، وما زال الأمن فاشيا في المسلمين إذا عرفوا من الإنسان معصية تقتضى اللعن والبراءة .

قال : ولو كان هذا أمراً معتبراً وهو أن يُحفظ زيد لأجل عمرو فلا يُلعن ، لوجب أن تُحفظ الصحابة في أولادهم ، فلا يُلعنوا لأجل آبائهم ، فكان يجب أن يُحفظ سعد بن أبي وقاص فلا يُلعن ابنه عمر بن سعد قاتل الحسين ، وأن يُحفظ معاوية فلا يُلعن يزيد صاحب وقعة الحرة وقاتل الحسين ، وخيف المسجد الحرام بمكة ، وأن يُحفظ عمر بن الخطاب في عبيد الله ابنه قاتل الهرمزان ، والمحارب علياً عليه السلام في صفين .

قال : على أنه لو كان الإمساك عن عداوة من عادى الله من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله من حفظ رسول الله صلى الله عليه وآله في أصحابه ورعاية عهده وعقده لم نعادهم ولو ضربت رقابنا بالسيوف ، ولكن محبة رسول الله صلى الله عليه وآله لأصحابه ليست كمحبة الجهال الذين يضع أحدهم محبته لصاحبه موضع العصبية ، وإنما أوجب رسول الله صلى الله عليه وآله محبة أصحابه لطاعتهم لله ، فإذا عصوا الله وتركوا ما أوجب محبتهم ؛ فليس عند رسول الله صلى الله عليه وآله محاباة في ترك لزوم ما كان عليه من محبتهم ، ولا تفطرس في العدول عن التمسك بمواليتهم ، فلقد كان صلى الله عليه وآله يحب أن يُعادى أعداء الله ولو كانوا عترته ، كما يحب أن يوالي أولياء الله ولو كانوا أبعد الخلق نسباً منه ؛ والشاهد على ذلك إجماع الأمة على أن الله تعالى قد أوجب عداوة من ارتد بعد الإسلام ، وعداوة من نافق وإن كان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله هو الذي أمر بذلك ودعا إليه

وذلك أنه صلى الله عليه وآله قد أوجب قطع السارق وضرب القاذف ، وجلبه البكر
إذا زنى ، وإن كان من المهاجرين أو الأنصار ؛ ألا ترى أنه قال : لو سرق فاطمة
لقطعناها ؛ فهذه ابنته ، الجارية تجرى نفسه ، لم يحاسبها في دين الله ، ولا راقبها في
حدود الله ، وقد جلد أصحاب الإفك ، ومنهم مسطح بن أثاثه ، وكان من
أهل بدر .

قال : وبعد ، فلو كان محل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله محل من لا يعادى
إذا عصى الله سبحانه ولا يذكر بالقبيح ، بل يجب أن يراقب لأجل اسم الصعبة ،
ويغضى عن عيوبه وذنوبه ، لكان كذلك صاحب موسى المسطور ثناؤه في القرآن لما
اتبع هواه ، فانسأخ مما أوتي من الآيات وغوى ، قال سبحانه : ﴿ وَأَتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ
الَّذِي آتَيْنَاهُ آيَاتِنَا فَانْسَأخَ مِنْهَا فَأَتَّبَعَهُ الشَّيْطَانُ فَكَانَ مِنَ الْغَاوِينَ ﴾ ^(١) ، وكان ينبغي
أن يكون محل عبدة العجل من أصحاب موسى هذا المحل ، لأن هؤلاء كلهم قد صحبوا
رسولاً جليلاً من رسل الله سبحانه .

قال : ولو كانت الصحابة عند أنفسهم بهذه المنزلة ؛ لعلمت ذلك من حال أنفسهم ،
لأنهم أعرف بمحلهم من عوام أهل دهرنا ، وإذا قدرت أفعال بعضهم ببعض دلتك على
أن القصة كانت على خلاف ما قد سبق إلى قلوب الناس اليوم ؛ هذا على وصار ،
وأبو الهيثم بن التيهان ، وخزيمة بن ثابت ، وجميع من كان مع علي عليه السلام من
المهاجرين والأنصار ، لم يروا أن يتغافلوا عن طلحة والزبير حتى فعلوا بهما وبين معهما
ما يفعل بالشرأة في عصرنا ، وهذا طلحة والزبير وعائشة ومن كان معهم في جانبهم لم يروا
أن يمسكوا عن علي ؛ حتى قصدوا له كما يقصد للمتغلبين في زماننا ، وهذا معاوية وعمر بن عبد الله

عليًا بالعين التي يرى بها العاتى صديقه أو جاره، ولم يُقَصِّرْ دُونَ ضَرْبِ وَجْهِهِ بِالسَّيْفِ وَلَعْنِهِ وَلَعْنِ أَوْلَادِهِ وَكُلِّ مَنْ كَانَ حَيًّا مِنْ أَهْلِهِ ، وَقَتْلِ أَصْحَابِهِ ، وَقَدْ لَعَنَهُمَا هُوَ أَيْضًا فِي الصَّلَوَاتِ الْمَفْرُوضَاتِ ، وَلَعَنَ مَعَهُمَا أَبَا الْأَعْمُورِ السُّلَمِيَّ ، وَأَبَا مُوسَى الْأَشْعَرِيَّ ، وَكِلَاهُمَا مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَهَذَا سَعْدُ بْنُ أَبِي وَقَّاصٍ ، وَمُحَمَّدُ بْنُ مَسْلَمَةَ ، وَأَسَامَةُ بْنُ زَيْدٍ ، وَسَعِيدُ بْنُ زَيْدٍ ، وَعَمْرُو بْنُ نُفَيْلٍ ، وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍ ، وَحَسَّانُ بْنُ ثَابِتٍ ، وَأَنْسُ بْنُ مَالِكٍ ، لَمْ يَرَوْا أَنْ يَقْلُدُوا عَلِيًّا فِي حَرْبِ طَاحَةَ ، وَلَا طَاحَةَ فِي حَرْبِ عَلِيٍّ ، وَطَاحَةُ وَالزَّيْبِرُ بِإِجْمَاعِ الْمُسْلِمِينَ أَفْضَلُ مِنْ هَؤُلَاءِ الْمَعْدُودِينَ ، لِأَنَّهُمْ زَعَمُوا أَنَّهُمْ قَدْ خَافُوا أَنْ يَكُونَ عَلِيٌّ قَدْ غَلَطَ وَزَلَّ فِي حَرْبِهِمَا ، وَخَافُوا أَنْ يَكُونَا قَدْ غَلَا زَلًّا فِي حَرْبِ عَلِيٍّ ؛ وَهَذَا عُثْمَانُ قَدْ نَفَى أَبَا ذَرٍّ إِلَى الرَّبَذَةِ كَمَا يُفْعَلُ بِأَهْلِ الْخَنَاءِ وَالرَّيْبِ ، وَهَذَا عَمَّارُ بْنُ مَسْعُودٍ تَلَقَّى عُثْمَانَ بِمَا تَلَقَّيَاهُ بِهِ لَمَّا ظَهَر لَهَا - بَزْعُمَهُمَا - مِنْهُ مَا وَعَظَاهُ لِأَجَلِهِ ، ثُمَّ فَعَلَ بِهِمَا عُثْمَانُ مَا تَنَاهَى إِلَيْكُمْ ، ثُمَّ فَعَلَ الْقَوْمُ بِعُمَانَ مَا قَدْ عَلِمْتُمْ وَعَلِمَ النَّاسُ كُلُّهُمْ ، وَهَذَا عَمْرُ يَقُولُ فِي قِصَّةِ الزُّبَيْرِ بْنِ الْعَوَّامِ لَمَّا أَسْتَأْذَنَهُ فِي الْغَزْوِ : هَا إِنِّي مِمِّكَ بِيَابِ هَذَا الشَّعْبِ أَنْ يَتَفَرَّقَ أَصْحَابُ مُحَمَّدٍ فِي النَّاسِ فَيُضِلُّوهُمْ ، وَزَعِمَ أَنَّهُ وَأَبُو بَكْرٍ كَانَا يَقُولَانِ : إِنَّ عَلِيًّا وَالْعَبَّاسَ فِي قِصَّةِ الْمِيرَاثِ زَعَمَاهُمَا كَاذِبَيْنِ ظَالِمَيْنِ فَاجِرَيْنِ ؛ وَمَا رَأَيْنَا عَلِيًّا وَالْعَبَّاسَ اعْتَذَرَا وَلَا تَنْصَلَا ، وَلَا نَقْلَ أَحَدٍ مِنْ أَصْحَابِ الْحَدِيثِ ذَلِكَ ، وَلَا رَأَيْنَا أَصْحَابَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَنْكَرُوا عَلَيْهِمَا مَا حَكَاهُ عَمْرُ عَنْهُمَا ، وَنَسَبَهُ إِلَيْهِمَا ، وَلَا أَنْكَرُوا أَيْضًا عَلَى عَمْرٍ قَوْلَهُ فِي أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِنَّهُمْ يَرِيدُونَ إِضْلَالَ النَّاسِ وَيَهْمُونَ بِهِ ، وَلَا أَنْكَرُوا عَلَى عُثْمَانَ دَوَسَ بَطْنِ عَمَّارٍ ، وَلَا كَسَرَ ضِلَعِ ابْنِ مَسْعُودٍ ، وَلَا عَلَى عَمَّارِ بْنِ مَسْعُودٍ مَا تَلَقَّى بِهِ عُثْمَانُ ، كَأَنْكَارِ الْعَامَّةِ الْيَوْمَ الْخَوْضَ فِي حَدِيثِ الصَّحَابَةِ ، وَلَا اعْتَقَدَتِ الصَّحَابَةُ فِي أَنْفُسِهَا مَا يَعْتَقِدُهُ الْعَامَّةُ فِيهَا ؛ اللَّهُمَّ إِلَّا أَنْ يَزْعُمُوا أَنَّهُمْ أَعْرَفَ بِحَقِّ الْقَوْمِ مِنْهُمْ . وَهَذَا عَلَى

وفاطمة والعبّاس مازالوا على كلمة واحدة يكذبون الرواية : « نحن معاشر الأنبياء لا نورث » ، ويقولون ؛ إنها مختلقة .

قالوا : وكيف كان النبي صلى الله عليه وآله يُعرّف هذا الحكم غيرنا ويكتّمه عنا ونحن الورثة ؛ ونحن أولى الناس بأن يُؤدّي هذا الحكم إليه ، وهذا عمر بن الخطاب يشهد لأهل الشورى أنهم النّفَر الذين توفّي رسول الله صلى الله عليه وآله وهو عنهم راضٍ ، ثمّ يأمر بضرب أعناقهم إن أخروا فضل حال الإمامة ، هذا بعد أن ثلّبهم ، وقال في حقهم ما لو سمعته العامّة اليوم من قائل لو ضمت ثوبه في عنقه سحبا إلى السلطان ، ثمّ شهدت عليه بالرّفُض واستحلّت دمه ، فإن كان الطّعن على بعض الصّحابة رفضا فعمّر بن الخطاب أرفض الناس وإمام الرّوافض كلّهم . ثمّ ماشاع وأشتهر من قول عمر : كانت بيعة أبي بكر فلتة ، وقى الله شرّها ؛ فمن عاد إلى مثلها فاقتلوه ؛ وهذا طعن في العقْد ، وقدح في البيعة الأصليّة .

ثمّ ما نقل عنه من ذِكر أبي بكر في صلاته ، وقوله عن عبد الرحمن ابنه : دويبة سوء وهو خير من أبيه . ثمّ عمر القائل في سعد بن عبادة ، وهو رئيس الأنصار وسيدها : اقتلوا سعدا ، قتل الله سعدا ، اقتلوه فإنّه منافق . وقد شتم أبا هريرة وطعن في روايته ، وشتم خالد بن الوليد وطعن في دينه ، وحكم بفِسقه وبُوجوب قتله ، وخون عمرو بن العاص ومعاوية بن أبي سُفيان ونسبهما إلى سرقة مال النّبي وأقتطاعه ، وكان سريعا إلى المساءة ، كثير الجنبه والشتم والسب لكلّ أحد ، وقلّ أن يكون في الصّحابة من سلّم من معرفة لسانه أو يده ، ولذلك أبغضوه وملّوا أيامه مع كثرة الفُتوح فيها ، فهلاّ احترم عمر الصّحابة كما تحترمهم العامّة ! إنا أن يكون عمر مخطئا ، وإنا أن تكون العامّة على الخطأ !

فإن قالوا : عمرُ ماشَتَمْ ولا ضَرَبَ ، ولا أَسَاءَ إلَّا إلى عاصٍ مستحقٍّ لذلك ، قيل لهم : فكأنَّا نحن نقول : إنَّا نريد أن نبرأ ونعادي من لا يستحقُّ البراءة والمعاداة ، كلاً ما قلنا هذا ولا يقول هذا مسلم ولا عاقل .

وإنما غرضنا الذي إليه نجري بكلامنا هذا أن نوضح أن الصحابة قومٌ من الناس لهم مال للناس ، وعليهم ما عليهم ، من أساء منهم ذمناه ، ومن أحسن منهم حمدناه ، وليس لهم على غيرهم من المسلمين كبيرُ فضلٍ إلَّا بمشاهدة الرسول ومعاصرته لا غير ، بل ربما كانت ذنوبهم أفحش من ذنوب غيرهم ، لأنهم شاهدوا الأعلام والمعجزات ، فقربت أعتقاداتهم من الضرورة ، ونحن لم نشاهد ذلك ، فكانت عقائدنا تخض النظر والفكر ، وبعرضية الشبه والشكوك ، فعاصينا أخف لأننا أعذر .

ثم نعود إلى ما كنّا فيه فنقول : وهذه عائشة أم المؤمنين ؛ خرجت بقميص رسول الله صلى الله عليه وآله فقالت للناس : هذا قميصُ رسول الله لم يبل ، وعثمان قد أبلى سنته ؛ ثم تقول : اقتلوا نعثلاً ، قتل الله نعثلاً ، ثم لم ترض بذلك حتى قالت : أشهد أن عثمان جيفةٌ على الصراط غدًا . فمن الناس من يقول : روت في ذلك خبراً ، ومن الناس من يقول : هو موقفٌ عليها ؛ وبدون هذا لو قاله إنسان اليوم يكون عند العامة زنديقا . ثم قد حصر عثمان ؛ حصرته أعيانُ الصحابة ، فما كان أحدٌ يُنكر ذلك ، ولا يُعظمه ولا يسعى في إزالته ، وإنما أنكروا على من أنكر على المحاصرين له ، وهو رجلٌ كما علمته من وجوه أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله ، ثم من أشرافهم ، ثم هو أقرب إليه من أبي بكر وعمر ؛ وهو مع ذلك إمامُ المسلمين ، والختارُ منهم للخلافة ، وللإمام حقٌّ على رعيته عظيم ، فإن كان القومُ قد أصابوا فإذاً ليست الصحابة في الموضع الذي وضعتها به العامة ، وإن كانوا ما أصابوا فهذا هو الذي نقول ؛ من أن الخطأ جازٌ على

آحاد الصحابة ؛ كما يجوز على آحادنا اليوم . ولَسْنَا تَقْدَحُ فِي الْإِجْمَاعِ ، وَلَا نَدْعِي
إِجْمَاعًا حَقِيقِيًّا عَلَى قَتْلِ عُمَامٍ ، وَإِنَّمَا نَقُولُ : إِنَّ كَثِيرًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ قَتَلُوا ذَلِكَ
وَاتَّخَفُوا بِسَلَامٍ أَنَّ ذَلِكَ كَانَ غَطَاً وَمَعْصِيَةً ، فَقَدْ سَلَّمَ أَنَّ الصَّحَابِيَّ يَجُوزُ أَنْ يُخْطِئَ
وَيَعْصِيَ ، وَهُوَ الْمَطْلُوبُ .

وهذا المُنْفِرَةُ بْنُ شُعْبَةَ وَهُوَ مِنَ الصَّحَابَةِ ، اذْعَى عَلَيْهِ الزَّنا ، وَشَهِدَ عَلَيْهِ قَوْمٌ بِذَلِكَ ،
فَلَمْ يُنْكِرْ ذَلِكَ عَمْرٌ ، وَلَا قَالَ : هَذَا مُحَالٌ وَبَاطِلٌ لِأَنَّ هَذَا صَحَابِيٌّ مِنْ صَحَابَةِ رَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَا يَجُوزُ عَلَيْهِ الزَّنا . وَهَلَّا أَنْكَرَ عَمْرٌ عَلَى الشُّهُودِ وَقَالَ لَهُمْ : وَيَحْكُمُ
هَلَّا تَغَافَلْتُمْ عَنْهُ لَمَّا رَأَيْتُمُوهُ يَفْعَلُ ذَلِكَ ، فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى قَدْ أَوْجَبَ الْإِمْسَاكَ عَنْ مَسَاوِي
أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَأَوْجَبَ السِّرَّ عَلَيْهِمْ ! وَهَلَّا تَرَكَتُمُوهُ لِرَسُولِ
اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ فِي قَوْلِهِ : « دَعُوا إِلَى أَصْحَابِي » ، مَا رَأَيْنَا عَمْرًا إِلا قَدْ ائْتَصَبَ لِسَمَاعِ الدَّعْوَى ،
وَإِقَامَةِ الشَّهَادَةِ ، وَأَقْبَلَ يَقُولُ لِلْمُنْفِرَةِ : يَا مُنْفِرَةُ ، ذَهَبَ رُبُّكَ ، يَا مُنْفِرَةُ ، ذَهَبَ نَصْفُكَ ،
يَا مُنْفِرَةُ ، ذَهَبَ ثَلَاثَةُ أَرْبَاعِكَ ، حَتَّى اضْطَرَبَ الرَّابِعُ ، فَجُلِدَ الثَّلَاثَةُ . وَهَلَّا قَالَ الْمُنْفِرَةُ لِعَمْرٍ :
كَيْفَ تَسْمَعُ فِي قَوْلِ هَؤُلَاءِ ، وَلَيْسُوا مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَأَنَا مِنَ الصَّحَابَةِ ، وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ قَدْ قَالَ : « أَصْحَابِي كَالْتَّجُومِ ، بَأْيَتُهُمْ اقْتَدَيْتُمْ اهْتَدَيْتُمْ ! » مَا رَأَيْنَاهُ قَالَ ذَلِكَ ، بَلْ
اسْتَسْلَمَ لِحُكْمِ اللَّهِ تَعَالَى . وَهَاهُنَا مَنْ هُوَ أَمْثَلُ مِنَ الْمُنْفِرَةِ وَأَفْضَلُ ، قَدَامَةُ بْنُ مَطْعُونٍ ،
لَمَّا شَرِبَ الْخَمْرَ فِي أَيَّامِ عُمَرَ ، فَأَقَامَ عَلَيْهِ الْحَدَّ ، وَهُوَ رَجُلٌ مِنْ عِلْيَةِ الصَّحَابَةِ وَمِنْ
أَهْلِ بَدْرٍ ، وَالشُّهُودُ لَهُمْ بِالْجَنَّةِ ، فَلَمْ يَرُدَّ عَمْرُ الشَّهَادَةَ ، وَلَا دَرَأَ عَنْهُ الْحَدَّ لَعَلَّهُ أَنَّهُ
بَدْرِيٌّ ، وَلَا قَالَ : قَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ عَنْ ذِكْرِ مَسَاوِي الصَّحَابَةِ .
وَقَدْ ضَرَبَ عَمْرٌ أَيْضًا ابْنَتَهُ حَدًّا فَهَاتِ ، وَكَانَ مِّنْ عَاَصِرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلَمْ
تَمْنَعْهُ مَعَاصِرَتُهُ لَهُ مِنْ إِقَامَةِ الْحَدِّ عَلَيْهِ .

وهذا على عليه السلام يقول : ما حدثني أحدٌ بحديثٍ عن رسول الله صلى الله عليه

وآله إلا استخلفته عليه ؛ أليس هذا اتِّهاماً لهم بالكذب ! وما استثنى أحداً من المسلمين إلا أبا بكر على ما ورد في الخبر ، وقد صرح غير مرة بتكذيب أبي هريرة ، وقال : لا أحد أ كذب من هذا الدَّوسى على رسول الله صلى الله عليه وآله . وقال أبو بكر في مرضه الذي مات فيه : وَدَدْتُ أَنِّي لَمْ أَكْشِفْ بَيْتَ فَاطِمَةَ وَلَوْ كَانَ أَغْلِقَ عَلَى حَرْبٍ فَنَدَمَ ، وَالنَّدَمُ لَا يَكُونُ إِلَّا عَن ذَنْبٍ .

ثم ينبغي للعاقل أن يفكر في تأخر علي عليه السلام عن بيعة أبي بكر ستة أشهر إلى أن ماتت فاطمة ، فإن كان مصيباً فأبو بكر على الخطأ في انتصابه في الخلافة ، وإن كان أبو بكر مصيباً فعلى علي الخطأ في تأخره عن البيعة وحضور المسجد ؛ ثم قال أبو بكر في مرض موته أيضاً للصحابة : فَلَمَّا اسْتَخْلَفْتُ عَلَيْكُمْ خَيْرَ كُمْ فِي نَفْسِي - يَعْنِي عُمرَ - فَكُلُّكُمْ وَرِمَ لَذَلِكَ أَنْفُهُ ، يريد أن يكون الأمر له ، لما رأيت الدنيا قد جاءت ، أما والله لتتخذن ستائر الديباج ونضائد الحرير^(١) ؛ أليس هذا طعناً في الصحابة ، وتصريحاً بأنه قد نسبهم إلى الحسد لعمر ، لما نص عليه بالعهد ! ولقد قال له طاحه لما ذكر عمر للأمر : ماذا تقول لربك إذا سألك عن عبادي ، وقد وليت عليهم فظاً غليظاً ! فقال أبو بكر : أجلسوني أجلسوني ، بالله تخوفني ! إذا سألتني قلت : وليت عليهم خيراً أهلك ؛ ثم شتمه بكلام كثير منقول ؛ فهل قول طلحة إلا طعن في عمر ، وهل قول أبي بكر إلا طعن في طلحة !

ثم الذي كان بين أبي بن كعب وعبد الله بن مسعود من السباب حتى نفى كل واحد منهما الآخر عن أبيه ، وكلمة أبي بن كعب مشهورة منقولة : ما زالت هذه الأمة مكبوبة على وجهها منذ فقدوا نبيهم ، وقوله : ألا هلك أهل العقيدة ، والله ما آسى عليهم إنما آسى على من يضلون من الناس .

ثم قولُ عبد الرحمن بن عوف : ما كنت أرى أن أعيش حتى يقول لي عثمان :
يا منافق ؛ وقوله : لو استقبلتُ من أمرى ما استدبرتُ ما وليت عثمان شِئْعَ نعلِي^(١) ؛
وقوله : اللهم إن عثمان قد أبى أن يقيم كتابك فافعلْ به وافعل .

وقال عثمانُ لعلِّي عليه السلام في كلامٍ دارَ بينهما : أبو بكر وعمرُ خيرٌ
منك ؛ فقال عليٌّ : كذبت ، أنا خيرٌ منك ومنهما ، عبدتُ الله قبلهما ،
وعبدته بعدهما .

وروى سُفيانُ بن عُيينة عن عمرو بن دينار ، قال : كنت عند عروة بن الزبير ،
فذاكرناكم أقام النبيُّ بمكة بعد الوحى ؟ فقال عروة : أقام عشرة ، فقلت : كان ابنُ
عبّاس يقول : ثلاث عشرة ، فقال : كذب ابنُ عبّاس . وقال ابنُ عبّاس : المتعة^(٢)
حلال ؛ فقال له جُبَيْر بن مُطيم : كان عمرُ ينهى عنها ، فقال يا عُدَيَّ نفسي ، مِنْ هاهنا
ضلّتم ، أحدثكم عن رسول الله صلى الله عليه وآله ، وتحذّثني عن عمر !

وجاء في الخبر عن عليٍّ عليه السلام ، لولا ما فعل عمرُ بنُ الخطّاب في المتعة
ما زَنَيْتُ إِلَّا شَقِيًّا ؛ وقيل : ما زَنَيْتُ إِلَّا شَفَا ، أى قليلا .

فأمّا سبَّ بعضهم بعضا وقدّح بعضهم في بعض في المسائل الفقهيّة فأكثرُ من أن
يُحصَى ، مثلُ قول ابن عبّاس وهو يردّ على زيد مذهبه القول في الفرائض : إن شاء - أو
قال : من شاء - باهله^(٣) إن الذي أحصى رَمْلَ عالج^(٤) عدداً أعدل من أن يجعل في
مالٍ نصفاً ونصفاً وثلاثاً ، هذان النصفان قد ذهبا بالمال ، فأين موضعُ الثلث !

(١) الشئع : قبالة النعل .

(٢) نكاح المتعة ؛ هو أن يتزوج الرجل المرأة يستمتع بها أياماً ثم يتركها .

(٣) باهل القوم بعضهم بعضاً وإبتهلوا : تلاعنوا .

(٤) عالج : موضع به رمل ، معروف .

ومثل قول أبي بن كعب في القرآن : لقد قرأت القرآن وزيد هذا غلام ذو ذؤابتين يلعب بين صبيان اليهود في المكتب .

وقال علي عليه السلام في أمهات الأولاد وهو على المنبر: كان رأيي ورأي عمر ألا يُمنَّ ، وأنا أرى الآن بيمينٍ ، فقام إليه عبدة السَّلماني ، فقال : رأيك في الجماعة^(١) أحبُّ إلينا من رأيك في الفرقة .

وكان أبو بكر يري التسوية في قسَمِ الغنائم ، وخالفه عمر وأنكر فعله .
وأنكرت عائشة على أبي سلمة بن عبد الرحمن خلافه على ابن عباس في عِدَّة المتوفى عنها زوجها وهي حامل ؛ وقالت : فرَّوْج يصقع^(٢) مع الديكة .
وأنكرت الصحابة على ابن عباس قوله في الصَّرف ، وسفهوا رأيه حتى قيل : إنه تاب من ذلك عند موته .

واختلفوا في حدِّ شارب الخمر حتى خطأ بعضهم بعضا .

وروى بعض الصحابة عن النبي صلى الله عليه وآله أنه قال : الشُّوم في ثلاثة : المرأة والدَّار ، والفرَس ، فأنكرت عائشة ذلك ، وكذَّبت الراوى وقالت : إنه إنما قال عليه السلام ذلك حكايةً عن غيره

وروى بعض الصحابة عنه عليه السلام أنه قال : التاجرُ فاجرٌ ، فأنكرت عائشة ذلك ، وكذَّبت الراوى وقالت : إنما قاله عليه السلام في تاجر دلس .

وأنكر قومٌ من الأنصار روايةَ أبي بكر : « الأئمة من قريش » ، ونسبوه إلى افتعال هذه الكلمة .

(٢) صقع الديك صقعا : صاح .

(١) ب : « الجماعة » .

وكان أبو بكر يقضى بالقضاء فينقضه عليه أصاغِرُ الصحابة كِبِلال
وضُهِيب ونحوهما . قد رُوِيَ ذلك في عِدَّة قضايا .

وقيل لأبن عباس : إنَّ عبدَ الله بن الزبير يزعم أنَّ موسى صاحبَ الخضر ليس موسى
بنى إسرائيل ؛ فقال : كَذَبَ عدوُّ الله ! أخبرني أبي بن كعب ، قال : خطبنا رسولُ الله
صلى الله عليه وآله وذَكَرَ كذا ؛ بكلامٍ يدلُّ على أنَّ موسى صاحبَ الخضر هو موسى
بنى إسرائيل .

وباع معاويةُ أوانيَ ذهبٍ وفِضةٍ بأكثرَ من وزنها ، فقال له أبو الدرداء : سمعتُ
رسولَ الله صلى الله عليه وآله ينهى عن ذلك ، فقال معاوية : أمّا أنا فلا أرى به بأساً ؛
فقال أبو الدرداء : مَنْ عَذِيرِي من معاوية ! أخبره عن الرسول صلى الله عليه وسلم ،
وهو يُخبرني عن رأيهِ ! والله لا أساكنُك بأرضٍ أبداً .

وطعن ابنُ عباس في أبي هريرة ، عن رسول الله صلى الله عليه وآله :
« إذا استيقظ أحدُكم من نومه فلا يُدخلنَّ يده في الإناء حتَّى يتوضأ » ، وقال : فما
نصنع بالمِهْرَاسِ ^(١) !

وقال علىّ عليه السلام لعمرو وقد أفناه الصحابة في مسألة وأجمعوا عليها : إن كانوا
راقبوك فقد غشوك ، وإن كان هذا جهدُ رأيهم فقد أخطأوا .

وقال ابن عباس : ألا يتقى الله زيدُ بنُ ثابت ، يجعل ابن الابن أباً ، ولا يجعل
أب الأب أباً !

وقالت عائشة : أخبروا زيدَ بنَ أرقم أنه قد أحبط جهاده مع رسول الله صلى
الله عليه وسلم .

(١) المهراس : إناء مستطيل منقور يتضأ فيه .

وأنكرت الصحابة على أبي موسى قوله : إن النوم لا ينقض الوضوء ، ونسبته إلى الغفلة وقلة التحصيل ، وكذلك أنكرت على أبي طلحة الأنصاري قوله : إن أكل البرد لا يفطر الصائم ، وهزئت به ونسبته إلى الجهل :

وسمع عمرُ عبدَ الله بنَ مسعود وأبى بن كعب يختلفان في صلاة الرجل في الثوب الواحد ، فصعد المنبر وقال : إذا اختلف اثنان من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن أئى فتياكم يصدر المسلمون ! لا أسمع رجلين يختلفان بعد مقامي هذا إلا فعلتُ وصنعتُ .

وقال جرير بن كليب : رأيتُ عمرَ ينهى عن المتعة ، وعلى عليه السلام يأمرُ بها ، فقلت : إنَّ بينكما لشرًا ، فقال على عليه السلام : ليس بيننا إلاَّ الخير ، ولكن خيرُنا أتبعُنا لهذا الدين .

قال هذا المتكلم : وكيف يصحُّ أن يقول رسولُ الله صلى الله عليه وسلم : « أصحابي كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » ؛ لا شبهة أن هذا يُوجب أن يكون أهلُ الشام في صفين على هُدًى ، وأن يكون أهلُ العراق أيضا على هُدًى ؛ وأن يكون قاتل عمار بن ياسر مهتديا ؛ وقد صحَّ الخبرُ الصحيحُ أنه قال له : « تقتلك الفئة الباغية » ، وقال في القرآن : ﴿ فَقَاتِلُوا الَّذِينَ تَبَغُّوْا حَتَّى تَتَّقُوا إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾ ؛ فدلَّ على أنَّها ما دامت موصوفة بالمقام على البغى ، مُفارقة لأمر الله ، ومن يفارق أمر الله لا يكون مهتديا .

وكان يجب أن يكون بُسرُ بن أبي أرطاة الذي ذبح ولدى عُبيد الله بن عباس الصغيرين مهتديا ، لأنَّ بُسرًا من الصحابة أيضا ، وكان يجب أن يكون عمرو بن العاص ومعاوية اللذان كانا يلعبان عليًا أدبار الصلاة ولديه مهتدين ؛ وقد كان في الصحابة من يزني ومن يشرب الخمر كأبي مخجنج الثقفي ، ومن يرتد عن الإسلام كطليحة ابن خويلد ، فيجب أن يكون كلٌّ من اقتدى بهؤلاء في أفعالهم مهتديا .

قال : وإِنَّمَا هَذَا مِنْ مَوْضَاعَاتٍ مُتَعَصِّبَةِ الْأُمُويَّةِ ، فَإِنْ لَمْ مَنْ يَنْصَرِّمْ بِلِسَانِهِ ، وَبَوَضَّعِهِ الْأَحَادِيثَ إِذَا عَجَزَ عَنْ نَصَرِّمِهِ بِالسَّيْفِ .

وكذا القولُ في الحديث الآخر ، وهو قوله : « القرن الذي أنا فيه » ، ومما يدلُّ على بطلانه أنَّ القرن الذي جاء بعده بخمسين سنةً شرُّ قرون الدُّنيا ، وهو أحدُ القُرُونِ الَّتِي ذَكَرَهَا فِي النَّصِّ ، وكان ذلك القرن هو القرن الذي قُتِلَ فِيهِ الْحُسَيْنُ ، وَأُوقِعَ بِالْمَدِينَةِ ، وَحُوصِرَتْ مَكَّةُ ، وَنُقِضَتِ الْكَعْبَةُ ، وَشَرِبَتْ خَلْفَاؤُهُ وَالْقَائِمُونَ مَقَامَهُ وَالْمُنْتَصِبُونَ فِي مَنْصِبِ النَّبَوَّةِ الْخُمُورُ ، وَارْتَكَبُوا الْفُجُورَ ، كما جرى ليزيدَ بن معاوية ويزيد بن عاتكة ولوليد بن يزيد ، وأُرِيقَتِ الدِّمَاءُ الْحَرَامُ ، وَقُتِلَ الْمُسْلِمُونَ ، وَسُبِيَ الْحَرِيمُ ، وَاسْتُعْبِدَ أَبْنَاءُ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ ، وَنُقِشَ عَلَى أَيْدِيهِمْ كَمَا يُنْقَشُ عَلَى أَيْدِي الرُّومِ ، وَذَلِكَ فِي خِلَافَةِ عَبْدِ الْمَلِكِ وَإِمْرَةِ الْحَجَّاجِ . وَإِذَا تَأَمَّلْتَ كُتُبَ التَّوَارِيخِ وَجَدْتَ الْخَمْسِينَ الثَّانِيَةَ شَرًّا كُلَّهَا لَا خَيْرَ فِيهَا ، وَلَا فِي رُؤُسَائِهَا وَأُمَرَائِهَا ، وَالنَّاسُ بِرُؤُسَائِهِمْ وَأُمَرَائِهِمْ ، وَالْقُرُونُ خَمْسُونَ سَنَةً ، فَكَيْفَ يَصِحُّ هَذَا الْخَبَرُ .

قال : فَأَمَّا مَا وَرَدَ فِي الْقُرْآنِ مِنْ قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ ^(١) . وَقَوْلِهِ : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ ﴾ ^(٢) .

وقول النبي صلى الله عليه وآله : إِنَّ اللَّهَ أَطَّلَعَ عَلَى أَهْلِ بَدْرٍ ؛ إِنْ كَانَ الْخَبَرُ صَحِيحًا فَكُلُّهُ مُشْرُوطٌ بِسَلَامَةِ الْعَاقِبَةِ ، وَلَا يَحْجُوزُ أَنْ يَخْبَرَ الْحَكِيمُ مَكْلَفًا غَيْرَ مَعْصُومٍ بِأَنَّهُ لِعَقَابِ عَلَيْهِ ، فَلْيَفْعَلْ مَا شَاءَ .

قال هذا المتكلم : وَمَنْ أَنْصَفَ وَتَأَمَّلَ أَحْوَالَ الصَّحَابَةِ وَجَدَهُمْ مِثْلَنَا ، يَحْجُوزُ عَلَيْهِمْ مَا يَحْجُوزُ عَلَيْنَا ، وَلَا فَرْقَ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ إِلَّا بِالصَّحْبَةِ لَا غَيْرَ ، فَإِنَّ لَهَا مَنَزَلَةً وَشَرَفًا ،

ولكن لا إلى حدٍّ يمتنع على كلِّ من رأى الرسولَ أو صحبه يوماً أو شهراً أو أكثر من ذلك أن يخطئ ويَزِلَّ ، ولو كان هذا صحيحاً ما احتاجت مائشةٌ إلى نزول براءتها من السماء ، بل كان رسولُ الله صلى الله عليه وآله من أول يومٍ يعلم كذب أهل الإفك ، لأنها زوجته ، وصحبته اله آكدُ من صُحبة غيرها . وصفوان بن المفضل أيضاً كان من الصحابة ، فكان ينبغى ألا يضيق صدرُ رسولِ الله صلى الله عليه وآله ، ولا يحل ذلك لهم والنعم الشديدون الذين حملهم ما يقول : صفوان من الصحابة ، وعائشة من الصحابة ، والمعصية عليهما ممتنعة .

وأمثالُ هذا كثير ، وأكثر من الكثير ؛ لمن أراد أن يستقرئ أحوال القوم ، وقد كان التابعون يسلِّكون بالصحابة هذا المسلك ، ويقولون في العصاة منهم مثل هذا القول ، وإنما اتخذهم العامة أرباباً بعد ذلك .

قال : ومن الذي يجترئ على القول بأن أصحاب محمد لا تجوز البراءة من أحدهم منهم وإن أساء وعصى بعد قول الله تعالى للذي شرَّفوا برؤيته : ﴿ لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكوننَّ من الخاسرين ﴾ ^(١) بعد قوله : ﴿ قل أتى أخاف إن عصيت ربي عذاب يوم عظيم ﴾ ^(٢) وبعد قوله : ﴿ فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى فيضلك عن سبيل الله إن الذين يضلُّون عن سبيل الله لهم عذاب شديد ﴾ ^(٣) ، إلا من لا فهم له ولا نظر معه ، ولا تمييز عنده .

قال : ومن أحب أن ينظر إلى اختلاف الصحابة ، وطعن بعضهم في بعض وردَّ بعضهم على بعض ، وما ردَّ به التابعون عليهم واعترضوا به أقوالهم ، واختلاف التابعين أيضاً فيما بينهم ، وقدح بعضهم في بعض ، فلينظر في كتاب النِّظام ، قال الجاحظ : كان النظام

أشدّ الناس إنكاراً على الرافضة ، لطمعهم على الصحابة ، حتى إذا ذكر الفتيا وتنقل الصحابة فيها ، وقضايهم بالأمور المختلفة ، وقول من استعمل الرأي في دين الله ، انتظم مطاعن الرافضة وغيرها ، وزاد عليها ؛ وقال في الصحابة أضعاف قولها .

قال : وقال بعض رؤساء المعتزلة : غلطُ أبي حنيفة في الأحكام عظيم ، لأنه أضل خلقاً وغلطُ حماد^(١) أعظم من غلط أبي حنيفة ، لأن حمادا أصلُ أبي حنيفة الذي منه تفرّع ، وغلط إبراهيم أغلظ وأعظم من غلط حماد ، لأنه أصلُ حماد وغلط علقمة^(٢) والأسود^(٣) أعظم من غلط إبراهيم لأنهما أصله الذي عليه اعتمد ، وغلط ابن مسعود أعظم من غلط هؤلاء جميعا ، لأنه أول من بدر إلى وضع الأديان برأيه ، وهو الذي قال : أقول فيها برأى ، فإن يكن صواباً فمن الله ، وإن يكن خطأ فتنى .

قال : واستأذن أصحاب الحديث على ثمامة^(٤) بخراسان حيث كان مع الرشيد بن المهدي ، فسأله كتابه الذي صنّفه على أبي حنيفة في اجتهد الرأي ، فقال : لست على أبي حنيفة كتبت ذلك الكتاب ، وإنما كتبت على علقمة والأسود وعبد الله بن مسعود لأنهم الذين قالوا بالرأى قبل أبي حنيفة .

قال : وكان بعض المعتزلة أيضاً إذا ذكر ابن عباس استصغره وقال : صاحبُ الذوابة يقول في دين الله برأيه .

وذكر الجاحظ في كتابه المعروف « بكتاب التوحيد » أن أبا هريرة ليس بثقة في الرواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله ؛ قال : ولم يكن على ثعلبة السلام يوثقه في الرواية ، بل يتهمه ، ويقده فيه ، وكذلك عمر وعائشة .

(٢) علقمة بن قيس
(٤) ثمامة بن أشرس

(١) حماد هو حماد بن أبي سليمان .
(٣) الأسود بن يزيد

وكان الجاحظ يفسق عمر بن عبد العزيز ويستهزئ به ويكفره ، وعمر بن العزيز وإن لم يكن من الصحابة فأكثر العامة يرى له من الفضل ما يراه لواحد من الصحابة .

وكيف يجوز أن نحكم حكماً جزئياً أن كل واحد من الصحابة عدل ، ومن جملة الصحابة الحكم بن أبي العاص ! وكفاك به عدواً مبغضاً لرسول الله صلى الله عليه وآله ! ومن الصحابة الوليد بن عُقبة الفاسق بنص الكتاب ، ومنهم حبيب بن مسامة الذي فعل ما فعل بالمسلمين في دولة معاوية ، وبسر بن أبي أرطاة عدو الله وعدو رسوله ، وفي الصحابة كثير من المنافقين لا يعرفهم الناس . وقال كثير من المسلمين : مات رسول الله صلى الله عليه وآله ولم يعرفه الله سبحانه كل المنافقين بأعيانهم ، وإنما كان يعرف قوما منهم ، ولم يعلم بهم أحداً إلا حذيفة فيما زعموا ، فكيف يجوز أن نحكم حكماً جزئياً أن كل واحد ممن صحب رسول الله أو رآه أو عاصره عدل مأمون ، لا يقع منه خطأ ولا معصية ، ومن الذي يمكنه أن يتحجر واسعا كهذا التحجر ، أو يحكم هذا الحكم !

قال والعجب من الحشوية وأصحاب الحديث إذ يجادلون على معاصي الأنبياء ، ويثبتون أنهم عصوا الله تعالى ، وينكرون على من ينكر ذلك ، ويطعنون فيه ، ويقولون : قدرى معتزلى ، وربما قالوا : ملحد مخالف لنص الكتاب ؛ وقد رأينا منهم الواحد والمائة والألف يجادل في هذا الباب ، فتارة يقولون : إن يوسف قعد من امرأة العزيز مقعد الرجل من المرأة ، وتارة يقولون : إن داود قتل أوريا لينكح امرأته ، وتارة يقولون : إن رسول الله كان كافراً ضالاً قبل النبوة ، وربما ذكروا زينب بنت جحش وقصة الفداء يوم بدر .

فأما قدحهم في آدم عليه السلام ، وإثباتهم معصيته ومناظرتهم من يذكر ذلك

فهو دأبهم ودَيْدَنُهُمْ ، فإذا تكلم واحد في عمرو بن العاص أو في معاوية وأمثالهما ونسبهم إلى المعصية وفعل القبيح ، احمرت وجوههم ، وطالت أعناقهم ، وتنازرت أعينهم ، وقالوا : مبتدع رافضى ، يسب الصحابة ، ويشتم السلف ، فإن قالوا : إنما اتبعنا في ذكر معاصي الأنبياء نصوص الكتاب ؛ قيل لهم : فاتبعوا في البراءة من جميع العصاة نصوص الكتاب ، فإنه تعالى قال : ﴿ لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ ﴾ ^(١) ، وقال : ﴿ فَإِنْ بَغَتْ إِحْدَاهُمَا عَلَى الْأُخْرَى فَقَاتِلَا الَّتِي تَبْغِي حَتَّى تَفِيءَ إِلَى أَمْرِ اللَّهِ ﴾ ^(٢) ، وقال : ﴿ أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ ﴾ ^(٣) .

ثم يسألون عن بيعة على عليه السلام ، هل هي صحيحة لازمة لكل الناس ؟ فلا بد من « بلى » ، فيقال لهم : فإذا خرج على الإمام الحق خارج أليس يجب على المسلمين قتاله حتى يعود إلى الطاعة ؟ فهل يكون هذا القتال إلا البراءة التي نذكرها لأنه لا فرق بين الأمرين ، وإنما برئنا منهم لأننا لسنا في زمانهم ، فيمكننا أن نقاتل بأيدينا ، فقصارى أمرنا الآن أن نبرأ منهم ونلغئهم ، وليكون ذلك عوضاً عن القتال الذي لا سبيل لنا إليه .

قال هذا المتكلم : على أن النظام وأصحابه ذهبوا إلى أنه لا حجة في الإجماع ، وأنه يجوز أن تجتمع الأمة على الخطأ والمعصية ، وعلى الفسق ، بل على الردة ، وله كتاب موضوع في الإجماع يطعن فيه في أدلة الفقهاء ، ويقول : إنها ألفاظ غير صريحة في كون الإجماع حجة ، نحو قوله : ﴿ جعلناكم أمة وسطا ﴾ ^(٤) وقوله : ﴿ كنتم خير أمة ﴾ ^(٥) وقوله : ﴿ ويتبع غير سبيل المؤمنين ﴾ ^(٦) .

(٢) سورة المجرات ٩

(٤) سورة البقرة ١٤٣

(٦) سورة النساء ١١٥

(١) سورة المجادلة ٥

(٣) سورة النساء ٥٩ .

(٥) سورة آل عمران ١١٠ .

وأما الخبر الذى صورته : « لا تجتمع أمتى على الخطأ » فخيرٌ واحد ، وأمثلة دليل للفقهاء قولهم : إنَّ الهمم المختلفة ، والآراء المتباينة ، إذا كان أربابها كثيرة عظيمة ، فإنه يستحيل اجتماعهم على الخطأ ، وهذا باطل باليهود والنصارى وغيرهم من فرق الضلال . هذه خلاصة ما كان النقيب أبو جعفر علقه بخطه من الجزء الذى أقرأناه .

ونحن نقول : أمّا إجماع المسلمين فحجة ، ولسنا نرتضى ما ذكره عنا من أنه أمثل دليل لنا أنَّ الهمم المختلفة ، والآراء المتباينة ، يستحيل أن تتفق على غير الصواب ؛ ومن نظر فى كتبنا الأصولية علم وثاقة أدلتنا على صحة الإجماع وكونه صوابا ، وحجة تحريم مخالفته ، وقد تكلمت فى اعتبار الذريعة للترضى على ما طعن به المرتضى فى أدلة الإجماع .

وأما ما ذكره من الهجوم على دار فاطمة وجمع الحطب لتحريقها فهو خبرٌ واحد غير موثوق به ، ولا معول عليه فى حق الصحابة ، بل ولا فى حق أحد من المسلمين ممن ظهرت عدالته .

وأما عائشة والزبير وطلحة فذهبنا أنهم أخطئوا ثم تابوا ، وأنهم من أهل الجنة ، وأن عليا عليه السلام شهد لهم بالجنة بعد حرب الجمل .

وأما طعن الصحابة بعضهم فى بعض ، فإن الخلاف الذى كان بينهم فى مسائل الاجتهاد لا يوجب إنما ، لأن كل مجتهد مُصيب ، وهذا أمرٌ مذكور فى كتب أصول الفقه وما كان من الخلاف خارجا عن ذلك فالكثير من الأخبار الواردة فيه غير موثوق بها وما جاء من جهة صحيحة نظر فيه ورجح جانب أحد الصحابيين على قدر منزلته فى الإسلام كما يروى عن عمر وأبي هريرة .

فأما علىّ عليه السلام فإنه عندنا بمنزلة الرسول صلى الله عليه وآله في تصويب قوله ،
والاحتجاج بفعله ، ووجوب طاعته ؛ ومتى صحّ عنه أنه قد برى من أحد من الناس
برئنا منه كائناً من كان ، ولكن الشأن في تصحيح ما يروى عنه عليه السلام فقد أكثر
الكذب عليه ، وولدت العصبية أحاديث لا أصل لها .

فأما براءته عليه السلام من الفجرة وعمرو بن العاص ومعاوية ، فهو عندنا معلوم
جارٍ مجرى الأخبار المتواترة ، فلذلك لا يتولاهم أصحابنا ، ولا يُثَنُّون عليهم ، وهم عند
المعتزلة في مقام غير محمود ، وحاش لله أن يكون عليه السلام ذكراً من سلف من شيوخ
المهاجرين إلا بالجميل والذكر الحسن بموجب ما تقتضيه رئاسته في الدين ، وإخلاصه
في طاعة رب العالمين ، ومن أحبّ تتبّع ما روى عنه مما يؤهم في الظاهر خلاف ذلك
فليراجع هذا الكتاب ، أعنى شرح نهج البلاغة ، فإننا لم نترك موضعاً يؤهم خلاف
مذهبنا إلا وأوضحناه وفسرناه على وجه يوافق الحق ، وبالله التوفيق .

[عمار بن ياسر وطرف من أخباره]

فأما عمار بن ياسر رحمه الله ، فنحن نذكر نسبه وطرفاً من حاله مما ذكره ابن
عبد البر في كتاب الاستيعاب ^(١) ، قال أبو عمر بن عبد البر رحمه الله .

هو عمار بن ياسر بن عامر بن مالك بن كنانة بن قيس بن حصين بن لؤذ بن
ثعلبة بن عوف بن حارثة بن عامر بن نام بن عنس - بالنون - بن مالك بن أدد العنسي
المذحجي ، يكنى أبا اليقظان ، حليف لبني مخزوم ، كذا قال ابن شهاب وغيره .

وقال موسى بن عقبة : وممن شهد بذرا عمار بن ياسر حليفٌ لبني مخزوم بن يقظة .

وقال الواقدي وطائفة من أهل العلم : إن ياسراً والد عمار بن ياسر عربي قحطاني من عَنَس ، من مذحج ، إلا أن ابنه عماراً مولى لبني مخزوم ، لأن أباه ياسراً تزوج أمةً لبعض بني مخزوم فأولدها عماراً ، وذلك أن ياسراً قدم مكة مع أخوين له يقال لهما : الحارث ومالك في طلب أخٍ لهم رابع ، فرجع الحارث ومالك إلى اليمن ، وأقام ياسرٌ بمكة ، فخالف أبا حذيفة بن المغيرة بن عبد الله بن عمر بن مخزوم ، فزوجه أبو حذيفة أمةً له يقال لها سُمَيَّة بنت خياط ، فولدت له عماراً فأعتقه أبو حذيفة ، فصار ولأوه لبني مخزوم ، وللحلف والولاء الذي بين بني مخزوم وعمار بن ياسر كان أجمع بني مخزوم إلى عثمان حين نال من عمار غلمانُ عثمان ما نالوا من الضرب ، حتى انفتق له فتق في بطنه وكسروا ضلعاً من أضلاعه ، فاجتمعت بنو مخزوم ؛ وقالوا : والله لئن مات لا قتلنا به أحداً غير عثمان .

قال أبو عمر : وأسلم عمار وعبد الله أخوه وياسر أبوها وسمية أمهما ، وكان إسلامهم قديماً في أول الإسلام فمدَّبوا في الله غذاً با عظيماً ، وكان رسول الله صلى الله عليه وآله يكثرُ بهم وهم يعدَّبون فيقول : « صبراً يا آل ياسر ، فإن موعدكم الجنة » ، ويقول لهم أيضاً : « صَبِّرا يا آل ياسر ، اللهم اغفرْ لآل ياسر ، وقد فعلت » ^(٢) .

قال أبو عمر : ولم يزل عمار مع أبي حذيفة بن المغيرة حتى مات وجاء الله بالإسلام .

فأمَّا سُمَيَّة فقتلها أبو جهل ، طعنها بجريرة في قبلها فماتت ، وكانت من الخيرات

الفاضلات وهى أول شهيدة في الإسلام، وقد كانت قريش أخذت ياسراً وُسْمِيَّةً وأبْنَيْهِمَا؛ وبلاّلا وخبّاباً وصُهَيْباً فألبسهم أدراع الحديد، وصهروهم في الشمس حتى بلغ الجهد منهم كلّ مَبْلَغٍ، فأعطوهم ماسألوا من الكفر، وسبّ النبيّ صلى الله عليه وآله، ثم جاء إلى كلّ واحد منهم قومه بأنطاع الأدم فيها الماء فألقوهم فيها، ثمّ حَمَلُوا بجوانبها، فلمّا كان العشيّ جاء أبو جهل فجعل يشتمُ سُمَيَّةَ ويرفث، ثمّ وجّأها بحرّبة في قُبْلِهَا فقتلها؛ فهى أولُ من استشهد في الإسلام، فقال عمار للنبيّ صلى الله عليه وآله: يا رسول الله بلغ العذاب من أمّي كلّ مَبْلَغٍ، فقال: « صَبْرًا يَا أَبَا الْيَقْظَانِ، اللَّهُمَّ لَا تُعَذِّبْ أَحَدًا مِنْ آلِ يَاسِرٍ بِالنَّارِ »، قال أبو عمر: وفيهم أنزل: ﴿ إِلَّا مَنْ أَكْرِهَ وَقُلُّهُ مَطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ ﴾ (١).

قال: وهاجر عمار إلى أرض الحبشة وصلى القِبْلَتَيْنِ، وشهد بدرا والمشاهد كلّها وأبلى بلاءً حسناً، ثم شهد اليمامة، فأبلى فيها أيضاً، ويومئذٍ قُطِعَتْ أذنه.

قال: وذَكَرَ الواقديّ عن عبد الله بن نافع، عن أبيه، عن عبد الله بن عمر، قال: رأيتُ عمارَ بنَ ياسر يومَ اليمامة على صَخْرَةٍ وقد أَشْرَفَ بِصِيحٍ: يامعشرَ المسلمين، أَمِنْ الْجَنَّةِ تَفْرَهُونَ؟ أنا عمار بنُ ياسر، هَلُمُّوا إِلَيَّ، وأنا أنظر إلى أذنه قد قطعت، فهى تَذُبْذِبُ وهو يقاتل أشدَّ القتال.

قال أبو عمر: وكان عمار طويلاً أشهلاً، بعيدَ ما بين المنكبين، قال: وقد قيل في صفة: كان آدمَ طَوَالاً مضطرباً، أشهلاً العينين، بعيد ما بين المنكبين، رجلاً لا يغيّرُ شَيْبَةً.

قال : وكان عمار يقول : أنا ترَبُّ^(١) رسول الله صلى الله عليه وآله ، لم يكن أحدٌ أقرب إليه سِناً مِنِّي .

قال : وقُتِلَ عمار وهو ابنُ ثلاثٍ وتسعين سنةً ، والخبرُ المرفوعُ مشهورٌ في حَقِّه : « تقتلُ الفئةُ الباغيةُ » ، وهو من دلائل نبوة رسول الله صلى الله عليه وآله ، لأنه إخبارٌ عن غيب .

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله في عمار : « مُلِيَءٌ إيماناً إلى مُشاشِهِ^(٢) » ، ويُروى : « إلى أخص قَدَمَيْهِ » .

وفضائلُ عمار كثيرة ، وقد تقدم القولُ في ذِكرِ عمار وأخباره ، وما ورد في حَقِّه .

(١) ترَبُّ الإنسان : من ولد معه في العام الذي ولد فيه

(٢) المشاشة : الأصل .

الأُضْلُ :

وقالَ عليه السلامُ :

مَا أَحْسَنَ تَوَاضَعِ الْأَغْنِيَاءِ لِلْفُقَرَاءِ طَلَبًا لِيَا عِنْدَ اللَّهِ ، وَأَحْسَنُ مِنْهُ تِيَهُ
الْفُقَرَاءِ عَلَى الْأَغْنِيَاءِ اتِّكَالًا عَلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ .

الشُّنْخُ :

قد تقدّم شرحٌ مثل هذه الكلمة مراراً .

وقال الشاعر :

قَنْعْتُ فَأَعْتَقْتُ نَفْسِي وَلَنْ	أُمْلِكُ ذَا ثَرْوَةٍ رِقَّتْهَا
وَنَزَّهْتُهَا عَنْ سُؤَالِ الرِّجَا	لِوَمْنَةٍ مِنْ لَا يَرَى حَقَّهَا
وَلَمَّا الْقَنَاعَةُ كَنْزُ اللَّيْبِ	إِذَا ارْتَقَتْ فَتَقَتْ رِقَّتْهَا
سَيَبِمْتُ رِزْقُ الشَّفَاهِ الْغِرَاثِ	وَحُصِّ الْبَطُونِ الَّذِي شَقَّهَا ^(١)
فَمَا فَارَقَتْ مُهْجَةً جِسْمَهَا	لِعَمْرُكَ أَوْ وُفِّيَتْ رِزْقَهَا
مَوَاعِيدُ رَبِّكَ مَصْدُوقَةٌ	إِذَا غَيْرُهَا فَقَدَتْ صِدْقَهَا

الأفضل :

قال عليه السلام :

ما استودع الله امرأ عقلاً إلا ليستنقذه به يوماً ما .

الشرح :

لا بد أن يكون للباري تعالى في إيداع العقل قلب زيد مثلاً غرض ، ولا غرض إلا أن يستدل به على مافيه نجاته وخلاصه ، وذلك هو التكليف ، فإن قصر في النظر وجمل وأخطأ الصواب فلا بد أن يُنقذه عقله من ورطة من ورطات الدنيا ، وليس يخلو أحدٌ عن ذلك أصلاً ، لأن كل عاقل لا بد أن يتخلص من مصرة سبيلها أن تُنال بإعمال فكرته وعقله في الخلاص منها ؛ فالحاصل أن العقل إما أن ينقذ الإنقاذ الدني ، وهو الفلاح والنجاح على الحقيقة ، أو يُنقذ من بعض مهالك الدنيا وآفاتهما ، وعلى كل حال فقد صح قول أمير المؤمنين عليه السلام ، وقد رويت هذه الكلمة مرفوعة ، ورُويت : « إلا استنقذه به يوماً ما » .

وعنه صلى الله عليه وآله : « العقل نور في القلب يُفرق به بين الحق والباطل » .

وعن أنس قال : سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الرجل يكون حسن

العقل كثير الذنوب ، فقال : مامس بشر إلا وله ذنوب وخطايا يقتريها ، فمن كانت

سجيته العقل ، وغريزته اليقين ، لم تضره ذنوبه ؛ قيل : كيف ذلك يا رسول الله ؟ قال :

كَلَّمَا أَخْطَأَ لَمْ يَلْبِثْ أَنْ يَتَدَارَكَ ذَلِكَ بِتَوْبَةٍ وَنَدَامَةٍ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْهُ ، فَيَمْحُو ذُنُوبَهُ ،
وَيَبْقَى لَهُ فَضْلٌ يَدْخُلُ بِهِ الْجَنَّةَ .

[نُكَّتَ فِي مَدْحِ الْعَقْلِ وَمَا قِيلَ فِيهِ]

وقد تقدّم من قولنا في العقل وما ذُكِرَ فيه ما فيه كفاية . ونحن نذكر هاهنا شيئاً آخر :

كان يقال : العاقل يُرَوَّى ثم يَرَوَى وَيَخْبُرُ ثم يُخْبِرُ .

وقال عبدُ اللهِ بنُ المعتز : ما أَيْبَنَ وجوهَ الخير والشرِّ في مِرآةِ العقل !

لقمان : يا بنيّ ، شاورْ مَنْ جَرَّبَ الأمورَ فَإِنَّهُ يعطيكَ مِنْ رَأْيِهِ ما قامَ عليه بالفلاء .

وتأخذه أنتَ بالجمان .

أردشير بن بابك : أربعة تحتاج إلى أربعة : الحسب إلى الأدب ، والسرور إلى

الآمن ، والقراءة إلى المودة ، والعقل إلى التجربة .

الإسكندر : لا تحتقر الرأيَ الجزيلَ من الحقير ، فإنّ الدُّرَّةَ لا يُسْتَهانُ بها

لهوانِ غائِصِها .

مسلمة بن عبد الملك : ما ابتدأتُ أمراً قطُّ بحزْمٍ فرجعتُ على نفسي بلائمةً ، وإن

كانت العاقبة علىّ ، ولا أضعتُ الحزمَ فُسِرَتْ وإن كانت العاقبة لي .

وصَفَ رجلٌ عضدَ الدولة بن بُوَيَّه ، فقال : لو رأيتَه لرأيتَ رجلاً له وجهٌ فيه

ألفُ عَيْنٍ ، وفمٌ فيه ألفُ لسان ، وصدرٌ فيه ألفُ قلب .

أثنى قومٌ من الصّحابة على رجلٍ عند رسول الله صلى الله عليه وآله بالصّلاة والعبادة

وخصال الخير حتى بالغوا ، فقال صلى الله عليه وآله : كيف عقله ؟ قالوا : يا رسول الله .

تُخَبِّرُكَ بِاجْتِهَادِهِ فِي الْعِبَادَةِ وَضُرُوبِ الْخَيْرِ، وَتَسْأَلُ عَنْ عَقْلِهِ ! فَقَالَ : إِنَّ الْأَحْمَقَ لَيَصِيبُ بِحُمُقِهِ أَعْظَمَ مِمَّا يَصِيبُهُ الْفَاجِرُ بِفُجُورِهِ ، وَإِنَّمَا تَرْتَفِعُ الْعِبَادَةُ غَدَاً فِي دَرَجَاتِهِمْ ، وَيَنَالُونَ مِنَ الزُّلْفَى مِنْ رَبِّهِمْ عَلَى قَدَرِ عُقُولِهِمْ .

الرَّيْحَانِيُّ : الْعَقْلُ مَلِكٌ ، وَالْحِصَالُ رِعِيَّتُهُ ، فَإِذَا ضَعُفَ عَنِ الْقِيَامِ عَلَيْهَا ، وَصَلَّ الْأَحْلَلُ إِلَيْهَا . وَسَمِعَ هَذَا الْكَلَامَ أَعْرَابِيٌّ فَقَالَ : هَذَا كَلَامٌ يَقْطُرُ عَسَلُهُ .
قَالَ مَعْنُ بْنُ زَائِدَةَ : مَا رَأَيْتُ قَفَاً رَجُلٌ إِلَّا عَرَفْتُ عَقْلَهُ ؛ قِيلَ : فَإِنْ رَأَيْتَ وَجْهَهُ ؟
قَالَ : ذَا كِتَابٍ يُقْرَأُ .

بعض الفلاسفة : عَقْلُ الْفَرِيْزَةِ مُسَلَّمٌ إِلَى عَقْلِ التَّجَرِبَةِ .
بعضهم : كُلُّ شَيْءٍ إِذَا كَثُرَ رَخُصٌ إِلَّا الْعَقْلُ ، فَإِنَّهُ إِذَا كَثُرَ غَلَا .
قَالُوا فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : ﴿ لِيُنذِرَ مَنْ كَانَ حَيًّا ﴾ ^(١) ، أَيْ مَنْ كَانَ عَاقِلًا .
وَمِنْ كَلَامِهِمْ : الْعَاقِلُ بِخُشُونَةِ الْعَيْشِ مَعَ الْعَقْلَاءِ آتَسُ مِنْهُ بِلِينِ الْعَيْشِ مَعَ السُّفَهَاءِ .
أَعْرَابِيٌّ : لَوْ صُوِّرَ الْعَقْلُ أَظْلَمَتْ مَعَهُ الشَّمْسُ ، وَلَوْ صُوِّرَ الْحَقُّ لِأَضَاءٍ مَعَهُ اللَّيْلُ .

قِيلَ لِحَكِيمٍ : مَتَى عَقَلْتَ ؟ قَالَ : حِينَ وُلِدْتُ ، فَأَنْكَرُوا ذَلِكَ ، فَقَالَ : أَمَّا أَنَا فَقَدْ بَكَيْتُ حِينَ جُعْتُ ، وَطَلَبْتُ الْتَدْيَ حِينَ احْتَجَجْتُ ، وَسَكَتُ حِينَ أُعْطِيتُ ؛
يُرِيدُ أَنْ مِنْ عَرَفَ مَقَادِيرَ حَاجَتِهِ فَهُوَ عَاقِلٌ .

الْمَأْمُونُ : إِذَا أَنْكَرْتَ مِنْ عَقْلِكَ شَيْئًا فَاقْدَحْهُ بِعَاقِلٍ .
بُزْرُ جُمَهِرٌ : الْعَاقِلُ الْحَازِمُ إِذَا أَشْكَلَ عَلَيْهِ الرَّأْيُ بِمَنْزِلَةٍ مِنْ أَضَلِّ لَوْلُؤَةٍ لَجَمَعَ مَا حَوَّلَ مَسْقَطَهَا مِنَ التُّرَابِ ، ثُمَّ التَّمَسَّهَا حَتَّى وَجَدَهَا ، وَكَذَلِكَ الْعَاقِلُ يَجْمَعُ وَجُوهَ

الرأى فى الأمر المُشكِل ، ثم يَضْرِبُ بَعْضُهَا فى بَعْضٍ حَتَّى يَسْتَخْلِصَ للرأى الأَصُوبَ .
كان يقال : هَجِينٌ عَاقِلٌ خَيْرٌ مِنْ هِجَانٍ جَاهِلٍ .

كان بَعْضُهُمْ إِذَا اسْتُشِيرَ قَالَ لِمُشَاوِرِهِ : أَنْظِرْنِي حَتَّى أَصْقَلَ عَقْلِي بِنَوْمَةٍ .
إِذَا نَزَلَتِ الْمَقَادِيرُ ، نَزَلَتِ التَّدَايِيرُ . مِنْ نَظَرٍ فى الْمَغَابِ ، ظَفَرَ بِالْحَاجِبِ . مِنْ اسْتَدَّتْ
عِزَّائِهِ اشْتَدَّتْ دَعَائِمُهُ . الرَّأى السَّدِيدُ ، أَجْدَى مِنَ الأَيْدِ الشَّدِيدِ .
بَعْضُهُمْ :

وَمَا أَلْفَ مَطْرُورِ السَّنَانِ مَشَدَّدٍ يُعَارِضُ يَوْمَ الرُّوعِ رَأْيًا مَسَدَّدًا
أَبُو الطَّيِّبِ :

الرأى قَبْلَ شَجَاعَةِ الشَّجْعَانِ هُوَ أَوَّلُ وَهَى الْحُلِّ الثَّانِي^(١)
فَإِذَا هُمَا اجْتَمَعَا لِنَفْسٍ حُرَّةٍ بَلَفَتْ مِنَ الْعِلْيَاءِ كُلِّ مَكَانٍ
وَلَرَبَّمَا طَعَنَ الْفَتَى أَقْرَانَهُ بِالرَّأى قَبْلَ تَطَاعُنِ الْأَقْرَانِ
لَوْلَا الْعُقُولُ لَكُنَّا أَذْنَى ضَيْفَمٍ أَذْنَى إِلَى شَرَفٍ مِنَ الْإِنْسَانِ
وَلَمَّا تَفَاضَلَتِ النُّفُوسُ وَدَبَّرَتْ أَيْدَى الْكُفَّةِ عَوَالَى الْمُرَانِ

ذَكَرَ الْمَأْمُونُ وَلَدَ عَلِيٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَقَالَ : خُصُّوا بِتَدْيِيرِ الْآخِرَةِ ، وَحُرِّمُوا
تَدْيِيرَ الدُّنْيَا .

كَانَ يُقَالُ : إِذَا كَانَ الْهُوَى مَقْهُورًا تَحْتَ يَدِ الْعَقْلِ ، وَالْعَقْلُ مُسَلِّطٌ عَلَيْهِ ، صُرِفَتْ
مَسَاوِيءُ صَاحِبِهِ إِلَى الْحَاسَنِ ، فَعُدَّتْ بِلَادَتُهُ حُلْمًا ، وَحِدَّتْهُ ذَكَاءٌ ، وَحَذَرَهُ بِلَاغَةٌ ، وَعِيَهُ
صَمْتًا ، وَجُبْنَهُ حَذَرًا ، وَإِسْرَافُهُ جُودًا .

وذكر هذا الكلام عند بعضهم فقال : هذه خِصِيصَةُ الحِظِّ قَلْبُهَا مَرَّتَبٌ هَذَا
الكلام إلى العقل .

سمعَ محمد بنُ يَزْدَادَ كَاتِبُ المَأْمُونِ قولَ الشاعر :
إذا كنتَ ذا رأيٍ فكنْ ذا عزيمةٍ — فإنَّ فسادَ الرأي أن تترددا
فأضاف إليه :

وإن كنتَ ذا عزمٍ فَأَنفِذه عاجلاً — فإنَّ فسادَ العزم أن يتفَنَّدَا

(٤١٣)

الأضل :

وقال عليه السلام :
مَنْ صَارَعَ الْحَقَّ صَرَعَهُ .

الشرح :

هذا مثل قوله في موضع آخر : مَنْ أَبْدَى صَفْحَتَهُ لِلْحَقِّ هَلَكَ ، ونحو هذا

قول الطائي :

وَمَنْ قَامَرَ الْأَيَّامَ عَنْ مَمَرَاتِهَا فَأُخْجِرَ بِهَا أَنْ تَنْجِلِي وَلَهَا الْقَمَرُ

وقالَ عليهِ السلامُ :
الْقَلْبُ مُصْحَفُ الْبَصَرِ .

* * *

الشُّنْخُ :

هذا مِثْلُ قولِ الشاعر :

تَخْبِرُنِي الْعَيْنَانُ مَا الْقَلْبُ كَاتَمٌ وَمَا جَنَّ بِالْبَفْضَاءِ وَالنَّظَرَ الشَّزْرُ^(١)

يقول عليه السلام : كما أَنَّ الإنسان إذا نظر في المصحف قرأ ما فيه ، كذلك إذا أبصر الإنسان صاحبه فإنه يرى قلبه بوساطة رؤية وجهه ، ثم يعلم ما في قلبه من حُبٍّ وبُغْضٍ وغيرها ، كما يعلم برؤية الخطّ الذي في المصحف ما يدلّ الخطّ عليه .

وقال الشاعر :

إِنَّ الْعَيُونَ لَتُبْدِي فِي تَقَلُّبِهَا مَا فِي الصَّمَاثِرِ مِنْ وَدٍّ وَمِنْ حَنَقٍ^(٢)

(١) يقال : نظر إليه شزراً : إذا نظر بعوْخر عينيه . (٢) الحنق : البغض .

(٤١٥)

الأصل :

وقال عليه السلام :
التقى رئيس الأخلاق .

الشرح :

يعنى رئيس الأخلاق الدينية ، لأن الأخلاق الحميدة كالجود والشجاعة والحلم والعفة وغير ذلك ، لو قدرنا انتفاء التكاليف العقابية والشرعية ، لم يكن التقي رئيساً لها ، وإنما رئاسة التقي لها مع ثبوت التكليف ، لا سيما الشرعى . والتقى فى الشرع هو الورع والخوف من الله ، وإذا حصل حصلت الطاعات كلها ، وانتفت القبايح كلها ؛ فصار الإنسان معصوما ، وتلك طبقة عالية ، وهى أشرف من جميع الطبقات التى يمدح بها الإنسان ، نحو قولنا : جواد أو شجاع أو نحوهما ، لأنهم طبقة ينتقل الإنسان منها إلى الجنة ودار الثواب الدائم ، وهذه مزية عظيمة يفضل بها على سائر طبقات الأخلاق .

الأضل :

وقال عليه السلام :

لَا تَجْعَلَنَّ ذَرْبَ لِسَانِكَ عَلَى مَنْ أَنْطَقَكَ ، وَبَلَاغَةَ قَوْلِكَ عَلَى مَنْ سَدَّكَ .

الشنخ :

يقول : لا شبهة أن الله تعالى هو الذي أنطقك ، وسدّد لفظك ، وعلمك البيان كما قال سبحانه : ﴿ خَلَقَ الْإِنْسَانَ * عَلَّمَهُ الْبَيَانَ ﴾ ^(١) فقيح أن يجعل الإنسان ذرب لسانه وفصاحة منطقته على من أنطقه وأقدره على العبادة ، وقبيح أن يجعل الإنسان بلاغة قوله على من سدّد قوله ، وجعله بليفا حسن التعبير عن المعاني التي في نفسه ، وهذا كمن يُنعم على إنسان بسيف فإنه يقبّح منه أن يقتله بذلك السيف ظلماً قبجازائداً على مالو قتله بغير ذلك السيف ، وما أحسن قول المتنبي في سيف الدولة :

ولما كسا كعباً ثياباً طفوا بها رمى كل ثوب من سنان بخارق ^(٢)
وما يوجع الحرمان من كفّ حازم كما يوجع الحرمان من كفّ رازق

الاضل :

وقال عليه السلام :

كَفَاكَ أَدَبًا لِنَفْسِكَ اجْتِنَابُ مَا تَكْرَهُهُ مِنْ غَيْرِكَ .

الشَّيْخُ :

قد قال عليه السلام هذا اللفظ أو نحوه مرارا ، وقد تكلمنا نحن عليه ، وذكرنا
نظائر له كثيرة نثرا ونظما .

وكتب بعض الكتاب إلى بعض الملوك في حال اقتضت ذلك :

ما على ذا افترقنا بشبذان^(١) إذ كنّا ولا هكذا عهدنا الإخاء
تضرب الناس بالمهنة البيض على غليرهم وتنسى الوفاء^(٢)

(١) كذا في د؛ وهو الصواب والذي في ابشبر ، وهو تصحيف .

(٢) المهنة : السيوف .

الأضل :

وقال عليه السلام يعزّي قوما :

من صَبَرَ صَبَرَ الأحرار ، ، وإلا سَلَا سُلو الأَغْمار .

وفي خبر آخر أنه عليه السلام قال لِلأشعثِ بنِ قيسٍ مُعزّيّاً عن ابنِ له :

إن ضَبَرْتَ صَبَرَ الأكارِم ، وإلا سَلَوْتَ سُلُو البهائم .

الشنخ :

أخذ هذا المعنى أبو تمام بل حكاه فقال :

وقال عليٌّ في التعازي لِأشعثٍ وخافَ عليه بعضَ تلك المآثم^(١)

أَتَصْبِرُ لِلْبَلَوِ عِزَاءً وَحِسْبَةً فتوجرَ أم تسلو سُلو البهائم !

الأفضل :

وقال عليه السلام في صفة الدنيا :

الدنيا تفرُّ وتضرُّ وتمرُّ ؛ إنَّ الله سبحانه لم يرَ ضاهئاً بالآولياءِ ، ولا عقاباً لأعدائِهِ .

الشرح :

قد تقدّم انا كلام طويل في ذمّ الدنيا .

ومن الكلام المستحسن قوله : « تفرُّ وتضرُّ وتمرُّ » ، والكلمة الثانية أحسن وأجل .

وقرأتُ في بعض الآثار أن عيسى عليه السلام مرّ بقريةٍ وإذا أهلها مواتٍ في الطرُق

والأفنية ، فقال للتلامذة : إنَّ هؤلاء ماتوا عن سخطة ، ولو ماتوا عن غير ذلك لتدافنوا ،

فقالوا : يا سيّدنا ، ودّدنا أنا علّمنا خبرهم ، فسأل الله تعالى ، فقال له : إذا كان الليلُ

فنادهم يحييوك ؛ فلما كان الليلُ أشرَف على نَشْرِ ثمّ ناداهم ، فأجابه مجيب ، فقال :

ما حالكم ، وما قصّتكم ؟ فقال : بتنا في عافية ، وأصبحنا في الهاوية ، قال : وكيف ذلك ؟

قال : لحبنا الدنيا ، قال : كيف كان حبكم لها ؟ قال : حبّ الصبيّ لأمه ، إذا أقبلت فرح

بها ، وإذا أدبرت حزّن عليها وبكى ، قال : فما بالُ أصحابك لم يحييوني ؟ قال :

لأنّهم ملجَمون بلُجْم من نارٍ بأيدي ملائكةٍ غلاظٍ شداد ؛ قال : فكيف أجبتني

أنت من بينهم ؟ قال : لأنّي كنتُ فيهم ، ولم أكن منهم ، فلما نزل بهم العذابُ

أصابني معهم ، فأنا معلق على شفير جهنّم لا أدري أنجو منها أم أكنكب فيها ؟ فقال المسيح

لتلامذته : لأكل خبز الشعير بالملح الجريش ولبسُ السُوح والنوم على المزابل وسباح

الأرض في حرّ الصيف ، كثيرٌ مع العافية من عذاب الآخرة .

الأصل :

وَإِنَّ أَهْلَ الدُّنْيَا كَرِيبٌ ، يَبْنَاهُمْ حُلُومًا إِذْ صَاحَ بِهِمْ سَائِقُهُمْ فَارْتَحَلُوا .

الشرح :

رُوي : « يَبْنَاهُمْ حُلُومًا » ، ويَبْنَاهُ بَيْنَ نَفْسِهَا ، ووزنها « فَعْلَى » ، أَشْبَعَتْ فَتَحَةً النون فصارت ألفًا ؛ ثُمَّ قَالُوا : « يَبْنَاهُ » فزادوا « مَا » ، والمعنى واحد ، تقول : يَبْنَاهُ نَحْنُ نَفْعَلُ كَذَا جَاءَ زَيْدٌ ، أَيْ بَيْنَ أَوْقَاتٍ فَعَلْنَا كَذَا جَاءَ زَيْدٌ ، وَالْجُلُ قَدْ يُضَافُ إِلَيْهَا أَسْمَاءُ الزَّمَانِ نَحْوُ قَوْلِهِمْ : « أَتَيْتُكَ زَمَنَ الْحِجَابِ أَمِيرٌ » ، ثُمَّ حَذَفُوا الْمُضَافَ الَّذِي هُوَ أَوْقَاتٌ ، وَوَلَّى الظَّرْفَ الَّذِي هُوَ بَيْنَ الْجُمْلَةِ الَّتِي أُقِيمَتْ مَقَامَ الْمَحذُوفِ .

وَكَانَ الْأَصْمَعِيُّ يَخْفِضُ بَعْدَ « يَبْنَاهُ » إِذَا صَلَحَ فِي مَعْنَاهُ بَيْنٌ ، وَيُنَشِدُ قَوْلَ أَبِي ذُوَيْبٍ بِالْكَسْرِ :

يَبْنَاهُ تَعْنِقُهُ الْكُمَاةُ وَرَوْغُهُ يَوْمَا أُتِيحَ لَهُ جَرَى سَلَفَعُ

وغيره يَرْفَعُ مَا بَعْدَ « يَبْنَاهُ » و « يَبْنَاهُ » عَلَى الْإِبْتِدَاءِ وَالْخَبَرِ ، فَأَمَّا إِذَا فَإِنَّ أَكْثَرَ أَهْلِ الْعَرَبِ يَمْنَعُونَ مِنْ تَحْيِيئِهَا بَعْدَ يَبْنَاهُ وَيَبْنَاهُ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يُجَيِّزُهُ ، وَعَلَيْهِ جَاءَ كَلَامُ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ، وَأَنْشَدُوا :

يَبْنَاهُ النَّاسُ عَلَى عُلْيَاهَا إِذْ هَوَوْا فِي هَوَاةٍ مِنْهَا فَعَارُوا

وقالت الحرة بنت النعمان بن المنذر :

وَيَيْنَا نَسُوسُ النَّاسَ وَالْأَمْرُ أَمْرُنَا إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سُوقَةٌ تَنْصَفُ^(١)

وقال الشاعر :

إِسْتَقْدِرَ اللَّهُ خَيْرًا وَارْضَيْنَ بِهِ فَيَيْنَا الْعُسْرُ إِذَا دَارَتْ مَيَاسِيرُ

وَيَيْنَا الْمَرْءَ فِي الْأَحْيَاءِ مُقْتَبِطٌ إِذْ صَارَ فِي اللَّحْدِ تَعْفُوهُ الْأَعَاصِيرُ

ومما جاء في وصف الدنيا مما يناسب كلام أمير المؤمنين قول أبي العتاهية :

إِنَّ دَارَ نَحْنُ فِيهَا لِدَارُ لَيْسَ فِيهَا لِمَقِيمٍ قَرَارُ

كَمْ وَكَمْ قَدْ حَلَّهَا مِنْ أَنْاسٍ ذَهَبَ اللَّيْلُ بِهِمْ وَالنَّهَارُ

فَهُمُ الرِّكْبُ أَصَابُوا مَنَاخًا فَاسْتَرَا حُوا سَاعَةً ثُمَّ سَارُوا

وَكَذَا الدُّنْيَا عَلَى مَا رَأَيْنَا يَذْهَبُ النَّاسُ وَتَخْلُو الدِّيَارُ

(١) في الأصل « تنصف » وهو غير مستقيم ، والصواب ما أنبتنا .

الأفضل :

وقال عليه السلام لابنه الحسن عليه السلام :

يَا بُنَيَّ ؛ لَا تُخْلَفَنَّ وَرَاءَكَ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا فَإِنَّكَ تُخْلَفُهُ لِأَحَدٍ رَجُلَيْنِ : إِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِطَاعَةِ اللَّهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ ، وَإِمَّا رَجُلٌ عَمِلَ فِيهِ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَشَقِيَ بِمَا جَمَعْتَ لَهُ ؛ فَكُنْتَ عَوْنًا لَهُ عَلَى مَعْصِيَتِهِ ؛ وَائِسَ أَحَدُ هَذَيْنِ حَقِيقًا أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ .

وَيُرْوَى هَذَا الْكَلَامُ عَلَى وَجْهِ آخَرَ ، وَهُوَ :

أَمَّا بَعْدُ ؛ فَإِنَّ الَّذِي فِي يَدَيْكَ مِنَ الدُّنْيَا قَدْ كَانَ لَهُ أَهْلٌ قَبْلَكَ ، وَهُوَ صَائِرٌ إِلَى أَهْلِ بَعْدِكَ ، وَإِنَّمَا أَنْتَ جَامِعٌ لِأَحَدٍ رَجُلَيْنِ : رَجُلٌ عَمِلَ فِيمَا جَمَعْتَهُ بِطَاعَةِ اللَّهِ فَسَعِدَ بِمَا شَقِيتَ بِهِ ، أَوْ رَجُلٌ عَمِلَ فِيمَا جَمَعْتَهُ بِمَعْصِيَةِ اللَّهِ فَشَقِيَ بِمَا جَمَعْتَ لَهُ ؛ وَلَيْسَ أَحَدُ هَذَيْنِ أَهْلًا أَنْ تُؤْثِرَهُ عَلَى نَفْسِكَ ، أَوْ تَحْمِلَ لَهُ عَلَى ظَهْرِكَ ؛ فَارْجُ لِمَنْ مَضَى رَحْمَةَ اللَّهِ ، وَلِمَنْ بَقِيَ رِزْقَ اللَّهِ تَعَالَى .

* * *

الشرح :

رُوي : « فَإِنَّكَ لَا تُخْلَفُهُ إِلَّا لِأَحَدٍ رَجُلَيْنِ » ، وهذا الفصل نهى عن الادّخار ، وقد سبق لنا فيه كلامٌ مُقنع .

وخلاصةُ هذا الفصلِ أَنَّكَ إِنِ خَلَفْتَ مَالًا ؛ فَإِمَّا أَنْ تُخْلَفَهُ لِمَنْ يَعْمَلُ فِيهِ بِطَاعَةِ اللَّهِ ، أَوْ لِمَنْ يَعْمَلُ فِيهِ بِمَعْصِيَتِهِ ، فَالْأَوَّلُ يَسْعَدُ بِمَا شَقِيتَ بِهِ أَنْتَ ، وَالثَّانِي يَكُونُ مُعَانًا

منك على المعصية بما تركته له من المال ، وكلا الأمرين مذموم ، وإنما قال له : «فارجُ لمن مضى رحمة الله ، ولمن بقي رزق الله» ، لأنه قال في أول الكلام : «قد كان لهذا المال أهلٌ قبلك ، وهو صائرٌ إلى أهلٍ بعدك» .

والكلام في ذمّ الادّخار والجمع كثيرٌ ، وللشعراء فيه مذاهبٌ واسعة ومعانٍ حسنة .
وقال بعضهم :

يا جامعاً مانعاً والدّهرُ يرمقه	مدبراً أيّ باب عنه يُفلقه
وناسياً كيف تأتیه مَنِيَّتُهُ	أغادياً أم بها يسرى فتطرقه
جمعتَ مالاً فقل لي هل جمعتَ له	يا جامعَ المالِ أيّاماً تُفرِّقه
المالُ عندك مخزونٌ لو ارثه	ما المالُ مالٌكُ إلّا يومَ تُنفقه
أرْفه ببالٍ فتى يَفدُو على ثقةٍ	إنّ الذي قَسَمَ الأرزاقَ يرزقه
فالعرضُ منه مَصُونٌ لا يُدنّسه	والوجهُ منه جَدِيدٌ ليس يُخلقه
إنّ القناعةَ من يَحُلُّ بساحتها	لَمْ يَلُقْ في ظِلِّها همّاً يورقه

الأضل :

وقال عليه السلام لقائل قال بحضرته أستغفر الله : ثكلتك أمك ! أتدري ما الاستغفار ؟ إن الاستغفار درجة العليين ، وهو اسم واقع على ستة معان : أولها الندم على ما مضى ، والثاني العزم على ترك العود إليه أبداً ، والثالث أن تؤدّي إلى المخلوقين حقوقهم حتى تلقى الله عز وجل أملس ليس عليك تبعه ، والرابع أن تعتمد إلى كل فريضة عليك ضيعتها فتؤدّي حقها ، والخامس أن تعتمد إلى اللحم الذي نبت على السحت فتذيبه بالأحزان حتى تلصق الجلد بالعظم ، وينشأ بينهما لحم جديد ، السادس أن تذيب الجسم ألم الطاعة كما أدقته حلاوة المعصية ، فعند ذلك تقول : أستغفر الله .

الشرح :

قد روى : «إن الاستغفار درجة العليين» ، فيكون على تقدير حذف مضاف ، أى أن درجة الاستغفار درجة العليين ، وعلى الرواية الأولى يكون على تقدير حذف مضاف أى أن لصاحب الاستغفار درجة العليين. وهو هنا جمع على «فعليل» كضليل وخمير ، تقول : هذا رجل على ؛ أى كثير العلو ، ومنه العلية للفرقة على إحدى اللغتين ، ولا يجوز أن يفسر بما فسره الراوندى من قوله : إنه اسم السماء السابعة ، ونحو قوله : «هو سِدْرَة المنتهى» ، ونحو قوله : «هو موضع تحت قائمة العرش المبني» ؛ لأنه لو كان كذلك لكان

علماً ، فلم تدخله اللام . كما لا يقال : « الجَهَنَّم » ، وكذلك أيضاً لا يجوز تفسيره بما فسره الراوندى أيضاً ؛ قال : العليين : جمع على : الأمكنة في السماء ، لأنه لو كان كذلك لم يُجمع بالنون لأنها تختص بمن يعقل ، وتصلح أن تكون الوجوه الأولى تفسيراً لقوله تعالى : ﴿ كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ﴾ ^(١) .

قوله : « نَبَتَ عَلَى السُّحْتِ » ، أى على الحرام ؛ يقال : سُحِتَ بالتسكين ، وَسُحِتَ بالظَم ، وَأُسْحَتِ الرُّجُلُ في تجارتِهِ ؛ أى اكتسب السُّحْتِ .

[فصل في الاستغفار والتوبة]

وينبغي أن نذكر في هذا الموضوع كلاماً مختصراً مما يقوله أصحابنا في التوبة ؛ فإن كلام أمير المؤمنين هو الأصل الذي أخذَ منه أصحابنا مقالَتَهُم ، والذي يقولونه في التوبة ، فقد أتى على جواميعه عليه السلام في هذا الفصل على اختصاره .

قال أصحابنا : الكلام في التوبة يقع من وجوه : منها الكلام في ماهية التوبة والكلام في إسقاطها الذم والعقاب ، والكلام في أنه يجب علينا فعلها ، والكلام في شروطها .

أما ماهية التوبة فهي الندم والعزم ، لأن التوبة هي الإنابة والرجوع ، وليس يمكن أن يرجع الإنسان عما فعله إلا بالندم عليه ، والعزم على ترك معاودته ، وما يتوب الإنسان منه ؛ إما أن يكون فعلاً قبيحاً ، وإما أن يكون إخلالاً بواجب ، فالتوبة من الفعل القبيح هي أن يندم عليه ، ويعزم ألا يعود إلى مثله ، وعزمه على ذلك هو كراهيته لفعله ، والتوبة من الإخلال بالواجب هي أن يندم على إخلاله بالواجب

ويعزم على أداء الواجب فيما بعد .

فأما القول في أن التوبة تُسقط العذاب فعندنا أن العقل يقتضى قُبْح العقاب بعد التوبة ، وخالف أكثر المرجئة في ذلك من الإمامية وغيرهم ؛ واحتج أصحابنا بقُبْح عقوبة المسيء إلينا بعد ندمه واعتذاره وتنصُّله ، والعلم بصِدْقه والعلم بأنه عازمٌ على ألا يعود .

فأما القول في وجوب التوبة على العصاة ؛ فلا ريب أن الشرع يوجب ذلك ، فأما العقل فالقول فيه أنه لا يخلو المكلف إما أن يعلم أن معصيته كبيرة ، أو يعلم أنها صغيرة ، أو يجوز فيها كلا الأمرين ؛ فإن علم كونها كبيرة وجب عليه في العقول التوبة منها ، لأن التوبة مُزيلَةٌ لضرر الكبيرة ، وإزالة المضار واجبة في العقول ، وإن جَوَّز كونها كبيرة وجَوَّز كونها صغيرة ، لزمه أيضا في العقل التوبة منها ، لأنه يأمن بالتوبة من مَضَرَّة مخوفة ، وفعل ما يؤمن من المضار المحوفة واجب ، وإن علم أن معصيته صغيرة ؛ وذلك كمعاصي الأنبياء ، وكمن عصى ثمَّ علم بإخبار نبيٍّ أن معصيته صغيرة محبطة ، فقد قال الشيخ أبو علي : إن التوبة منها واجبة في العقول ، لأنه إن لم يتب كان مُصِرًّا والإصرار قبيح .

وقال الشيخ أبو هاشم : لا تجب التوبة منها في العقل بالشرع ، لأنَّ فيها مصلحة يعلمها الله تعالى ؛ قال : إنه يجوز أن يخلو الإنسان من التوبة عن الذنب ، ومن الإصرار عليه ، لأنَّ الإصرار عليه هو العزم على مُعاوَدَةِ مثله ، والتوبة منه أن يَكْرَهُ معاوَدَةَ مثله مع الندم على ما مضى ؛ ويجوز أن يخلو الإنسان من العزم على الشيء ، ومن كراهته .

ومال شيخنا أبو الحسين رحمه الله إلى وجوب التوبة ها هنا عقلا ، لدليل غير دليل أبي علي رحمه الله .

فأما القولُ في صفات التَّوْبَةِ وشروطها فإنها على ضربين :

أحدهما يعم^(١) كلَّ توبة ، والآخر يختلف بحسب اختلاف ما يتاب منه ، فالأول هو الندم والعزم على ترك المعاودة .

وأما الضرب الثاني ؛ فهو أن ما يتوب منه المكلف إما أن يكون فعلاً أو إخلالاً بواجب ؛ فإن كان فعلاً قبيحاً وجب عند الشيخ أبي هاشم رحمه الله أن يندم عليه ، لأنه فعل قبيح ، وأن يسكره معاودة مثله لأنه قبيح ، وإن كان إخلالاً بواجب وجب عليه عنده أن يندم عليه ، لأنه إخلالٌ بواجب ، وأن يعزم على فعلٍ مثليٍّ ما أخلَّ به لأنه واجب ؛ فإن ندم خوف النار فقط ، أو شوقاً إلى الجنة فقط ، أو لأن القبيح الذي فعله يضرّ ببدنه كانت توبته صحيحة^(٢) ، وإن ندم على القبيح لقبحه وخوف النار ، وكان لو انفرد قبحه ندم عليه ، فإن توبته تكون صحيحةً ، وإن كان لو انفرد القبح لم يندم عليه ؛ فإنه لا تكون توبته صحيحةً عنده ، والخلاف فيه مع الشيخ أبي عليٍّ وغيره من الشيوخ رحمهم الله ؛ وإنما اختار أبو هاشم هذا القول لأن التوبة تجري مجرى الاعتذار بيننا ؛ ومعلوم أن الواحد منا لو أساء إلى غيره ثم ندم على إساءته إليه واعتذر منها خوفاً من معاقبته له عليها ، أو من معاقبة الساطان حتى لو أمن العقوبة ، لما اعتذر ولا ندم ، بل كان يواصل الإساءة ، فإنه لا يسقط ذمُّه ، فكذلك التوبة خوف النار لا لقبح الفعل .

وقد نقل قاضي القضاة هذا المذهب عن أمير المؤمنين عليه السلام والحسن البصريّ وعليّ بن موسى الرضا والقاسم بن إبراهيم الزيّنيّ .

قال أصحابنا : وللتوبة شروط آخرٌ تختلف بحسب اختلاف المعاصي ، وذلك أن

(١) د : « يعمر » . (٢) في ب : « توبة كانت صحيحة » .. وصوابه من د ، ا .

ما يتوب منه المكلف ؛ إما أن يكون فيه لآدمي حقٌّ أولاً حقٌّ فيه لآدمي ، فما ليس للآدمي فيه حقٌّ فنحو ترك الصلاة ، فإنه لا يجب فيه إلا الندم والعزم على ما قدمنا وما لآدمي فيه حقٌّ على ضريين : أحدهما أن يكون جنائيةً عليه في نفسه أو أعضائه أو ماله أو دينه ، والآخر ألا يكون جنائيةً عليه في شيء من ذلك ، فما كان جنائيةً عليه في نفسه أو أعضائه أو ماله ، فالواجب فيه الندم والعزم ، وأن يشرع في تسليم بدل ما أتلف ، فإن لم يتمكن من ذلك لفقرٍ أو غيره عزم على ذلك إذا تمكن منه ، فإن مات قبل التمكن لم يكن من أهل العقاب ، وإن جنى عليه في دينه بأن يكون قد أضلَّ بشبهة استزله بها ؛ فالواجب عليه مع الندم والعزم والاجتهاد في حلِّ شبهته من نفسه ، فإن لم يتمكن من الاجتماع به عزم على ذلك إذا تمكن ، فإن مات قبل التمكن ، أو تمكن منه واجتهد في حلِّ الشبهة فلم تنحلَّ من نفس ذلك الضالِّ ، فلا عقاب عليه ؛ لأنه قد استفرغ جهده ؛ فإن كانت المعصية غير جنائية نحو أن يقتابه أو يسمع غيبته فإنه يلزمه الندم والعزم ، ولا يلزمه أن يستحله أو يعتذر إليه ، لأنه ليس يلزمه أرشٌ^(١) لمن أغتابه فيستحله ، ليسقط عنه الأرش ، ولا غمَّة فيزيل غمَّة بالاعتذار ، وفي ذكر الغيبة له ليستحله فيزيل غمَّة منها إدخال غمَّة عليه ، فلم يجز ذلك ، فإن كان قد أسمع المغتاب غيبته فذلك جنائيةً عليه ، لأنه قد أوصل إليه مضرَّة النعم ، فيلزمه إزالة ذلك بالاعتذار .

(٢) الأرش : دية الجراحات ؛ وقيل هو الجراحات نفسها تكون على قدر معلوم .

الأُنْثَى :

وقالَ عليه السلامُ : الحِلْمُ عَشِيرَةٌ .

الشَّيْخُ :

كانَ يقالُ : الحِلْمُ جنودٌ مجنَّدةٌ لا أرزاقَ لها .

وقالَ عليه السلامُ : وجدتُ الأَحمالَ أنصَرَ لى من الرِّجالِ .

وقالَ الشاعرُ :

وَلَلْكَفُّ عَنْ شَتْمِ اللِّثِيمِ تَكْرُمًا أَضَرُّ لَهُ مِنْ شَتْمِهِ حِينَ يَشْتَمُ

وكانَ يقالُ : مَنْ غَرَسَ شَجَرَةَ الحِلْمِ ، اجْتَنَى ثَمَرَةً ^(١) السِّلْمِ .

وقد تقدَّم من القولِ فى الحِلْمِ ما فيه كفاية .

الأفضل :

وقال عليه السلام :

مَسْكِينُ ابْنِ آدَمَ ! مَكْتُومُ الْأَجَلِ ، مَكْنُونُ الْعِلَلِ ، مَحْفُوظُ الْعَمَلِ ، تَوَلِيهِ
الْبَقَّةُ ، وَتَقْتُلُهُ الشَّرْقَةُ ، وَتُنْتِنُهُ الْعَرَقَةُ .

الشرح :

قد تقدّم هاهنا خبر المبتدأ عليه ، والتقدير : «ابنُ آدمِ مسكين» ، ثمّ بين مسكنته من
أين هي ؟ فقال : إنها من ستة أوجه : أجله مكتوم لا يدري متى يُخترَم ، وعِله باطنة
لا يدري بها حتى تهيج عليه ، وعمله محفوظ ؛ ﴿ مَا لِهَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَفِيرَةً
وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا ﴾ ^(١) ، وقرص البقّة يؤلمه ، والشرقة بالماء تقتله ، وإذا
عرق أنتنته العرقة الواحدة وغيّرت ريحه ؛ فمن هو على هذه الصفات فهو مسكين
لا محالة ، لا ينبغي أن يأمن ولا أن يفخر .

الأصل :

وَيُرَوَّى أَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ جَالِسًا فِي أَصْحَابِهِ إِذْ مَرَّتْ بِهِمْ امْرَأَةٌ جَمِيلَةٌ
فَرَمَقَهَا الْقَوْمُ بِأَبْصَارِهِمْ ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

إِنَّ أَبْصَارَ هَذِهِ الْفُحُولِ طَوَامِحُ ، وَإِنَّ ذَلِكَ سَبَبُ هَبَابِهَا ؛ فَإِذَا نَظَرَ أَحَدُكُمْ
إِلَى امْرَأَةٍ تَفْجِيهِ فَلَْيُغْلِمْسِ أَهْلَهُ ، فَإِنَّمَا هِيَ امْرَأَةٌ كَأَمْرَأَتِهِ .

فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْخَوَارِجِ : قَاتِلَهُ اللَّهُ كَافِرًا ، مَا أَفْقَهُ !

قَالَ : فَوَيْتَبَ الْقَوْمُ لِيَقْتُلُوهُ ؛ فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :

رُؤْيَدًا ، إِنَّمَا هُوَ سَبٌّ بِسَبِّ ، أَوْ عَفْوٌ عَنْ ذَنْبٍ .

الشرح :

تقول : هَبَّ الْفَحْلُ وَالتَّيْسَ يَهَبُ بِالْكَسْرِ هَبِيبًا أَوْ هَبَابًا ؛ إِذَا هَاجَ لِلضَّرَابِ
أَوْ لِلسَّفَادِ ، وَالْهَبَابُ أَيْضًا : صَوْتُ ، وَالتَّيْسُ إِذَا هَبَ فَهُوَ مِنْهَابٌ ؛ وَقَدْ هَبَّهْتُ ، أَيْ
دَعَوْتُهُ لِيَنْزُوَ ^(١) فَتَهَبُ ؛ أَيْ تَزْعَزَعُ .

وَسَأَلَنِي صَدِيقُنَا عَلِيُّ بْنُ الْبَطْرِيقِ عَنْ هَذِهِ الْقِصَّةِ فَقَالَ : مَا بِهِ عَفَا عَنْ الْخَارِجِيِّ
وَقَدْ طَمَنَ فِيهِ بِالْكَفْرِ ، وَأَنْكَرَ عَلَى الْأَشْعَثِ قَوْلَهُ : « هَذِهِ عَلَيْكَ لَا لَكَ » ، فَقَالَ :

ما يُدْرِيكَ عَلَيْكَ لَعْنَةُ اللَّهِ مَا عَلَيَّ مِمَّا لِي ! حَائِثُكَ ابْنُ كَافِرٍ ، مُنَافِقُ ابْنِ كَافِرٍ ! وَمَا وَاجِبُهُ
بِهِ الْخَارِجِيُّ أَفْطَحَ مِمَّا وَاجِبُهُ الْأَشْعَثُ ! فَقُلْتُ : لَا أَدْرِي .

قال : لِأَنَّ كُلَّ صَاحِبِ فَضِيلَةٍ يَعْظُمُ عَلَيْهِ أَنْ يُطْعَنَ فِي فَضِيلَتِهِ تِلْكَ ، وَيُدَّعَى عَلَيْهِ
أَنَّهُ فِيهَا نَاقِصٌ ، وَكَانَ عَلِيٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ يَبْتَغِي بِالْعِلْمِ ، فَلَمَّا طَعِنَ فِيهِ الْأَشْعَثُ طَعِنَ بِأَنَّكَ
لَا تَدْرِي مَا عَلَيْكَ مِمَّا لَكَ ، فَشَقَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ ، وَأَمْتَعَضَ مِنْهُ ، وَجَبَّهِ وَلَعَنَهُ ؛
وَأَمَّا الْخَارِجِيُّ فَلَمْ يُطْعَنَ فِي عِلْمِهِ ، بَلْ أُثْبِتَتْ لَهُ ، وَاعْتَرَفَ بِهِ ، وَتَعَجَّبَ مِنْهُ ، فَقَالَ :
« قَاتَلَهُ اللَّهُ كَافِرًا مَا أَفْقَهَهُ ! » ، فَأَغْتَمَرَ لَهُ لَفْظَةً « كَافِرٌ » بِمَا أَعْتَرَفَ لَهُ بِهِ مِنْ عُلُوِّ طَبَقَتِهِ
فِي الْفِقْهِ ، وَلَمْ يَحْشُنْ عَلَيْهِ خُشُونَتَهُ عَلَى الْأَشْعَثِ ، وَكَانَ قَدْ مَرَّنَ عَلَى سَمَاعِ قَوْلِ الْخَوَارِجِ :
أَنْتَ كَافِرٌ ، وَقَدْ كَفَرْتَ ، يَعْنُونَ التَّحْكِيمَ ، فَلَمْ يَحْفَلْ بِتِلْكَ اللَّفْظَةِ وَنَهَى أَصْحَابَهُ عَنْ قَتْلِهِ
مَحَافَظَةً وَرِعَايَةً لَهُ عَلَى مَا مَدَحَهُ بِهِ .

الأضل :

وقال عليه السلام :

كَفَاكَ مِنْ عَقْلِكَ ، مَا أَوْضَحَ لَكَ سُبُلَ عَيْكَ مِنْ رُشْدِكَ .

الشيخ :

يقول عليه السلام : كَفَى الإنسان من عَقْلِهِ مَا يَفْرِقُ بِهِ بَيْنَ الْغَىِّ وَالرَّشَادِ ، وَبَيْنَ الْحَقِّ مِنَ الْعَقَائِدِ وَالْبَاطِلِ ، فَإِنَّهُ بِذَلِكَ يَتِمُّ تَكْلِيفُهُ ، وَلَا حَاجَةَ فِي التَّكْلِيفِ ، وَالْفَرْقِ بَيْنَ الْغَىِّ وَالرُّشْدِ إِلَى زِيَادَةِ عَلَى ذَلِكَ نَحْوِ التَّجَارِبِ الَّتِي تُفِيدُهُ الْحَزْمُ التَّامُّ ، وَمَعْرِفَةُ أَحْوَالِ الدُّنْيَا وَأَهْلِهَا ، وَأَيْضًا لَا حَاجَةَ لَهُ إِلَى أَنْ يَكُونَ عِنْدَهُ مِنَ الْفِطْنَةِ الثَّاقِبَةِ وَالذِّكَاةِ التَّامِّ مَا يَسْتَنْبِطُ بِهِ دَقَائِقَ الْكَلَامِ فِي الْحِكْمَةِ وَالْهَنْدَسَةِ وَالْعُلُومِ الْغَامِضَةِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ كُلَّهُ فَضْلٌ مُسْتَفْتَى عَنْهُ ، فَإِنْ حُصِّلَ لِلْإِنْسَانِ فَقَدْ كَمُلَ ، وَإِنْ لَمْ يُحْصَلْ لِلْإِنْسَانِ فَقَدْ كَفَاهُ فِي تَكْلِيفِهِ وَنَجَاتِهِ مِنْ مَعَاطِبِ الْعِصْيَانِ مَا يَفْرِقُ بِهِ بَيْنَ الْغَىِّ وَالرَّشَادِ ، وَهُوَ حَصُولُ الْعُلُومِ الْبَدِيعِيَّةِ فِي الْقَلْبِ ، وَمَا جَرَى تَجَرُّعُهَا مِنْ عُلُومِ الْعَادَاتِ ، وَمَا يَذْكُرُهُ أَصْحَابُنَا فِي بَابِ التَّكْلِيفِ .

(٤٢٧)

الأضل :

وقال عليه السلام :

افعلوا الخير ، وَلَا تَحْقِرُوا مِنْهُ شَيْئًا ، فَإِنَّ صَغِيرَهُ كَبِيرٌ ، وَقَلِيلُهُ كَثِيرٌ
وَلَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ : إِنَّ أَحَدًا أَوْلَى بِفِعْلِ الْخَيْرِ مِنِّي ، فَيَكُونَ وَاللَّهِ كَذَلِكَ .

الشنج :

القليل من الخير خير من عدم الخير أصلا .

قال عليه السلام : لَا يَقُولَنَّ أَحَدُكُمْ إِنَّ فَلَانًا أَوْلَى بِفِعْلِ الْخَيْرِ مِنِّي ؛ فَيَكُونَ وَاللَّهِ
كَذَلِكَ ، مِثَالَهُ قَوْمٌ مُوسِرُونَ فِي مَحَلَّةٍ وَاحِدَةٍ ، قَصَدَ وَاحِدًا مِنْهُمْ سَائِلٌ فَرَدَّهُ ، وَقَالَ لَهُ :
اذهبْ إِلَى فَلَانٍ ، فَهُوَ أَوْلَى بِأَنْ يَتَصَدَّقَ عَلَيْكَ مِنِّي ، فَإِنَّ هَذِهِ الْكَلِمَةَ تَقَالُ دَائِمًا . نَهَى
عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ قَوْلِهَا وَقَالَ : فَيَكُونَ وَاللَّهِ كَذَلِكَ ، أَيْ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُوَفِّقُ ذَلِكَ
الشَّخْصَ الَّذِي أَحْيَلَ ذَلِكَ السَّائِلُ عَلَيْهِ ، وَيُيسِّرُ الصَّدَقَةَ عَلَيْهِ ، وَيُقَوِّمُ دَوَاعِيَهُ إِلَيْهَا ، فَيَفْعَلُهَا
فَتَكُونَ كَلِمَةً ذَلِكَ الْإِنْسَانُ الْأَوَّلُ قَدْ صَادَفَتْ قَدَرًا وَقَضَاءً ، وَوَقَعَ الْأَمْرُ بِمَوْجِبِهَا .

الأصل :

إِنَّ لِلْخَيْرِ وَاللِّشْرِ أَهْلًا ، فَمَهْمَا تَرَكَتُمُوهُ مِنْهُمَا كَفَا كُتُمُوهُ أَهْلُهُ .

الشرح :

يقول عليه السلام : إِنَّ عَنْكَ بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الْخَيْرِ وَتَرَكَتَهُ ، فَسَوْفَ يَكْفِيكَ
بَعْضُ النَّاسِ مِمَّنْ جَعَلَهُ اللَّهُ تَعَالَى أَهْلًا لِلْخَيْرِ وَإِسْدَاءَ الْمَعْرُوفِ إِلَى النَّاسِ ، وَإِنْ عَنْكَ لَكَ
بَابٌ مِنْ أَبْوَابِ الشَّرِّ فَتَرَكَتَهُ ، فَسَوْفَ يَكْفِيكَ بَعْضُ النَّاسِ مِمَّنْ جَعَلَتْهُمْ أَنْفُسُهُمْ وَسُوءَ
اخْتِيَارِهِمْ أَهْلًا لِلشَّرِّ وَأَذَى النَّاسِ ؛ فَأَخْتَرْ لِنَفْسِكَ أَيُّمَا أَحَبَّ إِلَيْكَ ، أَنْ تَحْطَى بِالْمَحَمْدَةِ
وَالثَّوَابِ ، وَتَفْعَلَ مَا إِنْ تَرَكَتَهُ فَعَلَهُ غَيْرُكَ وَحَظِيَ بِحَمْدِهِ وَثَوَابِهِ ، أَوْ أَنْ تَتْرُكَهَ ، وَأَيُّمَا
أَحَبَّ إِلَيْكَ ، أَنْ تَشْقَى بِالذَّمِّ عَاجِلًا ، وَالْعِقَابِ آجِلًا ، وَتَفْعَلَ مَا إِنْ تَرَكَتَهُ كَفَاكَ غَيْرُكَ ،
وَبَلَّغْتَ غَرَضَكَ مِنْهُ عَلَى يَدِ غَيْرِكَ ، أَوْ أَنْ تَفْعَلَهُ ، وَلَا رَيْبَ أَنَّ الْعَاقِلَ يَخْتَارُ فِعْلَ الْخَيْرِ
وَتَرْكَ الشَّرِّ إِذَا أَفْكَرَ حَقَّ الْفِكْرِ فِيمَا قَدْ أَوْضَحْنَاهُ ^(١) .

الأصل :

وقال عليه السلام :

مَنْ أَصْلَحَ سَرِيرَتُهُ ، أَصْلَحَ اللَّهُ عِلَانِيَتَهُ ، وَمَنْ عَمِلَ لِدِينِهِ ، كَفَاهُ اللَّهُ أَمْرَ دُنْيَاهُ ، وَمَنْ أَحْسَنَ فِيمَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ اللَّهِ ، أَحْسَنَ اللَّهُ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَ النَّاسِ .

الشرح :

لا ريب أن الأعمال الظاهرة تبع للأعمال الباطنة ، فمن صلح باطنه صلح ظاهره وبالعكس ، وذلك لأن القلب أمير مساط على الجوارح ، والرعية تتبع أميرها ولا ريب أن من عمل لدينه كفاه الله أمر دُنْيَاهُ ، وقد شهد بذلك الكتاب العزيز في قوله سبحانه : ﴿ وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ ^(١) .

ولهذا أيضا علّة ظاهرة ؛ وذلك أن من عمل لله سبحانه وللدّين فإنه لا يخفى حاله في أكثر الأمر عن الناس ، ولا شبهة أن الناس إذا حسنت عقيدتهم في إنسان وعلموا متانة دينه بؤبؤوا له إلى الدنيا أبوابا لا يحتاج أن يتكلفها ، ولا يتعب فيها ، فيأتيه رزقه من غير كلفة ولا كد ؛ ولا ريب أن من أحسن فيما بينه وبين الله أحسن الله ما بينه وبين الناس ، وذلك لأن القلوب بالضرورة تميل إليه وتحبه ، وذلك لأنه إذا كان محسنا بينه وبين الناس عفا عن أموال الناس ودمائهم وأعراضهم ، وترك الدخول فيما لا يعنيه ، ولا شبهة أن من كان بهذه الصفة فإنه يحسن ما بينه وبين الناس .

(٤٣٠)

الأضل :

وقال عليه السلام :

أَلِئِمُّ غِطَاءَ سَاتِرٍ ، وَالْعَقْلُ حُسَامٌ قَاطِعٌ ، فَاسْتُرْ خَلَلَ خُلُقِكَ بِحِلْمِكَ ، وَقَاتِلْ
هَوَاكَ بِعَقْلِكَ .

الشنخ :

لَمَّا جَعَلَ اللَّهُ الْحِلْمَ غِطَاءً ، وَالْعَقْلَ حُسَامًا ، أَمَرَهُ أَنْ يَسْتُرَ خَلَلَ خُلُقِهِ بِذَلِكَ الْغِطَاءِ
وَأَنْ يُقَاتِلَ هَوَاهُ بِذَلِكَ الْحُسَامِ ، وَقَدْ سَبَقَ الْقَوْلُ فِي الْحِلْمِ وَالْعَقْلِ .

(٤٣١)

الأضل :

وقال عليه السلام :

إِنَّ لِلَّهِ عِبَادًا يَخْتَصُّهُمْ بِالنَّعْمِ لِمَنَافِعِ الْعِبَادِ ، فَيُقِرُّهَا فِي أَيْدِيهِمْ مَا بَدَّلُوهَا فَإِذَا مَنَعُوهَا نَزَعَهَا مِنْهُمْ ، ثُمَّ حَوَّلَهَا إِلَى غَيْرِهِمْ .

الشنج :

قد ذكرنا هذا المعنى فيما تقدم ، وقد قالت الشعراء فيه فأكثرُوا ، وقريبٌ من ذلك

قولُ الشاعر :

وبالنَّاسِ عاشَ النَّاسُ قَدَمًا وَلَمْ يَزَلْ من النَّاسِ مَرَّغُوبٌ إِلَيْهِ وَرَاغِبٌ

وأشدَّ تصرُّحًا بالمعنى قول الشاعر :

لَمْ يُعْطِكِ اللَّهُ مَا أُعْطَاكَ مِنْ نِعْمٍ إِلَّا لَتُوسِعَ مِنْ يَرْجُوكَ إِحْسَانًا

فَإِنْ مَنَعَتْ فَأَخْلَقْ أَنْ تُصَادِفَهَا تطير عنك زرافاتٍ ووحدانًا

الأضل :

وقال عليه السلام :

لَا يَنْبَغِي لِلْعَبْدِ أَنْ يَثِقَ بِمُحْصَلَتَيْنِ : الْعَافِيَةِ وَالْغَنَى ، يَدْنَا تَرَاهُ مُعَافًى إِذَا سَقِمَ
وَبَيْنَا تَرَاهُ غَنِيًّا إِذَا افْتَقَرَ .

الشُّنْخ :

قد تقدّم القولُ في هذا المعنى .

وقال الشاعر :

وبينا المرء في الأحياء مُغْتَبِطٌ إِذَا صَارَ فِي اللَّحْدِ تَسْفِيهِ الْأَعَاصِرُ
وقال آخرُ :

لَا يَغُرُّنَكَ عِشَاءُ سَاكِنٌ قَدْ يُوَافِي بِالْمَنِيَّاتِ السَّحَرُ
وقال عبيدُ الله بنُ طاهر :

وَإِذَا مَا أَعَارَكَ الدَّهْرُ شَيْئًا فَهُوَ لَا يَدَّ أَخِيذٌ مَا أَعَارَا
آخر :

يَغُرُّ الْفَتَى مَرُّ اللَّيَالِي سَلِيمَةً وَهَنَّ بِهِ عَمَّا قَلِيلٍ عَوَائِرُ
وقال آخر :

وَرُبَّ غَنِيٍّ عَظِيمِ الثَّرَاءِ أَمْسَى مُقْلًا عَدِيمًا قَقِيرًا
وَكَمْ بَاتَ مِنْ مُتَرَفٍّ فِي الْقُصُورِ فَعَوَّضَ فِي الصَّبْحِ عَنْهَا الْقُبُورَا

الأفضل :

وقال عليه السلام :

مَنْ شَاكَ الْحَاجَةَ إِلَى مُؤْمِنٍ فَكَأَنَّمَا شَاكَهَا إِلَى اللَّهِ ، وَمَنْ شَاكَهَا إِلَى كَافِرٍ فَكَأَنَّمَا شَاكَ اللَّهَ .

الشرح :

قد تقدّم القولُ في شَكْوَى الحالِ وكرهيتها ، وكلامُ أميرِ المؤمنين عليه السلام يدلُّ على أنه لا يكره شَكْوَى الحالِ إلى المؤمن ، ويكرهها إلى غير المؤمن ، وهذا مذهبُ دينيٍّ غيرُ المذهبِ العُرفيِّ .

وأكثرُ مذاهبه ومقاصده عليه السلام في كلامه يَنحَوِيهَا نحوَ الدينِ والورع والإسلام وكأنَّه يجعلُ الشكوى إلى المؤمن كالشكوى إلى الخالق سبحانه ، لأنَّه لا يشكو إلى المؤمن إلَّا وقد خَلَتْ شَكْوَاهُ مِنَ التَّسَخُّطِ والتَّأَقُّفِ ، ولا يشكو إلى الكافر إلَّا وقد شابَ شَكْوَاهُ بِالاستزادة والتَّضَجُّرِ ، فافتَرَقَتِ الحالُ في الموضعين .

فأمَّا المذهبُ المشهورُ في العُرفِ والعادة فاستهْجَانُ الشَّكْوَى عَلَى الإِطْلَاقِ لأنَّهَا دَلِيلٌ عَلَى ضَعْفِ النَّفْسِ وَخِذْلَانِهَا ، وَقِلَّةِ الصَّبْرِ عَلَى حَوَادِثِ الدَّهْرِ ، وَذَلِكَ عِنْدَهُمْ غَيْرُ مَحْمُودٍ .

(٤٣٤)

الأضل :

وقال عليه السلام في بعض الأعياد :
وإِنَّمَا هُوَ عِيدٌ لِمَنْ قَبَلَ اللَّهُ صِيَامَهُ ، وَشَكَرَ قِيَامَهُ ، وَكُلُّ يَوْمٍ لَا تَعْبَى اللَّهَ
فِيهِ فَهُوَ يَوْمٌ عِيدٌ .

الشَّيْخ :

المعنى ظاهرٌ ، وقد نقله بعضُ المُحدثين إلى الغزّال فقال :
قالوا أتى العيدُ قُلْتُ أَهْلًا إِنَّ جَاءَ بِالْوَصْلِ فَهُوَ عِيدٌ
مَنْ ظَنِمَتْ بِالْمُنَى يَدَاهُ فَكُلَّ أَيَّامِهِ سُعُودٌ
ورأيتُ بعضَ الصُّوفِيَّةِ وقد سَمِعَ هَذَيْنِ الْبَيْتَيْنِ مِنْ مُغْنٍ حَازِقٍ ، فَطَرِبَ وَصَفَّقَ
وَأَخَذَ هُمَا لِمَعْنَى عِنْدَهُ .

وقد قال بعضُ المُحدثين في هذ المعنى أيضا .

قالوا أتى العيدُ والأيامُ مشرقةٌ وَأَنْتَ بِكَ وَكُلُّ اسْرِىَ مَرُورٌ
فقلتُ إِنَّ واصلَ الأَحْبَابِ كَانَ لَنَا عِيداً وَإِلَّا فَهَذَا الْيَوْمُ عَاشُورٌ

(٤٣٥)

الأصل :

وقال عليه السلام :

إِنَّ أَعْظَمَ الْحَسَرَاتِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَسْرَةُ رَجُلٍ كَسَبَ مَالًا فِي غَيْرِ طَاعَةِ
اللَّهِ فَوَرَّثَهُ رَجُلًا فَأَنْفَقَهُ فِي طَاعَةِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ فَدَخَلَ بِهِ الْجَنَّةَ ، وَدَخَلَ الْأَوَّلُ
بِهِ النَّارَ :

الشرح :

كان يقال لعمر بن عبد العزيز بن مروان : السعيد ابن الشقي ، وذلك أن عبد العزيز
ابن مروان ملك ضياعا كثيرة بمصر والشام والعراق والمدينة من غير طاعة الله ، بل بسلطان
أخيه عبد الملك ، وبولاية عبد العزيز نفسه مصر وغيرها ، ثم تركها لابنه عمر ، فكان يُنْفِقُهَا
في طاعة الله سبحانه وفي وجوه البر والقربات ، إلى أن أفضت الخلافة إليه ، فلما أفضت
إليه أخرج سِجِلَات عبد الملك بها لعبد العزيز فمزقها بمحض من الناس ، وقال : هذه
كُتِبَتْ من غير أصل شرعي ، وقد أعدتها إلى بيت المال .

الأضل :

وقال عليه السلام :

إِنَّ أَخْسَرَ النَّاسِ صَفَقَةً ، وَأَخْيَبَهُمْ سَعِيًّا ، رَجُلٌ أَخْلَقَ بَدَنَهُ فِي طَلَبِ
مَالِهِ ^(١) ، وَلَمْ تُسَاعِدْهُ الْمَقَادِيرُ عَلَى إِرَادَتِهِ ، فَخَرَجَ مِنَ الدُّنْيَا بِحَسْرَتِهِ ، وَقَدِمَ عَلَى
الْآخِرَةِ بِتَبِعَتِهِ .

البُزْخ :

هذه صورة أ كثر الناس ، وذلك لأن أ كثرهم يَكْدُّ بَدَنَهُ ونفسه في بلوغ الآمال
الدنيوية ، والقليل منهم من تساعده المقادير على إرادته ، وإن ساعدته على شيء منها بقي
في نفسه ما لا يبلغه ، كما قيل :

نَزَّوْحُ وَنَفْدُو لِحَاجَاتِنَا وَحَاجَةٌ مِنْ عَاشٍ لَا تَنْقُضِي

تَمُوتُ مَعَ الْمَرْءِ حَاجَاتُهُ وَتَبْقَى لَهُ حَاجَةٌ مَا بَقِيَ

فأكثرهم إذن يخرج من الدنيا بحسرتة ، ويقدم على الآخرة بتبعته ، لأن تلك
الآمال التي كانت الحركة والسعي فيها ليست متعلقة بأمور الدين والآخرة ، لا جرم
أنها تبعات وعقوبات ، ونسأل الله عفوَه .

(١) في د « آماله » ، وهو مستقيم أيضاً

الأفضل :

وقال عليه السلام :

الرِّزْقُ رِزْقَانِ : طَالِبٌ وَمَطْلُوبٌ ، فَمَنْ طَلَبَ الدُّنْيَا طَلَبَ الْمَوْتَ حَتَّى يُخْرِجَهُ عَنْهَا ، وَمَنْ طَلَبَ الْآخِرَةَ طَلَبَتْهُ الدُّنْيَا حَتَّى يَسْتَوْفِيَ مِنْهَا رِزْقَهُ^(١) .

الشرح :

هذا تحريض على طلب الآخرة ، ووعد لمن طلبها بأنه سيُكفى طلب الدنيا ، وإن الدنيا ستطلبه حتى يستوفى رزقه منها .
وقد قيل : مثل الدنيا مثل ظلك ، كلما طلبته بُعد عنك ، فإن أدبرت عنه تبعك .

(١) د « رزقه منها »

الأفضل :

وقال عليه السلام :

إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ هُمُ الَّذِينَ نَظَرُوا إِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا إِذَا نَظَرَ النَّاسُ إِلَى ظَاهِرِهَا
وَأَشْتَقَلُوا بِآجِلِهَا إِذَا اشْتَغَلَ النَّاسُ بِعَاجِلِهَا ، فَأَمَاتُوا مِنْهَا مَا أَحَسُّوا أَنْ يُبَيِّنَهُمْ
وَتَرَكَوْا مِنْهَا مَا عَلِمُوا أَنَّ سَيَرُّهُمْ ، وَرَأَوْا اسْتِكْثَارَ غَيْرِهِمْ مِنْهَا اسْتِقْلَالًا ، وَدَرَكَهُمْ
لَهَا فَوَاتًا ، أَعْدَلَهُمَا سَالَمَ النَّاسُ ، وَسَلَمَ لِمَنْ عَادَى النَّاسُ ، بِهِمْ عِلْمُ الْكِتَابِ ، وَبِهِ
عُلُومُهَا ، وَبِهِمْ قَامَ كِتَابُ اللَّهِ تَعَالَى ، وَبِهِ قَامُوا ، لَا يَرَوْنَ مَرْجُوءًا فَوْقَ مَا يَرْجُونَ ،
وَلَا مَخُوفًا فَوْقَ مَا يَخَافُونَ .

الشرح :

هذا يصلح أن يجعله الإمامية شرح حال الأئمة المعصومين على مذهبهم ، لقوله : فوق
ما يَرْجُونَ ، بِهِمْ عِلْمُ الْكِتَابِ ، وَبِهِ عُلُومُهَا ؛ وَأَمَّا مَنْ فَجَعَلَهُ شَرْحَ حَالِ الْعُلَمَاءِ الْعَارِفِينَ
وَهُمْ أَوْلِيَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ ذَكَرَهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ لَمَّا نَظَرَ النَّاسُ إِلَى ظَاهِرِ الدُّنْيَا وَزُخْرُفِهَا مِنْ
الْمَنَاحِكِ وَالْمَلَابِسِ وَالشَّهَوَاتِ الْحِسِّيَّةِ ، نَظَرُوا هُمْ إِلَى بَاطِنِ الدُّنْيَا ، فَاشْتَغَلُوا بِالْعُلُومِ
وَالْعَارِفِ وَالْعِبَادَةِ وَالزَّهْدِ فِي الْمَلَاذِ الْجَسْمَانِيَّةِ ، فَأَمَاتُوا مِنْ شَهَوَاتِهِمْ وَقَوَاهِمِ الْمَذْمُومَةِ
كَقُوَّةِ الْغَضَبِ وَقُوَّةِ الْحَسَدِ مَا خَافُوا أَنْ يُبَيِّنَهُمْ ، وَتَرَكَوْا مِنَ الدُّنْيَا اقْتِنَاءَ الْأَمْوَالِ
لِعَالَمِهِمْ أَنَّهَا سَيَرُّهُمْ ، وَأَنَّهُ لَا يُمْكِنُ دَوَامُ الصُّحْبَةِ مَعَهَا ، فَكَانَ اسْتِكْثَارُ النَّاسِ مِنْ
تِلْكَ الصِّفَاتِ اسْتِقْلَالًا عَنْهُمْ ، وَبُلُوغُ النَّاسِ لَهَا فَوَاتًا أَيْضًا عَنْهُمْ ، فَهُمْ خَصَمٌ لِمَا سَأَلَهُ النَّاسُ

مِنَ الشَّهَوَاتِ ، وَسَلِّمْ لِمَا عَادَاهُ النَّاسُ مِنَ الْعُلُومِ وَالْعِبَادَاتِ ، وَبِهِمْ عُلْمُ الْكِتَابِ ، لِأَنَّهُ لَوْلَاهُمْ لِمَا عُرِفَ تَأْوِيلُ الْآيَاتِ الْمُتَشَابِهَاتِ ، وَلَأَخَذَهَا النَّاسُ عَلَى ظَوَاهِهَا فَضَلُّوا ، وَبِالْكِتَابِ عُلِمُوا ، لِأَنَّ الْكِتَابَ دَلَّ عَلَيْهِمْ ، وَنَبَّهَ النَّاسَ عَلَى مَوَاضِعِهِمْ ، نَحْوُ قَوْلِهِ : ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ ﴾ ^(١) .

وقوله : ﴿ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ ^(٢) .

وقوله : ﴿ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ ^(٣) .

ونحو ذلك من الآيات التي تنادى عليهم ، وَتَخَطَّبُ بِفَضْلِهِمْ ، وَبِهِمْ قَامَ الْكِتَابُ لِأَنَّهُمْ قَرَّرُوا الْبَرَاهِينَ عَلَى صِدْقِهِ وَصَحَّةِ وَرُودِهِ مِنَ اللَّهِ تَعَالَى عَلَى لِسَانِ جَبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَلَوْلَاهُمْ لَمْ يَقُمْ عَلَى ذَلِكَ دَلَالَةٌ لِلْعَوَامِّ ، وَبِالْكِتَابِ قَامُوا ، أَيْ بِاتِّبَاعِ أَوْامِرِ الْكِتَابِ وَآدَابِهِ قَامُوا ، لِأَنَّهُ لَوْلَا تَأْدِيبُهُمْ بِآدَابِ الْقُرْآنِ ، وَامْتِنَانُهُمْ بِأَوْامِرِهِ ؛ لَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ عِلْمُهُمْ شَيْئًا ، بَلْ كَانَ وَبَالُهُ عَلَيْهِمْ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّهُمْ لَا يَرَوْنَ مَرْجُوًّا فَوْقَ مَا يَرَوْنَ جَوْنَ ، وَلَا يَخْشَوْنَ فَوْقَ مَا يَخَافُونَ ، وَكَيْفَ لَا يَكُونُونَ كَذَلِكَ وَمَرْجُوُّهُمْ مَجَاوِرَةٌ اللَّهِ تَعَالَى فِي حِطَائِرِ قُدْسِهِ ، وَهَلْ فَوْقَ هَذَا مَرْجُوٌّ لِرَاجٍ ، وَخَوْفُهُمْ سَخَطُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ وَإِبْعَادُهُمْ عَنِ جَنَابِهِ ، وَهَلْ فَوْقَ هَذَا خَوْفٌ لَخَائِفٍ .

(٤٣٩)

الأضل :

وقال عليه السلام :

أَذْكُرُوا انْقِطَاعَ اللَّذَّاتِ ، وَبَقَاءَ التَّيَبَاتِ .

الشَّيْخ :

قد تقدّم القولُ في نحو هذا مرارا ؛ وقال الشاعر :

تَفْنَى اللَّذَازَةُ مِمَّنْ نَالَ بُغْيَتَهُ مِنْ الْحَرَامِ ، وَيَبْقَى الْإِيمُ وَالْعَارُ

تَبْقَى عَوَاقِبُ سُوءٍ فِي مَغْبَتِهَا لَا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِهَا النَّارُ

ورأودَ رجل امرأة عن نفسها ، فقالت له : إن امرأً يبيعُ جنةَ عرضها السموات

والأرض بمقدار إصبعين لجاهلٍ بالمساحة ؛ فاستحيا ورجع .

الأفضل :

وقال عليه السلام : أَخْبِرْ تَقْلَهُ .

وقال الرَضَى رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : وَمَنْ النَّاسِ مَنْ يَرَوِي هَذَا لِرَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، وَمِمَّا يُقَوِّى أَنَّهُ مِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ مَا حَكَاهُ ثَعَابُ قَالَ : حَدَّثَنَا ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ قَالَ : قَالَ الْمُأْمُونُ : لَوْلَا أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ : أَخْبِرْ تَقْلَهُ لَقُلْتُ أَنَا أَقْلَهُ تَخْبِرُ .

الشَّرْحُ :

المعنى اخْتَبِرِ النَّاسَ وَجَرِّبْهُمْ تُبْغِضْهُمْ ، فَإِنَّ التَّجْرِبَةَ تَكْشِفُ لَكَ عَنْ مَسَاوِيهِمْ وَسُوءِ أَخْلَاقِهِمْ ، فَضَرْبَ مَثَلًا مَنْ يُظَنَّ بِهِ الْخَيْرُ وَلَيْسَ هُنَاكَ ، فَأَمَّا قَوْلُ الْمُأْمُونِ : لَوْلَا أَنَّ عَلِيًّا قَالَهُ لَقُلْتُ : أَقْلَهُ تَخْبِرُ ، فَلَيْسَ الْمُرَادُ حَقِيقَةُ الْقَلْبِ ، وَهُوَ الْبُغْضُ بَلِ الْمُرَادُ الْهَجْرُ وَالْقَطِيعَةُ ، يَقُولُ : قَاطِعُ أَخَاكَ مَجْرَبًا لَهُ هَلْ يَبْقَى عَلَى عَهْدِكَ أَمْ يَنْقُضُهُ وَيُحَوِّلُهُ عَنْكَ .

وَمِنْ كَلَامِ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي سُفْيَانَ . طَيَّرُوا الدَّمَ فِي وَجْهِهِ الشَّبَابِ ، فَإِنْ حَامُوا وَأَحْسَنُوا الْجَوَابَ فَهُمْ هُمْ ، وَإِلَّا فَلَا تَطْمَعُوا فِيهِمْ ، يَقُولُ : أَغْضِبُوهُمْ لِأَنَّ الْغَضَبَانَ يَحْمَرُّ وَجْهُهُ ، فَإِنْ ثَبَتُوا لِذَلِكَ الْكَلَامِ الْمُغْضِبِ وَحَامُوا وَأَجَابُوا جَوَابَ الْحَلِيمِ الْعَاقِلِ ، فَهُمْ مِمَّنْ يُعْقَدُ عَلَيْهِ الْخِنَصِرُ وَيُرْجَى فَلَاحُهُ ، وَإِنْ سَفِهُوا وَشَتَمُوا وَلَمْ يَثْبُتُوا لِذَلِكَ الْكَلَامِ فَلَا رَجَاءَ لِفَلَاحِهِمْ . وَمِنْ الْمَعْنَى الْأَوَّلِ قَوْلُ أَبِي الْعَلَاءِ :

جَرَّبْتُ دَهْرِي وَأَهْلِيهِ فَمَا تَرَكْتُ لِيَ التَّجَارِبُ فِي وَدِّ امْرِي غَرَضًا^(١)
وقال آخر :

وَكُنْتُ أَرَى أَنَّ التَّجَارِبَ عُدَّةٌ نَخَّاتُ نِقَاتُ النَّاسِ حَتَّى التَّجَارِبُ
وقال عبدُ الله بن معاوية بن عبد الله بن جعفر بن أبي طالب :

رَأَيْتُ فَضِيلًا كَانَ شَيْئًا مَلْفَفًا فَأَبْرَزَهُ التَّمْحِيصُ حَتَّى بَدَأَ الْيَأْسَ^(٢)
آخر :

عَبَّتُ عَلَى سَلَمٍ فَلَمَّا فَقَدْتُهُ وَجَرَّبْتُ أَقْوَامًا رَجَعْتُ إِلَى سَلَمٍ
مِثْلُهُ :

ذَمَّمْتُكَ أَوَّلًا حَتَّى إِذَا مَا بَلَوْتُ سِوَاكَ عَادَ الدَّمُّ حَمْدًا
وَلَمْ أُحْمَدِكَ مِنْ خَيْرٍ وَلَكِنْ وَجَدْتُ سِوَاكَ شَرًّا مِنْكَ جِدًّا
فَعُدْتُ إِلَيْكَ مُضْطَرًّا ذَلِيلًا لِأَنِّي لَمْ أَجِدْ مِنْ ذَاكَ بُدًّا
كَجَهْدِ تَحَامِي كُلِّ مَيِّتٍ فَلَمَّا اضْطُرَّ عَادَ إِلَيْهِ شَدًّا
الَّذِي يَتَعَلَّقُ بِهِ غَرَضُنَا مِنَ الْآيَاتِ هُوَ الْبَيْتُ الْأَوَّلُ ، وَذَكَرْنَا سَائِرَهَا الْحُسْنَى .

(٢) الأغانى ١٢ : ٢١٤ ، وروايته « رأيت قصبا » .

الأُسْلُ :

وقال عليه السلام :

مَا كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ لِيَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بَابَ الشُّكْرِ وَيُفْلِقَ عَنْهُ يَابَ الزِّيَادَةِ ، وَلَا لِيَفْتَحَ عَلَى عَبْدٍ بَابَ الدُّعَاءِ ، وَيُفْلِقَ عَنْهُ بَابَ الْإِجَابَةِ ، وَلَا لِيَفْتَحَ عَلَيْهِ بَابَ التَّوْبَةِ ، وَيُفْلِقَ عَنْهُ بَابَ الْمَغْفِرَةِ .

الشَّهْرُجُ :

قد تقدّم القولُ في الشُّكْرِ واقتضائه الزِّيَادَةَ [و^(١) اقتضاء الدُّعَاءِ الْإِجَابَةَ ؛ وَالتَّوْبَةَ : الْمَغْفِرَةَ ؛ عَلَى وَجْهِ الْاِسْتِقْضَاءِ فِي الْجَمِيعِ .

الأفضل :

وقال عليه السلام :

أَوْلَى النَّاسِ بِالكَرَمِ مَنْ عَرَّقَتْ فِيهِ الْكَرَامُ .

الشُّرُحُ :

أَعَرَّقَتْ وَعَرَّقَتْ فِي هَذَا الْمَوْضِعِ بِمَعْنَى ، أَيْ ضَرَبَتْ عُرُوقَهُ فِي الْكَرَمِ ، أَيْ لَهُ سَلَفٌ وَأَبَاءٌ كَرَامٌ . وَقَالَ الْمُبَرِّدُ : أَنْشَدَنِي أَبُو تَحْلَمِ السَّعْدِيُّ :

إِنَّا سَأَلْنَا قَوْمَنَا نَفِيارَهُمْ مِنْ كَانَ أَفْضَلُهُمْ أَبَوْهُ الْأَفْضَلُ^(١)

أَعْطَى الَّذِي أَعْطَى أَبَوْهُ قَبْلَهُ وَتَبَخَّلَتْ أَبْنَاءُ مَنْ يَتَبَخَّلُ

قال : وَأَنْشَدَنِي أَيْضًا فِي الْمَعْنَى :

لَطَلْحَةُ بْنُ خُثَيْمٍ حِينَ تَسْأَلُهُ أَنْدَى وَأَكْرَمُ مِنْ فَيْدِ بْنِ هِطَّالٍ^(٢)

وَيْتُ طَلْحَةَ فِي عِزٍّ وَمَكْرُمَةٍ وَيْتُ فَيْدٍ إِلَى رَبِّهِ وَأَحْمَالٍ^(٣)

أَلَا فَتَى مِنْ بَنِي ذُبْيَانَ يَحْمِلُنِي وَلَيْسَ يَحْمِلُنِي إِلَّا ابْنُ حَمَّالٍ^(٤)

فَقُلْتُ طَلْحَةُ أَوْلَى مِنْ عَمَدَتُ لَهُ وَجِئْتُ أَمْشِي إِلَيْهِ مَشْيَ مُخْتَالٍ

مُسْتَقِيمًا أَنْ حَبَلِي سَوْفَ يُعْلِقُهُ فِي رَأْسِ ذِبَالَةٍ أَوْ رَأْسِ ذِبَالٍ^(٥)

(١) الكامل ١ : ٣٦٣ ، وروايته : « أَبَوْهُ الْأَوَّلُ » .

(٢) الكامل ١ : ٣٦٣ ، وروايته : « لَطَلْحَةُ بْنُ حَبِيبٍ »

(٣) رِبْقُ : حَبْلٌ فِيهِ عِدَّةُ عُرَا ، تَشَدُّ بِهِ الْبَهْمُ . وَأَحْمَالٌ : جَمْعُ حَمَلٍ ، بِالْتَحْرِيكِ ؛ وَهُوَ الْحُرُوفُ .

(٤) قَالَ أَبُو الْعَبَّاسِ : « يَعْنِي ذُبْيَانُ بْنُ بَغِيضَ بْنِ رَبِثَ بْنِ غُطْفَانَ بْنِ سَعْدِ بْنِ قَيْسَ بْنِ عِيلَانَ بْنِ مَضَرَ »

(٥) قَوْلُهُ : « فِي رَأْسِ ذِبَالَةٍ » ، يَعْنِي فَرَسًا أَوْ حَصَانًا . وَالذِّبَالُ : الطَّوِيلُ اللَّذَنْبُ

وقال آخر :

عندَ الملوك مَضْرُوءٌ وَمَنَافِعُ وَأَرَى الْبَرَامِكَ لَا تَضُرُّ وَتَنفَعُ
إِنَّ العُرُوقَ إِذَا اسْتَسَرَّ بِهَا الثَّرَى أَثْرَى النَّبَاتُ بِهَا وَطَابَ الْمَزْرَعُ
وإِذْ جَهِلْتَ مِنْ أَمْرِي أَعْرَاقَهُ وَقَدِيمَهُ فَانْظُرْ إِلَى مَا يَصْنَعُ

وقال آخر :

إِنَّ السَّرَىَّ إِذَا سَرَى فَيَنْفِسِهِ وَابْنُ السَّرِيِّ إِذَا سَرَى أُسْرَاهَا
وقال البُحْتَرِيُّ :

وَأَرَى النِّجَابَةَ لَا يَكُونُ تَمَامُهَا لَنَجِيبٍ قَوْمٍ لَيْسَ بَابُنْ نَجِيبٍ^(١)

الأصل

وَسُئِلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : أَيُّمَا أَفْضَلُ ؟ الْعَدْلُ أَوْ الْجُودُ ؟ فَقَالَ :
 الْعَدْلُ يَضَعُ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا ، وَالْجُودُ يُخْرِجُهَا مِنْ جِهَتِهَا ، وَالْعَدْلُ سَائِسٌ
 عَامٌّ ؛ وَالْجُودُ عَارِضٌ خَاصٌّ ، فَالْعَدْلُ أَشْرَفُهُمَا وَأَفْضَلُهُمَا .

الشرح :

هذا كلامٌ شريفٌ جليلٌ القدر ؛ فَضَّلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ الْعَدْلَ بِأَمْرَيْنِ :
 أَحَدُهُمَا أَنَّ الْعَدْلَ وَضَعَ الْأُمُورَ مَوَاضِعَهَا ، وَهَكَذَا الْعَدَالَةُ فِي الْإِصْطِلَاحِ الْحُكْمِيِّ ،
 لِأَنَّهَا الْمَرْتَبَةُ الْمُتَوَسِّطَةُ بَيْنَ طَرَفِي الْإِفْرَاطِ وَالتَّفْرِيطِ ، وَالْجُودُ يُخْرِجُ الْأَمْرَ عَنْ
 مَوْضِعِهِ ، وَالْمُرَادُ بِالْجُودِ هَاهُنَا هُوَ الْجُودُ الْعُرْفِيُّ ، وَهُوَ بَذْلُ الْمُقْتَنِيَّاتِ لِلْغَيْرِ ، لَا الْجُودَ
 الْحَقِيقِيَّ ، لِأَنَّ الْجُودَ الْحَقِيقِيَّ لَيْسَ يُخْرِجُ الْأَمْرَ عَنْ جِهَتِهِ ، نَحْوَ جُودِ الْبَارِي تَعَالَى .
 وَالْوَجْهُ الثَّانِي : أَنَّ الْعَدْلَ سَائِسٌ عَامٌّ فِي جَمِيعِ الْأُمُورِ الدُّنْيَوِيَّةِ وَالْدِّنْيَوِيَّةِ ، وَبِهِ نِظَامُ الْعَالَمِ
 وَقَوَامُ الْوُجُودِ ؛ وَأَمَّا الْجُودُ فَأَمْرٌ عَارِضٌ خَاصٌّ ، لَيْسَ عَمُومٌ نَفْعُهُ كَعَمُومِ نَفْعِ الْعَدْلِ .

(٤٤٤)

الأصل :

وقال عليه السلام :
النَّاسُ أَعْدَاءُ مَا جَهِلُوا .

الشرح :

هذه من ألفاظه الشريفة التي لا نظير لها ، وقد تقدّم ذكرها وذكر ما يناسبها .
وكان يقال : مَنْ جَهِلَ شَيْئًا عَادَاهُ .
وقال الشاعر :

جهلتَ أمراً فأبديتَ النكيرَ له والجاهلون لأهلِ العلمِ أعداءُ
وقيل لأفلاطون : لِمَ يُبْغِضُ الجاهلُ العالمَ ، ولا يُبْغِضُ العالمُ الجاهلُ ؟ فقال : لأنَّ
الجاهلَ يَسْتَشِيرُ النَّقْصَ في نَفْسِهِ ، ويظنُّ أنَّ العالمَ يَحْتَقِرُهُ ، وَيَزِدُّ رِيهَ فَيُبْغِضُهُ ، والعالمُ
لا نَقْصَ عنده ولا يَظُنُّ أنَّ الجاهلَ يَحْتَقِرُهُ ، فليس عنده سببٌ لُبْغِضِ الجاهلِ .

الأفضل :

وقال عليه السلام :

الزُّهْدُ كُلُّهُ بَيْنَ كَلِمَتَيْنِ مِنَ الْقُرْآنِ ؛ قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ : ﴿ لِكَيْلَا تَأْسَوْا عَلَى مَافَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا بِمَا آتَاكُمْ ﴾ ^(١) ، وَمَنْ لَمْ يَأْسَ عَلَى الْمَاضِي وَلَمْ يَفْرَحْ بِالْآتِي فَقَدْ أَخَذَ الزُّهْدَ بِطَرَفَيْهِ .

الشرح :

قد تقدّم القولُ في هذين المعنيين بما فيه كفاية .

الأضد :

وقال عليه السلام :

أَلْوَلَايَاتُ مَضَامِيرُ الرَّجَالِ .

البنخ :

أى تُعرف الرجال بها كما تُعرف الخيل بالمضمار ، وهو الموضع أو المدة التى تُضمر فيها الخيل ، فمن الولاية من يظهر منه أخلاق حميدة ، ومنهم من يظهر منه أخلاق ذميمة .
وقال الشاعر :

سَكَرَاتُ خَمْسٍ إِذَا مُنِيَ الْمَرْءُ بِهَا صَارَ عُرْضَةً لِلزَّمَانِ
سَكْرَةُ الْمَالِ وَالْحِدَاثَةِ وَالْعِشْرِ قِيسُ وَسْكَرِ الشَّرَابِ وَالسَّلْطَانِ

وقال آخر :

يَا بَنَ وَهْبٍ وَالْمَرْءُ فِي دَوْلَةِ السُّلْطَانِ طَائِفٌ أَعْمَى مَا دَامَ يُدْعَى أَمِيرًا
فَإِذَا زَالَتِ الْوَلَايَةُ عَنْهُ وَاسْتَوَى بِالرِّجَالِ عَادَ بَصِيرًا

وقال البحتري :

وَتَاهُ سَعِيدٌ أَنْ أُعِيرَ رِئَاسَةً وَقَدْ أَمْرًا كَانَ دُونَ رِجَالِهِ
وَضَاقَ عَلَى حَقِّ بَعْقَبِ اتِّسَاعِهِ فَأَوْسَعَتْهُ عِزًّا لِيَضِيقَ أَحْمَالِهِ
فَأَدْبَرَ عَنِّي عِنْدَ إِقْبَالِ حَظِّهِ وَغَيَّرَ حَالِي عِنْدَهُ حُسْنُ حَالِهِ
فَلَيْتَ أَبَا عُمَانَ أَمْسَكَ يَدَيْهِ كَمَا مَسَاكِهُ عِنْدَ الْحَقِيقِ بِمَالِهِ

الأضل :

وقال عليه السلام :

مَا أَنْقَضَ النَّوْمَ لِعَزَائِمِ الْيَوْمِ !

الشَّيْخُ :

هذه الكلمة قد سبقت ، وتكلمنا عليها ، وما أحسن قولَ المعرِّي :

مَا قَضَى الْحَاجَاتِ إِلَّا شَيْئًا نَوْمُهُ فَوْقَ فِرَاشٍ مِنْ نَمَالٍ ^(١)

وقال الرضّى رحمه الله :

عَلَيْهَا أَخَامِصُ مِثْلِ الصَّقُورِ طُوالَ الرِّجَاءِ جِسَامُ الْأَرْبِ

وَكُلَّ فَتًى حَظُّ أَجْفَانِهِ مِنْ النُّوْمِ مَضْمَضَةٌ يُسْتَلَبُ ^(٢)

فَبَيْنَا يُقَالُ كَرَى جَفْنُهُ يَقْطَعُ مِنَ اللَّيْلِ إِذْ قِيلَ هَبْ

(٢) يقال : مضمض النعاس في عينه ، إذا دب .

(١) الشمل : السريح

الأفضل :

وقال عليه السلام :

لَيْسَ بَلَدٌ بِأَحَقَّ بِكَ مِنْ بَلَدٍ ؛ خَيْرُ الْبِلَادِ مَا جَمَلَكَ .

الشَّيْخُ :

هذا المعنى قد قيل كثيراً ، ومن ذلك قول الشاعر :

لا يَصْدِفَنَّكَ عَنْ أَمْرٍ تُحَاوِلُهُ فِرَاقُ أَهْلِ وَأَحِبَابٍ وَجِيرَانٍ^(١)
تَلْقَى بِكُلِّ دِيَارٍ مَا حَلَّتْ بِهَا^(٢) أَهْلًا بِأَهْلٍ وَأَوْطَانًا بِأَوْطَانٍ

وقال شيخنا أبو جعفر يحيى بن أبي زيد نقيب البصرة :

أَنْسَيْتَنِي بِلَدِي وَأَرْضَ عَشِيرَتِي وَنَزَلْتُ مِنْ نِعْمَاكَ أَكْرَمَ مَنَزِلٍ
وَأَخَذْتُ فِيكَ مَدَائِحِي فَكَأَنِّي فِي فِي آلِ شَمَّاسٍ مَدَائِحُ جَرَوَلٍ
أَبُو عُبَادَةَ الْبُحْتَرِيِّ :

فِي نِعْمَةٍ أَوْطَنْتُهَا وَأَقَمْتُ فِي أَكْنَافِهَا فَكَأَنَّنِي فِي مَنَبِجٍ^(٣)

ومَنَبِجٌ ، هي مدينة البحتري .

أبو تمام :

كُلُّ شَيْعٍ كُنْتُمْ بِهِ آلَ وَهَبٍ فَهُوَ شَيْعِي وَشَيْعُ كُلِّ أَدِيبٍ^(٤)

(١) في د « فِرَاقِ رَجَع » والمعنى عليه يستقيم أيضاً (٢) في د « بلاد » وهو مستقيم أيضاً .

(٤) ديوانه ١ : ١٣١

(٣) ديوانه ١ : ١٠٣

إِنَّ قَلْبِي لَكُمْ لَكَالْكَبِدِ الْحَرَّى وَقَلْبِي لَفِيرُكُمْ كَالْقُلُوبِ
وقد ذهب كثيرٌ من الناس إلى غير هذا المذهب ، فعملوا بعض البلاد أحقَّ بالإنسان
من بعض ، وهو الوطن الأول ومسقط الرأس ، قال الشاعر :

أَحَبُّ بِلَادِ اللَّهِ مَا بَيْنَ مَنَعِ إِوْدِهِ مَا أَكْثَرُ بِحَابِهَا^(١)
بِلَادُهَا نِيْطَتْ عَلَى تَمَانِي وَأَوَّلُ أَرْضٍ مَسَّ جِلْدِي تَرَاهَا
وكان يقال : مَبِيلُكَ إِلَى مَوْلَدِكَ مِنْ كَرَمٍ يَحْتَدُكَ .

وقال ابنُ عَبَّاسٍ : لَوْ قَنَعَ النَّاسُ بِأَرْزَاقِهِمْ قَنَاعَتَهُمْ بِأَوْطَانِهِمْ ، لَمَا اشْتَكَى
أَحَدُ الرِّزْقِ .

وكان يقال : كَأَنَّ لِحَاضِنَتِكَ حَقَّ لَبْنِهَا فَلِأَرْضِكَ حُرْمَةٌ وَطَنِهَا .
وكانت العربُ تقول : حِمَاكَ أَحْمَى لَكَ ، وَأَهْلُكَ أَحْنَى بِكَ .
وقال الشاعر :

وَكُنَّا أَلْفِنَاهَا وَلَمْ تَكُ مَأْلَفًا وَقَدْ يُؤَلِّفُ الشَّيْءُ الَّذِي لَيْسَ بِالْحَسَنِ
كَاتُؤَلِّفُ الْأَرْضُ الَّتِي لَمْ يَطْبُ بِهَا هَوَاءٌ وَلَا مَاءٌ وَلَكِنهَا وَطَنٌ
أَعْرَابِيٌّ :

رَمْلَةٌ حَضَنْتَنِي أَحْسَاؤُهَا ، وَأَرْضَعَتَنِي أَحْسَاؤُهَا .
كانت العرب إذا سافرت حملت معها من تربة أرضها ما تستنشق ريحه ، وتطرحه
في الماء إذا شربته ، وكذلك كانت فلاسفةُ يونانَ تفعل .
وقال الشاعر في هذا المعنى :

نَسِيرُ عَلَى عِلْمٍ بِكُنْهٍ مَسِيرَنَا بَعْفَةً^(٢) زَادَ فِي بَطُونِ الزَّارِدِ

(١) معجم البلدان ٨ : ١٨٠ في ثلاثة أبيات نسبها إلى بعض الأعراب .

(٢) البقية : بقية اللبن في الضرع بعد أن يحلب أكثر ما فيه .

ولا بدّ في أسفارنا من قبيصةٍ من التّربّ نُسقاها حبّ الموالدي
وقالت الهند : حرمة بلدك عليك كحرمة أبويك ، كان غداؤك منهما وأنت جنين
وكان غداؤهما منك .

ومن الكلام القديم : لولا الوطنُ وحبهُ خربَ بلد السوء .
ابن الرومي :

وحبّ أوطان الرّجال إليهم ما ربّ قضاها الشبابُ هنالك
إذا ذكروا أوطانهم ذكّرتهم عهود الصّبا فيها فحنّوا لذلك

الأضل :

وقال عليه السلام وقد جاءه نعى الأشتر رحمه الله :
 مالك ، وما مالك ؟ والله لو كان جبلاً لكان فنداً ، أو كان حجراً لكان صلداً
 لا يرتقيه الحافر ، ولا يوفى عليه الطائر .
 وقال الرضى رحمه الله تعالى .
 والفند : المنفرد من الجبال .

الشيخ :

يقال : إن الرضى ختم كتاب نهج البلاغة بهذا الفصل ، وكتبت به نسخ متعددة
 ثم زاد عليه إلى أن وفى الزيادات التى نذكرها فيما بعد .
 وقد تقدم ذكر الأشر ، وإنما قال : لو كان جبلاً لكان فنداً ، لأن الفند قطعة الجبل
 طولا ، وليس الفند القطعة من الجبل كيفما كانت ، ولذلك قال : لا يرتقيه الحافر ، لأن
 القطعة المأخوذة من الجبل طولا فى دقة لا سبيل للحافر إلى صعودها ، ولو أخذت
 عرضاً لأمكن صعودها .

ثم وصف تلك القطعة بالعلو العظيم ، فقال : ولا يوفى عليه الطائر ، أى لا يصعد عليه ،
 يقال : أوفى فلان على الجبل : أشرف .

(٤٥٠)

الأفضل

وقال عليه السلام:

قَلِيلٌ مَدُومٌ عَلَيْهِ ، خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ مَمْلُوءٍ مِنْهُ .

الشرح :

هذا كلامٌ يُخاطَبُ به أهل العبادات والصلاة ، قال : قليلٌ من النوافل يدومُ المرءُ عليه خَيْرٌ له من كثير منها يَمَلُّه ويتركه .

والجيد النادر في هذا قولُ رسول الله صلى الله عليه وآله : إِنَّ هَذَا الدِّينَ مَتِينٌ ، يَفْأُوْغِلُ فِيهِ بَرِّقٌ ، فَإِنَّ الْمُنْبْتَ لَا أَرْضًا قَطَعَ وَلَا ظَهْرًا أَبْقَى .
وكان يقال : كلٌّ كثير مملول .

وقالوا : كلٌّ كثير عدوٌّ للطبيعة .

وقال الشاعر :

إِنِّي كَثُرْتُ عَلَيْهِ فِي زيارَتِهِ فَلَ وَالشَّيْءُ مَمْلُوءٌ إِذَا كَثُرَا
وَرَبَّنِي مِنْهُ أَنِّي لَا أَزَالُ أَرَى فِي طَرَفِهِ قِصْرًا . عَنِ إِذَا نَظَرَا

الأفضل :

وقال عليه السلام :

إذا كان في رجلِ خَلَّةٌ رَائِعَةٌ ، فانتظرُوا مِنْهُ أخواتِهَا .

البشرخ :

مثال ذلك إنسان مستور الحال عنا رأيناه وقد صدرت عنه حركة تروءك وتعجبك ؛ إما لحسنها أو لقبحها ، مثل أن يتصدق بشيء له وقع ومقدار من ماله ، أو ينكر منكرا عجز غيره عن إنكاره ، أو يسرق أو يزني ؛ فينبغي أن ينتظر ويترب من أخوات ما وقع منه ؛ وذلك لأن العقل والطبيعة التي فيه الحركة له إلى فعل تلك الحركة ، لا بد أن تحركه إلى فعل ما يناسبها ، لأنها مادعته إلى فعل تلك الحركة لخصوصية تلك الحركة ، بل لما فيها من المعنى المقتضى وقوعها ، وهذا يتعدى إلى غيرها مما يجانسها ، ولذلك لا ترى أحدا قد اطلعت من حاله يوما على أنه قد شرب الخمر إلا وسوف تطلع فيما بعد منه على أنه يشربها ، وبالعكس في الأمور الحسنة لا ترى أحدا قد صدر عنه فعل من أفعال الخير والمروءة إلا وستراه فيما بعد فاعلانظيره أو ما يقاربه وشتم بعض سفهاء البصرة الأحنف شتما قبيحا لحلم عنه ، فقيل له في ذلك ؛ فقال : دعوه فإنني قد قتلته بالحلم عنه ، وسيقتل نفسه بجرأته ؛ فلما كان بعد أيام جاء ذلك السفیه فشتم زيادا ؛ وهو أمير البصرة حينئذ ، وظن أنه كالأحنف ، فأمر به فقطعت لسانه ويده .

الأفضل :

وقال عليه السلام لِفَالِبِ بْنِ صَعَصَعَةَ أَبِي الْفَرَزْدَقِ فِي كَلَامِ دَارَ بَيْنَهُمَا :
 مَا فَعَلْتَ إِبْلُكَ الْكَثِيرَةَ ؟ قَالَ : ذَعَذَعْتُهَا الْحُقُوقُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ . فَقَالَ عَلَيْهِ
 السَّلَامُ : ذَلِكَ أَحْمَدُ سُبُلِهَا .

الْبَزْخ :

ذَعَذَعْتُهَا بِالذَّالِ الْمَعْجَمَةِ مَكْرَرَةً فَرَّقْتُهَا ، ذَعَذَعْتُهُ فَتَذَعَذَعَ ، وَذَعَذَعَةُ السَّرِّ : إِذَاعَتُهُ .
 وَالذَّعَاذِعُ : الْفِرَاقُ الْمَتَفَرِّقَةُ ، الْوَاحِدَةُ ذَعَذَعَةً ، وَرَبَّمَا قَالُوا : تَفَرَّقُوا ذَعَاذِعَ .

دَخَلَ غَالِبُ بْنُ صَعَصَعَةَ بْنِ نَاجِيَةَ بْنِ عَقَالِ بْنِ الْمُجَاشِعِيِّ عَلَى أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ
 أَيَّامَ خِلَافَتِهِ ، وَغَالِبُ شَيْخٌ كَبِيرٌ ، وَمَعَهُ ابْنُهُ هَمَامُ الْفَرَزْدَقِ وَهُوَ غَلَامٌ يَوْمِئِذٍ ، فَقَالَ لَهُ
 أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : مَنْ الشَّيْخُ ؟ قَالَ : أَنَا غَالِبُ بْنُ صَعَصَعَةَ ؛ قَالَ : ذُو الْإِبِلِ
 الْكَثِيرَةِ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، قَالَ : مَا فَعَلْتَ إِبْلُكَ ؟ قَالَ : ذَعَذَعْتُهَا الْحُقُوقَ ، وَأَذْهَبْتُهَا الْحِمَالَاتِ
 وَالنَّوَائِبِ ؛ قَالَ : ذَاكَ أَحْمَدُ سُبُلِهَا ؛ مَنْ هَذَا الْغَلَامُ مَعَكَ ؟ قَالَ : هَذَا ابْنِي ، قَالَ :
 مَا أَسْمُهُ ؟ قَالَ هَمَامُ ؛ وَقَدْ رَوَيْتُهُ الشُّعْرَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ وَكَلَامَ الْعَرَبِ ، وَيُوشِكُ أَنْ يَكُونَ
 شَاعِرًا مُجِيدًا ؛ فَقَالَ : لَوْ أَقْرَأْتَهُ ^(١) الْقُرْآنَ فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ ؛ فَكَانَ الْفَرَزْدَقُ بَعْدُ يَرَوِي
 هَذَا الْحَدِيثَ وَيَقُولُ : مَا زِلْتُ كَلَّمْتُهُ فِي نَفْسِي حَتَّى قَيَّدَ نَفْسَهُ بِقَيْدٍ ، وَآلَى إِلَّا يَفْكُهُ
 حَتَّى يَحْفَظَ الْقُرْآنَ ، فَمَا فْكُهُ حَتَّى حَفِظَهُ .

(١) فِي د « أَقْرَأْتَهُ » وَالْمَعْنَى عَلَيْهِ يَسْتَقِيمُ أَيْضًا .

الأصل :

وقال عليه السلام :

مَنِ اتَّجَرَ بِغَيْرِ فَقِهِ فَقَدْ ارْتَطَمَ فِي الرَّبَا .

الشرح :

يقول : تجرأ فلانٌ واتجر فهو تاجر ، والجمع تجر ، مثل صاحب وصحب ، والتجارة والتجر بمعنى واحد ؛ إذا أخذتهما مصدرين « تجر » ، وأرض متجرةٌ يُتجر فيها .

وارتطم فلانٌ في الوحل والأمر إذا ارتبك فيه ولم يقدر على الخروج منه ، وإنما قال عليه السلام ذلك لأن مسائل الربا مُشْتَبِهَةٌ بمسائل البيع ، ولا يفرق بينهما إلا الفقيه حتى إن العُظماء من الفقهاء قد اشتبه عليهم الأمرُ فيها فاختلفوا فيها أشدَّ اختلاف ؛ كبَيْع لحم البقر بالغنم متفاضلا ، هل يجوز أم لا ؟ وكذلك لبن البقر بلبن الغنم ، وجلود البقر بجلود الغنم ، فقال أبو حنيفة : اللحوم والألبان والجلودُ أجناسٌ مختلفة ، فيجوز بيع بعضها ببعض متفاضلا ، نظرا إلى أن أصولها أجناسٌ مختلفة ، والشافعي لا يُجيز ذلك ويقول : هو رباٌ ، وكذلك القول في مُدَى عَجْوَةٍ ودرهم بمُدَّ عَجْوَةٍ . وكذلك يَبِيع الرطب بالتمر متساوياً كيلا ، كل ذلك يقول الشافعي : إنه رباٌ ، وأبو حنيفة يُخْرِجه عن كونه رباٌ ، ومسائلُ هذا الباب كثيرة .

الأضل :

وقال عليه السلام .

مَنْ عَظَّمَ صِغَارَ الْمَصَائِبِ ؛ ابْتَلَاهُ اللَّهُ بِكِبَارِهَا .

الْبُخ :

إِنَّمَا كَانَ كَذَلِكَ لِأَنَّهُ يَشْكُو اللَّهُ وَيَتَسَخَّطُ قِضَاءَهُ ، وَيَجُحِدُ النِّعْمَةَ فِي التَّخْفِيفِ عَنْهُ ، وَيَدَّعَى فِيهَا لَيْسَ بِمُجْحِفٍ بِهِ مِنْ حَوَادِثِ الدَّهْرِ أَنَّهُ مُجْحِفٌ ، وَيَتَأَلَّمُ بَيْنَ النَّاسِ ؛ لِذَلِكَ أَكْثَرُ مَا تَقْتَضِيهِ نَكْبَتُهُ ، وَمَنْ فَعَلَ ذَلِكَ اسْتَوْجَبَ السُّخْطَ مِنْ اللَّهِ تَعَالَى ، وَابْتُلِيَ بِالْكَثِيرِ مِنَ النَّكْبَةِ ، وَإِنَّمَا الْوَاجِبُ عَلَى مَنْ وَقَعَ فِي أَمْرٍ يَشُقُّ عَلَيْهِ ، وَيَتَأَلَّمُ مِنْهُ وَيَنَالُ مِنْ نَفْسِهِ ، أَوْ مِنْ مَالِهِ تَنِيلاً مَا ، أَنْ يَحْمَدَ اللَّهُ تَعَالَى عَلَى ذَلِكَ ، وَيَقُولَ : لَعَلَّهُ قَدْ دَفَعَ بِهَذَا عَنِّي مَا هُوَ أَعْظَمُ مِنْهُ ، وَلَئِنْ كَانَ قَدْ ذَهَبَ مِنْ مَالِي جُزْءٌ فَلَقَدْ بَقِيَ أَجْزَاءٌ كَثِيرَةٌ .

وقال عروة بن الزبير لما وَقَعَتِ الْأَكْلَةُ فِي رِجْلِهِ فَقَطَعَهَا وَمَاتَ ابْنُهُ : اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَخَذْتَ عُضْوًا وَتَرَكْتَ أَعْضَاءَ ، وَأَخَذْتَ ابْنًا وَتَرَكْتَ أَبْنَاءَ ، فَلْيَهْنِكْ ؛ لَئِنْ كُنْتَ أَخَذْتَ لَقَدْ أَبْقَيْتَ ، وَلَئِنْ كُنْتَ ابْتَلَيْتَ لَقَدْ عَافَيْتَ .

الأضل :

وقال عليه السلام :

مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ ، هَانَتْ عَلَيْهِ شَهْوَتُهُ .

الشرح :

قد تقدم مثل هذا المعنى مراراً ، ومن الكلام المشهور بين العامة : قَبِّحَ اللهُ أَمْرًا تَغْلِبُ شَهْوَتُهُ عَلَى نَخْوَتِهِ .

والجيد النادر في هذا قول الشاعر :

فَإِنَّكَ إِنْ أُعْطِيتَ بَطْنَكَ سُوءُهُ وَفَرَجَكَ نَالًا مُنْتَهَى الذَّمِّ أَجْمَعًا^(١)

(٤٥٦)

الأضلُ :

وقالَ عليه السلامُ .

مَمْزَحَ امْرُؤٌ مَرْحَةً ، إِلَّا مَحَجَّ مِنْ عَقْلِهِ مَجَّةً .

البُزْحُ :

قد تقدّم القولُ في المزاح .

وكان يقال : خَيْرُ المِزَاحِ لَا يُنَالُ ، وَشَرُّهُ لَا يُسْتَقَالُ .

وقيل : إِنَّمَا سُمِّيَ المِزَاحُ مِزَاحًا لِأَنَّهُ أَزِيحٌ عَنِ الحَقِّ .

الأفضل :

وقال عليه السلام :

زُهِدْكَ فِي رَاغِبٍ فِيكَ نُقْصَانُ حَظِّ ، وَرَغْبَتُكَ فِي زَاهِدٍ فِيكَ ذُلُّ نَفْسٍ .

الشرح :

أى نقصانُ حظِّ لك ، وذلك لأنه ليس من حقِّ مَنْ رَغِبَ فِيكَ أَنْ تَزْهَدَ فِيهِ
لأنَّ الإحسان لا يُكَافَأُ بالإساءة ، وللقصد حُرْمَةٌ ، وللآمل ذِمَامٌ ، ومن طَلَبَ مودَّتَكَ
فقد قَصَدَكَ ، وأَمَلَكَ ، فلا يجوزُ رفضُهُ واطِّراحُهُ والزَّهْدُ فِيهِ وإذا زَهِدْتَ فِيهِ
فذلك لنُقْصَانِ حَظِّكَ لا لنُقْصَانِ حَظِّهِ ، فأَمَّا رَغْبَتُكَ فِي زَاهِدٍ فِيكَ فذلَّةٌ ، لأنَّكَ
تطرح نفسك لمن لا يعبأ بك ، وهذا ذُلٌّ وصغار .

وقال العباسُ بنُ الأحنفِ في نسيبه ، وكان جيّدَ النَّسِيبِ :

مازلتُ أزهّدُ في مودّةِ راغِبٍ حتّى ابتليتُ برَغْبَةٍ في زَاهِدٍ

هذا هو الداءُ الذى ضاقت به حِيلُ الطَّيِّبِ وطالَ يأسُ العائِدِ

أى مازلتُ عزيزاً حتّى أدلّنى الحبُّ :

الأصل :

وقال عليه السلام :

مَازَالَ الزُّيَيْرُ رَجُلًا مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ حَتَّى نَشَأَ ابْنُهُ الْمَشْتُومُ عَبْدُ اللَّهِ .

الشرح :

ذكر هذا الكلام أبو عمر بن عبد البر في كتاب " الاستيعاب " عن أمير المؤمنين عليه السلام في عبد الله بن الزبير، إلا أنه لم يذكر لفظة المشتوم .

[عبد الله بن الزبير وذكر طرف من أخباره]

ونحن نذكر ما ذكره ابن عبد البر في ترجمة عبد الله بن الزبير ، فإن هذا المصنف يذكر مجمل أحوال الرجل دون تفاصيلها ، ثم ذكر تفصيل أحواله من مواضع أخرى .

قال أبو عمر رحمه الله : يُكْنَى ^(١) عبدُ الله بن الزبير أبا بكر ، وقال بعضهم : أبا بكير ، ذكر ذلك أبو أحمد الحاكم الحافظ في كتابه في الكنى . والجمهور من أهل السير وأهل الأثر على أن كنيته أبو بكر ، وله كنية أخرى أبو خبيب بابنه خبيب

وكان أسنّ ولدّه ، وخبيب هو صاحبُ عمر بن عبد العزيز الذي مات من ضربِه
إذ كان والياً على المدينة للوليد ، وكان الوليدُ أمره بضربه فمات من أذية ذلك فوداه
عمرُ بعدُ .

قال أبو عمر : ^(١) وسمّاه رسول الله صلى الله عليه وآله باسم جدّه ، وكنّاه بكنية
جدّه عبد الله أبي بكر ^(٢) ، وهاجرت أمّه أسماء من مكّة إلى المدينة وهي حاملٌ به ،
فولدتَه في سنة اثنتين من الهجرة لعشرين شهراً من التاريخ ، وقيل : وُلد في السنة
الأولى ، وهو أوّل مولود ولد في الإسلام من المهاجرين بعد الهجرة .

وروى هشامُ بنُ عروة عن أسماء قالت : حملتُ بعبدِ الله بمكّة ، فخرجتُ وأنا ميمٌ ^(٣)
فاتيتُ المدينة فنزلتُ بقاءً ، فولدتَه بقاءً ، ثم أتيتُ رسولَ الله صلى الله عليه وآله فوضعتُه
في حجره ، فدعا بتمرّة فقصّنها ثم تفلّ في فيه ، فكان أوّل شيءٍ دَخَلَ جوفه ريقُ
رسولِ الله صلى الله عليه وآله ، ثم حنّكه بالتمرّة ، ثم دعا له وبارك عليه وهو
أوّل مولود وُلد في الإسلام للمهاجرين بالمدينة ، قال : فقرحوا به فرحاً شديداً ، وذلك أنهم
قد كان قيل لهم : إن اليهود قد سحرّوكم فلا يؤلّد لكم .

قال أبو عمر : وشهد عبدُ الله الجمل مع أبيه وخالته ، وكان شهما ذكراً ذا
أنفّة ، وكان له لسنٌ وقصاحة ، وكان أطلسَ لحيّة له ولا شعرَ في وجهه ، وكان
كثيرَ الصلّة ، كثيرَ الصيام ، شديدَ البأس ، كريمَ الجدّات والأُمّهات والخالات ،
إلا أنه كان فيه خلال لا يصلحُ معها للخلافة ، فإنه كان بخيلاً ضيقَ العطن سقيء الخلق
حسوداً ، كثيرَ الخلاف ، أخرجَ محمدُ بنُ الحنفية من مكّة والمدينة ، ونفى عبدَ الله
ابنَ عباس إلى الطائف .

(١-١) عبارة الاستيعاب : « كنّاه رسول الله صلى الله عليه وسلم باسم جدّه أبي أمّه أبي بكر الصديق ،
(٢) التّم : التي اكتملت مدة حملها .
وسماه باسمه » .

وقال على عليه السلام في أمره : ما زال الزبير يُعَدُّ منّا أهل البيت حتّى نشأ ابنه عبدُ الله . قال أبو عمر : وبُوع له بالخلافة سنة أربع وستين في قول أبي معشر .
وقال المدائني : بُوع له بالخلافة سنة خمس وستين .

وكان قبل ذلك لا يدعى باسم الخلافة ، وكانت بيعته بعد موت معاوية بن يزيد ابن معاوية ، على طاعته أهل الحجاز واليمن والعراق وخراسان ، وحجّ بالناس ثماني حجّ ، وقتل في أيام عبد الملك بن مروان يوم الثلاثاء لثلاث عشرة بقين من جمادى الأولى ؛ وقيل : من جمادى الآخرة سنة ثلاث وسبعين ، وهو ابن اثنتين وسبعين سنة ؛ وصاب بمكة بعد قتله ، وكان الحجاج قد ابتدأ بحصاره من أوّل ليلة من ذى الحجة سنة اثنتين وسبعين ، وحجّ الحجاج بالناس في ذلك العام ، ووقف بعرفة وعليه درع ومغفر ، ولم يطوفوا بالبيت في تلك السنة ، فحاصره ستة أشهر وسبعة عشر يوما إلى أن قتله .

قال أبو عمر : فرّوى هشام بن عروة عن أبيه ، قال : لما كان قبل قتل عبد الله بعشرة أيام دخل على أمّه أسماء بنت أبي بكر وهي شاكية ، فقال : كيف تجدِ بَنَك يا أمّه ؟ قالت : ما أُجِدُّني إلّا شاكية ، فقال لها : إنّ في الموت لراحة ؛ فقالت : لعلّك تمنّيته لي ، وما أحبُّ أن أموت حتّى يأتى على إحدى حالتَيْك ، إمّا قُتِلت فأحتسبك ، وإمّا ظفرت بعدوك فقررت عيني .

قال عروة : فالتفت عبدُ الله إلى وضّحك ، فلما كان اليوم الذي قُتل فيه دخل عليها في المسجد ، فقالت : يا بُنَيّ لا تقبل منهم خُطة تخاف فيها على نفسك الذلّ [مخافة القتل]^(١) ؛ فوالله لضربة سيفٍ في عزٍّ خيرٌ من ضربة سوطٍ في مذلّة ، قال : فخرج

عبدُ الله وقد نُصِبَ له مِصْرَاعٌ عند الكعبة ، فكان يكون تحته ، فأتاه رجلٌ من قريش فقال له : ألا نفتح لك بابَ الكعبة فتدخلها ؟ فقال : والله لو وجدوكم تحت أستارِ الكعبة لقتلوكم عن آخركم ، وهل حُرمةُ البيتِ إلا كحرمة الحرم ، ثم أنشد :

ولستُ بمبتاعِ الحياةِ بسبِّةٍ ولا مُرتقٍ من خشيةِ الموتِ سلماً

ثم شَدَّ عليه أصحابُ الحجاج ، فسأل عنهم ، فقيل : هؤلاء أهلُ مصر ، فقال لأصحابه : اكسروا أَعْمَادَ سِوْفِكُمْ ، واحملوا معي ، فإنتي في الرِّعيلِ الأول ، ففعلوا ، ثم حَمَلَ عليهم وحملوا عليه ، فكان يضرب بسيفين ، فلَحِقَ رجلاً فصرَّه فقطع يده ، وانهزموا وجعل يضربهم حتى أخرجهم من باب المسجد ، وجعل رجلٌ منهم أسودَ يسبه ، فقال له : اصبر يا بنِ حام ، ثم حمل عليه فصرَّعه ، ثم دخل عليه أهلُ حِمْص من باب بني شَيْبَةَ فسأل عنهم ، فقيل : هؤلاء أهلُ حِمْص ، فشَدَّ عليهم وجعل يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من المسجد ، ثم انصرف وهو يقول :

لو كان قِرْنِي واحداً أَرْدَيْتُهُ أوردته الموتَ وقد ذَكَّيْتُهُ

ثم دخل عليه أهلُ الأَرْدُنِّ من باب آخر ، فقال : مَنْ هؤلاء ؟ قيل : أهلُ الأَرْدُنِّ ، فجعل يضربهم بسيفه حتى أخرجهم من المسجد ، ثم انصرف وهو يقول :

لا عهد لي بغارةٍ مثلِ السَّيْلِ لا يَنْجَلِي قَتَامُهَا حَتَّى اللَّيْلِ

فأقبل عليه حَجَرٌ من ناحية الصَّفا فأصابه بين عَيْنَيْهِ ، فنكس رأسه وهو يقول :

ولسنا على الأعقاب تَدَمَّى كُلُّوْمُنَا ولكن على أَفْدَامِنَا تَقَطَّرُ الدِّمَاءُ^(١)

أَنشَدَهُ مَتَمَثِّلًا ، وَحَمَاهُ مَوْلِيَانُ لَهُ ، فَكَانَ أَحَدُهُمَا يَرْتَجِزُ فَيَقُولُ :

* الْعَبْدُ يَحْمِي رَبَّهُ وَيَحْتَمِي *

قال : ثُمَّ اجْتَمَعُوا عَلَيْهِ ، فَلَمْ يَزَالُوا يَضْرِبُونَهُ وَيَضْرِبُهُمْ حَتَّى قَتَلُوهُ وَمَوْلِيَيْهِ جَمِيعًا ، فَلَمَّا قُتِلَ كَبُرَ أَهْلُ الشَّامِ ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو : الْمَكْبُرُونَ يَوْمَ وَلَدَ خَيْرٌ مِنَ الْمَكْبُرِينَ يَوْمَ قُتِلَ .

قال أبو عمر : وَقَالَ يَعْلَى بْنُ حَرْمَلَةَ : دَخَلْتُ مَكَّةَ بَعْدَ مَا قُتِلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْبِرِ بِثَلَاثَةِ أَيَّامٍ ، فَإِذَا هُوَ مَصْلُوبٌ ، فَجَاءَتْ أُمُّهُ أَسْمَاءُ ، وَكَانَتْ امْرَأَةً عَجُوزًا طَوِيلَةَ مَكْفُوفَةٍ الْبَصَرِ تَقَادُ ، فَقَالَتْ لِلْحَجَّاجِ : أَمَا أَنْ لِهَذَا الرَّاكِبِ أَنْ يَنْزِلَ ؟ فَقَالَ لَهَا : الْمُنَافِقُ ؟! قَالَتْ : وَاللَّهِ مَا كَانَ مُنَافِقًا ، وَلَكِنَّهُ كَانَ صَوَامًا قَوَامًا بَرًّا ؛ قَالَ : انْصَرَفِي فَإِنَّكَ عَجُوزٌ قَدْ خَرَفَتْ . قَالَتْ : لَا وَاللَّهِ مَا خَرَفْتُ ، وَإِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ : « يَخْرُجُ مِنْ ثَقِيفٍ كَذَّابٌ وَمُبِيرٌ ^(١) » ، أَمَا الْكَذَّابُ فَقَدْ رَأَيْتَهُ - تَعْنِي الْخُتَارَ - وَأَمَا الْمُبِيرُ فَأَنْتِ .

قال أبو عمر : وَرَوَى سَعِيدُ بْنُ عَامِرٍ الْخُرَّازِيُّ عَنْ ابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ ، قَالَ : كُنْتُ الْآذِنَ لِمَنْ بَشَّرَ أَسْمَاءَ بِنَزُولِ ابْنِهَا عَبْدِ اللَّهِ مِنَ الْخَشْبَةِ ، فَدَعَتْ بِمَرْكَنٍ ^(٢) وَشَبَّ يَمَانٍ ، فَأَمَرْتَنِي بِفَسْلِهِ ، فَكُنَّا لَا نَتَنَاوَلُ مِنْهُ عَضْوًا إِلَّا جَاءَ مَعَنَا ، فَكُنَّا نَفْسِلُ الْعَضْوَ وَنَدْعُهُ فِي أَكْفَانِهِ وَنَتَنَاوَلُ الْعَضْوَ الَّذِي يَلِيهِ فَنَفْسِلُهُ ، ثُمَّ نَضَعُهُ فِي أَكْفَانِهِ ، حَتَّى فَرَّغْنَا مِنْهُ ، ثُمَّ قَامَتْ فَصَلَّتْ عَلَيْهِ ، وَقَدْ كَانَتْ تَقُولُ : اللَّهُمَّ لَا تَمَتِّنِي حَتَّى تَقَرَّ عَيْنِي بِجَسَدِهِ ، فَلَمَّا دَفَنَتْهُ لَمْ يَأْتْ عَلَيْهَا جَمْعَةٌ حَتَّى مَاتَتْ .

قال أبو عمر : وَقَدْ كَانَ عُروَةُ بْنُ الزَّيْبِرِ رَحَلَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَرَغِبَ إِلَيْهِ فِي إِنْزَالِ عَبْدِ اللَّهِ مِنَ الْخَشْبَةِ ، فَأَسْعَفَهُ بِذَلِكَ ، فَأَنْزَلَ .

قال أبو عمر : وقال علي بن مجاهد : قُتل مع ابن الزبير مائتان وأربعون رجلاً ، إنَّ منهم لَمَنْ سألَ دمه في جوف الكعبة .

قال أبو عمر : وروى عيسى عن أبي القاسم ، عن مالك بن أنس ، قال : كان ابن الزبير أفضل من مروان وأولى بالأمر منه ومن أبيه ، قال وقد روى علي بن المدائني ، عن سُفيان بن عُيينة ، أن عامر بن عبد الله بن الزبير مكث بعد قتل أبيه حَوْلاً لا يسأل الله لنفسه شيئاً إلا الدعاء لأبيه .

قال أبو عمر : وروى إسماعيل بن عليّة ، عن أبي سُفيان بن العلاء ، عن ابن أبي عتيق ، قال : قالت عائشة : إذا مرَّ ابنُ عمرَ فأرونيهِ ، فلما مرَّ قالوا : هذا ابنُ عمرَ فقالت : يا أبا عبد الرحمن ، ما منَعَكَ أن تنهاني عن مسيرى ؟ قال : رأيتُ رجلاً قد غلبَ عليك ، ورأيتُكَ لا تُخالفينه - يعني عبد الله بن الزبير - فقالت : أما إنك لو نهيتني ما خرجتُ .

فأما الزبير بن بكار فإنه ذكر في كتاب " أنساب قریش " من أخبار عبد الله وأحواله جملة طويلة نحن نختصرها ، ونذكر اللباب منها ، مع أنه قد أظنبت في ذكر فضائله والثناء عليه ، وهو معذورٌ في ذلك ، فإنه لا يلامُ الرجلُ على حُبِّ قومه ، والزبير بن بكار أحدُ أولاد عبد الله بن الزبير ، فهو أحقُّ بتقريضه وتأيينه .

قال الزبير بن بكار : أمّه أسماءُ ذاتُ النِّطَاقين ابنةُ أبي بكر الصّدِّيق ، وإنما سُمِّيت ذاتُ النِّطَاقين لأنَّ رسول الله صلى الله عليه وآله لما تَجَمَّعَ مهاجراً إلى المدينة ومعه أبو بكر ، لم يكن لسفرتيهما شِناق^(١) ؛ فشَقَّتْ أسماءُ نِطَاقَها فشَنَقَتْها به ، فقال لها رسول الله

(١) الشناق : الحبل .

صلى الله عليه وآله : قد أبدلك الله تعالى بنطاقك هذا نطاقين في الجنة ، فسميت ذات النطاقين . قال : وقد روى محمد بن الضحاك : عن أبيه أن أهل الشام كانوا وهم يُقاتلون عبد الله بمكة يصيحون : يا بن ذات النطاقين ، يظنونه عيباً ، فيقول ابنها : والاله ، ثم يقول : إني وإياكم لكما قال بو ذؤيب :

وعـيـرنـي الـواشـون أنـي أحـبـها وتلك شكاة ظاهر عنك عارها^(١)

فإن اعتذر عنها فإنني مكذب وإن تعذر يردد عليك اعتذارها ثم يقبل على ابن أبي عتيق - وهو عبد الله بن محمد بن عبد الرحمن بن أبي بكر - فيقول : ألا تسمع يا بن أبي عتيق !

قال الزبير : وزعموا أن عبد الله بن الزبير لما ولد أتى به رسول الله صلى الله عليه وآله ، فنظر في وجهه وقال : « أهو هو ؟ ليمنعن البيت أو ليموتن دونه » . وقال العقيلي في ذلك :

برئ تبين ما قال الرسول له وذو صلاة بضاحي وجهه علم^(٢)

حامة من حام البيت قاطنة لا تتبع الناس إن جاروا وإن ظالموا قال : وقد روى نافع بن ثابت ، عن محمد بن كعب القرظي ، أن رسول الله صلى الله عليه وآله دخل على أسماء حين ولد عبد الله فقال : أهو هو فتركت أسماء رضاعه ، فقيل لرسول الله صلى الله عليه وآله : إن أسماء تركت رضاع عبد الله لما سمعت كلمتك ، فقال لها : « أرضعيه ولو بماء عيئك ، كبش بين ذئاب عليها ثياب ، ليمنعن الحرم أو ليموتن دونه » .

قال : وحدثني عمي مصعب بن عبد الله ، قال : كان عبد الله بن الزبير يقول : هاجرت بي أمي في بطنها ، فما أصابها شيء من نصب أو مخمصة^(٣) إلا وقد أصابني .

(١) ديوان المهذلين ١ : ٢١ ، قال : ظاهر عنك ، أي لا يعلق بك ، أي يظهر عنك وينبو

(٢) رواه « د » « يزيني ذكر ما قال الرسول له (٣) الخمصة : الجوع .

قال: وقالت عائشة: يا رسول الله، ألا تكينيني؟ فقال: تكيني بأسم ابن أخيك عبد الله، فكانت تكني أم عبد الله.

قال: وروى هند بن القاسم، عن عامر بن عبد الله بن الزبير، عن أبيه، قال: احتجهم رسول الله صلى الله عليه وآله، ثم دفع إلى دمه، فقال: اذهب به فواره حيث لا يراه أحد، فذهبت به فشربته، فلما رجعت قال: ما صنعت؟ قالت: جعلته في مكان أظن أنه أخفى مكان عن النمل، فقال: فلعلك شربته؟ قلت: نعم.

قال: وقال وهب بن كيسان: أول من صف رجليه في الصلاة عبد الله بن الزبير فاقتدى به كثير من العباد، وكان مجتهدا.

قال: وخطب الحجاج بعد قتله رجلة^(١) بنت منظور بن زبآن بن سيار الفزارية، وهي أم هاشم بن عبد الله بن الزبير، فقلعت ثنيتها وردته، وقالت: ماذا يريد إلى ذلفاء شكلي حررى! وقالت:

أبعد عائد بيت الله تخطبني جهلاً جهلت وغيب الجهل مذموم
فاذهب إليك فإني غير ناكحة بعد ابن أسماء ما استن الدياميم
من يجعل العير مصفراً جحافله مثل الجواد وفضل الله مقسوم!

قال: وحدثني عبد الملك بن عبد العزيز، عن خاله يوسف بن الماجشون، قال: قسم عبد الله بن الزبير الدهر على ثلاث ليال: فليلة هو قائم حتى الصباح، وليلة هو راكع حتى الصباح، وليلة هو ساجد حتى الصباح.

قال: وحدثنا سليمان بن حرب بإسناد ذكره ورفعته إلى مسلم المكي، قال: رَكِع عبد الله بن الزبير يوماً ركعة، فقرأت البقرة وآل عمران والنساء والمائدة، ومارفَع رأسه.

(١) ضبط في «رجلة».

قال : وقد حَدَّثَ من لا أَحْصِيهِ كَثْرَةً من أَصْحَابِنَا : أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ كَانَ يُوَاصِلُ الصَّوْمَ سَبْعًا ، يَصُومُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ فَلَا يُفْطِرُ إِلَّا يَوْمَ الْجُمُعَةِ الْآخِرِ ، وَيَصُومُ بِالْمَدِينَةِ فَلَا يُفْطِرُ إِلَّا بِمَكَّةَ ، وَيَصُومُ بِمَكَّةَ فَلَا يُفْطِرُ إِلَّا بِالْمَدِينَةِ .

قال : وقال عبد الملك بن عبد العزيز : وكان أول ما يُفْطِرُ عَلَيْهِ إِذَا أَفْطَرَ لَبَنَ لَقْحةَ بَسْمَنَ بَقَرٍ ، قال الزبير : وزادَ غَيْرُهُ : وَصَبِرَ .

قال : وَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَيْسَى بِإِسْنَادٍ رَفَعَهُ إِلَى عُرْوَةَ بْنِ الزَّيْبِرِ ، قَالَ : لَمْ يَكُنْ أَحَدٌ أَحَبَّ إِلَيَّ عَائِشَةَ بَعْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَبَعْدَ أَبِي بَكْرٍ مِنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ .

قال : وَحَدَّثَنِي يَعْقُوبُ بْنُ مُحَمَّدٍ بِإِسْنَادٍ يَرْفَعُهُ إِلَى عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْقَاسِمِ ، عَنْ أَبِيهِ قَالَ : مَا كَانَ أَحَدٌ أَعْلَمَ بِالْمَنَاسِكِ مِنْ ابْنِ الزَّيْبِرِ .

قال : وَحَدَّثَنِي مُصْعَبُ بْنُ عُثْمَانَ ، قَالَ : أَوْصَتْ عَائِشَةُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ وَأَوْصَى إِلَيْهِ حَكِيمُ بْنُ حِزَامٍ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَامِرٍ بْنُ كُرَيْزٍ وَالْأَسْوَدُ بْنُ أَبِي الْبَخْتَرِيِّ وَشَيْبَةُ بْنُ عُثْمَانَ وَالْأَسْوَدُ بْنُ عَوْفٍ .

قال الزبير : وَحَدَّثَ عُمَرُ بْنُ قَيْسٍ ، عَنْ أُمِّهِ قَالَتْ : دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ بَيْتَهُ ، فَإِذَا هُوَ قَائِمٌ يَصَلِّي ، فَسَقَطَتْ حَيَّةٌ مِنَ الْبَيْتِ عَلَى ابْنِهِ هَاشِمٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ فَتَطَوَّقَتْ^(١) عَلَى بَطْنِهِ وَهُوَ نَائِمٌ ، فَصَاحَ أَهْلُ الْبَيْتِ : الْحَيَّةُ الْحَيَّةُ ، وَلَمْ يَزَالُوا بِهَا حَتَّى قَتَلُوهَا وَعَبْدُ اللَّهِ قَائِمٌ يَصَلِّي مَا لَتَفَتْ وَلَا عَجَلَ ، ثُمَّ فَرَّغَ مِنْ صَلَاتِهِ بَعْدَ مَا قَتَلَتِ الْحَيَّةُ فَقَالَ : مَا بِالْكَمِّ ؟ فَقَالَتْ أُمُّ هَاشِمٍ : إِي رَحِمَكَ اللَّهُ ، أَرَأَيْتَ إِنْ كُنَّا هُنَا عَلَيْكَ أَيُّهُنَّ عَلَيْكَ ابْنُكَ ! قَالَ : وَيُنْحَكَ ! وَمَا كَانَتِ التِّفَافَةُ لَوْ أَلْتَفَّتْهَا مُنْقِبَةً مِنْ صَلَاتِي .

(١) في د « فتطوت » والمعنى عليه يستقيم .

قال الزبير : وعبدُ الله أولُ من كسا الكعبةَ الديباجَ ، وإن كان ليطيبها حتى يجدَ ريحها من دَخَلِ الحَرَمِ . قال : ولم تكن كِسوةُ الكعبة من قبله إلا المسوح ^(١) والأنطاع ، فلما جرّد المهدى بنُ المنصور الكعبةَ ، كان فيما نَزَعَ عنها كِسوة من ديباج مكتوب عليها : لعبد الله أبي بكر أمير المؤمنين . قال : وحدثني يحيى بنُ معين بإسناد رَفَعَهُ إلى هشام بن عروة ، أن عبدَ الله بنَ الزبير أخذ من بين القتلى يومَ الجمل وبه بَضْعٌ وأربعون طَعْنَةً وضربة . قال الزبير : واعتلت عائشةُ مرّةً ، فدخل عليها بنو أُختِها أسماء : عبدُ الله وعروة والنذر ، قال عروة : فسألناها عن حالها ، فشكتُ إلينا نهكةً من عِلَّتِها فعرّّاها عبدُ الله عن ذلك ، فأجابته بنحو قولها ، فعادَ لها بالكلام ، فعادت له بالجواب ، فصمتَ وبكى ، قال عروة : فما رأينا متحاورين من خلقِ الله أبلغَ منهما قال : ثم رفعت رأسها تنظر إلى وجهه ، فأبهتت لبكائه ، فبكت ثم قالت : ما أحقني منك يا بُنَيَّ ، ما أرى . فما أعلم بعدَ رسولِ الله صَلَّى الله عليه وآله وبعد أبويَّ أحدًا أنزل عندي منزِلَتَكَ ، قال عروة : وما سمعتُ عائشةَ وأُمِّي أسماءَ تدعوان لأحدٍ من الخلق دعاءَهما لعبدِ الله ، قال : وقال موسى بن عقبة : أقرأني عامرُ بنُ عبد الله بن الزبير وصيّةَ عبدِ الله بنِ مسعود إلى الزبير بن العوام وإلى عبدِ الله بنِ الزبير من بعده ، وإنهما في وصيتي في حلٍّ وبلٍّ ^(٢) .

قال : ورَوَى أبو الحسن المدائني ، عن أبي إسحق التميمي ، أن معاويةَ سَمِعَ رجلاً يُنشد :

ابنُ رَقَاشٍ ماجِدٌ سَمِيعٌ يَأبَى فِيمُعْطَى عن يَدِ أَوْ يَمْنَعُ

(١) المسح : الكساء من الشعر ؛ وجمعه مسح

(٢) في « وتل » تصحيف . والبل : المباح ، قالوا : هؤلاء حل وبل .

فقال : ذلك عبدُ الله بنُ الزبير : وكان عبدُ الله من جُملةِ التفر الذين ^(١) أمرهم عثمان بن عفان أن ينسخوا القرآنَ في المصاحف .

قال : وحدثنا محمد بنُ حسن ، عن نوفل بن مُعمارة ، قال سئل سعيد بن المسيّب عن خطباء قُرَيْش في الجاهليّة ، فقال : الأسود بن المطلب بن أسد ، وسُهَيْل بن عمرو . وسئل عن خطبائهم في الإسلام ، فقال : معاوية وابنه ، وسعيد بن العاص وابنه ، وعبدالله ابن الزبير .

قال : وحدثنا إبراهيم بن المنذر ، عن عثمان بن طلحة ، قال : كان عبدُ الله بنُ الزبير لا يُنازع في ثلاثٍ : شجاعة ، وعبادة ، وبلاغة .

قال الزبير : وقال هشام بنُ عروة : رأيتُ عبدَ الله أيامَ حصاره والحجر من المنجنيق يهوى حتّى أقولَ : كاد يأخذ بلحيّته ، فقال له أبي : أيا ابن أمّ ، والله إن كاد ليأخذ بلحيّتك ، فقال عبدُ الله : دَعْنِي يا ابنَ أمّ ، فوالله ما هي إلا هنةٌ حتّى كأنّ الإنسانَ لم يكن ، فيقول أبي وهو يُقبل علينا بوجهه : والله ما أخشى عليك إلّا من تلك الهنة .

قال الزبير : فذكر هشامٌ ، قال : والله لقد رأيتُهُ يُرمَى بالمنجنيق فلا يلتفت ولا يُرعد صوته ؛ وربّما مرّت الشّطية منه قريباً من نحره .

وقال الزبير : وحدثنا ابنُ الماجشون ، عن ابن أبي مُليكة عن أبيه قال : كنتُ أطوفُ بالبيت مع عُمر بن عبد العزيز ، فلما بلغتُ الملتزم تخلّفتُ عنده أدعو ثمّ لحقتُ عمر ، فقال لي : ما خلّفتُك ؟ قال : كنتُ أدعو في موضع رأيتُ عبدَ الله بنَ الزبير فيه يدعو ، فقال : ما تتركُ تحنّناً لك على ابنِ الزبير أبداً ! فقلتُ : والله ما رأيتُ

أَحَدًا أَشَدَّ جِلْدًا عَلَى نَحْمٍ ، وَلَحْمًا عَلَى عَظْمٍ مِنْ ابْنِ الزَّيْبِرِ ؛ وَلَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَثْبَتَ قَائِمًا ، وَلَا أَحْسَنَ مَصْلِيًّا مِنْ ابْنِ الزَّيْبِرِ ، وَلَقَدْ رَأَيْتُ حَجْرًا مِنَ الْمَنْجَنِيْقِ جَاءَهُ فَأَصَابَ شُرْفَةً مِنَ الْمَسْجِدِ ، فَمَرَّتْ قُدَاذَةٌ مِنْهَا بَيْنَ لِحْيَتَيْهِ ^(١) وَحَلَقَهُ ، فَلَمْ يَزُلْ مِنْ مُقَامِهِ ، وَلَا عَرَفْنَا ذَلِكَ فِي صَوْتِهِ ، فَقَالَ عُمَرُ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، لَجَادٌ مَا وَصَفْتَ !

قَالَ الزَّيْبِرُ : وَسَمِعْتُ إِسْمَاعِيلَ بْنَ يَعْقُوبَ التَّيْمِيَّ يَحْدِثُ ، قَالَ : قَالَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ لِابْنِ أَبِي مُلَيْكَةَ : صِفْ لَنَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزَّيْبِرِ ، فَإِنَّهُ تَرَمَّرَمَ عَلَى أَصْحَابِنَا فَتَفَشَّمُوا عَلَيْهِ ، فَقَالَ : عَنْ أَيْ حَالِيهِ تَسْأَلُ ؟ أَعَنْ دِينِهِ ، أَمْ عَنْ دُنْيَاهُ ؟ فَقَالَ : عَنْ كُلِّ ، قَالَ : وَاللَّهِ مَا رَأَيْتُ جِلْدًا قَطُّ رُكِبَ عَلَى نَحْمٍ وَلَا لَحْمًا عَلَى عَصَبٍ ، وَلَا عَصَبًا عَلَى عَظْمٍ ، مِثْلَ جِلْدِهِ عَلَى لَحْمِهِ وَلَا مِثْلَ لَحْمِهِ عَلَى عَصَبِهِ ، وَلَا مِثْلَ عَصَبِهِ عَلَى عَظْمِهِ ؛ وَلَا رَأَيْتُ نَفْسًا رَكِبَتْ بَيْنَ جَنْبَيْنِ مِثْلَ نَفْسٍ لَهُ رَكِبَتْ بَيْنَ جَنْبَيْنِ ، وَلَقَدْ قَامَ يَوْمًا إِلَى الصَّلَاةِ ، فَرَبَّهَ حَجْرٌ مِنْ حِجَارَةِ الْمَنْجَنِيْقِ ؛ بَلْبِنَةً مَطْبُوخَةٍ مِنْ شُرُفَاتِ الْمَسْجِدِ ، فَمَرَّتْ بَيْنَ لِحْيَتَيْهِ وَصَدْرِهِ ، فَوَاللَّهِ مَا خَشَعَ لَهَا بَصَرُهُ ، وَلَا قَطَعَ لَهَا قِرَاءَتَهُ ، وَلَا رَكَعَ دُونَ الرُّكُوعِ الَّذِي كَانَ يَرَكَعُ ، وَلَقَدْ كَانَ إِذَا دَخَلَ فِي الصَّلَاةِ خَرَجَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَيْهَا ؛ وَلَقَدْ كَانَ يَرَكَعُ فِي الصَّلَاةِ فَيَقَعُ الرَّخَمَ عَلَى ظَهْرِهِ وَيَسْجُدُ فَكَأَنَّهُ مَطْرُوحٌ .

قَالَ الزَّيْبِرُ : وَحَدَّثَ هِشَامُ بْنُ عُرْوَةَ ، قَالَ : سَمِعْتُ عُمَيَّ ، يَقُولُ : مَا أَبَالِي إِذَا وَجَدْتُ ثَلَاثَةً يَصْبِرُونَ صَبْرِي ، لَوْ أَجَلَبَ عَلَى أَهْلِ الْأَرْضِ .

قَالَ الزَّيْبِرُ : وَقَسَمَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْبِرِ ثُلُثَ مَالِهِ وَهُوَ حَيٌّ ؛ وَكَانَ أَبُوهُ الزَّيْبِرُ قَدْ أَوْصَى أَيْضًا بِثُلُثِ مَالِهِ . قَالَ : وَابْنُ الزَّيْبِرِ أَحَدُ الرَّهْطِ الْخَمْسَةِ الَّذِينَ وَقَعَ اتِّفَاقُ أَبِي مُوسَى الْأَشْعَرِيِّ وَعُمَرُ بْنُ الْعَاصِ عَلَى إِحْضَارِهِمْ ، وَالِاسْتِشَارَةُ بِهِمْ فِي يَوْمِ التَّحْكِيمِ

(١) فِي « د » لِحْيَتَيْهِ .

وهم : عبدُ الله بن الزبير ، وعبدُ الله بن عمرو ، وأبو الجهم بن حذيفة ، وجُبَيْر بن مُطْعِم ،
وعبد الرحمن ابن الحارث بن هشام .

قال الزبير : وعبدُ الله هو الَّذِي صَلَّى بالناس بالبصرة لما ظهر طلحة والزبير على
عثمان بن حنيفة بأمرٍ منهما له . قال : وأعطت عائشة من بَشَرها بأن عبد الله لم
يُقتل يومَ الجمل عشرة آلاف درهم .

قاتُ : الَّذِي يَغْلِب على ظني أن ذلك كان يوم إفريقية ، لأنها يومَ الجمل كانت في
شغل بنفسها عن عبدِ الله وغيره .

قال الزبير : وحدثني عليُّ بنُ صالح مرفوعاً أن رسولَ الله صَلَّى الله عليه وآله
كَلَّمَ في صِبيّة ترعرعوا ، منهم عبدُ الله بنُ جعفر ، وعبدُ الله بن الزبير ، ومُعمَر بن
أبي سلمة ، فقيل : يا رسولَ الله ، لو بايعتهم فتصيبهم برَكتك ، ويكونَ لهم ذِكْرُ !
فأتى بهم فكانهم تكفكعوا حين جىء بهم إليه ، واقتحم ابنُ الزبير ، فتبسم رسولُ
الله صَلَّى الله عليه وآله ، وقال : إنه ابنُ أبيه ؛ وبايعهم .

قال : وسُئِلَ رأسُ الجالوتِ : ما عندكم من الفراسة في الصّبيان ؟ فقال : ما عندنا فيهم
شيء ، لأنهم يُخَلِّقون خَلْقاً مِنْ بعد خلق ؛ غير أنّا نرميهم ، فإن سَمِعنا منهم من يقول في لعبه :
من يكون معي ؟ رأيناها همة وخَبءٌ صدق فيه ، وإن سَمِعناه يقول : مع مَنْ أكون ؟
كرهناها منه . قال : فكان أوّل شيء سَمِع من عبدِ الله بن الزبير أنه كان ذاتَ يومٍ
يَلْمِز مع الصّبيان ، فرَّ رجلٌ ، فصاح عليهم ، فقرؤا منه ، ومشى ابنُ الزبير الفهقري ، ثم قال :
يا صِبيان ؛ اجعلوني أميرَكم ، وشُدُّوا بنا عليه . قال : ومرَّ به عمرُ بنُ الخطاب وهو مع
الصّبيان ، فقرّوا ووقَّف ، فقال لِمَ^(١) لم تفرَّ مع أصحابك ؟ فقال : لم أُجِرِم فأخافك ، ولم
تكن الطريق ضيقة فأوسّع عليك !

وروى الزبير بنُ بكَّار ، أن عبدَ الله بن سعد بن أبي سرح غزا إفريقية في خلافة

(١) في د « مالك لا تفر » ؛ وهو مستقيم أيضاً .

عثمان ، فقتل عبدُ الله بنُ الزبير جرجيرَ أميرِ جيشِ الروم ، فقال ابنُ أبي سرح : إني موجهٌ بشيراً إلى أمير المؤمنين بما فتح علينا ، وأنتَ أولى من هاهنا ، فانطلقَ إلى أمير المؤمنين فأخبره الخبر ، قال عبدُ الله : فلما قدمتُ على عثمان أخبرته بفتح الله وصنعه ونصره ، ووصفتُ له أمرنا كيف كان ، فلما فرغت من كلامي قال : هل تستطيعُ أن تؤدّيَ هذا إلى الناس ؟ قلت : وما يمتنعُ من ذلك ! قال : فأخرج إلى الناس فأخبرهم قال عبد الله : فخرجتُ حتى جئتُ المنبر فاستقبلتُ الناس ، فتلقاني وجهُ أبي ، فدخلتني له هيبه عَرَفَهَا أبي في وجهي ، فقَبِضَ قبضةً من حصاءٍ وجمعَ وجهه في وجهي وهم أن يحصبني فأحزمتُ ، فتكلمتُ .

فزعَموا أن الزبير لما فرغ عبدُ الله من كلامه قال : والله لَكأني أسمعُ كلامَ أبي بكر الصديق : من أراد أن يتزوج امرأةً فلينظرُ إلى أبيها وأخيها فإنها تأتيه بأحدِها . قال الزبير : ويُلقب عبدُ الله بعائذِ البيت ، لأستعاذته به .

قال : وحدثني عمي مُصعب بن عبد الله ، قال : إن الذي دعا عبدَ الله إلى التعمّد بالبيتِ شيءٌ سَمِعَهُ من أبيه حين سار من مكة إلى البصرة ؛ فإن الزبير التفت إلى الكعبة بعد أن ودّع ووجه يريدُ الركوب ، فأقبلَ على ابنه عبدِ الله ، وقال : تالله ما رأيتُ مثلاً لطالب رغبةٍ أو خائف رَهبةٍ .

وروى الزبير بن بَكَّار ، قال : كان سبب تعوذ ابن الزبير بالكعبة أنه كان يمشي بعد عَمَةٍ في بعض شوارع المدينة ؛ إذ لقي عبد الله بن سعد بن أبي سرح متلماً لا يبدو منه إلا عَيْنَاه . قال : فأخذتُ بيده وقلتُ : ابنُ أبي سرح ! كيف كنتَ بعدى ؟ وكيف تركتَ أمير المؤمنين ؟ يعني معاويةَ - وقد كان ابنُ أبي سرح عنده بالشام - فلم يكلمني ، فقلت : مالك ؟ أمات أمير المؤمنين ؟ فلم يكلمني ، فتركته وقد أثبت معرفته ، ثم خرجتُ حتى لقيتُ الحسين بن علي رضي الله عنه ، فأخبرته خبره ، وقلتُ : ستأتيك رُسُلُ الوليد ، وكان الأميرُ على المدينة الوليد بن عُتبة بن

أبي سُفْيَان ؛ فانظر ما أنتَ صانع ! وأعلم أن رَواحِلِي في الدار مُعدّة ، والموْعِد بيني وبينك أن تغفل عنا عيونهم ، ثم فارقته فلم ألبث أن أتاني رسولُ الوليد ، فجنّته فوجدتُ الحسينَ عنده ، ووجدتُ عنده مروان بن الحكم ، فنعى إلى معاوية ؛ فاسترجعت فأقبل عليّ ، وقال : هلمّ إلى بيعة يزيد ، فقد كتب إلينا يأمرُنا أن نأخذها عليك ! فقلت : إني قد علمتُ أن في نفسه على شيئاً لتركى بيعة في حياة أبيه ، وإن بايعتُ له على هذه الحال توهم أنّي مُكره على البيعة ، فلم يَقْعْ منه ذلك بحيث أريد ولكن أصبحَ ويجتمع الناس ، ويكون ذلك علانية إن شاء الله ؛ فنظر الوليد إلى مروان فقال مروان : هو الذي قلتُ لك ؛ إن يخرج لم تره . فأحييتُ أن ألقى بيني وبين مروان شراً نتشاغل به ، فقلتُ له : وما أنتَ وذاك يا ابن الزرقاء ! فقال لي ، وقلتُ له ، حتى توائمتُنا ، فتناصيتُ أنا وهو ، وقام الوليدُ فحجز بيننا ، فقال مروان : أتحجز بيننا بنفسك ، وتدع أن تأمر أعوانك ! فقال : قد أرى ما تريد ، ولكن لا أتوَلّى ذلك منه والله أبداً ، اذهب يا ابن الزبير حيثُ شئتَ ؛ قال : فأخذتُ بيدَ الحسين ، وخرجنا من الباب حتى صرنا إلى المسجد وأنا أقول :

ولا تحسبني يأمُسافر شَحْمَةً تعجلها من جانب القِدرِ جائعُ

فلما دخل المسجد أفترق هو والحسين ، وعهد كل واحد منهما إلى مُصلّاه يُصلّي فيه ، وجعلتُ الرسلُ تختلفُ إليهما ، يسمَعُ وقعَ أقدامهم في الحصباء حتى هدا عنهما الحسّ ، ثم انصرفا إلى منازلِهما ، فأتى ابن الزبير رواجه ، فقعد عليها ، وخرج من أدبارِ داره ، ووافاه الحسينُ بن عليّ ، فخرجا جميعاً من كَيْلَتهم ، وسلكوا طريقَ الفرع حتى مرّوا بالجُثّة وبها جعفر بن الزبير قد أزدَرعها ، وعُزّزَ عليهم بعيرٌ من إبلهم فاتّهموا إلى جعفر ، فلما رآهم قال : مات معاوية ؟ فقال عبدُ الله : نعم ، انطلقْ

معنا وأعطنا أحدَ جَمَلَتِكَ - وكانَ يَنْضَحُ على جَمَلَيْنِ لَهُ - فقال جعفر مَتمَثِّلاً :
إِخْوَتِي لَا تَبْعُدُوا أَبَدًا وَبَلَى وَاللَّهِ قَدْ بَعُدُوا

فقال عبدُ الله - وتطيرُ منها: بفيك التراب ! فخرَجوا جميعاً حتَّى قَدِمُوا مَكَّةَ ، قال
الزبير : فَأَمَّا الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِنَّهُ خَرَجَ مِنْ مَكَّةَ يَوْمَ التَّزْوِيَةِ يَطْلُبُ الْكَوْفَةَ
وَالْعِرَاقَ ، وَقَدْ كَانَ قَالَ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ : قَدْ أَتَنَى بَيْعَةُ أَرْبَعِينَ أَلْفًا يَحْلِفُونَ
لِي بِالطَّلَاقِ وَالْعِتَاقِ مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، فَقَالَ : أُنْخَرُجُ إِلَى قَوْمٍ قَتَلُوا أَبَاكَ وَخَذَلُوا أَخَاكَ !
قال : وَبَعْضُ النَّاسِ يَزْعُمُ أَنَّ ^(١) عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَبَّاسٍ هُوَ الَّذِي قَالَ لِلْحُسَيْنِ ذَلِكَ .
قال الزَّيْبِرُ : وَقَالَ هِشَامُ بْنُ عُروَةَ : كَانَ أَوَّلُ مَا أَفْصَحَ بِهِ عَمِّي عَبْدَ اللَّهِ وَهُوَ صَغِيرٌ :
السَّيْفُ ، فَكَانَ لَا يَضَعُهُ مِنْ فِيهِ ، وَكَانَ أَبُوهُ الزَّبِيرُ إِذَا سَمِعَ مِنْهُ ذَلِكَ يَقُولُ : أَمَا وَاللَّهِ
لَيَكُونَنَّ لَكَ مِنْهُ يَوْمٌ وَيَوْمٌ وَأَيَّامٌ !

فَأَمَّا خَبَرُ مَقْتَلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّبِيرِ فَنَحْنُ نُوْرِدُهُ مِنْ تَارِيخِ أَبِي جَعْفَرٍ مُحَمَّدِ بْنِ
جَرِيرِ الطَّبْرِيِّ رَحِمَهُ اللَّهُ . قَالَ أَبُو جَعْفَرٍ : حَصَرَ ^(٢) الْحِجَّاجُ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ الزَّبِيرِ ثَمَانِيَةَ أَشْهُرٍ ،
فَرَوَى إِسْحَاقُ بْنُ يُحْيَى عَنْ يَوْسُفَ بْنِ مَاهُكْ ، قَالَ : رَأَيْتُ مَنْجَنِيْقَ أَهْلِ الشَّامِ يُرْمَى بِهِ
فَرَعَدَتِ السَّمَاءُ وَبَرَقَتْ ، وَعَلَا صَوْتُ الرَّعْدِ عَلَى صَوْتِ الْمَنْجَنِيقِ ، فَأَعْظَمَ أَهْلُ الشَّامِ
مَا سَمِعُوهُ ، فَأَمْسَكُوا أَيْدِيَهُمْ ، فَرَفَعَ الْحِجَّاجُ بِرَّكَةً ^(٣) قَبَائِهِ ، فَفَرَزَهَا فِي مَنْطِقَتِهِ ، وَرَفَعَ
حَجَرَ الْمَنْجَنِيقِ فَوَضَعَهُ فِيهِ ، ثُمَّ قَالَ : ارْمُوا ، وَرَمَى مَعَهُمْ ؛ قَالَ : ثُمَّ أَصْبَحُوا فُجَاءَتِ

(١) كَذَا فِي د ، وَفِي ب : « ابْن » تَصْغِيف

(٢) تَارِيخُ الطَّبْرِيِّ ٢ : ٨٤٤ ، وَمَا بَعْدَهَا (طَبْعَةُ أَوْرِبَا) ، مَعَ تَصْرِفٍ وَاخْتِصَارٍ

(٣) بَرَكَةُ قَبَائِهِ : مُقَدِّمَةٌ .

صاعقةً يَتَّبِعُهَا أُخْرَى ، فَقَتَلَتْ مِنْ أَصْحَابِ الْحِجَّاجِ اثْنَيْ عَشَرَ رَجُلًا ؛ فَأَنْكَرَ أَهْلُ الشَّامِ فَقَالَ الْحِجَّاجُ : يَا أَهْلَ الشَّامِ ، لَا تُنْكِرُوا هَذَا ، فَإِنِّي ابْنُ تِهَامَةَ ، هَذِهِ صَوَاعِقُ تِهَامَةَ ، هَذَا الْفَتْحُ قَدْ حَضَرَ فَأَبْشِرُوا ، فَإِنَّ الْقَوْمَ يُصِيبُهُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَكُمْ ، فَصَعَقَتْ مِنَ الْغَدِّ فَأَصِيبَ مِنْ أَصْحَابِ ابْنِ الزَّيْبِرِ عِدَّةٌ مَا أَصَابَ الْحِجَّاجَ ، فَقَالَ الْحِجَّاجُ : أَلَا تَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُصَابُونَ وَأَنْتُمْ عَلَى الطَّاعَةِ ، وَهُمْ عَلَى خِلَافِ الطَّاعَةِ ! فَلَمْ تَزَلْ الْحَرْبُ بَيْنَ ابْنِ الزَّيْبِرِ وَالْحِجَّاجِ حَتَّى تَفْرُقَ عَامَّةُ أَصْحَابِ ابْنِ الزَّيْبِرِ عَنْهُ ، وَخَرَجَ عَامَّةُ أَهْلِ مَكَّةَ إِلَى الْحِجَّاجِ فِي الْأَمَانِ .

قال : وَرَوَى إِسْحَاقُ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ ، عَنْ الْمُنْذِرِ بْنِ الْجُهمِ الْأَسَمِيِّ ، قال : رَأَيْتُ ابْنَ الزَّيْبِرِ ، وَقَدْ خَذَلَهُ مِنْ مَعِهِ خِذْلَانَا شَدِيدًا ؛ وَجَعَلُوا يَخْرِجُونَ إِلَى الْحِجَّاجِ ، خَرَجَ إِلَيْهِ مِنْهُمْ نَحْوُ عَسْرَةِ آلَافٍ ، وَذَكَرَ أَنَّهُ كَانَ مِمَّنْ فَارَقَهُ ، وَخَرَجَ إِلَى الْحِجَّاجِ أَبْنَاهُ : خُيَيْبٌ وَحَمْرَةُ ، فَأَخَذَا مِنَ الْحِجَّاجِ لَأَنْفُسِهِمَا أَمَانًا .

، قال أبو جعفر : فروى محمد بن عمر ، عن ابن أبي الزناد ، عن مخزومة بن سلمان الوالبي ، قال : دخل عبدُ الله بن الزبير على أمِّه حين رأى من الناس ما رأى من خذلانه ، فقال : يَا أُمَّه ، خَذَلَنِي النَّاسُ حَتَّى وَلَدِي وَأَهْلِي ، وَلَمْ يَبْقَ مَعِيَ إِلَّا الْيَسِيرُ مِمَّنْ لَيْسَ عِنْدَهُ مِنَ الدَّفْعِ أَكْثَرُ مِنْ صَبْرِ سَاعَةٍ ، وَالْقَوْمُ يُعْطُونَنِي مَا أُرَدْتُ مِنَ الدُّنْيَا ، فَمَا رَأَيْكَ ؟ فقالت : أَنْتَ يَا بُنَيَّ أَعْلَمَ بِنَفْسِكَ ، إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّكَ عَلَى حَقٍّ وَإِلَيْهِ تَدْعُو فَأَمْضِ لَهُ ، فَقَدْ قُتِلَ عَلَيْهِ أَصْحَابُكَ ، وَلَا تُمَكِّنْ مِنْ رَقَبَتِكَ يَتَلَعَّبُ بِكَ غِلْمَانُ بَنِي أُمَيَّةَ ، وَإِنْ كُنْتَ إِثْمًا أُرَدْتَ الدُّنْيَا فَبُئْسَ الْعَبْدُ أَنْتَ ! أَهْلَكَتَ نَفْسَكَ وَأَهْلَكَتَ مَنْ قُتِلَ مَعَكَ ، وَإِنْ قُلْتَ : قَدْ كُنْتُ عَلَى حَقٍّ فَلَمَّا وَهَنَ أَصْحَابِي وَهَنْتُ وَضَعْتُ ، فَلَيْسَ هَذَا فِعْلُ الْأَحْرَارِ وَلَا أَهْلُ

الدِّينَ ، وكم خُلُودُكَ في الدنيا ! القَتْلُ أحسن ؛ فدنا ابنُ الزبير فقبلَ رأسَها ؛ وقال : هذا واللهِ رأيي الذي قَتُّ به داعياً إلى يومى هذا ، وماركنتُ إلى الدنيا ، ولا أُحِبُّتُ الحَيَاةَ فيها ؛ ولم يَدْعُنِي إلى الخُرُوجِ إلَّا الغَضَبُ لله أن تُسْتَحَلَّ محارمُهُ ^(١) ، ولكِنِّي أُحِبُّتُ أن أعمَ رأيك ، فزِدْتَنِي بصيرةً مع بصيرتي . فانظري يا أمَّه ، فإنِّي مُقْتُولٌ من يومى هذا فلا يَشْتَدُّ حُزْنُكَ ، وسَلِّمِي لأمرِ الله ، فإنَّ ابنَكَ لم يَتَعَمَّدْ إتيانَ مُنْكَرٍ ، ولا عَمَلًا بفاحشة ، ولم يَجْزُ في حُكْمٍ ، ولم يَفْدِرْ في أمانٍ ، ولم يَتَعَمَّدْ ظُلْمَ مُسْلِمٍ ولا مُعَاهِدٍ ، ولم يَبْلُغْنِي ظُلْمٌ عن عَمَلٍ فَرَضِيْتُ به بل أنكرتُهُ ، ولم يكن شَيْءٌ آثَرَ عِنْدِي من رِضَا رَبِّي . اللهم إني لا أقول هذا تزكيةً مِنِّي لِنَفْسِي ، أنتَ أعلمُ بي ، ولكِنِّي أقوله تعزيةً لأُمِّي لتَسْلُوَ عَنِّي . فقالت أمُّه : إني لأَرْجُو من الله أن يكونَ عَزَائِي فِيكَ حَسَنًا إنْ تَقَدَّمَ مِنِّي ، فلا أَخْرُجَ من الدنيا حتى أنظَرَ إلى ما يَصِيرُ أَمْرُكَ ، فقال : جزاك الله يا أمَّه خيراً ! فلا تَدْعِي الدُّعَاءَ لِي قَبْلُ وبعد ؛ قالت : لا أَدْعُهُ أَبَدًا ، فمن قُتِلَ على باطلٍ فقد قُتِلَ على حقٍّ . ثمَّ قالت : اللهم ارحمُ طولَ ذلكَ الْقِيَامِ في الليل الطويل ، وذلك النّحيب والظُّلْمَ في هَوَاجِرِ المدينة ومَكَّة ، وبرّه بأبيه وبى ! اللهم إني قد سَلَّمْتُهُ لأَمْرِكَ فيه ، ورضيتُ بما قَضَيْتَ ، فأثْبِتْنِي في عبدِ الله ثوابَ الصَّابِرِينَ الشَّاكِرِينَ .

قال أبو جعفر : ورَوَى مُحَمَّدُ بنُ عَمْرٍ ، عن موسى بن يعقوب بن عبد الله ، عن عمِّه ، قال : دخل ابنُ الزبير على أمِّه وعليه الدَّرْعُ والمِغْفَرُ ، فَوَقَّفَ فسَلَّمَ ، ثمَّ دنا فتناول يدَها فقبلَها ، فقالت : هذا وَدَاعٌ فلا تَبْعُدْ ، فقال : نَعَمْ ، إني جئتُ مُوَدِّعًا ، إني لَأَرَى أنَّ هذا اليومَ آخِرُ يومٍ من الدُّنْيَا يَمُرُّ بي ؛ واعلمِي يا أمَّه أنَّي إنْ قُتِلْتُ فَإِنَّمَا أَنَا لَحْمٌ لا يَبْضُرُهُ مَا ضَنَّعَ به ، فقالت : صدقتَ يَا بُنَيَّ ، أتمم على بَصِيرَتِكَ ، ولا تُمَكِّنْ ابنَ

(١) الطبري : « أن يستحل حرمه »

أَبَى عَقِيلُ مِنْكَ ، وَادْنُ مِنِّي أَوْدَعَكَ ؛ فَدَنَا مِنْهَا فَقَبَّلَهَا وَعَانَقَهَا ، فَقَالَتْ حَيْثُ مَسَّتِ الدَّرْعَ : مَا هَذَا صَنِيعُ مَنْ يَرِيدُ مَا تَرِيدُ ! فَقَالَ : مَا لِبَسْتُهَا إِلَّا لِأَشَدِّ مِنْكَ ، فَقَالَتْ : إِنَّهَا لَا تَشُدُّ مِنِّي ؛ فَزَعَهَا ، ثُمَّ أَخْرَجَ ^(١) كَمِيَّهُ وَشَدَّ أَسْفَلَ قَمِيصِهِ ، وَعَمَدَ إِلَى جَبَّةٍ خَزَّ تَحْتَ الْقَمِيصِ ؛ فَأَدْخَلَ أَسْفَلَهَا فِي الْمِنْطَقَةِ ، فَقَالَتْ أُمُّهُ : شَمَّرْ ثِيَابَكَ ، فَشَمَّرَهَا ، ثُمَّ انْصَرَفَ وَهُوَ يَقُولُ :

إِنِّي إِذَا أَعْرِفَ يَوْمِي أَصْبِرُ إِذْ بَعْضُهُمْ يَعْرِفُ ثُمَّ يُنْكِرُ

فَسَمِعَتِ الْعَجُوزُ قَوْلَهُ ، فَقَالَتْ : تَصْبِرُ وَاللَّهِ ، وَلَمْ لَا تَصْبِرُوا بَوَكُّ أَبُو بَكْرٍ وَالزَّيْبَرُ ، وَأَمَّا صَفِيَّةُ بِنْتُ عَبْدِ الْمَطْلَبِ !

قَالَ : وَرَوَى مُحَمَّدُ بْنُ عَمْرِو عَنْ ثَوْرِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ رَجُلٍ مِنْ أَهْلِ حِمَصَ قَالَ : شَهِدْتُهُ وَاللَّهِ ذَلِكَ الْيَوْمَ وَنَحْنُ خَمْسَمِائَةٌ مِنْ أَهْلِ حِمَصَ ، فَدَخَلَ مِنْ بَابِ الْمَسْجِدِ لَا يَدْخُلُ مِنْهُ غَيْرُنَا ، وَهُوَ يَشُدُّ عَلَيْنَا وَنَحْنُ مُنْهَزَمُونَ وَهُوَ يَرْتَجِزُ :

إِنِّي إِذَا أَعْرِفَ يَوْمِي أَصْبِرُ وَإِنَّمَا يَعْرِفُ يَوْمِيهِ الْحَرُّ

* وَبَعْضُهُمْ يَعْرِفُ ثُمَّ يُنْكِرُ *

فَأَقُولُ : أَنْتَ وَاللَّهِ الْحَرُّ الشَّرِيفُ ؛ فَلَقَدْ رَأَيْتُهُ يَقِفُ بِالْأَبْطَحِ لَا يَدْنُو مِنْهُ أَحَدٌ حَتَّى ظَنَنَّا إِنَّهُ لَا يَقْتُلُ .

قَالَ : وَرَوَى مُصْعَبُ بْنُ ثَابِتٍ ، عَنْ نَافِعِ مَوْلَى بَنِي أَسَدَ ، قَالَ : رَأَيْتُ الْأَبْوَابَ قَدْ شُحِنَتْ بِأَهْلِ ^(٢) الشَّامِ ، وَجَعَلُوا عَلَى كُلِّ بَابٍ قَائِدًا وَرَجُلًا وَأَهْلَ بَلَدٍ ، فَكَانَ لِأَهْلِ حِمَصَ الْبَابَ الَّذِي يُوَاجِهُ بَابَ الْكَعْبَةِ ، وَلِأَهْلِ دِمَشْقَ بَابَ بَنِي شَيْبَةَ ، وَلِأَهْلِ الْأُرْدُنِّ بَابَ الصَّفَا ، وَلِأَهْلِ فِلَسْطِينَ بَابَ بَنِي جُمَحَ ، وَلِأَهْلِ قَنْسَرِينَ بَابُ بَنِي سَهْمٍ ، وَكَانَ الْحِجَابُ وَطَارِقُ بْنُ عَمْرِو فِي نَاحِيَةِ الْأَبْطَحِ إِلَى الْمَرْوَةِ ، فَمَرَّةً يَحْمِلُ ابْنُ الزُّبَيْرِ

(١) الطبري : « من أهل الشام » :

(٢) الطبري : « أدرج »

في هذه الناحية ، ولكأنه أسد في أجمة ما يقدم عليه الرجال ، فيعدو في أثر الرجال .
وهم على الباب حتى يُخرجهم ، ثم يصيح إلى عبد الله بن صفوان ، يا أبا صفوان ، ويبل أمه
فتحا لو كان له رجال ! ثم يقول :

* لو كان قرني واحدا كُفيتُهُ ^(١) *

فيقول عبد الله بن صفوان : إي والله وألفا .

قال أبو جعفر : فلما كان يوم الثلاثاء ، صبيحة سبع عشرة من جمادى الأولى سنة
ثلاث وسبعين ، وقد أخذ الحجاج على ابن الزبير بالأبواب ، بات ابن الزبير تلك
الليلة يصلي عامة الليل ، ثم احتجى بحمايل سيفه ، فأغفى ثم انتبه بالفجر ، فقال : أذن
ياسعد ؛ فأذن عند المقام ، وتوضأ ابن الزبير وركع ركعتي الفجر ، ثم تقدم وأقام
المؤذن ، فصلى ابن الزبير بأصحابه فقرا « ن والقلم » حرّ فاحرقا ثم سلم ، ثم قام ، فحمد الله
وأثنى عليه ثم قال : اكشفوا وجوهكم حتى أنظر ، وعليها المغافر والعائم ، فكشفوا
وجوههم ، فقال : يا آل الزبير ، لو طبت لي نفسا عن أنفسكم كتنا أهل بيت من
العرب اصطلمنا ، لم تضبنا مذلة ، ولم نقرّ على ضيم . أما بعد يا آل الزبير ، فلا يرغم
وقع السيوف ، فإني لم أحضر موطننا قط ارتثت فيه بين القتلى ، وما أجد من
دواء جراحها أشد مما أجد من ألم وقعها . صونوا سيوفكم كما تصونون وجوهكم .
لا أعلم امرأ كسر سيفه واستبقى نفسه . فإن الرجل إذا ذهب سلاحه فهو كالمرأة
أعزل . غضوا أبصاركم عن البارقة ، وليشغل كل امرئ قرنه ، ولا يلهيّنكم
السؤال عني ، ولا تقولن : أين عبد الله بن الزبير ؟ ألا من كان سائلا عني فإني في
الرّعيّل الأول ، ثم قال :

أَبَى لَابِنْ سَلَمَى أَنَّهُ غَيْرُ خَالِدٍ يُبْلِقِي الْمَنَايَا أَيَّ وَجْهِ تَيَمَّمَا^(١)
فَلَسْتُ بِمَبْتُاعِ الْحَيَاةِ بِسَبَّةٍ وَلَا مُرْتَقِيٍّ مِنْ خَشْيَةِ الْمَوْتِ سَلَامًا

ثُمَّ قَالَ : اأْمَلُوا عَلَى بَرَكَةِ اللَّهِ ، ثُمَّ حَمَلْ حَتَّى بَلَّغَ بِهِمْ إِلَى الْحُجُونِ ، فَرُمِيَ بِحَجَرٍ ، فَأَصَابَ وَجْهَهُ ، فَأَرَعِشَ وَدَمِيَ وَجْهَهُ ، فَلَمَّا وَجَدَ سُخُونَةَ الدَّمِ تَسِيلُ عَلَى وَجْهِهِ وَلَحِيَّتِهِ قَالَ :

وَلَسْنَا عَلَى الْأَعْقَابِ تَدْمَى كَلُومُنَا وَلَكِنْ عَلَى أَقْدَامِنَا تَقْطُرُ الدَّمَآ^(٢)

قَالَ : وَتَقَاوُوا عَلَيْهِ ، وَصَاحَتْ مَوْلَاةٌ لَهُ مَجْنُونَةٌ : وَ أَمِيرُ الْمُؤْمِنِينَ ! وَقَدْ كَانَ هَوَى ، وَرَأَتْهُ حِينَ هَوَى فَأَشَارَتْ لَهُمْ إِلَيْهِ ، فَقَتِلَ وَإِنَّ عَلَيْهِ لَثِيَابُ خَزٍّ ، وَجَاءَ الْخَبْرُ إِلَى الْحَجَّاجِ ، فَسَجَدَ وَسَارَ هُوَ وَطَارِقُ بْنُ عَمْرٍو ، فَوَقَفَا عَلَيْهِ ، فَقَالَ طَارِقُ : مَا وَلَدَتِ النِّسَاءُ أَذْكَرَ مِنْ هَذَا ، فَقَالَ الْحَجَّاجُ : أْتَمَدَحُ مِنْ يُخَالِفُ طَاعَةَ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ ! فَقَالَ طَارِقُ : هُوَ أَعْذَرُ لَنَا ، وَلَوْلَا هَذَا مَا كَانَ لَنَا عُذْرٌ ، إِنَّا مُحَاصِرُوهُ وَهُوَ فِي غَيْرِ خَنْدَقٍ وَلَا حِصْنٍ وَلَا مَنَعَةٍ مِنْذُ ثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ يَنْتَصِفُ مِنَّا ، بَلْ يَفْضُلُ عَلَيْنَا فِي كُلِّ مَا التَقِينَا نَحْنُ وَهُوَ ؛ قَالَ : فَبَلَّغَ كَلَامَهُمَا عَبْدَ الْمَلِكِ ، فَصَوَّبَ طَارِقًا .

قَالَ : وَبَعَثَ الْحَجَّاجُ بِرَأْسِ ابْنِ الزَّيْرِ وَرَأْسِ عَبْدِ بْنِ صَفْوَانَ وَرَأْسِ عَمَارَةَ بْنِ عَمْرٍو ابْنَ حَزْمٍ إِلَى الْمَدِينَةِ ، فَنَصَبَتِ الثَّلَاثَةَ بِهَا ، ثُمَّ حَمَلَتْ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ .

وَنَحْنُ الْآنَ نَذْكُرُ بَقِيَّةَ أَخْبَارِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْرِ مُلْتَقِطَةً مِنْ مَوَاضِعٍ مُتَفَرِّقَةٍ :
رَأَى عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْرِ فِي أَيَّامِ مَعَاوِيَةَ وَأَقْفًا بِيَابَ مِيَّةَ مَوْلَاةَ مَعَاوِيَةَ ، فَقِيلَ لَهُ :

(١) لِلْحَصِينِ بْنِ الْحَمَامِ الْمَرِّي ، الْأَغَانِي ١٤ : ٨

(٢) لِلْحَصِينِ بْنِ الْحَمَامِ الْمَرِّي ، دِيْوَانُ الْحَمَاسَةِ ١ : ١٩٢ - بِشْرَحِ التَّبْرِيزِيِّ .

يا أبا بكر ، مِثْلُكَ يَقِفُ بِيَابِ هَذِهِ ! فَقَالَ : إِذَا أَعَيْتَكُمْ الْأُمُورُ مِنْ رُءُوسِهَا
تَخْذُوهَا مِنْ أَدْنَاهَا .

ذَكَرَ مَعَاوِيَةُ لِعَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْرِ بْنِ يَزِيدِ ابْنِهِ ، وَأَرَادَ مِنْهُ الْبَيْعَةَ لَهُ ، فَقَالَ ابْنُ الزَّيْرِ :
أَنَا أَنَادِيكَ وَلَا أَنَا جِيكَ ، إِنَّ أَخَاكَ مَنْ صَدَقَكَ ، فَانْظُرْ قَبْلَ أَنْ تَقْدَمَ ، وَتَفَكَّرَ قَبْلَ أَنْ
تَتَدَمَّ ؛ فَإِنَّ النَّظَرَ قَبْلَ التَّقَدُّمِ ؛ وَالتَّفَكُّرَ قَبْلَ التَّنَدُّمِ ؛ فَضَحِكَ مَعَاوِيَةُ وَقَالَ : تَعَلَّمْتَ
يَا أبا بَكْرٍ الشَّجَاعَةَ عِنْدَ الْكِبَرِ .

كَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْرِ شَدِيدَ الْبُخْلِ ، كَانَ يُطْعِمُ جُنْدَهُ تَمْرًا ، وَيَأْمُرُهُمْ
بِالْحَرْبِ ، فَإِذَا فَرَّوْا مِنْ وَقَعِ السَّيْفِ لَامَهُمْ وَقَالَ لَهُمْ : أَكَلْتُمْ تَمْرِي ، وَعَصَيْتُمْ أَمْرِي
فَقَالَ بَعْضُهُمْ :

أَلَمْ تَرِ عَبْدَ اللَّهِ وَاللَّهِ غَالِبٌ عَلَى أَمْرِهِ يَبْغِي الْخِلَافَةَ بِالتَّمْرِ

وَكَسَرَ بَعْضُ جُنْدِهِ خَمْسَةَ أَرْمَاحَ فِي صُدُورِ أَصْحَابِ الْحِجَابِ ، وَكَلَّمَا كَسَرَ رُمْحًا
أَعْطَاهُ رُمْحًا ، فَشَقَّ عَلَيْهِ ذَلِكَ ، وَقَالَ : خَمْسَةَ أَرْمَاحَ ! لَا يَحْتَمِلُ بَيْتُ مَالِ الْمُسْلِمِينَ هَذَا .

قَالَ : وَجَاءَهُ أَعْرَابِيٌّ سَائِلٌ فَرَدَّهُ ، فَقَالَ لَهُ : لَقَدْ أَحْرَقْتَ الرَّمْضَاءَ قَدَمِيَّ
فَقَالَ : بَلْ عَلَيْهِمَا يَبْرَدَانِ .

جَمَعَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْرِ مُحَمَّدُ بْنُ الْحَنْفِيَّةِ وَعَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ فِي سَبْعَةِ عَشَرَ رَجُلًا مِنْ
بَنِي هَاشِمٍ ، مِنْهُمْ الْحَسَنُ بْنُ الْحُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ ، وَحَصَرَهُمْ فِي
شِعْبٍ بِمَكَّةَ يُعْرَفُ بِشِعْبِ عَارِمٍ ، وَقَالَ : لَا تَمْضِ الْجُمُعَةُ حَتَّى تُبَايَعُوا إِلَيَّ أَوْ أَضْرِبَ
أَعْنَاقَكُمْ ، أَوْ أَحْرِقَكُمْ بِالنَّارِ ، ثُمَّ نَهَضَ إِلَيْهِمْ قَبْلَ الْجُمُعَةِ يَرِيدُ إِحْرَاقَهُمْ بِالنَّارِ ؛ فَأَلْتَزَمَهُ

ابنُ مِسْوَر بن مخرمة الزهريّ، وناشده الله أن يؤخّرهم إلى يوم الجمعة ، فلما كان يوم الجمعة دعا محمد بن الحنفية بغسول وثياب بيض ، فاغتسل وتلبّس وتحنّط؛ لا يَشْكُ في القتل ، وقد بعث المختار بن أبي عبيد من الكوفة أبا عبد الله الجدليّ في أربعة آلاف ، فلما نزلوا ذات عِرْق ؛ تعجّل منهم سبعون على رواحلهم حتى وافوا مكة صبيحة الجمعة يُنادون : يا محمد ، يا محمد ! وقد شهروا السّلاح حتى وافوا شعبَ عارِم ، فاستخلصوا محمّد بن الحنفية ومن كان معه ، وبعث محمد بن الحنفية الحسن بن الحسن يُنادي : من كان يرى أن لله عليه حقّا فليشم سيفه ، فلا حاجة لي بأمر الناس ، إن أُعطيَتْها عَفُوا قِيّاتُها ، وإن كَرِهوا لم نَبْتَزَّهُم^(١) أمرهم .

وفي شعب عارم وحصار ابن الحنفية فيه يقول كثير بن عبد الرحمن :

ومن ير هذا الشيخ بالخيف من مني من الناس يعلم أنه غير ظالم
سعى النبي المصطفى وابن عمه وجمال أُنْقَالٍ وفكّك غارم
تخبر من لا قيت أنك عائذ بل العائذ المحبوس في سجن عارم

وروى المدائنيّ ، قال : لما أخرج ابن الزبير عبد الله بن عباس من مكة إلى الطائف مرّ بنعمان ، فنزل فصلّي ركعتين ، ثم رفع يديه يدعو ، فقال : اللهم أنك تعلم أنه لم يكن بلدٌ أحبّ إليّ من أن أعبدك فيه من البلد الحرام ، وأني لا أحبّ أن تقبض رُوحِي إلّا فيه ، وأن ابن الزبير أخرجني منه ، ليكون الأقوى في سلطانه . اللهم فأوهن كيدَه ، واجعل دائرة السوء عليه . فلما دنا من الطائف تأمّاه أهلها ، فقالوا : مرحباً بابن عمّ رسول الله صلى الله عليه وآله ! أنت والله أحبّ إلينا وأكرم علينا ممّن أخرجنا ؛ هذه منازلنا تخيّرنا ، فانزل منها حيث أحببت ؛ فنزل منزلاً ، فكان

(١) لم نبتزهم أمرهم : لم تسلبه منهم عفواً .

يَجْلِسُ إِلَيْهِ أَهْلُ الطَّائِفِ بَعْدَ الْفَجْرِ وَبَعْدَ الْعَصْرِ؛ فَيَتَكَلَّمُ بَيْنَهُمْ ، كَانَ يَحْمَدُ اللَّهَ وَيَذْكُرُ
النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَالْخُلَفَاءَ بَعْدَهُ ، وَيَقُولُ : ذَهَبُوا فَلَمْ يَدْعُوا أَمْثَلَهُمْ وَلَا أَشْبَاهَهُمْ
وَلَا مَنْ يُدَانِيهِمْ ؛ وَلَكِنْ بَقِيَ أَقْوَامٌ يَطْلُبُونَ الدُّنْيَا بِعَمَلِ الْآخِرَةِ ، وَيَلْبَسُونَ جُلُودَ
الضَّأْنِ ؛ تَحْتَهَا قُلُوبُ الذُّنَابِ وَالنَّمُورِ ، لِيَطْنَنَّ النَّاسَ أَنْهُمْ مِنَ الزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا ، يُرَاهِنُونَ
النَّاسَ بِأَعْمَالِهِمْ ، وَيُسَخِّطُونَ اللَّهَ بِسِرَائِرِهِمْ ؛ فَادْعُوا اللَّهَ أَنْ يَقْضِيَ لِهَذِهِ الْأُمَّةِ بِالْخَيْرِ
وَالْإِحْسَانِ ، فَيُوَلِّي أَمْرَهَا خَيْرَهَا وَأَبْرَارَها ، وَيُهْلِكَ فُجَّارَها وَأَشْرَارَها ، ارفعوا أَيْدِيَكُمْ
إِلَى رَبِّكُمْ وَسَلُّوْهُ ذَلِكَ. فَيَفْعَلُونَ .

فبلغ ذلك ابن الزبير ، فكتب إليه :

أما بعد ، فقد بلغني أنك تجلس بالطائفة العَصْرَيْنِ فَتُفْتِيهِمْ بِالْجَهْلِ ، تَعِيبُ أَهْلَ
الْعَقْلِ وَالْعِلْمِ ؛ وَإِنْ حَامَى عَلَيْكَ ، وَاسْتَدَامَتِي فَيَنْتَكِرُكَ عَلَى ، فَاكْفُفْ - لَا أَبَا لَغَيْرِكَ -
مِنْ غَرَبِكَ ، وَأَرْبَعٌ عَلَى ظَلْعِكَ^(١) ، وَاعْقِلْ إِنْ كَانَ لَكَ مَعْقُولٌ ، وَأَكْرَمْ نَفْسَكَ فَإِنَّكَ
إِنْ تَهِنْهَا تَجْدهَا عَلَى النَّاسِ أَعْظَمَ هَوَانًا ، أَلَمْ تَسْمَعْ قَوْلَ الشَّاعِرِ :

فَنَفْسَكَ أَكْرَمَ مِنْهَا فَإِنَّكَ إِنْ تَهِنْ عَلَيْكَ فَلَنْ تَلْقَى لَهَا الدَّهْرَ مُكْرِمًا

وَإِنِّي أَقْسَمُ بِاللَّهِ لَنْ لَمْ تَنْتَهَ عَمَّا بَلَّغْنِي عَنْكَ لِتَجِدَنَّ جَانِبِي خَسِنًا ، وَلِتَجِدَنِّي إِلَى
مَا يَرُدُّكَ عَنِّي عَجَلًا ، فَرَأَيْتُكَ ، فَإِنْ أَشْفَى بِكَ شَقَاؤُكَ عَلَى الرَّدَى فَلَا تَلُمْ إِلَّا نَفْسَكَ .

فكتب إليه ابن عباس :

أما بعد ، فقد بلغني كتابك ؛ قلت : إِنِّي أَفْتِي النَّاسَ بِالْجَهْلِ ، وَإِنَّمَا يُفْتَى بِالْجَهْلِ
مَنْ لَمْ يَعْرِفْ مِنَ الْعِلْمِ شَيْئًا ، وَقَدْ آتَانِي اللَّهُ مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يُوْتِك . وَذَكَرْتَ أَنَّ حِلْمَكَ
عَنِّي ، وَاسْتَدَامَتِكَ فَيَنْتَكِرُكَ جَرَّأَنِي عَلَيْكَ ، ثُمَّ قُلْتَ : أَكْفُفْ مِنْ غَرَبِكَ ، وَأَرْبَعٌ عَلَى

(١) يُقَالُ : أَرْبَعٌ عَلَى ظَلْعِكَ ؛ أَيِ افْعَلْ بِقَدْرِ مَا تَطْبِقُ ، وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْهَا أَكْثَرَ مِمَّا تَطْبِقُ

ظَلَعْتُ؛ وضربت لى الأمثال ، أحاديث الضَّبْع ، متى رَأَيْتَنِي لِعُرَامِكَ^(١) هَائِبًا ، ومن حَدَّكَ نَاكِلا ! وقلت : لئن لم تكف لتجدنَّ جانبي خَشِنًا ، فلا أَبْقَى اللهُ عَلَيْكَ إِنْ أَبْقَيْتَ ، ولا أُرْعَى عَلَيْكَ إِنْ أُرْعَيْتَ ! فو الله لا أَنتهى عن قول الحق ، وصفة أهل العدل والفضل ، وذمَّ الأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا ، الذين ضَلَّ سَعِيْهُمُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ يَحْسَبُونَ أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا ؛ وَالسَّلَام .

قَدِمَ معاوية المدينة راجعا من حَجَّةِ حَجَّهَا ، فَكَثَّرَ النَّاسُ عَلَيْهِ فِي حَوَائِجِهِمْ ، فَقَالَ لِصَاحِبِ إِبِلِهِ : قَدِّمْ إِبِلَكَ لِيَلَا حَتَّى أُرْتَحِلَ ؛ ففعل ذلك ، وسار ولم يعلم بأمره إلاَّ عبد الله بنُ الزبير ؛ فَإِنَّهُ رَكِبَ فَرَسَهُ وَقَفًّا أَثَرَهُ ، ومعاوية نَأَمٌ فِي هَوْدَجِهِ فجعل ، يسيرُ إِلَى جَانِبِهِ ، فانتبه معاويةُ ، وقد سمع وَقَعَ حَافِرُ الْفَرَسِ ، فَقَالَ : مَنْ صَاحِبُ الْفَرَسِ ؟ قَالَ : أَنَا أَبُو خُبَيْبٍ ، لَوْ قَدْ قَتَلْتُكَ مِنْذُ اللَّيْلَةِ ! يُمَازَحُهُ ، فَقَالَ معاوية : كَلَّا لَسْتُ مِنْ قَتَلَةِ الْمُلُوكِ ، إِنَّمَا يَصِيدُ كُلُّ طَائِرٍ قَدْرَهُ . فَقَالَ ابْنُ الزبير : إِلَى تَقُولُ هَذَا ، وَقَدْ وَقَفْتُ فِي الصَّفِّ بِإِزَاءِ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ؛ وَهُوَ مَنْ تَعْلَمُ ! فَقَالَ معاوية : لَا جَرَمَ ! إِنَّهُ قَتَلَكَ وَأَبَاكَ بيسرى يَدَيْهِ ، وَبَقِيتُ يَدُهُ الْيَمْنَى فَارْغَةً يَطْلُبُ مَنْ يَقْتُلُهُ بِهَا . فَقَالَ ابْنُ الزبير : أَمَا وَاللَّهِ مَا كَانَ ذَاكَ إِلَّا فِي نَصْرِ عُمَانَ فَلَمْ يُجْزَ بِهِ ، فَقَالَ معاوية : خَلَّ هَذَا عَنْكَ ، فَوَاللَّهِ لَوْ لَا شِدَّةُ بُغْضِكَ ابْنَ أَبِي طَالِبٍ لَجَرَرْتُ بِرِجْلِ عُمَانَ مَعَ الضَّبْعِ . فَقَالَ ابْنُ الزبير : أَفَعَلْتَهَا يَا معاوية ! أَمَا إِنَّا قَدْ أَعْطَيْنَاكَ عَهْدًا ، وَنَحْنُ وَافُونَ لَكَ بِهِ مَا دُمْتَ حَيًّا ، وَلَكِنْ لِيَعْلَمَنَّ مَنْ بَعْدَكَ ، فَقَالَ معاوية : أَمَا وَاللَّهِ مَا أَخَافُكَ إِلَّا عَلَى نَفْسِكَ ، وَلَكَأَنِّي بَكَ وَأَنْتَ مُشْدُودٌ مَرْبُوطٌ فِي الْأَنْشُوطَةِ^(٢) ، وَأَنْتَ تَقُولُ : لَيْتَ أَبَا عَبْدِ الرَّحْمَنِ كَانَ حَيًّا ، وَلَيْتَنِي كُنْتُ حَيًّا يَوْمَئِذٍ ، فَأَحْلُكُ حَلًّا رَفِيقًا ، وَلِبَسُ الْمُطْلُوقِ وَالْمُعْتَقِ وَالْمَسْنُونِ عَلَيْهِ أَنْتَ يَوْمَئِذٍ !

دَخَلَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْرِ عَلَى معاوية وعنده عمرو بن العاص، فتكلم عمرو - وأشار إلى ابن الزبير - فقال : هذا والله يأمير المؤمنين الذي غرته أناتك، وأبطره حلمك، فهو يَزُو في نَشْطته نَزْو العير في حبالته، كلما قصته الغلواء والشرّة سكنت الأنشوطه منه النفرة، وأخربه أن يثول إلى القلّة أو الذلّة، فقال ابن الزبير : أما والله يابن العاص، لولا أنّ الإيمان ألزما بالوفاء، والطاعة للخلفاء، فنحن لا نريد بذلك بدلا، ولا عنه حولا؛ لكان لنا وله ولك شأن، ولو وگله القضاء إلى رأيك، ومشورة نظرائك لدافعناه بمنكب لا تتوده المزاحمة، ولقاذفناه بحجر لا تنكوه المراجعة؛ فقال معاوية : أما والله يابن الزبير لولا إشاري الأناة على العجل، والصفح على العقوبة، وأنى كما قال الأول :

أَجْمِلْ أَقْوَامًا حَيَاءً وَقَدْ أَرَى قُلُوبَهُمْ تَفِلُّ عَلَى مِرَاضِهِمْ

إِذَا لَقَرْنَتْكَ إِلَى سَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْحَرَمِ تُسَكِّنُ بِهَا غُلُوءَكَ، وَيَنْقِطِعُ عِنْدَهَا طَمَعُكَ، وَتَنْقُصُ مِنْ أَمْلِكَ، مَا لَعَلَّكَ قَدْ لَوَيْتَهُ فَشَزَرْتَهُ، وَفَتَلْتَهُ فَأَبْرَمْتَهُ. وإيمُ الله إنك من ذلك لعلّ شرف جُرُفِ بَعِيدِ الهوّة؛ فكن على نفسك ولها، فاثوبق ولا تنقذ غيرها، فشأنك وإياها.

قطع عبدُ الله بن الزبير في الخطبة ذِكرَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله مُجمعا كثيرة، فاستعظم الناس ذلك، فقال : إني لا أرغب عن ذكره، ولكن له أهيل سوء إذا ذكرته أتاعوا أعناقهم، فأنا أحب أن أكتبهم.

لما كشف عبدُ الله بن الزبير بنى هاشم وأظهر بُغضهم وعابهم، وهم بما هم به في

أمرهم ، ولم يذكر رسول الله صلى الله عليه وآله في خطبة ، لا يوم الجمعة ولا غيرها ، عاتبه على ذلك قومٌ من خاصته ، وتشاءموا بذلك منه ، وخافوا عاقبته ، فقال : والله ما تركتُ ذلك علانيةً إلا وأنا أقوله سرا وأكثر منه ؛ لكنني رأيتُ بنى هاشم إذا سمعوا ذِكْرَه اشرأبوا واحمرت ألوانهم ، وطالت رقابهم ، والله ما كنتُ لآتي لهم سرورا وأنا أقدر عليه ، والله لقد هممتُ أن أحظر لهم حظيرةً ثم أضرمها عليهم نارا ، فإني لا أقتلُ منهم إلا آثما كفارا سحارا ، لا أنماهم^(١) الله ولا بارك عليهم ، بيت سوء لا أول لهم ولا آخر ، والله ما ترك نبي الله فيهم خيرا ، استفرع نبي الله صدقهم فهم أكذب الناس .

فقام إليه محمد بنُ سعد بن أبي وقاص فقال : وقفتك الله يا أمير المؤمنين ! أنا أول من أعانك في أمرهم ، فقام عبدُ الله بنُ صفوان بن أمية الجحى ، فقال : والله ما قلت صوابا ، ولا هممت برشد ، أرهط رسول الله صلى الله عليه وآله تعيب ، وإياهم تقتل ، والعرب حوئك ! والله لو قتلت عدتهم أهل بيت من الترك مسلمين ما سوغه الله لك ، والله لو لم^(٢) ينصرهم الناس منك لنصرهم الله بنصره . فقال : اجلس أباصفوان فلست بناموس^(٣) .

فبلغ الخبر عبد الله بن العباس ، فخرج مُغضبا ومعه ابنه حتى أتى المسجد ، فقصد قصد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ، وصلى على رسول الله صلى الله عليه وآله ثم قال : أيها الناس ، إن ابن الزبير يزعم أن لا أول لرسول الله صلى الله عليه وآله ولا آخر ، فيأعجبا كل العجب لإفترائه ولكذبه ! والله إن أول من أخذ الإيلاف وحمى عيراته^(٤)

(١) لأنماهم : لأكثر عددهم . (٢) في د « لولا » . (٣) الناموس : الحاذق

(٤) العير — بالكسر : الإبل تحمل البيرة ؛ بلا واحد من لفظها ، وجمعه عيرات

قريش لهاشم ، وإن أوّل من سقى بمكّة عذبا^(١) ، وجعل باب الكعبة ذهاباً لعبد المطب ، والله لقد نشأت ناشتناً مع ناشئة قريش وإن كنا لقاتلهم^(٢) إذا قالوا ، وخطباءهم إذا خطبوا ؛ وما عبدٌ مجّد كمجد أولنا ، ولا كان في قريشٍ مجدٌ لغيرنا ؛ لأنها في كفر ماحق ، ودين فاسق ، وضلة وضلالة ، في عشواء^(٣) عمياء ، حتى اختار الله تعالى لها نورا ، وبعث لها سراجا ، فانتجبه^(٤) طيباً من طيبين ، لا يسبه بمسبة ، ولا يبغي عليه غائلة ، فكان أحدنا وولدنا ، وعمنا وابن عمنا^(٥) ثم إن أسبق السابقين إليه منا وابن عمنا ، ثم تلاه في السبق ، أهلنا ولحمتنا^(٦) واحداً بعد واحد .

ثمّ إنّنا لخير الناس بعده وأكرمهم أدبا ، وأشرفهم حسبا ، وأقربهم منه رحما . واعجباً كلّ العجب لأبن الزبير ! يعيبُ بنى هاشم ، وإنما شرف هو وأبوه وجدّه بمصاهرتهم ؛ أما والله إنه لمسلوب قريش ، ومتى كان العوام بن خويلد يطمع في صفية بنت عبد المطلب ! قيل للبغل : من أبوك يا بغل ؟ فقال : خالى الفرس . ثمّ نزل .

خطب ابنُ الزبير بمكّة على المنبر ؛ وأبن عباس جالسٌ مع الناس تحت المنبر ، فقال : إنّ هاهنا رجلاً قد أعمى الله قلبه كما أعمى بصره ، يزعم أن مُتعة النساء حلالٌ من الله ورسوله ، ويُفتي في القملة والنملة ؛ وقد أحتمل بيت مال البصرة بالأمس ، وترك المسلمين بها يرتضخون^(٧) النوى ؛ وكيف ألومُه في ذلك ، وقد قاتل أمّ المؤمنين وحواري رسول الله صلى الله عليه وآله ، ومن وقاه بيده !

(١) في الطبرى : « وعبد المطلب هو الذى كشف عن زمزم بئر إسماعيل بن إبراهيم واستخرج ما كان فيها مدفونا » .

(٢) القالة : جمع قائل

(٣) فتنة عشواء ، من العشى ؛ وهو سوء البصر بالليل والنهار .

(٤) انتجبه : انتخبه .

(٥) ابن عمنا ، أى على بن أبى طالب

(٦) اللجمة : القرابة .

(٧) يرتضخون النوى : يكسرونه .

فقال ابنُ عباس لقائده سعد بن جُبَيْر بن هشام مولى بنى أسد بن خزيمة : استقبل بى وجهَ ابنِ الزبير ، وارفع من صدرى ؛ وكان ابنُ عباس قد كَفَّ بصره فاستقبل به قائده وجهَ ابنِ الزبير ، وأقام قامته فحسَرَ عن ذِراعَيْه ، ثم قال يابنَ الزبير :
 قد أنصفَ القارةَ مَنْ رامَها ^(١) إنا إذا ما فِئسةً نلقاها
 نردُّ أولاهها على أخراها حتى تصيرَ حرَضًا دَعَواها ^(٢)

يابنَ الزبير ؛ أما العَمى فإنَّ الله تعالى يقول : ﴿ فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ ﴾ ^(٣) ؛ وأما فُتْيَاىَ فى القَمَلَةِ والنَمَلَةِ ؛ فإنَّ فيها حُكْمَيْنِ لَا تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا أَصْحَابُكَ . وأما حَمَلَى المَالِ فإنه كان مَالًا جَبِينًا فَأَعْطَيْنَا كُلَّ ذِي حَقٍّ حَقَّهُ ، وَبَقِيَتْ بَقِيَّةٌ هِيَ دُونَ حَقِّنا فى كِتَابِ الله فَأَخَذْنَاهَا بِحَقِّنا . وأما الْمُتْعَةُ فَسَلَّ أَمَّاكُ أَسْمَاءَ إِذَا نَزَلَتْ عَنْ بُرْدَى عَوْسَجَةٍ . وأما قِتَالُنَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ فَبِنَا سَمَّيْتَ أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ لَا بَاكَ وَلَا بِأَبِيكَ ؛ فَانْطَلَقَ أَبُوكَ وَخَالَكَ إِلَى حِجَابِ مَدَّةِ الله عَلَيْهَا ، فَهَتَكَاهُ عَنْهَا ، ثُمَّ اتَّخَذَاهَا فِتْنَةً يَقَاتِلَانِ دُونَهَا ، وَصَانَا حِلَالَهُمَا فِي بُيُوتِهِمَا ، فَمَا أَنْصَفَا اللهَ وَلَا مُحَمَّدًا مِنْ أَنْفُسِهِمَا أَنْ أُبْرَزَا زَوْجَةَ نَبِيِّهِ وَصَانَا حِلَالَهُمَا . وأما قِتَالُنَا إِيَّاكُمْ فَإِنَّا لَقِينَاكُمْ زَحْفًا ، فَإِنْ كُنَّا كُفَّارًا فَقَدْ كَفَرْتُمْ بِفِرَارِكُمْ مِنَّا ، وَإِنْ كُنَّا مُؤْمِنِينَ فَقَدْ كَفَرْتُمْ بِقِتَالِكُمْ إِيَّانَا ، وَأَيْمُ اللهِ لَوْ لَا مَكَانٌ صَفِيَّةٌ فِيكُمْ ، وَمَكَانٌ خَدِيجَةٌ فِيْنَا ، لَمَا تَرَكْتُ لِبْنِى أَسَدَ بْنَ عَبْدِ الْعَزْزِ عَظْمًا إِلَّا كَسَرْتَهُ .

فلما عادَ ابنُ الزبير إِلَى أُمِّهِ سَأَلَهَا عَنْ بُرْدَى عَوْسَجَةٍ ، فَقَالَتْ : أَلَمْ أَنْهَكَ عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ وَعَنْ بَنِي هَاشِمٍ ! فَإِنَّهُمْ كُفُّمٌ ^(٤) الْجَوَابُ إِذَا بُدِّهُوا ، فَقَالَ : بَلَى ، وَعَصِيَّتُكَ .

(١) فى اللسان : القارة : قوم رماة من العرب ، وفى المثل : « قد أنصف القارة من رامها » .

(٢) الحرص : الفساد فى الذهن والعقل والبدن .

(٣) سورة الحج آية ٤٦

(٤) كَمُ البعير : شداه لثلا بعض أو يأكل ، والكعام ، ككتاب : ما يجعل على فهِ ، والجَم كَمُ ، والمعنى أنهم ذوو أجوبة مسكنة مخرسة تلجم أفواه مناظرهم .

قالت : يَا بُنَيَّ ، احذر هذا الأعمى الذى ما أطاقته الإنس والجن ، وأعلم أن عنده فضاءم قريش وتحازيها بأسرها ، فإياك وإياه آخر الدهر ، فقال : أيمن بن خريم بن فاتك الأسدى :

يا بن الزبير لقد لاقيت باثمة	من البوائق فالطف لطف محتال
لاقيته هاشميا طاب منبته	في مغرسيه كريم العم والخال
ما زال يقرع عنك العظم مقتدرا	على الجواب بصوت مسمع عال
حتى رأيتك مثل الكلب منججرا	خلف الغبيط وكنت الباذخ العالى
إن ابن عباس المعروف حكمته	خير الأنام له حال من الحال
عيرته المنعة المتبوع سنتها	وبالقتال وقد عيرت بلمال
لما رماك على رسل بأسهمه	جرت عليك بسيف الحال والبال
فأحزمتك فوقك الأعلى بشفرته	حزاً وحياً بلا قيل ولا قال ^(١)
وأعلم بأنك إن عاودت غيبتته	عادت عليك نخاز ذات أذبال

وروى عثمان بن طلحة العبدري ، قال : شهدت من ابن عباس رحمه الله مشهدا ماسمعه من رجل من قريش ، كان يوضع إلى جانب سرير مروان بن الحكم وهو يومئذ أمير المدينة سرير آخر أصفر من سريره ؛ فيجلس عليه عبد الله بن عباس إذا دخل ، وتوضع الوسائد فيما سوى ذلك ، فأذن مروان يوما للناس ، وإذا سرير آخر قد أحدث تجاه سرير مروان ، فأقبل ابن عباس فجلس على سريره ، وجاء عبد الله بن الزبير فجلس على السرير المحدث ، وسكت مروان والقوم ، فإذا يد ابن الزبير تتحرك

فعلم أنه يريد أن ينطق ، ثم نطق فقال : إن ناسا يزعمون أن بيعة أبي بكر كانت غلطا وقلته ومغالبة؛ ألا إن شأن أبي بكر أعظم من أن يقال فيه هذا ، ويزعمون أنه لولا ما وقع لكان الأمر لهم وفيهم ، والله ما كان من أصحاب محمد صلى الله عليه وآله أحد أثبت إيمانا ، ولا أعظم سابقة من أبي بكر ، فمن قال غير ذلك فعليه لعنة الله ! فإين هم حين عقد أبو بكر لعمر ، فلم يكن إلا ما قال ، ثم ألقى عمر حظه في حُظوظ ، وجدّهم في جدود ، فقسمت تلك الحُظوظ ، فأخر الله سهمهم ، وأدحض جدّهم ، وولى الأمر عليهم من كان أحق به منهم ، فخرجوا عليه خروج اللصوص على التاجر خارجا من القرية ، فأصابوا منه غيرة فقتلوه ، ثم قتلهم الله به كل قتل ، وصاروا مطرودين تحت بطون الكواكب .

فقال ابن عباس : على رسلك ^(١) أيها القائل في أبي بكر وعمر والخلافة ، أما والله ما نال ولا نال أحد منهما شيئا إلا وصاحبنا خير ممن نال ، وما أنكرنا تقدّم من تقدّم لعيب عيبه عليه ؛ ولو تقدّم صاحبنا لكان أهلا وفوق الأهل ، ولولا أنك إنما تذكر حظّ غيرك وشرف امرئ سواك لكلمتك ، ولكن ما أنت وما لاحظّ لك فيه ! اقتصر على حظّك ، ودع تيمنا لتيم ، وعديا لعدى ، وأمّية لأمية ، ولو كلنى تيمى أو عدوى أو أموى لكلمته وأخبرته خبر حاضر عن حاضر ، لا خبر غائب عن غائب ، ولكن ما أنت ، وما ليس عليك ! فإن يكن فى أسد بن عبد العزى شيء فهو لك ، أما والله لنحن أقرب بك عهدا ، وأبيض عندك يدا ، وأوفر عندك نعمة ممن أمسىت تظن أنك تصول به علينا ، وما أخلق ثوب صفية بعد ! والله المستعان على ما تصفون .

أوصى معاويةُ يزيدَ ابنه لما عَقَدَ له الخلافة بعده ؛ فقال : إني لا أخاف عليك إلا آمن أُوصيك بحِفْظِ قرابته ورعاية حقِّ رَحْمه ، مَنْ القلوبُ إليه مائلة ، والأهواءُ نحوه جانحة ، والأعينُ إليه طامحة ، وهو الحُسَيْن بنُ عليٍّ ، فاقسِمْ له نصيباً من حِلْمِكَ ، وأخصُصْهُ بقِسْطٍ وافرٍ من مالِكَ ؛ ومَتِّعْهُ بروح الحياة ، وأبلغْ له كلَّ ما أَحَبَّ في أيامِكَ ، فإِذَا مَن عَداه فثلاثة : وهم عبدُ الله بنُ عمر رجلٌ قد وقذته العِبادَةُ ؛ فليس يريدُ الدنيا إلا أن تجيئه طائفة ، لا تراقُ فيها محجمة دَم ، وعبدُ الرحمن بنُ أبي بكر ، رجلٌ هَقْلٌ ^(١) لا يحمل ثِقْلاً ، ولا يستطيع نهوضاً ؛ وليس بذى هِمة ولا شَرَف ولا أعوان ، وعبدُ الله ابنُ الزبير وهو الذئب الماكر ، والثعلب الخاتِر ؛ فوجَّه إليه جِدَّكَ وعزَمَكَ ونَكِيرَكَ ومَكْرَكَ ؛ وأصرِفْ إليه سَطَوَتَكَ ، ولا تَثِقْ إليه في حال ، فإنه كالثعلب ، راغ بالخلخل عند الإرهاق ، والليث صال بالجرأة عند الإطلاق ؛ وأما ما بعدَ هؤلاء فإِنِّي قد وطَّأتُ لك الأَمَمَ ، وذَلَّلتُ لك أعناقَ المنايرِ ، وكفَيْتُكَ مَن قَرُبَ منك ، ومَن بَعُدَ عنك فكن للناس كما كان أبوك لهم يكونوا لك كما كانوا لأبيك .

خَطَبَ عبدُ الله بن الزبير أيام يزيد بن معاوية فقال في خطبته : يزيدُ القُرودُ ، يزيدُ الفُهودُ ، يزيدُ الخُمورُ ، يزيدُ الفُجورُ ! أما والله لقد بلغنى أَنَّهُ لا يزالُ مَخْمُوراً يَخْطُبُ الناسَ وهو طافِحٌ في سُكرِهِ . فَبَلَغَ ذَلِكَ يزيدَ بنَ معاوية ، فما أَمْسَى ليلته حتَّى جَهَّزَ جيشَ الحرَّةِ ، وهو عشرون ألفاً ، وجلسَ والشُّموْعُ بين يديه ، وعليه ثيابٌ مُعَصْفَرَةٌ ، والجنودُ تُعرَضُ عليه ليلاً ، فلما أصبح خرج فأبصرَ الجيشَ ، ورأى تَعَبِيَّتَهُ فقال :
أبلغُ أبا بكرٍ إذا الجيشُ أنْبرَى وأخذَ القومُ على وادى القرى

عِشْرِينَ أَلْفًا بَيْنَ كَهْلٍ وَفَتًى أَجْمَعَ سَكْرَانُ مِنَ الْقَوْمِ تَرَى
* أَمْ جَمْعُ لَيْثٍ دُونَهُ لَيْثُ الشَّرَى *

لَمَّا خَرَجَ الْحُسَيْنُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ مَكَّةَ إِلَى الْعِرَاقِ ضَرَبَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبَّاسٍ يَدَهُ
عَلَى مَنْكَبِ ابْنِ الزَّيْبِرِ؛ وَقَالَ :

يَا لَلْهِ مِنْ قُبْرَةٍ بِمَعْمَرٍ خَلَا لَكَ الْجَوْ فَبِيضِي وَاصْفِرِي ^(١)
وَنَقَرِي مَا شِئْتَ أَنْ تُنْقَرِي هَذَا الْحُسَيْنُ سَائِرٌ فَأُبْشِرِي

خَلَا الْجَوْ وَاللَّهُ لَكَ يَا بْنَ الزَّيْبِرِ ! وَسَارَ الْحُسَيْنُ إِلَى الْعِرَاقِ ، فَقَالَ ابْنُ الزَّيْبِرِ : يَا بْنَ
عَبَّاسَ ، وَاللَّهُ مَا تَرَوْنَ هَذَا الْأَمْرَ إِلَّا لَكُمْ ، وَلَا تَرَوْنَ إِلَّا أَنْكُمْ أَحَقُّ بِهِ مِنْ جَمِيعِ
النَّاسِ ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : إِنَّمَا يَرَى مَنْ كَانَ فِي شَكٍّ ، وَنَحْنُ مِنْ ذَلِكَ عَلَى يَقِينٍ
وَلَكِنْ أَخْبِرْنِي عَنْ نَفْسِكَ ، بِمَاذَا تَرُومُ هَذَا الْأَمْرَ ؟ قَالَ : بِشَرَفِي ، قَالَ : وَبِمَاذَا شَرُفْتَ
إِنْ كَانَ لَكَ شَرَفٌ ؟ فَإِنَّمَا هُوَ بَنَانٌ ، فَنَحْنُ أَشْرَفُ مِنْكَ ، لِأَنَّ شَرَفَكَ مِنَّا . وَعَلَتْ
صَوَاتُهُمَا ، فَقَالَ غُلَامٌ مِنْ آلِ الزَّيْبِرِ : دَعْنَا مِنْكَ يَا بْنَ عَبَّاسٍ ؛ فَوَاللَّهِ لَا تُحِبُّونَا يَا بَنِي هَاشِمٍ
وَلَا تُحِبُّكُمْ أَبَدًا ؛ فَطَظَمَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ الزَّيْبِرِ يَدَهُ وَقَالَ : أَتَتَكَلَّمُ وَأَنَا حَاضِرٌ ! فَقَالَ
ابْنُ عَبَّاسٍ : لَمْ ضَرَبْتَ الْغُلَامَ ، وَاللَّهِ أَحَقُّ بِالضَّرْبِ مِنْهُ مَنْ مَزَّقَ وَمَرَّقَ ، قَالَ :
وَمَنْ هُوَ ؟ قَالَ : أَنْتَ .

قَالَ : وَاعْتَرَضَ بَيْنَهُمَا رَجُلَانِ مِنْ قُرَيْشٍ فَأَسْكَنْتَهُمَا .

دخل عبدُ الله بنُ الزبير على معاوية ، فقال : اسمع أبياتاً قلتها عاتبتك فيها ، قال :
هات ، فأنشده :

لعمري ما أذري وإني لأوجلُّ	على أيّنا تعدو المنية أولُّ
وإني أخوك الدائمُ العهدِ لم أزلُّ	إن أعيالك خضمُّ أونيأ بك منزلُّ
أحاربُ من حاربت من ذى عداوةٍ	وأحبس يوماً إن حبست فأعقلُّ
وإن سوتني يوماً صفحتُ إلى غدٍ	ليعقب يومٌ منك آخر مُقبلُّ
ستقطع في الدنيا إذا ما قطعني	يمينك ، فانظر أيَّ كفٍّ تبدلُّ !
إذا أنت لم تُنصف أخاك وجدته	على طرف الهجران إن كان يعقلُّ
ويركب حدَّ السيف من أن تضيمه	إذا لم يكن عن شفرة السيف معدلُّ
وكنتُ إذا ما صاحبٌ ملَّ صحبتي	وبدل شراً بالذى كنتُ أفعلُّ
قلبتُ له ظهرَ اللجنِّ ولم أقم	على الضيم إلا ريثما أتحوّلُ
وفي الناس إن رئتُ حبالك واصلُّ	وفي الأرض عن دارِ القلي متحوّلُ
إذا انصرفتُ نفسي عن الشيء لم تكذُّ	إليه بوجهٍ آخر الدهرُ تقبلُّ

فقال معاوية : لقد شعرتَ بعدى يا أبا خبيب ! وبينما هما في ذلك دخل معنُ بنُ أوس
الزُبيّ ، فقال له معاوية : إيه ! هل أحدثتَ بعدنا شيئاً ؟ قال : نعم ، قال : قل ؛ فأنشد
هذه الأبيات ، فعجب معاوية وقال لابن الزبير : ألم تنشدها لنفسك آنفاً ! فقال : أنا
سويت المعاني ، وهو ألف الألفاظ ونظمها ، وهو بعد ظئري ^(١) ، فإنا قال من شيء
فهو لي - وكان ابن الزبير مسترضعاً في مزرئته - فقال معاوية : وكذباً يا أبا خبيب !
فقام عبدُ الله فخرج .

(١) يقال : همى ظئره وهو ظئره ، وهم ومن أظآره ، أى أخواته من الرضاعة .

وقال السَّعْبِيُّ : فقد رأيت عجبا بفناء الكعبة أنا وعبد الله بن الزبير وعبدُ الملك بن مروان ومصعب بن الزبير ، فقام القوم بعد ما فرَّغوا من حديثهم ، فقالوا : ليقم كل واحد منكم ؛ فليأخذ بالركن اليماني ، ثم يسأل الله تعالى حاجته ، فقام عبد الله بن الزبير فالتزم الركن وقال : اللهم إني أعظمُ ترجي لكلِّ عظيم ، أسألك بحرمة وجهك وحرمة عزِّك وحرمة بيتك هذا ، ألا تخرجني من الدنيا حتى ألي الحجاز ، ويسلم علي بالخلافة ، وجاء فجلس .

فقام أخوه مصعب فالتزم الركن وقال اللهم ربَّ كلِّ شيء ، وإليك مصيرُ كلِّ شيء ، أسألك بقدرتك على كلِّ شيء ، ألا تُميتني حتى ألي العراق ، وأتزوج سُكينة بنت الحسين بن علي عليه السلام ثم جاء فجلس .

فقام عبد الملك فالتزم الركن وقال : اللهم ربَّ السموات السَّبع ، والأرض ذات النبت والقفَر ، أسألك بما سألك به المطيعون لأمرِك ، وأسألك بحق وجهك ، وبحقِّك على جميع خلقك ، ألا تُميتني حتى ألي شرق الأرض وغربها ، لا يُنازعني أحد إلا ظهرتُ عليه ، ثم جاء فجلس .

فقام عبد الله بن عمر فأخذ بالركن وقال : يا رحمن يا رحيم ، أسألك برحمتك التي سبقت غضبك ، وبقدرتك على جميع خلقك ، أن لا تُميتني حتى توجب لي الرحمة .

قال السَّعْبِيُّ : فوالله ما خرجتُ من الدنيا حتى بلغ كلَّ من الثلاثة ما سأل ، وأخلق بعبد الله بن عمر أن تجاب دعوته ، وأن يكون من أهل الرحمة .

قال الحجاج في خطبته يوم دخل الكوفة : هذا أدبُ ابن نهية ، أما والله لأؤدّبَنكم
غيرَ هذا الأدب .

قال ابن ماكولا في كتاب الإكمال : « يعنى مُصعب بن الزبير وعبد الله أخاه ، وهى
نهية بنتُ سعيد بن سهم بن هُصَيْصٍ ، وهى أمّ ولد أسد بن عبد العزّى بن قُصَيٍّ » ، وهذا
من المواضع الغامضة .

وروى الزبير بن بكار في كتاب أنساب قريش قال : قدِمَ وفدٌ من العراق على
عبد الله بن الزبير ، فأتوه في المسجد الحرام ، فسلموا عليه ، فسألهم عن مصعب أخيه وعن
سيرته فيهم ، فأتنوا عليه ، وقالوا : خيراً ، وذلك في يوم جمعةٍ ، فصلى عبد الله بالناس
الجمعة ، ثم صعد المنبر ، فحمد الله ثم تمثل :

قد جرّبوني ثمّ جرّبوني من غلواتين ومن المثين^(١)
حتى إذا شابوا وشيّبوني خلّوا عَنانِي ثمّ سيّبوني^(٢)

أيّها الناس ، إني قد سألتُ هذا الوفد من أهل العراق عن عاملهم مصعب بن الزبير
فأحسنوا الثناء عليه ، وذكروا عنه ما أحبّ ، ألا إن مصعباً أطبى^(٣) القلوب حتى لا تعدل
به ، والأهواء حتى لا تحوّل عنه ، واستمال الألسنُ بثنائها ، والقلوب بنصائحها ، والأنفس
بمحبتها وهو المحبوب في خاصّته ، المأمون في عامّته ، بما أطلق الله به لسانه من الخير
وبسّط به يديه من البذل ، ثم نزل .

وروى الزبير قال : لما جاء عبد الله بن الزبير نعى المصعب صعد المنبر فقال :

(٢) سيّبوني : تركوني .

(١) الغلوة : الفاية

(٣) أطبى القلوب : استمالها .

الحمد لله الذي له الخلق والأمر ، يؤتي الملك من يشاء ، وينزع الملك ممن يشاء ، ويُعزّز من يشاء ، ويُذلّ من يشاء ، ألا وإِنَّه لم يُذِلّ الله من كان الحقّ معه ولو كان فرداً ، ولم يُعزّز الله وليّ الشيطان وحزبه وإن كان الأنعام كلّهم معه ، ألا وإِنَّه قد أتانا من العراق خبرٌ أحرزنا وأفرحنا ، أتانا قتلُ المصعب رحمه الله ، فأما الذي أحرزنا فإنّ لفراق الحميم لذعة يجدها حميمه عند المصيبة ، ثم يرعوى بعدها ذو الرأي إلى جميل الصبر وكرم العزاء ، وأما الذي أفرحنا فإنّ قتله كان عن شهادة ، وأنّ الله تعالى جعل ذلك لنا وله ذخيرة ، ألا إنّ أهل العراق ، أهلُ الغدر والنفاق ، أسلموه وباعوه بأقلّ الثمن فإنّ يقتل المصعب فإنّا لله وإنا إليه راجعون ما نموت جَبِحا كما يموت بنو العاص ، ما نموت إلاّ قتلاً ، قعصاً^(١) بالرماح ، وموتاً تحت ظلال السيوف ، إلاّ إنّما الدنيا عارية من الملك الأعلى الذي لا يزول سلطانه ولا يبيد ، فإنّ تُقبِل الدنيا علىّ لا آخذها أخذ الأشر البطر^(٢) ، وإن تذر عنّي لا أبكي عليها بكاء الخرف المهتر ، وإن يهلك المصعب فإنّ في آل الزبير خلفاء ، ثم نزل .

وروى الزبير بن بكار قال : خطب عبدُ الله بنُ الزبير بعد أن جاءه مقتل المصعب ، فحمد الله وأثنى عليه ثمّ قال : لئن أُصِبتُ بمصعب فلقد أُصِبتُ بإمامي عثمان فعظمت مصيبتُه ، ثمّ أحسن الله وأجمل ، ولئن أُصِبتُ بمصعب فلقد أُصِبتُ بأبي الزبير ، فعظمت مُصِيبَتُهُ ، فظننتُ أنّي لا أجيزها ، ثمّ أحسن الله وسلم واستمرت مريرتي ، وهل كان مُصعب إلّا فتى من فتيانِي ، ثم غلبه البكاء فسالت دموعه وقال : كان والله سرّياً مرّياً ثم قال :

(١) القعص : الموت السريع .

(٢) الأشر والبطر كلاهما بمعنى واحد .

هُمْ دَفَعُوا الدِّنْيَا عَلَى حِينٍ أَعْرَضَتْ كَرَامًا وَسَنُوا لِلْكَرَامِ النَّاسِيَا

وَرَوَى أَبُو الْعَبَّاسِ فِي السَّكَامِلِ أَنَّ عُرْوَةَ لَمَّا صُلِبَ عَبْدُ اللَّهِ جَاءَ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ فَوَقَّفَ بِيَابِهِ ، وَقَالَ لِلْحَاجِبِ : أَعْلِمَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ أَنَّ أَبَا عَبْدِ اللَّهِ بِالْبَابِ ، فَدَخَلَ الْحَاجِبُ فَقَالَ : رَجُلٌ يَقُولُ قَوْلًا عَظِيمًا . قَالَ : وَمَا هُوَ ؟ فَتَهَيَّبَ ، فَقَالَ : قُلْ . قَالَ : رَجُلٌ يَقُولُ : قُلْ لَأَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ : أَبُو عَبْدِ اللَّهِ بِالْبَابِ ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : قُلْ لِعُرْوَةَ يَدْخُلُ ، فَدَخَلَ فَقَالَ : تَأْمُرُ بِإِنزَالِ جِيفَةِ أَبِي بَكْرٍ فَإِنَّ النِّسَاءَ يَجْزَعْنَ ، فَأَمَرْنَا بِإِنزَالِهِ قَالَ : وَقَدْ كَانَ كَتَبَ الْحَجَّاجُ إِلَى عَبْدِ الْمَلِكِ يَقُولُ : إِنَّ خَزَائِنَ عَبْدِ اللَّهِ عِنْدَ عُرْوَةَ ، فَهَرَبَ فَلَيْسَ لَهَا ؛ فَدَفَعَ عَبْدُ الْمَلِكِ الْكِتَابَ إِلَى عُرْوَةَ ، وَظَنَّ أَنَّهُ يَتَغَيَّرُ ، فَلَمْ يَحْفَلْ بِذَلِكَ كَأَنَّهُ مَاقَرَاهُ ، فَكَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ إِلَى الْحَجَّاجِ أَنْ لَا يَعْرِضَ لِعُرْوَةَ .

وَمِنَ السَّكَامِلِ الْمَشْهُورِ فِي بُحْلِ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِ الْكَلَامَ الَّذِي يُحْكِي أَنَّ أَعْرَابِيًّا^(١) أَتَاهُ يَسْتَحِمُّهُ ، فَقَالَ : قَدْ نَقَبَ خُفَّ رَاحِلَتِي فَاحْلِنِي^(٢) إِنِّي قَطَعْتُ الْهَوَاجِرَ إِلَيْكَ عَلَيْهَا فَقَالَ لَهُ إِزْقِعْهَا بِسَبْتٍ ، وَأَخْصِفْهَا بِهَلْبٍ ، وَأَنْجِدْ بِهَا ، وَسِرْ بِهَا الْبَرْدِينَ^(٣) ، فَقَالَ : إِنَّمَا أَتَيْتُكَ مُسْتَحِمًّا ، لَمْ آتِكَ مُسْتَوْصِفًا ، لَعَنَ اللَّهُ نَاقَةَ حَمَلْتَنِي إِلَيْكَ ، قَالَ : إِنَّ وَرَاكِبَهَا^(٤) .

(١) الخبر في الأغاني ١ : ١٥ ، ١٦

(٢) الأغاني : « قَدَّتْ قَفْقَى ، وَنَقَبَتْ رَاحِلَتِي » . وَنَقَبَ الْبَعِيرُ ؛ إِذَا رَقَّتْ أَخْصَافُهُ .

(٣) السبب : جلود البقر المدبوجة بالقرظ تحذى منها النعال السببية . وَالْخَصْفُ : أَنْ يَظَاهِرَ الْجُلْدَيْنِ بَعْضُهُمَا إِلَى بَعْضٍ وَيَخْرُزُهُمَا . وَالْهَلْبُ : شَعْرُ الْخَنْزِيرِ الَّذِي يَخْرُزُ بِهِ ، الْوَاحِدُ هَلْبَةٌ ، وَأَنْجِدْ ، إِذَا دَخَلَ بِلَادَ نَجْدٍ ، وَهُوَ مُوصُوفٌ بِالْبَرْدِ : وَالْبَرْدَانُ : الْغَدَاةُ وَالْعَشَى .

(٤) في الأغاني عن اليزيدي : « إِنْ » هَاهُنَا بِمَعْنَى نَعَمْ ، كَأَنَّهُ لِإِقْرَارِ بِمَا قَالَ ، وَمِثْلُهُ قَوْلُ ابْنِ قَيْسٍ

الرَّقِيَّاتِ :

وَيَقْلُنَ شَيْبٌ قَدْ عَلَا لَكَ وَقَدْ كَبُرْتَ ، فَهَلْتُ إِنَّهُ

وهذا الأعرابي هو فضالة بن شريك، فجهجاه فقال :

أَرَى الْحَاجَاتِ عِنْدَ أَبِي خُبَيْبٍ نَكِدْنَ وَلَا أُمِّيَّةَ بِالْإِلَادِ^(١)
مِنَ الْأَعْيَاصِ أَوْ مِنْ آلِ حَرْبٍ أَغْرَّ كُفْرَةُ الْفَرَسِ الْجَوَادِ

دخل عبدُ الله بنُ الزبير على معاويةَ فقال : يا أمير المؤمنين ، لا تدعنَ مروانَ يرمى جماهيرَ قُرَيْشٍ بِمَشَاقِصِهِ^(٢) ، وَيَضْرِبَ صِفَاتَهُمْ بِمَعْوَلِهِ ، أَمَا وَاللَّهِ . إِنَّهُ لَوْلَا مَكَانُكَ لَكَانَ أَخَفَّ عَلَى رِقَابِنَا مِنْ فَرَّاشَةٍ ، وَأَقْلَّ فِي أَنْفُسِنَا مِنْ خُشَّاشَةٍ^(٣) وَإِيْمُ اللَّهِ لَئِنْ مَلَكَ أَعِنَّةَ خَيْلٍ تَنْقَادُ لَهُ لَتَرَكِبَنَّ مِنْهُ طَبَقًا^(٤) تَخَافُهُ .

فقال : معاوية : إِنْ يَطْلُبُ مَرْوَانَ هَذَا الْأَمْرُ فَقَدْ طَمِعَ فِيهِ مَنْ هُوَ دُونُهُ ، وَإِنْ يَتْرُكُهُ يَتْرُكُهُ لِمَنْ فَوْقَهُ ، وَمَا أَرَأَاكُمْ بِمَنْتَهَيْنَ حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ مَنْ لَا يَعْطِفُ عَلَيْكُمْ بِقَرَابَةٍ ، وَلَا يَذْكُرُكُمْ عِنْدَ مُلَمَّةٍ ، يَسُومُكُمْ خَسْفًا ، وَيَسُوقُكُمْ عَسْفًا .

فقال ابن الزبير : إِذْنُ وَاللَّهِ يَطْلُقُ عَقَالَ الْحَرْبِ بَكْتَابِ تَمُورٍ^(٥) كَرَجُلِ الْجِرَادِ ، تَتَّبِعُ غَطْرِيْفًا^(٦) مِنْ قُرَيْشٍ لَمْ تَكُنْ أُمُّهُ رَاعِيَةً ثَلَاثَةً^(٧) .

فقال معاوية : أَنَا بِنِ هِنْدَ ، أَطْلَقْتُ عَقَالَ الْحَرْبِ ، فَأَكَلْتُ ذِرْوَةَ السَّانِمِ ، وَشَرِبْتُ عُفْوَانَ الْمَكْرَعِ^(٨) وَلَيْسَ لِلَّآ كُلِّ بَعْدَى إِلَّا الْفَلْدَةُ^(٩) ، وَلَا لِلشَّارِبِ إِلَّا الرَنْقُ^(١٠) .

(١) من ستة أبيات في الأغاني . وأبو خبيب كنية ابن الزبير ؛ وخبيب ولده الأكبر . ويقال : نكده حاجته ؛ إذا منعه إياها .

(٢) المشاقص : جمع مشقص ؛ وهو النصل الطويل ، أو سهم فيه ذلك يرمى به الوحش .

(٣) الخشاشة : واحدة الخشاش ؛ وهي حشرات الأرض والعصافير ونحوها .

(٤) الطبق : الحال ؛ وفق قوله تعالى : ﴿ لَتَرَكِبَنَّ طَبَقًا عَنْ طَبَقٍ ﴾ .

(٥) تمور : تضطرب . (٦) الفطريف : السيد الشريف .

(٧) الثلثة : جماعة الغنم ؛ أو الكثيرة منها .

(٨) عفوان الشيء : أوله ، أو أول بهجته . والمكرع : المورد ، مفعول من كرع في الماء أو الإناء .

(٩) الفلدة : القطعة من اللحم (١٠) ، ماء رنق : كدر .

فسكت ابنُ الزبير .

قَدِمَ عبد الله بنُ الزبير على معاوية وافداً ، فرحَّب به وأدناه حتَّى أَجْلَسَه على سريره ، ثم قال : حاجتكَ أبا خُبَيْبٍ ، فسأله أشياء ، ثم قال له : سَلْ غيرَ ما سألتَ ؛ قال : نعم . المهاجرون والأنصار تردُّ عليهم فيهم ، وتَحْفَظُ وصِيَّةَ نبيِّ الله فيهم ، تقبل من مُحْسِنِهِمْ ، وتتجاوز عن مُسِيئِهِمْ .

فقال معاوية : هَيَّاتَ هَيَّاتَ ، لا والله ما تأمن النعجة الذئب وقد أَكَلَ أَلَيْتَهَا^(١) .

فقال ابنُ الزبير . مَهْلاً يا معاوية ، فَإِنَّ الشاةَ لتدرِّ للحالب وإنَّ المَدْيَةَ في يده وابنُ الرجل الأديبَ لِيُصَانِعَ ولده الذي خرجَ من صُلْبِهِ ، وما تدور الرَحَى إِلَّا بِقُطْبِهَا ، ولا تَصْلُحُ القَوْسُ إِلَّا بِمَعْجِسِهَا^(٢) .

فقال : يَا أبا خُبَيْبٍ ، لقد أجزرتَ الطرُوقَةَ قَبْلَ هَيْبَابِ الفَحْلِ^(٣) هَيَّاتَ ، وهي لا تصطكُ لحبائها اصطكاكُ القرومِ السَّوَامِي^(٤) .

فقال ابنُ الزبير : العَطَنَ بعد العَلِّ والعلَّ بعد النَّهْلِ ، ولا بدَّ للرحاء من النَّفَالِ^(٥) ثمَّ نهض ابنُ الزبير .

فلما كان العِشاءُ أخذتْ قُرَيْشٌ مجالسها ، وخرج معاويةُ على بنى أمية فوجد عمرو

(١) الألية : ماركب في العظم من شحم ولحم . (٢) المعجس : المقبض

(٣) ناقة طاروقة الفحل : بلغت أن يضربها الفحل . وأجزره رسنه : جعله يجره . وهب الفحل من الإبل وغيرها هباباً وهيباً ، أراد السفاد

(٤) تصطك : تضطرب . والقروم : جمع قرم ؛ وهو الفحل والسَّوَامِي : جمع سام ، وصف من سما الفحل سماوة : تطاول إلى الناقة التي تشول بذنبها رغبة الاقحاح .

(٥) العطن : مبرك الإبل حول الحوض . والعلل والعلل : الشرب الثاني ، والنهل : الشرب الأول . والنفال : جلد أو نحوه يبسط تحت الرحى ليقع عليه الطحين .

ابن العاص فيهم ، فقال : ويحكم يا بني أمية ! أفیک من يكفيني ابن الزبير ؟ فقال عمرو : أنا أ كفيك يا أمير المؤمنين ؛ قال ما أظنك تفعل ؟ قال : بلى والله لأربدن وجهه^(١) ولأخرسن لسانه ، ولأردنه ألين من خيلة^(٢) .

فقال : دونك ، فاعرض له إذا دخل ، فدخل ابن الزبير ، وكان قد بلغه كلام معاوية وعمرو ، فجلس نصب عيني عمرو ، فتحدثوا ساعة ثم قال عمرو :

وإني لنار ما يطاق اصطلاؤها لدى كلام معضل متفام^(٣)

فأطرق ابن الزبير ساعة ينكت في الأرض ، ثم رفع رأسه وقال :

وإني لبحر ما يسامى عبابه متى يلقى بحري حر نار يكمد

فقال عمرو : والله يا ابن الزبير إنك ما علمت لتجلبب أجلايب القننة متأزر بوصائل^(٤) التيه ، تتعاطى الذرا الشاهقة ، والمعالى الباسقة . وما أنت من قريش في لباب جوهرها ولا مؤنق حسبها^(٥) .

فقال ابن الزبير : أما ما ذكرت من تعاطى الذرا فإنه طال بي إليها وسما ، ما لا يطول بك مثله أنف حي ، وقلب ذكي ، وصارم مشرفي ، في تليد فارع^(٦) ، وطريف مانع ، إذ قعد بك انتفاخ سحر^(٧) ، ووجيب قلبك^(٨) . وأما ما ذكرت من أني لست من قريش في لباب جوهرها ، ومؤنق حسبها ، فقد حضرني وإياك الأكفاء العالمون بي وبك ، فأجعلهم بيني وبينك .

(١) أى لأصيرنه أربد ، والربدة : لون إلى الغبرة .

(٢) الخيلة : القليفة . (٤) تفام الأمر ، إذا عظم .

(٣) الوصائل : جمع وصيلة ؛ وهى ثوب مخطط يمان

(٥) آ فقى الشيء ليناقا ؛ أعجبنى فهو مؤنق .

(٦) فارع : عال .

(٧) السحر : الرثة ؛ ويقال : انتفخ سحره ؛ أى عدا طوره .

(٨) وجيب القلب : خفقاؤه واضطرابه .

فقال القوم : قد أنصفك يا عمرو ، قال : قد فعلتُ .

فقال ابن الزبير : أما إذ أمكنني الله منك فلا أريدن وجهك ، ولأخرسن لسانك ولترجعن في هذه الليلة ، وكان الذي بين منكبيك مشدود إلى عروقي أخذ عنيك ؛ ثم قال : أقسمتُ عليكم يا معاشر قريش ، أنا أفضلُ في دين الإسلام أم عمرو ؟ فقالوا : اللهم أنت ، قال : فأبي أفضل أم أبوه ؟ قالوا : أبوك حواري رسول الله صلى الله عليه وآله وابن عمته ؛ قال : فأمي أفضل أم أمُّه ؟ قالوا : أمك أسماء بنت أبي بكر الصديق ، وذات النطاقين ؛ قال : فعمتي أفضل أم عمتُّه ؟ قالوا : عمتك سلمى ابنة العوام صاحبة رسول الله صلى الله عليه وآله وأله أفضل من عمتِّه ، قال : فخالتي أفضل أم خالته ؟ قالوا : خالتك عائشة أم المؤمنين ، قال : فجدتي أفضل أم جدته ؟ فقال : جدتك صفية بنت عبد المطلب عمة رسول الله صلى الله عليه وآله وأله ، قال : فجدى أفضل أم جدُّه ؟ قالوا : جدُّك أبو بكر الخليفة بعد رسول الله صلى الله عليه وآله ، فقال :

قَصَّتِ الْغَطَارِفُ مِنْ قُرَيْشٍ بَيْنَنَا فَاصْبِرْ لِفَصْلِ خِصَامِهَا وَقَضَائِهَا^(١)

وَإِذَا جَرَيْتَ فَلَا تَجَارِ مَبْرَزَا بَذَّ الْجِيَادُ عَلَى احْتِفَالِ جِرَائِهَا^(٢)

أما والله يا ابن العاص لو أن الذي أمرك بهذا واجهني بمِثْلِهِ لَقَصَّرْتُ إِلَيْهِ مِنْ سَامِي بَصَرِهِ وَلَتَرَكْتُهُ يَتَلَجَّلَجُّ لِسَانَهُ ، وَتَضَطَّرِّمُ النَّارُ فِي جَوْفِهِ ، وَلَقَدْ اسْتَعَانَ مِنْكَ بِغَيْرِ وَاوٍ وَلَجَأَ إِلَى غَيْرِ كَافٍ ، ثُمَّ قَامَ فَخَرَجَ .

وذكر المسعودي في كتاب مروج الذهب أن الحجاج لما حاصر ابن الزبير لم يزل يزحف حتى ملك الجبل المرفف بأبي قبيس ، وقد كان بيد ابن الزبير ، فكتب

(١) الغطارف : جمع غطريف ؛ وهو السيد .

(٢) يرز تبرزا : فاق أصحابه ، وبذ : فاق وغلب . واحتفل القوم : اجتمعوا . والجراء والمجارية ،

مصدر « جاري » .

بذلك إلى عبد الملك ، فلما قرأ كتابه كبر وكبر من كان في داره حتى اتصل التكبير بأهل السوق ، فكثروا ، وسأل الناس ما الخبر ؟ فقيل لهم : إن الحجاج حاصر ابن الزبير بمكة ، وظفر بأبي قُبَيْس ، فقال الناس : لا نرضى حتى يحمل أبو خُبَيْب إلينا مكبلاً على رأسه بُرْنُس ، راكبُ جملٍ ، يُطاف به في الأسواق تراه العيون .

وذكر المسعودي أن عمه عبد الملك كانت تحت عروة بن الزبير ، وأن عبد الملك كتب إلى الحجاج يأمره بالكف عن عروة ، وذلك قبل أن يقتل عبد الله وألاً يسوءه إذا ظفر بأخيه في ماله ولا في نفسه ؛ قال : فلما اشتد الحصار على عبد الله خرج عروة إلى الحجاج فأخذ لعبد الله أماناً ورجع إليه ، فقال : هذا عمرو بن عثمان ، وخالد بن عبد الله بن خالد بن أسيد ، وهما فتية بنى أمية يُعطيانك أمان عبد الملك ابن عمهما على ما أحدثت أنت ومن معك ، وأن تنزل أي البلاد شئت ، ولك بذلك عهد الله وميثاقه ، فأبى عبد الله قبول ذلك ، ونهته أمه وقالت : لا تموتن إلا كريماً فقال لها : إني أخاف إن قتلت أن أصاب أو يمثل بي ، فقالت : إن الشاة بعد الذبح لا تحس بالسُلخ .

وروى المسعودي أن عبد الله بن الزبير بعد موت يزيد بن معاوية طاب من يومه على الكوفة ، وقد كان أهلها أحبوا أن يليهم غير بنى أمية ، فقال له المختار بن أبي عبيد : اطلب رجلاً له رفق وعلم بما يأتي وتدبر قوله إياها يستخرج لك منها جندا تغلب به أهل الشام ، فقال : أنت لها ، فبعته إلى الكوفة فأتاها وأخرج ابن مطيع منها ، وابنتي لنفسه داراً وأنفق عليها مالا جليلاً ، وسأل عبد الله بن الزبير أن يحتسب له به من مال العراق ، فلم يفعل ، فخلعه وحجده بيعته ، ودعا إلى الطالبين .

قال المسعودي : وأظهر عبدُ الله بنُ الزَّيْرِ الزَّهْدَ في الدُّنْيَا ، وملازمةَ العبادة مع الحِرْصِ على الخلافة وشَبْرِ بَطْنِهِ ، فقال : إِنَّمَا بَطْنِي شَبْرٌ ، فما عَسَى أَنْ يَسَعَ ذلك الشَّبْرُ ! وظَهَرَ عنه شُحٌّ عَظِيمٌ على سائرِ الناسِ ، ففي ذلك يقول أبو حمزة مولى آلِ الزَّيْرِ :

إِنْ المَوَالِي أَمَسْتُ وَهِيَ عَاتِبَةٌ عَلَى الخَلِيفَةِ تَشْكُو الجُوعَ والحَرْبَا
مَاذَا عَلَيْنَا وَمَاذَا كَانَ يَرْزُونَا أَيْ المُلُوكِ عَلَى مَا حَوْلُنَا غَلْبَا !
وقال فيه أيضا :

لو كَانَ بَطْنُكَ شَبْرًا قَدْ شَبَعَتْ أَفْضَلْتَ فَضْلًا كَثِيرًا لِلْمَسَاكِينِ
مَا زِلْتَ فِي سُورَةِ الْأَعْرَافِ تَدْرُسُهَا حَتَّى فَوَادَى مِثْلَ الْخَزِّ فِي اللَّيْنِ
وقال فيه شاعرٌ أيضًا ، لَمَّا كَانَتِ الحَرْبُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الحَصَيْنِ بْنِ كُمَيْرٍ قَبْلَ أَنْ يَمُوتَ
يَزِيدُ بْنُ مَعَاوِيَةَ :

فِيَارَا كِبَا إِمَّا عَرَضْتَ قَبْلَنَا كَبِيرَ بَنِي الْعَوَّامِ إِنْ قِيلَ مَسْ تَعْنِي
تُحْبِرُ مَنْ لَاقَيْتَ أَنَّكَ عَائِدٌ وَتُكْثِرُ قَتْلِي بَيْنَ زَمَزَمَ وَالرُّكْنِ
وقال الضَّحَّاكُ بْنُ قَيْرُوزٍ الدَّيْلَمِيُّ :

تَحْبِرُنَا أَنْ سَوْفَ تَكْفِيكَ قَبْضَةٌ وَبَطْنُكَ شَبْرٌ أَوْ أَقْلٌ مِنَ الشَّبْرِ
وَأَنْتَ إِذَا مَا نِلْتَ شَيْئًا قَضَمْتَهُ كَمَا قَضَمْتَ نَارُ الْغَضَا حَطَبَ السِّدْرِ
فَلَوْ كُنْتَ تَجَزَّى أَوْ تُثِيبُ بِنِعْمَةٍ قَرِيبًا لِرَدَّتِكَ الْمُطُوفُ عَلَى عَمْرٍو
قال : هُوَ عَمْرٍو بْنُ الزَّيْرِ أَخُوهُ ، ضَرَبَهُ عَبْدُ اللَّهِ حَتَّى مَاتَ وَكَانَ
مُبَايِنًا لَهُ ^(١) .

كان يزيد بن معاوية قد ولى الوليد بن عتبة بن أبي سفيان المدينة ، فسرح الوليد منها جيشاً إلى مكة لحرب عبد الله بن الزبير ، عليه عمرو بن الزبير ، فلما تصاف القوم أنهزم رجال عمرو وأسلموه ، فظفر به عبد الله ، فأقامه للناس بباب المسجد مجرّداً ، ولم يزل يضربه بالسياط حتى مات (١) .

وقد رأيت في غير كتاب المسعودي أن عبد الله وجد عمرًا عند بعض رؤجائه ، وله في ذلك خبر لا أحب أن أذكره .

قال المسعودي : ثم إن عبد الله بن الزبير حبس الحسن بن محمد بن الحنفية في حبس مظلم (٢) ، وأراد قتله ، فأعمل الحيلة حتى تخلص من السجن ، وتعتف الطريق على الجبال ، حتى أتى منى ، وبها أبوه محمد بن الحنفية (٣) .

ثم إن عبد الله جمع بنى هاشم كلهم في سجن عارم ، وأراد أن يحرقهم بالنار ، وجعل في فم الشعب خطباً كثيراً ، فأرسل المختار أبا عبد الله الجدلي في أربعة آلاف ، فقال أبو عبد الله لأصحابه : ويحكم ! إن بلغ ابن الزبير الخبر عجل على بنى هاشم فأتى عليهم ، فانتدب هو نفسه في ثمانمائة فارس جريدة ، فاشعر بهم ابن الزبير إلا والرايات تحفّق بمكة ، فقصد قصد الشعب ، فأخرج الهاشميين منه ، ونادى بشعار محمد بن الحنفية ، وسمّاه المهدي ، وهرّب ابن الزبير ، فلاذ بأستار الكعبة ، فنهاهم محمد بن الحنفية عن طلبه

(١) مروج الذهب ٣ : ٨٥

(٢) مروج الذهب : « سجن عارم » .

(٣) في مروج الذهب : « ففى ذلك يقول كثير :

تُخَبِّرُ مَنْ لَا قِيَتَ أَنَّكَ عَائِدٌ
وَمَنْ يَرَى هَذَا الشَّيْخَ بِالْخَيْفِ مِنْ مَنَى
بَلِ الْعَائِدِ الْمَظْلُومُ فِي سِجْنِ عَارِمِ
مَنْ النَّاسِ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ ظَالِمِ
وَفَكَاكُ أَغْلَالٍ وَقَاضَى مَغَارِمِ
سَمِيَّ نَبِيَّ اللَّهِ وَابْنُ وَصِيِّهِ

وعن الحرب ، وقال : لا أريد الخلافة إلا إن طلبني الناس كلهم واتفقوا على كلمهم ، ولا حاجة لي في الحرب ^(١) .

قال المسعودي : وكان عروة بن الزبير يعذر أخاه عبد الله في حصر بني هاشم في الشعب ، وجميعه الخطب ليحرقهم ويقول : إنما أريد بذلك ألا تنتشر الكلمة ، ولا يختلف المسلمون ، وأن يدخلوا في الطاعة ، فتكون الكلمة واحدة ، كما فعل عمر بن الخطاب بيني هاشم لما تأخروا عن بيعة أبي بكر ، فإنه أحضر الخطب ليحرق عليهم الدار ^(٢) .

قال المسعودي : وخطب ابن الزبير يوم قدم أبو عبد الله الجذلي قبل قدومه بساعتين ، فقال : إن هذا الغلام محمد بن الحنفية قد أتى ببيعتي ، والمؤعد بيني وبينه أن تغرب الشمس ثم أضرم عليه مكانه ناراً ، فجاء إنسان إلى محمد فأخبره بذلك ؛ فقال : سيمنعه مني حجاب قوي ، فجعل ذلك الرجل ينظر إلى الشمس ، ويرقب غيبوبتها لينظر ما يصنع ابن الزبير ، فلما كادت تغرب حاست ^(٣) خيل أبي عبد الله الجذلي ديار مكة وجعلت تمعج ^(٤) بين الصفا والمروة ، وجاء أبو عبد الله الجذلي بنفسه فوقف على فم الشعب ، وأستخرج محمداً ، ونادى بشعاره ، وأستأذنه في قتل ابن الزبير ، فكره ذلك ولم يأذن فيه ، وخرج من مكة فأقام بشعب رضوى حتى مات ^(٥) .

(٢) مروج الذهب ٣ : ٨٦

(١) مروج الذهب ٣ : ٨٥

(٣) حاست الخيل : أحاطت بها من كل جانب .

(٤) تمعج : تشدد في عدوها يميناً وشمالاً .

(٥) مروج الذهب ٣ : ٨٦ ، ٨٧

وَرَوَى الْمَسْعُودِيُّ عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيْرٍ ، أَنَّ ابْنَ عَبَّاسٍ دَخَلَ عَلَى ابْنِ الزَّيْبِرِ فَقَالَ لَهُ
ابْنُ الزَّيْبِرِ : إِيَّاهُ (١) تَوَنَّبَنِي وَتَعَنَّفَنِي ! قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ : إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ
عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ : « بُئْسَ الْمَرْءُ الْمُسْلِمُ يَشْبَعُ وَيَجُوعُ جَارُهُ ! » ، وَأَنْتَ ذَلِكَ الرَّجُلُ ، فَقَالَ
ابْنُ الزَّيْبِرِ : وَاللَّهِ إِنِّي لَا أَكْتُمُ بُغْضَكُمْ أَهْلَ هَذَا الْبَيْتِ مِنْذُ أَرْبَعِينَ سَنَةً . وَتَشَاجَرَا ،
فَخَرَجَ ابْنُ عَبَّاسٍ مِنْ مَكَّةَ ، [خَوْفًا عَلَى نَفْسِهِ] فَأَقَامَ بِالطَّائِفِ حَتَّى مَاتَ (٢) .

وَرَوَى أَبُو الْفَرَجِ الْأَصْفَهَانِيُّ (٣) قَالَ : أَتَى فَضَالَهَ بْنُ شَرِيكَ الْوَالِجِيِّ ثُمَّ الْأَسَدِيَّ
مِنْ بَنِي أَسَدَ بْنِ خُزَيْمَةَ عَبْدَ اللَّهِ بْنِ الزَّيْبِرِ فَقَالَ : نَفِدَتْ نَفَقَتِي ، وَنَقَبَتْ نَاقَتِي ، فَقَالَ :
أَحْضِرْ نِيهَا ، فَأَحْضَرَهَا ، فَقَالَ : أَقْبِلْ بِهَا ، أَدْبِرْ بِهَا ، فَفَعَلَ ، فَقَالَ : ارْقَعْهَا بِسَبْتٍ ، وَأُخْصِفْهَا
بِهُلْبٍ ، وَأَنْجِدْ بِهَا يَبْرُدُ خُفَّهَا ، وَسِرِّ الْبَرْدَيْنِ تَصَحَّ . فَقَالَ فَضَالَةُ : إِنِّي أَتَيْتُكَ
مُسْتَحْمِلًا ، وَلَمْ آتِكَ مُسْتَوْصِفًا ، فَلَمَعَنَ اللَّهُ نَاقَةً حَمَلَتْنِي إِلَيْكَ ! فَقَالَ : إِنْ وَرَاكُمَا ؛
فَقَالَ فَضَالَةُ :

أَقُولُ لِغَلْمَةٍ شُدُّوا رِكَابِي أَجَاوِزُ بَطْنِ مَكَّةَ فِي سَوَادِ
فَمَا لِي حِينَ أَقْطَعُ ذَاتَ عِرْقِي إِلَى ابْنِ الْكَاهِلِيَّةِ مِنْ مَعَادِ (٤)
سَيُبْعِدُ بَيْنَنَا نَصُّ الْمَطَايَا وَتَعْلِيقُ الْإِدَاوَى وَالْمَزَادِ (٥)
وَكُلِّ مَعْبُودٍ قَدْ أَعْلَمْتَهُ مَنَاسِمُهُنَّ طَلَاعُ النَّجَادِ (٦)

(١) في د : « علام » . (٢) مروج الذهب ٣ : ٨٩ والزيادة منه .

(٣) الأغاني ١ : ١٥ ، ١٦ .

(٤) ذات عرق : مهل أهل العراق ؛ وهو الحد بين نجد وتهامة .

(٥) نص المطايا : استخراج أقصى ما عندها من السير ، والأداوى : جمع لإداوة ؛ وهي وعاء الماء .
والمزاد : جمع مزادة ؛ وهي الراوية يحمل فيها الماء .

(٦) المعبد : الطريق للذلل . وأعلمته مناسمهن : أثرت فيه بأخفافها . والنجاد : جمع نجد ؛ وهو ما غلظ
من الأرض .

أَرَى الْحَاجَاتِ عِنْدَ أَبِي خَيْبٍ نَكِدْنَ وَلَا أُمَيَّةَ بِالْبِلَادِ
مِنَ الْأَعْيَاصِ أَوْ مِنْ آلِ حَرْبٍ أَغْرَتْ كُفْرَةَ الْفَرَسِ الْجَوَادِ

— قال : ابنُ الكاهليّة هو عبدُ الله بنُ الزبير ، والكاهليّة هذه هي أمُّ خُوَيْلِد بن أسد بن عبدِ العزّي ، وأسمُها زُهْرَة بنتُ عمرو بن خنْثَر بن رُوَيْنَة بن هِلَال ، من بني كَاهِل بن أسد بن خزيمَة — قال : فقال عبدُ الله بنُ الزبير لَمَّا بَلَغَهُ الشَّعْرُ : عَلِمَ أَنَّهَا شَرُّ أُمّهَاتِي فَعَيَّرَنِي بِهَا ، وَهِيَ خَيْرُ عَمَّاتِهِ .

وَرَوَى أَبُو الْفَرَجِ قَالَ : كَانَتْ صَفِيَّةُ بِنْتُ أَبِي عُبَيْدٍ بِنِ مَسْعُودِ الثَّقَفِيِّ تَحْتَ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ فَشَى أَبْنُ الزَّبِيرِ إِلَيْهَا ، فَذَكَرَ لَهَا أَنَّ خُرُوجَهُ كَانَ غَضَبًا لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ وَلِرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَلِلْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ مِنْ أَثَرَةِ مُعَاوِيَةَ وَابْنِهِ بَالِقِيٍّ ، وَسَأَلَهَا مَسْأَلَةَ زَوْجِهَا عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍ أَنْ يَبَايَعَهُ ، فَلَمَّا قَدِمَتْ لَهُ عَشَاءَهُ ذَكَرَتْ لَهُ أَمْرَ ابْنِ الزَّبِيرِ وَعِبَادَتَهُ وَأَجْتِهَادَهُ ، وَأَثْنَتْ عَلَيْهِ ، وَقَالَتْ : إِنَّهُ لَيَدْعُو^(١) إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ ، وَأَكْثَرَتْ الْقَوْلَ فِي ذَلِكَ ، فَقَالَ لَهَا : وَيَمْحُكُ ! أَمَا رَأَيْتِ الْبَغْلَاتِ الشُّهْبَ الَّتِي كَانَ يَحُجُّ مُعَاوِيَةَ عَلَيْهَا ، وَتَقْدُمُ إِلَيْنَا مِنَ الشَّامِ ؟ قَالَتْ : بَلَى ؛ قَالَ : وَاللَّهِ مَا يَرِيدُ ابْنُ الزَّبِيرِ بِعِبَادَتِهِ غَيْرَهُنَّ^(٢) !

(١) د : « إِنَّهُ لَا يَدْعُو إِلَى طَاعَةِ اللَّهِ » (٢) الْأَعْيَانُ ١ : ٢٢ ، ٢٣ .

الأفضل :

وقال عليه السلام :

مالئني آدمَ والفخرُ ! أوْلُهُ نُظْفَةٌ ، وآخِرُهُ جِيفَةٌ . لا يَرْزُقُ نَفْسَهُ ، ولا يَدْفَعُ حَتْمَهُ .

البُزْخُ :

قد تقدّم كلامنا في الفخر ، وذكرنا الشعرَ الذي أُخِذَ من هذا الكلام ، وهو قولُ القائل :

مابالُ مَنْ أوْلُهُ نُظْفَةٌ وجِيفَةٌ آخِرُهُ يَفْخَرُ
يُصْبِحُ مَا يَمْلِكُ تَقْدِيمَ ما يَرْجُو ولا تَأْخِيرَ مَا يَحْذَرُ !

[فصل في الفخر وما قيل في النهي عنه]

وقال بعضُ الحكماء : الفخر هو المباهاة بالأشياء الخارجة عن الإنسان ، وذلك نهايةُ الحق لمن نظر بعَيْن عقله ، وانحسر عنه قِناع جهله ، فأعرض الدنيا عاريةً مستردّةً ، لا يؤمن في كلِّ ساعة أن تُرتَجَعَ ، والمباهى بها مُباهٍ بما في غير ذاته .

وقد قال لبعض من فخرَ بثروته ووفره : إن افتخرتَ بفَرَسِكَ فالْحَسَنُ والفراة له دونك ، وإن افتخرتَ بثيابك وآلاتِكَ فالجمالُ لهما دونك ، وإن افتخرتَ بآبائِكَ

وسَلَفِك فالفضلُ فيهم لا خِيَك ، ولو تكلَّمت هذه الأشياء لَقَالَتْ لك : هذه محاسنُنا
فها محاسنُك !

وأيضاً فإن الأعراض الدنيويَّة كما قيل : سحابةٌ صَيَفٌ عن قليلٍ تَقْشَعُ ، وظلٌّ
زائلٌ عن قريبٍ يَضْمَجِلُ ، كما قال الشاعر :

إِنَّمَا الدُّنْيَا كَرُوءِيَا فَرَّحْتَ مَن رَأَاهَا سَاعَةً ثُمَّ انْقَضَتْ

بل كما قال تعالى : ﴿ إِنَّمَا مَثَلُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَاءٍ أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ نَبَاتُ
الْأَرْضِ مِمَّا يَأْكُلُ النَّاسُ وَالْأَنْعَامُ حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا وَازِيدَتْ وَظْنَ
أَهْلِهَا أَنَّهُمْ قَادِرُونَ عَلَيْهَا أَتَاهَا أَمْرُنَا لَيْلًا أَوْ نَهَارًا فَجَعَلْنَاهَا حَصِيدًا كَأَنْ لَّمْ تَغْنِ
بِالْأَمْسِ ﴾ ^(١) .

وإذا كان لا بدَّ من الفَخْرِ فليُفْخَرْ الإنسانُ بعلمه وبشَرِّيف خُلُقِهِ ، وإذا أُعْجِبَكَ من
الدُّنْيَا شَيْءٌ فَادْكُرْ فَنَاءَكَ وَبَقَاءَهُ ، أَوْ بَقَاءَكَ وَفَنَاءَهُ ، أَوْ فَنَاءَكَ كَمَا جَمِيعًا ، وإذا رَأَيْتَ مَا هُوَ
لَكَ فَانْظُرْ إِلَى قُرْبِ خُرُوجِهِ مِنْ يَدِكَ ، وَبُعْدِ رَجُوعِهِ إِلَيْكَ ، وَطُولِ حِسَابِكَ عَلَيْهِ ،
وَقَدْ ذَمَّ اللَّهُ الْفَخْرَ فَقَالَ : ﴿ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ ﴾ ^(٢) .

(٤٦٠)

الأفضل :

الغنى والفقرُ بعدَ العَرَضِ عَلَى اللَّهِ تَعَالَى .

الشَّرْحُ

أى لا يُعَدَّ الغنى غنياً فى الحقيقة إلا من حصل له ثوابُ الآخرة الذى لا يَنْقُطع أبداً ولا يُعَدُّ الفقير فقيراً إلا مَنْ لم يَحْصُلْ له ذلك ، فإنه لا يزال شقيماً معدّياً ، وذلك هو الفقرُ بالحقيقة .

فأما غنى الدنيا وفقرُها فأمران عَرَضِيَّانِ ، زوالهما سريع ، وانقضاؤهما وشيك . وإطلاق هاتين اللفظتين على مُسمّاهما الدنيوى على سبيلِ المجاز عند أربابِ الطريقة ، أعنى العارفين .

الأضل :

وَسُئِلَ عَنْ أَشْعَرِ الشُّعْرَاءِ ، فَقَالَ عَلَيْهِ السَّلَامُ :
 إِنَّ الْقَوْمَ لَمْ يَجْزُوا فِي حَلَبَةٍ تُعْرَفُ الْغَايَةُ عِنْدَ قَصَبَتِهَا ، فَإِنْ كَانَ وَلَا بُدَّ
 فَلَمَّا لَكَ الضَّلِيلُ .
 قال : يُرِيدُ أَمْرَ الْقَيْسِ .

[في مجلس علي بن أبي طالب]

الْبُزْجُ :

قَرَأْتُ فِي أَمَالِي ابْنَ دُرَيْدٍ ، قَالَ : أَخْبَرَنَا الْجَرْمُوزِيُّ ، عَنْ ابْنِ الْمُهَلَّبِيِّ ، عَنْ
 ابْنِ الْكَلْبِيِّ ، عَنْ شَدَّادِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، عَنْ عُبَيْدِ اللَّهِ بْنِ الْحَسَنِ الْعَنْبَرِيِّ ، عَنْ ابْنِ
 عَرَادَةَ ، قَالَ : كَانَ عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ عَلَيْهِ السَّلَامُ يُعَشِّي النَّاسَ فِي شَهْرِ رَمَضَانَ
 بِاللَّحْمِ وَلَا يَتَعَشَّى مَعَهُمْ ، فَإِذَا فَرَغُوا خُطَبَهُمْ وَوَعَّظَهُمْ ، فَأَفَاضُوا لَيْلَةً فِي الشُّعْرَاءِ
 وَهُمْ عَلَى عَشَائِهِمْ ، فَلَمَّا فَرَغُوا خُطَبَهُمْ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَقَالَ فِي خُطْبَتِهِ : اَعْلَمُوا أَنَّ
 مِلَآكَ أَمْرِكُمُ الدِّينَ ، وَعِصْمَتُكُمُ التَّقْوَى ، وَزِينَتُكُمُ الْأَدَبُ ، وَحُصُونُ أَعْرَاضِكُمُ
 الْحِلْمُ ؛ ثُمَّ قَالَ : قُلْ يَا أَبَا الْأَسْوَدِ : فِيمَ ^(١) كُنْتُمْ تَفِيضُونَ فِيهِ؟ أَيْ الشُّعْرَاءِ أَشْعَرُ؟ فَقَالَ :-
 يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِي يَقُولُ :

وَلَقَدْ أَغْتَدَى يَدَا فِعْ رُكْنِي أَعُوْجِي ذُو مِيعَةٍ إِضْرِيْجُ ^(٢)

(١) في د « ما كنتم » ؛ وهو وجه أيضاً (٢) ديوان أبي دوداد ٢٩٩ .

مَحْلَطٌ مَزِيلٌ مَعْنٌ مِفَنٌ مَنفَحٌ مِطْرَحٌ سَبُوحٌ خَرُوجٌ

يعنى أبا دُواد الإيادى ، فقال عليه السلام : ليس به ، قالوا : فمن يا أمير المؤمنين ؟
 فقال : لو رُفعتُ للقوم غايةٌ فُجِرُوا إليها معاً علمنا من السابق منهم ، ولكن إن يكن
 فالذى لم يقل عن رغبة ولا رهبة . قيل : من هو يا أمير المؤمنين ؟ قال : هو الملك
 الضليل ذو القروح ، قيل : امرؤ القيس يا أمير المؤمنين ؟ قال : هو . قيل : فأخبرنا عن
 ليلة القدر ؟ قال : ما أخلو من أن أكون أعلمها فأسر علمها ، ولست أشك أن الله إنما
 يسترها عنكم نظراً لكم ، لأنه لو أعلمكموها علمتم فيها وتركتم غيرها ، وأرجو أن
 لا تخطئكم إن شاء الله ، انهضوا رَحِمَكُم الله .

وقال ابن دُرَيْد لما فرغ من الخبر : إضرب : ينبثق في عذوه ، وقيل واسع الصدر
 ومنفح : يُخرج الصيد من مواضعه ، ومِطْرَح : يطرح ببصره . وخروج : سابق .
 والغاية بالغين المعجمة : الرأية ، قال الشاعر :

وَإِذَا غَايَةُ مَجْدٍ رُفِعَتْ نَهَضَ الصَّلْتُ إِلَيْهَا فَحَوَاهَا

وَيُرْوَى قَوْلُ الشَّمَاخ :

إِذَا مَا رَايَةُ رُفِعَتْ لِمَجْدٍ تَلَقَّاهَا عَرَابَةٌ بِالْيَمِينِ^(١)

بالغين ، والراء أكثر . فأما البيت الأول فبالغين لا غير ، أنشده الخليل في عروضه ،
 وفى حديث طويل فى الصحيح : « فَيَأْتُونَكُمْ تَحْتَ ثَمَانِينَ غَايَةً ، تَحْتَ كُلِّ غَايَةٍ اثْنَا عَشَرَ
 أَلْفًا » . والمِيعَةُ : أَوَّلُ جَرْنِ الْفَرَسِ ؛ وقيل : الْجَرْنَى بَعْدَ الْجَرَى .

[اختلاف العلماء في تفضيل بعض الشعراء على بعض]

وأنا أذكرُ في هذا الموضع ما اختلف فيه العلماء من تفضيل بعض الشعراء على بعض ، وأبتدى في ذلك بما ذكره أبو الفرج على بن الحسين الأصفهاني في كتاب الأغاني . قال أبو الفرج : الثلاثة المقدمون على الشعراء : امرؤ القيس ، وزهير ، والنابغة ، لا اختلاف في أنهم مقدمون على الشعراء كلهم ، وإنما اختلف في تقديم بعض الثلاثة على بعض ^(١) .

قال : فأخبرني أبو خليفة ، عن محمد بن سلام ، عن أبي قيس ، عن عكرمة بن جرير ، عن أبيه ، قال : شاعرُ أهل الجاهلية زهير .

قال : وأخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري ، قال : حدثني عمر بن شبة ، عن هارون بن عمر ، عن أيوب بن سويد ، عن يحيى بن زياد ، عن عمر بن عبد الله الليثي ، قال : قال عمر بن الخطاب ليلة في مسيره إلى الجابية : أين عبدُ الله بن عباس ؟ فأُتِيَ به ، فشكا إليه تخلف علي بن أبي طالب عليه السلام عنه . قال ابن عباس : فقلتُ له : أو لم يعتذر إليك ؟ قال : بلى ، قلت : فهو ما اعتذر به . قال : ثم أنشأ يحدثني فقال : إن أول من رائكُم عن هذا الأمر أبو بكر ؛ إن قومكم كرهوا أن يجمعوا لكم الخلافة والنبوة . قال أبو الفرج : ثم ذكر قصة طويلة ليست من هذا الباب ^(٢) ، فكرهتُ ذكرها ثم قال : يا ابن عباس ، هل تروى لشاعر الشعراء ؟ قلت : ومن هو ؟ قال : ويحك ! شاعرُ الشعراء ، الذي يقول :

فلو أنَّ حمداً يُخلدُ النَّاسَ خُلدوا ولكنَّ حمداً النَّاسَ ليس بمُخلدٍ

(١) الأغاني ١٠ : ٢٨٨

(٢) ذكرت هذه القصة مفصلة في الطبري ٤ : ٢٢٢ - ٢٢٤ (طبع المعارف) .

فقلتُ : ذاك زُهَيْر ، فقال : ذاك شاعرُ الشعراء ؛ قلتُ : وبِمَ كان شاعرَ الشعراء ؟ قال : إنه كان لا يُعَاظِلُ الكلامَ ، ويتجنَّبُ وحشيَّه ، ولا يمدِّحُ أحداً إلا بما فيه . قال أبو الفرج : وأخبرني أبو خليفة قال : قال ابن سلام : وأخبرني عمرُ بنُ موسى الجمحي ، عن أخيه قدامة بن موسى - وكان من أهلِ العِلْمِ - أنه كان يقدِّمُ زُهَيْرا ، قال : فقلتُ له : أيُّ شعره كان أعجبَ إليه ؟ فقال : الذي يقول فيه :

قد جَعَلَ المَبْتَغُونَ الخَيْرَ في هَرَمٍ والسائلون إلى أبوابه طرَقاً^(١)

قال ابن سلام : وأخبرني أبو قيس العنبري - ولم أرَ بدويّاً يفى به - عن عكرمة ابن جرير ، قال : قلت لأبي : يا أبت ، مَن أشعر الناس ؟ قال : أعن أهل الجاهلية تسألني ، أم عن أهل الإسلام ؟ قال : قلتُ : ما أردت إلا الإسلام ، فإذا كنتَ قد ذكرت الجاهلية فأخبرني عن أهلها ؛ فقال : زُهَيْر أشعرُ أهلها ، قلت : فالإسلام ؟ قال : الفرزدق نَبْعَةُ الشَّعْرِ ؛ قلت : فالأخطل ؛ قال : يُجيدُ مدحَ الملوك ، ويصيب وصفَ الخمر ، قلت : فما تركت لنفسك ؟ قال : إني نَحَرْتُ الشَّعْرَ نَحْراً^(٢) .

قال : وأخبرني الحسن بن عليّ قال : أخبرنا الحارث بن محمد عن المدائني ، عن عيسى بن يزيد ، قال : سأل معاويةَ الأحنفَ أشعرَ الشعراء ؟ فقال : زُهَيْر ؛ قال : وكيف ذاك ؟ قال : ألقى على المادِّحين فضول الكلام ، وأخذ خالصه وصفوته ، قال : مثل ماذا ؟ قال : مثل قوله :

ومايك من خير أتوه فإنما توارثه آباءُ آبائِهِمْ قَبْلُ
وهل يُنبِتُ الخَطِيئَ إلا وَشِيجُهُ وتغرَّسَ إلا في منابتها الذَّلِيلُ^(٣)

قال : وأخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز ، قال : حدَّثنا عمرُ بنُ شُبَّة ، قال : حدَّثنا

(١) الأغاني ١٠ : ٢٨٨ ، ٢٨٩

(٢) الأغاني ١٠ : ٢٨٩ ، ٢٩٠ وفي « نَحَرْتُ الشعرَ نَحْراً » .

(٣) الأغاني ١٠ : ٢٩٠

عبد الله بن عمرو القيسى قال : حدثنا خارجة بن عبد الله بن أبي سفيان ، عن أبيه ، عن ابن عباس قال : خرجتُ مع عمر في أول غزاة غزاها ، فقال لى ليلة : يا ابن عباس ، أنشدنى لشاعر الشعراء ؛ قلتُ : مَنْ هو ؟ قال : ابن أبي سلمى . قلتُ : ولم صار كذلك ؟ قال : لأنه لا يتَّبَع حُوشَى الكلام ، ولا يُعَاطِل في مَنطِقِهِ ، ولا يقول إلا ما يعرف ، ولا يمدح الرجل إلا بما فيه ، أليس هو الذى يقول :

إذا ابتَدَرْتُ قيسُ بنُ عيلانَ غايَةً إلى المجد مَنْ يَسْبِقُ إليها يُسَوِّدِ
سَبَقْتُ إليها كلَّ طَلْقٍ مبرِّزٍ سَبُوقٍ إلى الغاياتِ غيرِ مُزَنَّدِ

قال : أى لا يحتاج إلى أن يجلد الفرس بالسَّوْط .

كفعل جواد يسبق الخيل عَمُوهُ السَّراع وإن يَجْهَد وَيَجْهَدَنَّ يَبْعُدِ
فلو كان حمداً يخلد الناس لم تَمُتْ^(١) ولكنَّ حمد النَّاسِ ليس بِمُخِلِدِ

أنشدنى له ، فأنشدته حتى بَرَقَ الفَجَرُ ، فقال : حسبك الآن ، اقرأ القرآن . قلت : ما أقرأ ؟ قال : الواقعة ، فقرأتها ، ونَزَلَ فَأَذَّنَ وَصَلَّى^(٢) .

وقال محمد بن سلام في كتاب ” طبقات الشعراء “ : دَخَلَ الحَطيئة على سعيد بن العاص متنكراً ، فلما قام الناسُ وبقي الخواصُّ أراد الحاجبُ أن يقيمه ، فأبى أن يقوم ، فقال سعيد : دَعُهُ ؛ وتذاكروا أيام العرب وأشعارها ، فلما أسهبوا قال الحَطيئة : ما صنعتم شيئاً ؛ فقال سعيد : فهل عندك علم من ذلك ؟ قال : نعم ، قال : فمن أشعرُ العَرَبِ ؟ قال : الذى يقول :

قد جَعَلَ المُبْتَغونَ الخيرَ في هَرَمٍ والسائلون إلى أبوابه طُرُقاً

قال : ثم من ؟ قال : الذى يقول :

فإنك شمسٌ والمُلوكُ كواكبٌ إذا طلعت لم يبدُ منهم كوكبٌ
يعنى زهيراً ، ثمّ النابغة ؛ ثمّ قال : وحسبك بى إذا وضعتُ إحدى رجليَّ على
الأخرى ثم عوّيتُ فى إثر القوافى كما يعوى الفصيل فى أثرِ أمه ! قال : فمن أنت ؟
قال : أنا الحطيئة ، فرحب به سعيد ، وأمر له بألف دينار .

قال : وقال من احتج زهير : كان أحسنهم شعراً ، وأبعدهم من سُخف ، وأجمعهم
لكثير من المعنى فى قليلٍ من المنطق ، وأشدّهم مبالغة فى المدح ، وأبعدهم تكلفاً وعجرفة
وأكثرهم حكمة ومثلاً سائراً فى شعره .

وقد روى ابن عباس عن النبيّ صلى الله عليه وسلم أنه قال : « أفضلُ شعرائكم
القاتل ومن ومن » ، يعنى زهيراً ، وذلك فى قصيدته التى أولها : « أَمِنْ أَوْفَى »
يقول فيها :

وَمَنْ يَكُ ذَا فَضْلٍ فَيَبْخُلُ بِفَضْلِهِ	على قومِهِ يُسْتَفَن عَنْهُ وَيُذَمُّ
وَمَنْ لَمْ يَذُدْ عَنْ حَوْضِهِ بِسِلَاحِهِ	يُهْدَمُ ، وَمَنْ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ يُظْلَمَ
وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنَایَا يَنْكَلَنَهُ	ولو نال أسباب السَّماءِ بِسُلَّمٍ
وَمَنْ يَجْعَلُ الْمَعْرُوفَ مِنْ دُونِ عَرَضِهِ	يَفِرُّهُ وَمَنْ لَا يَتَّقِ الشَّتْمَ يُشْتَمَ

* * *

فأما القول فى النابغة الذبيانيّ فإن أبا الفرج الأصفهانيّ قال فى كتاب الأغاني :
كُنْيَةُ النابغة أبو أَمَامَةَ ، واسمُهُ زِيَادُ بْنُ مَعَاوِيَةَ ، وَلَقَّبَ بِالنابغة لقوله ^(١) :

* فَقَدْ نَبَغَتْ لَهُمْ مِنَّا شُؤْنُ *

وهو أحدُ الأشراف الذين غَضَّ الشعر منهم ، وهو من الطبقة الأولى المقدّمين على

سائر الشعراء .

أخبرني أحمد بن عبد العزيز الجوهري وحيب بن نصر قالا : حدثنا عمر بن شبة ، قال : حدثني أبو نعيم ، قال : شريك عن مجالد ، عن الشعبي ، عن ربيعة ابن حراش ، قال : قال لنا عمر . يامعشر غطفان ، من الذي يقول :
أَتَيْتُكَ عَارِيًّا خَلَقًا ثِيَابِي عَلَى خَوْفٍ تُظَنُّ بِي الظُّنُونُ
قلنا : النابغة ، قال : ذاك أشعر شعرائكم^(١) .

قلتُ : قوله : «أشعر شعرائكم» ، لا يدل على أنه أشعر العرب ، لأنه جعله أشعر شعراء غطفان ، فليس كقوله في زهير شاعر الشعراء ، ولكن أبا الفرج قد روى بعد هذا خبراً آخر صريحاً في أن النابغة عند عمر أشعر العرب . قال : حدثني أحمد وحيب ، عن عمر بن شبة ، قال : حدثنا عبيد بن جناد ، قال : حدثنا معن بن عبد الرحمن عن عيسى بن عبد الرحمن السلمي ، عن جده ، عن الشعبي قال : قال عمر يوماً :
مَنْ أَشْعَرُ الشُّعْرَاءِ ؟ فَقِيلَ لَهُ : أَنْتَ أَعْلَمُ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ قَالَ : مَنْ الَّذِي يَقُولُ :
إِلَّا سُلَيْمَانَ إِذْ قَالَ لِلْمَلِكِ لَهُ قُمْ فِي الْبَرِّيَةِ فَاحْدُذْهَا عَنِ الْفَنَدِ^(٢)
وَحَيْسَ الْجَنِّ إِنِّي قَدْ أَذَنْتُ لَهُمْ^(٣) . يَبْنُونَ تَدْمُرَ بِالْصَّفَاحِ وَالْعَمَدِ^(٤)
قالوا : النابغة ؛ قال : فمن الذي يقول :

أَتَيْتُكَ عَارِيًّا خَلَقًا ثِيَابِي عَلَى خَوْفٍ تُظَنُّ بِي الظُّنُونُ

قالوا : النابغة ؛ قال : فمن الذي يقول :

حَلَفْتُ فَلَمْ أَتْرُكْ لِنَفْسِكَ رِيْبَةً وَلَيْسَ وَرَاءَ اللَّهِ لِلْمَرْءِ مَذْهَبٌ
لَنْ كُنْتُ قَدْ بُلِّغْتَ عَنِّي خِيَانَةً لَكِبِلُفِكَ الْوَاشِيُ أَغْشَى وَأَكْذَبُ^(٥)

(١) الأغاني ١١ : ٣ ، ٤ (٢) فاحددها : فامنمها . والفند : الخطأ .

(٣) خيس الجن ، أي ذلهم ؛ وفي الأغاني : « وخبر الجن » .

(٤) تدمر : مدينة مشهورة قديمة كانت بيرة الشام . والصفاح : حجارة دقائق عراض واحدها صفاحة .

(٥) بعده في الأغاني :

والعمد : جمع عمود .

وَلَسْتُ بِمُسْتَبْقٍ أَحَا لَا تَلْمُهُ عَلَى شَعَثٍ ؛ أَيُّ الرِّجَالِ الْمَهْذَبُ !

قالوا : النَّابِغَةُ ، قال : فهو أشعر العرب^(١) .

قال : وأخبرني أحمدُ ، قال : حدثنا عمر ، قال : حدثني عليُّ بنُ محمد المَدائنيّ قال :
قام رجل إلى ابن عباس ، فقال له : أيُّ الناس أشعر ؟ قال : أخبره يا أبا الأسود ، فقال
أبو الأسود : الذي يقول :

فإنَّكَ كاللَّيْلِ الذي هو مُدْرِكِي وإن خلتُ أنَّ المُنْتأى عنكَ واسعُ
يعنى النَّابِغَةُ^(٢)

قال أبو الفرج : وأخبرني أحمدُ وحبيب ، عن عمرَ عن أبي بكر المُلقميّ ، عن
الأصمعيّ ؛ قال : كان يُضْرَبُ لِلنَّابِغَةِ قُبَّةٌ أَدَمٌ بِسُوقِ عُكَاظِ فَنَاتِيَةِ الشَّعْرَاءِ فَتَعْرِضُ
عليه أشعارها ، فأنشده مرَّةً الأَعشى ، ثمَّ حسان بنُ ثابت ، ثمَّ قوم من الشعراء ، ثمَّ
جاءت الخنساء فأنشدته :

وإنَّ صَخْرًا لتأتَمَّ الهداةُ به كأنَّه عَلمٌ في رأسِهِ نارُ
فقال : لولا أنَّ أبا بصير - يعني الأَعشى - أنشدني آنفا لقلتُ : إنَّكَ أشعرُ الإنسِ
والجنِّ . فقام حسان بنُ ثابت فقال : أنا والله أشعرُ منها ومنك ومن أبيك ، فقال له
النَّابِغَةُ : يا بنَ أخي ، أنت لا تحسِنُ أن تقول :

فإنَّكَ كاللَّيْلِ الذي هو مُدْرِكِي وإن خلتُ أنَّ المُنْتأى عنكَ واسعُ
خَطَاطِيفُ حُجْنٍ في حِبالٍ مَتِينَةٍ تَمُدُّ بِهَا أَيْدِي إِيْلِكَ نَوَازِعُ^(٣)
قال : فَخَنَسَ حسان لقوله^(٤) .

قال : وأخبرني أحمد وحبيب ، عن عمرَ ، عن الأصمعيّ ، عن أبي عمرو بن العلاء

(٢) الأغاني ١١ : ٥

(١) الأغاني ١١ : ٤ ، ٥

(٣) الخطاطيف : جمع خطاف ، وخطاف البئر حديدة حجناء تستخرج بها الدلاء وغيرها . وحجن :
مخرجة ، واحدها أحجن ، والأنتى حجناء . ونوازع : جواذب .

(٤) خنس : انقبض ، والخبر في الأغاني ١١ : ٦

قال : حدثني رجل سمّاه أبو عمرو وأنسيته ، قال . بينما نحن نسيرُ بيت أنقاء^(١) من الأرض ، فتذاكرنا الشعر ، فإذا رآك أطيّلس يقول : أشعر الناس زيادُ بن معاوية ، ثمّ تملّس فلم نره .

قال : وأخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز ، عن عمر بنِ شبة ، عن الأصمعيّ ، قال : سمعتُ أبا عمرو بنَ العلاء يقول : ما ينبغي لزُهير إلا أن يكون أجيرا للنابغة . قال أبو الفرج : وأخبرنا أحمدُ عن عمر ، قال قال عمرو بن المنذر المُراديّ : وقدّنا على عبدِ الملك بن مروان ، فدخلنا عليه ، فقام رجل فأعتذر من أمرٍ وحلف عليه ، فقال له عبدُ الملك : ما كنتَ حريّا أن تفعل ولا تعتذر ، ثم أقبل على أهل الشام فقال : أيكم يروى أعتذارُ النابغةِ إلى النعمان في قوله :

حلفتُ فلم أتركْ لنفسك ربيّةً وليس وراء الله للرزء مذهبُ
فلم يجد فيهم من يرويه ، فأقبل على وقال : أترويه ؟ قلتُ : نعم ، فأنشدته القصيدةَ كلّها ، فقال : هذا أشعر العرب .

قال : وأخبرني أحمدُ وحيب عن عمر ، عن معاوية بن بكر الباهليّ ، قال : قلتُ لحَمّاد الراوية : لم قدّمت النابغة ؟ قال : لا كتفائك بالبيت الواحد من شعره ، لا بل بنصف البيت ، لا بل برُبْع البيت ، مثل قوله :

حلفتُ فلم أتركْ لنفسك ربيّةً وليس وراء الله للرزء مذهبُ
ولست بمُستَبقٍ أخا لا تلمّه على شعثٍ ، أي الرجال المَهذبُ
رُبْع البيت يُعنيك عن غيره ، فلو تمثّلت به لم تحتجِ إلى غيره .

قال : وأخبرني أحمدُ بنُ عبد العزيز ، عن عمر بنِ شبة ، عن هارون بن عبد الله

(١) الأنقاء : جمع نقا وهو القطعة من الرمل . وأطيّلس ، تصغير أطلس ؛ وهو مافى لونه غيرة إلى السواد . وتعلّس : تملّس وأفلت .

الزُّبَيْرِيُّ^(١) ، قال : حَدَّثَنِي شَيْخٌ يُكْنَى أَبُو دَاوُدَ ، عَنِ الشَّعْبِيِّ ، قَالَ : دَخَلْتُ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ وَعِنْدَهُ الْأَخْطَلُ وَأَنَا لَا أَعْرِفُهُ ، وَذَلِكَ أَوَّلَ يَوْمٍ وَفَدْتُ فِيهِ مِنَ الْعِرَاقِ عَلَى عَبْدِ الْمَلِكِ ، فَقُلْتُ حِينَ دَخَلْتُ : عَامِرُ بْنُ شَرَّاحِيلَ الشَّعْبِيُّ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، فَقَالَ : عَلَى عِلْمٍ مَا أَذِنَّا لَكَ ، فَقُلْتُ : هَذِهِ وَاحِدَةٌ عَلَى وَافِدِ أَهْلِ الْعِرَاقِ - يَعْنِي أَنَّهُ أَخْطَأَ - قَالَ : ثُمَّ إِنَّ عَبْدَ الْمَلِكِ سَأَلَ الْأَخْطَلَ : مَنْ أَشْعَرَ النَّاسَ ؟ فَقَالَ : أَنَا ، فَعَجَلْتُ وَقُلْتُ لِعَبْدِ الْمَلِكِ : مَنْ هَذَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؟ فَبَسَّمَ ، وَقَالَ : الْأَخْطَلُ ؛ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : اثْنَتَانِ عَلَى وَافِدِ أَهْلِ الْعِرَاقِ ، فَقُلْتُ لَهُ : أَشْعَرَ مِنْكَ الَّذِي يَقُولُ :

هَذَا غُلَامٌ حَسَنٌ وَجْهُهُ مُسْتَقْبَلُ الْخَيْرِ سَرِيعُ التَّمَامِ
لِلْحَارِثِ الْأَكْبَرِ وَالْحَارِثِ الْأَصْفَرِ فَالْأَعْرَجُ خَيْرُ الْأَنَامِ
ثُمَّ لَعَمْرُو وَلَعَمْرُو وَقَدْ أَسْرَعَ فِي الْخَيْرَاتِ مِنْهُ أَمَامُ^(٢)

قال : هِيَ أُمَامَةٌ أُمَّ عَمْرُو الْأَصْفَرِ بْنِ الْمُنْذَرِ بْنِ أَمْرِي الْقَيْسِ بْنِ التَّعْمَانِ

ابن الشقيقة :

خَمْسَةٌ آبَاءُ هُمْ مَامُ أَفْضَلُ مَنْ يَشْرَبُ صَوْبَ النَّعَامِ

وَالشَّعْرُ لِلنَّابِغَةِ ، فَالْتَفَتَ إِلَى الْأَخْطَلِ فَقَالَ : إِنَّ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِنَّمَا سَأَلَنِي عَنْ أَشْعَرَ أَهْلِ زَمَانِهِ ، وَلَوْ سَأَلَنِي عَنْ أَشْعَرَ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ كُنْتُ حَرِيًّا أَنْ أَقُولَ كَمَا قُلْتَ أَوْ شَبِيهَا بِهِ ؛ فَقُلْتُ فِي نَفْسِي : ثَلَاثٌ عَلَى وَافِدِ أَهْلِ الْعِرَاقِ .

قال أبو الفَرَجِ : وَقَدْ وَجَدْتُ هَذَا الْخَبَرَ أَتَمَّ مِنْ هَذِهِ الرِّوَايَةِ ، ذَكَرَهُ أَحْمَدُ بْنُ الْحَارِثِ الْخُرَّازِ فِي كِتَابِهِ ، عَنِ الْمَدَائِنِيِّ ، عَنْ عَبْدِ الْمَلِكِ بْنِ مُسْلِمٍ ، قَالَ : كَتَبَ عَبْدُ الْمَلِكِ ابْنُ مَرْوَانَ إِلَى الْحَجَّاجِ : إِنَّهُ لَيْسَ شَيْءٌ مِنْ لَذَّةِ الدُّنْيَا إِلَّا وَقَدْ أَصِيبَتْ مِنْهُ ، وَلَمْ يَبْقَ

(١) ب : « الزهرى » ، و صوابه في ١ ، د والأغاني

(٢) في الأغاني : « ثم لمجد ولمجد فقد » .

عندي شيء، ألدّ من مُناقلة الإخوان الحديث ، وقبلكَ عامرُ الشَّعْبِيّ فابعثْ به إلىّ ،
فدعا الحجاجَ الشَّعْبِيّ ، فجهزه وبعثَ به إليه ، وقرّظه وأطراه في كتابه ، فخرج الشَّعْبِيّ
حتى إذا كان بباب عبد الملك قال للحاجب : استأذن لي ، قال : مَنْ أنت ؟ قال : أنا عامرُ
الشَّعْبِيّ قال : يرحمك الله^(١) ؛ قال : ثمّ نهض فأجلسني على كرسيه ، فلم يلبث أن خرج
إلىّ فقال : ادخل يرحمك الله ؛ فدخلتُ ، فإذا عبد الملك جالسٌ على كرسيّ ، وبين يديه
رجلٌ أبيضُ الرأس واللحية ، جالسٌ على كرسيّ ، فسلمتُ ، فردّ عليّ السلام ، فأومأ إلىّ
بقضيبه ، فجلستُ عن يساره ، ثمّ أقبل على ذلك الإنسان الذي بين يديه فقال له : مَنْ
أشعر الناس ؟ فقال : أنا يا أمير المؤمنين ؛ قال الشَّعْبِيّ : فأظلم ما بيني وبين عبد الملك ، فلم
أصبر أن قلتُ : ومن هذا الذي يزعم أنه أشعر الناس يا أمير المؤمنين ! فعجّب عبد الملك
من عَجَلَتِي قبل أن يسألني عن حالِي ، فقال : هذا الأخطل ؛ قلتُ : يا أخطل ، أشعرُ
والله منك الذي يقول :

هذا غلامٌ حسنٌ وجهُهُ مستقبلُ الخير سريعُ التمامِ

الآيات .

قال : فاستحسنها عبدُ الملك ، ثمّ ردّتها عليه حتى حفظها ، فقال الأخطل : مَنْ
هذا يا أمير المؤمنين ؟ قال : هذا الشَّعْبِيّ ؛ فقال : والجيلون ما أستمذت بالله من شرِّ إلامن هذا -
أى والإنجيل - صدّق والله يا أمير المؤمنين ، النابغةُ أشعرُ منّي ، قال الشَّعْبِيّ : فأقبل
عبدُ الملك حينئذ عليّ فقال : كيف أنت يا شَّعْبِيّ ؟ قلتُ : بخير يا أمير المؤمنين ، فلا زلت به
ثمّ ذهبتُ لأصنع معاذيرَ لما كان من خلافي مع ابن الأَشعث على الحجاج : فقال : مه
إنّا لا نحتاج إلى هذا المنطق ، ولا تراه منّا في قولٍ ولا فعلٍ حتى تفارقنا ؛ ثمّ أقبل عليّ
فقال : ماتقول في النابغة ؟ قلتُ : يا أمير المؤمنين ، قد فضله عمرُ بن الخطّاب في غيرِ

مَوْطِنٍ عَلَى جَمِيعِ الشُّعْرَاءِ ، ثُمَّ أَنْشَدَتْهُ الشَّعْرَ الَّذِي كَانَ عَمْرُ يُعْجَبُ بِهِ مِنْ شِعْرِهِ ، وَقَدْ تَقَدَّمَ ذِكْرُهُ . قَالَ : فَأَقْبَلَ عَبْدُ الْمَلِكِ عَلَى الْأَخْطَلِ فَقَالَ لَهُ : أَتُحِبُّ أَنْ لَكَ قِيَاصًا بِشِعْرِكَ شِعْرُ أَحَدٍ مِنَ الْعَرَبِ ، أَمْ تُحِبُّ أَنْتَ قَلْتَهُ ؟ قَالَ : لَا وَاللَّهِ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِلَّا أَنِّي وَدِدْتُ أَنِّي كُنْتُ قُلْتُ أَيْبَاتًا قَالَهَا رَجُلٌ مِنَّا ، ثُمَّ أَنْشَدَهُ قَوْلَ الْقَطَامِيِّ :

إِنَّا مُحْيُوكَ فَأَسْلَمَ أَيُّهَا الطَّلَلُ وَإِنْ بَلَيْتَ وَإِنْ طَالَتْ بِكَ الطَّلِيلُ^(١)
لَيْسَ الْجَدِيدُ بِهِ تَبَقَى بِشَاشَتُهُ^(٢) إِلَّا قَلِيلًا وَلَا ذُو خُـلَّةٍ يَصِلُ
وَالْعَيْشُ لَا عَيْشَ إِلَّا مَا تَقَرَّرُ بِهِ عَيْنٌ وَلَا حَالٌ إِلَّا سَوْفَ تَنْتَقِلُ
إِنْ تَرَجَيْ مِنْ أَبِي عِمَّانٍ مُنْجِحَةً فَقَدْ يَهُونُ عَلَى الْمُسْتَنْجِحِ الْعَمَلُ^(٣)
وَالنَّاسُ مَنْ يَلْقَى خَيْرًا قَائِلُونَ لَهُ مَا يَشْتَهِي وَلَا مُمْخِطٍ الْهَبَلُ
قَدْ يُدْرِكُ التَّنَائِيَّ بَعْضَ حَاجَتِهِ وَقَدْ يَكُونُ مَعَ الْمُسْتَعْجِلِ الزَّلَلُ

قَالَ الشَّعْبِيُّ : فَقُلْتُ : قَدْ قَالَ الْقَطَامِيُّ أَفْضَلَ مِنْ هَذَا ؛ قَالَ : وَمَا قَالَ ؟

قُلْتُ : قَالَ :

طَرَقْتُ جَنُوبَ رِحَالِنَا مِنْ مَطَرٍ مَا كُنْتُ أَحْسَبُهَا قَرِيبَ الْمُعْنَقِ^(٤)
إِلَى آخِرِهَا^(٥) ، فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : ثَكَلَتِ الْقَطَامِيُّ أُمُّهُ ! هَذَا وَاللَّهِ الشَّعْرُ ، قَالَ :
فَالْتَفَتَ إِلَى الْأَخْطَلِ فَقَالَ : يَا شَعْبِيُّ ، إِنَّ لَكَ فُنُونًا فِي الْأَحَادِيثِ ، وَإِنَّمَا لِي فَنٌّ وَاحِدٌ
فَإِنْ رَأَيْتَ إِلَّا تَحْمِلْنِي عَلَى أَكْتَفِ قَوْمِكَ فَادْعُهُمْ حَرَضًا^(٦) ، فَقُلْتُ : لَا أَعْرِضُ
لَكَ فِي شَيْءٍ مِنَ الشَّعْرِ أَبَدًا ، فَأَقْلَنِي هَذِهِ الْمَرَّةَ ، فَقَالَ : مَنْ يَتَكَفَّلُ بِكَ ؟ قُلْتُ :

(١) الطلل : ما شخص من آثار الديار . والطليل : جمع طيلة ، وهي الدهر .

(٢) الضمير في « به » يعود على الدهر . (٣) منجحة : ظافرة . والمستنجح : طالب النجاح .

(٤) المعنق : المكان الذي أعنت منه ، والمعنق (بالتحريك) : ضرب من السير السريع .

(٥) أوردتها صاحب الأغاني (٦) المرض : الردى من الناس ، أى اجعلهم يهجأ من أراذل الناس .

أمير المؤمنين ، فقال عبد الملك : هو على أنه لا يعرض لك أبداً ؛ ثم قال عبد الملك :
ياشعبي ، أي نساء الجاهلية أشعر ؟ قلت : الخنساء ؟ قال : ولم فضلتها على غيرها ؟
قلت : لقولها :

وقائلة والنَّعش قد فاتَ خطوها لتدركه : يالْهفَ نَفْسِي على صَخْرٍ !

ألا هبِلتُ أمُّ الذين غَدَوْا به إلى القَبْرِ ، ماذا يَحْمِلون إلى القَبْرِ !

فقال عبد الملك : أشعر منها والله التي تقول ^(١) :

مُهْفَهفٌ أَهْضَمَ الكَشْحَيْنِ مَنْخَرِقٌ ^(٢) عنه القميصُ بَسِيرَ اللَّيْلِ مُحْتَقِرٌ

لا يَأْمَنُ الدَّهْرَ مَمْسَاهُ وَمَصْبَحُهُ من كلِّ أَوْبٍ وإن لم يَفْزُ يُنْتَظَرُ

قال : ثم تبسم عبد الملك وقال : لا يشقن عليك يا شعبي ، فإنما أعلمتك هذا لأنه
بلغني أن أهل العراق يتناولون على أهل الشام ، ويقولون : إن كانوا غلبونا على الدولة
فلم يغلبونا على العلم والرواية ، وأهل الشام أعلم بعلم أهل العراق من أهل العراق ، ثم
ردد على أبيات كليلي حتى حفظتها ، ثم لم أزل عنده أول داخل وآخر خارج ، فكنت
كذلك سنين ، وجعلني في ألفين من العطاء ، وجعل عشرين رجلاً من ولدي وأهل
بيتي في ألف ألف ، ثم بعثني إلى أخيه عبد العزيز بمصر ، وكتب إليه : يا أخي ، قد
بعثت إليك بالشعبي ، فانظر هل رأيت قط مثله ^(٣) !

قال أبو الفرج الأصبهاني في ترجمة أوس بن حجر : إن أبا عبيدة قال : كان أوس
شاعراً مضر حتى أسقطه النابغة ؛ قال : وقد ذكر الأصمعي أنه سمع أبا عمرو بن العلاء
يقول : كان أوس بن حجر لخل العرب ، فلما نشأ النابغة طأطأ منه ^(٤) .

وقال محمد بن سلام في كتاب طبقات الشعراء : وقال من أحتج للنابغة : كان أحسنهم

(١) هي ليلي أخت المنتشر بن وهب الباهلي . (٢) مهفف الكشح : ضامره .

(٣) الأغاني ١١ : ٢١ - ٢٦

دِيَاجَة شَعْرٍ ، وَأَكْثَرَهُمْ رَوْنُقُ كَلَامٍ ، وَأَجْزَلَهُمْ بَيْتًا ؛ كَانَ شَعْرُهُ كَلَامٌ لَيْسَ بِتَكْلَفٍ ،
وَالنَّطِيقُ عَلَى التَّكَلُّمِ أَوْسَعُ مِنْهُ عَلَى الشَّاعِرِ ، لِأَنَّ الشَّاعِرَ يَحْتَاجُ إِلَى الْبِنَاءِ وَالْعَرُوضِ
وَالْقَوَافِي ، وَالتَّكَلُّمُ مَطْلُوقٌ ، يَتَخَيَّرُ الْكَلَامَ كَيْفَ شَاءَ ، قَالُوا : وَالنَّابِغَةُ تَبْغُ بِالشَّعْرِ بَعْدَ
أَنْ أُحْتَنِكَ ، وَهَلَّاكَ قَبْلَ أَنْ يَهْتَرِ .

قُلْتُ : وَكَانَ أَبُو جَعْفَرٍ يَحْيَى بْنُ مُحَمَّدٍ بْنِ أَبِي زَيْدٍ الْعَلَوِيُّ الْبَصْرِيُّ يُفَضِّلُ النَّابِغَةَ ،
وَاسْتَقْرَأَنِي يَوْمًا وَبَيَّضَ دِيْوَانُ النَّابِغَةِ قَصِيدَتَهُ الَّتِي يَمْدَحُ بِهَا النَّعْمَانَ بْنَ الْمُنْذِرِ ، وَيَذْكُرُ
مَرْضَاهُ ، وَيَعْتَذِرُ إِلَيْهِ مِمَّا كَانَ أَتَاهُمْ بِهِ ، وَقَذَفَهُ بِهِ أَعْدَاؤُهُ ، وَأَوَّلَهَا :

كَتَمْتُكَ لَيْلًا بِالْجُومِينَ سَاهِرًا وَهَمَّيْنِ : هَمًّا مُسْتَكْنًا وَظَاهِرًا^(١)

أَحَادِيثُ نَفْسٍ تَشْتَكِي مَا يَرِيهَا وَوَرْدُ دَهْوٍ لَوْ يَجِدُنْ مَصَادِرًا

تُكَلِّفَنِي أَنْ يُغْفَلَ الدَّهْرُ هَمًّا وَهَلْ وَجَدْتُ قَبْلِي عَلَى الدَّهْرِ نَاصِرًا !

يَقُولُ : هَذِهِ النَّفْسُ تَكَلَّفَنِي أَلَّا يَحْدُثَ لَهَا الدَّهْرُ هَمًّا وَلَا حُزْنًا ، وَذَلِكَ مِمَّا لَمْ يَسْتَطِعْهُ
أَجْدُ قَبْلِي .

أَلَمْ تَرَ خَيْرَ النَّاسِ أَصْبَحَ نَعْشُهُ عَلَى فِتْيَةٍ قَدْ جَاوَزَ الْحَيَّ سَائِرًا !

كَانَ الْمَلِكُ مِنْهُمْ إِذَا مَرِضَ مُحِلٌّ عَلَى نَعْشٍ وَطِيفَ بِهِ عَلَى أَكْتَافِ الرِّجَالِ بَيْنَ
الْحَيَرَةِ وَالْخَوَزَنَقِ وَالنَّجَفِ ، يَبْزُهُونَهُ .

وَنَحْنُ لَدَيْهِ نَسْأَلُ اللَّهَ خُلْدَهُ يَرِدْ لَنَا مَلِكًا وَلِلْأَرْضِ عَامِرًا^(٢)

وَنَحْنُ نُرْجِي الْخَيْرَ إِنْ فَازَ قَدْحُنَا وَنَرْهَبُ قَدْحَ الدَّهْرِ إِنْ جَاءَ قَامِرًا

لَكَ الْخَيْرُ إِنْ وَارَتْ بِكَ الْأَرْضُ وَاحِدًا وَأَصْبَحَ جَدُّ النَّاسِ بَعْدَكَ عَاثِرًا

وَرُدَّتْ مَطَايَا الرَّاغِبِينَ وَعُرِّيتْ جِيَادُكَ لَا يُخْفِي لَهَا الدَّهْرُ حَافِرًا

(١) ديوانه ٣٩-٤٢ . والجومان : موضع .

(٢) الخلد : البقاء .

رَأَيْتَكَ نَزَعَانِي بِعَيْنٍ بَصِيرَةٍ وَتَبَعْتُ حُرَّاسًا عَلَى وَنَظِيرًا
مِثْلَ ذَلِكَ مِنْ قَوْلِ أَتَاكَ أَقْوَلُهُ وَمِنْ دَسٍّ أَعْدَاءُ إِلَيْكَ الْمَآبِرَا^(١)
فَخَالَيْتُ لَا آتِيكَ إِنْ كُنْتُ مُجْرِمًا وَلَا أَبْتَغِي جَارًا سِوَاكَ مُجَاوِرًا
أَيُّ لَا آتِيكَ حَتَّى يَثْبُتَ عِنْدَكَ أُنَى غَيْرِ مُجْرِمٍ .

فَأَهْلِي فِدَاءٍ لِمَرْيُومَ ابْنِ أَتَيْتُهُ تَقْبَلُ مَعْرُوفِي وَسَدَّ الْمَقَارِئَا^(٢)
سَارِبُ كَلْبِي أَنْ يَرِيكَ نَبْحُهُ وَإِنْ كُنْتُ أُرْعَى مُسْحَلَانٍ وَحَامِرَا^(٣)
أَيُّ سَأْمِسُكَ لِسَانِي عَنْ هَجَائِكَ وَإِنْ كُنْتُ بِالشَّامِ فِي هَذَيْنِ الْوَادِيَيْنِ
الْبُعِيدَيْنِ عَنْكَ .

وَحَلَّتْ بِيُوتِي فِي يَفَاعٍ مَمْنَعٍ تَخَالُ بِهِ رَاعِي الْحِمْلَةِ طَائِرَا^(٤)
تَزِلُ الْوَعُولُ الْعُصْمَ عَنْ قَذَفَاتِهِ وَيُضْحِي ذُرَاهُ بِالسَّحَابِ كَوَافِرَا
حِذَارًا عَلَى أَلَا تَنَالُ مَقَادَتِي وَلَا نِسْوَتِي حَتَّى يَمُتْنَ حَرَائِرَا
يَقُولُ : أَنَا لَا أَهْجُرُكَ وَإِنْ كُنْتُ مِنَ الْمَنْعَةِ وَالْعِصْمَةِ عَلَى هَذِهِ الصِّفَةِ .

أَقُولُ وَقَدْ شَطَّتْ بِي الدَّارُ عَنْكُمْ إِذَا مَالَقْتِ مِنْ مَعَدٍّ مُسَافِرَا
أَلَا أَبْلُغُ النَّعْمَانَ حَيْثُ لَقِيْتَهُ فَأَهْدَى لَهُ اللَّهُ الْغِيُوثَ الْبَوَاكِيرَا
وَأَصْبَحَ فُلْجًا وَلَا زَالَ كَعْبُهُ عَلَى كُلِّ مَنْ عَادَى مِنَ النَّاسِ ظَاهِرَا
وَرَبَّ عَلَيْهِ اللَّهُ أَحْسَنَ صُنْعِهِ وَكَانَ عَلَى كُلِّ الْمُعَادِينَ نَاصِرَا^(٥)

فَجَمَلَ أَبُو جَعْفَرٍ رَحِمَهُ اللَّهُ يَهْتَزُّ وَيَطْرَبُ ، ثُمَّ قَالَ : وَاللَّهِ لَوْ مُزِجْتُ هَذِهِ الْقَصِيدَةَ بِشِعْرِ
الْبَحْتَرِيِّ لَكَادَتْ تَمْتَزِجُ لِسَهْوَلَتِهَا وَسَلَامَةِ أَلْفَاضِلِهَا ، وَمَا عَالِيهَا مِنَ الدِّيَابِجَةِ وَالرَّوْنَقِ ؛ مِنْ
يَقُولُ : إِنَّ امْرَأَ الْقَيْسِ وَزَهِيرًا أَشْعَرُ مِنْ هَذَا ! هَلُمُّوا فَلْيُحَاكُمُونِي .

(١) النَّالِيرُ : النَّائِمُ . (٢) تَقْبَلُ ، بِمَعْنَى قَبِلَ . وَالْمَقَارِ : جَمْعُ فَقَرٍ .

(٣) الدِّبْوَانُ « سَأَأْكُمْ كَلْبِي » ، أَيُّ سَأْمَسُكَ . وَمُسْحَلَانٍ وَعَامِرٍ : مَوْضِعَانِ .

(٤) الْيَفَاعُ : الْمَشْرِفُ مِنَ الْأَرْضِ . وَالْحِمْلَةُ : الْإِبِلُ الَّتِي أَطَاقَتْ الْحَمْلَ . (٥) رَبُّهُ : أَمُّهُ .

فَأَمَّا امْرُؤُ الْقَيْسِ بْنُ حُجْرٍ، فَقَالَ مُحَمَّدُ بْنُ سَلَامٍ الْجَمَحِيُّ فِي كِتَابِ "طَبَقَاتِ الشُّعْرَاءِ" :
أَخْبَرَنِي يُونُسُ بْنُ حَبِيبٍ أَنَّ عُلَمَاءَ الْبَصْرَةِ كَانُوا يَقْدِّمُونَهُ عَلَى الشُّعْرَاءِ كُلِّهِمْ ، وَأَنَّ
أَهْلَ الْكُوفَةِ كَانُوا يَقْدِّمُونَ الْأَعْشَى ، وَأَنَّ أَهْلَ الْحِجَازِ وَالْبَادِيَةِ يَقْدِّمُونَ
زُهَيْرًا وَالتَّائِبَةَ^(١).

قَالَ ابْنُ سَلَامٍ : فَالطَّبَقَةُ الْأُولَى إِذَنْ أَرْبَعَةٌ . قَالَ : وَأَخْبَرَنِي شُعَيْبُ بْنُ صَخْرٍ ، عَنْ
هَارُونَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ ، قَالَ : سَمِعْتُ قَائِلًا يَقُولُ لِلْفَرَزْدَقِ : مَنْ أَشْعَرَ النَّاسِ بِأَبَا فِرَاسٍ ؟
فَقَالَ : ذُو الْقُرُوحِ ، يَعْنِي امْرَأَ الْقَيْسِ ، قَالَ : حِينَ يَقُولُ : مَاذَا ؟ قَالَ حِينَ يَقُولُ :

وَقَاهُمْ جَدُّهُمْ بَنِي أَبِيهِمْ وَبِالْأَشَقَّائِ مَا كَانَ الْعِقَابُ

قَالَ : وَأَخْبَرَنِي أَبَانُ بْنُ عُمَانَ الْبَجَلِيُّ ، قَالَ : مَرَّ لَبِيدٌ بِالْكُوفَةِ فِي بَنِي نَهْدٍ ، فَاتَّبَعُوهُ
رَسُولًا يَسْأَلُهُ : مَنْ أَشْعَرَ النَّاسِ ؟ فَقَالَ : الْمَلِكُ الضَّلِيلُ . فَأَعَادُوهُ إِلَيْهِ ، فَقَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟
فَقَالَ : الْفَلَامُ الْقَتِيلُ - يَعْنِي طَرْفَةَ بْنَ الْعَبْدِ - . وَقَالَ غَيْرُ أَبَانٍ : قَالَ : ثُمَّ ابْنُ الْعَشْرِينَ ،
قَالَ : ثُمَّ مَنْ ؟ قَالَ : الشَّيْخُ أَبُو عُقَيْلٍ يَعْنِي نَفْسَهُ^(٢) .

قَالَ ابْنُ سَلَامٍ : وَاحْتِجَّ لِامْرِئِ الْقَيْسِ مَنْ يَقْدِّمُهُ فَقَالَ : إِنَّهُ لَيْسَ^(٣) قَالَ مَا لَمْ
يَقُولُوهُ ، وَلَكِنَّهُ سَبَقَ الْعَرَبَ إِلَى أَشْيَاءِ ابْتَدَعَهَا اسْتَحْسَنَتْهَا الْعَرَبُ ، فَاتَّبَعَهُ فِيهَا
الشُّعْرَاءُ ، مِنْهَا اسْتَيْقَافُ صَحْبِهِ ، وَالبُّكَاءُ فِي الدِّيَارِ ، وَرَقَّةُ النَّسِيبِ ، وَقَرَبُ الْمَأْخِذِ ،
وَتَشْبِيهُ النِّسَاءِ بِالظُّبَاءِ وَبِالْبَيْضِ ، وَتَشْبِيهُ الْخَلْبِلِ بِالْعِقْبَانِ وَالْعِصَى ، وَقَيْدُ الْأَوَابِدِ ،
وَأَجَادُ فِي النَّسِيبِ ، وَفَصَلَ بَيْنَ النَّسِيبِ وَبَيْنَ الْمَعْنَى ، وَكَانَ أَحْسَنَ الطَّبَقَةِ تَشْبِيهًا^(٤) .

قَالَ : وَحَدَّثَنِي مُعَلَّمُ ابْنِ دَاوُدَ بْنِ عَلِيٍّ قَالَ : بَيْنَا أَنَا أَسِيرُ فِي الْبَادِيَةِ إِذَا أَنَا بِرَجُلٍ
عَلَى ظَلِيمٍ قَدْ زَمَّهُ وَخَطَّمَهُ وَهُوَ يَقُولُ :

(٢) طبقات الشعراء ٤٤

(١) طبقات الشعراء ٤٤

(٣) طبقات الشعراء : « مَا قَالَ مَا لَمْ يَقُولُوا » (٤) طبقات الشعراء ٤٦

هل يَبْلُغُنِيهِمْ إِلَى الصَّبَاحِ هَقْلٌ كَأَنَّ رَأْسَهُ جَمَاحُ
 قال : فما زال يذهب به ظَلِيمُهُ وَيَجْئِيهِ حَتَّى أَنْتَ بِهِ وَعَلِمْتُ أَنَّهُ لَيْسَ بِإِنْسِي
 فقلت : يا هذا ، من أشعر العرب ؟ فقال : الذي يقول :
 أَغْرَكَ مِنِّي أَنْ حُبَّكَ قَاتِلِي وَأَنْتَ مَهْمَا تَأْمُرِي الْقَلْبَ يَفْعَلِ
 يَعْنِي امْرَأَ الْقَيْسِ ، قلتُ : ثُمَّ مَنْ ؟ قال : الذي يقول :
 وَيَبْرُدُ بَرْدُ رِداءِ العَرُوءِ بِأَصْفِ رَقْرَقَتِ فِيهِ الْعَبِيرَا
 وَيَسْخُنُ لَيْلَةً لَا يَسْتَطِيعُ نُبَاحًا بِهَا الْكَلْبُ إِلَّا هَرِيرَا
 ثُمَّ ذَهَبَ بِهِ ظَلِيمُهُ فَلَمْ أَرَهُ ^(١) .

* * *

قال : وحدث عَوَانَةُ ، عن الحسن أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لحسان بن
 ثابت : من أشعر العرب ؟ قال : الزُّرْقُ الْعَيُونُ مِنْ بَنِي قَيْسٍ ، قال : لستُ أسألك عن
 القبيلة ، إنما أسألك عن رَجُلٍ وَاحِدٍ ، فقال حسان : يا رسول الله ؛ إنَّ مَثَلَ الشُّعْرَاءِ
 وَالشُّعْرِ كَمَثَلِ نَاقَةٍ تُنْجَرُ ، فجاء امرؤ القيس بنُ حُجْرٍ فَأَخَذَ سَنَامَهَا وَأَطَايَبَهَا ، ثُمَّ جَاءَ
 الْمُتَجَاوِرَانِ مِنَ الْأَوْسِ وَالْخَزَرَجِ فَأَخَذَا مَا وَآلَى ذَلِكَ مِنْهَا ، ثُمَّ جَعَلَتِ الْعَرَبُ تُنَزِّعُهَا
 حَتَّى إِذَا بَقِيَ الْفَرْتُ وَالْدَمُّ جَاءَ عَمْرُو بْنُ تَمِيمٍ وَالنَّمِرُ بْنُ قَاسِطٍ فَأَخَذَاهُ ، فقال رسولُ الله
 صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « ذَاكَ رَجُلٌ مَذْكُورٌ فِي الدُّنْيَا شَرِيفٌ فِيهَا خَامِلٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ، مَعَهُ
 لَوَاءُ الشُّعْرَاءِ إِلَى النَّارِ » ^(٢) .

* * *

فأما الأعشى فقد احتج أصحابه لتفضيله بأنه كان أكثرهم عروضاً ، وأذهبهم في فنون
 الشعر ، وأكثرهم قصيدة طويلةً جيّدةً ، وأكثرهم مدحاً وهجاءً ، وكان أول من سأل

بشعره ، وإن لم يكن له يَدٌ : نادر على أفواه الناس كأيّات أصحابه الثلاثة .

وقد سُئِلَ خَلَفَ الأحمرُ : من أشعر الناس ؟ فقال : ما ينتهى إلى واحدٍ يُجَمِّعُ عليه كما لا يُنتهى إلى واحدٍ هو أشجعُ الناس ، ولا أخطبُ الناس ، ولا أجملُ الناس ، فقيل له : يا أبا محرز ، فأيتهم أعجب إليك ؟ فقال : الأعشى كان أجمعهم .

قال ابنُ سلام : وكان أبو الخطاب الأخفش مستهتراً به يقدّمه ، وكان أبو عمرو بن العلاء يقول : مثله مثل البازي يضرب كبير الطير وصغيره . ويقول : نظيره في الإسلام جرير ، ونظيرُ النابغة الأخطل ، ونظير زهير الفرزدق ^(١) .

فأما قولُ أمير المؤمنين عليه السلام « المَلَكُ الضَّلِيلُ » فإنما سُمِّيَ امرؤ القيس ضليلاً لما يُعلن به في شعره من الفسق ، والضَّلِيلُ : الكثيرُ الضلال ، كالشَّرِيب ، والخَمِير ، والسَّكِر ، والفِسْقُ ، للكثيرِ الشُّرْبِ وإذْمانِ الخمرِ والسُّكرِ والفِسْقِ ، فمن ذلك قوله :

فَمِنْكَ حُبْلَى قَدْ طَرَقَتْ وَمُرْضِعَا فَأَلْهَيْتُهَا عَنْ ذِي تَمَائِمٍ مُحَوَّلٍ ^(٢)
إِذَا مَا بَكَى مِنْ خَلْفِهَا انْصَرَفَتْ لَهُ بِشِقٍِّ وَتَحَى شِقْهَا لَمْ يُحَوَّلِ

وقوله :

سَمَوْتُ إِلَيْهَا بَعْدَ مَا نَامَ أَهَاهَا سَمَوْتُ حَبَابِ الْمَاءِ حَالاً عَلَى حَالٍ ^(٣)
فَقَالَتْ لِحَاكَ اللَّهُ إِنَّكَ فَاضِحِي أَلَسْتَ تَرَى السُّمَارَ وَالنَّاسَ أَخْوَالِي
فَقُلْتُ لَهَا تَاللهِ أَبْرَحُ قَاعِدَا وَلَوْ قَطَعُوا رَأْسِي لَدَيْكَ وَأَوْصَالِي

(١) طبقات الشعراء

(٢) ديوانه ١٢

(٣) ديوانه ٣١ - ٣٢

فلما تَبَارَعْنَا الحديثَ وَأَسْمَحْتَ هَصَرْتُ بُفْضَنِي ذِي شَمَارِيحٍ مَيَّالٍ
فَصِرْنَا إِلَى الْحُسْنَى وَرَقًّا كَلَامُنَا وَرُضْتُ فَذَلَّتْ صَعْبَةً أَيْ إِذْلالٍ
حَلَفْتُ لَهَا بِاللَّهِ حَلْفَةً فَاجْرٍ لَنَامُوا فَمَا إِنْ مِنْ حَدِيثٍ وَلَا صَالِي
فَأَصْبَحْتُ مَعْشُوقًا وَأَصْبَحَ بَعْلُهَا عَلَيْهِ الْقَتَامُ كَاسِفِ الْوَجْهِ وَالْبَالِ

وَقَوْلُهُ فِي اللَّامِيَةِ الْأُولَى :

وَبَيْضَةُ خِذْرِ لَا يُرَامُ خِبَاؤُهَا تَمَتَّتْ مِنْ لَهْوٍ بِهَا غَيْرَ مُعْجَلٍ^(١)
تَخَطَّيْتُ أَبْوَابًا إِلَيْهَا وَمَعَشَرًا عَلَى حِرَاصًا لَوْ يُسِرُّونَ مَقْتَلِي
فَجِئْتُ وَقَدْ نَضَّتْ لَنَوْمٍ ثِيَابَهَا لَدَى السَّتْرِ إِلَّا لِبَسَةَ الْمُتَفَضِّلِ
فَقَالَتْ يَمِينَ اللَّهُ مَالِكَ حِمْلَةٍ وَمَا إِنْ أَرَى عَنْكَ الْغَوَايَةَ تَنْجَلِي
فَقَعْتُ بِهَا أَمْشَى نَجْرًا وَرَاءَنَا عَلَى إِثْرِنَا أَذْيَالٍ مِرْطٍ مُرْجَلٍ
فَلَمَّا أَجَزْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَانْتَحَى بَنَّا بَطْنُ خَبْتٍ ذِي حِقَافٍ عَقَنْقَلٍ
هَصَرْتُ بِفَوْدِي رَأْسَهَا قَمَائَاتٍ عَلَى هَضِيمِ الْكَشْحِ رَيًّا الْمُخْلَخَلِ

وَقَوْلُهُ :

فَبِتْ أَكَايِدَ لَيْلِ التَّمَامِ وَالْقَلْبُ مِنْ خَشْيَةٍ مَقْشَعَرُ
فَلَمَّا دَنَوْتُ تَسَدَّيْتُهَا فَتَوْبًا نَسِيتُ وَثُوبًا أَجْرُ
وَلَمْ يَرَنَا كَالْيَ كَاشِحُ وَلَمْ يَبْدُ مِنَّا لَدَى الْبَيْتِ سِرُ
وَقَدْ رَابِنِي قَوْلُهَا : يَا هَنَا هُ وَنَحْكَ أَلْحَقْتُ شَرًّا بَشَرًا !

وقوله :

تقولُ وقد جرّدتها من ثيابها كما رُغْتُ مكحول المدامع أثلعا^(١)
لعمرك لو شيء أتنا رسوله سيواك ولكن لم نجد لك مدفعا
فبتنا نصدّ الوحش عنا كأننا قتيلا لم يعلم لنا الناس مضرعا
تجافى عن المأثور بيني وبينها وتذنى على السابري المضلعا
وفي شعر امرئ القيس من هذا الفن كثير ، فمن أرادَه فليطلبه من مجموع شعره .

الأضل :

وقال عليه السلام :

أَلَا حُرٌّ يَدْعُ هَذِهِ اللَّمَازَةَ لِأَهْلِهَا ! إِنَّهُ لَيْسَ لِأَنْفُسِكُمْ ثَمَنٌ إِلَّا الْجَنَّةَ ، فَلَا تَبِيعُوهَا إِلَّا بِهَا .

الشنخ :

اللمّازة بفتح اللام : ما تَبَقَّى في الفم من الطعام ؛ قال يصف الدنيا :

* لمّاظَةُ أَيّامٍ كَأَحْلَامٍ نَانِمٍ *

ولمّظ الرجل يلمّظ بالضمّ لمظاً ، إذا تبتّع بلسانه بقيّة الطعام في فمه وأخرج لسانه فمسح به شفّتيه ، وكذلك التلمّظ ، يقال : تلمّظت الحية إذا أخرجت لسانها كما يتلمّظ الآكل .

وقال : « أَلَا حُرٌّ » ، مبتدأ ، وخبره محذوف أى في الوجود . وألا حرف ، قال :

أَلَا رَجُلٌ جَرَاهُ اللَّهُ خَيْرًا يَدُلُّ عَلَى مُحَصَلَةٍ تَبِيتُ

ثم قال : إنه ليس لأنفسكم ثمنٌ إلا الجنة ، فلا تبيعوها إلا بها ، من الناس من يبيع نفسه بالدراهم والدنانير ، ومن الناس من يبيع نفسه بأحقر الأشياء وأهونها ، ويتبع هواه فيهلك ، وهؤلاء في الحقيقة أحقُّ الناس ، إلا أنه قد رين على القلوب ، ففطمت الذنوب ، وأظلمت الأنفس بالجهل وسوء العادة ، وطال الأمد أيضا على القلوب فقست ، ولو أفكر الإنسان حقّ الفكر لما باع نفسه إلا بالجنة لا غير .

الأضل :

وقال عليه السلام :

مَنهُومان لا يَشْبَعانِ : طالِبُ عِلْمٍ وطالِبُ دُنْيا .

الشَّيْخُ :

تقول : نَهِمَ فلانٌ بكذا فهو مَنهُوم ، أى مُولِع به ، وهذه الكلمة مَرْوِيَّة عن النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « مَنهُومان لا يَشْبَعانِ : مَنهُومٌ بِالْمَالِ ، وَمَنهُومٌ بِالْعِلْمِ » . والنَّهِمُ بِالْفَتْحِ : إِفْرَاطُ الشَّهْوَةِ فِي الطَّعَامِ ، تقول منه : نَهِمْتُ إِلَى الطَّعَامِ بِكَسْرِ الِهَاءِ أَنَّهُمْ فَأَنَا نَهِيمٌ ، وكان في القرآن آيَةٌ أُزِلَتْ ثُمَّ رَفِعتْ : « لو كان لابنِ آدَمَ وادِيانٌ من ذهبٍ لا بَغَى لهما ثالثاً ، ولا يَمْلَأُ عَيْنَ ابنِ آدَمَ إِلَّا التُّرابُ ، ويتوبُ اللهُ عَلَى مَنْ تابَ » .
فأما طالِبُ العِلْمِ العاشِقُ لَهُ ، فإنه لا يَشْبَعُ مِنْهُ أبداً ، وكلَّمَا اسْتَكْرَمَ مِنْهُ زادَ عِشْقُهُ لَهُ ، وَتَهاَلَكَهُ عَلَيْهِ . مات أبو عثمانَ الجاحظُ والكتابُ على صَدْرِهِ .

وكان شيخنا أبو عليٍّ رحمه الله في النَّزْعِ وهو يُمِيلِي على ابْنِهِ أَبِي هاشمٍ مسائلَ في عِلْمِ الكلامِ . وكان القاضي أحمدُ بنُ أَبِي دُوادٍ يأخذُ الكتابَ في خُفِّهِ وهو راكِبٌ ، فإذا جَلَسَ في دارِ الخليفةِ اشْتَغَلَ بالنَّظَرِ فِيهِ إلى أن يَجْلِسَ الخليفةُ ، ويدْخُلُ إليه . وقيل : ما فارقَ ابنُ أَبِي دُوادٍ الكتابَ قطَّ إِلَّا في الْخَلَاءِ . وأُعرفُ أنا في زَمَانِنَا مَنْ مَكَّثَ نَحْوَ خَمْسِ سَنِينَ لا يَنامُ إِلَّا وقتَ السَّحَرِ صَيِّفاً وشتاءً مُكَبِّباً على كتابٍ صَنَفَهُ ، وكانت وسادَتُهُ الَّتِي يَنامُ عَلَيْهَا الكتابَ .

الأضل :

وقال عليه السلام :

علامة الإيمان أن تؤثّر الصدق حيث يضرّك ، على الكذب حيث ينفعك ،
وآلا يكون في حديثك فضلٌ عن علمك ، وأن تتقي الله في حديث غيرك .

الشنخ :

قد أخذ المعنى الأول القائل :

عليك بالصدق ولو أنه أحرقتك الصدق بنار الوعيد

وينبغي أن يكون هذا الحكم مقيدا لا مطلقا ، لأنه إذا أضرّ الصدق ضررا عظيما
يؤدى إلى تلف النفس أو إلى قطع بعض الأعضاء لم يجز فعله صريحا ، ووجبت المعارض
حينئذ .

فإن قلت : فالمعارض صدق أيضا ، فالكلام على إطلاقه ! قلت : هي صدق
في ذاتها ، ولكن مستعملها لم يصدق فيما سئل عنه ، ولا كذب أيضا ، لأنه لم يخبر
عنه ، وإنما أخبر عن شيء آخر . وهي المعارض ؛ والتارك للخبر لا يكون صادقا
ولا كاذبا ، فوجب أن يقيد إطلاق الخبر بما إذا كان الضرر غير عظيم ، وكانت نتيجة
الصدق أعظم نفعاً من تلك المصرة .

قال عليه السلام : « وأن لا يكون في حديثك فضل عن علمك » ، متى زاد منطق
الرجل على علمه فقد لغا وظهر نقصه ، والفاضل من كان علمه أكثر من منطق . قوله :
« وأن تتقي الله في حديث غيرك » ، أى في نقله وروايته فترويه كما سمعته من غير تحريف .

«لَا تُنْصَلُ» :

وقال عليه السلام :

يَغْلِبُ الْقَدَارُ عَلَى التَّقْدِيرِ ، حَتَّى تَكُونَ الْآفَةُ فِي التَّذْيِيرِ .

قال : وقد مضى هذا المعنى فيما تقدم بروايةٍ تُخالف بعض هذه الألفاظ .

الْبَزْخُ :

قد تقدم هذا المعنى ، وهو كثيرٌ جداً ، ومن جيده قول الشاعر :

لَعَمْرُكَ مَا لَمْ أَبْنُ أَخْطَبَ نَفْسَهُ وَلَكِنَّهُ مِنْ يَحْذُلِ اللَّهُ يَحْذُلِ
لِجَاهِدٍ حَتَّى تَبْلُغَ النَّفْسُ عُذْرَهَا وَقَلْقَلِ يَبْغِي الْعِزَّ كُلَّ مُقَالَقِلِ
وقال أبو تمام :

وَرَكِبَ كَأَطْرَافِ الْأَسِنَّةِ عَرَّسُوا عَلَى مِثْلِهَا وَاللَّيْلُ تَسْطُو غِيَاهِبُهُ^(١)
لَأَمْرِ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ صُدُورُهُ وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ أَنْ تَتِمَّ عَوَاقِبُهُ

وقال آخر :

فَإِنْ يَبْنُ حَيْطَانًا عَلَيْهِ فَإِنَّهُ أَوْلَيْكَ عُقْلَانَهُ لَا مَعَاوِلُهُ

الأفضل :

وقال عليه السلام :

الحِلْمُ والأَنَاةُ تَوْءَمَانِ ، يُفْتَجُهُمَا عَلُوُّ الْهِمَّةِ .

الْبَرْخُ :

قد تقدم هذا المعنى وشرحه مرارا .

وقال ابن هاني :

وكلُّ أَنَاةٍ فِي الْمَوَاطِنِ سَوْدُودٌ وَلَا نَأَانَةٌ مِنْ تَدَبُّرٍ مُحْكَمٍ^(١)

وَمَنْ يَتَبَيَّنْ أَنَّ لِلسَّيْفِ مَوْضِعًا مِنْ الصَّفْحِ يَصْفَحْ عَنْ كَثِيرٍ وَيَحْلِمْ

وقال أربابُ المعاني : علمنا الله تعالى فضيلةَ الأناةِ بما حكاه عن سليمان ، ﴿ سَنَنْظُرُ

أَصْدَقْتَ أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ ﴾^(٢) .

وكان يقال : الأناةُ حصنُ السلامة ، والعجلةُ مفتاحُ الندامة .

وكان يقال : التأني مع الخفية ، خيرٌ من التهور مع النجاح .

وقال الشاعر :

الرِّفْقُ يُؤَيِّنُ والأَنَاةُ سَعَادَةٌ فَتَأَنَّ فِي أَمْرِ تُلَاقِ نَجَاحًا

(١) ديوانه ١٢٣ وفي د « من قدير محكم » (٢) سورة النمل ٢٧ .

وقال مَنْ كره الأناةَ وذَمَّها : لو كانت الأناةُ محمودَةً والعَجَلَةُ مذمومةً ، لما
قال موسى لربه : ﴿ وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى ﴾ ^(١) .

وأنشدوا :

عَيْبُ الأناةِ وإنْ سَرَّتْ عَوَاقِبُهَا أن لا خُلُودَ وأن ليسَ الفَتَى حَجَرًا
وقال آخر :

كم من مضِيعِ فِرْصَةٍ قد أَمَكَّنْتُ لَغْدٍ وليسَ له غُدٌّ بِمُؤَاتِي
حتَّى إذا فاتَتْ وفاتَ طِلائُهَا ذهبتْ عليها نفسُهُ حَسْرَاتِ

الأضل :

وقالَ عليه السلامُ :
الغيبَةُ جُهدُ العاجِزِ .

الشرح :

قد تقدّم كلامنا في الغيبة مُستقصى .

وقيل للأحنف : مَنْ أشرَفَ الناس ؟ قال : مَنْ إذا حَضَرَ هابُوه ، وإذا غاب اغتابوه .

وقال الشاعر :

وَيَعْتَابُنِي مَنْ لَوْ كَفَانِي اغْتِيَابُهُ لَكُنْتُ لَهُ الْعَيْنَ الْبَصِيرَةَ وَالْأُذُنَا
وَعِنْدِي مِنَ الْأَشْيَاءِ مَا لَوْ ذَكَرْتُهَا إِذَا قَرَعَ الْمُقْتَابَ مِنْ نَدَمٍ سِنَا
وَقَدْ نَظَّمْتُ أَنَا كَلِمَةَ الْأَحْنَفِ فَقُلْتُ :

أَكُلُ عِرْضِي إِنْ غِيبْتُ ذِمًّا فَإِنْ أَبَى تَفْدَحْ وَرَهْبَةً وَسُجُودُ
هَكَذَا يَفْعَلُ الْجَبَانُ ، شُجَاعٌ حِينَ يَخْلُو ، فِي الْوَغَا رِغْدِيدُ
لَكَ مِنِّي حَالَانِ فِي عَيْنِكَ الْجَنَّةَ حُسْنًا وَفِي الْفَوَادِ وَقُودُ

الأضل :

وقالَ عليه السلامُ :

رُبَّ مَفْتُونٍ بِحُسْنِ الْقَوْلِ فِيهِ .

الشَّيْخُ :

طالماً فُتِنَ النَّاسُ بِنَاءِ النَّاسِ عَلَيْهِمْ ، فَيَقْصُرُ الْعَالِمُ فِي اكْتِسَابِ الْعِلْمِ اتِّكَالاً عَلَى ثَنَاءِ النَّاسِ عَلَيْهِ ، وَيَقْصُرُ الْعَابِدُ فِي الْعِبَادَةِ اتِّكَالاً عَلَى ثَنَاءِ النَّاسِ عَلَيْهِ ، وَيَقُولُ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا : إِنَّمَا أُرِدْتُ مَا اشْتَهَرَتْ بِهِ لِلصِّيتِ ، وَقَدْ حَصَلَ ، فَلِمَ أَذًا أَتَكَلَّفُ الزِّيَادَةَ ، وَأَعَانِي التَّعَبَ ! وَأَيْضاً فَإِنَّ ثَنَاءَ النَّاسِ عَلَى الْإِنْسَانِ يَقْتَضِي اعْتِرَاءَ الْعُجْبِ لَهُ ، وَإِعْجَابَ الْمَرْءِ بِنَفْسِهِ مُهْلِكٌ .

واعلمُ أَنَّ الرَّضَى رَحِمَهُ اللَّهُ قَطَعَ كِتَابَ نَهْجِ الْبَلَاغَةِ عَلَى هَذَا الْفَصْلِ ، وَهَكَذَا وَجَدْتُ النُّسخَةَ بِحَظِّهِ وَقَالَ : « هَذَا حِينَ انْتِهَاءِ الْغَايَةِ بِنَا إِلَى قَطْعِ الْمُتَنَزَّعِ مِنْ كَلَامِ أَمِيرِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَيْهِ السَّلَامُ : حَامِدِينَ لِلَّهِ سُبْحَانَهُ عَلَى مَا مَنَّ بِهِ مِنْ تَوْفِيقِنَا لِيُضَمَّ مَا انْتَشَرَ مِنْ أَطْرَافِهِ وَتَقْرِبَ مَا بَعُدَ مِنْ أَقْطَارِهِ ، مَقَرَّرِينَ الْعَزَمَ كَمَا شَرَطْنَا أَوَّلًا عَلَى تَفْضِيلِ أَوْرَاقٍ مِنَ الْبَيَاضِ فِي آخِرِ كُلِّ بَابٍ مِنَ الْأَبْوَابِ ، لِتَكُونَ لِقِتْنَاصِ الشَّارِدِ ، وَاسْتِلْحَاقِ الْوَارِدِ ، وَمَاعَسَاهُ أَنْ يَظْهَرَ لَنَا بَعْدَ الْغَمُوضِ ، وَيَقَعَ إِلَيْنَا بَعْدَ الشَّدُودِ ، وَمَا تَوْفِيقُنَا إِلَّا بِاللَّهِ ، عَلَيْهِ تَوَكَّلْنَا ، وَهُوَ حَسْبُنَا وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ، نَعْمَ الْمَوْلَى وَنَعْمَ النَّصِيرُ » .

ثمَّ وَجَدْنَا نَسخًا كَثِيرَةً فِيهَا زِيَادَاتٌ بَعْدَ هَذَا الْكَلَامِ ؛ قِيلَ : إِنَّهَا وَجِدَتْ فِي نَسخَةٍ كُتِبَتْ فِي حَيَاةِ الرَّضَى رَحِمَهُ اللَّهُ وَقُرِئَتْ عَلَيْهِ فَأَمْضَاهَا ، وَأَذِنَ فِي إلْحَاقِهَا بِالْكِتَابِ وَنَحْنُ نَذَكِّرُهَا .

الأفضل :

وقال عليه السلام :

الدُّنْيَا خُلِقَتْ لِغَيْرِهَا ، وَلَمْ تُخْلَقْ لِنَفْسِهَا .

الشنخ :

قال أبو العلاء المَعْرِيّ - مع ما كان يُرمَى به - في هذا المعنى ما يُطابق إرادة أمير المؤمنين

عليه السلام بلفظه هذا :

خُلِقَ النَّاسُ لِلْبَقَاءِ فَضَلَّتْ أُمَّةٌ يَحْسَبُونَهُمُ لِلنَّفَادِ^(١)

إِنَّمَا يُنْقَلُونَ مِنْ دَارٍ أَعْمَا لِي إِلَى دَارٍ شِقْوَةٍ أَوْ رَشَادٍ

الأصل :

وقالَ عليه السلام :

إِنَّ لِبَنِي أُمَيَّةَ مِرْوَدًا يَجْرُونَ فِيهِ ، وَلَوْ قَدْ اخْتَلَفُوا فِيمَا بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَوْ كَادَتْهُمْ
الضَّبَاعُ لَفَلَبَتْهُمْ .

قَالَ الرضیُّ رَحِمَهُ اللَّهُ تَعَالَى : وَهَذَا مِنْ أَفْصَحِ الْكَلَامِ وَأَغْرَبِهِ ، وَالْمِرْوَدُ هَاهُنَا
مِفْعَلٌ مِنَ الْإِرْوَادِ ، وَهُوَ الْإِمْهَالُ وَالْإِنْظَارُ ، فَكَأَنَّهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ شَبَّهَ الْمُثَلَّةَ الَّتِي
هِيَ فِيهَا بِالْمِضْمَارِ الَّذِي يَجْرُونَ فِيهِ إِلَى الْغَايَةِ ، فَإِذَا بَلَغُوا مُنْقَطِعَهَا انْتَقَضَ
نِظَامُهُمْ بَعْدَهَا .

الشَّيْخُ :

هَذَا إِخْبَارٌ عَنْ غَيْبِ صَرِيحٍ ، لِأَنَّ بَنِي أُمَيَّةَ لَمْ يَزَلْ مُلْكُهُمْ مُنْتَظِمًا لَمَّا لَمْ يَكُنْ بَيْنَهُمْ
اِخْتِلَافٌ ، وَإِنَّمَا كَانَتْ حُرُوبُهُمْ مَعَ غَيْرِهِمْ كَحَرْبِ مُعَاوِيَةَ فِي صِفِّينَ ، وَحَرْبِ يَزِيدَ
أَهْلَ الْمَدِينَةِ ، وَأَبْنَ الزَّيْزِرِ بِمَكَّةَ ، وَحَرْبِ مَرْوَانَ الضَّحَّاكَ ، وَحَرْبِ عَبْدِ الْمَلِكِ ابْنَ الْأَشْعَثِ
وَأَبْنَ الزَّيْزِرِ ، وَحَرْبِ يَزِيدَ ابْنِهِ بَنِي الْمُهَلَّبِ ، وَحَرْبِ هِشَامِ زَيْدَ بْنَ عَلِيٍّ ، فَلَمَّا وَلِيَ الْوَلِيدُ
ابْنَ يَزِيدَ وَخَرَجَ عَلَيْهِ ابْنُ عَمِّهِ يَزِيدُ بْنُ الْوَلِيدِ وَقَتْلَهُ ، اخْتَلَفَتْ بَنُو أُمَيَّةَ فِيمَا بَيْنَهُمَا ، وَجَاءَ
الْوَعْدُ - وَصَدَقَ مِنْ وَعْدِهِ - فَإِنَّهُ مِنْذُ قَتْلِ الْوَلِيدِ دَعَتْ دَعَاةُ بَنِي الْعَبَّاسِ بِخُرَّاسَانَ ، وَأَقْبَلَ

مروانُ بنُ محمدٍ من الجزيرة يَطْلُبُ الخلافة ، فخالع إبراهيم بن الوليد ، وقتل قوما من بني أمية ، واضطرب أمرُ الملك وانتشر ، وأقبلت الدولة الهاشمية ونمت ، وزال ملك بني أمية ، وكان زوال ملكهم على يد أبي مسلم ، وكان في بدايته أضعفَ خلق الله وأعظمهم فقرا ومسكنة ، وفي ذلك تصديقُ قوله عليه السلام : « ثم لو كادتهم الضباع لغلبتهم » .

الأفضل :

وقال عليه السلام في مدح الأنصار :

هُمْ وَاللَّهِ رَبُّوا الْإِسْلَامَ كَمَا يُرَبِّي الْفُلُوءُ مَعَ غَنَائِهِمْ بِأَيْدِيهِمُ السَّبَاطِ ،
وَالسِّنْدِ مِ السَّلَاطِ .

البنرج :

الْفُلُوءُ : المُر .

ويروى : « بأيديهم البساط » ، أى الباسطة ، والأولى جَمْعُ سَبَطٍ يَعْنِي السَّمَاح ، وقد يقال
للحاذق بالطعن : إنه لسَبَطُ اليدين ، يريدُ الثقافة . وألسنتهم السَّلَاط ، يعنى الفصيحة .

وقد تقدّم القولُ في مدح الأنصار ، ولو لم يكن إلا قولُ رسولِ الله صلى الله عليه وآله
فيهم : « إِنَّكُمْ لَتَكْثُرُونَ عِنْدَ الْفَزَعِ ، وَتَقْلُونَ عِنْدَ الطَّمَعِ » ، ولو لم يكن إلا ما قاله لعامر
ابنِ الطُّنَيْلِ فيهم لما قال له : « لَأَغْزُوَنَّكَ فِي كَذَا وَكَذَا مِنْ الْخَيْلِ » يتوعده ، فقال عليه السلام :
« يَكْفِي اللَّهُ ذَلِكَ وَأَبْنَاءُ قَبِيلَةٍ » ، [لكان فخرا لهم] وهذا عظيمٌ جدا وفوق العَظِيمِ ،
ولا ريبَ أَنَّهُمُ الَّذِينَ أَيْدَى اللَّهُ بِهِمُ الدِّينَ ، وأظهرَ بهمُ الْإِسْلَامَ بَعْدَ خَفَائِهِ ، ولولا هم
لَعَجَزَ الْمُهَاجِرُونَ عَنْ حَرْبِ قُرَيْشٍ وَالْعَرَبِ ، وعن حِمَاةِ رَسُولِ اللَّهِ صلى الله عليه وآله
ولولا مَدِينَتُهُمْ لَمْ يَكُنِ الْإِسْلَامُ ظَهَرَ يَلْبَجُونَ عَلَيْهِ ، وَيَكْفِيهِمْ فَخْرًا يَوْمَ خَمْرَاءِ الْأَسَدِ ،

يوم خرج بهم رسول الله صلى الله عليه وآله إلى قریش بعد أن كسار أصحابه ، وقتل من قتل منهم ، وخرجوا نحو القوم والجراح فيهم فاشية ، ودماءهم تسيل ، ولأنهم مع ذلك كالأسد الغرث تتوالت على فرائسها ، وكم لهم من يومٍ أغرَّ محجَّل ! وقالت الأنصار : لولا علي بن أبي طالب عليه السلام في المهاجرين لأبينا لأنفسنا أن يُذكر المهاجرون معنا ، أو أن يُقرنوا بنا ، ولكن ربَّ واحدٍ كَألف ؛ بل كَألوف .

وقد تقدَّم ذكرُ الشعر المنسوب إلى الوزير المغربي وما طعن به القادر بالله الخليفة العباسي في دينه بطريقه ، وكان الوزير المغربي يتبرأ منه ويحجده ، وقيل : إنه وجد مسودة بخطه في رفعت إلى القادر بالله .

ومما وجد بخطه أيضا - وكان شديد العصبية للأنصار ولقحطان قاطبةً ، على عدنان ، وكان ينتمي إلى الأزد ، أزد شنوءة - قوله :

وَعَلَا بِدَعْوَتِهِ عَلَى كِرَانِ	إِنَّ الَّذِي أَرَسَى دَعَائِمَ أَحْمَدٍ
وَعَرَا عِرَ الْأَقْيَالِ مِنْ قَحْطَانِ	أَبْنَاءَ قَيْلَةٍ وَارْثُو شَرَفَ الْعَلَا
ضَرَبَتْ مَصَاعِبَ مُلْكِهِ بِجِرَانِ ^(١)	بُسُوفِهِمْ يَوْمَ الْوَغَى وَأَكْفَهُمْ
خَرَّتْ عُرُوشُ الدِّينِ لِلْأَذْقَانِ	لَوْلَا مَصَارِعُهُمْ وَصِدْقُ قِرَاعِهِمْ
لَوْلَاهُ كَانَ كَخَالِدِ بْنِ سِنَانِ	فَالْيَشْكُرَنَّ مُحَمَّدٌ أَسْيَافَ مَنْ

وهذا إفراطٌ قبيح ، ولفظٌ شنيع ؛ والواجب أن يسانَ قدرُ النبوة عنه ، وخصوصا البيت الأخير ، فإنه قد أساء فيه الأدب ، وقال مالا يجوز قوله ، وخالد بن سنان كان من بني عبس بن بغيض ، من قيس عيلان ، ادعى النبوة ، وقيل : إنه كانت تظهر عليه آيات ومُعْجِزَات ، ثم مات وانقرض دينه ودثرت دَعْوَتُهُ ، ولم يبقَ إِلَّا أَسْمُهُ ، وليس يعرفه كلُّ الناس ، بل البعض منهم .

(١) يقال : ضرب البعير بجرانه : إذا برك .

الأضل :

وقال عليه السلام :

العينُ وكاءُ الستة .

قال الرضى رحمه الله تعالى : وهذه من الاستعارات العجيبة ، كأنه شبه الستة بألواء ، والعين بالوكاء ، فإذا أطلق الوكاء لم ينضبط الوعاء . وهذا القول في الأشهر الأظهر من كلام النبي صلى الله عليه وآله ، وقد رواه قومٌ لأمير المؤمنين عليه السلام ؛ وذكر ذلك المبرّد في الكتاب المقتضب في باب اللفظ المعروف . قال الرضى : وقد تكلمنا على هذه الاستعارة في كتابنا الموسوم بمجازات الآثار النبوية .

الشنخ :

المعروف أن هذا من كلام رسول الله صلى الله عليه وآله ، ذكره المحدثون في كتبهم وأصحاب غريب الحديث في تصانيفهم ، وأهل الأدب في تفسير هذه اللفظة في مجموعاتهم اللغوية ، ولعل المبرّد اشتبهه عليه فنسبه إلى أمير المؤمنين عليه السلام ، والرواية بألفظ التثنية : « العينان وكاء الستة » ، والستة : الاست .

وقد جاء في تمام الخبر في بعض الروايات : « فإذا نامت العينان استطلق الوكاء » ،
والوكاء : رباط القربة ، فجعل العينين وكاء - والمراد اليقظة - لستته كالوكاء للقربة ، ومنه
الحديث في اللقطة : « احفظ عفاصها ووكاءها ، وعرفها سنة » ، فإن جاء صاحبها وإلا
فشأنك بها » ، والعفاص : السداد ، والوكاء : السداد ، وهذه من الكنايات اللطيفة .

[فصل في ألفاظ الكنايات وذكر الشواهد عليها]

وقد كنّا قدّمنا قطعةً صالحةً من الكنايات المستحسنّة ، ووعدنا أن نعاود ذكر طرف
منها ، وهذا الموضع موضع ، فن الكناية عن الحدث الخارج - وهو الذي كفى عنه
أمير المؤمنين عليه السلام ، أو رسول الله صلى الله عليه - الكناية التي ذكرها يحيى
ابن زياد في شعره ، قيل : إن يحيى بن زياد ومطيع بن إياس وحمّاد الراوية جلسوا على
شرب لهم ، ومعهم رجل منهم ، فأنخل وكأوه ، فاستحيا وخرج ، ولم يعد إليهم ،
فكتب إليه يحيى بن زياد :

أَمِنْ قُلُوصٍ غَدَتْ لَمْ يُؤْذِهَا أَحَدٌ إِلَّا تَذَكَّرُهَا بِالرَّمْلِ أَوْطَانَا
خَانَ الْعِقَالُ لَهَا فَانَبَتَ إِذْ نَفَرَتْ وَإِنَّمَا الذَّنْبُ فِيهَا لِلَّذِي خَانَا
مَنْحَتْنَا مِنْكَ هِجْرَانًا وَمَقْلَبَةً وَلَمْ تَزُرْنَا كَمَا قَدْ كُنْتَ تَغْشَانَا
خَفَضَ عَلَيْكَ فَمَا فِي النَّاسِ دُوَابِلُ إِلَّا وَأَيْنَقَهُ يَشْرُدُنْ أَحْيَانَا

وليس هذا الكتاب أهلاً أن يضمّن حكاية سخيّة أو نادرة خليعة ، فذكر فيه
ما جاء في هذا المعنى ، وإنما جرّأنا على ذكر هذه الحكاية خاصّة كناية أمير المؤمنين
عليه السلام أو رسول الله صلى الله عليه وآله عنها ، ولكننا نذكر كنايات كثيرة في
غير هذا المعنى مستحسنّة ، ينتفع القارئ بالوقوف عليها .

يقال : فلان من قوم موسى ، إذا كان ملولاً ، إشارة إلى قوله تعالى : ﴿ وَإِذْ قُلْنَا لِمُوسَى لَنْ نَصْبِرَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدٍ ۖ ﴾^(١) .

قال الشاعر :

فيا مَنْ لَيْسَ يَكْفِيهِ صَدِيقٌ وَلَا أَلْفًا صَدِيقٍ كُلِّ عامٍ
أُظْنِكُ مِنْ بَقَايَا قَوْمِ مُوسَى فَهُمْ لَا يَصْبِرُونَ عَلَى طَعَامٍ
وقال العباس بن الأحنف :

كُنْتُ تَلُومُ وَتَسْتَرِثُ زِيَارَتِي وَتَقُولُ : لَسْتُ لَنَا كَعَهْدِ الْعَاهِدِ
فَأَجَبْتُهَا وَدُمُوعُ عَيْنِي سُجُمٌ تَجْرِي عَلَى الْخَدَّيْنِ غَيْرَ جَوَامِدِ
يَا فَوْزُ لَمْ أَهْجُرْكُمْ لِلْمَلَامَةِ عَرَضْتُ وَلَا لِمَقَالٍ وَاشِ حَاسِدِ
لَكُنِّي جَرَّبْتُكُمْ فَوَجَدْتُكُمْ لَا تَصْبِرُونَ عَلَى طَعَامٍ وَاحِدِ
ويقولون للجارية الحسنة : قد أَبَقْتُ مِنْ رِضْوَانٍ ، قال الشاعر :

جَسَّتِ الْعُودَ بِالْبَنَانِ الْحِسانِ وَتَشَتَّ كَأَنَّهَا غُصْنُ بَابِ
فَسَجَدْنَا لَهَا جَمِيعًا وَقَلْنَا إِذْ شَجَّتْنَا بِالْحَسَنِ وَالْإِحْسَانِ
حَاشَ لِلَّهِ أَنْ تَكُونِي مِنَ الْإِنِّسِ وَلَكِنْ أَبَقْتُ مِنْ رِضْوَانِ

ويقولون للمكشوف الأمر الواضح الحال : ابن جَلَّ ، وهو كناية عن الصُّبْحِ ومنه ما تمثل به الحجاج :

أَنَا ابْنُ جَلَّ وَطَلَّاعُ الشَّيَا مَتَى أَضَعَ الْعِمَامَةَ تَعْرِفُونِي^(٢)
ومنه قول القلاخ بن حَزْنٍ :

(١) سورة البقرة ٦١ .

(٢) الكامل ١ : ٢٢٤ ، ونسبه إلى سحيم بن وثيل الرياحي .

* أَنَا الْقَلَاخُ بْنُ الْقَلَاخِ بْنِ جَلَا *

ومنه قولهم: فلان قائدُ الجَمَلِ لأنَّه لا يَخْفَى لعظم الجَمَلِ وكِبَر جِثَّتِه ، وفي المَثَلِ :
ما اسْتَرَمَنَ قَادَ جَمَلًا . وقالوا : كَفَى بِرُغَائِهَا نِدَاءً ، ومِثْلُ هَذَا قولُهُم : ما يَوْمُ حَلِيمَةِ بَسِيرٍ
يقال : ذلك في الأمرِ المَشْهُورِ الَّذِي لا يُسْتَر ، ويَوْمُ حَلِيمَةِ يَوْمِ التَّقَى المَنْذَرُ الأَكْبَرُ
والخَارِثُ الغَسَانِيُّ الأَكْبَرُ ، وهو أشهر أَيَّامِ العَرَبِ ، يقال : إِنْه ارتَفَعَ مِنَ العَجَاجِ
ما ظَهَرَ مَعَهُ الكَوَاكِبُ نَهَارًا ، وحَلِيمَةُ : اسمُ امْرَأَةٍ أُضِيفَ اليَوْمُ إِلَيْهَا ، لأنَّهَا
أَخْرَجَتْ إلى المَعْرَكَةِ مَرَاكِنَ الطَّيِّبِ ، فَكَانَتْ تُطَيِّبُ بِهَا الدَّاخِلِينَ إلى القِتَالِ ،
فَقَاتَلُوا حَتَّى تَفَانُوا .

ويقولون في الكِنَايَةِ عن الشَّيْخِ الضَّعِيفِ : قَائِدُ الحِمَارِ ، إِشَارَةً إلى ما أُنْشِدَهُ الأَصْمَعِيُّ :
آتَى النَّدَى فَلَاحُ يُقَرِّبُ مَجْلِسِي وَأَقْوَدُ لِلشَّرَفِ الرَّفِيعِ حِمَارِي
أَيُّ أَقْوَدِهِ مِنَ الكِبَرِ إلى مَوْضِعِ مَرْتَفِعٍ لَأَرْكَبَهُ لَضَعْفِي . ومِثْلُ ذَلِكَ كِنَايَتُهُمْ عن
الشَّيْخِ الضَّعِيفِ بِالْعَاجِزِ ، لأنَّه إِذَا قَامَ عَجَزَ في الأَرْضِ بِكَفِّهِ ، قال الشاعر :
فَأَصْبَحْتَ كُنْتِيًّا وَأَصْبَحْتَ عَاجِزًا وَشَرُّ خِصَالِ المَرْءِ كُنْتُ وَعَاجِزُ
قالوا : الكُنْتِيُّ الَّذِي يَقُولُ كُنْتُ أَفْعَلُ كَذَا ، وَكُنْتُ أَرْكَبُ الخَيْلَ ، يَتَذَكَّرُ
مَاضِيَّ مِنْ زَمَانِهِ ، وَلَا يَكُونُ ذَلِكَ إِلَّا عِنْدَ الهَرَمِ أَوْ الفَقْرِ والعَجْزِ .

ومِثْلُهُ قولُهُم للشَّيْخِ : رَاكِعٌ ، قال لَبِيدٌ :
أَخْبَرَ أَخْبَارَ القُرُونِ الَّتِي مَضَتْ أَدَبُ كَأَنِّي كَلَّمْتُ رَاكِعًا^(١)
والرَّكَوعُ : هُوَ التَّطَاطُؤُ وَالانْحِنَاءُ بَعْدَ الاعتِدَالِ والاستِواءِ ، وَيُقَالُ لِلإِنْسَانِ إِذَا
انْتَقَلَ مِنَ الثَّرْوَةِ إلى الفَقْرِ : قَدَرَ كَعٌ ، قال :

لَا شَهِينَ الفَقِيرَ عَلَّا أَنْ تَرَهُ كَعَ يَوْمًا وَالدَّهْرُ قَدْ رَفَعَهُ^(٢)

وفي هذا المعنى قال الشاعر :

ارْفَعْ ضَعِيفَكَ لَا يَحِرْ بِكَ ضَعْفُهُ يوماً فتُدركه الحوادثُ قد نَمَا^(١)
يَجْزِيكَ أَوْ يُبْنِي عَلَيْكَ وَإِنْ مَنْ يُبْنِي عَلَيْكَ بِمَا فَعَلْتَ فَقَدْ جَزَى
ومثله أيضا :

وَأَكْرَمُ كَرِيماً إِنْ أَتَاكَ لِحَاجَةٍ لعاقبةٍ إِنْ الْعَظَاءُ تَرَوَّحُ
تَرَوَّحَ الشَّجَرُ : إِذَا انْفَطَرَ بِالنَّبْتِ ، يقول : إِنْ كَانَ فَقِيراً فَقَدْ يَسْتَعْنِي ، كَمَا أَنَّ
الشَّجَرَ الَّذِي لَا وَرَقَ عَلَيْهِ سَيَكْتَسِي وَرَقاً ، ويقال : رَكَعَ الرَّجُلُ ، أَيْ سَقَطَ .
وقال الشاعر :

خَرَقْتُ إِذَا رَكِعَ الْمَطِيُّ مِنَ الْوَجَا لم يَطْوِ دُونَ رَفِيقِهِ ذَا الْمَرْوَدِ
حَتَّى يَأْوُبَ بِهِ قَلِيلاً فَضْلُهُ حَمْدُ الرَّفِيقِ نَدَاكَ أَوْ لَمْ يَحْمَدِ
وكما يشبهون الشيخ بالرَّكْعِ فَيَكْنُونُ بِهِ عَنْهُ ، كَذَلِكَ يَقُولُونَ : يَحْجُلُ فِي قَيْدِهِ
لِتَقَارُبِ خَطْوِهِ ، قَالَ أَبُو الطَّمَّحَانِ الْقَيْنِيُّ :

حَنَنْتِي حَانِيَاتُ الدَّهْرِ حَتَّى كَأَنِّي خَاتِلٌ أَدْنُو لَصِيدِ
قَرِيبِ الْخَطْوِ يَحْسَبُ مَنْ رَأَى وَلَسْتُ مُقَيِّداً أَنِّي بِقَيْدِ
ونحو هذا قولهم للكبير : بَدَتْ لَهُ الْأَرْنبُ ، وَذَلِكَ أَنَّ مَنْ يَخْتَلِ الْأَرْنبَ لِيَصِيدَهَا
يَتَمَّيَلُ فِي مِشْيَتِهِ ، وَأَنْشَدَ ابْنُ الْأَعْرَابِيِّ فِي النُّوَادِرِ :

وَطَالَتْ بِيَ الْأَيَّامُ حَتَّى كَأَنَّنِي مِنَ الْكَبِيرِ الْعَالِي بَدَتْ لِيَ أَرْنبُ
ونحوه يقولون للكبير : قَيْدَ بَفْلَانٍ الْبَعِيرِ ، أَيْ لَا قُوَّةَ لِيَدِهِ عَلَى أَنْ يُصَرِّفَ
الْبَعِيرَ تَحْتَهُ عَلَى حَسَبِ إِرَادَتِهِ ، فَيَقْوُدُهُ قَائِداً يَحْمِلُهُ حَيْثُ يُرِيدُ .

ومن أمثالهم : لقد كنتُ وما يقادُ بى البعير : يضرب لمن كاب ذا قُوَّة وعَزْم ، ثم عَجَز وفَتَرَ .

ومن الكنايات عن شَيْب العَنْفَقَة قولهم : قد عَضَّ على صُوفِهِ .

ويَكْنُونُ عن المرأة التي كَبُرَ سنُّها فيقولون : امرأةٌ قد جَمَعَت الثياب ، أى تَلَبَّس القِنَاعَ والخمار والإزار ، وليست كالفتاة التي تَلَبَّس ثوبا واحدا .
ويقولون لمن يَخْضِبُ : يسوِّد وجه النَّذِير ، وقالوا فى قوله تعالى : ﴿ وجاءكم النَّذِير ﴾ ^(١) :
إنه الشَّيْب . وقال الشاعر :

وقائلة لي اخضِبْ فالغواني تطيرُ من ملاحظَةِ القَديرِ
فقلت لها المشيبُ نذيرُ موتي ولستُ مسودا وجه النَّذيرِ

وزاحم شابٌ شيخاً فى طريق فقال الشاب : كم ثمن القوس ؟ يعيِّره بانحناء الظَّهْرِ ،
فقال الشيخ : يابن أخى : إن طال بك عُمرُ فسوف تَشْتَرِيها بلا ثمن .
وأُشْد لابن خلف :

تعيِّرُنِي وخطَ الشَّيْبِ بعاري ولولا الحِجُولُ البُلُق لم تُعرَفِ الدُّهُمُ
حناءُ الشَّيْبِ ظَهري فاستمرَّتْ مَريرتي ولولا انحناء القوسِ لم يَنفُذِ السَّهْمُ
ويقولون لمن رشا القاضى أو غيره : صَبَّ فى قِنْدِيلِهِ زَيْتاً ، وأنشد :

وعند قضاتنا خُبْتُ ومَكُرْتُ وزَرَعْتُ حين تَسْقِيهِ يُسْبِلُ
إذا ماصَّبَ فى القِنْدِيلِ زَيْتُ تحوَّلت القضية للمُقْنَدِلِ

وكان أبو صالح كاتبُ الرِّشيدِ يُنسب إلى أخذ الرِّشا ، وكان كاتب أمِّ جعفر .

وهو سعدان بن يحيى كذلك ، فقال لها الرشيد يوما : أما سمعتِ ما قيل في كاتبك ؟
قالت : ماهو ؟ فأنشدتها :

صَبَّ فِي قِنْدِيلِ سَعْدَانَ نَ مَعَ التَّسْلِيمِ زَيْتَانَا
وَقَنَّادِيلِ بَنِيهِ قَبْلَ أَنْ تَخْفَى الْكَمِيتَانَا

قالت : فما قيل في كاتبك أشنع ، وأنشدته :

قِنْدِيلُ سَعْدَانَ عَلَا ضَوْءُهُ فَرَّخَ لِقِنْدِيلِ أَبِي صَالِحِ
تَرَاهُ فِي مَجْلِسِهِ أَحْوَصًا مِنْ لَحْمِهِ لِلدَّرْهِمِ السَّالِحِ
ويقولون : لمن طَلَّقَ ثلاثا : فدَنَحَها بمثلته .
ويقولون أيضا : أعطاهَا نِصْفَ السَّنَةِ .

ويقولون لمن يَفْخَرُ بِآبَائِهِ : هو عِظَامِي ، وَلَمَنْ يَفْخَرُ بِنَفْسِهِ هو عِصَامِي ، إشارة
إلى قول النابغة في عِصَامِ بْنِ سَهْلٍ حَاجِبِ التَّمَعَانِ :

نَفْسُ عِصَامٍ سَوَدَتْ عِصَامًا وَعَلِمَتْهُ الْكَرَّ وَالْإِفْدَامَا^(١)

* وَجَعَلَتْهُ مَلِكًا مُهْمَامًا *

وأشار بالعِظَامِيَّ إِلَى فَخْرِهِ بِالْأَمْوَاتِ مِنْ آبَائِهِ وَرَهْطِهِ ، وقال الشاعر :

إِذَا مَا الْحَيُّ عَاشَ بِعَظْمٍ مَيِّتٍ فَذَاكَ الْعَظْمُ حَيٌّ وَهُوَ مَيِّتٌ

ونحو هذا أَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ زِيَادِ بْنِ ظَبْيَانَ التَّمِيمِيَّ دَخَلَ عَلَى أَبِيهِ وَهُوَ يَجُودُ
بِنَفْسِهِ فَقَالَ : أَلَا أَوْصِي بِكَ الْأَمِيرَ ؟ فَقَالَ : إِذَا لَمْ يَكُنْ لِلْحَيِّ إِلَّا وَصِيَّةُ الْمَيِّتِ فَالْحَيُّ
هُوَ الْمَيِّتُ ، وَيُقَالُ : إِنْ عَطَاءُ بْنُ أَبِي سُفْيَانَ قَالَ لِيَزِيدَ بْنِ مَعَاوِيَةَ : أَغْنِنِي عَنْ غَيْرِكَ ، قَالَ :

حَسْبُكَ مَا أَغْنَاكَ بِهِ مَعَاوِيَةُ ؛ قَالَ : فَهُوَ إِذَنْ الْحَيُّ وَأَنْتَ الْمَيِّتُ ، وَمِثْلُ قَوْلِهِمْ :
عِظَامِي ، قَوْلُهُمْ : خَارِجِي ، أَيْ يَفْخَرُ بِغَيْرِ أَوْلِيَّةٍ كَانَتْ لَهُ ، قَالَ كَثِيرٌ لِعَبْدِ الْعَزِيزِ :

أَبَا مَرْوَانَ لَسْتَ بِخَارِجِيٍّ وَلَيْسَ قَدِيمٌ بِمَجْدِكَ بِاتِّحَالِ
وَيَكُونُونَ عَنِ الْعَزِيزِ وَعَنِ الدَّلِيلِ أَيْضًا فَيَقُولُونَ : بَيِّضَةُ الْبَلَدِ ، فَمَنْ يَقُولُهَا لِلْمَدْحِ
يَذْهَبُ إِلَى أَنَّ الْبَيِّضَةَ هِيَ الْحَوْزَةُ وَالْحَمَى ، يَقُولُونَ : فَلَانٌ يَحْمِي بَيِّضَتَهُ ، أَيْ يَحْمِي
حَوْزَتَهُ وَجَمَاعَتَهُ ، وَمَنْ يَقُولُهَا لِلذَّمِّ يَعْنِي أَنَّ الْوَاحِدَةَ مِنْ بَيِّضِ النِّعَامِ إِذَا فَسَدَتْ
تَرَكَهَا أَبْوَاهَا فِي الْبَلَدِ وَذَهَبًا عَنْهَا ، قَالَ الشَّاعِرُ فِي الْمَدْحِ :

لَكِنْ قَائِلُهُ مِنْ لَا كِفَاءَ لَهُ مَنْ كَانَ يُدْعَى أَبُوهُ بَيِّضَةَ الْبَلَدِ ^(١)
وَقَالَ الْآخَرُ فِي الذَّمِّ :

تَأْتِي قُضَاعَةٌ لَمْ تَعْرِفْ لَكُمْ نَسَبًا وَأَبْنَا نِزَارٍ فَاتَمَّ بَيِّضَةُ الْبَلَدِ ^(٢)
وَيَقُولُونَ لِلشَّيْءِ الَّذِي يَكُونُ فِي الدَّهْرِ مَرَّةً وَاحِدَةً : هُوَ بَيِّضَةُ الدَّيِّكِ ،
قَالَ بَشَّارُ :

يَا أَطْيَبَ النَّاسِ رَيْقًا غَيْرَ مَخْتَبَرٍ إِلَّا شَهَادَةُ أَطْرَافِ الْمَسَاوِيكِ ^(٣)
قَدْ زُرْتِنَا زُورَةً فِي الدَّهْرِ وَاحِدَةً ثَنَّى وَلَا تَجْعَلِيهَا بَيِّضَةَ الدَّيِّكِ
وَيَكُونُونَ عَنِ الثَّقِيلِ بِالْقَذَى فِي الشَّرَابِ ، قَالَ الْأَخْطَلُ يَذْكُرُ الْخَمْرَ
وَالْأَجْتِمَاعَ عَلَيْهَا :

وَلَيْسَ قَدْ ذَاهَا بِالَّذِي قَدْ يَضِيرُهَا وَلَا بِذُبَابٍ تَزْعُمُهُ أَيْسَرُ الْأُمْرِ ^(٤)
وَلَكِنْ قَدْ ذَاهَا كُلَّ جِلْفٍ مَكْلَفٍ أَتَقْنَاهُ بِالْأَيَّامِ مِنْ حَيْثُ لَا نَدْرِي

(١) مِنْ أَيْيَاتِ لَامْرَأَةٍ مِنْ بَنِي عَامِرِ بْنِ لُؤَيٍّ ، تَرَى عَمْرُو بْنُ وَدٍّ ، اللِّسَانُ (بَيْضُ)

(٢) اللِّسَانُ (بَيْضُ) وَنَسَبَهُ إِلَى ابْنِ الرِّقَاعِ (٣) أُمَامَى الْقَالِي ١ : ٢٢٨

(٤) كُنَايَاتُ الْجُرْجَانِيِّ ١١١

فَذَاكَ الْقَدَى وَأَبْنُ الْقَدَى وَأَخُو الْقَدَى فَإِنَّ لَهُ مِنْ زَائِرِ آخِرِ الدَّهْرِ
وَيَكُونُ أَيْضًا عَنْهُ بِقَدَحِ اللَّبْلَابِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

يَا ثَقِيلًا زَادَ فِي الثَّقَلِ عَلَى كُلِّ ثَقِيلٍ ^(١)
أَنْتَ عِنْدِي قَدَحَ اللَّهِ لَابٍ فِي كَفِّ الْعَلِيلِ

وَيَكُونُ عَنْهُ أَيْضًا بِالْقَدَحِ الْأَوَّلِ ، لِأَنَّ الْقَدَحَ الْأَوَّلَ مِنَ الْخَمْرِ تَكْرَهُهُ الطَّبِيعَةُ
وَمَا بَعْدَهُ فَدُونُهُ لَاعْتِيَادِهِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

وَأَثْقَلُ مِنْ حَضِيضٍ بَادِيًا وَأَبْفَضُ مِنْ قَدَحٍ أَوَّلِ
وَيَكُونُ عَنْهُ بِالْكَائُونِ ، قَالَ الْحَطِيبَةُ يَهْجُو أُمَّهُ :

تَنَحَّى فَاقْعُدِي عَنِّي بَعِيدًا أَرَاكَ اللَّهُ مِنْكَ الْعَالَمِينَ ^(٢)
أَغْرَبَالًا إِذَا اسْتُودِعْتَ سِرًّا وَكَانُونَا عَلَى الْمُتَحَدِّثِينَ!

قَالُوا : وَأَصْلُهُ مِنْ كُنْتُ أَى سَتَرْتُ ، فَكَأَنَّهُ إِذَا دَخَلَ عَلَى قَوْمٍ وَهُمْ فِي حَدِيثٍ
سَتَرُوهُ عَنْهُ ، وَقِيلَ : بَلِ الْمُرَادُ شِدَّةَ بَرِّهِ .

وَيَكُونُ عَنِ الثَّقِيلِ أَيْضًا بِرَحَا الْبَزْرِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

وَأَثْقَلُ مِنْ رَحَا بَزْرِ عَلَيْنَا كَأَنَّكَ مِنْ بَقَايَا قَوْمٍ عَادٍ ^(٣)

وَيَقُولُونَ لِمَنْ يَحْمَدُونَ جِوَارَهُ : جَارُهُ جَارُ أَبِي دُوَادٍ ، وَهُوَ كَعْبُ بْنُ مَامَةَ الْإِيَادِيَّ ،
كَانَ إِذَا جَاوَرَهُ رَجُلٌ فَمَاتَ وَدَّاهُ ، وَإِنْ هَلَكَ عَلَيْهِ شَاةٌ أَوْ بَعِيرٌ أَخْلَفَ عَلَيْهِ ، فَجَاوَرَهُ
أَبُو دُوَادٍ الْإِيَادِيَّ ، فَأَحْسَنَ إِلَيْهِ ، فَضْرِبَ بِهِ الْمَثَلَ .

وَمِثْلُهُ قَوْلُهُمْ : هُوَ جَالِسٌ قَعْقَاعِ بْنِ شَوْرٍ ، وَكَانَ قَدْ قَدِمَ إِلَى مَعَاوِيَةَ فَدَخَلَ
عَلَيْهِ ، وَالْمَجْلِسُ غَاصٌّ بِأَهْلِهِ لَيْسَ فِيهِ مَقْعَدٌ ، فَقَامَ لَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ وَأَجْلَسَهُ مَكَانَهُ ، فَلَمْ

يَبْرَحُ الْقَعْقَاعُ مِنْ ذَلِكَ الْمَوْضِعِ يَكْلَمُ مَعَاوِيَةَ وَمَعَاوِيَةُ يُخَاطِبُهُ حَتَّى أَمَرَ لَهُ بِمِائَةِ أَلْفِ دِرْهَمٍ ، فَأَحْضَرَتْ إِلَيْهِ ، فَجُعِلَتْ إِلَى جَانِبِهِ ، فَلَمَّا قَامَ قَالَ لِلرَّجُلِ الْقَائِمُ لَهُ مِنْ مَكَانِهِ : ضُمَّهَا إِلَيْكَ ، فَهِيَ لَكَ بِقِيَامِكَ لَنَا عَنْ مَجْلِسِكَ ، فَقِيلَ فِيهِ :

وَكُنْتُ جَلِيسَ قَعْقَاعِ بْنِ شَوْرٍ وَلَا يَشْقَى بِقَعْقَاعِ جَلِيسٌ^(١)

ضَحُوكَ السَّنَّ إِنْ نَطَقُوا بِخَيْرٍ وَعِنْدَ الشَّرِّ مِطْرَاقٌ عَبُوسٌ

أَخَذَ قَوْلَهُ : « وَلَا يَشْقَى بِقَعْقَاعِ جَلِيسٌ » مِنْ قَوْلِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ :
« هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ » .

وَيَكُونُونَ عَنِ السَّمِينِ مِنَ الرِّجَالِ بِقَوْلِهِمْ : هُوَ جَارُ الْأَمِيرِ ، وَضَيْفُ الْأَمِيرِ ، وَأَصْلُهُ أَنَّ الْغَضْبَانَ بْنَ الْقَبْعَثَرِيَّ كَانَ مَحْبُوسًا فِي سِجْنِ الْحِجَّاجِ ، فَدَعَا بِهِ يَوْمًا فَكَلَّمَهُ ، فَقَالَ لَهُ فِي جُمْلَةٍ خُطَابُهُ : إِنَّكَ لَسَمِينٌ يَا غَضْبَانُ ؛ فَقَالَ : الْقَيْدُ وَالرِّتْعَةُ ، وَالْخَفْضُ وَالِدَّاعَةُ ، وَمَنْ يَكُنْ ضَيْفَ الْأَمِيرِ يَسْمَنَ .

وَيَكْنِي الْفَلَّاسِفَةُ عَنِ السَّمِينِ بَأَنَّهُ يُعَرِّضُ سَوْرَ حَبْسِهِ ، وَذَلِكَ أَنَّ أَفْلَاطُونَ رَأَى رَجُلًا سَمِينًا ، فَقَالَ : يَا هَذَا ، مَا أَكْثَرَ عِنَايَتِكَ بِتَعْرِيزِ سَوْرِ حَبْسِكَ !
وَنَظَرَ أَعْرَابِيٌّ إِلَى رَجُلٍ جَيِّدِ الْكِدْنَةِ^(٢) ، فَقَالَ : أَرَى عَلَيْكَ قَطِيفَةً مُحْكَمَةً .
قَالَ : نَعَمْ ، ذَلِكَ عَنَوَانُ نِعْمَةِ اللَّهِ عِنْدِي .

وَيَقُولُونَ لِلْكَذَّابِ : هُوَ قَوْصُ الْحَنْجَرَةِ ، وَأَيْضًا هُوَ زَلُوقُ الْكَبِدِ ، وَأَيْضًا لَا يُوثِقُ بِسَيْلِ بَلْقَعِهِ . وَأَيْضًا أَسِيرُ الْهِنْدِ لِأَنَّهُ يَدْعَى أَنَّهُ ابْنُ الْمَلِكِ ، وَإِنْ كَانَ مِنْ أَوْلَادِ السُّفْلَةِ .

وَيُكْنَى عَنْهُ أَيْضًا بِالشَّيْخِ الْغَرِيبِ ، لِأَنَّهُ يُحِبُّ أَنْ يَتَزَوَّجَ فِي الْغُرْبَةِ فَيَدَّعَى أَنَّهُ ابْنُ خَمْسِينَ سَنَةً ، وَهُوَ ابْنُ خَمْسٍ وَسَبْعِينَ .

(٢) الكدنة : كثرة الشحم واللحم .

(١) كُنَايَاتُ الْجُرْجَانِيِّ ١١١

ويقولون : هو فاختةُ البلد ، من قول الشاعر :

أَكْذَبُ مَنْ فَاخْتَهُ تَصِيحُ فَوْقَ الْكَرْبِ^(١)
وَالطَّلَعُ لَمْ يَبْدُ لَهَا : هَذَا أَوَانُ الرُّطْبِ

وقال آخر في المعنى :

جَدِثُ أَبِي حَازِمٍ كُلَّهُ كَقَوْلِ الْفَوَاحِثِ : جَاءَ الرُّطْبُ^(١)
وَهُنَّ وَإِنْ كُنَّ يُشْبِهْنَ فَلَسْنَ يُدَانِيْنَهُ فِي الْكَذِبِ
وَيَكُونُونَ عَنِ النَّمَامِ بِالزُّجَاجِ ، لِأَنَّهُ يَشِفُّ عَلَى مَا تَحْتَهُ ، قَالَ الشَّاعِرُ :
أَنْتُمْ بِمَا أُسْتَوْدَعْتُمْ مِنْ زُجَاجَةٍ يُرَى الشَّيْءُ فِيهَا ظَاهِرًا وَهُوَ بَاطِنٌ
وَيَكُونُونَ عَنْهُ بِالنَّسِيمِ ، مِنْ قَوْلِ الْآخِرِ :

وَإِنَّكَ كَلَّمَا أُسْتَوْدِعْتَ سِرًّا أَنْتُمْ مِنَ النَّسِيمِ عَلَى الرِّيَاضِ

ويقولون : إِنَّهُ لَصُبْحٌ ، وَإِنَّهُ لَطِيبٌ ، كُلُّهُ فِي النَّمَامِ . ويقولون : مَازَالَ يَفْتَلُّ لَهُ فِي
الذَّرْوَةِ وَالْغَارِبِ حَتَّى أَسْمَحَتْ قَرُونَتَهُ ، وَهِيَ النَّفْسُ ، وَالذَّرْوَةُ : أَعْلَى السَّنَامِ ،
وَالْغَارِبُ : مَقْدَمُهُ .

ويقولون فِي الْكِنَايَةِ عَنِ الْجَاهِلِ : مَا يَدْرِي أَيَّ طَرَفِيهِ أَطْوَلَ ، قَالُوا :
ذَكَرَهُ وَلِسَانُهُ .

وقالوا : هَلْ نَسَبُ أَبِيهِ أَفْضَلُ أَمْ نَسَبُ أُمِّهِ ؟

وَمِثْلُهُ لَا يَعْرِفُ قَطَانَهُ مِنْ لَطَانِهِ ، أَيْ لَا يَعْرِفُ جَبْهَتَهُ مِمَّا بَيْنَ وَرِكَيْهِ .

وقالوا : الْحِدَّةُ كُنْيَةُ الْجَهْلِيلِ ، وَالْأَقْبَصَادُ كُنْيَةُ الْبُخْلِ ، وَالْأَسْتَقْصَاءُ

كُنْيَةُ الظُّلَمِ .

وقالوا للجائع : عَضَّهُ الصَّفَرُ ، وَعَضَّهُ شُجَاعُ الْبَطْنِ .

وقال الهذلي :

أَرَدْتُ شُجَاعَ الْبَطْنِ قَدْ تَعْلِمِيْنَهُ وَأَوْثِرَ غَرْنِي مِنْ عِيَالِكِ بِالطَّعْمِ^(١)
مَخَافَةَ أَنْ أَحْيَا بِرَغْمٍ وَذِلَّةٍ وَلَلْمَوْتُ خَيْرٌ مِنْ حَيَاةٍ عَلَى رَغْمٍ

ويقولون : زَوَّدَهُ زَادَ الضَّبِّ ، أَيْ لَمْ يَزُوْدْهُ شَيْئًا لِأَنَّ الضَّبَّ لَا يَشْرَبُ الْمَاءَ ،
وإنَّمَا يَتَغَذَّى بِالرَّيْحِ وَالنَّسِيمِ ، وَيَأْكُلُ الْقَلِيلَ مِنْ عُشْبِ الْأَرْضِ .
وقال ابن المعتز :

يَقُولُ أَكَلْنَا لَحْمَ جَدْيٍ وَبَطَّةٍ وَعَشَرَ دَجَاجَاتٍ شِوَاءَ بَأْلِبَانِ^(٢)
وَقَدْ كَذَبَ الْمَلْعُونُ مَا كَانَ زَادُهُ سِوَى زَادِ ضَبٍّ يَبْلَعُ الرِّيحَ عَطْشَانُ
وقال أبو الطَّيِّب :

لَقَدْ لَعِبَ الْبَيْنُ الْمُشْتُ بِهَا وَبِي وَزَوَّدَنِي فِي السَّيْرِ مَا زَوَّدَ الضَّبُّ^(٣)
ويقولون للمختلِفين من الناس : هُمْ كَنَعَمِ الصَّدَقَةِ ، وَهُمْ كَبَعْرِ الْكَبْشِ ، قَالَ
عَمْرُو بْنُ لَجَأَ :

وَشِعْرَ كَبَعْرِ الْكَبْشِ أَلْفَ بَيْنَةٍ لِسَانُ دَعِيٍّ فِي الْقَرِيضِ دَخِيلٍ^(٤)
وذلك لِأَنَّ بَعَرَ الْكَبْشِ يَقَعُ مَتَفَرِّقًا .

وقال بعضُ الشعراء لشاعر آخر : أَنَا أَشْعَرُ مِنْكَ لِأَنِّي أَقُولُ الْبَيْتَ وَأَخَاهُ ، وَتَقُولُ
الْبَيْتَ وَابْنَ عَمَةٍ . فَأَمَّا قَوْلُ جَرِيرٍ فِي ذِي الرِّمَّةِ : إِنَّ شَعْرَهُ بَعْرُ ظَبَاءٍ وَنَقَطَ عَرُوسٍ ، فَقَدْ
فَسَّرَهُ الْأَصْمَعِيُّ فَقَالَ : يَرِيدُ أَنْ شَعْرَهُ حُلُوٌّ أَوَّلُ مَا تَسْمَعُهُ ، فَإِذَا كُرِّرَ إِنْشَادُهُ ضَعُفَ ،
لِأَنَّ أَبْعَارَ الظَّبَّاءِ أَوَّلُ مَا تَسْمَعُ تَوْجِدُ لَهَا رَائِحَةً مَا أَكَلَتْ مِنَ الْجُنْجَاثِ وَالشَّيْخِ

(١) لأبي خراش الهذلي ، ديوان الهذليين ٢ : ١٢٨ (٢) كُنَايَاتُ الْجُرْجَانِي ١١٥

(٣) ديوانه : ٦٠ (٤) كُنَايَاتُ الْجُرْجَانِي ١١٧

والقيصوم ، فإذا أَدَمَتْ شَمَهَا عُدِمَتْ تلك الرَّائِحَةُ ، ونقط العَروس إذا غَسَلَهَا ذَهَبٌ .
ويقولون أيضاً للمختلفين : أَخْيَافٌ ، وَالْخَيْفُ : سَوَادٌ إِحْدَى الْعَيْنَيْنِ وَزَرْقُ الْأُخْرَى .
ويقولون فيهم أيضاً : أَوْلَادُ عِلَاتٍ كَالْإِخْوَةِ لِأَمْهَاتٍ شَتَّى ، وَالْعَلَّةُ : الضَّرَّةُ .
ويقولون فيهم : خَبَزُ كُتَّابٍ ، لَأَنَّهُ يَكُونُ مُخْتَلِفًا ، قَالَ شَاعِرٌ يَهْجُو الْحَبَّاجَ
ابنَ يَوْسُفَ :

أَيْنَسَى كَلِيبٌ زَمَانَ الْهَزَالِ وتعليمه سُورَةُ الْكَوْثَرِ^(١)
رَغِيفٌ لَهُ فَلَكَةٌ مَا تُرَى وَآخِرُ كَالْقَمَرِ الْأَزْهَرِ

ومثله :

أَمَا رَأَيْتَ بَنَى سَلَمَ وَجُوهَهُمْ كَأَنَّهَا خَبَزُ كُتَّابٍ وَقَالَ^(٢)
ويقال للمتساوين في الرداءة : كَأَسْنَانِ الْحِمَارِ ، قَالَ الشَّاعِرُ :
سِوَاءَ كَأَسْنَانِ الْحِمَارِ فَلَا تُرَى لَذِي شَيْبَةٍ مِنْهُمْ عَلَى نَاشِئٍ فَضْلًا^(٣)
وَقَالَ آخَرُ :

شِبَابُهُمْ وَشَيْبُهُمْ سِوَاءٌ فَهُمْ فِي اللَّؤْمِ أَسْنَانُ الْحِمَارِ^(٣)
وَأُنْشِدَ الْمُبَرِّدُ فِي الْكَامِلِ لِأَعْرَابِيٍّ يَصِفُ قَوْمًا مِنْ طَيِّئٍ بِالتَّسَاوَى فِي الرِّدَاءَةِ :
وَلَمَّا أَنْ رَأَيْتُ بَنَى جُوَيْنٍ جُلُوسًا لَيْسَ بَيْنَهُمْ جَلِيسُ^(٣)
يَدُسْتُ مَنْ الَّذِي أَقْبَلْتُ أَبْغَى لَدَيْهِمْ ، إِنِّي رَجُلٌ يَتُّوسُ
إِذَا مَا قُلْتُ أَيُّهُمْ لَأَى تَشَابَهَتْ الْمَنَاكِبُ وَالرَّءُوسُ
قال : فَقَوْلُهُ : « لَيْسَ بَيْنَهُمْ جَايسٌ » هِجَاءٌ قَبِيحٌ ، يَقُولُ : لَا يَنْتَجِعُ النَّاسُ مَعْرُوفَهُمْ ،

(١) سرح العيون ١٧٠ وكنائيات الجرجاني ١١٨ (٢) كنائيات الجرجاني ١٢١

(٣) الكامل ١ : ١٧٢ ، ونسبه إلى أعرابي من طيء .

فليس بينهم غيرهم . ويقولون في المتساويين في الرِّدَاءَةِ أيضا : هما كَحِمَارَى الْعِبَادَى ، قيل له : أَيْ حِمَارِيكَ شَرٌّ ؟ قال : هذا ثمّ هذا . ويقال في التَّساوَى في الشَّرِّ والخير : هم كَأَسْنَانِ الْمُسْطَ ، ويقال : وَقَعَا كَرَكَبَتِي الْبَعِيرِ ، وَكَرَجَلِي النَّعْمَةِ .

وقال ابنُ الأَعرابي : كلُّ طائرٍ إِذَا كُسِرَتْ إِحْدَى رِجْلَيْهِ تَحَامَلَ عَلَى الْآخَرَى إِلَّا النَّعَامَ فَإِنَّهُ مَتَى كُسِرَتْ إِحْدَى رِجْلَيْهِ جَمَّ ، فَلِذَلِكَ قَالَ الشَّاعِرُ يَذْكُرُ أَخَاهُ :
وَإِنِّي وَإِيَّاهُ كَرَجَلِي نَعَامَةً عَلَى مَا بَيْنَا مِنْ ذِي غِنًى وَفَقِيرٍ^(١)

وقال أَبُو سُفْيَانَ بْنُ حَرْبٍ لِعَامِرِ بْنِ الطَّقِيلِ وَعَلْقَمَةَ بْنِ عُلَاثَةَ وَقَدْ تَنَافَرَا إِلَيْهِ : أَتَمَّا كَرُكَبَتِي الْبَعِيرِ ؛ فَلَمْ يَنْفَرْ وَاحِدًا مِنْهُمَا ، فَقَالَا : فَأَيْنَا الْيَمْنَى ؟ فَقَالَ : كُلُّ مَنْكَلٍ يُمْنَى . وَسَأَلَ الْحَجَّاجُ رَجُلًا عَنْ أَوْلَادِ الْمُهَاجِرِ : أَيُّهُمْ أَفْضَلُ ؟ فَقَالَ : هُمُ كَالْحَلِيقَةِ الْوَاحِدَةِ . وَسُئِلَ ابْنُ دُرَيْدٍ عَنِ الْمُبَرَّدِ وَثَعْلَبِ ، فَأَثْنَى عَلَيْهِمَا ، فَقِيلَ : فَأَبْنُ قَتَيْبَةَ ؟ قَالَ : رَبُّوهُ بَيْنَ جَبَلَيْنِ ، أَيْ تَحْلُ ذِكْرُهُ بِنَبَاهَتِهِمَا .

وَيُسَكَّنِي عَنِ الْمَوْتِ بِالْقَطْعِ عِنْدَ الْمُنْجِمِينَ ، وَعَنِ السَّعَايَةِ بِالنَّصِيحَةِ عِنْدَ الْعَمَالِ ، وَعَنِ الْجَمَاعِ بِالْوَطْءِ عِنْدَ الْفُقَهَاءِ ؛ وَعَنِ الشُّكْرِ بِطِيبِ النَّفْسِ عِنْدَ النُّدَمَاءِ ، وَعَنِ السُّوَالِ بِالزُّوَارِ عِنْدَ الْأَجْوَادِ ؛ وَعَنِ الصَّدَقَةِ بِمَا أَفَاءَ اللَّهُ عِنْدَ الصُّوفِيَةِ .

ويقال للمتكلِّفُ بِمُصَالِحِ النَّاسِ : إِنَّهُ وَصَّى آدَمَ عَلَى وَلَدِهِ ، وَقَدْ قَالَ شَاعِرٌ فِي هَذَا الْبَابِ :

فَكَأَنَّ آدَمَ عِنْدَ قَرَبِ وَفَاتِهِ أَوْصَاكَ وَهُوَ يَجُودُ بِالْحَوْبَاءِ
بَيْنِيهِ أَنْ تَرَعَاهُمْ فَرَعَيْتَهُمْ وَكَفَيْتَ آدَمَ عَيْلَةَ الْأَبْنَاءِ
ويقولون : فَلَانُ خَلِيفَةُ الْخَضِرِ إِذَا كَانَ كَثِيرَ السَّفَرِ ، قَالَ أَبُو تَمَامٍ :

خليفة الخضر مَنْ يَرَبَعُ عَلَى وَطَنِ أَوْ بَلَدَةٍ فَظُهُورِ الْعِيسِ أَوْطَانِي^(١)
بَغْدَادُ أَهْلِي وَبِالشَّامِ الْهَوَى فَنَا بِالرَّقَّتَيْنِ وَبِالْفُسْطَاطِ إِخْوَانِي
وَمَا أَظُنُّ النَّوَى تَرْضَى بِمَا صَنَعْتُ حَتَّى تُبَلِّغَ بِنِ أَقْصَى خُرَاسَانِ

ويقولون للشئء المختار المنتخب : هو ثمرة الغراب ، لأنه ينتقى خير الثمر .

ويقولون : سَمْنُ فُلَانٍ فِي أَدِيمِهِ ؛ كناية عَمَّنْ لَا يُنْتَفَعُ بِهِ ، أَيْ مَا خَرَجَ مِنْهُ
يَرْجِعُ إِلَيْهِ ، وَأَصْلُهُ أَنْ نَحِيًّا^(٢) مِنَ السَّمْنِ انشَقَّ فِي ظَرْفٍ مِنَ الدَّقِيقِ ، فَقِيلَ ذَلِكَ ،
قَالَ الشَّاعِرُ :

تَرَحَّلْ فَمَا بَغْدَادُ دَارَ إِقَامَةٍ وَلَا عِنْدَ مَنْ أَضْحَى بِبَغْدَادِ طَائِلِ^(٣)
مَحَلِّ مُلُوكٍ سَمْنُهُمْ فِي أَدِيمِهِمْ وَكُلُّهُمْ مِنْ حَلِيَّةِ الْمَجْدِ عَاطِلُ
فَلَا غُرُوَّ أَنْ شَلَّتْ يَدُ الْمَجْدِ وَالْعَلَى وَقَالَ سَمَاحٌ مِنْ رِجَالِ وَنَائِلِ
إِذَا غَضَّضَ الْبَحْرُ الْغَطَامِطُ مَاءَهُ فَلَيْسَ عَجِيبًا أَنْ تَغِيضَ الْجَدَاوِلُ^(٤)

ويقولون لِمَنْ لَا يَبْنَى بِالْعَهْدِ : فُلَانٌ لَا يَحْفَظُ أَوَّلَ الْمَائِدَةِ ، لِأَنَّ أَوَّلَهَا : بِأَيِّهَا
الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ^(٥) .

ويقولون لِمَنْ كَانَ حَسَنَ اللَّبَاسِ وَلَا طَائِلَ عِنْدَهُ : هُوَ مُشْجَبٌ ، وَالْمُشْجَبُ : خَشَبَةٌ
الْعَصَارِ الَّتِي يَطْرَحُ الثِّيَابَ عَلَيْهَا ، قَالَ ابْنُ الْحَجَّاجِ :

لِي سَادَةٌ طَائِرُ السَّرُورِ بِهِمْ يَطْرُدُهُ الْيَأْسُ بِالْمَقَالِيعِ^(٥)
مَشَاجِبُ لِلثِّيَابِ كُلُّهُمْ وَهَذِهِ عَادَةُ الْمَشَاقِيعِ
جَانَزَتْنِي عِنْدَهُمْ إِذَا سَمِعُوا شِعْرِي : هَذَا كَلَامٌ مَطْبُوعٌ

(١) ديوانه ٣ : ٣٠٨ ، ٣١٠

(٢) كُنَايَاتُ الْجُرْجَانِي ١٢٠ ، وَنَسَبَهَا إِلَى أَبِي الْعَالِيَةِ .

(٣) بَحْرُ غَطَامِطٍ : كَثِيرُ الْأَمْوَاجِ .

(٤) سُورَةُ الْمَائِدَةِ ١

(٥) كُنَايَاتُ الْجُرْجَانِي ١٢١

ولهم يضحكون إن ضحكوا مِنِّي وأبكي أنا من الجوع
وقال آخر :

إذا لبسوا دُكْنَ الخُزوز وخُضِرَها وراحوا فقدراحت عليك المشاجِبُ^(١)
وروى أن كيسانَ غلامُ أبي عبيدة وقد على بعض البرامكة فلم يُعطه شيئاً ، فلما
وافى البصرة قيل له : كيف وجدته ؟ قال : وجدته مشجبا من حيث ما أتيتُه وجدته .
ويكنون عن الطُفيلي فيقولون : هو ذبابٌ ، لأنه يقع في القدور ، قال الشاعر :

أتيتك زائراً لقضاء حقِّ فحال السَّترُ دونك والحجابُ^(٢)
ولست بواقعٍ في قدرِ قومٍ وإن كرهوا كما يقع الذبابُ
وقال آخر :

وأنت أخو السَّلام وكيف أنتم ولست أخا الملماتِ الشِّدادِ^(٣)
وأطفل حين يُجفَى من ذبابٍ وألزم حين يدعى من قرادٍ
ويكنون عن الجرب بحبِّ الشَّباب ، قال الوزير المهلب :

يا صُروف الدهرِ حسبي أيّ ذنب كان ذنبي !^(٤)
عِلة خَصَّتْ وعَمَتْ في حبيبٍ ومحِبِّ
دبٍّ في كَفِّهِ يا مَنْ حُبُّهُ دَبٌّ بقلبي
فهو يشكو حرَّ حَبٍّ واشتكى حرَّ حُبٍّ

ويكنون عن القصير القامة بأبي زبيبة ، وعن الطويل بخيط باطل . وكانت كنية
مروان بن الحكم لأنه كان طويلاً مضطرباً ، قال فيه الشاعر :

لما الله قوماً أمروا خيَطَ باطلٍ على الناس يُعطى من يشاء ويمنع^(٥)
وفي خيط باطلٍ قولان : أحدهما أنه الهباء الذي يدخل من ضوء الشمس في الكوة

(٢) كنايات الجرجاني ١٢٢ ، ونسبه لابن أبي عيينة .

(١) لدعلج ، ديوانه ٢٢

(٣) كنايات الجرجاني ١٢٢

من البيت ، وتسميه العامة غَزَلَ الشَّمْس ، والثاني أنه الخيط الذي يَخْرُج من فَمِ العُنْكَبُوت ، وتسميه العامة مُخَاط الشَّيْطَان .

وتقول العرب للملقو^(١) : لَطِمْ الشَّيْطَان .

وكان لقبُ عَمْرُو بن سعيد الأشدق ، لأنه كان مَلَقُوًّا .

وقال بعضهم لآخر : ما حَدَث ؟ قال : قَتَلَ عبد الملك عمرا ، فقال : قتل أبو الذبان لَطِمْ الشَّيْطَان ، ﴿ وَكَذَلِكَ نُؤَلَّى بِمَعْظَمِ الظَّالِمِينَ بَعْضًا بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴾ .
ويقولون للحزين المهموم : يَعْذُ الحصى ، وَيَحْطُ في الأرض ، وَيَفْتِ الزَّمْع ؛ قال المجنون :

عَشِيَّةَ مَالِي حِيلَةٌ غَيْرَ أَنْتِي بَلِقَطِ الْحَصَى وَالْخَطَّ فِي الدَّارِ مُوَلَعٌ^(٢)
أَخْطَ وَأَمْحُو كُلَّ مَا قَدْ خَطَطْتُهُ بِدَمْعِي وَالْغُرْبَانَ حَوْلِي وَقُعُ
وهذا كالنَّادِم يَقْرَعُ السَّنَّ ، والبخيل يَنْكُتُ الأرض بينانه ، أو يعود عند الرد ، قال الشاعر :

عَبِيدُ إِخْوَانِهِمْ حَتَّى إِذَا رَكَبُوا يَوْمَ الْكَرِيهَةِ فَالْآسَادُ فِي الْأَجَمِ^(٣)
يُرْضُونَ فِي الْعُسْرِ وَالْإِسَارِ سَائِلَهُمْ لَا يَقْرَعُونَ عَلَى الْأَسْنَانِ مِنْ نَدَمِ
وقال آخر في نَكَتِ الأرض بالعيدان :

قَوْمٌ إِذَا نَزَلَ الْغَرِيبَ بَدَارِهِمْ تَرَكَوهُ رَبَّ صَوَاهِلٍ وَقِيَانِ
لَا يَنْكُتُونَ الْأَرْضَ عِنْدَ سُؤَالِهِمْ لَتَطْلُبَ الْعَلَاتُ بِالْعِيدَانِ
ويقولون للفارغ : فَوَادُ أُمِّ مُوسَى .

(١) الملقو : المصاب بالقوة ، وهو مرض يعرض للوجه فيميله إلى أحد جانبيه .

(٢) كنايةات الجرجاني ، ونسبه إلى عمر بن أمية بن أبي الصلت .

(٣) ديوانه ١٨٨

ويقول للمُثْرِى من المال : مُنْقَرَسٌ ، وذلك أَنَّ عِلَّةَ النُّقْرِسِ أَكْثَرُ مَا تَعْتَرِي أَهْلَ الثَّرْوَةِ وَالتَّنَعُّمِ .

حَكِي الْمُبَرَّدُ ، قَالَ : كَانَ الْحِرْمَازِيُّ فِي نَاحِيَةِ عَمْرُو بْنِ مَسْعُودَةَ ، وَكَانَ يُجْرِي عَلَيْهِ ، فَخَرَجَ عَمْرُو بْنُ مَسْعُودَةَ إِلَى الشَّامِ ؛ وَتَخَلَّفَ الْحِرْمَازِيُّ بِفِدَادٍ ، فَأَصَابَهُ النُّقْرِسُ ، فَقَالَ :

أَقَامَ بِأَرْضِ الشَّامِ فَاخْتَلَّ جَانِبِي وَمَطْلَبُهُ بِالشَّامِ غَيْرُ قَرِيبٍ ^(١)
وَلَا سِيَّامًا مِنْ مُفْلِسٍ حَلَفَ نِقْرِسٍ أَمَّا نِقْرِسٌ فِي مُفْلِسٍ بِعَجِيبٍ !
وَقَالَ بَعْضُهُمْ يَهْجُو ابْنَ زَيْدَانَ الْكَاتِبَ :

تَوَاضَعَ النُّقْرِسُ حَتَّى لَقِيَ صَارَ إِلَى رِجْلِ زَيْدَانَ
عِلَّةُ إِنْسَانٍ وَلَكِنَّا قَدْ وَجِدَتْ فِي غَيْرِ إِنْسَانٍ
ويقولون للمترَف : رَقِيقُ النَّعْلِ ، وَأَصْلُهُ قَوْلُ النَّابِغَةِ :

رِقَاقُ النَّعَالِ طَيِّبٌ حُجْزَاتُهُمْ يُحْيَوْنَ بِالرَّيْحَانِ يَوْمَ السَّبَّاسِ ^(٢)
يعنى أَنَّهُمْ مَلُوكٌ ، وَالْمَلِكُ لَا يَخْصِفُ نَعْلَهُ وَإِنَّمَا يَخْصِفُ نَعْلَهُ مِنْ يَمْسَى . وَقَوْلُهُ : « طَيِّبُ حُجْزَاتِهِمْ » ، أَيُّ هُمْ أَغْفَاءُ الْفُرُوجِ ، أَيُّ يَشْدُونَ حُجْزَاتِهِمْ عَلَى عِفَّةٍ . وَكَذَلِكَ قَوْلُهُمْ :
فَلَانٌ مُسْمَطُ النَّعَالِ ، أَيُّ نَعْلُهُ طَبَقَةٌ وَاحِدَةٌ غَيْرُ مَخْصُوفٍ ، قَالَ : الْمَرَّارُ بْنُ سَعِيدٍ الْفَقْعَسِيُّ :

وَجَدْتُ بَنِي خَفَاجَةٍ فِي عَقِيلٍ كِرَامَ النَّاسِ مُسْمَطَةُ النَّعَالِ ^(٣)
وَقَرِيبٌ مِنْ هَذَا قَوْلُ النَّجَاشِيِّ :

وَلَا يَأْكُلُ الْكَلْبُ السَّرُوقُ نَعَالَنَا وَلَا يَنْزِقِي الْمُنْخُ الَّذِي فِي الْجَمَاجِمِ ^(٤)

يريد أن نعالهم سببت ، والسببت : جلود البقر المدبوغه بالقرظ ، ولا تقر بها الكلاب ، وإنما تأكل الكلاب غير المدبوغ ؛ لأنه إذا أصابه المطر دسّمه فصار زهماً .

ويقولون للسيد : لا يَطأُ على قَدَم ، أى هو يتقدم الناس ولا يذيع أحداً فيطأ على قدمه .

ويقولون : قد اخضرت نعالهم ، أى صاروا فى خصب وسعة ، قال الشاعر :
يَتَأَيَّهون إذا اخضرت نعالهم وفى الحفيظة أبرام مضاجير
وإذا دعوا على إنسان بالزمانة قالوا : خلع الله نعليه ، لأن المقعد لا يحتاج إلى نعل .

ويقولون : أطفأ الله نوره ، كناية عن العمى وعن الموت أيضاً ، لأن من يموت فقد طفئت ناره .

ويقولون : سقاه الله دم جوفه ؛ دعاء عليه بأن يقتل ولده ، ويضطر إلى أخذ دينه إبلا فيشرّب ألبانها .

ويقولون : رماه الله بليلة لا أخت لها ؛ أى ليلة موته ، لأن ليلة الموت لا أخت لها .

ويقولون : وقعوا فى سلا جمل ، أى فى داهية لا يرى مثلاً ، لأن الجمل لا سلا له ، وإنما السلا للناقة ، وهى الجليدة التى تكون ملفوفة على ولدها .

ويقولون : صاروا فى حولاء ناقة ، إذا صاروا فى خصب .

وكانوا إذا وصفوا الأرض بالخصب قالوا : كأنها حولاء ناقة .

ويقولون لأبناء الملوك والرؤساء ومن يجرى مجراهم : جُفَاةُ المَحَزِّ ،
قال الشاعر :

جُفَاةُ المَحَزِّ لَا يُصِيبُونَ مِفْصَلًا وَلَا يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ إِلَّا تَخَذُّمَا
يقول : هم ملوك ، وأشباهُ الملوك لَا حِدَقَ لَهُمْ بَنَحْرِ الإِبِلِ وَالغَنَمِ وَلَا يَعْرِفُونَ
التَّجْلِيدَ وَالسَّلَاحَ ، وَلَهُمْ مَنْ يَتَوَلَّى ذَلِكَ عَنْهُمْ ، وَإِذَا لَمْ يَحْضُرْهُمْ مَنْ يَجْزُرُ الْجَزُورَ
تَكَلَّفُوا هُمْ ذَلِكَ بَأَنْفُسِهِمْ ، فَلَمْ يُحْسِنُوا حَزَّ الْمِفْصَلِ كَمَا يَفْعَلُهُ الْجَزَّارُ ، وقوله :
* وَلَا يَأْكُلُونَ اللَّحْمَ إِلَّا تَخَذُّمَا *

أى ليس بهم شره فإذا أكلوا اللحمَ تَخَذُّمُوا قليلا قليلا ، وانلذم : القَطْعُ ،
وأنشد الجاحظ في مثله :

وَصُلِّعَ الرِّءُوسِ عِظَامُ البُطُونِ جُفَاةُ المَحَزِّ غِلَاظُ القِصَرِ
لأنَّ ذلك كله أمارات الملوك ؛ وقريبٌ من ذلك قوله :

ليس براعى إبلٍ ولا غَنَمٍ وَلَا يَجْزَاؤُ عَلَى ظَهْرِ وَضَمٍّ^(١)
ويقولون : فلانٌ أَمْلَسَ ، يَكُونُ عَمَّنْ لَا خَيْرَ فِيهِ وَلَا شَرٍّ ، أَى لَا يَثْبُتَ فِيهِ
حَمْدٌ وَلَا ذَمٌّ .

ويقولون : مِلْحُهُ عَلَى رُكْبَتِهِ ، أَى هُوَسِيءُ الْخُلُقِ ، يُفْضِيهِ أَذْنَى شَيْءٍ ، قال :
لَا تَلْمِهَا إِنَّمَا مِنْ عُصْبَةٍ مِلْحُهَا مَوْضُوعَةٌ فَوْقَ الرُّكْبِ^(٢)
ويقولون كنايةً عن مجوسى : هُوَ مِمَّنْ يُخْطَّ عَلَى النَّمْلِ ، وَالنَّمْلُ جَمْعُ نَمْلَةٍ ،
وهى قَرَحَةٌ بِالْإِنْسَانِ ، كَانَتْ الْعَرَبُ تَزْعُمُ أَنَّ الْمَجُوسِيَّ إِذَا كَانَ مِنْ أُخْتِهِ وَخَطَّ عَلَيْهَا
بَرَأَتْ ، قال الشاعر :

وَلَا عَيْبَ فِينَا غَيْرَ عِرْقٍ لِمَعْشَرٍ كِرَامٍ وَأَنَا لَا نَخْطُ عَلَى النَّمْلِ^(٣)

(٢) الجرجاني ١٢٧ ، ونسبه إلى مسكين .

(١) الكامل ٢١٨ (طبع أوروبا) .

(٣) اللسان (نغل)

ويقولون للصبي : قد قُطِفَتْ ثمرته ، أى خَتِن . وقال عُمارة بنُ عقيل بنِ بلال
ابن جَرِير :

ما زال عِصْيَانُنا لله يَرْدُنْنا حَتَّى دُفِعْنا إلى يَحْيَى وَدِينارِ^(١)
إلى عَلَيَجَيْنِ لم تُقْطَفْ ثِمَارُها قد طالَما سَجَدَا للشمس والنار
ويقولون : قَدِرْ حليمة ، أى لا غَلِيانَ فيها .

ويقولون لمن يَصَلِّي صلاةً مختصرة : هو راجزُ الصلاة .
وقال أعرابيٌّ لرجل رآه يَصَلِّي صلاةً خفيفة : صلاتُك هذه رَجَز .
ويقولون : فلانٌ عَفِيفُ الشَّفَةِ ، أى قليلُ السَّوَال ، وفلانٌ خَفِيفُ الشَّفَةِ ،
كثيرُ السَّوَال .

وَتَسْكُنِي العَرَبُ عن المَتِيقَظِ بالقُطامِي ، وهو الصَّقْر .
وَيَكْنُونُ عن الشَّدَّةِ والمَشَقَّةِ بَعَرَقَ القِرْبَةِ ، يقولون : لقيتُ من فلانٍ عَرَقَ
القِرْبَةِ ، أى العَرَقَ الَّذِي يَحْدُثُ بك من حَمْلِها وثِقَلِها ؛ وذلك لأنَّ أَشَدَّ العملِ كان
عندهم السَّقْيُ وما ناسبَه من معالجة الإبل .

وتسكني العرب عن الحشرات وهوامِّ الأرضِ بِجُنُودِ سَعْدٍ ؛ يَعْنُونَ سعدَ الأُخْبِيَّةِ ،
وذلك لأنَّه إذا طَلَعَ انتشرت في ظاهر الأرض ، وخرج منها ما كان مستترا في باطنها ،
قال الشاعر :

قد جاء سعدٌ مُنْذِرًا بِمَجْرِهِ مُوعِدَةً جُنُودَهُ بِشَرِّهِ^(١)
ويَكْنِي قومٌ عن السائلين على الأبواب بِحِفْظِ سورة يوسفَ عليه السلام ، لأنَّهم
يَعْتَنُونَ بِحِفْظِها دونَ غيرها ، وقال عُمارة يَهْجُو مُحَمَّدَ بْنَ وَهَّابٍ :

تَشَبَّهَتْ بالأعرابِ أَهْلُ التَّمْجُرُفِ فَذَلَّ عَلَى ما قَلَتْ قُبْحُ التَّكْلُفِ^(١)

لسانُ عِرَاقٍ إِذَا مَاصَرَ فَتَهُ إِلَى لَفَةِ الْأَعْرَابِ لَمْ يَتَصَرَّفِ
وَلَمْ تَنْسَ مَا قَدْ كَانَ بِالْأَمْسِ حَاكِهِ أَبُوكَ وَعُودُ الْجَفِّ لَمْ يَتَقَصَّفِ
لَنْ كُنْتَ لِلْأَشْعَارِ وَالنَّحْوِ حَافِظًا لَقَدْ كَانَ مِنْ حُقَاطِ سُورَةِ يُوسُفِ
وَيَكُونُ عَنِ اللَّقِيطِ بِتَرْبِيَةِ الْقَاضِي ، وَعَنِ الرَّقِيبِ بِثَانِي الْحَبِيبِ ، لِأَنَّهُ يَرَى مَعَهُ
أَبَدًا ، قَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ :

مَوْقِفُ الرَّقِيبِ لَا أَنْسَاهُ لَسْتُ أَخْتَارُهُ وَلَا آبَاهُ
مَرْحَبًا بِالرَّقِيبِ مِنْ غَيْرِ وَعَدٍ جَاءَ يَجْلُو عَلَى مَنْ أَهْوَاهُ
لَا أَحِبُّ الرَّقِيبَ إِلَّا لِأَنِّي لَا أَرَى مِنْ أَحِبٍّ حَتَّى أَرَاهُ

وَيَكُونُ عَنِ الْوَجْهِ الْمَلِيحِ بِحُجَّةِ الْمَذْنِبِ ، إِشَارَةً إِلَى قَوْلِ الشَّاعِرِ :

قَدْ وَجَدْنَا غَفْلَةً مِنْ رَقِيبٍ فَسَرَقْنَا نَظْرَةً مِنْ حَبِيبٍ
وَرَأَيْنَا ثَمَّ وَجْهًا مَلِيحًا فَوَجَدْنَا حُجَّةً لِلذَّنُوبِ

وَيَكُونُ عَنِ الْجَاهِلِ ذِي النِّعْمَةِ بِحُجَّةِ الزَّنادِقَةِ ، قَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ :

مَهْلًا أَبَا الصَّقْرِ فَمَنْ طَائِرٍ خَرَّ صَرِيحًا بَعْدَ تَحْلِيْقِ

لَا قُدُسَتْ نَعَى نَسْرَبَلَتِهَا كَمْ حُجَّةٍ فِيهَا لَزِنْدِيقِ !

وَقَالَ ابْنُ بَسَّامٍ فِي أَبِي الصَّقْرِ أَيْضًا :

يَا حُجَّةَ اللَّهِ فِي الْأَرْزَاقِ وَالْقِسْمِ وَعِبْرَةً لِأُولَى الْأَلْبَابِ وَالْفَهْمِ

تَرَاكَ أَصْبَحْتَ فِي نَعْمَاءٍ سَابِقَةٍ إِلَّا وَرَبُّكَ غَضْبَانٌ عَلَى النَّعَمِ

فَهَذَا ضِدُّ ذَلِكَ الْمَقْصَدِ ، لِأَنَّ ذَلِكَ جَعَلَهُ حُجَّةً عَلَى الزَّندَقَةِ ، وَهَذَا جَعَلَهُ حُجَّةً عَلَى

قُدْرَةِ الْبَارِي سُبْحَانَهُ عَلَى عَجَائِبِ الْأُمُورِ وَغَرَائِبِهَا ، وَأَنَّ النَّعْمَ لَا قَدْرَ لَهَا عِنْدَهُ سُبْحَانَهُ ،

حَيْثُ جَعَلَهَا عِنْدَ أَبِي الصَّقْرِ مَعَ دَنَاءَةِ مَنْزِلَتِهِ . وَقَالَ ابْنُ الرَّومِيِّ :

وَقَيْنَةُ أبردُ من ثَلَجَةٍ تَبَيَّتْ مِنْهَا النَّفْسُ فِي ضَجَّةٍ
فِي ضَنْكَةٍ كَأَنَّهَا مِنْ نَتْنِهَا تَحْمَةُ لَكْنِهَا فِي اللَّوْنِ أَثْرُجَةٌ
تَفَاوَتْ خِلْقَتُهَا فَاعْتَدَتْ لِكُلِّ مَنْ عَطَّلَ مُحْتَجَّةً
وقد يُشَابِه ذلك قول أبي عليّ البصير في ابن سعدان :

يَابْنَ سَعْدَانَ أَجْلَحَ الرَّزْقُ فِي أُمِّ رِكَ وَاسْتَحْسَنَ الْقَبِيحَ بِمَرَّةٍ
نَلَّتْ مَا لَمْ تَكُنْ تَمْنَى إِذَا مَا أَسْرَفَتْ فِي غَايَةِ الْأَمَانِيِّ عِشْرَةٍ
لَيْسَ فِيمَا أَظُنُّ إِلَّا لَكَيْلًا يُنْكِرُ الْمُنْكَرُونَ لِلَّهِ قَدْرَهُ
وللمفجع في قريب منه :

إِنْ كُنْتُ خُتْمُكَ الْمُوَدَّةَ غَادِرًا أَوْ حُلْتُ عَنْ سَنَنِ الْحُبِّ الْوَامِقِ
فُسِخْتُ فِي قُبْحِ ابْنِ طَلْحَةَ إِنَّهُ مَادَلَّ قَطَّ عَلَى كَمَالِ الْخَالِقِ

ويقولون : عَرَضَ فُلَانٌ عَلَى الْحَاجَةِ عَرَضًا سَابِرِيًّا ، أَيْ خَفِيفًا مِنْ غَيْرِ اسْتِقْصَاءٍ ،
تَشْبِيهًا لَهُ بِالثَّوبِ السَّابِرِيِّ ، وَالدَّرْعِ السَّابِرِيَّةِ ، وَهِيَ الْخَفِيفَةُ .

وَيُحْكَى أَنْ مَرْتَدًا مَرَّ عَلَى قَوْمٍ يَأْكُلُونَ وَهُوَ رَاكِبٌ حِمَارًا ، فَقَالُوا : انْزِلْ
إِلَيْنَا ، فَقَالَ : هَذَا عَرَضٌ سَابِرِيٌّ ، فَقَالُوا : انْزِلْ يَابْنَ الْفَاعِلَةِ . وَهَذَا ظَرْفٌ وَلِبَاقَةٌ .
ويقولون في ذلك : وَعَدْتُ سَابِرِيًّا ، أَيْ لَا يُقَرَّنُ بِهِ وَفَاءً ، وَأَصْلُ السَّابِرِيِّ ،
الْأَطِيفُ الرَّقِيقُ .

وقال المبرد : سَأَلْتُ الْجَاهِظَ : مَنْ أَشْعَرُ الْمُوَلَّدِينَ ؟ فَقَالَ : الْقَائِلُ :

كَأَنَّ ثِيَابَهُ أَطْلَمَ مَنْ مِنْ أَزْرَارِهِ قَمَرًا
يَزِيدُكَ وَجْهَهُ حُسْنًا إِذَا مَا زِدْتَهُ نَظْرًا
بَعَيْنٍ خَالَطَ التَّفَةَ يَرُ فِي أَجْفَانِهَا الْحَوْرَا

ووجهٍ سَابِرِيٍّ لَوْ تَصَوَّبَ مَائِهِ قَطَرًا
يعنى العباس بن الأحنف^(١) .

وتقول العرب فى معنى قولِ المحدثين : عَرَضَ عليه كذا عَرَضًا سَابِرِيًّا ، عَرَضَ عليه عَرَضَ عَالَةً ، أى عَرَضَ الماء على النعم العالّة التى قد شَرِبَتْ شُرْبًا بَعْدَ شُرْبٍ ، وهو العَلَلُ ؛ لأنّها تُعَرِّضُ على الماء عَرَضًا خَفِيفًا لَا تَبَالُغُ فِيهِ .

ومن الكنايات الحسنة قولُ أعرابيّةٍ قالت لقيس بن سعد بن عبادة : أَشْكُو إِلَيْكَ قَلَّةَ الْجِرْذَانِ فِي بَيْتِي ؛ فَاسْتَحْسَنَ مِنْهَا ذَلِكَ ، وَقَالَ لَا كَثُرَتْهَا ؛ اامَلُوا لَهَا يَتَيْهَا خُبْرًا وَتَمْرًا وَسَمْنًا وَأَقِطًا وَدَقِيقًا .

وشبيهٌ بذلك ما رَوَى أَنَّ بَعْضَ الرُّسَاءِ سَايَرَهُ صَاحِبٌ لَهُ عَلَى بِرْذَوْنٍ مَهْزُولٍ ، فَقَالَ لَهُ : مَا أَشَدَّ هُزَالَ دَابَّتِكَ ! فَقَالَ : يَدُهَا مَعَ أَيْدِينَا ، فَفُطِنَ لَذَلِكَ وَوَصَلَهُ .

وقريبٌ منه ما حُكِيَ أَنَّ الْمَنْصُورَ قَالَ لِلْإِنْسَانِ : مَا مَالُكَ ؟ قَالَ مَا أَصُونُ بِهِ وَجْهِي ، وَلَا أَعُودُ بِهِ عَلَى صَدِيقٍ ؛ فَقَالَ : لَقَدْ تَلَطَّفْتَ فِي الْمَسْأَلَةِ ، وَأَمَرَ لَهُ بِصِلَةٍ .

وجاء أعرابىٌّ إِلَى أَبِي الْعَبَّاسِ ثَعْلَبَ وَعِنْدَهُ أَصْحَابُهُ ، فَقَالَ لَهُ : مَا أَرَادَ الْقَائِلُ بِقَوْلِهِ :

الْحَمْدُ لِلَّهِ الْوَهَّوبِ الْمَنَّانِ صَارَ الثَّرِيدُ فِي رِئُوسِ الْقَضْبَانِ

فَأَقْبَلَ ثَعْلَبٌ عَلَى أَهْلِ الْمَجَاسِ فَقَالَ : أَجِيبُوهُ ، فَلَمْ يَكُنْ عِنْدَهُمْ جَوَابٌ ، وَقَالَ لَهُ تَفْطَوْنِيهِ : الْجَوَابُ مِنْكَ يَا سَيِّدِي أَحْسَنَ ، فَقَالَ : عَلَى أَنْكُمْ لَا تَعْلَمُونَهُ ! قَالُوا : لَا نَعْلَمُهُ ، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ : قَدْ سَمِعْتُ مِاقَالَ الْقَوْمِ ، فَقَالَ : وَلَا أَنْتَ أَعَزَّكَ اللَّهُ تَعْلَمُهُ ، فَقَالَ ثَعْلَبُ : أَرَادَ أَنْ السُّنْبُلُ قَدْ أَفْرَكَ ، قَالَ : صَدَقْتَ فَأَيْنَ حَقَّ الْفَائِدَةِ ؟ فَأَشَارَ إِلَيْهِمْ ثَعْلَبُ ،

فَبَرِّوْهُ ، فقام قائلاً : بوركت من ثعلب ، ما أعظم بركتك !
وَيَكُونُونَ عَنِ الشَّيْبِ بُغْبَارَ الْعَسْكَرِ ، وِبِرْغُوةِ الشَّبَابِ ، قال الشاعر :
قالت أرى شَيْباً بِرَأْسِكَ ، قلتُ لا هَذَا غِبَارُ منْ غِبَارِ الْعَسْكَرِ
وقال آخر - وَسَمَاءُ غِبَارَ وَقَائِعِ الدَّهْرِ :

غَضِبْتُ ظُلُومَ وَلُغَمَتِ هَجْرِي وَصَبْتُ ضَمَائِرُهَا إِلَى الْفَدْرِ
قالت أرى شَيْباً فَقُلْتُ لَهَا هَذَا غِبَارُ وَقَائِعِ الدَّهْرِ
ويقولون للسحاب : فَحُلِ الْأَرْضَ .

وقالوا : القلمُ أَحَدُ اللِّسَانَيْنِ وَرَدَاءَةُ الْخَطِّ أَحَدُ الزَّمَانَتَيْنِ .
قال : وقال الجاحظ : رأيت رجلاً أعمى يقول في الشوارع وهو يسأل : ارحموا ذا
الزَّمَانَتَيْنِ ، قلتُ : وما هما ؟ قال : أنا أعمى وصَوْتُ قَبِيحٍ . وقد أشارَ شاعرٌ إلى
هذا فقال :

اِثْنَانِ إِذَا عُدَّا حَقِيقٌ بِهِمَا الْمَوْتُ
فَقِيرٌ مَالَهُ زُهْدٌ وَأَعْمَى مَالَهُ صَوْتُ

وقال رسولُ الله صَلَّى الله عليه وآله : « إِيَّاكُمْ وَخَضِرَاءَ الدِّمَنِ » ، فلما سُئِلَ عنها
قال : « الْمَرْأَةُ الْخُسْنَاءُ فِي الْمَنَبِتِ السَّوِّ » .

وقال عليه السلام في صَلَاحِ قَوْمٍ مِنَ الْعَرَبِ : « إِنَّ بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ عَيْبَةٌ مَكْفُوفَةٌ » ،
أى لا نَكْشَفُ مَا بَيْنَنَا وَبَيْنَهُمْ مِنْ ضِغْنٍ وَحِقْدٍ وَدَمٍ .

وقال عليه السلام : « الْأَنْصَارُ كَرِشِي وَعَيْنِي » ، أى موضعُ سِرِّي .
وَكَرِشِي : جَمَاعَتِي .

ويقال : جاء فلانٌ رَبيدٌ ^(١) العنان ، أى مُنهزماً .

وجاء ينفض مِذْرَوِيه ^(٢) ، أى يتوَعَّد من غيرِ حقيقة .

وجاء يَنْظُرُ عن شماله ، أى مُنهزماً .

وتقول : فلانٌ عندي بالشَّمال ، أى منزلته خَسِيسَة . وفلانٌ عندي باليمين ، أى

بالمَنْزلة العُلْيَا ، قال أبو نُوَّاس :

أَقُولُ لِنَاقِي إِذْ بَلَّغْتَنِي لَقَدْ أَصْبَحْتَ عِنْدِي بِالْيَمِينِ ^(٣)

فَلَمْ أَجْعَلْكَ لِلْغَرْبَانِ نَهَبًا وَلَمْ أَقُلْ أَشْرَقِي بَدَمَ الْوَتِينِ

حَرَمْتُ عَلَى الْأَرْمَةِ وَالْوَلَايَا وَأَعْلَاقِ الرَّحَالَةِ وَالْوَضِينِ

وقال ابن مِيَّادَة :

أَيْنِي أَفِي يُمْنِي بِدَيْكَ جَعَلْتَنِي فَأَفْرَحُ أَمْ صَيَّرْتَنِي فِي شِمَالِكِ !

وتقول العرب : التَّقَى الثَّرِيَّانِ فِي الْأُمْرَيْنِ يَأْتَلِفَانِ وَيَتَّفَقَانِ ، أَوِ الرَّجُلَيْنِ ؛ قَالَ

أَبُو عُبَيْدَة : وَالْثَرَى التَّرَابُ النَّدَى فِي بَطْنِ الْوَادِي ، فَإِذَا جَاءَ الْمَطَرُ وَشَحَّ

فِي بَطْنِ الْوَادِي حَتَّى يَلْتَقِيَ نَدَاهُ وَالنَّدَى الَّذِي فِي بَطْنِ الْوَادِي يُقَالُ :

التَّقَى الثَّرِيَّانِ .

ويقولون : هُمْ فِي خَيْرٍ لَا يُطَيَّرُ غُرَابُهُ ، يَرِيدُونَ أَنَّهُمْ فِي خَيْرٍ كَثِيرٍ وَخِصْبٍ عَظِيمٍ

فَيَقَعُ الْغُرَابُ فَلَا يُنْفَرُ لِكَثْرَةِ الْخِصْبِ .

وَكَذَلِكَ أَمْرٌ لَا يُنَادَى وَلِيدُهُ ، أَيْ أَمْرٌ عَظِيمٌ يُنَادَى فِيهِ الْكِبَارُ دُونَ الصَّغَارِ .

وَقِيلَ : الْمُرَادُ أَنَّ الْمَرْأَةَ تَشْتَغِلُ عَنْ وَلِيدِهَا فَلَا تَنَادِيهِ لِعَظَمِ الْخُطْبِ ، وَمِنْ هَذَا قَوْلُ

الشَّاعِرِ يَصِفُ حَرْبًا عَظِيمَةً :

(١) فِي اللِّسَانِ : « رَبِيدُ الْعِنَانِ ، أَيْ مُنْفَرِدًا مُنْهَزِمًا » .

(٢) الْمَذْرَوَانِ : الْجَانِبَانِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ؛ وَقَدْ يُطْلَقَانِ عَلَى الْمُنْكَبِينَ .

(٣) دِيوَانُهُ ٦٥

إذا خرسَ الفحلُ وَسَطَ الحُجُورِ وصاحَ الكِلَابُ وعَقَّ الولدُ
يريد أنَّ الفحل إذا عاين الجيشَ والبارقةَ لم يلتفتْ لفتِّ الحُجُور ولم يصهلْ، وتنبَّح
الكِلَابُ أربابها، لأنها لا تعرفهم للبسهم الحديد، وتذهل المرأة عن ولدها رعباً، فجعل
ذلك عُقُوقاً.

ويقولون : أصبحَ فلانٌ على قرْنٍ أعفرَ ؛ وهو الظَّبْيُ إذا أرادوا أَصْبَحَ على
خَطَرٍ ، وذلك لأنَّ قرْنَ الظَّبْيِ ليس يصلحُ مكاناً ، فمن كان عليه فهو على خَطَرٍ ،
قال امرؤ القيس :

ولا مِثْلَ يومٍ بالعِظَالَى قطعتهُ كَأَنِّي وأصحابي على قرْنٍ أعفراً^(١)
وقال أبو العلاء المعري :

* كَأَنِّي فوقَ رَوْقِ الظَّبْيِ من حَذَرٍ^(٢) *

وأنشد ابنُ دريد في هذا المعنى :

وما خَيْرُ عَيْشٍ لا يزالُ كأنَّه مَحَلَّةٌ يَعْسوبُ برأسِ سِنانٍ
يعني من القلق وأنه غيرُ مطمئن .

ويقولون : به داءُ الظَّبْيِ ، أي لا داءَ به ، لأنَّ الظَّبْيَ صحيحٌ لا يزالُ ، والمرَضُ قلٌّ
أن يعترية . ويقولون للمتلونَّ المختلف الأحوال : ظلَّ الذُّئْبُ ، لأنه لا يزالُ مرَّةً هكذا
ومرَّةً هكذا .

ويقولون : به داءُ الذُّئْبِ ، أي الجُوع .

(١) ديوانه ٧٠ وروايته :

وَلَا مِثْلَ يَوْمٍ فِي قَدْرَانِ ظَلَّتُهُ كَأَنِّي وَأَصْحَابِي عَلَى قَرْنٍ أَعْفَرَا

(٢) سقط الزند ١٣١ ، وصدره : * في بلدة مثل ظهر الظبي بت لها *

وعهدُ فلانٍ عهدُ الغُراب ، يَعْنُون أَنَّهُ غَادِرٌ ، قَالُوا : لَأَنْ كُلَّ طَائِرٍ يَأْلَفُ أَتْنَاهُ إِلَّا الْغُرَابَ ، فَإِنَّهُ إِذَا بَاضَتْ الْأُنْثَى تَرَكَهَا وَصَارَ إِلَى غَيْرِهَا .

ويقولون : ذهب سَمْعُ الْأَرْضِ وَبَصَرُهَا ، أَيْ حَيْثُ لَا يُدْرَى أَيْنَ هُوَ !
وتقول : أَلْقَى عَصَاهُ ؛ إِذَا أَقَامَ وَاسْتَقَرَّ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

فَأَلْقَيْتُ عَصَاهَا وَاسْتَقَرَّ بِهَا النَّوَى كَمَا قَرَّرَ عَيْنِنَا بِالْإِيَابِ الْمُسَافِرِ^(١)

وَوَقَعَ الْقَضِيبُ مِنْ يَدِ الْحِجَّاجِ وَهُوَ يَخْطُبُ ، فَتَطِيرُ بِذَلِكَ حَتَّى بَانَ فِي وَجْهِهِ ، فَقَامَ إِلَيْهِ رَجُلٌ فَقَالَ : إِنَّهُ لَيْسَ مَسْبِقٌ وَهُمْ الْأَمِيرُ إِلَيْهِ ، وَلَكِنَّهُ قَوْلُ الْقَاتِلِ ، وَأَنْشَدَهُ الْبَيْتَ ، فَسُرِّيَ عَنْهُ .

ويقال للمختلِفِينَ : طَارَتْ عَصَاهُمْ شِقَاقًا .

ويقال : فلانٌ مَنْقُطِعُ الْقَبَالِ^(٢) ، أَيْ لَا رَأْيَ لَهُ .

وفلانٌ عَرِيضُ الْبَطَانِ ، أَيْ كَثِيرُ الثَّرْوَةِ .

وفلانٌ رَخِيُّ اللَّبِّ ، أَيْ فِي سَعَةٍ .

وفلانٌ وَاقِعُ الطَّائِرِ ، أَيْ سَاكِنٌ .

وفلانٌ شَدِيدُ الْكَاهِلِ ، أَيْ مَنِيْعُ الْجَانِبِ .

وفلانٌ يَنْظُرُ فِي أَعْقَابِ نَجْمٍ مُغْرَبٍ ، أَيْ هُوَ نَادِمٌ آيِسٌ ، قَالَ الشَّاعِرُ :

فَأَصْبَحْتُ مِنْ لَيْلَى الْغَدَاةِ كَنَاطِرٍ مَعَ الصَّبْحِ فِي أَعْقَابِ نَجْمٍ مُغْرَبٍ^(٣)
وَسَقَطَ فِي يَدِهِ ، أَيْ أَيقَنَ بِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ .

وقد رَدَدْتُ يَدَهُ إِلَى فِيهِ ، أَيْ مَنَعْتُهُ مِنَ الْكَلَامِ .

وبنو فلانٍ يَدُّ عَلَى بَنِي فلانٍ ، أَيْ مُجْتَمِعُونَ .

(١) اللسان (عصا) .

(٢) القبال : زمام النعل

(٣) للمجنون ، ديوانه ٧٩٩ .

وأعطاه كذا عن ظهر يد ، أى ابتداءً لا عن مكافأة .

ويقولون : جاء فلانٌ نائراً أذنيه ، أى جاء طامعاً .

ويقال : هذه فرسٌ غيرُ محلفة ، أى لا تحوج صاحبها إلى أن يحلف أنها
كريمة ، قال :

. كميّتٌ غيرُ محلفةٍ ولكن كلّون الصّرف علّ به الأديمُ

وتقول : حلبَ فلانٌ الدهرَ أشطَرَه ، أى مرّت عليه ضُروبه خيرُهُ وشرُّه .

. وقرعَ فلانٌ لأمرٍ ظُنِبَوبَه ، أى جدّ فيه واجتهد .

وتقول : أبديَ الشرَّ نواجِذه ، أى ظهر .

وقد كشفت الحربُ عن ساقِها ، وكشّرت عن نابِها .

وتقول : استنوّقَ الجملُ ؛ يقال ذلك للرجل يكون في حديث ينتقل إلى غيره

يَخِطُّ به .

وتقول لمن يهون بعد عِزٍّ : استئنّ العير .

وتقول للضعيف يقوى : استنسر البُعَاث .

ويقولون : شرابٌ بأنقع ، أى مُعاود للأُمور ؛ وقال الحجاج : يا أهل العراق ،

إنكم شرّابون بأنقع ، أى معتادون الخير والشرّ . والأنقع : جمع نَقَعَ ، وهو ما استُنْقِعَ

من العُدْران ، وأصلُه في الطائر الحِذر يَرِدُ المناقِيع في الفلوات حيث لا يبلغه قانِص ،

ولا ينصب له شَرَك .

[حديث عن امرئ القيس]

ونُحْتَم هذا الفصل في الكنايات بحكاية رواها أبو الفرج عليّ بن الحسين الأصهباني ؛ قال أبو الفرج : أَخْبَرَنِي ^(١) محمد بن القاسم الأنباري ، قال : حدثني ابنُ عمي ، قال : حدثنا أحمد بن عبد الله ، عن الهيثم بن عدي . قال : وحدثني عمي ، قال : حدثنا محمد بن سعد الكرائي ؛ قال : حدثنا العُمري ، عن الهيثم بن عدي ، عن مجالد بن سعيد ، عن عبد الملك بن عمير ، قال : قَدِم علينا عمرُ بن هُبيرة الكوفة أميراً على العراق ، فأرسلَ إلى عشرةٍ من وجوه أهل الكوفة أنا أحدُهم ، فسيرنا عنده ، فقال : ليُحدثني كلَّ رجلٍ منكم أحدوثَةً وابدأ أنت يا أبا عمرو ، فقلت : أصلح الله الأمير ! أحدث حقّ أم حديث باطل ؟ قال : بل حديث حقّ ؛ فقلت : إنّ امرأ القيس كان آلى أليّة ^(٢) ألاّ يتزوج امرأةً حتى يسألها عن ثمانية وأربعة واثنتين ، فجعل يخطب النساء ، فإذا سألهنّ عن هذا قلن : أربعة عشر ، فبينما هو يسيرُ في جوف الليل إذا هو برجل يحمل ابنةً صغيرةً له كأنها البدر لتّمه ، فأعجبته ، فقال لها : يا جارية ، ما ثمانية ، وأربعة ، واثنتان ؟ فقالت : أمّا ثمانية فأطبّاء الكلبة ، وأمّا أربعة : فاختلاف الناقة ، وأمّا اثنتان فتدّيا المرأة ؛ فخطبها إلى أبيها ، فزوّجه إياها وشرّطت عليه أن تسأله ليلة بنائها عن ثلاث خصال ، فجعل لها ذلك ، وعلى أن يسوق إليها مائة من الإبل ، وعشرة أعبد ، وعشر وصائف ، وثلاثة أفراس ، ففعل ذلك ، ثم بعث عبداً إلى المرأة ، وأهدى إليها معه نحيماً ^(٣) من سمن ونحيا من عسل وحلّة من عصب ، فنزل العبد على بعض المياه ، ونشر الحلّة فلبسها . فتعلقتُ بِسَمرة فانشقت ، وفتح النّحيين فأطعم أهل الماء منهما فنقصا ، ثمّ قدِم على المرأة وأهلها خلوف ^(٤) فسألها عن أبيها وأمّها وأخيها ، ودفع

(٢) الأغاني : « بأليّة » .

(١) الأغاني ٩ : ١٠١ - ١٠٣ .

(٤) خلوف : غيب .

(٣) النحي : الزق .

إليها هديتها ، فقالت : أَعْلِمُ مولاك أن أبى ذهب يقرّب بعيداً ، ويبعد قريباً ، وأن أمى ذهبت تشقّ النفس نفسين ، وأن أخى ذهب يُراعى الشمس ، وأن سماءكم انشقت ، وأن وعاءيكم نضبا .

فقدّم الغلام على مولاة ، فأخبره فقال : أما قولها : إن أبى ذهب يقرّب بعيداً ، ويبعد قريباً ، فإن أباها ذهب يُخالِف قوماً على قومه ، وأما قولها : إن أمى ذهبت تشقّ النفس نفسين ، فإن أمها ذهبت تُقْبِلُ ^(١) امرأةً نفساء . وأما قولها : إن أخى ذهب يُراعى الشمس ، فإن أخاها فى سَرَجٍ له يرعاه ، فهو ينتظر وجوب الشمس ليروح به ؛ وأما قولها : إن سماءكم انشقت ، فإن البُرد الذى بعثت به انشق ؛ وأما قولها إن وعاءيكم نضبا فإن النّحّيين اللّذين بعثت بهما نقصاً ، فاصدقنى . فقال : يا مولاي ، إني نزلتُ بماءٍ من مياهِ العرب ، فسألوني عن نسبي فأخبرتهم أنّي ابن عمك ، ونشرتُ الحُلّة ولبستها وتجملت بها ، فتعلقتُ بسُمرّة فانشقت ، وفتحتُ النّحّيين فأطعمتُ منهما أهلَ الماء ، فقال : أوّلَى لك ! ثمّ ساق مائةً من الإبل ، وخرج نحوها ومعه العبد يسقى الإبل ، فعجز ، فأعانه امرؤ القيس ، فرمى به العبد فى البئر ، وخرج حتى أتى إلى أهل الجارية بالإبل ، فأخبرهم أنه زوّجها ، فقبل لها : قد جاء زوجك ، فقالت : والله ما أدري أزوّجى هو أم لا ! ولكن انحروا له جزوراً وأطعموه من كرشها وذنبها ، ففعلوا ، فأكل ما أطعموه ، فقالت : اسقوه لبناً حارّاً - وهو الحامض - فسقوه فشرب ، فقالت : افرشوا له عند الفرث ^(٢) والدم ، ففرشوا له ، فنام فلما أصبحت أرسلت إليه : إني أريدُ أن أسألك ، فقال لها : سَلِي عَمَّا بَدَا لَكَ ، فقالت : ممّ تختلج شفتاك ؟ قال : مِن تَقِيلِي إِيَّاكَ ، فقالت : ممّ يختلج كَشْحَاكَ ، قال : لالتزامي إِيَّاكَ ، قالت : فممّ يختلج فَخِذَاكَ ؟

(١) يقال : قبلت القابلة المرأة ؛ إذا تلقت ولدها عند ولادته .

(٢) الفرث : السرجين ما دام فى الكرش .

قال : لتورّكى إِيّاكَ ، فقالت : عليكم العبد فُشِدُّوا أيديكم به ، ففعلوا .
 قال : ومرّ قوم فاستخرجوا امرأ القيس من البئر ، فرَجَعَ إلى حَيِّه وساق مائةً من الإبل ،
 وأقبل إلى امرأته فقيل لها : قد جاء زَوْجُكَ ، فقالت : والله ما أدرى أزَوْجى هو أم لا !
 ولكن انحروا له جَزُورا ، وأطعموه من كَرِشها وذَنبها ؛ ففعلوا ، فلما أتوه بذلك قال : وأين
 الكبد والسَّنام والمَلْحَاءُ^(١) ، وأبى أن يأكل ، فقالت اسقوه لبنًا حازِرًا ، فأتى به ، فأبى
 أن يشربه ، وقال : فأين الضَّرِيبُ^(٢) والرَّيْثَةُ ؟ فقالت : افرشوا له عند الفَرث والدم ،
 ففرشوا له ، فأبى أن ينام ، وقال : افرشوا لى عند التلعة الحمراء ، واضربوا لى عليها
 خِباءً ، ثم أرسلت إليه : هلمَّ شَرِيطتى عليك فى المسائل الثلاث ، فأرسل إليها أن سَلِ عَمّا
 شِئْتِ ، فقالت : ممّ تختلج شَفَتَاكَ ؟ فقال : لِشُرْبى المُشَعَّعات ، قالت : فممّ تختلج
 كَشْحَاكَ ؟ قال : للبسى الحَبَرَات . قالت : فممّ تختلج نَحْذاكَ ؟ قال : لِرَكْضى المُطَهَّمات^(٣) ،
 فقالت : هذا زَوْجى لعمرى ، فعليكم به . فأهديتُ إليه الجارية .
 فقال ابن هُبَيْرَة : حَسْبُكُمْ ، فلا خير فى الحديث سائر الليلة بعد حديث أبى عمرو ،
 ولن يأتينا أحدٌ منكم بأعجب . منه فانصرفنا وأمرَ لى بجائِزة .

(١) المَلْحَاءُ : لحم فى الصلب من الكاهل إلى العجز من البعير . (٢) والضرب : هو اللبن يحلبه
 من عدة لقاح ؛ وفى الأغانى : « الصريف » . وهو الحلب الحار ساعة يصرف من الضرع ، والرَيْثَةُ :
 اللبن الحليب يصب عليه اللبن الحامض ، فيروب من ساعته .
 (٣) المطهَّمات : الخيل التامة الحسن .

الأضل :

وقال عليه السلام في كلام له :

وَوَلِيَهُمْ وَالٍ فَأَقَامَ وَاسْتَقَامَ ، حَتَّى ضَرَبَ الدِّينَ بِحِرَانِهِ .

الشُّرْحُ :

الجِرَان : مقدّم العُنُق ، وهذا الِوَالِي هو عمرُ بنُ الخطاب .

وهذا الكلامُ من خُطبةٍ خَطبها في أَيَّامِ خلافته طويلاً ؛ يذكّر فيها قُرْبَهُ من النّبي

صلى الله عليه وآله واختصاصه له ، وإفضاءه بأسراره إليه ، حتى قال فيها :

فاختار المسلمون بعده بآرائهم رجلاً منهم ، فقاربَ وسَدَدَ حَسَبَ استطاعته على ضَعْفٍ

وَحدٍ كانا فيه ، وليهم بعده وَالٍ ، فأقامَ واستقامَ حتى ضَرَبَ الدِّينَ بِحِرَانِهِ ، على عَسْفٍ

وعَجَرَفِيَّةٍ كانا فيه ، ثمَّ اختلفوا ثالثاً لم يكن يملك من أمر نفسه شيئاً ، غَابَ عليه أهلُه

فقادوه إلى أهوائهم كما تقود الوليدة البعير الخُطوم ، فلم يزل الأمرُ بينه وبين الناس يَبْعُدُ

تارةً ويقربُ أخرى حتى نَزَوْا عليه فقَتَلوه ، ثم جاءوا بِى مَدَبِّ الدِّبَا يريدون بَيْعَتِي .

وتمام الخطبة معروف ، فينطاب من الكُتُب الموضوعة لهذا الفن .

الأضل :

وقال عليه السلام :

يَأْتِي عَلَى النَّاسِ زَمَانٌ عَضُوضٌ ، يَعَضُّ الْمُوسِرُ فِيهِ عَلَى مَا فِي يَدَيْهِ ، وَلَمْ يُؤْمَرْ
بِذَلِكَ ، قَالَ اللَّهُ سُجَّانُهُ : ﴿ وَلَا تَنْسُوا الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ ﴾ ؛ يَنْهَدُ فِيهِ الْأَشْرَارُ ،
وَيُسْتَذَلُّ الْأَخْيَارُ ، وَيُبَايِعُ الْمُضْطَرُّونَ ، وَقَدْ نَهَى رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ
عَنْ بَيْعِ الْمُضْطَرِّينَ .

الْبَيْعُ :

زَمَانٌ عَضُوضٌ ؛ أَيْ كَلِبٌ عَلَى النَّاسِ ، كَأَنَّهُ يَعَضُّهُمْ ، وَفَعُولٌ لَهَا بَالِغَةٌ ، كَالنَّقُورِ
وَالْعَقُوقِ ، وَيَحُوزُ أَنْ يَكُونَ مِنْ قَوْلِهِمْ : بَيْعٌ عَضُوضٌ ، أَيْ بَعِيدَةٌ الْقَعْرِ ضَيْقَةٌ ، وَمَا كَانَتْ
الْبَيْعُ عَضُوضًا ، فَأَعَضَّتْ ، كَقَوْلِهِمْ : مَا كَانَتْ جَرُورًا فَأَجَرَّتْ ، وَهِيَ كَالْعَضُوضِ .
وَعَضَّ فُلَانٌ عَلَى مَا فِي يَدَيْهِ ، أَيْ بَخِلَ وَأَمْسَكَ .

وَيَنْهَدُ فِيهِ الْأَشْرَارُ ، يَنْهَضُونَ إِلَى الْوَلَايَاتِ وَالرِّيَاسَاتِ ، وَتَرْتَفِعُ أَقْدَارُهُمْ فِي الدُّنْيَا .
وَيُسْتَذَلُّ فِيهِ أَهْلُ الْخَيْرِ وَالِدِّينَ ، وَيَكُونُ فِيهِ بَيْعٌ عَلَى وَجْهِ الْاضْطِرَارِ وَالْإِلْجَاءِ ؛ كَنْ
بَيْعٍ^(١) ضَيْقَةٍ ؛ وَهُوَ ذَلِيلٌ ضَعِيفٌ ، مِنْ رَبٍّ ضَيْعَةٍ مُجَاوِرَةٍ لَهَا ذِي ثَرَوَةٍ وَعِزٍّ وَجَاهٍ
فِيلَجِيئُهُ بِمَنْعِهِ ائِمَاءَ وَاسْتِذْلَالِهِ الْأَكْرَةَ وَالْوَكِيلَ إِلَى أَنْ يَبِيعَهَا عَلَيْهِ ؛ وَذَلِكَ مِنْهُنَّ عَنَّهُ ،
لَأَنَّهُ حَرَامٌ تَحْضُ .

الأضل :

وقال عليه السلام :

يَهْلِكُ فِي رَجُلَانِ : مُحِبُّ مُفْرِطٍ ، وَبَاهِتٌ مُقْتَرٍ .

قال الرَضِيَّ رَحِمَهُ اللهُ تَعَالَى : وَهَذَا مِثْلُ قَوْلِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ : هَلَكَ فِي اثْنَانِ : مُحِبُّ غَالٍ ، وَمُبْغِضٌ قَالٍ .

الْبِرْخ :

قد تقدّم شرحٌ مِثْلُ هَذَا الْكَلَامِ ؛ وَخُلَاصَةُ هَذَا الْقَوْلِ : أَنَّ الْهَالِكَ فِيهِ الْمَفْرِطُ وَالْمُفْرِطُ ، أَمَّا الْمَفْرِطُ فَالْغُلَاةُ ، وَمَنْ قَالَ بِتَكْفِيرِ أَعْيَانِ الصَّحَابَةِ وَنِفَاقِهِمْ أَوْ فِسْقِهِمْ ، وَأَمَّا الْمَفْرِطُ فَمَنْ اسْتَنْقَصَ بِهِ عَلَيْهِ السَّلَامُ أَوْ أَبْغَضَهُ أَوْ حَارَبَهُ أَوْ أْضَمَرَ لَهُ غِلًّا ؛ وَلِهَذَا كَانَ أَصْحَابُنَا أَصْحَابَ النَّجَاتِ وَالْخِلَاصِ وَالْفَوْزِ فِي هَذِهِ الْمَسْأَلَةِ ، لِأَنَّهُمْ سَلَكَوا طَرِيقَةً مُقْتَصِدَةً ، قَالُوا : هُوَ أَفْضَلُ الْخَلْقِ فِي الْآخِرَةِ ، وَأَعْلَاهُمْ مَنْزِلَةً فِي الْجَنَّةِ ، وَأَفْضَلُ الْخَلْقِ فِي الدُّنْيَا ، وَأَكْثَرُهُمْ خِصَائِصَ وَمَزَايَا وَمَنَاقِبَ ، وَكُلٌّ مِنْ عَادَاهُ أَوْ حَارَبَهُ أَوْ أَبْغَضَهُ فَإِنَّهُ عَدُوٌّ لِلَّهِ سَبْحَانَهُ وَخَالِدٌ فِي النَّارِ مَعَ الْكُفَّارِ وَالْمُنَافِقِينَ ، إِلَّا أَنْ يَكُونَ مَنْ قَدْ ثَبَتَتْ تَوْبَتُهُ ، وَمَاتَ عَلَى تَوَلَّيِهِ وَحُبِّهِ .

فَأَمَّا الْأَفْضَلُ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ الَّذِينَ وَلَّوْا الْإِمَامَةَ قَبْلَهُ فَلَوْ أَنَّه أَنْكَرَ إِمَامَتَهُمْ

وغيظ عليهم ، وسخط فعلهم ، فضلاً عن أن يُشهر عليهم السيف ، أو يدعو إلى نفسه ، لقُلْنَا: إنهم من المالكين ، كما لو غضب عليهم رسول الله صلى الله عليه وآله ، لأنه قد ثبت أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال له : « حربك حربى ، وسلمك سلمى » ، وأنه قال : « اللهم وال من ولاه ، وعاد من عاداه » ، وقال له : « لا يُحبُّك إلا مؤمن ، ولا يبغضك إلا منافق » ، ولكننا رأينا رضى إمامتهم وبايعهم وصلى خلفهم وأنكحهم وأكل من فيهم ، فلم يكن لنا أن نتعدى فعله ، ولا نتجاوز ما اشتهر عنه ؛ ألا ترى أنه لما برئ من معاوية برئنا منه ، ولما لعنه لعناه ، ولما حَكَم بضلال أهل الشام ومن كان فيهم من بقايا الصحابة كعمرو بن العاص وعبد الله ابنه وغيرها حكما أيضا بضلالهم !

والحاصل أنا لم نجعل بينه وبين النبي صلى الله عليه وآله إلا رتبة النبوة ، وأعطيناه كل ما عدا ذلك من الفضل المشترك بينه وبينهم ^(١) ، ولم نطعن في أكابر الصحابة الذين لم يصح عندنا أنه طعن فيهم ، وعاملناهم بما عاملهم عليه السلام به .

[فصل فيما قيل في التفضيل بين الصحابة]

والقول بالتفضيل قول قديم ، قد قال به كثير من الصحابة والتابعين ، فمن الصحابة عمار ، والمقداد ، وأبو ذر ، وسلمان ، وجابر بن عبد الله ، وأبي بن كعب ، وحذيفة ، وبريدة ، وأبو أيوب ، وسهل بن حنيف ، وعثمان بن حنيف ، وأبو الهيثم بن التيهان ، وخزيمة بن ثابت ، وأبو الطفيل عامر بن واثلة ، والعباس بن عبد المطلب وبنوه ، وبنو هاشم كافة ، وبنو المطلب كافة .

وكان الزبيرُ من القائلين به في بدء الأمر؛ ثم رجع، وكان من بنى أمية قومٌ يقولون بذلك، منهم خالدُ بنُ سعيد بن العاص، ومنهم عمرُ بنُ عبد العزيز.

وأنا أذكرها هنا الخبر المروى المشهور عن عمر، وهو من رواية ابن الكلبي، قال: بينا عمر بن عبد العزيز جالساً في مجلسه، دخل حاجبُه ومعه امرأةٌ أدماء طويلةٌ حسنة الجسم والقامة، ورجلان متعلقان بها، ومعهما كتابٌ من ميمون بن مهران إلى عمر، قد دفعوا إليه الكتاب، ففضّه فإذا فيه:

بسم الله الرحمن الرحيم. إلى أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز، من ميمون بن مهران، سلامٌ عليك ورحمةُ الله وبركاته، أما بعد، فإنه وردَ علينا أمرٌ ضاقتُ به الصدور، وعجزتُ عنه الأوساع^(١)، وهرَبنا بأنفسنا عنه، ووَكَلناه إلى عالمِه، لقولِ الله عز وجل: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾^(٢)، وهذه المرأة والرجلان أحدهما زوجها والآخر أبوها، وإنَّ أباهَا يا أمير المؤمنين زعمَ أنَّ زوجها حَلَفَ بطلاقها أنَّ عليَّ بنَ أبي طالب عليه السلام خيرُ هذه الأمة وأولَها برسولِ الله صلى الله عليه وآله، وأنه يزعمُ أنَّ ابنته طَلقتُ منه، وأنه لا يجوزُ له في دينه أن يتَّخذه صِهرًا، وهو يَعْلَمُ أنَّها حرامٌ عليه كأمِّه. وإنَّ الزوج يقولُ له: كذبتِ وأثمتِ، لقد برَّ قسَمي، وصدقتِ مقالتي، وإنَّها امرأتِي على رَغمِ أنفِكَ، وَغَيْظِ قَلْبِكَ؛ فَاجْتَمِعُوا إلى يَحْتَصِمُونَ في ذلك، فسألتُ الرجلَ عن يَمِينِهِ، فقال: نعم، قد كان ذلك، وقد حلفتُ بطلاقها أنَّ عليًّا خيرُ هذه الأمة وأولَها برسولِ الله صلى الله عليه وآله، عرفه من عرفه، وأنكره من أنكره؛ فليغضب من

(١) الأوساع: جمع وُسع؛ وهو الطاقة.

(٢) سورة النساء ٨٣.

غَضِبَ ، وَلَيَرْضَى مَنْ رَضِيَ ، وَتَسَامَعَ النَّاسُ بِذَلِكَ ، فَاجْتَمَعُوا لَهُ ، وَإِنْ كَانَتْ الْأَلْسُنُ
مَجْتَمِعَةً فَالْقُلُوبُ شَتَّى ، وَقَدْ عَلِمْتَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ اخْتِلَافَ النَّاسِ فِي أَهْوَائِهِمْ ، وَتَسَرُّعِهِمْ
إِلَى مَا فِيهِ الْفِتْنَةُ ، فَأَحْبَبْنَا عَنْ الْحُكْمِ لَتَحْكُمَ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ . وَإِنَّمَا تَعَلَّقَا بِهَا ، وَأَقْسَمَ
أَبُوهَا أَلَّا يَدَّعِيَا مَعَهُ ، وَأَقْسَمَ زَوْجُهَا أَلَّا يَفَارِقَهَا وَلَوْ ضُرِبَتْ عُنُقُهُ إِلَّا أَنْ يَحْكُمَ عَلَيْهِ
بِذَلِكَ حَاكِمٌ لَا يَسْتَطِيعُ مُخَالَفَتَهُ وَالِامْتِنَاعَ مِنْهُ ، فَرَفَعْنَاهُمْ إِلَيْكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، أَحْسَنَ
اللَّهُ تَوْفِيقَكَ وَأَرْشَدَكَ !

وَكُتِبَ فِي أَسْفَلِ الْكِتَابِ :

إِذَا مَا الْمُسْكِلَاتُ وَرَدْنَ يَوْمًا فَخَارَتْ فِي تَأْمِلِهَا الْعُيُونُ
وَضَاقَ الْقَوْمُ ذَرْعًا عَنْ نِبَاهَا فَأَنْتَ لَهَا أَبَا حَفْصٍ أَمِينُ
لَأَنَّكَ قَدْ حَوَيْتَ الْعِلْمَ طُرًّا وَأَحْكَمْتَ التَّجَارِبَ وَالشُّنُونُ
وَخَلَقْتَ الْإِلَهَ عَلَى الرَّعَايَا فَحَظَّكَ فِيهِمُ الْحِظُّ الثَّمِينُ

قال : لَجَمَعَ عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ بَنِي هَاشِمٍ وَبَنِي أُمَيَّةَ وَأَفْخَاذَ قُرَيْشٍ ، ثُمَّ قَالَ :
لَأَبِي الْمَرْأَةِ : مَا تَقُولُ أَيُّهَا الشَّيْخُ ؟ قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛ هَذَا الرَّجُلُ زَوْجَتُهُ ابْنَتِي ،
وَجَهَّزْتُهَا إِلَيْهِ بِأَحْسَنِ مَا يَجْهَزُ بِهِ مِثْلُهَا ، حَتَّى إِذَا أَتَلْتَ خَيْرَهُ ، وَرَجَوْتُ صِلَاحَهُ ، حَلَفَ
بِطُلَاقِهَا كَاذِبًا ، ثُمَّ أَرَادَ الْإِقَامَةَ مَعَهَا ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ : يَا شَيْخَ ، لَعَلَّهُ لَمْ يُطْلَقْ امْرَأَتَهُ ،
فَكَيْفَ حَلَفَ ؟ قَالَ الشَّيْخُ : سُبْحَانَ اللَّهِ ! الَّذِي حَلَفَ عَلَيْهِ لِأَبِينُ حِينًا وَأَوْضَحَ كَذِبًا
مَنْ أَنْ يَخْتَلِجَ فِي صَدْرِي مِنْهُ شَيْءٌ ، مَعَ سِنِّي وَعِلْمِي ، لِأَنَّهُ زَعَمَ أَنَّ عَلِيًّا خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ
وَالْأَفَامَرَاتُ طَالِقٌ ثَلَاثًا . فَقَالَ لِلزَّوْجِ : مَا تَقُولُ ؟ أَهَكَذَا حَلَفْتَ ؟ قَالَ : نَعَمْ ، فَقِيلَ :
إِنَّهُ لَمَّا قَالَ : نَعَمْ ، كَادَ الْمَجْلِسُ يُرْتَجِّجُ بِأَهْلِهِ ، وَبَنُو أُمَيَّةَ يَنْظُرُونَ إِلَيْهِ شَرَرًا ، إِلَّا أَنَّهُمْ
لَمْ يَنْطِقُوا بِشَيْءٍ ، كُلٌّ يَنْظُرُ إِلَى وَجْهِ عُمَرَ .

فَأَكْبَّ عُمَرُ مَلِيًّا يَنْكُتُ الْأَرْضَ بِيَدِهِ وَالْقَوْمُ صَامِتُونَ يَنْظُرُونَ مَا يَقُولُهُ ، ثُمَّ رَفَعَ رَأْسَهُ وَقَالَ :

إِذَا وَلِيَ الْحُكْمَةَ بَيْنَ قَوْمٍ أَصَابَ الْحَقَّ وَالتَّمَسَ السَّدَادَا
وَمَا خَيْرُ الْإِمَامِ إِذَا تَعَدَّى خِلَافَ الْحَقِّ وَأَجْتَنَّبَ الرَّشَادَا

ثُمَّ قَالَ لِلْقَوْمِ : مَا تَقُولُونَ فِي يَمِينِ هَذَا الرَّجُلِ ؟ فَسَكَتُوا ، فَقَالَ : سُبْحَانَ اللَّهِ !
قُولُوا . فَقَالَ رَجُلٌ مِنْ بَنِي أُمَيَّةَ : هَذَا حُكْمٌ فِي فَرْجٍ ، وَلَسْنَا نَجْتَرِئُ عَلَى الْقَوْلِ فِيهِ ،
وَأَنْتَ عَالِمٌ بِالْقَوْلِ ، مُؤْتَمِنٌ لَهُمْ وَعَلَيْهِمْ ، قُلْ مَا عِنْدَكَ ، فَإِنَّ الْقَوْلَ مَا لَمْ يَكُنْ يُحِقُّ بِاطِلَا
وَيُيْطِلُ حَقًّا جَائِزًا عَلَى فِي مَجْلِسِي .

قَالَ : لَا أَقُولُ شَيْئًا ؛ فَالْتَفَتَ إِلَى رَجُلٍ مِنْ بَنِي هَاشِمٍ مِنْ وَلَدِ عَقِيلِ بْنِ أَبِي طَالِبٍ ،
فَقَالَ لَهُ : مَا تَقُولُ فِيمَا حَلَفَ بِهِ هَذَا الرَّجُلُ يَا عَقِيلِي ؟ فَاعْتَنَمَهَا ، فَقَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ؛
إِنْ جَعَلْتُ قَوْلِي حُكْمًا ، أَوْ حُكْمِي جَائِزًا قُلْتُ ؛ وَإِنْ لَمْ يَكُنْ ذَلِكَ فَالْسَّكُوتُ
أَوْسَعُ لِي ، وَأَبْقَى لِلْمُودَّةِ ؛ قَالَ : قُلْ وَقَوْلُكَ حُكْمٌ ، وَحُكْمُكَ مَاضٍ .

فَلَمَّا سَمِعَ ذَلِكَ بَنُو أُمَيَّةَ قَالُوا : مَا أَنْصَفْتَنَا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ جَعَلْتَ الْحُكْمَ إِلَى
غَيْرِنَا ، وَنَحْنُ مِنَ لِحْمَتِكَ وَأَوْلَى رَحِمِكَ ! فَقَالَ عُمَرُ : اسْكُتُوا أَعْجَازًا وَلَوْ مَا ! عَرَضْتُ ذَلِكَ
عَلَيْكُمْ آتِفًا فَمَا اتَّدَبَرْتُمْ لَهُ . قَالُوا : لِأَنَّكَ لَمْ تُعْطِنَا مَا أُعْطِيَ الْعَقِيلِي ، وَلَا حَكَمْتَنَا كَمَا
حَكَمْتَهُ ، فَقَالَ عُمَرُ : إِنْ كَانَ أَصَابَ وَأَخْطَأْتُمْ ، وَحَزَمَ وَعَجَزْتُمْ ، وَأَبْصَرَ وَعَمِيْتُمْ ،
فَمَا ذَنْبُ عُمَرَ ، لَا أَبَا لَكُمْ ! أَتَدْرُونَ مَا مَثَلُكُمْ ؟ قَالُوا : لَا نَدْرِي ، قَالَ : لِيَكُنِ الْعَقِيلِيُّ
يَذَرِي ، ثُمَّ قَالَ : مَا تَقُولُ يَا رَجُلُ ؟ قَالَ : نَعَمْ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، كَمَا قَالَ الْأَوَّلُ :

دُعِيتُمْ إِلَى أَمْرٍ فَلَمَّا عَجَزْتُمْ تَنَاوَلَهُ مِنْ لَا يُدَاخِلُهُ عَجَزُ
فَلَمَّا رَأَيْتُمْ ذَاكَ أَبَدْتُمْ نَفْسُكُمْ نِدَامًا وَهَلْ يُغْنِي مِنَ الْحَذَرِ الْحَرْزُ !

فَقَالَ عُمَرُ : أَحْسَنْتَ وَأَصَبْتَ ، فَقُلْ مَا سَأَلْتُكَ عَنْهُ . قَالَ : يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،

بِرَقَسْمُهُ ، ولم تَطْلُقْ امرأته ، قال : وأَنْتِ عِلْتِ ذاك ؟ قال : نشدتك الله يا أمير المؤمنين ، ألم تعلم أن رسول الله صلى الله عليه وآله قال لفاطمة عليها السلام وهو عندها في بيئتها عائدة لها : يا بُنَيَّةُ ، ما عِلَّتْكِ ؟ قالت : الوَعَكُ يا أبتاه - وكان عليٌّ غائباً في بعض حوائج النبي صلى الله عليه وآله - فقال لها : أَنْشِئِي شَيْئاً ؟ قالت : نعم أَشْتَهِي عِنَباً ، وأنا أعلم أنه عزيز ، وليس وقت عِنَبٍ ، فقال صلى الله عليه وآله : إن الله قادرٌ على أن يجيئنا به ، ثم قال : اللهم ائتنا به مع أفضل أمتي عندك منزلةً ؛ فطَرَقَ عليٌّ البابَ ، ودَخَلَ ومعه مِكَتَلٌ قد أُلْقِيَ عليه طرف رداءه ، فقال له النبي صلى الله عليه وآله : ما هذا يا عليٌّ ؟ قال : عِنَبُ التَّمْسَةِ لفاطمة عليها السلام ، فقال : الله أكبر الله أكبر ، اللهم كما سررتني بأن خصصت عليّاً بدَعْوَتِي فاجعل فيهِ شفاءً بِنَيْتِي ، ثم قال : كُلِّي على اسم الله يا بُنَيَّةُ ، فأَكَلَتْ ، وما خَرَجَ رسول الله صلى الله عليه وآله حتى اسْتَقَلَّتْ وبرَّأتُ ، فقال عمر : صدقت وبررت ، أشهدُ لقد سمعتهُ ووعيتهُ ، يارجل ، خذ بيدِ امرأتِكَ فإنَّ عَرَضَ لك أبوها فاهشيمْ أنفه . ثم قال : يا بُنَيَّ عبدٍ مناف ، والله ما تجهل ما يعلم غيرُنا ، ولا بنا عمي في ديننا ، ولكننا كما قال الأول :

تَصَيَّدَتِ الدِّينَا رِجَالاً بَفَخْهَا فلم يدركوا خيراً بل استقبَحُوا الشَّرَّا
وأعمَاهُمُ حُبُّ الغِنَى وَأَصَمَّهُمُ فلم يدركوا إلا الخسارَةَ والوزرَا

قيل : فكأنما ألْقَمَ بنِي أُمَيَّةَ حَجَرًا ، ومضى الرجلُ بامرأته .

وكتبُ عمرُ إلى ميمونَ بنِ مِهْرَانَ :

عليك سلامٌ ، فَإِنِّي أَحَدُ إِلَيْكَ اللهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ ، أما بعد ، فَإِنِّي قد فهمتُ كتابَكَ ، ووَرَدَ الرِّجْلَانِ والمرأةُ ، وقد صَدَقَ اللهُ يَمِينَ الزَّوْجِ ، وأَبْرَأَ قَسْمَهُ ، وأُثْبِتُهُ على نِكَاحِهِ ، فاستيقنْ ذلك ، واعملْ عليه ، والسلامُ عليك ورحمةُ اللهِ وبركاته .

فأما مَنْ قال بتفضيله على الناس كافةً من التابعين فخلق كثير كأويس القرنيّ وزيد بن صوحان، وصعصعة أخيه، وجندب^(١) الخير، وعبيدة السلمانيّ وغيرهم ممن لا يُحصى كثرةً، ولم تكن لفظة الشيعة تُعرف في ذلك العصر إلا لمن قال بتفضيله، ولم تكن مقالة الإمامية ومنّ نحا نحوها من الطاعنين في إمامة السلف مشهورة حينئذ على هذا النحو من الاشتهار، فكان القائلون بالتفضيل هم المسمّون الشيعة، وجميع ماورد من الآثار والأخبار في فضل الشيعة وأنهم موعودون بالجنة، فهؤلاء هم المعنيون به دون غيرهم، ولذلك قال أصحابنا المعتزلة في كتبهم وتصانيفهم: نحن الشيعة حقاً . فهذا القول هو أقرب إلى السلامة وأشبه بالحق من القولين المتقسمين طرفي الإفراط والتفريط إن شاء الله .

(١) في د « وحبيب » .

الأفضل :

وسُئِلَ عن التَّوْحِيدِ والْعَدْلِ ، قَالَ :
التَّوْحِيدُ إِلَّا تَتَوَهَّمُهُ ، وَالْعَدْلُ إِلَّا تَتَّهَمُهُ .

الشَّرْحُ :

هذان الرُّكْنان همارُ كُنَّا علم الكلام ، وهما شِعَارُ أصحابنا المعتزلة ، لنفهم
المعاني القديمة التي يُثَبِّتُهَا الْأَشْعَرِيُّ وَأَصْحَابُهُ ، ولتَنزِيهِهِمُ الْبَارِي سُبْحَانَهُ عَنْ
فِعْلِ الْقَبِيحِ .

ومعنى قوله « أَلَا تَتَوَهَّمُهُ » أى أَلَا تَتَوَهَّمُهُ جُنْماً أَوْ صُورَةً أَوْ فِي جِهَةٍ مُخْصِصَةٍ ،
أَوْ مَالِئًا لِكُلِّ الْجِهَاتِ كَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ قَوْمٌ ، أَوْ نُورًا مِنَ الْأَنْوَارِ ، أَوْ قُوَّةً سَارِيَةً فِي
جَمِيعِ الْعَالَمِ ، كَمَا قَالَ قَوْمٌ ، أَوْ مِنْ جِنْسِ الْأَعْرَاضِ الَّتِي تَحُلُّ الْمَحَالَ أَوْ تَحُلُّ الْمَحَلَّ ،
وَلَيْسَ بَعَرَضٍ كَمَا قَالَ النَّصَارَى وَغُلَاةُ الشَّيْعة ، أَوْ تَحُلُّهُ الْمَعَانِي وَالْأَعْرَاضُ ، فَهِيَ تَوَهَّمُ
عَلَى شَيْءٍ مِنْ هَذَا فَقَدْ خُولِفَ التَّوْحِيدُ ، وَذَلِكَ لِأَنَّ كُلَّ جِسْمٍ أَوْ عَرَضٍ أَوْ حَالٍ فِي مَحَلٍّ
أَوْ مَحَلٍّ الْحَالِ ، أَوْ مَخْتَصٍ بِجِهَةٍ ، لَا بَدَأَ أَنْ يَكُونَ مُنْقَسِمًا فِي ذَاتِهِ ، لَا سِيَّامَا عَلَى قَوْلِ مَنْ نَقَى
الْجُزْءَ مُطْلَقًا ، وَكُلٌّ مُنْقَسِمٌ فَلَيْسَ بِوَاحِدٍ ، وَقَدْ ثَبَتَ أَنَّهُ وَاحِدٌ . وَأَضَافَ أَصْحَابُنَا إِلَى
التَّوْحِيدِ نَقَى الْمَعَانِي الْقَدِيمَةِ ، وَنَقَى ثَانٍ فِي الْإِلَهِيَّةِ ، وَنَقَى الرُّوْيَةَ ، وَنَقَى كَوْنَهُ مُشْتَبِهًا أَوْ نَافِرًا
أَوْ مُلْتَهَذًا^(١) أَوْ آيِلًا أَوْ عَالِمًا يَعْلَمُ مُحَدَّثٌ ، أَوْ قَادِرًا بِقُدْرَةٍ مُحَدَّثَةٍ ، أَوْ حَيًّا بِحَيَاةٍ مُحَدَّثَةٍ ،
أَوْ نَقَى كَوْنَهُ عَالِمًا بِالْمُسْتَقْبَلَاتِ أَبَدًا ، أَوْ نَقَى كَوْنَهُ عَالِمًا بِكُلِّ مَعْلُومٍ ، أَوْ قَادِرًا عَلَى

(١) ق د « ملتهذا » .

كلّ الأجناس وغير ذلك من مسائل علم الكلام التي يُدخلها أصحابنا في الركن الأول ، وهو التوحيد .

وأما الركن الثاني فهو ألاّ تتهمة ، أى لا تتهمة في أنه أجبرك على القبيح ، ويعاقبك عليه ، حاشاه من ذلك ! ولا تتهمة في أنه مكن الكذابين من المعجزات ، فأضلّ بهم الناس ، ولا تتهمة في أنه كلّفك مالا تطيقه ، وغير ذلك من مسائل العدل التي يذكّرها أصحابنا مفصّلة في كتبهم كالعوض عن الألم ، فإنه لا بدّ منه ، والثواب على فعل الواجب فإنه لا بدّ منه ، وصدق وعده ووعيده ، فإنه لا بدّ منه .

وجملة الأمر أن مذهب أصحابنا في العدل والتوحيد مأخوذ عن أمير المؤمنين . وهذا الموضع من المواضع التي قد صرّح فيها بمذهب أصحابنا بعينه ، وفي فرش كلامه من هذا النمط مالا يُحصى .

الأضل :

وقال عليه السلام : في دعاء استسقى به :
اللهم اسقنا ذُلَّ السَّحَابِ دُونَ صَعَابِهَا .

قال الرضى رحمه الله تعالى :

وهذا من الكلام العجيب الفصاحة ، وذلك أنه عليه السلام شبه السحاب ذوات الرعود والبوارق ، والرياح والصواعق ، بالإبل الصعاب التي تقمص برحائها^(١) ، وتتوقص برُكبانها ، وشبه السحاب الخالية من تلك الزواجر بالإبل الذُلل التي تحتلب طيعةً ، وتقتعدُ مُسِمحةً .

البُزج :

قد كفانا الرضى - رحمه الله - بشرحه هذه الكلمة مثنونةً أخلوض في تفسيرها .

(١) في د « بصاحبها » .

الأصل :

وقيلَ أُوَ عليه السلامُ : لَوْ غَيَّرْتَ شَيْبَكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ! فقال :
الْخَضَابُ زِينَةٌ ، وَنَحْنُ قَوْمٌ فِي مُصِيبَةٍ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

[مختارات مما قيل من الشعر في الشيب والخضاب]

الشرح :

قد تقدّم لنا في الخضاب قولَ كافٍ ، وأنا أستملح قولَ الصّابي فيه :
خضابٌ تقاسمتناه بيني وبينها ولكن شأني فيه خالف شأنها
فياقُبْحه إذ حلّ مني بمفرقي وياحُسْنه إذ حلّ منها بنانها
وسُحْقاً له عن لمتي حينَ شأنها وأهلاً به في كفّها حيث زانها
وقال أبو تمام :

لَعِبَ الشَّيْبُ بِالْمَفَارِقِ بَلْ جَدَّ فَأَبْكَى ثُمَّ اضِرّاً وَلَعُوباً^(١)
خَضِبَتْ خَدَّهَا إِلَى لَوْلُو الْعُقْدَمَا أَنْ رَأَتْ شَوَاتِي خَضِيباً^(٢)
كَلَّ دَاءُ يُرْجَى الدَّوَاءُ لَهُ إِلَّا الْفَطِيعَيْنِ : مَيْتَةً وَمَشِيباً
يَانَسِيبَ الثَّغَامِ ذَنْبُكَ أَبْقَى حَسَنَاتِي عِنْدَ الْحَسَنِ ذُنُوباً^(٣)

(١) ديوانه ١ : ١٦٦ ، وتماضر ولعوب من أسماء النساء .

(٢) الشواة : جلدة الرأس . (٣) الثغام : نبت أبيض يشبه به الشيب .

وَلَنْ عَيْنَ مَا رَأَيْتَ لَقَدْ أَنْكَرْتَ سَنَكْرًا وَعَيْنَ مَعِيَا
لَوْ رَأَى اللَّهُ أَنْ فِي الشَّيْبِ فَضْلًا جَاوَرَتْهُ الْأَبْرَارُ فِي الْخُلْدِ شَيْبًا
وقال :

فَإِنْ يَكُنِ الشَّيْبُ طَفَى عَلَيْنَا وَأَوْدَى بِالْبَشَاةِ وَالشَّبَابِ
فَإِنِّي لَسْتُ أَدْفَعُهُ بَشَىءَ يَكُونُ عَلَيْهِ أَثْقَلُ مِنْ خِضَابِ
أُردتُ بِأَنَّ ذَاكَ وَذَا عَذَابُ فَسَلَّطْتَ الْعَذَابَ عَلَى الْعَذَابِ
ابنُ الرُّوحِيِّ :

لَمْ أَخْضِبِ الشَّيْبَ لِلْفَوَانِي أَبْغَى بِهِ عَنْدَهُمْ وَدَادَا
لَكِنْ خِضَابِي عَلَى شَبَابٍ لَبَسْتُ مِنْ بَعْدِهِ حِدَادَا

ومن مختارٍ ماجاء من الشعر في الشَّيْبِ وإن لم يكن فيه ذِكْرُ الْخِضَابِ قَوْلُ
أَبِي تَمَّامٍ :

نَسَجَ الشَّيْبُ لَهُ لِفَاعًا مُغْدِقًا يَقَعًا فَتَنَعَ مِذْرَوِيَهُ وَنَصَفَا
نَظَرَ الزَّمَانُ إِلَيْهِ قَطَعَ دُونَهُ نَظَرَ الشَّقِيقِ تَحَسُّرًا وَتَلَهُّفًا
مَا اسْوَدَّ حَتَّى ابْيَضَّ كَالْكِرَمِ الَّذِي لَمْ يَبْدُ حَتَّى جِئَ كَيْمَا يَقْطَعَا
لَمَّْا تَفَوَّتْ أَلْخُطُوبُ سَوَادَهَا بَيَاضُهَا عَبَثَتْ بِهِ فَتَفَوَّتَا
مَا كَانَ يَخْطُرُ قَبْلَ ذَا فِي فِكْرِهِ لِلْبَدْرِ قَبْلَ تَمَامِهِ أَنْ يُكْسِفَا
وقال أيضا :

غَدَا اللَّهُمَّ مَخْطَأًا بِفَوْدَى خِطَّةً طَرِيقُ الرَّدَى مِنْهَا إِلَى الْوَتِ مَهْيَعٌ^(١)

هو الزور يُجَنِّفُ ، والمعاشرُ يُجْتَوَى
له مَنْظَرٌ في العَيْنِ أبيضُ ناصعُ
ونحنُ نُرَجِّيه على التَّكْرَهُ والرِّضَا
وقال أيضا :

شُعْلَةٌ في الْفَارِقِ اسْتَوْدَعَتْنِي
تَسْتِثِيرُ الهمومَ ما أَكْتَنَ منها
في صَمِيمِ الْأَحْشَاءِ تُكَلِّلاً صَمِيماً^(١)
صُعْدًا وهي تَسْتِثِيرُ الهموما
غُرَّةٌ مُرَّةٌ إِلَّا إِنْما كُنْتَ أَغْرًا أَيَّامَ كُنْتُ بِهِمَا
دَقَّةٌ في الْحَيَاةِ تُدْعَى جَلالاً
مِثْلَ ما سُمِّيَ اللَّذِيغُ سَلِيماً
حَلَمْتَنِي زَعْمَتُمْ وَأَرَانِي
قَبْلَ هَذَا التَّحْلِيمِ كُنْتُ حَلِيماً
وقال الصَّابِي وَذَكَرَ الْخَضَابُ :

خَضِبْتُ مَسِيْبِي لِلتَّلَعُّقِ بِالضَّبِّ
فَلَمَّا ادَّعَى مِنِّي الْعِذَارُ شَيْبَةً
وَأَوْهَمْتُ مَنْ أَهْوَاهُ أَنِّي لَمْ أَشِبْ
إِذَا صَلَّيْ قَدْ صَاحَ مِنْ فَوْقِهِ كَذِبٌ
وَكَمْ وَجَنَةٌ حَالَتْ وَمَاءُ بَيْهَا نَضَبٌ
فَهَجَرَانُهُ عِنْدَ الْأَحِبَّةِ قَدْ وَجَبٌ
الْبَحْتَرَى :

بَانَ الشَّبَابُ فَلَا عَيْنَ وَلَا أَثَرَ
قَدْ كَذَبَتْ أَخْرَجَهُ عَنْ مُنْتَهَى عَدَدِي
إِلَّا بَقِيَّةٌ يُرَدِّ مِنْهُ أَسْمَالُ
يَأْسًا وَأَسْقَطُهُ إِذْ فَاتَ مِنْ بَالِي
وَأَعْضَلَ الدَّاءَ نِكْسَ بَعْدِ إِبْلَالِ
وَالْمَرْءُ طَاعِمٌ أَيَّامَ تُنْقَلُهُ
تَنْقُصُ الظِّلَّ مِنْ حَالٍ إِلَى حَالٍ

الأفضل :

وقال عليه السلام :

ما المُجَاهِدُ الشَّهِيدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَعْظَمِ أَجْرٍ مِمَّنْ قَدَرَ فَعَفَّ ، لَكَادَ الْعَفِيفُ أَنْ يَكُونَ مَلَكًا مِنَ الْمَلَائِكَةِ .

[نبذ وحكايات حول العفة]

السُّنْخُ :

قد تقدّم القولُ في العِفَّةِ ، وهى ضُرُوبٌ : عِفَّةُ الْيَدِ ، وَعِفَّةُ اللِّسَانِ ، وَعِفَّةُ الْفَرْجِ ، وهى الْمُظْمَى ، وقد جاء فى الحديث المرفوع : « مَنْ عَشِقَ فِكْمَ وَعَفَّ وَصَبَرَ فَمَاتَ مَاتَ شَهِيدًا وَدَخَلَ الْجَنَّةَ » .

وفى حكمةِ سليمانَ بنِ داودَ : إِنْ الْغَالِبَ إِيَّاهُ أَشَدَّ مِنَ الَّذِى يَفْتَحُ الْمَدِينَةَ وَحْدَهُ .

نزل خارجيٌّ على بعض إخوانه منهم مستترا من الحجاج ، فشَخَصَ المنزولُ عليه لبعض حاجاته وقال لزوجته : يا ظمياء ، أوصيك بضيفي هذا خيراً ، وكانت من أحسن الناس - فلما عاد بعد شهر قال لها : كيف كان ضيفك ؟ قالت : ما شغله بالعمى عن كل شيء ؛ وكان الضيف أطبق جفنيه فلم ينظر إلى المرأة ولا إلى منزلها إلى أن عاد زوجها .

وقال الشاعر :

إن أكن طامح اللحاظِ فإني والذي يملكُ القلوبَ عَفِيفُ
خرجت امرأةً من صالحاتِ نساءِ قريشِ إلى بابها لتغلقه ، ورأسُها مكشوف ، فراها
رجلٌ أجنبيٌّ ، فرجعتْ وحلقتْ شعرَها ، وكانت من أحسنِ النساءِ شعراً ، فقيل لها في
ذلك ، قالت : ما كنتُ لأدعَ على رأسي شعراً رآه من ليس لي بمحرَم .

كان ابنُ سيرينَ يقول : ما غَشِيتُ امرأةً قطَّ في يَقْظَةٍ ولا نَوْمٍ غيرَ أمِّ عبدِ الله
وإني لأرى المرأةَ في المنامِ وأعلمُ أنها لا تحِلُّ لي فأصرفُ بصرى عنها .

وقال بعضهم :

وإني لعتُّ عن فكاكِ جارتي وإني لمَسْنُوهُ إلى اغْتِيَابِهَا
إذا غابَ عنها بعلمها لم أكنُ لها صديقاً ولم تَأْنَسْ إلى كِلَابِهَا
ولم أكنُ طَلاباً أحاديثَ سِرِّها ولا عالِماً من أيِّ حَوْكٍ ثِيَابِهَا
دخلتُ بُيُوتَهُ على عبدِ الملكِ بنِ مروانَ ، فقال : ما أَرَى فيكَ بأُبَيْنَةٍ شيئاً مما كان
يَلْهَجُ به جَمِيل ! فقالت : إنَّه كان يَرُونُو إلىَّ بَعَيْنَيْنِ لِيَسْتَأْ في رَأْسِكَ يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ،
قال : فكيف صادفته في عَفَّتِهِ ؟ قالت : كما وَصَفَ نَفْسَهُ إذ قال :

لا والذي تَسْجُدُ الجِبَاهُ له مَالِي بِمَا ضَمَّ ثَوْبَهَا خَبَرُ^(١)
ولا بغيرِها ولا هَمَمْتُ به ما كانَ إِلَّا الحديثُ والنَّظَرُ

وقال أبو سَهْلٍ السَّاعِدِيُّ : دخلتُ على جَمِيل في مرضِ مَوْتِهِ ، فقال : يا أبا سَهْلٍ ،
رجلٌ يَلْقَى اللهَ ولم يَسْفِكْ دَمًا حراماً ، ولم يَشْرَبْ خمرًا ، ولم يأتِ فاحشةً ، أترجو له الجنةَ ؟
قلتُ : إِي واللهِ فمن هو ؟ قال : إني لأرجو أن أكون أنا ذلك ، فذَكَرْتُ له بُيُوتَهُ ،

فقال : إني لفي آخر يومٍ من أيام الدنيا ، وأول يومٍ من أيام الآخرة ، لا نالتي شفاعة محمد إن كنت حدثت نفسي بريئة معها أو مع غيرها قط .

قال الشاعر :

قالتُ وقلتُ تَرَفَّقِي فصلي حَبْلَ امرئٍ بوِصالكم صَبَّ
صادقٌ إذا بَعَلَى فقلتُ لها الفدرُ شئٌ ليس من شَعْبِي
ثِنْتَانِ لا أَضْبُو لَوَضْلِهِمَا عَرَسُ الصديقِ وجارةُ الجَنْبِ
أما الصديقُ فليستُ خائنه والجوارُ أوصاني به رَبِّي

يقال : إن امرأة ذات جمالٍ دَعَتْ عبدَ الله بنَ عبدِ المطلب إلى نفسها لما كانت تَرَى على وجهه من النور ، فأبى وقال :

أما الحرامُ فاللماتُ دُونَهُ والحلُّ لاحتِ فاستبينهُ
فكيف بالأمرِ الذي تَبَغْنِيهِ يَحْمِي الكَرِيمُ عِرْضَهُ ودينَهُ
راودَ توبةُ بنُ الحميرِ ليلي الأَخِيلِيَّةَ مرَّةً عن نفسها ، فاشمَّزَتْ منه وقالت :
وذى حاجةٍ قانا له لا تَبُحْ بها فليس إليها ما حَيَّيتُ سَبِيلُ^(١)
لنا صاحبٌ لا ينبغي أن نخونه وأنت لأخرى صاحبٌ وخَلِيلُ
ابنُ مَيَّادَةَ :

موانِعُ لا يُعطِن حَبَّةَ خَرْدَلٍ وهنَّ زَوَانٍ في الحديثِ أوانسُ
ويَكْرَهُن أن يَسْمَعن في اللّهُورِيَّةِ كما كَرِهَتْ صَوْتَ اللّجَامِ الشَّوامِسُ
آخر :

بيضُ أوانسُ ما هَمَّمنَ بريئةٍ كظباءِ مَكَّةَ صيدُهُنَّ حَرَامُ

يُحَسِّنُ مِنْ لِينِ الْكَلَامِ زَوَانِيًا وَيَصُدُّهُنَّ عَنِ الْخُلَا الْإِسْلَامُ
 فِي الْحَدِيثِ الْمَرْفُوعِ : « لَا تَكُونَنَّ حَدِيدَ النَّظَرِ إِلَى مَا لَيْسَ لَكَ ، فَإِنَّهُ لَا يَزْنِي
 فَرْجُكَ مَا حَفِظْتَ عَيْنَيْكَ ، وَإِنْ اسْتَطَعْتَ إِلَّا تَنْظُرُ إِلَى ثَوْبِ الْمَرْأَةِ الَّتِي لَا تَحِلُّ لَكَ فَاَفْعَلْ
 وَلَنْ تَسْتَطِيعَ ذَلِكَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ » .

كَانَ ابْنُ الْمَوْلَى الشَّاعِرِ الْمَدَنِيِّ مَوْصُوفًا بِالْعِفَّةِ وَطِيبِ الْإِزَارِ ، فَأَنْشَدَ عَبْدُ الْمَلِكِ شِعْرًا
 لَهُ مِنْ جُمْلَتِهِ :

وَأَبْكِي فَلَا لَيْلِي بِكَتٍ مِنْ صَبَابَةٍ لِبَاكِ وَلَا لَيْلِي لَذَى الْبَدَلِ تَبْدُلُ
 وَأَخْنَعُ بِالْعُتْبَى إِذَا كُنْتُ مُذْنِبًا وَإِنْ أَذْنِبْتُ كُنْتُ الَّذِي أَتَنْصَلُ
 فَقَالَ عَبْدُ الْمَلِكِ : مَنْ لَيْلِي هَذِهِ ؟ إِنْ كَانَتْ حُرَّةً لَأَزْوَجْنَكُمَا ، وَإِنْ كَانَتْ أَمَةً
 لَأَشْتَرِيَنَّهَا لَكَ بِالْعَةِ مَا بَلَغَتْ ، فَقَالَ : كَلَّا يَا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، مَا كُنْتُ لِأَصْعُرَ وَجْهَ حُرٍّ
 أَبْدَا فِي حُرَّتِهِ وَلَا فِي أَمَتِهِ ، وَمَا لَيْلِي الَّتِي أَنْسَيْتُ بِهَا إِلَّا قَوْسِي هَذِهِ سَمِيَّتْهَا لَيْلِي لِأَنَّ
 الشَّاعِرَ لَا يَدُّ لَهُ مِنَ النَّسِيبِ .

ابن الملوِّح المجنون :

كَأَنَّ عَلَى أَنْيَابِهَا الْخُمْرَ مَجَّهٌ بِمَاءِ الْفَدَى مِنْ آخِرِ اللَّيْلِ غَابِقُ^(١)
 وَمَا ذُقْتُهُ إِلَّا بِعَيْنِي تَفَرُّسًا كَمَا شِيمَ مِنْ أَعْلَى السَّحَابَةِ بَارِقُ
 هَذَا مِثْلُ بَيْتِ الْحَمَاسَةِ :

بَأَعَذَبَ مِنْ فِيهَا وَمَا ذُقْتُ طَعْمَهُ وَلَكِنِّي فِيمَا تَرَى الْعَيْنُ فَارِسُ^(٢)

شاعر :

مَا إِنْ دَعَانِي الْهُوَى لِفَاحِشَةٍ إِلَّا نَهَانِي الْحَيَاءُ وَالْكَرَمُ

(١) ديوانه ٢٠٣

(٢) لأبي صفيرة البولاني ، ديوان الحماسة ٣ : ١٤٨١ - بشرح الرزوقي .

ولا إلى حَرَمٍ مَدَدْتُ يَدِي ولا مَشَتْ بِي لِرِيَّةٍ قَدَمُ

العباس بنُ الأحنَف :

أَتَأَذْنُونُ لَصَبٍ فِي زِيَارَتِكُمْ فَعِنْدَ كَمْ شَهَوَاتِ السَّمْعِ وَالْبَصَرِ ^(١)
لَا يُضْمِرُ الشُّوءُ إِنْ طَالَ الْجُلُوسُ بِهِ عَفْءُ الضَّمِيرِ وَلَكِنْ فَاسِقُ النَّظَرِ

قال بعضهم : رأيتُ امرأةً مستقبلَةً البيت في المَوْسَمِ ، وهى في غايةِ الضَّرِّ والتَّحَافَةِ ، رافعةً يديها تدعو ، فقلتُ لها : هل لكِ من حاجة ؟ قالت : حاجتى أن تُنادىَ في الموقفِ بقولى :

تَزُوْدَ كُلُّ النَّاسِ زَادًا يَقِيْمُهُمْ وَمَالِي زَادٌ وَالسَّلَامُ عَلَى نَفْسِي

ففعلت ، وإذا أنا بفتىٍ مَنهوكٍ ، فقال : أنا الزاد ، فضيتُ به إليها ، فما زادوا على النظرِ والبكاء ، ثم قالت له : انصرف مُصَاحِبًا ، فقلت : ما علمت أن التَّقاءَ كما يُقْتَصَرُ فيه على هذا ، فقالت : امسِكْ يافتي ، أما علمت أن ركوب العار ودُخُولَ النارِ شديد .

قال بعضهم :

كَمْ قَدْ ظَفِرْتُ بِنِ أَهْوَى فَيَمْنَعُنِي مِنْهُ الْحَيَاءُ وَخَوْفُ اللَّهِ وَالْحَذَرُ
وَكَمْ خَلَوْتُ بِنِ أَهْوَى فَيُقْنَعُنِي مِنْهُ الْفُكَاهَةُ وَالتَّحْدِيثُ وَالنَّظَرُ
أَهْوَى الْمِلَاحِ وَأَهْوَى أَنْ أَجَالَسَهُمْ وَلَيْسَ لِي فِي حَرَامٍ مِنْهُمْ وَطَرُ
كَذَلِكَ الْحُبِّ لَا إِيْتَانُ مَعْصِيَةٍ لَا خَيْرَ فِي لَذَّةٍ مِنْ بَعْدِهَا سَقَرُ

قال محمد بن عبد الله بن طاهر لبنيه : اعشقوا تظرفوا ، وعِفُوا تشرّفوا .

وصَفَ أعرابىٌ امرأةً طَرَفَهَا ، فقال : مازال القمرُ يُرِينِيهَا فَلَمَّا غَابَ أَرْتَنِيهِ ، فقيل : فما كان يَنسَكُما ؟ قال : ما أقربَ ما أحلَّ الله ممَّا حرَّم ، إشارة في غير باس ، ودنوٌّ من غير مساس ، ولا وَجَعَ أشَدَّ من الذَّنوب .

كثير عزة :

وإني لأرضى منك يا عَزَّ بِالَّذِي لو أَبْصَرَهُ الواشي لَقَرَّتْ بِلَا بُلُه
بِلا وبِلاَّ أَسْتَطِيعَ وبِالْمُنَى وبالوَعْدِ حَتَّى يَسَامَ الوَعْدَ آمِلُه
وبالنظرة العَجَلَى وبالحول يَنْقُضِي أوَاخِرُه لا تَلْتَقِي وأَوَائِلُه
وقال بعضُ الظُّرَفَاءِ : كان أَرْبابُ أَهْوَى يَسْرَوْنَ فيما مَضَى ، وَيَقْنَعُونَ بأنَّ يَمْتَضِغُ
أَحَدُهُمْ لِبَانًا قد مَضَعْتَه مَحْبُوبَتُه ، أو يَسْتَاكُ بِسِوَاكِهَا ، وَيَرَوْنَ ذاكَ عَظِيمًا ، واليَوْمَ
يَطْلُبُ أَحَدُهُمِ الْخُلُوةَ وإِرْخَاءَ السُّتُورِ ، كَأَنَّهُ قد أَشْهَدَ على نِكَاحِهَا أبا سَعِيدٍ
وأَبَاهُ رِيْرَة .

وقال أحمد بن أبي عثمان الكاتب :

وإني ليرُضِنِي المَرُورُ بِبِائِهَا وأَقْنَعُ مِنْهَا بِالوَعِيدِ وبالزَّجْرِ
قال يوسف بن المَاجِشُونِ : أَنشَدْتُ مُحَمَّدَ بنَ المُنْكَدِرِ قولَ وَضَّاحِ اليمَنِ :
إِذَا قُلْتُ هَاتِي نَوَّالِيَنِي تَبَسَّمْتُ وَقَالَتْ مَعَاذَ اللَّهِ مِنْ فِعْلِ مَآحَرُمُ
فَمَا نَوَّلْتُ حَتَّى تَضَرَّعْتُ حَوَّلَهَا وَعَرَفْتُهَا مَارْخَصَ اللَّهِ فِي اللَّمَمِ
فَضَحِكَ وَقَالَ : إِنْ كَانَ وَضَّاحٌ لَفَقِيهَا فِي نَفْسِهِ .

قال آخر :

فَقَالَتْ بِحَقِّ اللَّهِ إِلَّا أَتَيْتَنَا إِذَا كَانَ لَوْنُ اللَّيْلِ لَوْنَ الطَّيَالِسِ
فَجِئْتُ وَمَا فِي الْقَوْمِ بِقُطَّانٍ غَيْرُهَا وَقَدْ نَامَ عَنْهَا كُلُّ وَالٍ وَحَارِسِ
فَبِتْنَا مَبِيتًا طَيِّبًا نَسْتَلِذُهُ جَمِيعًا وَلَمْ أَمْدُدْ لَهَا كَفًّا لَامِسِ
مَرَّتْ امْرَأَةٌ حَسَنَاءُ بِقَوْمٍ مِنْ بَنِي مُنْمِرٍ مَجْتَمِعِينَ فِي نَادِيهِمْ ، فَرَمَقُوهَا بِأَبْصَارِهِمْ ،
وَقَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ : مَا أَكَلَهَا لَوْلَا أَنَّهَا رَسَحَاءُ^(١) ! فَالْتَفَتَتْ إِلَيْهِمْ ، وَقَالَتْ : وَاللَّهِ

يَا بَنِي نَمِيرَ ، مَا أَطْعَمَ اللَّهُ وَلَا الشَّاعِرَ ، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى : ﴿ قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَغُضُّوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ ﴾ ^(١) .
وقال الشاعر :

فُغِضَ الطَّرْفَ إِنَّكَ مِنْ نَمِيرٍ فلا كَعْبًا بَلَفْتَ وَلَا كِلَابًا ^(٢)
فَأَخَجَلْتَهُمْ .

وقال أَبُو صَخْرٍ الْهَذَلِيُّ مِنْ شِعْرِ الْحَمَاسَةِ :

وَلَيْلَةٌ مِنْهَا تَعُودُ لَنَا من غَيْرِ مَارَفَةٍ وَلَا إِنْـمٍ
أَشْهَى إِلَى نَفْسِي وَلَوْ بَرَحْتُ مِمَّا مَلَكَتُ وَمِنْ بَنِي سَهْمٍ
آخِرَ :

وَمَا نَلْتُ مِنْهَا مَحْرَمًا غَيْرَ أَنِّي أَقْبَلُ بِسَامًا مِنَ الثَّغْرِ أَفْلَجَا
وَأَلِّمْتُ فَاهَا آخِذًا بِقُرُونِهَا وَأَتْرُكُ حَاجَاتِ النَّفُوسِ تَحْرُجَا
وَأَعْفُتُ مِنْ هَذَا الشَّعْرِ قَوْلُ عَبْدِ بَنِي الْحَسْحَاسِ عَلَى فِسْقِهِ :
لَعَمْرُ أَيْبَاهَا مَا صَبَوْتُ وَلَا صَبَتُ إِلَى وَإِنَّ مِنْ صِبَاً حَلِيمُ
سِوَى قُبْلَةٍ أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ ذَنْبَهَا سَاطِعِمْ مَسْكِينَاهَا وَأَصُومُ
وقال آخِرَ :

وَمَجْدُؤَلَةٍ جَدَلِ الْعَنَاقِ كَأَنَّمَا سَنَا الْبَرْقُ فِي دَاجِي الظَّلَامِ ابْتِسَامُهَا
ضَرَبْتُ لَهَا الْمِيعَادَ لَيْسَتْ بِكُنَّةٍ وَلَا جَارَةٍ يُحْشَى عَلَى ذِمَامُهَا
فَلَمَّا التَّقِينَا قَالَتِ الْحُكْمُ فَاحْتَكَمُ سِوَى خَلَّةٍ هَيْهَاتَ مِنْكَ مَرَامُهَا
فَقُلْتُ مَعَاذَ اللَّهِ أَنْ أُرَكَّ التِّي تَبِيدُ وَيَبْقَى فِي الْمَعَادِ أَثَامُهَا

(١) سورة النور ٣٠

(٢) لجرير ، ديوانه .

قوله : « ليست بكِنَّة * ولا جارة يُخشى على ذِمَّامِها » ، مأخوذٌ من قول قيس ابن الخطيم :

ومثلكِ قد أحببتُ ليستُ بكِنَّةٍ ولا جارة ولا حَليلة صاحب^(١)
وهذا الشاعر قد زاد عليه بقوله : « ولا حَليلة صاحب » .
وأشدُّ ابن مندوويه لبعضهم :

أنا زاني اللسانِ والطرفِ إلا أن قلبي يَـمَافُ ذاكَ ويابى
لا يرانى إلاَّ أشربُ إلاَّ كلَّ ماحلٍ شُرْبُهُ لى وطاباً
آخر :

نلهو بهنَّ كذا من غيرِ فاحشةٍ هو الصَّيَّامُ بفتح البَّسَاتينِ
بشار بن بُرْد :

قالوا حرامٌ تلاقينا فقلتُ لهمْ ما في التَّزَامِ ولا في قُبلةٍ حَرَجٍ^(٢)
مَنْ راقبَ الناسَ لم يَظْفَرْ بِحاجَتِهِ وفازَ بالطيِّباتِ الفاتِكُ اللَّهِجُ
البيت الآخر مثل قول القائل :

مَنْ راقبَ الناسَ ماتَ هَمًّا وفازَ باللَّذَّةِ الجسُورِ
أبو الطَّيِّبِ المتنَّي :

وتَرَى الفتوةَ والمروةَ والأبوةَ في كُلِّ مليحةٍ ضَرَّاتِها^(٣)
هنَّ الثلاثُ المَـانِعَاتِ لَدَتِي في خَلَوَتِي لا الخوفُ مِنْ تَبِعَاتِها
إني على شَفَعِي بِما في خَرِّها لأَعْفُ عَمَّا في سَراويلاتِها

كان الصاحبُ رحمه الله يَسْتَهْجِنُ قولَه : « عَمَّا فِي سَرَائِلِهَا » ، ويقول : إن كثيرا من العُزَّ أحسن من هذه العِفَّة ، ومعنى البيت الأول أن هذه الخِلَالِ الثلاث تَرَاهُنَ المِلاحُ ضَرَائِرَ لهنَّ لأنهنَّ يَمْنَعُنَّهُ عن الخُلُوةِ بالمِلاحِ والتمتع بهنَّ . ثم قال : إن هذه الخِلَالِ هي التي تَمْنَعُهُ لا الخوفُ من تَبِعَاتِهَا ، وقال قوم : هَذَا تَهَاوُنٌ بالدِّينِ ، وبوعٍ من الإلحاد . وعندى أن هذا مَذْهَبُ للشُعراء معروف ، لا يُريدون به التَهَاوُنَ بالدِّينِ ، بل المبالغةَ في وَصْفِ سَجَايَاهُمْ وأَخْلَاقِهِم بالطَّهارة ، وأنهم يَتَرَكُونَ القَبِيحَ لأنه قَبِيحٌ ، لا لورُودِ الشَّرْعِ به ، وخوفِ العِقَابِ منه . ويمكن أيضا أن يريدَ بِتَبِعَاتِهَا تَبِعَاتِ الدُّنْيَا ، أى لا أخاف من قوم هذه المحبوبة التي أَنَسْتُ بها ، ولا أَشْفِقُ من حَرَبِهِمْ وكَيْدِهِمْ ، فأَمَّا عِفَّةُ اليدِ وعِفَّةُ اللِّسانِ فهما بابٌ آخر ، وقد ذَكَرْنَا طَرَفًا صالحًا من ذلك في الأجزاء المتقدِّمة عند ذَكَرِنا الوَرَعَ .

وفي الحديث المرفوع : « لا يَبْلُغُ العَبْدُ أن يكون من المتقين حتَّى يترك ما لا بأسَ به حَذَارَ ما به البأس » .

وقال أبو بكر في مرض موته : إنا منذُ وَلِينَا أمرَ المسلمين لم نأخذْ لهم دِرْهما ولا دينارًا ، وأَكَلْنَا من جَرِيشِ الطَّعَامِ ، ولبسْنَا من خَشِنِ الثِّيَابِ ، وليس عندنا من فِئَةِ المسلمين إلَّا هذا الناضح ، وهذا العبدُ الحَبَشِيُّ ، وهذه القطيفة ، فإذا قُبِضْتُ فادفعوا ذلك إلى عُمرَ ليَجْعَلَهُ في بيتِ مالِ المسلمين . فلما ماتَ نُحْمِلَ ذلك إلى عمرَ ، فبَكَى كثيرا ثم قال : رَحِمَ الله أبا بكر ، لقد أَتَعَبَ مَنْ بَعْدَهُ !

قال سليمان بن داود : يا بنى إسرائيل ، أوصيكم بأمرَيْنِ أَفْلَحَ مَنْ فَعَلَهُمَا : لا تُدْخِلُوا أَجْوَافَكُمْ إلَّا الطَّيِّبَ ، ولا تُخْرِجُوا مِنْ أَفْوَهِكُمْ إلَّا الطَّيِّبَ .

وقال بعضُ الحكماء : إذا شئتَ أن تعرفَ ربَّكَ معرفةً يقينيةً فاجعلْ بينَكَ وبين
المحارمِ حائطاً من حديد ، فسوفَ يَفْتَحُ عَلَيْكَ أبوابَ مَعْرِفَتِهِ .

ومما يُحكى من وَرَعِ حَسَّانَ بنِ أَبِي سِنانَ أَنَّهُ غلاماً له كتبَ إليه من الأهواز :
إِنَّ قَصَبَ السَّكَّرِ أَصَابَتْهُ السَّنَةُ آفَةٌ فابْتَغِ ما قَدَرْتَ عَلَيْهِ مِنَ السَّكَّرِ ، فَإِنَّكَ تَجِدُ
لَهُ رِبْحاً كَثِيراً فيما بعد ، فابتاع ، وَطَلِبَ مِنْهُ ما ابْتاعَهُ بعدَ قليلٍ بربحِ ثلاثينَ ألفِ
درهم ، فاستقالَ البَيْعَ من صاحبه ، وقال : إِنَّهُ لَمْ يَعْلَمْ ما كُنْتُ أَعْلَمُ حينَ اشْتَرَيْتُهُ
مِنْهُ ، فقالَ البائعُ : قد عَلِمْتُ الآنَ مقدارَ الرِّبْحِ ، وقد طَيَّبْتُكَ لَكَ وَأَحْلَلْتُكَ ، فلمْ يطمئنْ
قلْبُهُ ، وما زالَ حتَّى رَدَّه عليه .

يقال : إِنَّ غَنَمَ الْغَارَةِ اخْتَلَطَتْ بَغَنَمِ أَهْلِ الْكُوفَةِ ، فتورَّعَ أَبُو حَنِيفَةَ أَنْ
يَأْكُلَ اللَّحْمَ ، وسأَلَ كَمْ تَعِيشُ الشَّاةُ ؟ قالوا : سَبْعَ سِنِينَ ، فتركَ أَكْلَ لَحْمِ الْغَنَمِ
سَبْعَ سِنِينَ .

ويقال : إِنَّ الْمَنْصُورَ حَمَلَ إِلَيْهِ بَذْرَةً فَرَمَى بِهَا إِلَى زَاوِيَةِ الْبَيْتِ ، فَلَمَّا مَاتَ جَاءَ
بِهَا ابْنُهُ حَمَّادُ بْنُ أَبِي حَنِيفَةَ إِلَى أَبِي الْحَسَنِ بْنِ أَبِي قَحْطَبَةَ ، وقال : إِنَّ أَبِي أَوْصَانِي
أَنْ أَرُدَّ هَذِهِ عَلَيْكَ ، وقال : إِنَّهَا كَانَتْ عِنْدِي كَالْوَدِيعَةِ ، فاصْرِفْهَا فِيمَا أَمَرَكَ اللَّهُ
بِهِ ، فقالَ أَبُو الْحَسَنِ : رَحِمَ اللَّهُ أَبَا حَنِيفَةَ ! لَقَدْ شَحَّ بِدِينِهِ إِذْ سَخَتْ بِهِ
نَفْسُ أَقْوَامٍ .

وقال سُفْيَانُ الثَّوْرِيُّ : انظرْ دِرْهَمَكَ مِنْ أَيْنَ هُوَ ، وَصَلِّ فِي الصَّفِّ الْآخِرِ .
جابر ، سمعتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَقُولُ لِكَغْبِ بْنِ عُجْرَةَ : « لَا يَدْخُلُ
الْجَنَّةَ لَحْمٌ نَبَتَ مِنَ السُّحْتِ ، النَّارُ أَوْلَى بِهِ »

الحَسَنُ : لو وَجَدْتُ رَغِيفاً مِنْ حَلَالٍ لِأَخْرَفْتُهُ ثُمَّ سَحَقْتُهُ ثُمَّ جَعَلْتُهُ ذَرُوراً ،
ثُمَّ دَاوَيْتُهُ بِهِ الْمَرْضَى .

عائشة ، قالت : يا رسول الله ، مَنْ المؤمن ؟ قال : من إذا أَصْبَحَ نَظَرَ إلى رَغِيْفَةٍ
كيف يَكْتَسِبُهَا ، قالت : يا رسول الله ، أَمَا إِنَّهُمْ لو كَلَّفُوا ذلك لتَكَلَّفُوهُ ، فقال لها :
إِنَّهُمْ قد كَلَّفُوهُ ، وَلَكِنْهُمْ يَعِيسِفُونَ الدِّنْيَا عَسْفًا .

حُذَيْفَةُ بْنُ الْيَمَانِ يَرْفَعُهُ : إِنَّ قَوْمًا يَجِئُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَهُمْ مِنَ الْحَسَنَاتِ كَأَمْثَالِ
الْجِبَالِ ، فَيَجْعَلُهَا اللَّهُ هَبَاءً مَنثورًا ، ثُمَّ يُؤَمِّرُ بِهِمْ إِلَى النَّارِ ؛ فَقِيلَ : خَلَّاهُمْ لَنَا
يَا رَسُولَ اللَّهِ ، قَالَ : إِنَّهُمْ كَانُوا يُصَلُّونَ وَيَصُومُونَ وَيَأْخُذُونَ أَهْبَةً مِنَ اللَّيْلِ ،
وَلَكِنْهُمْ كَانُوا إِذَا عُرِضَ عَلَيْهِمُ الْحَرَامُ وَثَبُوا عَلَيْهِ .

(٤٨٠)

الأضل :

وقال عليه السلام : الفَنَاعَةُ مالٌ لا يَنفَدُ .

قال : وقد رَوَى بَعْضُهُمْ هَذَا الْكَلَامَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ .

الْبُشْرُحُ :

قد تَقَدَّمَ الْقَوْلُ فِي هَذَا الْمَعْنَى ، وَقَدْ تَكَرَّرَتْ هَذِهِ اللَّفْظَةُ بِذَاتِهَا فِي كَلَامِهِ عَلَيْهِ السَّلَام .

وَمِنْ جَيِّدِ الْقَوْلِ فِي الْقِنَاعَةِ قَوْلُ الْغَزَّيِّ .

أَنَا كَالثَّعْبَانِ جِلْدِي مَلْبَسِي لَسْتُ مُحْتَاجًا إِلَى ثَوْبِ الْجَمَالِ
فَالْحَمُولُ الْعِزَّ وَالْيَأْسُ الْغِنَى وَالْقُنُوعُ الْمُلْكُ ، هَذَا مَا بَدَأَ لِي

وقال أيضا :

لَا تَعْجَبَنَّ لِمَنْ يَهْوَى وَيَصْعَدُ فِي دُنْيَاهُ فَالْخَلْقُ فِي أَرْجُوحةِ الْقَدَرِ
وَاقْنَعْ بِمَا قَلَّ فَالْأَوْشَالُ صَافِيَةٌ وَلَجَّةِ الْبَحْرِ لَا تَخْلُ مِنْ الْكَدَرِ

الأضل :

وقال عليه السلام لزياد بن أبيه وقد استخلفه لعبد الله بن العباس على فارس وأعمالها ، في كلام طويل كان بينهما نهاه فيه عن تقديم الخراج :
استعمل العدل ، واحذر العسف والخيف ؛ فإن العسف يعود بالجلأ ،
والخيف يدعو إلى السيف .

الشنخ :

قد سبق الكلام في العدل والجور .

وكانت عادة أهل فارس في أيام عثمان أن يطلب الوالي منهم خراج أملا كيهم قبل ينزع الثمار على وجه الاستسلاف ، أو لأنهم كانوا يظنون أن أول السنة القمرية هو مبتدأ وجوب الخراج تحملا للخراج التابع لسنة الشمس على الحقوق الهلالية التابعة لسنة القمر ، كأجرة العقار ، وجوالي أهل الذمة ، فكان ذلك يُجحف بالناس ويدعو إلى عسفهم وخيفهم .

وقد غلط في هذا المعنى جماعة من الملوك في كثير من الأعصار ، ولم يعلموا فرق ما بين السنتين ، ثم تنبه له قوم من أذكى الناس فكبسوا وجعلوا السنين واحدة ، ثم أهمل الناس الكبس ، وانفراج ما بين السنة القمرية والسنة الخراجية التي هي سنة الشمس انفراجا كثيراً .

واستقصاء القول في ذلك لا يليق بهذا الموضع ، لأنه خارج عن فن الأدب الذي هو موضوع كتابنا هذا .

الأضل :

وقال عليه السلام :

أشدُّ الذُّنُوبِ ما اسْتَخَفَّ بها صاحبها .

الشَّنْخ :

عُظُمُ المصيبةِ على حَسَبِ نِعْمَةِ العاصي ، ولهذا كان لَطَمُ الولدِ وجهَ الوالدِ كبيراً ليس كلَّ طَمَةٍ وجه غيرِ الوالدِ .

ولما كان البارئ تعالى أعظمَ المُنْعَمِينَ ، بل لا نِعْمَةً إِلَّا وهى فى الحقيقةِ مِنْ نِعَمِهِ ، ومنسوبة إليه ، كانت مخالفتُهُ ومعصيته عظيمة جداً ، فلا ينبغى لأحدٍ أن يعصيه فى أمرٍ وإن كان قليلاً فى ظَنِّهِ ، ثم يستقلَّه ويستهن به ، ويُظهِر الاستخفافَ وقلةَ الاحتفالِ بمواقفِهِ ، فإنه يكون قد جَمَعَ إلى المعصية معصيةً أخرى ، وهى الاستخفافُ بقَدْرِ تلك المعصية التى لو أَمَعَن النَّظَرَ لَعَلِمَ أَنَّهَا عظيمة ، ينبغى له لو كان رشيداً أن يَبْكِ عليها الدَّمَّ فَضْلاً عن الدَّمْعِ ، فلهذا قال عليه السلام : « أَشدُّ الذُّنُوبِ ما اسْتَخَفَّ بها صاحبها » .

الأفضل :

وقال عليه السلام :

مَا أَخَذَ اللَّهُ عَلَى أَهْلِ الْجَهْلِ أَنْ يَتَعَلَّمُوا حَتَّى أَخَذَ عَلَى أَهْلِ الْعِلْمِ أَنْ يُعَلَّمُوا .

البنوع :

تعليمُ العلم فرضُ كفايةٍ ، وفي الخبرِ المرفوعِ « من عَلِمَ عِلْمًا وَكَتَمَهُ أَلْجَمَهُ اللَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِلِجَائِمٍ مِنْ نَارٍ » .

وَرَوَى مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ قَالَ : « تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ فَإِنْ تَعَلَّمْتُمْ خَشِيَ اللَّهُ ، وَدِرَاسَتُهُ تَسْبِيحٌ ، وَالْبَحْثُ عَنْهُ جِهَادٌ ، وَطَلَبُهُ عِبَادَةٌ ، وَتَعْلِيمُهُ صَدَقَةٌ ، وَبَذْلُهُ لِأَهْلِهِ قُرْبَةٌ ، لِأَنَّهُ مَعَالِمُ الْحَلَالِ وَالْحَرَامِ ، وَبَيَانُ سَبِيلِ الْجَنَّةِ ، وَالْمَوْئِسُ فِي الْوَحْشَةِ ، وَالْمُحَدِّثُ فِي الْخُلُوعِ ، وَالْجَائِسُ فِي الْوَحْدَةِ ، وَالصَّاحِبُ فِي الْقُرْبَةِ ، وَالِدَلِيلُ عَلَى السَّرَّاءِ ، وَالْمُعِينُ عَلَى الضَّرَّاءِ ، وَالزَّيِّنُ عِنْدَ الْإِخْلَاءِ ، وَالسَّلَاحُ عَلَى الْأَعْدَاءِ » .

ورئيَ واصل بن عطاء يكتب من صبيّ حديثاً ، فقيل له : مثلك يكتب من هذا ! فقال : أما إني أحفظُ له منه ، ولكنني أردت أن أذيقه كأس الرياسة ، ليدعوه ذلك إلى الازدياد من العلم .

وقال الخليل : العلوم أقفال ، والسؤالات مفاتيحها .

وقال بعضهم : كان أهل العلم يضنون بعلمهم عن أهل الدنيا فيرغبون فيه ويبيذلون لهم دنياهم ، واليوم قد بذل أهل العلم علمهم لأهل الدنيا فزهدوا فيه وضنوا عنهم بدنياهم .

وقال بعضهم : ابذل علمك لمن يطلبه ، وادع إليه من لا يطلبه ، وإلا كان مثلك كمن أهديت له فاكهة فلم يطعمها ولم يطعمها حتى فسدت .

الأفضل :

وقال عليه السلام :

شَرُّ الإِخْوَانِ مَنْ تَكَلَّفَ لَهُ .

الشرح :

إنما كان كذلك لأن الإخاء الصادق بينهما يوجب الانبساط ، وترك التكلف ، فإذا احتيج إلى التكلف له فقد دلّ ذلك على أن ليس هناك إخاء صادق ، ومن ليس بأخ صادق فهو من شرّ الإخوان .

وروى ابن ناقياً في كتاب « ملح المماخة » ، قال : دخل الحسن بن سهل على المأمون ، فقال له : كيف علمك بالمروءة ؟ قال : ما أعلم ما يريد أمير المؤمنين فأجيبه ؟ قال : عليك بعمر بن مسعدة ، قال : فوافيتُ عمرًا وفي داره صنّاع ، وهو جالس على آجرّة ينظر إليهم ، فقلت : إن أمير المؤمنين يأمرُك أن تعلمنى المروءة ، فدعا بآجرّة فأجلسني عليها ، وتحدّثنا مليا ، وقد امتلأتُ غيظا من تقصيره بي ، ثم قال : يا غلام عندك شيء يؤكل ؟ فقال : نعم ، فقدّم طبقًا لطيفا ، عليه رغيفان وثلاث سكرجات ، في إحداهنّ خلّ ، وفي الأخرى مرى ، وفي الأخرى ملح ، فأكلنا ، وجاء الفراءش فوضّأنا ، ثم قال : إذا شئت ! فهضمت متحفظا ، ولم أودّعه ، فقال لى : إن رأيت أن تعود إلى في يوم مثله ! فلم أذكر للمأمون شيئًا مما جرى ، فلما كان في اليوم الذى وعدنى فيه لقياه

١
سرت إليه فاستؤذن لي عليه ، فتلقاني على باب الدار ، فعاقتني ، وقبل بين عيني ، وقد منى
أمامه ، ومشى خلفي حتى أقعدني في الدّست ، وجلس بين يدي ، وقد فرشت
الدار ، وزُيّنت بأنواع الزينة ، وأقبل يحدثني ويتنادر معي إلى أن حضر وقت الطعام ،
فأمر فقدمت أطباق الفاكهة ، فأصبنا منها ، ونصبت الموائد ، فقدم عليها أنواع الأطعمة
من حارّها وباردّها ، وحلوها وحامضها ، ثم قال : أيّ الشراب أعجب إليك ؟ فاقترحت
عليه ، وحضر الوصائف للخدمة ، فلما أردت الانصراف حمل معي جميع ما أحضر من
ذهب وفضة وفرش وكسوة ، وقدم إلى البساط فرس بمركب ثقيل ، فركبته وأمر من
بحضرته من العلمان الرّوم والوصائف حتى سعوا بين يدي ، وقال : عليك بهم فهم
لك . ثم قال : إذا زارك أخوك فلا تتكلّف له ، واقتصر على ما يحضرك ، وإذا
دعوته فاحتفل به واحتشد ، ولا تدعن ممكنا ، كفعلنا إيتاك عند زيارتك إيانا ، وفعلنا
يوم دعوناك .

الأفضل :

وقال عليه السلام في كلام له :

إِذَا احْتَشَمَ الْمُؤْمِنُ أَخَاهُ فَقَدْ فَارَقَهُ .

الشرح :

ليس يعنى أن الاحتشام علة الفرقة بل هو دلالة وأماره على الفرقه ، لأنه لو لم يحدث عنه ما يقتضى الاحتشام لا نبسط على عادته الأولى ، فالتقباض أماره المبانيه .

هذا آخر ما دونه الرضى أبو الحسن رحمه الله من كلام أمير المؤمنين عليه السلام فى « نهج البلاغه » ، قد أتينا على شرحه بمعونة الله تعالى .

ونحن الآن ذاكرون ما لم يذكره الرضى مما نسبته قوم إليه ، فبعضه مشهور عنه ، وبعضه ليس بذلك المشهور ؛ لكنه قد روى عنه ، وعزى إليه ، وبعضه من كلام غيره من الحكماء ؛ ولكنه كالتظير لكلامه ، والمضارع لحكمته ؛ ولما كان ذلك متضمنا فنونا من الحكمة نافعة ؛ رأينا ألا نخفى هذا الكتاب عنه ؛ لأنه كالتكلمة والتكلمة لكتاب « نهج البلاغه » .

وربما وقع في بعضه تكرار يسير شذّ عن أذهاننا التنبّه له ، لطول الكتاب
وتباعد أطرافه ، وقد عددنا ذلك كلمة كلمة ، فوجدناه ألف كلمة .

فإن اعترضنا معترض وقال : فإذا كنتم قد أقررتم بأن بعضها ليس بكلام له ؛ فلماذا
ذكرتموه ، وهل ذلك إلا نوع من التطويل ! .

أجيبناه وقالنا : لو كان هذا الاعتراض لازماً لوجب ألا نذكر شيئاً من الأشباه والنظائر
لكلامه ، فالعذر ها هنا هو العذر هناك ، وهو أنّ الغرض بالكتاب الأدب والحكمة ؛
فإذا وجدنا ما يناسب كلامه عليه السلام ، وينصب في قلبه ويحتذى جذوه ، ويتقبل
منهاجه ، ذكرناه على قاعدتنا في ذكر النّظير عند الخوض في شرح نظيره .

وهذا حينُ التمرّوع فيها خاليةً عن الشرح لجلائها ووضوحها ، وإنّ أكثرها قد
سبقت نظائره وأمثاله ، وبالله التوفيق .

الحكم المنسوبة

الحكم المنسوبة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

١ — كان كثيراً ما يقول إذا فرغ من صلاة الليل : أشهد أن السموات والأرض وما بينهما آيات تدلّ عليك ، وشواهد تشهد بما إليه دعوت . كلّ ما يؤدّي عنك الحجّة ، ويشهد لك بالرّبوّية موسوم بآثار نعمتك ومعالم تديرك . علوت بها عن خَلْقِكَ ، فأوصلت إلى القلوب من معرفتك ما آنسها من وحشة الفكر ، وكفها رجم الاحتجاج ؛ فهي مع معرفتها بك ، وولها إليك ؛ شاهدة بأنك لا تأخذك الأوهام ، ولا تدركك العقول ولا الأبصار . أعوذ بك أن أشير بقلب أو لسان أو يدٍ إلى غيرك ؛ لا إله إلا أنت ، واحداً أحداً ، فرداً صمداً ، ونحن لك مسلمون .

٢ — إلهي ، كفاني نغراً أن تكون لي ربّاً ، وكفاني عزّاً أن أكون لك عبداً ؛ أنت كما أريد ، فاجعلني كما تريد .

٣ — ماخاف امرؤ عدل في حكمه ، وأطعم من قوته ، وذخّر من دنياه لآخرته .

٤ — أفضل على من شئت تكن أميره ، واستغن عن شئت تكن نظيره ، واحتج إلى من شئت تكن أسيره .

٥ — لولا ضعف اليقين ما كان لنا أن نشكو محنة يسيرة نرجو في العاجل سرعة زوالها ، وفي الآجل عظيم ثوابها ، بين أضعاف نعم لو اجتمع أهل السموات والأرض على إحصائها ما وفوا بها فضلاً عن القيام بشكرها .

٦ — من علامات المأمون على دين الله بعد الإقرار والعمل ، الحزم في أمره ، والصدق في قوله ، والعدل في حكمه ، والشفقة على رعيته ، لا تخرجه القدرة إلى خرق^(١) ، ولا اللين إلى ضعف ، ولا تمنعه العزة من كرم عفو ، ولا يدعوه العفو

(١) الخرق : ضد الرفق ، وألا يحسن الرجل العمل والتصرف في الأمور .

إلى إضاعة حق ، ولا يدخله الإعطاء في سرف ، ولا يتخطى به القصد^(١) إلى بخل ، ولا تأخذه نعم الله ببطر .

٧ — الفسق نجاسة في الهمة ، وكلب في الطبيعة^(٢) .

٨ — قلوب الجهال تستفزها^(٣) الأطماع ، وترتهن بالأمانى ، وتتعلق بالخدائع . وكثرة الصمت زبام اللسان ، وحسَم^(٤) الفطنة ، وإمالة الخاطر^(٥) ، وعذاب الحس .

٩ — عداوة الضعفاء للأقوياء ، والسفهاء للحمماء ، والأشرار للأخيار ، طبع لا يُستطاع تغييره .

١٠ — العقل في القلب ، والرحمة في الكبد ، والتنفس في الرئة .

١١ — إذا أراد الله بعبد خيراً حال بينه وبين شهوته ، وحجز بينه وبين قلبه ، وإذا أراد به شراً وكَلَّه إلى نفسه .

١٢ — الصبر مطية لا تكبو ، والقناعة سيف لا ينبو .

١٣ — رحم الله عبداً اتقى ربه ، وناصح نفسه ، وقدم توبته ، وغلب شهوته ؛ فإن أجله مستور عنه ، وأمله خادع له ، والشيطان موكّل به .

١٤ — مرّ بمقبرة فقال : السلام عليكم يا أهل الديار الموحشة ، والمحالّ المقفرة^(٦) ؛ من المؤمنين والمؤمنات والمسلمين والمسلمات ، أنتم لنا فرط^(٧) ، ونحن لكم تبع^(٨) . نزوركم عمّا قليل ، ونلحق بكم بعد زمان قصير . اللهم اغفر لنا ولهم ، وتجاوز عنا وعنهم .

(١) القصد : أمر بين الإفراط والتفريط . (٢) الضع والطبيعة : السجية .

(٣) استفزّه واستفخفه : أخرجه عن دائرة الحزم وضبط الامر والأخذ فيه بالثقة .

(٤) الحسم : القطع ، والفطنة : الذكاء وحدة الفهم .

(٥) إمالة الخاطر ، الإمالة : الإبعاد والإزالة ، والباطل : ما يخطر بالبال من التعقّلات .

(٦) أقفر المكان : خلا .

(٧) فرط القوم يفرطهم ، تقدمهم إلى الورد ، والفرط بالتحريك : التقدم إلى الماء .

(٨) التبّع : التابع .

الحمد لله الذي جعل الأرض كِفَاتًا ، أحياء وأمواتاً^(١) . والحمد لله الذي منها خَلَقْنَا ، وعليها ممشانا ، وفيها معاشنا ، وإليها يُعِيدُنَا . طوبى لمن ذكر المعاد ، وقنع بالكفاف ، وأعدّ للحساب !

١٥ — إنكم مخلوقون اقتداراً ، ومربوبون اقتساراً^(٢) ، ومضمّنون أجداثاً^(٣) ، وكائنون رُفَاتاً^(٤) ، ومبعوثون أفراداً ، ومدينون حساباً . فرحم الله امرأً أقترف فاعترف ، ووجّل فعقل ، وحاذر^(٥) فبادر ، وعمرّ فاعتبر ، وحذّر فازدجر ؛ وأجاب فأجاب ، وراجع فتأب . واقتدى فاحتذى^(٦) ، وتأهب للمعاد ، واستظهر بالزّاد ؛ ليوم رحيله ، ووجه سبيله والحال حاجته ، وموطن فاقته ، فقدّم أمامه لدار مقامه ؛ فهدّوا لأنفسكم على سلامة الأبدان وفسحة الأعمار . فهل ينتظر أهلُ غضارة^(٧) الشباب إلا حوائى الهرم ، وأهلُ بضاعة الصّحة إلا نوازل السّقم ، وأهل مدة البقاء إلا مفاجأة الفناء واقترب الفوت ، ومشاركة الانتقال ، وإشفاء الزوال ؛ وحفّز الأنين^(٨) ورشح الجبين ، وامتداد العرينين^(٩) ، وعلّز القلاق^(١٠) ، وقبّض الرّمق^(١١) وشدّة المضض ، وغصص الجرّض^(١٢) .

١٦ — ثلاث منجيات : خشية الله في السرّ والعلانية ، والقصد في الفقر والغنى ، والعدل في الغضب والرضا .

-
- (١) قوله : « كِفَاتًا أحياء وأمواتاً » ؛ أى جعل الأرض مجمّعاً لنا في حياتنا ومماتنا ، الكفاة بالكسر : الموضع يكفت فيه الشيء ، أى يضم ويجمع ، والأرض كفات لنا .
 (٢) قسره : قهره .
 (٣) الحفز : الحث والإجعال .
 (٤) رفاتاً ، رفته : كسره ودقه ، والرفات : الحطام .
 (٥) الحذر : الاحتراز .
 (٦) د : « اهتدى » .
 (٧) الغضارة : النعمة والسعة والحصب .
 (٨) الحفز : الحث والإجعال .
 (٩) العرينين : الأنف ، فإنه يمتد عند الموت (١٠) العز : القلق والحقة .
 (١١) القبّض بالقاف : شدة الحر ، وبالفاء : الموت . والرمق : بقية الحياة .
 (١٢) النصة : ما اعترض في الحلق ، والجرّض : الربق .

١٧ — إياكم والفُحْش ؛ فإنَّ الله لا يحبُّ الفُحْشَ ، وإياكم والسَّخَّ فإنه أهلك
مَنْ كان قبلكم ؛ هو الذى سفك دماء الرِّجال ، وهو الذى قطع أرحامها ، فاجتنبوه .

١٨ — إذا مات الإنسان انقطع عنه عمله إلا من ثلاث : صدقةٍ جارية ، وعلمٍ كان
علَّمه الناس فانتفعوا به ، وولدٍ صالح يدعو له .

١٩ — إذا فعلتَ كلَّ شَيْءٍ فكن كمن لم يفعل شيئاً .

٢٠ — سأله رجل ، فقال : بماذا أسوء عدوى ؟ فقال : بأن تكون على غاية الفضائل ،
لأنه إن كان يسوءه أن يكون لك فرس فاره ، أو كلب صيود ؛ فهو لأن تذكرك بالجميل
وينسب إليك أشدَّ مساءةً .

٢١ — إذا قُذِفَ بشيءٍ فلا تهاون به وإن كان كذبا ، بل تحرّز من طرقِ
القذف جهداً ؛ فإنَّ القول وإن لم يثبت يوجب ريبةً وشكاً .

٢٢ — عدم الأدب سببُ كلِّ شرٍّ .

٢٣ — الجهل بالفضائل عدلُ الموتِ .

٢٤ — ما أصعب على من استعبدته الشهوات أن يكون فاضلاً !

٢٥ — مَنْ لم يقهر حسدَهُ كان جسدهُ قبراً لنفسِهِ .

٢٦ — احمَد من يغلظ عليك ويعظك ، لا من يزكّيك ويتملّقك .

٢٧ — اختر أن تكون مغلوباً وأنت منصف ، ولا تختَر أن تكون غالباً
وأنت ظالم .

٢٨ — لا تهضمَّن محاسنك بالفخر والتكبر .

٢٩ — لا تنفك المدينة من شرٍّ ؛ حتى يجتمع مع قوّة السلطان قوّة دينه
وقوّة حكّمته .

٣٠ — إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تُحَمَّدَ فَلَا يَظْهَرُ مِنْكَ حِرْصٌ عَلَى الْحَمْدِ .

٣١ — مَنْ كَثُرَ هَمُّهُ سَقَمَ بَدَنُهُ ، وَمَنْ سَاءَ خُلُقُهُ عَذَّبَ نَفْسُهُ ، وَمَنْ لَاحَى الرَّجَالَ سَقَطَتْ مَرُوءَتُهُ ، وَذَهَبَتْ كِرَامَتُهُ ؛ وَأَفْضَلُ إِيْمَانِ الْعَبْدِ أَنْ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ مَعَهُ حَيْثُ كَانَ .

٣٢ — كُنْ وَرِعًا تَكُنْ مِنْ أَعْبِدِ النَّاسِ ، وَارْضَ بِمَا قَسَمَ اللَّهُ لَكَ تَكُنْ مِنْ أَغْنَى النَّاسِ ، وَأَحْسِنْ جَوَارَ مَنْ جَاوَرَكَ تَكُنْ مُسْلِمًا ، وَلَا تَكْثُرَنَّ الضِّحْكُ ؛ فَإِنْ كَثُرَتْ تَمِيَتْ الْقَلْبُ ، وَأَخْرَسَ لِسَانُكَ ، وَاجْلِسْ فِي بَيْتِكَ ، وَابْكِ عَلَى خَطِيئَتِكَ .

٣٣ — إِنَّ الرَّجُلَ لَيَحْرَمَ الزَّزَقَ بِالذَّنْبِ يَصِيبُهُ ، وَلَا يَرُدُّ الْقَدْرَ إِلَّا الدَّعَاءُ ؛ وَلَا يَزِيدُ فِي الْعُمُرِ إِلَّا الْبَرُّ ، وَلَا يَزُولُ قَدَمُ ابْنِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يَسْأَلَ عَنْ عَمَلِهِ فِيمَ أَفْنَاهُ ، وَعَنْ شَبَابِهِ فِيمَ أَبْلَاهُ ، وَعَنْ مَالِهِ مِنْ أَيْنَ اكْتَسَبَهُ ، وَفِيمَ أَنْفَقَهُ ، وَعَمَّا عَمِلَ فِيمَ عَمِلَ !

٣٤ — فِي التَّجَارِبِ عِلْمٌ مُسْتَأْنَفٌ ، وَالْإِعْتِبَارُ يُفِيدُكَ الرَّشَادَ ، وَكَفَاكَ أَدَبًا لِنَفْسِكَ مَا كَرِهَتْهُ مِنْ غَيْرِكَ ، وَعَلَيْكَ لِأَخِيكَ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِ لَكَ .

٣٥ — الْغَضَبُ يُشِيرُ كَامِنِ الْحِقْدِ ، وَمَنْ عَرَفَ الْأَيَّامَ لَمْ يُغْفَلِ الْإِسْتِعْدَادُ ، وَمَنْ أَمْسَكَ عَنِ الْفُضُولِ عَدَلَتْ رَأْيُهُ الْعُقُولُ .

٣٦ — اسْكُتْ وَاسْتَرِ تَسْلَمْ . وَمَا أَحْسَنَ الْعِلْمَ يَزِينُهُ الْعَمَلُ ، وَمَا أَحْسَنَ الْعَمَلَ يَزِينُهُ الرَّفْقُ !

٣٧ — أَكْبَرُ الْفَخْرِ أَلَّا تَفْتَخَرَ .

٣٨ — مَا أَصْعَبُ اكْتِسَابَ الْفَضَائِلِ وَأَيْسَرُ إِتْلَافِهَا !

٣٩ — لَا تَنَازِعْ جَاهِلًا ، وَلَا تَشَايِعْ مَائِقًا^(١) ، وَلَا تَعَادُ مُسَلِّطًا .

٤٠ — الْمَوْتُ رَاحَةٌ لِلشَّيْخِ الْفَانِي مِنَ الْعَمَلِ ، وَلِلشَّابِّ السَّقِيمِ مِنَ السَّقَمِ ، وَلِلْغَلَامِ^(٢)

الناشيء من استقبال الكد والجمع لغيره ، ولمن ركبه^(١) الدّين لغرمائه ، وللمطلوب بالوتر ، وهو في جملة الأمر أمنية كلّ ملهوف مجهود .

٤١ — ما كنتَ كاتبه عدوك من سرّ ، فلا تطلعنّ عليه صديقك . واعرف قدرك يستعلّ أمرك ، وكفى ما مضى مخبراً عما بقي !

٤٢ — لا تعدنّ عدّة تحرقها قلة الثّقة بنفسك ، ولا يفرنك المرتقى السّهل إذا كان المنحدّر وعراً .

٤٣ — اتقِ العواقب علماً بأنّ للأعمال جزاء وأجراً ، واحذر تبعات الأمور بتقديم الحزم فيها .

٤٤ — من استرشد غير العقل أخطأ منهاج الرّأى ، ومن أخطأته وجوه الطالب خذلته الحيل ، ومن أخلّ بالصبر أخلّ به حسنُ العاقبة ؛ فإنّ الصبر قوّة من قوى العقل ؛ وبقدر موادّ العقل وقوتها يقوى الصبر .

٤٥ — الخطأ في إعطاء من لا يبتغي ، ومنع من يبتغي واحد .

٤٦ — العشقُ مرضٌ ليس فيه أجرٌ ولا عوض

٤٧ — أعظم الخطايا عند الله اللسان الكذوب ، وقائل كلمة الزّور ومن يمدّ بجملها في الأثم سواء .

٤٨ — الخصومة تمحق الدّين .

٤٩ — الجهاد ثلاثة : جهاد باليد ، وجهاد باللسان ، وجهاد بالقلب ؛ فأول ما يغلب عليه من الجهاد يدك ثم لسانك ، ثم يصير إلى القلب ، فإن كان لا يعرف معروفاً ولا ينكر منكراً نُكس فجعل أعلاه أسفله .

٥٠ — ما أنعم الله على عبد نعمةً فشكرها بقلبه إلا استوجب المزيد عليها قبل ظهورها على لسانه .

٥١ — الحاجةُ مسألة ، والدُّعاءُ زيادةً ، والحمدُ شكرٌ ، والنَّدَمُ توبة .

٥٢ — لِنِ واحْلُمْ تَنْبُلُ^(١) ، وَلَا تَكُنْ معْجِباً فتمتَّتْ وُثْمَنُ .

٥٣ — مَالِي أَرَى النَّاسَ إِذَا قُرَّبَ إِلَيْهِمُ الطَّعَامُ لَيْلًا تَكَلَّفُوا إِنْارَةَ الْمَصَابِيحِ لِيَبْصُرُوا مَا يَدْخُلُونَ بَطُونَهُمْ ، وَلَا يَهْتَمُونَ بِغِذَاءِ النَّفْسِ بَأَن يَنْيَرُوا مَصَابِيحَ أَلْبَابِهِم بِالْعِلْمِ لِيَسْلَمُوا مِنْ لَوَاحِقِ الْجَهَالَةِ وَالذُّنُوبِ فِي اعْتِقَادَاتِهِمْ وَأَعْمَالِهِمْ .

٥٤ — الْفَقْرُ هُوَ أَصْلُ حَسَنِ سِيَاسَةِ النَّاسِ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ إِذَا كَانَ مِنْ حُسْنِ السِّيَاسَةِ أَن يَكُونَ بَعْضُ النَّاسِ يَسُوسُ ، وَبَعْضُهُمْ يُسَاسُ ، وَكَانَ مَنْ يُسَاسُ لَا يَسْتَقِيمُ أَن يُسَاسَ مِنْ غَيْرِ أَن يَكُونَ فَقِيرًا مُحْتَاجًا ؛ فَقَدْ تَبَيَّنَ أَنَّ الْفَقْرَ هُوَ السَّبَبُ الَّذِي بِهِ يَقُومُ حَسَنُ السِّيَاسَةِ .

٥٥ — لَا تَتَكَلَّمْ بَيْنَ يَدَيِ أَحَدٍ مِنَ النَّاسِ دُونَ أَن تَسْمَعَ كَلَامَهُ^(٢) ، وَتَقِيسَ مَا فِي نَفْسِكَ مِنَ الْعِلْمِ إِلَى مَا فِي نَفْسِهِ ، فَإِنْ وَجَدْتَ مَا فِي نَفْسِهِ أَكْثَرَ ؛ فَحِينَئِذٍ يَنْبَغِي لَكَ أَن تَرُومَ زِيَادَةَ الشَّيْءِ الَّذِي بِهِ يَفْضُلُ عَلَى مَا عِنْدَكَ .

٥٦ — إِذَا كَانَ اللَّسَانُ آلَةً لَتَرْجُمَةَ مَا يَخْطُرُ فِي النَّفْسِ ؛ فَلَيْسَ يَنْبَغِي أَن تَسْتَعْمَلَهُ فِيمَا لَمْ يَخْطُرْ فِيهَا .

٥٧ — إِذَا كَانَ الْآبَاءُ هُمُ السَّبَبُ فِي الْحَيَاةِ ، فَعَلِمُوا الْحِكْمَةَ وَالدِّينَ هُمُ السَّبَبُ فِي جُودَتِهَا .

٥٨ — وَشَكَا إِلَيْهِ رَجُلٌ تَعَذَّرَ الرِّزْقُ ، فَقَالَ : مَهْ ، لَا تَجَاهِدِ الرِّزْقَ جِهَادَ الْمَغَالِبِ ، وَلَا تَتَكَلَّمْ عَلَى الْقَدَرِ اتِّكَالَ الْمُسْتَسْلِمِ ؛ فَإِنَّ ابْتِغَاءَ الْفَضْلِ مِنَ السَّنَةِ ، وَالْإِجْمَالِ فِي

الطلب من العفة ، وليست العفة دافعةً رزقاً ، ولا الحرصُ جالباً فضلاً ؛ لأن الرزق مقسوم ، وفي شدة الحرص اكتساب المآثم .

٥٩ — إذا استغفيت عن شيء فدعه ، وخذ ما أنت محتاج إليه

٦٠ — العمر أقصر من أن تعلم كل ما يحسن بك علمه ؛ فتعلم الأهم فالأهم .

٦١ — مَنْ رَضِيَ بِمَا قُسِمَ لَهُ استراح قلبه وبدنه^(١) .

٦٢ — أبعد ما يكون العبدُ من الله إذا كان همه بطنه وفرجه .

٦٣ — ليس في الحواس الظاهرة شيء أشرف من العين فلا تعطوها سؤالها^(٢) ، فيشفلكم عن ذكر الله .

٦٤ — ارحموا ضعفاءكم فالرحمة لهم سببُ رحمة الله لكم .

٦٥ — إزالة الجبال أسهل من إزالة دولة قد أقبلت ، فاستعينوا بالله واصبروا ، فإن الأرض لله يورثها من يشاء .

٦٦ — قال له عثمان في كلام تلاحيا فيه حتى جرى ذكر أبي بكر وعمر : أبو بكر وعمر خيرٌ منك ؛ فقال : أنا خيرٌ منك ومنهما ، عبدتُ الله قبلهما ، وعبدته بعدهما .

٦٧ — أوثق سلم يُتسلَّق^(٣) عليه إلى الله تعالى أن يكون خيراً .

٦٨ — ليس المُوَسِّرُ مَنْ كَانَ يَسَارُهُ بَاقِيًا عِنْدَهُ زَمَانًا يَسِيرًا ، وَكَانَ يُمْكِنُ أَنْ يَفْتَضِبَهُ^(٤) غَيْرُهُ مِنْهُ ، وَلَا يَبْقَى بَعْدَ مَوْتِهِ ؛ لَكِنِ الْيَسَارُ عَلَى الْحَقِيقَةِ هُوَ الْبَاقِي دَائِمًا عِنْدَ مَالِكِهِ ، وَلَا يُمْكِنُ أَنْ يُؤْخَذَ مِنْهُ ، وَيَبْقَى لَهُ بَعْدَ مَوْتِهِ ، وَذَلِكَ هُوَ الْحِكْمَةُ .

٦٩ — الشرف اعتقاد المن في أعناق الرجال^(٥) .

(٢) ١ : « سؤالها » . (٣) تسلق الشيء : علاه .

(٥) المن : اصطناع العروف في أعناق الناس .

(١) د : « نفسه » .

(٤) د : « يقبضه » .

- ٧٠ — يضرّ الناس أنفسهم في ثلاثة أشياء: الإفراط في الأكل اتكالا على الصحة، وتكلف حمل مالا يطاق اتكالا على القوة، والتفريط في العمل اتكالا على القدر.
- ٧١ — أحزمُ الناس مَنْ ملكَ جدّه هزأً، وقهر رأيه هواه، وأعرب عن ضميره فعله، ولم يخذله رضاه عن حفظه، ولا غضبه عن كيده.
- ٧٢ — مَنْ لم يُصلِحْ خلائقه، لم ينفع الناسَ تأديبه.
- ٧٣ — مَنْ اتَّبَعَ هواه ضلّ، ومن حاد ساد، وخمود الذكر أَجَلٌ من ذميمة الذكر^(١).
- ٧٤ — هب الشوق أخفَّ محملاً من مقاساة الملالة.
- ٧٥ — بالرفق تُنال الحاجة، وبِحُسْنِ التأتى تسهل المطالب.
- ٧٦ — بعزيمة الصبر تطفأ نارُ الهوى، وببنى العجب يؤمن كيد الحساد.
- ٧٧ — ماشيء أحقُّ بطولٍ سجنٍ من لسان.
- ٧٨ — لا نذرَ في معصيةٍ، ولا يمينَ في قطيعةٍ.
- ٧٩ — لكلِّ شيء ثمرة، وثمرّة المعروف تعجيل السراح.
- ٨٠ — إياكم والكسل؛ فإنه من كسل لم يؤدِّ الله حقاً.
- ٨١ — احسبوا كلامكم من أعمالكم، وأقلوه إلا في الخير.
- ٨٢ — أحسنوا حبة النعم فإنها تزول، وتشهد على صاحبها بما عمل فيها.
- ٨٣ — أكثرُوا ذكرَ الموتِ، ويوم خروجكم من قبوركم، ويوم وقوفكم بين يدي الله عزّ وجلّ، يهنّ عليكم المصاب^(٢).

(١) د: «الفكر».

(٢) أى تعجيل سراح طالب المعروف، وهو قضاء حاجته، وورد في الأثر: خير البر عاجله.

(٣) د: «تهن عليكم المصاب».

٨٤ — بحسب مجاهدة النفوس وردّها عن شهواتها ومنعها عن مصاحفة ^(٢) لذاتها ومنع ما أدّت إليه العيون الطامحة من لحظاتها تكون المثوبات والعقوبات ؛ والحازم من ملك هواه ؛ فكان بملكه له قاهراً ؛ ولما قدّحت الأفكار من سوء الظنون زاجراً ؛ فمتى لم تُردّ النفس عن ذلك هجم عليها الفكر بمطالبة ما شُغِفَتْ ^(٢) به ، فعند ذلك تأنّس بالآراء الفاسدة ، والأطماع الكاذبة ، والأمانى المتلاشية ؛ وكما أنّ البصر إذا اعتلّ ^(٣) رأى أشباحاً وخيالات لا حقيقة لها ؛ كذلك النفس إذا اعتلّت بحبّ الشهوات وانطوت على قبيح الإزادات، رأت الآراء الكاذبة ؛ فإلى الله سبحانه نرغب في إصلاح ما فسد من قلوبنا ، وبه نستعين على إرشاد نفوسنا ؛ فإن القلوب بيده يُصرّفها كيف شاء ^(٤) .

٨٥ — لا تؤاخين الفاجر ؛ فإنه يُزيّن لك فعله ، ويودّ لو أنّك مثله ؛ ويحسن لك أبيض خصاله ، ومدخله ومخرجه من عندك شينٌ وعار ونقص ؛ ولا الأحقّ فإنه يجهد لك نفسه ولا ينفعك ؛ وربما أراد أن ينفعك فضرّك ؛ سكوتُه خيرٌ لك من نطقه ، وبعده خير لك من قربه ، وموته خير لك من حياته ؛ ولا الكذاب فإنه لا ينفعك معه شيء ؛ ينقل حديثك ، وينقل الحديث إليك ؛ حتى إنه ليحدث بالصدق فلا يصدق .

٨٦ — ما استقصى كريم قطّ ، قال تعالى في وصف نبيه : ﴿ عَرَفَ بَعْضَهُ وَأَعْرَضَ عَنْ بَعْضٍ ﴾ ^(٥) .

٨٧ — ربّ كلمةٍ يخترعها حلّيم مخافة ما هو شرٌّ منها ، وكفى بالحلم ناصراً .

٨٨ — مَنْ جمع ستّ خصال لم يدع للجنة مطلباً ، ولا عن النار مهرباً : مَنْ عرف الله فأطاعه ، وعرف الشيطان فعصاه ، وعرف الحقّ فاتبعه ، وعرف الباطل فاتّقاءه ، وعرف الدّنيا فرفضها ، وعرف الآخرة فطلبها .

(٢) شغفت : رغبت وأغرمت .

(٤) ب : « كيفما شاء » .

(١) ب : « مساحفة » .

(٣) اعتلّ : أصابته العلة .

(٥) سورة التحريم : ٣

٨٩ — مَنْ اسْتَحْيَا مِنَ النَّاسِ وَلَمْ يَسْتَحْيِ مِنْ نَفْسِهِ فَلَيْسَ لِنَفْسِهِ عِنْدَ نَفْسِهِ قَدْرٌ .

٩٠ — غَايَةُ الْأَدَبِ أَنْ يَسْتَحْيِيَ الْإِنْسَانُ مِنْ نَفْسِهِ .

٩١ — الْبَلَاغَةُ النَّصْرُ بِالْحُجَّةِ ، وَالْمَعْرِفَةُ بِمَوَاضِعِ الْفُرْصَةِ ، وَمِنْ الْبَصَرِ ^(١) بِالْحُجَّةِ بَهَا تَدَعِ الْإِفْصَاحَ بَهَا إِلَى الْكُنْيَاةِ عَنْهَا إِذَا كَانَ الْإِفْصَاحُ أَوْعَرَ طَرِيقَةً ، وَكَانَتِ الْكُنْيَاةُ أُبْلَغَ فِي الدَّرَكِ وَأَحَقَّ بِالظَّفَرِ .

٩٢ — إِيَّاكَ وَالشَّهَوَاتِ ؛ وَلَيْكُنْ مِمَّا تَسْتَعِينُ بِهِ عَلَى كَفِّهَا عَنْكَ بِأَنَّهَا مَلْهِيَةٌ لِعَقْلِكَ ، مَهْجَنَةٌ ^(٢) لِرَأْيِكَ ، شَائِنَةٌ لِفَرْضِكَ ، شَاغِلَةٌ لَكَ عَنْ مَعَاضِمِ أُمُورِكَ ، مُشْتَدَّةٌ بِهَا التَّبَعَةُ عَلَيْكَ فِي آخِرَتِكَ . إِنَّمَا الشَّهَوَاتُ لَعِبٌ ؛ فَإِذَا حَضَرَ اللَّعِبُ غَابَ الْجِدُّ ، وَلَنْ يَقَامَ الدِّينُ وَتَصْلَحَ الدُّنْيَا إِلَّا بِالْجِدِّ ؛ فَإِذَا ^(٣) نَازَعَتْكَ نَفْسُكَ إِلَى اللَّهْوِ وَاللَّذَاتِ ، فَاعْلَمْ أَنَّهَا قَدْ نَزَعَتْ بِكَ إِلَى شَرٍّ مَنْزَعٍ ، وَأَرَادَتْ بِكَ أَفْضَحَ الْفُضُوحِ ؛ فَغَالِبِهَا مَغَالِبَةً ذَلِكَ ، وَامْتَنِعْ مِنْهَا امْتِنَاعَ ذَلِكَ ؛ وَلَيْكُنْ مَرْجِعُكَ مِنْهَا إِلَى الْحَقِّ ؛ فَإِنَّكَ مَهْمَا تَتْرَكَ مِنَ الْحَقِّ لَا تَتْرَكَهُ إِلَّا إِلَى الْبَاطِلِ ، وَمَهْمَا تَدَعُ مِنَ الصَّوَابِ لَا تَدَعُهُ إِلَّا إِلَى الْخَطَا ؛ فَلَا تَدَاهِنَنَّ هَوَاكَ فِي الْيَسِيرِ فَيَطْمَعُ مِنْكَ فِي الْكَثِيرِ .

وَلَيْسَ شَيْءٌ مِمَّا أُوتِيَتْ فَاضِلًا عَمَّا يَصْلَحُكَ ؛ وَلَيْسَ لِعُمُرِكَ وَإِنْ طَالَ فَضْلٌ عَمَّا يَنْبُو بِكَ مِنَ الْحَقِّ الْإِلَازِمِ لَكَ ، وَلَا بِمَالِكَ وَإِنْ كَثُرَ فَضْلٌ عَمَّا يَجِبُ عَلَيْكَ فِيهِ ، وَلَا بِقُوَّتِكَ وَإِنْ تَمَّتْ فَضْلٌ عَنْ أَدَاءِ حَقِّ اللَّهِ عَلَيْكَ ، وَلَا بِرَأْيِكَ وَإِنْ حَزُمَ فَضْلٌ عَمَّا لَا تُعْذَرُ بِالْخَطَا فِيهِ ؛ فَلْيَمْنَعَنَّكَ عِلْمُكَ بِذَلِكَ مِنْ أَنْ تَطِيلَ لَكَ عُمُرًا فِي غَيْرِ نَفْعٍ ، أَوْ تَضَيِّعَ لَكَ مَالًا فِي غَيْرِ حَقٍّ ، أَوْ أَنْ تَصْرِفَ لَكَ قُوَّةً فِي غَيْرِ عِبَادَةٍ ، أَوْ تُعَدِّلَ لَكَ رَأْيًا فِي غَيْرِ رَشْدٍ .

(١) كَذَا فِي د ، وَفِي أ ، ب : « النَّصْر » تَحْرِيفٌ .

(٢) مَهْجَنَةٌ : مَقْبَحَةٌ .

(٣) د : « وَإِنْ » :

فالحفظَ الحفظَ لما أُوتيتَ ، فإنَّ بكِ إلى صغيرٍ ما أُوتيتَ الكثيرَ منه أشدُّ الحاجة .

وعليكِ بما أضعفته منه أشدُّ الرزية ؛ ولا سيما العمر الذي كلَّ مَنْفَعَةٍ سواه مستخلف . وكلَّ ذاهب بعده مرجع .

فإن كنتِ شاغلا نفسك بلذة فلتكن لذتك في محادثة العلماء ودرس كتبهم ، فإنه ليس سرورك بالشَّهَوَاتِ بالغاً منك مبلغاً إلا وإكبابك على ذلك ، ونظرك فيه بالغه منك ، غير أنَّ ذلك يجمعُ إلى عاجل السُّرورِ تمامَ السَّعادة ، وخلافُ ذلك يجمعُ إلى عاجل النِّغى وخامة العاقبة ؛ وقديما قيل : أسعدُ النَّاسِ أدركهم لهواه إذا كان هواه في رشده ؛ فإذا كان هواه في غير رشده . فقد شقيَّ بما أدرك منه . وقديما قيل : عودُ نَفْسِكَ الجميلِ ؛ فباعتيادك إيَّاه يعود لذيداً .

٩٣ — وَكُلَّ ثَلَاثٍ ثَلَاثٌ بَثَلَاثَ : الرِّزْقُ بِالْحَقِّ ، وَالْحَرَمَانُ بِالْعَقْلِ ، وَالْبَلَاءُ بِالْمَنْطِقِ .
ليعلمَ ابنُ آدمَ أنَّ ليسَ له مِنَ الْأَمْرِ شَيْءٌ .

٩٤ — ثَلَاثَةٌ إِنْ لَمْ تَظْلَمْهُمْ ظَلَمُوكَ : عَبْدُكَ ، وَزَوْجَتُكَ ، وَابْنُكَ .
وقد روينا هذه الكلمة لِعُمَرَ فيما تقدم ^(١) .

٩٥ — لِلْمُنَافِقِينَ عِلَامَاتٌ يَعْرِفُونَ بِهَا : تَحِيَّتُهُمْ لَعْنَةً ، وَطَعَامُهُمْ تَهْنَةً ، وَغَنِيمَتُهُمْ غُلُولٌ ، لَا يَعْرِفُونَ الْمَسَاجِدَ إِلَّا هَجْرًا ، وَلَا يَأْتُونَ الصَّلَاةَ إِلَّا دَبْرًا ^(٢) ؛ مُسْتَكْبِرُونَ لَا يَأْلَفُونَ وَلَا يُؤْلَفُونَ ، خُشْبٌ بِاللَّيْلِ ، صُخْبٌ ^(٣) بِالنَّهَارِ .

(١) (٢) دبرا ، أى في آخر وقتها .

(١) ١ : « قدمناه » .

(٣) في اللسان : وفي الحديث في ذكر المنافقين « خشب بالليل ، صخب بالنهار ؛ أراد أنهم ينامون كأنهم

خشب مطرحة » .

٩٦ — الْحَسَدَ حُزْنَ لَازِمٌ ، وَعَقْلٌ هَائِمٌ ، وَنَفْسٌ دَائِمٌ ؛ وَالتَّعَمُّدُ عَلَى الْحَسَدِ نِعْمَةٌ .
نعمة ، وهى على الحاسد نِعْمَةٌ .

٩٧ — يَاحْمِلَةُ الْعِلْمِ ، أَتَحْمِلُونَهُ ! فَإِنَّمَا الْعِلْمُ لِمَنْ عِلِمٌ ثُمَّ عَمَلٌ ؛ وَوَافَقَ عَمَلُهُ عِلْمَهُ ،
وَسَيَكُونُ أَقْوَامٌ يَحْمِلُونَ الْعِلْمَ ، لَا يَجَاوِزُ تَرَاقِيهِمْ ، تَخَالَفَ سِرِّيَّتِهِمْ عَلَانِيَتِهِمْ ، وَيَخَالَفَ
عِلْمُهُمْ عِلْمَهُمْ ، يَقْعُدُونَ حَلَقًا ، فِيهَا هِيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا ؛ حَتَّى إِنْ الرَّجُلَ لِيَفْضُبَ عَلَى جَلِيسِهِ
أَنْ يَجْلِسَ إِلَى غَيْرِهِ ؛ أَوْلَئِكَ لَا تَصْعَدُ أَعْمَالُهُمْ فِي مَجَالِسِهِمْ تِلْكَ إِلَى اللَّهِ سُبْحَانَهُ .

٩٨ — تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ صِغَارًا تَسْوَدُّوا بِهِ كِبَارًا ؛ تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَلَوْ لَغَيَّرَ اللَّهُ ؛ فَإِنَّهُ
سَيَصِيرُ اللَّهُ . الْعِلْمَ ذَكْرًا لَا يَحِبُّهُ إِلَّا ذَكَرٌ مِنَ الرِّجَالِ .

٩٩ — لَيْسَ شَيْءٌ أَحْسَنُ مِنْ عَقْلٍ زَانَهُ عِلْمٌ ، وَمِنْ عِلْمٍ زَانَهُ حِلْمٌ ، وَمِنْ حِلْمٍ زَانَهُ
صِدْقٌ ، وَمِنْ صِدْقٍ زَانَهُ رَفَقٌ ، وَمِنْ رَفَقٍ زَانَهُ تَقْوَى . إِنْ مَلَكَ الْعَقْلَ وَمَكَارِمَ
الْأَخْلَاقِ صَوْنُ الْعِرْضِ ، وَالْجُزْءُ بِالْفَرَضِ ، وَالْأَخْذُ بِالْفَضْلِ ، وَالْوَفَاءُ بِالْعَهْدِ ، وَالْإِنْجَازُ
لِلْوَعْدِ . وَمَنْ حَاوَلَ أَمْرًا بِالْمَعْصِيَةِ كَانَ أَقْرَبَ إِلَى مَا يَخَافُ ، وَأَبْعَدَ مِمَّا يَرْجُو .

١٠٠ — إِذَا جَرَّتِ الْمَقَادِيرُ بِالمَكَارِهِ سَبَقَتِ الْآفَةُ إِلَى الْعَقْلِ فَخَبَّرَتْهُ ، وَأُطْلِقَتْ
الْأَلْسُنُ بِمَا فِيهِ تَلَفُ الْإِنْسَانِ .

١٠١ — لَا تَصْحَبُوا الْأَشْرَارَ فَإِنَّهُمْ يَمْنُونُ عَلَيْكُمْ بِالسَّلَامَةِ مِنْهُمْ .

١٠٢ — لَا تَقْسِرُوا أَوْلَادَكُمْ عَلَى آدَابِكُمْ ، فَإِنَّهُمْ مَخْلُوقُونَ لَزَمَانٍ غَيْرِ زَمَانِكُمْ .

١٠٣ — لَا تَطْلُبْ سُرْعَةَ الْعَمَلِ وَاطْلُبْ تَجْوِيدَهُ ؛ فَإِنَّ النَّاسَ لَا يَسْأَلُونَ فِي كَمِّ فَرَاغٍ
مِنَ الْعَمَلِ ، إِنَّمَا يَسْأَلُونَ عَنِ جَوْدَةِ صَنْعَتِهِ .

١٠٤ — لَيْسَ كُلُّ ذِي عَيْنٍ يُبْصِرُ ، وَلَا كُلُّ ذِي أُذُنٍ يَسْمَعُ ، فَتَصَدَّقُوا عَلَى أُولَى
الْعُقُولِ الزَّمَنِ^(١) ، وَالْأَلْبَابِ الْخَائِرَةِ ؛ بِالْعُلُومِ الَّتِي هِيَ أَفْضَلُ صَدَقَاتِكُمْ ، ثُمَّ تَلَا : ﴿ إِنَّ الَّذِينَ

يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَىٰ مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَٰئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ ﴿١﴾ .

١٠٥ — مَنْ أَتَتْ عَلَيْهِ الْأَرْبُعُونَ مِنَ السَّنِينَ قِيلَ لَهُ : خُذْ حَذْرَكَ مِنْ حُلُولِ الْمَقْدُورِ فَإِنَّكَ غَيْرُ مَعْذُورٍ ؛ وَلَيْسَ أَبْنَاءُ الْأَرْبَعِينَ بِأَحَقَّ بِالْحَذَرِ مِنْ أَبْنَاءِ الْعَشْرِينَ ؛ فَإِنَّ طَالِبَهُمَا وَاحِدٌ ، وَلَيْسَ عَنِ الطَّلَبِ بَرَاقِدٌ ؛ وَهُوَ الْمَوْتُ ؛ فَاعْمَلْ لِمَا أَمَّاكَ مِنَ الْهَوْلِ ، وَدَعْ عَنْكَ زَخْرَفَ الْقَوْلِ .

١٠٦ — سُئِلَ عَنِ الْقَدَرِ فَقَالَ : أَقْصَرُ أَمْ أَطِيلُ ؟ قِيلَ : بَلْ تَقْصِرُ ، فَقَالَ : جَلَّ اللَّهُ أَنْ يُرِيدَ الْفَحْشَاءَ ، وَعَزَّ عَنْ أَنْ يَكُونَ لَهُ فِي الْمُلْكِ إِلَّا مَا يَشَاءُ .

١٠٧ — مَنْ عَلِمَ أَنَّهُ يَفَارِقُ الْأَحْبَابَ ، وَيَسْكُنُ التُّرَابَ ، وَيُوَاجِهُ الْحِسَابَ ، وَيَسْتَفِي عَمَّا تَرَكَ ، وَيَفْتَقِرُ إِلَى مَا قَدَّمَ ، كَانَ حَرِيًّا بِقِصَرِ الْأَمَلِ ، وَطَوَّلِ الْعَمَلِ .

١٠٨ — الْمُؤْمِنُ لَا تَحْتِلُهُ كَثْرَةُ الْمَصَائِبِ ، وَتَوَاتُرُ النَّوَائِبِ عَنِ التَّسْلِيمِ لِرَبِّهِ وَالرِّضَا بِقَضَائِهِ ، كَالْحَمَامَةِ الَّتِي تُوْخِذُ فِرَاحَهَا مِنْ وَكْرِهَا ثُمَّ تَعُودُ إِلَيْهِ .

١٠٩ — مَمَاتَ مَنْ أَحْيَا عِلْمًا ، وَلَا افْتَقَرَ مَنْ مَلَكَ فَهْمًا .

١١٠ — الْعِلْمُ صِبْغُ النَّفْسِ ، وَلَيْسَ يَفُوقُ صِبْغَ الشَّيْءِ حَتَّى يَنْظُفَ مِنْ كُلِّ دَنَسٍ .

١١١ — اعْلَمْ أَنَّ الَّذِي مَدَحَكَ بِمَا لَيْسَ فَيْكَ ، إِنَّمَا هُوَ مُخَاطَبٌ غَيْرَكَ ، وَثَوَابُهُ وَجَزَاؤُهُ قَدْ سَقَطَا عَنْكَ .

١١٢ — إِحْسَانُكَ إِلَى الْحَرِّ يُخَرِّكُهُ عَلَى الْمَكَافَاةِ ، وَإِحْسَانُكَ إِلَى النَّذْلِ يَبْعَثُهُ عَلَى مُعَاوَدَةِ الْمَسْأَلَةِ .

١١٣ — الأشرار يتتبعون مساويئ الناس ، ويتزكون محاسنهم ؛ كما يتتبع الذُّبَابُ المواضعَ الفاسدة .

١١٤ — موت الرؤساء أسهل من رئاسة السفلة .

١١٥ — ينبغى لمن ولى أمر قوم أن يبدأ بتقويم نفسه قبل أن يشرع في تقويم رعيته ؛ وإلا كان بمنزلة من رام استقامة ظلِّ العود قبل أن يستقيم ذلك العود .

١١٦ — إذا قوى الوالى فى عمله حرَّكتهُ ولايته على حسب ماهو مركز فى طبعه من الخير والشر .

١١٧ — ينبغى للوالى أن يعمل بخصال ثلاث : تأخير العقوبة منه فى سلطان الغضب ، والأناة فيما يرتئيه^(١) من رأى ، وتعجيل مكافأة المحسن بالإحسان ؛ فإن فى تأخير العقوبة إمكان العفو ، وفى تعجيل المكافأة بالإحسان طاعة الرعية ، وفى الأناة إنفساح الرأى وتمدّد العقاب ووضوح الصواب .

١١٨ — من حقّ العالم على المتعلّم ألاّ يُكثّر عليه السؤال ، ولا يُعنتّه فى الجواب ، ولا يُبلّح عليه إذا كسل ، ولا يُفشى له سرّاً ، ولا يفتاب عنده أحداً ، ولا يطلب عثرته ، فإذا زلّ تأنّيت أوبته^(٢) ، وقبّلت معذرتة ، وأنّ تعظّمه وتوقّره ما حفظ أمر الله وعظّمه ، وألّا تجلس أمامه ، وإن كانت له حاجة سبقت غيرك إلى خدمته فيها . ولا تضجرن من صحبته ؛ فإنما هو بمنزلة النخلة يُنتظر متى يسقط عليك منها منفعة . وخصّه بالتّحية ، واحفظ شاهده وغائبه ؛ وليكن ذلك كلّ الله عزّ وجلّ ، فإنّ العالم أفضل من الصائم القائم المجاهد فى سبيل الله . وإذا مات العالم تُلمّ فى الإسلام ثلثة لا يسدّها إلاّ خلف منه . وطالب العلم تُشيّعهُ الملائكة حتى يرجع .

(١) يرتئيه ، افتعال من الرأى ، أى فيما يفكر فيه ، وفى د : « يريه » .

(٢) زلّ : عثر . وأوبته ، أى رجوعه إلى الحق .

١١٩ — وَصُولُ مُعَدِّمٍ خَيْرٌ مِنْ جَافٍ^(١) مُكْثِرٍ ، وَمَنْ أَرَادَ أَنْ يَنْظُرَ مَا لَهُ عِنْدَ اللَّهِ فَلْيَنْظُرْ مَا لَهُ عِنْدَهُ .

١٢٠ — لَقَدْ سَبَقَ إِلَى جَنَّاتِ عَدْنٍ أَقْوَامٌ مَا كَانُوا أَكْثَرَ النَّاسِ صَلَاةً وَلَا صِيَامًا وَلَا حَجًّا وَلَا عِمَارًا ؛ وَلَكِنْ عَقَلُوا عَنْ اللَّهِ أَمْرَهُ فَخَسِنَتْ طَاعَتُهُمْ ، وَصَحَّ وَرَعَهُمْ وَكَمَلَ يَقِينُهُمْ ؛ ففَاقُوا غَيْرَهُمْ بِالْخَطْوَةِ وَرَفِيعِ الْمَنْزِلَةِ .

١٢١ — مِمَّنْ عَبْدٍ إِلَّا وَمَعَهُ مَلَكٌ يَقِيهِ مَا لَمْ يُقَدَّرْ لَهُ ، فَإِذَا جَاءَ الْقَدَرُ خَلَاهُ وَإِيَّاهُ .

١٢٢ — إِنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ أَدَبَ نَبِيِّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ بِقَوْلِهِ : ﴿ خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴾^(٢) ، فَلَمَّا عَلِمَ أَنَّهُ قَدْ تَأَدَّبَ ، قَالَ لَهُ : ﴿ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴾^(٣) ، فَلَمَّا اسْتَحْكَمَ لَهُ مِنْ رَسُولِهِ مَا أَحَبَّ قَالَ : ﴿ وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا ﴾^(٤) .

١٢٣ — كُنْتُ أَنَا وَالْعَبَّاسُ وَعُمَرُ نَتَذَكَّرُ الْمَعْرُوفَ ، فَقُلْتُ أَنَا : خَيْرُ الْمَعْرُوفِ سِتْرُهُ ، وَقَالَ الْعَبَّاسُ : خَيْرُهُ تَصْفِيرُهُ ، وَقَالَ عُمَرُ : خَيْرُهُ تَعْجِيلُهُ ، فَخَرَجَ عَلَيْنَا رَسُولُ اللَّهِ ، فَقَالَ : فِيمَ أَنْتُمْ ؟ فَذَكَّرْنَا لَهُ ، فَقَالَ : خَيْرُهُ أَنْ يَكُونَ هَذَا كُلُّهُ فِيهِ .

١٢٤ — الْعَفْوَ يُفْسِدُ مِنَ اللَّئِيمِ بِقَدْرِ مَا يَصْلَحُ مِنَ الْكَرِيمِ .

١٢٥ — إِذَا خَبِثَ الزَّمَانُ كَسَدَتِ الْفَضَائِلُ وَضُرَّتْ ، وَنَفَقَتِ الرِّذَائِلُ وَنَفَعَتْ ، وَكَانَ خَوْفُ الْمَوْسِرِ أَشَدَّ مِنْ خَوْفِ الْمَعْسِرِ .

١٢٦ — انْظُرْ إِلَى الْمُتَنَصِّحِ^(٥) إِلَيْكَ ، فَإِنْ دَخَلَ مِنْ حَيْثُ يُضَارُّ النَّاسَ فَلَا تَقْبَلْ .

(١) الوصول ، فعول ؛ من الصلوة ، وهى العطية ، والجافى ضد الوصول .

(٢) سورة القلم ٤٠ .

(٣) سورة البقرة ٦٧ .

(٤) المتصحح : المتشبه بالنصحاء .

(٥) سورة الأعراف ١٩٩ .

نصيحته وتحرّز منه ، وإن دَخَلَ من حيث العدلُ والصلاح فاقبلها منه .

١٢٧ — أعداء الرجل قد يكونون أنفع من إخوانه ، لأنهم يهدون إليه عيوبه فيتجنبها ويخاف شمتهم به فيضبط نعمته ويتحرّز من زوالها بغاية طوقه .

١٢٨ — المرأة التي ينظر الإنسان فيها إلى أخلاقه هي الناس ، لأنه يرى محاسنه من أوليائه منهم ، ومساويه من أعدائه فيهم .

١٢٩ — انظر وجهك كلّ وقت في المرأة ؛ فإن كان حسناً فاستقبّح أن تضيف إليه فعلاً قبيحاً وتشينه به ، وإن كان قبيحاً فاستقبّح أن تجمع بين قبحين .

١٣٠ — موقع الصواب من الجهل مثل موقع الخطأ من العلماء .

١٣١ — ذكّ قلبك بالأدب كما تذكّي النار بالحطب .

١٣٢ — كفر النعمة لوئّم ، وصحبة الجاهل شوؤّم .

١٣٣ — عادت من ماريت .

١٣٤ — لا تصرم^(١) أخاك على ارتياب ، ولا تقطعه دون استعتاب .

١٣٥ — خير المقال مصادقه الفعال .

١٣٦ — إذا لم ترزق غني فلا تحز من تقوى .

١٣٧ — من عرف الدنيا لم يحزن للبلى

١٣٨ — دَعِ الكَذِبَ تَكْرُماً إن لم تدعه تأثماً .

١٣٩ — الدنيا طوَاحَة طَرَاحَة فُضّاحَة ، آسِيَة جَرّاحَة .

١٤٠ — الدنيا جَمّة المصائب ، مُرّة المشارب ، لا تُمتنع صاحباً بصاحب .

١٤١ — المعتذر من غير ذنب ، يوجب على نفسه الذنب .

(١) لا تصرم : لا تقطع ، أى لا تهجره لمجرد التهمة ، غير متيقن تقصيره .

١٤٢ — من كسل لم يؤدِّ حقًا .

١٤٣ — كثرة الجدال تورثُ الشكَّ .

١٤٤ — خير القلوب أوعاها .

١٤٥ — الحياءُ لباسُ سابغٍ ، وحجابُ مانعٌ ، وسِتْرٌ من المساوئِ وَاقٍ ، وحليفٌ للدينِ ، وموجبٌ للمحبةِ ، وعَيْنٌ كاللثةِ تَذُوذُ عن الفسادِ ، وتنهى عن الفحشاءِ . والعجلةُ في الأمورِ مَكْسَبَةٌ للمذلةِ ، وزِمَامٌ لِلنَّدَامَةِ ، وسَلْبٌ للمرأةِ ، وشَيْنٌ لِلْحِجَبِ ؛ ودَلِيلٌ على ضَعْفِ العقيدةِ .

١٤٦ — إذا بلغ المرءُ من الدنيا فوقَ قدره تَنَكَّرَتْ للناسِ أخلاقه .

١٤٧ — لا تصحب الشَّرِيرَ فَإِنَّ طبعك يَسْرِقُ من طبعه شَرًّا وأنت لا تعلم .

١٤٨ — موتُ الصالحِ راحةٌ لنفسه ، وموتُ الطالحِ راحةٌ للناسِ .

١٤٩ — ينبغي للعاقل أن يتذكَّرَ عند حلالةِ الغداءِ مرارةَ الدواءِ .

١٥٠ — إِنْ حَسَدَكَ أَخٌ مِنْ إِخْوَانِكَ عَلَى فَضِيلَةٍ ظَهَرَتْ مِنْكَ فَسَعَى فِي مَكْرِهِ هَكَذَا فَلَا تَقَابَلْهُ بِمِثْلِ مَا كَاخُفَكَ بِهِ ، فَتَعْذِرَ نَفْسُهُ فِي الْإِسَاءَةِ إِلَيْكَ ، وَتَشْرَعَ لَهُ طَرِيقًا إِلَى مَا يُحِبُّهُ فَيْكَ ؛ لَكِنْ اجْتَهِدْ فِي التَّزَيُّدِ مِنْ تِلْكَ الْفَضِيلَةِ الَّتِي حَسَدَكَ عَلَيْهَا ؛ فَإِنَّكَ تَسْوِئُهُ مِنْ غَيْرِ أَنْ تُوْجِدَهُ حُجَّةً عَلَيْكَ .

١٥١ — إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَعْرِفَ طَبْعَ الرَّجُلِ فَاسْتَشِرَّهُ ، فَإِنَّكَ تَقِفُ مِنْ مَشُورَتِهِ عَلَى عَدْلِهِ وَجَوْرِهِ ، وَخَيْرِهِ وَشَرِّهِ .

١٥٢ — يَجِبُ عَلَيْكَ أَنْ تُشْفِقَ عَلَى وَلَدِكَ أَكْثَرَ مِنْ إِشْفَاقِهِ عَلَيْكَ .

١٥٣ — زَمَانُ الْجَائِرِ مِنَ السَّلَاطِينِ وَالْوَلَاةِ أَقْصَرُ مِنْ زَمَانِ الْعَادِلِ ، لِأَنَّ الْجَائِرَ مَفْسِدٌ ، وَالْعَادِلَ مُصْلِحٌ ، وَإِفْسَادُ الشَّيْءِ أَسْرَعُ مِنْ إِصْلَاحِهِ .

١٥٤ — إذا خدمت رئيساً فلا تلبس مثل ثوبه ، ولا تركب مثل مركوبه ، ولا تستخدم كخدمه ، فعباك تسلم منه .

١٥٥ — لا تُحدث بالعلم السفهاء فيكذبوك ، ولا الجبال فيسئقنك ، ولكن حدث به من يتلقاه من أهله بقبول وفهم يفهم عنك ما تقول ، ويكنم عليك ما يسمع ؛ فإن لعلمك عليك حقاً ؛ كما أن عليك في مالك حقاً ؛ بذله مستحقه ، ومنعه عن غير مستحقه .

١٥٦ — اليقين فوق الإيمان ، والصبر فوق اليقين ؛ ومن أفرط رجاؤه غابت الأمانى على قلبه واستعبدته .

١٥٧ — إياك وصاحب السوء ؛ فإنه كالسيف المسلول يروق منظره ، ويقبح أثره .

١٥٨ — يا بن آدم ، احذر الموت في هذه الدار قبل أن تصير إلى دار تتمنى الموت فيها فلا تجدته .

١٥٩ — من أخطأه سهم النية قيدته الهرم .

١٦٠ — من سمع بفاحشة فأبداها كان كمن أتاها .

١٦١ — العاقل من اتهم رأيه ولم يثق بما سوائته له نفسه .

١٦٢ — من سامح نفسه فيما يحب أتعبها فيما لا يحب .

١٦٣ — كفى ماضى مخبراً عما بقى ، وكفى عبراً لذوى الألباب ماجربوا .

١٦٤ — أمر لا تدري متى يفشاك ؛ ما يمنعك أن تستعد له قبل

أن يفجأك !

١٦٥ — ليس في البرق الخاطف مُسْتَمْتَعٌ^(١) لمن يخوض في الظلمة .

١٦٦ — إِذَا أُعْجِبَكَ مَا يَتَوَاصَفُهُ النَّاسُ مِنْ مَحَاسِنِكَ ، فَانْظُرْ فِيمَا بَطْنُ مِنْ مَسَاوِيكَ ؛ وَلَتَكُنْ مَعْرِفُكَ بِنَفْسِكَ أَوْثَقَ عِنْدَكَ مِنْ مَدْحِ الْمَادِحِينَ لَكَ .

١٦٧ — مَنْ مَدَحَكَ بِمَا لَيْسَ فِيكَ مِنَ الْجَمِيلِ وَهُوَ رَاضٍ عَنْكَ ذَمَّكَ بِمَا لَيْسَ فِيكَ مِنَ الْقَبِيحِ وَهُوَ سَاخِطٌ عَلَيْكَ .

١٦٨ — إِذَا تَشَبَّهَ صَاحِبُ الرَّيَاءِ بِالْمُخَاصِصِينَ فِي الْهَيْئَةِ كَانَ مِثْلَ الْوَارِمِ الَّذِي يَوْمُهُمُ النَّاسَ أَنَّهُ سَمِينٌ^(٢) ؛ فَيُظَنُّ النَّاسُ ذَلِكَ فِيهِ وَهُوَ يَسْتَرُ مَا يَلْقَى مِنَ الْأَلَمِ التَّابِعِ لِلْوَرَمِ .

١٦٩ — إِذَا قَوِيَتْ نَفْسُ الْإِنْسَانِ انْقَطَعَ إِلَى الرَّأْيِ ، وَإِذَا ضَعُفَتْ انْقَطَعَ إِلَى الْبَخْتِ .

١٧٠ — الرِّغْبَةُ إِلَى الْكَرِيمِ تُحَرِّكُهُ عَلَى الْبَذْلِ ، وَإِلَى الْخَسِيسِ تُغْرِيه بِالْمَنَعِ .

١٧١ — خِيَارُ النَّاسِ يَتَرَفَعُونَ عَنْ ذِكْرِ مَعَايِبِ النَّاسِ ، وَيَتَهَمُونَ الْمُخْبِرَ بِهَا ، وَيَأْثُرُونَ^(٣) الْفَضَائِلَ ، وَيَتَعَصَّبُونَ لِأَهْلِهَا ، وَيَسْتَعْرِضُونَ مَآثِرَ الرُّؤَسَاءِ ، وَإِفْضَالَهُمْ عَلَيْهِمْ ، وَيُطَالِبُونَ أَنْفُسَهُمْ بِالْمُكَافَأَةِ عَلَيْهَا وَحُسْنِ الرَّعَايَةِ لَهَا .

١٧٢ — لِكُلِّ شَيْءٍ قُوَّةٌ ، وَأَتَمُّ قُوَّةٍ الْهُوَامُ ؛ وَمَنْ مَشَى عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ فَإِنَّ مَصِيرَهُ إِلَى بَطْنِهَا .

١٧٣ — مِنْ كَرَمِ الْمَرْءِ بَكَاءُهُ عَلَى مَاضِيٍّ مِنْ زَمَانِهِ ، وَحَنِينُهُ إِلَى أَوْطَانِهِ ، وَحِفْظُهُ قَدِيمَ إِخْوَانِهِ .

(٢) الخسيس : المايم البعيد عن مكارم الأخلاق .

(١) مستمتع : موضع متعة .

(٣) يأثرون الفضائل : يستأثرون بها .

- ١٧٤ — وَمِنْ دُعَائِهِ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنَّا قَدْ قَصَرْنَا عَنْ بُلُوغِ طَاعَتِكَ فَقَدْ تَمَسَّكْنَا مِنْ طَاعَتِكَ بِأَحَبِّهَا إِلَيْكَ ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ جَاءَتْ بِالْحَقِّ مِنْ عِنْدِكَ .
- ١٧٥ — أَصَابَتِ الدُّنْيَا مِنْ أَمْنِهَا وَأَصَابَ الدُّنْيَا مِنْ حَذَرِهَا .
- ١٧٦ — وَوَقَفَ عَلَى قَوْمٍ أُصِيبُوا بِمَصِيبَةٍ ، فَقَالَ : إِنْ تَجَزَّعُوا فَحَقَّ الرَّحِمُ بِلَفْتِمُ ، وَإِنْ تَصَبَّرُوا فَحَقَّ اللَّهُ أَدَيْتِمُ .
- ١٧٧ — مَكَارِمُ الْأَخْلَاقِ عَشْرُ خِصَالٍ : السَّخَاهُ ، وَالْحَيَاءُ ، وَالصَّدْقُ ، وَأَدَاءُ الْأَمَانَةِ ، وَالتَّوَاضَعُ ، وَالْفَيْثَةُ ، وَالشَّجَاعَةُ ، وَالْحِلْمُ ، وَالصَّبْرُ ، وَالشُّكْرُ .
- ١٧٨ — مَنْ أَدَاءَ الْأَمَانَةَ الْمَكْفَأَةَ عَلَى الصَّنِيعَةِ لَأَنَّهُمَا كَالْوَدِيعَةِ عِنْدَكَ .
- ١٧٩ — الْخَيْرُ النَّفْسِ تَكُونُ الْحَرَكَةُ فِي الْخَيْرِ عَلَيْهِ سَهْلَةٌ مُتَيْسِرَةٌ ، وَالْحَرَكَةُ فِي الْإِضْرَارِ عَسْرَةٌ بَاطِنَةٌ ، وَالشَّرُّ يُرْبِضُ بِالضِدِّ مِنْ ذَلِكَ .
- ١٨٠ — الْبُخْلَاءُ مِنَ النَّاسِ يَكُونُ تَغَافُهُمْ عَنْ عَظِيمِ الْجُرْمِ أَسْهَلَ عَلَيْهِمْ مِنَ الْمَكْفَأَةِ عَلَى يَسِيرِ الْإِحْسَانِ .
- ١٨١ — مِثْلُ الْإِنْسَانِ الْحَصِيفِ ^(١) مِثْلُ الْجَسْمِ الصَّلْبِ الْكَثِيفِ ، يَسْخُنُ بَطْنًا ، وَتَبْرُدُ تِلْكَ السَّخُونَةُ بِأَطْوَلِ مِنْ ذَلِكَ الزَّمَانِ .
- ١٨٢ — ثَلَاثَةٌ يُرْمَحُونَ : عَاقِلٌ يَجْرَى عَلَيْهِ حُكْمُ جَاهِلٍ ، وَضَعِيفٌ فِي يَدِ ظَالِمٍ قَوِيٍّ ، وَكَرِيمٌ قَوْمٍ أَحْتَاجَ إِلَى لَيْثِمٍ .
- ١٨٣ — مَنْ صَحَبَ السُّلْطَانَ وَجِبَ أَنْ يَكُونَ مَعَهُ كِرَاكِبُ الْبَحْرِ ، إِنْ سَلِمَ بِجَسْمِهِ مِنَ الْفَرَقِ لَمْ يَسْلَمْ بِقَلْبِهِ مِنَ الْفَرَقِ ^(٢) .

(١) الْحَصِيفُ : الَّتِي تَكُنْ مِنْ نَفْسِهِ ، الْمُسْتَحْكَمُ عَقْلُهُ .

(٢) الْفَرَقُ : الْخَوْفُ .

١٨٤ — لا تقبانَ في استعمالِ عمالكِ وأمرائكِ شفاعَةً إِلَّا شفاعَةً الكفايةِ والأمانةِ .

١٨٥ — إذا استشارَكَ عدوكَ فجرِّدْ لهُ النصيحةَ ؛ لِأَنَّهُ باستشارتكِ قدْ خرجَ منْ عدواتكِ ودخلَ في مودَّتكَ .

١٨٦ — العدلُ صورةٌ واحدةٌ ، والجورُ صورٌ كثيرةٌ ؛ ولهذا سهلَ ارتكابُ الجورِ وصعبَ تحرُّي العدلِ ؛ وهما يشبهانِ الإصابةَ في الرِّمائيةِ والخطأَ فيها ؛ وإنَّ الأصابةَ تحتاجُ إلى ارتياضٍ ^(١) وتعهدٍ ، والخطأُ لا يحتاجُ إلى شيءٍ منْ ذلكَ .

١٨٧ — لا يُخطئُ المخلصُ في الدعاءِ إحدَى ثلاثٍ : ذنبٌ يغفرُ ، أو خيرٌ يعجلُ ، أو شرٌّ يؤجلُ .

١٨٨ — لا ينصفُ ثلاثةٌ منْ ثلاثةٍ : برٌّ منْ فاجرٍ ، وعاقِلٌ منْ جاهلٍ ، وكرِيمٌ منْ لئيمٍ .

١٨٩ — أشرفُ الملوكِ منْ لمْ يخالطهُ البطرُ . ولمْ يخلُ عن الحقِّ ، وأغنى الأغنياءِ منْ لمْ يكنْ للحرصِ أسيراً ؛ وخَيْرُ الأصدقاءِ منْ لمْ يكنْ على إخوانه مستصعباً ، وخيرُ الأخلاقِ أعونها على النقيِّ والورعِ .

١٩٠ — أربعُ القليلُ منهنَّ كثيرٌ : النارُ ، والعداوةُ ، والمرضُ . والفقرُ .

١٩١ — أربعةٌ من الشقاءِ : جارُ السوءِ ، وولدُ السوءِ ، وامرأةُ السوءِ ، والمنزلُ الضيقُ .

١٩٢ — أربعةٌ تدعو إلى الجنةِ : كتمانُ المصيبةِ ، وكتمانُ الصدقةِ ، وبرُّ الوالدينِ ، والإكثارُ من قول لا إلهَ إِلَّا الله .

١٩٣ — لا تصحب الجاهل؛ فإن فيه خصالاً ، فاعرفوه بها : يغضب من غير غضب ، ويتكلم في غير نفع ، ويُعطى في غير موضع الإعطاء ، ولا يعرف صديقه من عدوه ، ويفشى سرّه إلى كلّ أحد .

١٩٤ — إِيَّاكَ ومواقف الاعتذار ؛ فَرَبَّ عذرٍ أثبت الحجّة على صاحبه وإن كان بريئاً .

١٩٥ — الصراطُ ميدانٌ يكثرُ فيه العثارُ ؛ فالسالمُ ناجٍ ، والعائرُ هالكٌ .

١٩٦ — لا يعرفُ الفضلُ لأهل الفضل إلا أولو الفضل .

١٩٧ — إن لله عبادةً في الأرض كأنما رأوا أهل الجنة في جنتهم وأهل النار في نارهم ، اليقين وأنواره لامعةٌ على وجوههم ، قلوبهم محزونة ، وشروهم مأمونةٌ ، وأنفسهم عفيفةٌ ، وحوائجهم خفيفةٌ ؛ صبروا أياماً قليلةً لراحةٍ طويلةٍ ، أما الليل فصافون أقدامهم^(١) تجرى دموعهم على خدودهم ، يَحْتَارُونَ^(٢) إلى الله سبحانه بأدعيتهم ؛ قد حلا في أفواههم وحلا في قلوبهم طعم مناجاته ولذيق الخلوة به ؛ قد أقسم الله على نفسه بجلال عزته ليورثتهم المقام الأعلى في مقعد صدق عنده ؛ وأما نهارهم فخلعاء علماء ، بررة أتقياء ، كالقِداح ينظر إليهم الناظر فيقول : مرضى ؛ وما بالقوم من مرضٍ ، أو يقول : قد خُوطبوا ؛ ولعمري لقد خالطهم أمر عظيم جليل .

١٩٨ — عاتبه عثمان فأكثر وهو ساكت ، فقال : مالك لا تقول ! قال : إن قلت لم أقل إلا ما تكره ، وليس لك عندي إلا ما تحب .

١٩٩ — بُليتُ في حربِ الجمل بأشدّ الخلقِ شجاعةً ، وأكثرِ الخلقِ ثروةً وبذلاً ، وأعظمِ الخلقِ في الخلقِ طاعةً ، وأوفى الخلقِ كيذاً وتكثراً^(٣) ؛ بُليتُ بالزبير ، لم يردّ وجهه قطّ ،

(١) صافون أقدامهم ، كناية عن كونهم مصابين . (٢) جأز الرجل إلى الله : تضرع .

(٣) ١ : « وتكبراً » .

ويعطى بن منية يحمل المال على الإبل الكثيرة ويعطى كل رجل ثلاثين دينارا وفرساً على أن يقاتلنى ، وبعائشة ما قالت قطّ بيدها هكذا إلا واتبعها الناس ، وبطلحة لا يدرك غوره ^(١) ، ولا يُطال مكره .

٢٠٠ — بعث عثمان بن حنيف إلى طلحة والزبير ، فعاد فقال : يا أمير المؤمنين ، جئتُك بالخبيبة ، فقال : كلاً ! أصبت خيراً وأجرت ، ثم قال : إن من العجب انقيادهما لأبى بكر وعمر وخلافهما على ؛ أما والله إنهما ليعلمان أنى لستُ بدون واحدٍ منهما ، اللهم عليّك بهما .

٢٠١ — الرزق مقسوم ، والأيام دُولٌ ، والناسُ شرَعٌ ^(٢) سواء ؛ آدم أبوهم ، وحواء أمهم .

٢٠٢ — قوتُ الأجسام الغذاء ، وقوتُ العقول الحكمة ، فمتى فقدَ واحدٌ منهما قوته بار واضمحَل .

٢٠٣ — الصبر على مشقة العباد ^(٣) يترقى بك إلى شرف الفوز الأكبر .

٢٠٤ — الرُّوحُ حياةُ البدن والعقل حياةُ الروح .

٢٠٥ — حقيق بالإنسان ^(٤) أن يخشى الله بالغيب ، ويحرس نفسه من العيب ، ويزداد خيراً مع الشَّيب .

٢٠٦ — أفضلُ الولاة من يبقى بالعدل ذكراً . واستمده من يأتى بعده .

٢٠٧ — قدّم العدل على البطش تظفر بالحبّة ، ولا تستعمل الفعل حيث ينجع ^(٥) القول .

(١) يقال : بئر لا يدرك غوره ؛ إذا كانت عميقة جداً ، والمراد هنا أنه لا يعرف ما فى أطواء نفسه .

(٢) شرع ، أى متساوين . (٣) د : « العبادة »

(٤) ب : « الأحسان » : تحريف . (٥) ينجع : ينفع .

٢٠٨ — البخیلُ یسْخو من عِرضه بمقدار ما یبخل به من ماله ، والسخی یبخل من عِرضه بمقدار ما یسْخو به من ماله .

٢٠٩ — فَضَّلَ العَقلُ على الهوى ، لأنَّ العَقلَ یَمْلِكُ الزمانَ ، والهوى یستعبدك للزمان .

٢١٠ — كلما حات عایه الحرُّ احتمله ورآه زیادة فی شرفه ، إلا ما حاطه جزءاً^(١) من حرّيته ، فإنه یاباه ولا یجیب إلیه .

٢١١ — إذا منعك اللئیمُ البرّ مع إعظامه حقك ، کان أحسن من بذل السخیِّ لك إیاه مع الاستخفاف بك .

٢١٢ — الملكُ كالنهر العظیم ، تستمدُّ منه الجداول ؛ فإنَّ كان عذبا عذبتْ ، وإنَّ كان ملحا ملحتْ .

٢١٣ — الفرق بین السخاء والتبذیر ، أنَّ السخیَّ یسمح بما یعرف مقداره ومقدار الرغبة فیهِ إلیه ، ویضعه بحیث یحسن وضعه ، وتزكو عارفته ، والمُبذِّرُ یسمح بما لا یوازنُ به رغبة الراغب ، ولا حقَّ القاصد ؛ ولا مقدار ما أولى ، ویستفزّه^(٢) لذلك خطرةً من خطراته ، والتصدى لإطراء مُطِرٍ له بینهما بونٌ بعيد .

٢١٤ — لا تلاجُ الغضبان ؛ فإنَّك تفاقه^(٣) باللاج ، ولا تردّه إلى الصواب .

٢١٥ — لا تفرح بسقطة غیرك ، فإنَّك لا تدرى ما تتصرّف الأيام بك .

٢١٦ — قلیل العلم إذا وقر فی القلب كالطَّلِّ یصیب الأرض المطمئنة فتعشب .

٢١٧ — مثلُ المؤمنِ الذی یقرأ القرآنَ كمثل الأترجةِ ریحها طیب ، وطعمها

(٢) استفزه : أخرجه .

(١) ب : « جزء » ؟

(٣) تفاقه : تحرکه .

طَيِّب ؛ ومثل المؤمن الذى لا يقرأ القرآن كمثل الريحانة ، ريحها طيب وطعمها مُرٌّ ، ومثل الفاجر الذى لا يقرأ القرآن مثل الحنظلة طعمها مُرٌّ ولا ريح لها .

٢١٨ — المؤمن إذا نظر اعتبر ، وإذا سكت تفكَّر ، وإذا تكلم ذكَّر ، وإذا استغنى شكر ، وإذا أصابته شدة صبر ، فهو قريب الرضا ، بعيد السخط ؛ يرضيه عن الله اليسير ، ولا يسخطه البلاء الكثير ؛ قوّته لا تبلغ به ، ونيتته تبلغ ، مغموسة في الخير يده ، ينوى كثيراً من الخير ، ويعمل بطائفة منه ، ويتأهف على ما فاتته من الخير كيف لم يعمل به !

والمنافق إذا نظر لها ، وإذا سكت سها ، وإذا تكلم لغا ، وإذا أصابه شدة شكا ؛ فهو قريب السخط بعيد الرضا ، يسخطه على الله اليسير ، ولا يرضيه الكثير ، قوّته تبلغ ، ونيتته لا تبلغ ، مغموسة في الشر يده ، ينوى كثيراً من الشر ، ويعمل بطائفة منه فيتأهف على ما فاتته من الشر كيف لم يأمر به ، وكيف لم يعمل به !

على لسان المؤمن نور يسطع ، وعلى لسان المنافق شيطان ينطق .

٢١٩ — سوء الظن يدري ^(١) القلوب ، ويتهم المأمون ، ويوحش المستأنس ، ويُغيّر مودة الإخوان .

٢٢٠ — إذا لم يكن في الدنيا إلا محتاج فأغنى الناس أقنعهم بما رزق .

٢٢١ — قيل له : إن درعك صدر لا ظهر لها ، إننا نخاف أن تؤتى من قبل ظهرك ، فقال : إذا وليت فلا واءلت ^(٢) .

٢٢٢ — أشد الأشياء الإنسان ، لأن أشدها — فيما يرى — الجبل ، والحديد

(١) يدوى : يصيبه بالداء . والدوى : المرض ، وأدويته : أمرضته .

(٢) واءل : خلص ونجا .

يَنْحَتُ الْجَبَلُ ، وَالتَّارُ تَأْكُلُ الْحَدِيدَ ، وَالْمَاءُ يُطْفِئُ النَّارَ ، وَالسَّحَابُ يَحْمِلُ الْمَاءَ ، وَالرَّيْحُ يُفَرِّقُ السَّحَابَ ، وَالْإِنْسَانُ يَتَّقِي مِنَ الرَّيْحِ .

٢٢٣ — إِنَّمَا النَّاسُ فِي نَفْسٍ مَعْدُودٍ ، وَأَمَلٍ مَمْدُودٍ ، وَأَجَلٍ مَحْدُودٍ ، فَلَا بُدَّ لِلْأَجَلِ أَنْ يَنْتَاهِيَ ، وَلِلنَّفْسِ أَنْ يُحْصَى ، وَلِلْأَمَلِ أَنْ يَنْقُضَى ، ثُمَّ قَرَأَ : ﴿ وَإِنَّ عَلَيْكُمْ لِحَافِظِينَ * كِرَامًا كَاتِبِينَ ﴾ (١) .

٢٢٤ — اللَّهُمَّ لَا تَجْعَلِ الدُّنْيَا لِي سِجْنًا ، وَلَا فِرَاقَهَا عَلَيَّ حُزْنًا ؛ أَعُوذُ بِكَ مِنْ دُنْيَا تُخْرِمُنِي الْآخِرَةَ ، وَمِنْ أَمَلٍ يَحْرِمُنِي الْعَمَلَ ، وَمِنْ حَيَاةٍ تُخْرِمُنِي خَيْرَ الْمَمَاتِ .

٢٢٥ — تَعَصَّرُوا بِالْإِسْتِغْفَارِ لَا تَفْضَحْكُمْ رَائِحَةُ الذُّنُوبِ .

٢٢٦ — لِلنِّسْكَاتِ غَايَاتٌ تَنْتَهِي إِلَيْهَا ، وَدَوَاوِهَا الصَّبْرُ عَلَيْهَا وَتَرْكُ الْحِيلَةِ فِي إِزَالَتِهَا ؛ فَإِنَّ الْحِيلَةَ فِي إِزَالَتِهَا قَبْلَ انْقِضَاءِ مَدَّتِهَا سَبَبٌ لَزِيادَتِهَا .

٢٢٧ — لَا يَرْضَى عَنْكَ الْحَاسِدُ حَتَّى يَمُوتَ أَحَدُكُمَا .

٢٢٨ — لَا يَكُونُ الرَّجُلُ سَيِّدَ قَوْمِهِ حَتَّى لَا يُبَالِيَ أَى ثَوْبِيَّةٍ لَبَسَ !

٢٢٩ — كُتِبَ إِلَى عَامِلٍ لَهُ : اْعْمَلْ بِالْحَقِّ لِيَوْمٍ لَا يَقْضَى فِيهِ إِلَّا بِالْحَقِّ .

٢٣٠ — نَظَرَ إِلَى رَجُلٍ يَغْتَابُ آخَرَ عِنْدَ ابْنِهِ الْحَسَنِ ، فَقَالَ : يَا بَنِيَّ نَزَّهُ سَمْعَكَ عَنْهُ ؛ فَإِنَّهُ نَظَرَ إِلَى أَخْبَثَ مَا فِي وَعَائِهِ فَأَفْرَغَهُ فِي وَعَائِكَ .

٢٣١ — احْذَرُوا الْكَلَامَ فِي مَجَالِسِ الْخَوْفِ ، فَإِنَّ الْخَوْفَ يَذْهَلُ الْعَقْلَ الَّذِي مِنْهُ تَسْتَمِدُّ وَتَشْفَعُهُ بِحِرَاسَةِ النَّفْسِ عَنْ حِرَاسَةِ الْمَذْهَبِ الَّذِي تَرُومُ نُصْرَتَهُ . وَاحْذَرِ الْغَضَبَ مَنْ يَحْمِلُكَ عَلَيْهِ ؛ فَإِنَّهُ مِمَّتٌ لِلْخَوَاطِرِ (٢) ، مَانِعٌ مِنَ التَّنَبُّثِ . وَاحْذَرِ مَنْ تَبَغَّضَهُ فَإِنَّ بَغْضَكَ لَهُ يَدْعُوكَ إِلَى الضَّجْرِ بِهِ ؛ وَقَلِيلُ الْغَضَبِ كَثِيرٌ فِي أَذَى النَّفْسِ وَالْعَقْلِ ، وَالضَّجْرُ مُضِيقٌ

لِلصِّدْرِ ، مُضَعَفٌ لِقُوَى الْعَقْلِ ؛ وَاحْذَرِ الْحَافِلَ الَّتِي لَا أَنْصَافَ لِأَهْلِهَا فِي التَّسْوِيَةِ بَيْنَكَ وَبَيْنَ خَصْمِكَ فِي الْإِقْبَالِ وَالِاسْتِمَاعِ ، وَلَا أَدَبَ لَهُمْ يَمْنَعُهُمْ مِنْ جَوْرِ الْحُكْمِ لَكَ وَعَلَيْكَ .
وَاحْذَرِ حِينَ تَظْهَرُ الْعَصْبِيَّةُ لَخَصْمِكَ بِالْإِعْتِرَاضِ عَلَيْكَ وَتَشِيدُ قَوْلَهُ ^(١) وَحِجَّتَهُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَهْبِجُ الْعَصْبِيَّةَ وَالْإِعْتِرَاضَ عَلَى هَذَا الْوَجْهِ يَخْلِقُ الْكَلَامَ ، وَيُذْهِبُ بِهِجَةَ الْمَعَانِي .
وَاحْذَرِ كَلَامَ مَنْ لَا يَفْهَمُ عَنْكَ فَإِنَّهُ يُضْجِرُكَ ؛ وَاحْذَرِ اسْتِصْفَارَ الْخَصْمِ فَإِنَّهُ يَمْنَعُ مِنَ التَّحَفُّظِ ؛ وَرُبَّ صَغِيرٍ غَلَبَ كَبِيرًا !

٢٣٢ — لَا تَقْبَلِ الرِّيَاسَةَ عَلَى أَهْلِ مَدِينَتِكَ ؛ فَإِنَّهُمْ لَا يَسْتَقِيمُونَ لَكَ إِلَّا بِمَا تَخْرُجُ بِهِ مِنْ شَرْطِ الرِّئِيسِ الْفَاضِلِ .

٢٣٣ — لَا تَهْزَأْ بِخَطَا غَيْرِكَ ؛ فَإِنَّ الْمُنْطِقَ لَا يَمْلِكُهُ ، وَأَقْبَلَ مِنَ الْخَطَا الَّذِي أَنْتَ فِيهِ بِقَدْرِ الصَّبْرِ وَاجْعَلِ الْعِفْلَ وَالْحَقَّ إِمَامِيكَ تَنْزِلُ الْبَغْيَةَ بِهِمَا .

٢٣٤ — الرَّأْيُ يُرِيكَ غَايَةَ الْأَمْرِ مَبْدَأُهُ .

٢٣٥ — الْخَيْرُ مِنَ النَّاسِ مَنْ قَدَرَ عَلَى أَنْ يَصْرِفَ نَفْسَهُ كَمَا يَشَاءُ وَيُدْفَعُهَا عَنِ الشَّرُّورِ ، وَالشَّرَّيرُ مَنْ لَمْ يَكُنْ كَذَلِكَ .

٢٣٦ — الشَّاطِطَانُ الْفَاضِلُ هُوَ الَّذِي يَحْرُسُ الْفَضَائِلَ وَيَجُودُ بِهَا لِمَنْ دُونَهُ وَبِرْعَاهَا مِنْ خَاصَّتِهِ وَعَامَّتِهِ ؛ حَتَّى تَكْثُرَ فِي أَيَّامِهِ ، وَيَتَحَسَّنَ بِهَا مَنْ لَمْ تَكُنْ فِيهِ .

٢٣٧ — لِلْكَرِيمِ رَبَاطَانُ أَحَدُهُمَا انْزَاعِيَّةُ صَدِيقِهِ وَذَوِي الْحَرَمَةِ بِهِ ، وَالْآخَرُ الْوَفَاءُ لِمَنْ أَلْزَمَهُ الْفَضْلَ مَا يَحِبُّ لَهُ عَلَيْهِ .

٢٣٨ — إِذَا تَحَرَّكَتْ صُورَةُ الشَّرِّ ؛ وَلَمْ تَظْهَرْ وَلَدَتْ الْفَرْعَ ؛ فَإِذَا ظَهَرَتْ وَلَدَتْ الْأَلْمَ ؛ وَإِذَا تَحَرَّكَتْ صُورَةُ الْخَيْرِ وَلَمْ تَظْهَرْ وَلَدَتْ الْفَرْجَ ، فَإِذَا ظَهَرَتْ وَلَدَتْ اللَّذَّةَ .

(١) قوله : « وَتَشِيدُ قَوْلَهُ » أى تحصينها وصونها عن تطرق الخلل إليها ، وأصل التشيد علاء الحائط بالجص والطين لئلا يبق به ثقب .

٢٣٩ — الفرقُ بين الاقتصادِ والبُخلِ أن الاقتصادَ تَمَسُّكَ الإنسانُ بما في يده خوفاً على حريتهِ وجاهه من المسألة ؛ فهو يضع الشيءَ موضعه ، ويصبر عما لا تدعو ضرورةً إليه ، ويصل صغير برّه بعظيم بشره ؛ ولا يستكثر من المودات خوفاً من فرط الإجحاف به ، والبخل لا يكافئ على ما يسدى إليه ، ويمنع أيضاً اليسير من استحقاق الكثير ، ويصبر لصغير ما يجري عليه على كثيرٍ من الذلّة .

٢٤٠ — لا تحتقرن صغيراً يمكن أن يكبر ، ولا قليلاً يمكن أن يكثر .

٢٤١ — ما زلتُ مظلوماً منذ قبض الله نبيه حتى يوم الناس هذا ؛ ولقد كنت أظلم قبل ظهور الإسلام ؛ ولقد كان أخى عقيلٌ ، يذنبُ أخى جعفرَ فيضربُ بنى .

٢٤٢ — لو كسرت لى الوسادة لقضيت بين أهل التوراة بتوراتهم ، وبين أهل الإنجيل بإنجيلهم ؛ وبين أهل الفرقان بفرقانهم ؛ حتى تزهر^(١) تلك القضايا إلى الله عزَّ وجلَّ وتقول: يارب؛ إن علياً قضى بين خاقلك بقضائك .

٢٤٣ — مرَّ بدارٍ بالكوفة في مُرادٍ تبنى فوقعت منها شطيّة^(٢) على صاعته فادمتها ، فقال : ما يومى من مُرادٍ بواحدٍ ! اللهم لا ترفمها ، قالوا : فوالله لقد رأينا تلك الدار بين الدور كالشاة الجماء^(٣) بين الغنم ذوات القرون .

٢٤٤ — أقتلُ الأشياءَ لعدوك ألا تعرفهُ أنك اتخذته عدواً .

٢٤٥ — الخيرةُ في تركِ الطيرة .

٢٤٦ — قيل له في بعض الحروب : إن جالت الخيلُ أين نطأ بك ؟ قال : حيثُ تركتمونى .

٢٤٧ — شَفِيعُ المذنبِ إقراره ، وتوبتهُ اعتذاره .

(١) ترهر : تضىء وتتلأأ .

(٢) الشطيّة : الفلقة من العصا .

(٣) شاة جماء : لا قرون لها .

٢٤٨ — قصمَ ظهري رجالان : جاهل متنسك^(١) وعالمٌ متبتهك^(٢).

٢٤٩ — ألا أخبركم بذات نفسي ! أما الحسن فقتي من الفتیان ، وصاحبُ جفنةٍ وخوان ؛ ولو التقت حلقتا البطان^(٣) لم يغن عنكم في الحرب غناء عصفورٍ ، وأما عبدُ الله بن جعفر فصاحبُ هوٍ وظلٍّ باطل ، وأما أنا والحسينُ فنحن منكم وأنتم منا .
٢٥٠ — قال في المنبرية : صار تُمنُّها تُسمًا على البدية^(٤) وهذا من العجائب .

٢٥١ — جاء الأشعثُ إليه وهو على المنبر ، فجعل يتخطى رِقاب النَّاسِ حتى قُرِبَ منه ثمَّ قال : يا أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ ، غلبتنا هذه الحمراء على قُرْبِكَ - يعني العجم - فركض المنبر برجله ، حتى قال صَعَصَعَةٌ بنُ صُوحان : مالنا وللأشعث ! ليقولَنَّ أمير المؤمنين عليه السلام في العرب قولاً لا يزال يُذكرُ ؛ فقال عليه السلام : مَنْ يَعْذِرُنِي مِنْ هَؤُلَاءِ الضَّيَاطِرَةِ ! يَتَمَرَّغُ أَحَدُهُمْ عَلَى فَرَّاشِهِ تَمَرَّغَ الْحَمَارِ ،^(٥) وَيَهْجُرُ قَوْمًا لِلذِّكْرِ ؛ أَقْتًا مُرُوتِي أَنْ أَطْرِدَهُمْ ! مَا كُنْتُ لِأَطْرِدَهُمْ فَأَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ ! أما والذي فلق الحَبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ، لِيَضْرِبَنَّكُمْ عَلَى الدِّينِ عَوْدًا كَمَا ضَرَبْتُمُوهُمْ عَلَيْهِ بَدَأَ .

٢٥٢ — كان إذا رأى ابْنَ مُلْجَمٍ ، يقول : أُرِيدُ حَيَاتَهُ^(٥) ... البيت ؛ فيقال له : فاقْتله ، فيقول : كيف أَقْتَلُ قَاتِلِي !

٢٥٣ — إلهي ما قدر ذُنُوبٌ أَقَابِلُ بِهَا كَرَمَكَ ، وما قدَرُ عِبَادَةٍ أَقَابِلُ بِهَا نِعَمَكَ ! وإني لأرجو أن تَسْتَغْفِرَ ذُنُوبِي فِي كَرَمِكَ ، كما اسْتَغْفَرْتَ أَعْمَالِي فِي نِعَمِكَ .

(١) المتنسك : متكلف النسك والتقوى .

(٢) التقت حلقتا البطان : مثل ؛ والبطان : الخزام الذي يجعل تحت بطن البعير ، فإذا التقت حلقتاه دل على اضطراب العقد وانحلالها .

(٣) المنبرية : إشارة إلى مسألة من مسائل الميراث .

(٤) الضيطر : الرجل الفخم الذي لا غناء عنده ، وجمعه ضياطر .

(٥) يشير إلى قول عمرو بن معديكرب :

أُرِيدُ حَيَاتَهُ وَيُرِيدُ قَتْلِي عَذِيرَكَ مِنْ خَائِلِكَ مِنْ مَرَادٍ

- ٢٥٤ — إذا غضب الكريمُ فأبْنِ له الكلام ، وإذا غضب اللئيمُ نَحْذِلْه العصا .
- ٢٥٥ — غضب العاقل في فعله ، وغضب الجاهل في قوله .
- ٢٥٦ — رأى رجلاً يُحَدِّثُ مُنْكَرَ الحديث ، فقال : يا هذا ، أنصف أذُنَيْكَ مِنْ فَمِكَ ؛ فإنما جعل الأذنان اثنتين ، والفم واحداً ، ليسمع أكثر مما يقول .
- ٢٥٧ — إِيَّاكَ وكثرة الاعتذار ؛ فإن الكذب كثيراً ما يُخَالِطُ المعاذير .
- ٢٥٨ — اشكر لمن أنعم عليك وأنعم على مَنْ شَكَرَكَ .
- ٢٥٩ — سَلْ مَسْأَلَةَ الْحَقِّ (١) واحفظ حفظ الأكياس .
- ٢٦٠ — مرُّوا بالأحداث بالمرء والجَدَّال ، والكهول بالفكر ، والشيوخ بالصمت .
- ٢٦١ — عوِّذْ نَفْسَكَ الصَّبْرَ على جايِسِ السوء ؛ فليس يكاد يُخْطِئُكَ .
- ٢٦٢ — يَا بَنِيَّ إِنَّ الشَّرَّ تَارِكُكَ إِنْ تَرَكْنَاهُ .
- ٢٦٣ — لَا تَطْلُبُوا الْحَاجَةَ إِلَى ثَلَاثَةِ : إِلَى الْكَذُوبِ ، فَإِنَّهُ يَقْرُبُهَا وَإِنْ كَانَتْ بَعِيدَةً ، وَلَا إِلَى أَحَقِّ ؛ فَإِنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَنْفَعَكَ فَيُضِرَّكَ ، وَلَا إِلَى رَجُلٍ لَهُ إِلَى صَاحِبِ الْحَاجَةِ حَاجَةٌ ؛ فَإِنَّهُ يَحْمِلُ حَاجَتَكَ وَقَايَةَ لِحَاجَتِهِ .
- ٢٦٤ — إِيَّاكَ وَصَدَرَ الْمَجْلِسِ فَإِنَّهُ مَجْلِسٌ قُلْعَةٌ (٢) .
- ٢٦٥ — احذروا صَوْلَةَ الْكَرِيمِ إِذَا جَاعَ وَصَوْلَةَ اللَّئِيمِ إِذَا شَبِعَ .
- ٢٦٦ — سِرُّكَ دَمَكٌ فَلَا تُجَرِّبْنَهُ إِلَّا فِي أَوْدَاجِكَ .
- ٢٦٧ — وَسُئِلَ عَنِ الْفَرْقِ بَيْنَ الْغَمِّ وَالْخَوْفِ ، فَقَالَ : الْخَوْفُ مُجَاهِدَةُ الْأَمْرِ الْخَوْفِ قَبْلَ وَقُوعِهِ ، وَالْغَمُّ مَا يَأْجِقُ الْإِنْسَانَ مِنْ وَقُوعِهِ .

(٢) مجلس قلعة ؛ إذا كان صاحبه يحتاج إلى القيام .

(١) الحق : ضعف العقل .

٢٦٨ — المعروف كنز فانظر عند من تودعه .

٢٦٩ — إذا أرسلت لبعير فلا تأت بثمر فيؤكل تمرُّك وتعنف على خلافك^(١) .

٢٧٠ — إذا وقع في يدك يومُ الشُّرورِ فلا تخله فإنك إذا وقعت في يدِ يومِ الغمِّ لم يَحُلِّك .

٢٧١ — إذا أردت أن تصادق رجلاً فانظر: من عدوه ؟

٢٧٢ — الانقباضُ من النَّاسِ مكسبةٌ للعداوةِ ، والانبساطُ حجابةٌ لقرينِ السوءِ ؛ فكن بينِ المنقبضِ والمسترسلِ ، فإن خيرَ الأمورِ أوساطها .

٢٧٣ — أنا عبد الله ، وأخو رسولِ الله ؛ لا يقولها بعدى إلا كذابٌ .

٢٧٤ — أخذ رسولُ الله صلى الله عليه وآله بيدي فهِزَّها ، وقال : ما أوَّلُ نعمةٍ أنعمَ اللهُ بها عليك ؟ قلتُ : أنْ خلَقني حيًّا ، وأقدَرَنِي ، وأكملَ حواسِّي ومشاعري وقوَّاي ، قال : ثم ماذا ؟ قلتُ : أن جعلني ذكراً ، ولم يجعلني أنثى ، قال والثالثةُ : قلت : أن هداني للإسلام ، قال : والرابعةُ ؟ قلت : ﴿ وإن تعدُّوا نعمة الله لا تحصوها ﴾^(٢) .

٢٧٥ — اللهم إني أسألك إيجابَ الخبتين ، وإخلاصَ الموقنين ، ومرافقةَ الأبرار ، والعزيمةَ في كلِّ برٍّ والسلامةَ من كلِّ إثمٍ ، والفوزَ بالجنةِ ، والنجاةَ من النارِ .

٢٧٦ — لما ضربه ابن ملجم وأوصى ابنه بما أوصاها قال لابن الحنفية : هل فهمت ما أوصيتُ به أخويك ؟ قال : نعم ، قال : فإني أوصيكُ بمثله وبتوقيرِ أخويك ، واتباعِ أمرها ، وألا تبزمَ أمراً دونهما . ثم قال لهما : أوصيكما به فإنه شقيقكما ، وابن أيسكما ، وقد علمتما أن أباكما كان يحبُّه فأحبَّاهُ .

٢٧٧ — أما هذا الأعور - يعني الأشعث - فإن الله لم يرفع شرفاً إلا حسده ، ولا أظهر فضلاً إلا عابه ، وهو يَمْنِي نفسه ويخدعها ، يخافُ ويرجو ، فهو بينهما لا يثقُ

بواحدٍ منهما ، وقد منَّ الله عليه بأن جملةُ جباناً ، ولو كان شجاعاً لقتلهُ الحقُّ ،
وأما هذا الأَكْثَفُ عندَ الجاهليَّةِ - يعني جريرَ بن عبد الله البجليِّ - فهو يرى كلَّ
أحدٍ دونهُ ، ويستصغرُ كلَّ أحدٍ ويحتقرُهُ ، قد ملئَ ناراً ، وهوَ مع ذلك يطلبُ رئاسةً ،
وبرُومُ إِمارةً ، وهذا الأعورُ يُفويه ويُطفيه ، إن حدثتهُ كَذْبُهُ ، وإن قامَ دُونُهُ
نَكَصَ عنه ، فهما كالشيطانِ إذ قالَ للإنسانِ : اكفُرْ فلما كَفَرَ قالَ إني بريءٌ
منك إني أخافُ اللهَ رَبَّ العالمينَ .

٢٧٨ — بُلُوغُ أَعْلَى المنازِلِ بغيرِ استحقاقٍ منْ أ كبرِ أسبابِ الهَلَكَةِ .

٢٧٩ — الكلمةُ إذا خرجتْ منَ القلبِ وقعتْ في القلبِ ، وإذا خَرَجَتْ منَ
اللسانِ لم تجاوزِ الآذانَ .

٢٨٠ — الكرمُ حسنُ الفِطنةِ ، واللؤمُ سوءُ النِّعافِ .

٢٨١ — أسوأُ النَّاسِ حالاً منْ اتَّسَعَتْ معرفتهُ ، وبَعُدَتْ هِمَّتُهُ ،
وضاقتْ قُدْرَتُهُ (١) .

٢٨٢ — أمران لا ينفكَّان من الكَذِبِ : كثرةُ المواعيدِ ، وشدةُ الاعتذارِ .

٢٨٣ — عادةُ النَّوْكِ (٢) الجلوسُ فوقَ القدرِ ، والحِجْيُ في غيرِ الوقتِ .

٢٨٤ — العافيةُ لِلْمَلِكِ الخفيُّ .

٢٨٥ — سوءُ حملِ الغنيِّ يورثُ مقتناً ، وسوءُ حملِ الفاقةِ يضعُ شرفاً .

٢٨٦ — لا ينبغي لأحدٍ أن يدَعَ الحزَمَ لظفرٍ ناله عاجزٌ ، ولا يسامحَ نفسه في

التفريطِ لنسكةٍ دخلتْ على حازِمٍ .

٢٨٧ — ليس من حسنِ التوكلِ أن يقالَ عَثْرَةٌ ، ثم يركبها ثانيةً .

(١) هذه الحكمة ساقطة من ب ، وأثبتها من ا ، د (٢) التوك : الخلق .

٢٨٨ — سوء القالة في الإنسان إذا كان كذباً نظير الموت لفساد ديناه ؛ فإن كان صدقاً فأشدُّ من الموت لفساد آخرته .

٢٨٩ — ترضى الكرام بالكلام ، وتصاد اللئام بالمال ، وتستصلح السفلة بالهوان .

٢٩٠ — لا يزال المرء مستمراً ما لم يعثر ، فإذا عثر مرةً لَجَّ به العشار ولو كان في جدِّ .

٢٩١ — المتواضع كالوهدّة يجتمع فيها قطرُها وقطرُ غيرها ، والمنكبر كالربوة لا يقرُّ عليها قطرُها ، ولا قطرُ غيرها .

٢٩٢ — لا يصبر على الحرب ويصدق في اللقاء إلا ثلاثة : مستبصر في دين ، أو غيران على حرمة ، أو ممتعض من ذلِّ .

٢٩٣ — مجاوزتك ما يكفيك فقرٌ لا منتهى له .

٢٩٤ — قيل له : أى الأمور أعجلُ عقوبةً ، وأسرع لصاحبها صرعةً ؟ فقال : ظلم من لا ناصر له إلا الله ، ومجازاة النعم بالتقصير ، واستطالة الغنى على الفقير .

٢٩٥ — الجماع للمحن جماعٌ ، وللخيرات مناعٌ ؛ حياء يرتفع ، وعورات تجتمع ؛ أشبه شيء بالجنون ؛ ولذلك حجب عن العيون ، نتيجه وأد فتون ، إن عاش كدّ ، وإن مات هدّ .

٢٩٦ — ماشى أهون من ورع ؛ إذا رابك أمر فدعه .

٢٩٧ — إذا أتى على يوم لا أزداد فيه عملاً يقربني إلى الله ، فلا بورك لي في طلوع شمس ذلك اليوم .

٢٩٨ — أشرف الأشياء العلم ؛ والله تعالى عالمٌ يحبُّ كل عالمٍ .

٢٩٩ — لَيْتَ شَعَرَى أَىَّ شَىءٍ أَدْرَكَ مِنْ فَاتِهِ الْعِلْمُ ! بَلْ أَىَّ شَىءٍ فَاتَ مِنْ
أَدْرَكَ الْعِلْمُ !

٣٠٠ — لَا يَسْوُدُّ الرَّجُلَ حَتَّى لَا يُبَالَى فِي أَىِّ ثَوْبِيهِ ظَهَرَ .

٣٠١ — سَمِعَ رَجُلًا يَدْعُو لِصَاحِبِهِ ، فَقَالَ : لَا أَرَاكَ اللَّهُ مَكْرُوهًا ، فَقَالَ : إِنَّمَا
دَعَوْتُ لَهُ بِالْمَوْتِ ، لِأَنَّ مِنْ عَاشَرَ فِي الدُّنْيَا لَا بُدَّ أَنْ يَرَى الْمَكْرُوهَ .

٣٠٢ — مِنْ صِفَةِ الْعَاقِلِ أَلَّا يَتَحَدَّثَ بِمَا يُسْتَطَاعُ تَكْذِيبُهُ فِيهِ .

٣٠٣ — السَّعِيدُ مِنْ وَعْظٍ بِغَيْرِهِ ، وَالشَّقِيُّ مِنْ أَنْعَظَ بِهِ غَيْرُهُ .

٣٠٤ — ذُو الْهَمَّةِ وَإِنْ حَطَّ نَفْسَهُ بِأَبَى إِلَّا عُلُوًّا ، كَالشَّعْلَةِ مِنْ النَّارِ يَحْفِيهَا صَاحِبُهَا ،
وَتَأْتِي إِلَّا بِإِرْتِفَاعٍ .

٣٠٥ — الدِّينُ غُلَّةُ اللَّهِ فِي أَرْضِهِ ، إِذَا أَرَادَ أَنْ يُذِلَّ عَبْدًا جَعَلَهُ فِي عُنْقِهِ .

٣٠٦ — الْعَاقِلُ إِذَا تَكَلَّمَ بِكَلِمَةٍ أَتْبَعَهَا حِكْمَةً وَمَثَلًا ، وَالْأَحْمَقُ إِذَا تَكَلَّمَ
بِكَلِمَةٍ أَتْبَعَهَا حِلْفًا .

٣٠٧ — الْحَرَكَةُ لِقَاحُ الْجَدِّ الْعَظِيمِ ^(١) .

٣٠٨ — ثَلَاثَةٌ لَا يُسْتَحَى مِنَ الْخِثْمِ عَلَيْهَا : الْمَالُ لِنَفِي التَّهْمَةِ ، وَالْجَوْهَرُ لِنَفَاسَتِهِ ،
وَالدَّوَاءُ لِلْإِحْتِيَاطِ مِنَ الْعَدُوِّ .

٣٠٩ — إِذَا أَيْسَرَتْ فَكُلُّ الرِّجَالِ رَجَالُكَ ، وَإِذَا أَعْسَرَتْ أَنْكَرُكَ أَهْلُكَ .

٣١٠ — مِنَ الْحِكْمَةِ جَعَلَ الْمَالَ فِي أَيْدِي الْجَهَالِ فَإِنَّهُ لَوْ خُصَّ بِهِ الْعُقَلَاءُ لَمَاتَ

(١) هذه الحكمة ساقطة من ١

الجمالُ جُوعاً، ولكنهُ جُمِلَ في أيدي الجهالِ ، ثم استنزلهُ عنه العقلاءُ
بلطفهم وفطنتهم .

٣١١ — مَرَدُّ أَحَدٍ أَحَدًا عَنْ حَاجَةِ الْأَوْتَبَيْنِ العُرَى فِي قَفَاهُ ، وَالذِّكُّ فِي وَجْهِهِ .

٣١٢ — ابْتِدَاءُ الصَّنِيعَةِ نَافِلَةٌ ، وَرَبِّهَا ^(١) فَرِيضَةٌ .

٣١٣ — الْحَاسِدُ الْمُبْطِنُ لِلْحَسَدِ كَالنَّحْلِ يَمِجُّ الدَّوَاءَ ، وَيَبْطِنُ الدَّاءَ .

٣١٤ — الْحَاسِدُ يَرَى زَوَالَ نِعْمَتِكَ نِعْمَةً عَلَيْهِ .

٣١٥ — التَّوَاضُعُ إِحْدَى مَصَائِدِ الشَّرَفِ .

٣١٦ — تَوَاضَعُ الرَّجُلُ فِي مَرْتَبَتِهِ ذَبٌّ لِلشَّمَاتَةِ عَنْهُ عِنْدَ سَقَطَتِهِ .

٣١٧ — رُبَّ صَلاَفٍ أَذَى إِلَى تَلَفٍ .

٣١٨ — سُوءُ الْخَلْقِ يُعَذِّبُ ؛ وَذَلِكَ أَنَّهُ يَدْعُو صَاحِبَكَ إِلَى أَنْ يَقَابِلَكَ بِمِثْلِهِ .

٣١٩ — الْمَرْوَةُ التَّامَةُ مُبَايَنَةُ الْعَامَةِ .

٣٢٠ — أَسْوَأُ مَا فِي الْكَرِيمِ أَنْ يَمْنَعَكَ نَدَاهُ ، وَأَحْسَنُ مَا فِي اللَّئِيمِ أَنْ يَكْفَ

عَنْكَ أَذَاهُ .

٣٢١ — السَّفَلَةُ إِذَا تَعَلَّمُوا تَكَبَّرُوا ، وَإِذَا تَمَوَّلُوا اسْتَطَالُوا ، وَالْعِلْيَةُ إِذَا تَعَلَّمُوا

تَوَاضَعُوا ، وَإِذَا افْتَقَرُوا صَالُوا .

٣٢٢ — ثَلَاثٌ لَا يُسْتَصْلَحُ فُسَادُهُنَّ بِحِيلَةٍ أَضْلًا : الْعَدَاوَةُ بَيْنَ الْأَقَارِبِ ،

وَتَحَاسُدُ الْأَكْفَاءِ ، وَرَكَكَةُ الْمُلُوكِ .

٣٢٣ — السُّخَى شُجَاعُ الْقَلْبِ ، وَالْبَخِيلُ شُجَاعُ الْوَجْهِ .

٣٢٤ — العزلة توفر العرض وتسترفاقه ، وترفع ثقل الكفاة .

٣٢٥ — ما احتك أحد قط إلا أحب الخلوة والعزلة .

٣٢٦ — خير الناس من لم تجر به .

٣٢٧ — الكريم لا يلين على قسر ، ولا يقسو على يسر .

٣٢٨ — المرأة إذا أحببت آذتك وإذا أبغضت خانتك وربما قتلتك ؛ فحبها أذى ،

وبغضها داء بلا دواء .

٣٢٩ — المرأة تكتم الحب أربعين سنة ، ولا تكتم البغض ساعة واحدة .

٣٣٠ — الممتحن كالمختنق ؛ كلما ازداد اضطراباً ازداد اختناقاً .

٣٣١ — كل ما لا ينتقل بانتقالك من مالك فهو كفيل بك .

٣٣٢ — أجل ما ينزل من السماء التوفيق ، وأجل ما يصعد من

الأرض الإخلاص .

٣٣٣ — اثنان يهون عليهما كل شيء : عالم عرف العواقب ، وجاهل يجهل

ما هو فيه .

٣٣٤ — شر من الموت ما إذا نزل تمنيت بنزوله الموت ، وخير من الحياة ما إذا

فقدته أبغضت لفقدته الحياة .

٣٣٥ — ما وضع أحد يده في طعام أحد إلا ذل له .

٣٣٦ — المرأة كالنعل يلبسها الرجل إذا شاء ، لا إذا شاءت .

٣٣٧ — أبصر الناس لعوار الناس الممور .

٣٣٨ — العجب ممن يخاف عقوبة السلطان وهي منقطعة ، ولا يخاف عقوبة

الديان وهي دائمة .

٣٣٩ — من عرف نفسه فقد عرف ربه .

٣٤٠ — من عجز عن معرفة نفسه فهو عن معرفة خالقه أعجز .

٣٤١ — لو تكاشفتُم لما تدافنتُم .

٣٤٢ — شيطان كل إنسان نفسه .

٣٤٣ — إن لم تعلم من أين جئت ، لم تعلم إلى أين تذهب !

٣٤٤ — غاية كل مُتعمِّق في معرفة الخالق سبحانه الاعتراف بالقصور

عن إدراكها .

٣٤٥ — الكمال في خمس : ألا يعيب الرجل أحداً يعيب فيه مثله حتى يصلح

ذلك العيب من نفسه ؛ فإنه لا يفرغ من إصلاح عيب من عيوبه حتى يهجم على آخر فتشغله عيوبه عن عيوب الناس ، وألا يطلق لسانه ويده حتى يعلم أفي طاعة ذلك أم في معصية ، وألا يلتبس من الناس إلا ما يعطيهم من نفسه مثله ، وأن يسام من الناس باستشعار مداراتهم وتوفيتهم حقوقهم ، وأن يُنفق الفضل من ماله ، ويمسك الفضل من قوله .

٣٤٦ — صديق البخيل من لم يجربهُ .

٣٤٧ — من الخيط الضعيف يقتل الحبل الخفيف ، ومن مقدحة^(١) صغيرة تَحترق

مدينة كبيرة ، ومن لبننة^(٢) لبننة^(٢) تُبنى قرية حصينة .

٣٤٨ — محب الدراهم معذور وإن أذنته من الدنيا ؛ لأنها صانته عن

أبناء الدنيا .

(١) المقدحة : ما يقدح بها النار .

(٢) اللبنة : التي يبني بها .

٣٤٩ — عجباً لمن قيل فيه الخير وليس فيه كيف يفرح ! وعجباً لمن قيل فيه الشر وليس فيه كيف يغضب !

٣٥٠ — ثلاث موبات : الكبير فإنه حطّ إبليس عن مرتبته ، والحرص فإنه أخرج آدم من الجنة ، والحسد فإنه دعا ابن آدم إلى قتل أخيه .

٣٥١ — الفطام عن الخطام شديد^(١) .

٣٥٢ — إذا أقبلت الدنيا أقبلت على حمار قطوف ، وإذا أدبرت أدبرت على البراق .

٣٥٣ — أصاب متأمل أو كاد ، وأخطأ مستعجل أو كاد .

٣٥٤ — ستة لا تخطئهم الكتابة : فقير حديث عهد بغنى ، ومكثر يخاف على ماله ، وطالب مرتبة فوق قدره ، والحسود ، والحقود ، ومخالط أهل الأدب وليس بأديب .

٣٥٥ — طلبت الراحة لنفسى فلم أجد شيئاً أروح من ترك ما لا يعينى ، وتوحشت في القفر الباقع فلم أر وحشة أشد من قرين السوء ، وشهدت الزحوف^(٢) ولقيت الأقران فلم أر قرناً أغاب من المرأة ، ونظرت إلى كل ما يذل العزيز ويكسرُهُ ، فلم أر شيئاً أذلّ له ولا أكر من الفاقة .

٣٥٦ — أول رأى العاقل آخر رأى الجاهل .

٣٥٧ — المسترشد موثق ، والمحترس ملقى .

٣٥٨ — الحر عبد ما طمع ، والعبد حر ما قنع .

(١) ب : « شد » .

(٢) زحف إليه : خف ومضى ، والزحف : الجيش يمضى إلى العدو .

٣٥٩ — ما أَحْسَنَ حُسْنَ الظَّنِّ إِلَّا أَنْ فِيهِ الْعَجَزَ ، وما أَقْبَحَ سُوءَ الظَّنِّ إِلَّا أَنْ فِيهِ الْحَزَمَ !

٣٦٠ — ما الْحِيلَةُ فِيمَا أَعْنَى^(١) إِلَّا الْكَفُّ عَنْهُ ، ولا الرَّأْيُ فِيمَا يُنَالُ إِلَّا الْيَأْسُ مِنْهُ .

٣٦١ — الْأَحْمَقُ إِذَا حُدِّثَ ذَهَلَ ، وَإِذَا حَدَّثَ عُجِلَ ، وَإِذَا حُجِلَ عَلَى الْقَبِيحِ فَعَلَ .

٣٦٢ — إِبْتِاتِ الْحُجَّةَ عَلَى الْجَاهِلِ سَهْلٌ ؛ وَلَكِنْ إِقْرَارُهُ بِهَا صَعْبٌ

٣٦٣ — كَمَا تُعْرَفُ أَوَانِي الْفَخَّارِ بِامْتِحَانِهَا بِأَصْوَاتِهَا فَيَعْلَمُ الصَّحِيحُ مِنْهَا مِنَ الْمَكْسُورِ ، كَذَلِكَ يُمْتَحَنُ الْإِنْسَانُ بِمَنْطِقِهِ فَيَعْرِفُ مَا عِنْدَهُ .

٣٦٤ — اِحْتِمَالُ الْفَقْرِ أَحْسَنُ مِنْ اِحْتِمَالِ الذُّلِّ ، لِأَنَّ الصَّبْرَ عَلَى الْفَقْرِ قَنَاعَةٌ ؛ وَالصَّبْرَ عَلَى الذُّلِّ ضَرَاةٌ^(٢) .

٣٦٥ — الدُّنْيَا حَقَاءُ لَا تَمِيلُ إِلَّا إِلَى أَشْبَاهِهَا .

٣٦٦ — السَّفَرُ مِيزَانُ الْأَخْلَاقِ .

٣٦٧ — الْعَقْلُ مَلِكٌ وَالْحَصَالُ رَعِيَّتُهُ ، فَإِذَا ضَعُفَ عَنِ الْقِيَامِ عَلَيْهَا وَصَلَ اتَّخَلَّلَ إِلَيْهَا .

٣٦٨ — الْكَذَّابُ يُخَيِّفُ نَفْسَهُ وَهُوَ آمِنٌ .

٣٦٩ — لَوْلَا ثَلَاثٌ لَمْ يُسَلَّلْ سَيْفٌ : سِلَاحٌ أَدَقُّ مِنْ سِلَاحٍ ، وَوَجْهٌ أَضْبَحُ مِنْ وَجْهِ ، وَلُقْمَةٌ أَسْوَغُ مِنْ لُقْمَةٍ .

٣٧٠ — قَدْ يَحْسُنُ الْاِمْتِنَانُ بِالنِّعْمَةِ وَذَلِكَ عِنْدَ كُفْرَانِهَا ، وَلَوْلَا أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ

(٢) ضَرَعَ إِلَيْهِ ضَرَاةً : ذَلَّ وَخَضَعَ .

(١) : « أَعْنَى » .

كفروا النعمة لما قال الله لهم : ﴿ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ ﴾ (١) .

٣٧١ — إذا تنهى النعم انقطع الدمع .

٣٧٢ — إذا وُلِّيَ صديقك ولايةً فأصبته على العُشرِ من صدأقتِه فليس

بصاحبِ سوء .

٣٧٣ — أعجبُ الأشياءِ بديهيةُ أمنٍ وردَّتْ في مقامِ خوفٍ .

٣٧٤ — الحرصُ محرمةٌ (٢) والجنبُ مقتلةٌ ، وإلا فانظر فيمن رأيت وسمعت : أمنٌ

قُتِلَ في الحربِ مُقبلاً أكثرُ ، أم من قُتِلَ مُذْبِراً ! وانظر : أمنٌ يطلبُ بالإجمالِ والتكبرُّمِ
أحقُّ أن تسخو نفسك له أم من يطلبُ بالشرِّ والحرصِ !

٣٧٥ — إذا كان العقل تسعة أجزاء احتاج إلى جزءٍ من جهل ليُقدِّم به صاحبه على

الأمور ، فإنَّ العاقل أبداً متوانٍ مترقب متخوِّف .

٣٧٦ — عملُ الرَّجُلِ بما يعلمُ أنه خطأ هوى ، والهوى آفةُ العفافِ ، وتركُ

العملِ بما يعلمُ أنه صوابٌ تهاونٌ ، والتهاونُ آفةُ الدينِ ، وإقدامه على مالا يدرى
أصوابٌ هو أم خطأ لجأجٌ ، واللجأجُ آفةُ العقلِ .

٣٧٧ — ضعفُ العقلِ أمانٌ من النعم .

٣٧٨ — لا ينبغي للعاقل أن يمدح امرأةً حتى تموتَ ، ولا طعاماً حتى يستمرئه ،

ولا صديقاً حتى يستقرضه ؛ وليس من حُسْنِ الجوارِ تركُ الأذى ، ولكن حُسْنُ
الجوارِ الصبرُ على الأذى .

٣٧٩ — لا يتأدبُ العبدُ بالكلامِ إذا وثقَ بأنه لا يُضربُ

٣٨٠ — الفرقُ بين المؤمن والكافر الصلاةُ ، فمن تركها وادعى الإيمان كذبه

فعله ، وكان عليه شاهدٌ من نفسه .

٣٨١ — من خاف الله خافه كل شيء .

٣٨٢ — من النقص أن يكون شفيئاً خارجاً عن ذاتك وصفاتك .

٣٨٣ — ويلي على العبد اللئيم ، عبد بنى ربيعة ! نزع به ^(١) عرق الشرِّك العبشيِّ إلى مساءتي ، وتذكُّر دَم الوليدِ وعتبة وشيبة أولى له ؛ والله ليريني في موقفٍ يسوءه ثم لا يجدُ هناك فلاناً وفلاناً - يعني سالماً مولى حذيفة .

٣٨٤ — أنا قاتلُ الأفران ، ومجدلُ الشجعان ، أنا الذي فقأت عينَ الشرِّك ، وثَلَّتُ عرشه ؛ غيرَ مُمتنٍّ على الله ببهادي ، ولا مُدِلٍّ إليه بطاعتي ؛ ولكن أُحدِّثُ بنعمةِ ربِّي .

٣٨٥ — الصَّومُ عبادةٌ بين العبدِ وخالقه ، لا يَطْلُعُ عليها غيره ، وكذلك لا يجازي عنها غيره .

٣٨٦ — طوبى لمن شغله عيبه عن عيوب الناس ! طوبى لمن لا يعرفُ الناسَ ولا يعرفُ الناسُ ! طوبى لمن كان حياً كميَّتٍ ، وموجوداً كعدوِّمٍ ؛ قد كفى جاره خيره وشره ، لا يسألُ عنِ الناس ، ولا يسألُ الناسُ عنه .

٣٨٧ — ما السيفُ الصارمُ في كَفِّ الشجاعِ بأعزَّ له من الصَّدقِ .

٣٨٨ — لا يكن فقرُك كُفراً ، وغناك طغياناً .

٣٨٩ — ثمرةُ القناعةِ الرَّاحةُ ، وثمرَةُ التَّواضعِ المحبةُ .

٣٩٠ — الكريمُ يلينُ إذا استعطِفَ ، واللئيمُ يقسو إذا لوطِفَ .

٣٩١ — أنكى لعدوِّك ألا تُريه أنك اتخذته عدواً .

٣٩٢ — عذابان لا يأبهُ الناسُ لهما : السفرُ البعيدُ ، والبناءُ الكثيرُ .

(١) نزع به عرق الشرِّك العبشيِّ : جذبه إليه . (٢) عبشي ، نسبة إلى عبد شمس .

٣٩٣ — ثلاثة يُؤثرون المالَ على أنفسهم : تاجر البحر ، وصاحب السلطان ،
والمرتشي في الحكم .

٣٩٤ — أعجزُ الناسِ مَنْ قَصَرَ في طلبِ الصديق ، وأعجزُ منه مَنْ
وَجَدَهُ فَضِيْعَهُ^(١) .

٣٩٥ — أشدُّ المشاقِّ وعدُّ كَذَابٍ لِحَرِيصٍ .

٣٩٦ — العاذات قاهراتٌ ، فمن اعتاد شيئاً في سرّه وخلوته فضحه
في جهره وعلايته .

٣٩٧ — الأخ البارّ مفيضُ الأسرار .

٣٩٨ — عدمُ المعرفة بالكتابة زمانةٌ خَفِيَّةٌ .

٣٩٩ — قديمُ الحرمةِ وحديثُ التوبةِ يمحقانِ ما بينهما من الإساءةِ .

٤٠٠ — رُكوبُ الخيلِ عزٌّ ، ورُكوبُ البراذينِ لَذَّةٌ ، ورُكوبُ البغالِ مَهْرَمَةٌ ،
ورُكوبُ الحميرِ مَذَلَّةٌ .

٤٠١ — العقلُ يظهرُ بالمعاملة ، وشيَمُ الرِّجالِ تُعرَفُ بالولايةِ .

٤٠٢ — قال له قائلٌ : علّمني الحلم ، فقال : هو الذُّلُّ ، فاصطبرْ عليه
إن استطعتَ .

٤٠٣ — قلتم : إن فلاناً أفادَ ما أعظيماً ؛ فهل أفادَ أيّاماً يُنفقهُ فيها !

٤٠٤ — عيادةُ النّوّكِ أشدُّ على المريضِ من وجعه .

٤٠٥ — المريضُ يعادُ ، والصحيحُ يزَارُ .

٤٠٦ — الشيء الذي لا يحسُنُ أن يقالَ وإن كان حقاً ، مدحُ الإنسانِ نفسهُ .

(١) هذه الحكمة ساقطة من ١ .

٤٠٧ — الشيء الذي لا يُستغنى عنه بحالٍ من الأحوالِ التوفيقُ .

٤٠٨ — أوسعُ ما يكونُ الكريمُ مغفرةً ، إذا ضاقتْ بالذنبِ المذرةُ .

٤٠٩ — سترُ ما عاينتَ أحسنُ منْ إشاعةِ ما ظننتَ .

٤١٠ — التكبرُ على المتكبرينَ هوَ التواضعُ بعينه .

٤١١ — إذا رفعتَ أحداً فوق قدره فتوقع منه أن يحطَّ منك بقدرِ

مارفعتَ منه .

٤١٢ — إساءةُ المحسنِ أن يمنعك جدواه ، وإحسانُ المسيء أن يكفَّ

عكَّ أذاهُ .

٤١٣ — اللهم إني أستعديك على قريش ؛ فإنهم أضمرُوا لِرَسُولِكَ صلى الله

عليه وآله ضروباً من الشرِّ والفدرِ ، فعجزوا عنها ؛ وحلَّتْ بينهم وبينها ؛ فكانتِ

الوجبةُ بي ، والدائرةُ على . اللهم احفظْ حسناً وحسيناً ، ولا تمكنْ خيرةَ قريشٍ

منهما مادمتُ حيّاً ، فإذا توفيتنِي فانتِ الرقيبُ عليهم ، وأنتِ على كُلِّ

شيءٍ شهيدٌ .

٤١٤ — قال له قائلٌ : يا أمير المؤمنين ، رأيتَ لو كان رسولُ الله صلى الله عليه

وآله تركَ ولداً ذكراً قد بلغَ الحلمَ ، وآنسَ منه الرشدَ ، أكانتِ العربُ تسلُّمُ إليه

أمرها ؟ قال : لا ، بل كانتِ تقتله إن لم يفعلْ ما فعلتُ ، إن العربَ كرهتْ أمرَ محمدٍ

صلى الله عليه وآله وحسدتهُ على ما آتاهُ اللهُ من فضله ، واستطالتْ أيامُهُ حتى قذفتْ

زوجتهُ ، ونفرتْ به ناقتهُ ، مع عظيمِ إحسانه إليها ، وجسيمِ مِنِّه عندها ، وأجمعتْ

مُذْكَانَ حياً على صرفِ الأمرِ عن أهلِ بيته بعد موته ؛ ولولا أن قريشاً جعلتْ اسمه

ذريعةً إلى الرئاسةِ ، وسلماً إلى العزِّ والإمرة ، لما عبدتِ اللهَ بعد موته يوماً واحداً ،

ولازتدت في حافرتها ، وعادَ قارحُها جَدَعًا ، وبازلُها ^(١) بَكَرًا ، ثم فتحَ اللهُ عليها
الْفُتُوحَ ، فأثرتْ بعدَ الفاقةِ ، وتموتْ بعدَ الجُهدِ والخمصةِ ^(٢) ؛ فحُسِنَ في غيوبِها منَ
الإسلامِ ما كانَ سَمِجًا ، وثبتَ في قلوبِ كثيرٍ منها منَ الدِّينِ ما كانَ مضطربًا ، وقالتْ :
لولا أَنَّهُ حقٌّ لما كانَ كذا ؛ ثم نسبتْ تلكَ الفتوحَ إلى آراءِ ولاتها ، وحُسِنَ تديرِ
الأمراءِ القاعمينَ بها ، فتأكَّدَ عندَ الناسِ نباهةُ قومٍ وخمولُ آخرين ؛ فكُنَّا نحنُ مَنْ
نخلُ ذكرُهُ ، وخبثُ نارهُ ، وانقطعَ صوتُهُ وصيتهُ ، حتى أَكلَ الدَّهرُ علينا وشربَ ،
ومضتِ السُّنُونُ والأحقابُ بما فيها ، وماتَ كثيرٌ ممنَ يُعرَفُ ، ونشأَ كثيرٌ ممنَ لا يُعرَفُ ؛
وما عسى أنْ يكونَ الولدُ لو كانَ ! إِنَّ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وآله لم يُقرِّبني
ماتعلمونه منَ القُرْبِ للنسبِ واللَّحْمَةِ ؛ بل للجهادِ والنصيحةِ ؛ أفترأهُ لو كانَ له ولدٌ هل
كانَ يفعلُ ما فعلتُ ! وكذلكَ لم يكنْ يَقْرَبُ ما قرَّبتْ ، ثم لم يكنْ عندَ قريشٍ والعربِ سببًا
لِلْحُظُوءَةِ والمنزلةِ ، بل للحرمانِ والجفوةِ . اللهمَّ إِنَّكَ تعلمُ أَنِّي لم أُرِدِ الإمرةَ ، ولا علوَّ
الملكِ والرياسةِ ؛ وإِنَّمَا أُرِدْتُ القيامَ بمحدودك ، والأداءَ لشرعك ، ووضعَ الأمورِ في
مواضعها ، وتوفيرَ الحقوقِ على أهلها ؛ والمُضَى على منهاجِ نبيِّكَ ، وإرشادَ الضَّالِّ
إلى أنوارِ هدايتك .

٤١٥ -- البرُّ ما سكنتَ إليه نفسُكَ ، واطمأنَّ إليه قلبُكَ ؛ والإثمُ ما جالَ في نفسك
وتردَّدَ في صدرك .

٤١٦ — الزكاةُ نقصٌ في الصورةِ ، وزيادةٌ في المعنى .

٤١٧ — ليس الصومُ الإمساكُ عن المأكَلِ والمشربِ ؛ الصومُ الإمساكُ عَن
كلِّ ما يكرههُ اللهُ سبحانه .

- ٤١٨ — إذا كان الراعى ذنباً ، فالشاةُ من يحفظها !
- ٤١٩ — كلَّ شيء يعصيك إذا أغضبتَهُ إلا الدنيا ، فإنها تطيعك إذا أغضبتَها .
- ٤٢٠ — رَبٌّ مغبوطٌ بنعمةٍ هيَ داوؤه ، ومَرَحومٌ من سقمٍ هو شفاؤه .
- ٤٢١ — إذا أرادَ اللهُ أنْ يسلطَ على عبدٍ عدوًّا لا يرحمه ساطعٌ عليه حاسداً .
- ٤٢٢ — شربُ الدَّواءِ للجسدِ كالصابونِ للشَّوْبِ ؛ يُنقىهِ ولكن يُخلِّقه .
- ٤٢٣ — الحسدُ خلقٌ ذنبيٌّ ؛ ومن دنايَتِهِ أنه موكلٌ بالأقربِ فالأقرب .
- ٤٢٤ — لو كانَ أحدٌ مكتفياً من العلمِ لا كتفى نبيُّ الله موسى ؛ وقد سمعتم قوله :
(هَلْ أَتَيْتُكُمْ عَلَى أَنْ تُعَلِّمِينَ مِمَّا عَلَّمْتُ رَشْداً)^(١) .
- ٤٢٥ — أَسْتَغْفِرُ اللهَ مِمَّا أَمْلَكُ ، واستصلحه فيما لا أملك .
- ٤٢٦ — إذا قعدتِ وأنتِ صغيرٌ حيثِ تحبُّ ، قعدتِ وأنتِ كبيرٌ حيثِ تكره .
- ٤٢٧ — الولدُ العاقُ كالإصبعِ الزائِدةِ ؛ إنْ تَرَكْتَ شانتَ ، وإنْ قطعتِ آلمتِ .
- ٤٢٨ — خَرَجَ العزُّ والغنىَ بجولانٍ ، فلقيا القناعةَ فاستقرَّا .
- ٤٢٩ — الصديقُ نسيبُ الرُّوحِ ؛ والأخُ نسيبُ الجسمِ .
- ٤٣٠ — جَزِيَةُ المؤمنِ كِرَاءُ منزله ، وعذابُهُ سوءُ خُلُقِ زوجته .
- ٤٣١ — الوَعْدُ وجهٌ والإنجازُ محاسنُهُ .
- ٤٣٢ — أَنعمُ النَّاسِ عيشاً مَنْ عاشَ في عيشِهِ غيرُهُ .
- ٤٣٣ — لا تشتمنَّ أحداً ، ولا تَرُدَّنَّ سائِلاً ؛ إمَّا هو كريمٌ تَسُدُّ خَلَّتَهُ ، أو لئيمٌ تشتري عِرْضَكَ منه .

٤٣٤ — النَّمَامُ سَهْمٌ قَاتِلٌ .

٤٣٥ — ثلاثةُ أشياء لا دوام لها : المال في يَدِ البَذْرِ ، وسحابة الصيف ،

وغضب العاشق .

٤٣٦ — الزَّاهِدُ في الدِّينار والدِّرْهم أعزُّ من الدِّينار والدرهم .

٤٣٧ — ربَّ حربٍ أَحْيَيْتَ بلفظةٍ ، وربَّ وُدٍّ غَرِسَ بلحظة .

٤٣٨ — إذا تزوَّج الرَّجُلُ فقد ركب البحر ، فإن وَلَدَ له فقد كَسَرَ به .

٤٣٩ — صلاحُ كلِّ ذى نعمةٍ في خلاف ما فسد عليه .

٤٤٠ — أنعم الناس عيشةً مَنْ تحلَّى بالعفاف ، ورضى بالكفاف^(١) ، وتجاوزَ

ما يخاف إلى ما لا يخاف .

٤٤١ — التَّوَّاضِعُ نعمةٌ لا يَفْطِنُ لها الحاسد .

٤٤٢ — ينبغى للعاقل أن يمنع معروفه الجاهل والثلثم والسفيه ؛ أما الجاهلُ فلا يعرف

المعروف ولا يشكر عليه ، وأما الثلثم فأَرْضُ سَبِيخةٍ لا تَنْبِتُ ، وأما السفيهُ فيقول : إنما أعطاني فَرَقًا من لساني .

٤٤٣ — خير العيش ما لا يُطْفِئُك ، ولا يلهيك .

٤٤٤ — ما ضرب الله العباد بسوط أَوْجَعَ من الفقر .

٤٤٥ — إذا أراد الله أن يزيل عَنْ عَبْدٍ نعمةً كان أول ما يغيِّرُ منه عَقْلُهُ .

٤٤٦ — خيرُ الدُّنْيَا والآخرةِ في خَصْلَتَيْنِ : الغِنَى والتَّقْوَى ، وشرُّ الدُّنْيَا والآخرةِ

في خَصْلَتَيْنِ : الفقرُ والفُجُورُ .

٤٤٧ — ثمانية إذا أهينوا فلا يلوموا إلا أنفسهم : الآتى طعاماً لم يُدْعَ إليه ،

والمُأْمَرُ عَلَى رَبِّ الْبَيْتِ فِي بَيْتِهِ ، وَطَالِبُ الْمَعْرُوفِ مِنْ غَيْرِ أَهْلِهِ ، وَالِدَاخِلُ بَيْنَ اثْنَيْنِ
لَمْ يَدْخُلَاهُ ، وَالْمُسْتَخِفُّ بِالْسلْطَانِ ، وَالْجَالِسُ مَجْلِسًا لَيْسَ لَهُ بِأَهْلٍ ، وَالْمَقْبَلُ بِمَحْدِثِهِ عَلَى
مَنْ لَا يَسْمَعُهُ ، وَمَنْ جَرَّبَ الْحَرْبَ .

٤٤٨ — أَنْفَسُ الْأَعْلَاقِ ^(١) عَقْلٌ قُرِنَ إِلَيْهِ حَظٌّ .

٤٤٩ — اللَّطَافَةُ فِي الْحَاجَةِ أَجْدَى مِنَ الْوَسِيلَةِ .

٤٥٠ — اِحْتِمَالُ نَحْوَةِ الشَّرَفِ أَشَدُّ مِنْ اِحْتِمَالِ بَطْرِ الْغَنَى ، وَذَلَّةُ الْفَقْرِ مَانِعَةٌ مِنْ
الصَّبْرِ ، كَمَا أَنَّ عِزَّ الْغَنَى مَانِعٌ مِنْ كَرَمِ الْإِنْصَافِ ، إِلَّا لِمَنْ كَانَ فِي غَرِيزَتِهِ فَضْلُ قُوَّةٍ ،
وَأَعْرَاقُهُ تَنَازَعَهُ إِلَى بُعْدِ الْهَمَةِ .

٤٥١ — أَبْعَدُ النَّاسِ سَفَرًا مَنْ كَانَ فِي طَلَبِ صَدِيقٍ يَرْضَاهُ .

٤٥٢ — اسْتِشَارَةُ الْأَعْدَاءِ مِنْ بَابِ الْخِذْلَانِ .

٤٥٣ — الْجَاهِلُ يُعْرِفُ بِسِتِّ خِصَالٍ : الْغَضَبُ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ ، وَالْكَلَامُ فِي غَيْرِ
نَفْعٍ ، وَالْعَطِيَّةُ فِي غَيْرِ مَوْضِعِهَا ، وَالْأَلَّا يَعْرِفُ صَدِيقَهُ مِنْ عَدُوِّهِ ، وَإِفْشَاءُ السِّرِّ ،
وَالثِّقَةُ بِكُلِّ أَحَدٍ .

٤٥٤ — سِوَاهُ الْعَادَةِ كَيْفٌ لَا يُؤْمَنُ

٤٥٥ — الْعَادَةُ طَبِيعَةٌ ثَانِيَةٌ غَالِبَةٌ

٤٥٦ — التَّجَنَّى وَافِدُ الْقَطِيعَةِ

٤٥٧ — صَدِيقُكَ مِنْ نَهَاكَ ، وَعَدُوُّكَ مِنْ أَغْرَاكَ

٤٥٨ — يَا عَجَبًا مِنْ غَفْلَةِ الْحَسَادِ عَنْ سَلَامَةِ الْأَجْسَادِ .

٤٥٩ — مِنْ سَعَادَةِ الْمَرْءِ أَنْ يَطُولَ عَمْرُهُ وَيَرَى فِي أَعْدَائِهِ مَا يَسْرُهُ .

٤٦٠ — الضَّغَائِنُ تَوَرَّثُ كَمَا تَوَرَّثُ الْأَمْوَالُ

٤٦١ — رَبِّ عَزِيزٍ أَذَلَّهُ خُرْقُهُ ، وَذَلِيلٍ أَعَزَّهُ خُلُقُهُ .

٤٦٢ — لَا يَصَاحُ اللَّيْمُ لِأَحَدٍ ، وَلَا يَسْتَقِيمُ إِلَّا مَنْ فَرَّقَ أَوْ حَاجَهُ ؛ فَإِذَا اسْتَفْنَى أَوْ ذَهَبَ خَوْفُهُ عَادَ إِلَيْهِ جَوْهَرُهُ

٤٦٣ — ثَلَاثَةٌ فِي الْمَجْلِسِ وَلَيْسُوا فِيهِ : الْحَاقِنُ ، وَالضَّيِّقُ الْخَفَّ ، وَالسَّيِّءُ الظَّنُّ بِأَهْلِهِ .

٤٦٤ — وَسُئِلَ : مَا أَبْقَى الْأَشْيَاءَ فِي نَفُوسِ النَّاسِ ؟ فَقَالَ : أَمَا فِي أَنْفُسِ الْعُلَمَاءِ فَالْتِدَامَةُ عَلَى الذُّنُوبِ ، وَأَمَا فِي نَفُوسِ السُّفَهَاءِ فَالْحَقْدُ .

٤٦٥ — إِذَا انْقَضَى مُلْكُ قَوْمٍ خَبَّوْا فِي آرَائِهِمْ .

٤٦٦ — الضَّعِيفُ الْمُحْتَرَسُ مِنَ الْعَدُوِّ الْقَوِيَّ اقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ الْقَوِيِّ الْمُغْتَرِّ بِالْعَدُوِّ الضَّعِيفِ .

٤٦٧ — الْحُزْنُ سُوءُ اسْتِكَانَةٍ ، وَالغَضَبُ لُؤْمٌ قُدْرَةٍ .

٤٦٨ — كُلُّ مَا يُوَكَّلُ يُنْتِنُ ، وَكُلُّ مَا يُوَهَّبُ يَأْرَجُ

٤٦٩ — الطَّرَشُ فِي الْكِرَامِ ، وَالهُوَجُ فِي الطَّوَالِ ، وَالْكَيْسُ فِي الْقُصَارِ ، وَالنُّبْلُ فِي الرَّبْعَةِ ، وَحَسَنُ الْخُلُقِ فِي الْحَوْلِ ، وَالْكِبَرُ فِي الْعُورِ ، وَالْبَهْتُ فِي الْعِمْيَانِ ، وَالذِّكَاةُ فِي الْخُرْسِ .

٤٧٠ — أَلَأَمْ النَّاسُ مَنْ سَعَى بِإِنْسَانٍ ضَعِيفٍ إِلَى سُلْطَانٍ جَائِرٍ .

٤٧١ — أَعْسَرَ الْحَيْلُ تَصْوِيرَ الْبَاطِلِ فِي صُورَةِ الْحَقِّ عِنْدَ الْعَاقِلِ الْمُمَيِّزِ .

٤٧٢ — الْفَدْرُ ذَلٌّ حَاضِرٌ ، وَالْغَيْبَةُ لُؤْمٌ بَاطِنٌ .

٤٧٣ — الْقَلْبُ الْفَارِغُ يَبْحَثُ عَنِ السُّوءِ وَالْيَدُ الْفَارِغَةُ تَنَازَعُ إِلَى الْإِثْمِ .

٤٧٤ — لَا كَثِيرٌ مَعَ إِسْرَافٍ ، وَلَا قَلِيلٌ مَعَ احْتِرَافٍ ، وَلَا ذَنْبٌ مَعَ اعْتِرَافٍ .

٤٧٥ — الْمُتَعَبِّدُ عَلَى غَيْرِ فِقْهِ كَحِمَارِ الرِّحَا يَدُورُ وَلَا يَبْرَحُ .

٤٧٦ — الْحَرُومُ مِنْ طَالٍ نَصْبُهُ ، وَكَانَ لِفَيْرِهِ مَكْسَبُهُ .

٤٧٧ — فِي الْإِعْتِبَارِ غَنَى عَنِ الْإِخْتِبَارِ .

٤٧٨ — غِيْظُ الْبَخِيلِ عَلَى الْجَوَادِ أَعْجَبُ مِنْ بَخْلِهِ .

٤٧٩ — أَذَلُّ النَّاسِ مُعْتَذِرٌ إِلَى اللَّئِيمِ .

٤٨٠ — أَشْجَعُ النَّاسِ أَثْبَتُهُمْ عَقْلًا فِي بَدَاهَةِ الْخَوْفِ .

٤٨١ — الْمُعْتَذِرُ مُنْتَصِرٌ ، وَالْمُعَاتِبُ مُغَاضِبٌ .

٤٨٢ — الْمَرْوُوءَةُ بِلَا مَالٍ كَالْأَسَدِ الَّذِي يُهَابُ وَلَمْ يَفْتَرَسْ ، وَكَالسَيْفِ الَّذِي يَخَافُ

وَهُوَ مُغْمَدٌ ؛ وَالْمَالُ بِلَا مَرْوُوءَةٍ كَالْكَلْبِ الَّذِي يَجْتَنِبُ عَقْرًا وَلَمْ يَعْقُرْ ، .

٤٨٣ — عَلَيْكُمْ بِالْأَدَبِ ، فَإِنْ كُنْتُمْ مُلُوكًا بَرَزْتُمْ ، وَإِنْ كُنْتُمْ وَسَطًا فَقُتِمَ ، وَإِنْ

أَعُوْزْتُمْ الْمَعِيشَةَ عَشْتُمْ بِأَدَبِكُمْ .

٤٨٤ — الْمُلُوكُ حُكَّامٌ عَلَى النَّاسِ ، وَالْعُلَمَاءُ حُكَّامٌ عَلَى الْمُلُوكِ .

٤٨٥ — لَا يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ إِلَّا فِي إِحْدَى مَنَزَلَتَيْنِ : إِمَّا فِي الْغَايَةِ الْقَصْوَى

مِنْ مَطَالِبِ الدُّنْيَا ، وَإِمَّا فِي الْغَايَةِ الْقَصْوَى مِنَ التَّرَكِّ لَهَا .

٤٨٦ — مِنْ أَفْضَلِ أَعْمَالِ الْبِرِّ الْجُودُ فِي الْعُسْرِ ، وَالصَّدَقُ فِي الْغَضَبِ ، وَالْعَفْوُ

عِنْدَ الْقُدْرَةِ .

٤٨٧ — إِنْ اللَّهُ أَنْعَمَ عَلَى الْعِبَادِ بِقُدْرٍ قُدْرَتِهِ ، وَكَلَفَهُمْ مِنَ الشُّكْرِ

بِقُدْرٍ قُدْرَتِهِمْ .

٤٨٨ — الْعَيْشُ فِي ثَلَاثٍ : صَدِيقٌ لَا يَعْذُوْ عَائِكَ فِي أَيَّامِ صَدَاقَتِكَ مَا يَرْضَى بِهِ

أَيَّامَ عَدَاوَتِكَ ، وَزَوْجَةٌ تُسَرُّكَ إِذَا دَخَلْتَ عَلَيْهَا وَتَحْفَظُ غَيْبَكَ إِذَا غَبْتَ عَنْهَا ، وَغَلَامٌ

يَأْتِي عَلَى مَا فِي نَفْسِكَ كَأَنَّهُ قَدْ عَلِمَ مَا تَرِيدُ .

- ٤٨٩ — تحتاجُ القِرابَةَ إلى مودَّةٍ ولا تحتاجُ المودةَ إلى قِرابَةٍ .
- ٤٩٠ — الصَّابِرُ على مَخالِطَةِ الأَشْرارِ وصَحْبَتِهِمْ ، كَرَأْيِ الْبَحْرِ إِنْ سَلَّمَ بِيَدِنِهِ مِنْ التَّلَفِ ، لَمْ يَسْلَمْ بِقَلْبِهِ مِنَ الْحَذَرِ .
- ٤٩١ — لأَخِيكَ عَلَيْكَ إِذَا حَزَبَهُ أَمْرٌ أَنْ تُشِيرَ عَلَيْهِ بِالرَّأْيِ مَا أَطَاعَكَ ، وَتَبَذَلَ لَهُ النَّصْرَ إِذَا عَصَاكَ .
- ٤٩٢ — الْغِيْبَةُ رِبْعُ اللَّثَامِ .
- ٤٩٣ — أَطْوَلُ النَّاسِ نَصَبًا الْحَرِيصُ إِذَا طَمَعَ ، وَالْحَقُودُ إِذَا مَنَعَ .
- ٤٩٤ — الشَّرِيفُ دُونَ حَقِّهِ يُقْتَلُ وَيُعْطَى نَافِلَةٌ فَوْقَ الْحَقِّ عَلَيْهِ .
- ٤٩٥ — اجْعَلْ عَمْرَكَ كَنَفَقَةٍ دُفَعَتْ إِلَيْكَ ؛ فَكَمَا لَا تَحِبُّ أَنْ يَذْهَبَ مَا تَنْفَقُ ضَيَاعًا فَلَا تَذْهَبْ عَمْرَكَ ضَيَاعًا .
- ٤٩٦ — مَنْ أَظْهَرَ شُكْرَكَ فِيمَا لَمْ تَأْتِ إِلَيْهِ ، فَاحْذَرْ أَنْ يَكْفُرَكَ فِيمَا أَسَدَيْتَ إِلَيْهِ .
- ٤٩٧ — لَا تَسْتَعِنْ فِي حَاجَتِكَ بِمَنْ هُوَ لِمَطْلُوبٍ إِلَيْهِ أَنْصَحُ مِنْهُ لَكَ .
- ٤٩٨ — لَا يَوْئُوكَ مِنْ شَرِّ جَاهِلٍ قِرابَةٌ وَلَا جَوَارٌ ، فَإِنَّ أَخَوْفَ مَا تَكُونُ لِحَرِيقِ النَّارِ أَقْرَبُ مَا تَكُونُ إِلَيْهَا .
- ٤٩٩ — كُنْ فِي الْحَرَصِ عَلَى تَفَقُّدِ عِيُولِكَ كَعَدْوِكَ .
- ٥٠٠ — عَلَيْكَ بِسُوءِ الظَّنِّ ، فَإِنْ أَصَابَ فَالْحَزَمُ وَإِلَّا فَالْإِسْلَامَةُ .
- ٥٠١ — رِضَا النَّاسِ غَايَةٌ لَا تَدْرُكُ ، فَتَحَرَّ الْخَيْرَ بِمُجْتَهِدِكَ ، وَلَا تَبَالِ بِسَخَطِ مَنْ يَرْضِيهِ الْبَاطِلُ .

٥٠٢ — لا تماكس في البيع والشراء ؛ فما يضيع من عرضك أكثر مما تنال من عرضك .

٥٠٣ — الدين رِقٌّ فلا تبدل رِقَّكَ لِمَنْ لا يعرفُ حقَّكَ .

٥٠٤ — احذر كلَّ الحذر أن يخدعَكَ الشَّيْطَانُ فيمَثِّلَ لَكَ التَّوَانِي فِي صُورَةِ التَّوَكُّلِ ، ويورثُكَ الهَوِيَّ بِالْإِحَالَةِ عَلَى الْقَدَرِ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ بِالتَّوَكُّلِ عِنْدَ انْقِطَاعِ الْحِيلِ ، وبِالتَّسْلِيمِ لِلْقَضَاءِ بَعْدَ الْإِعْذَارِ ، فَقَالَ : ﴿ خُذُوا حِذْرَكُمْ ^(١) ﴾ ، ﴿ وَلَا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ ^(٢) ﴾ ، وقال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : « اعْقَلْهَا وَتَوَكَّلْ » .

٥٠٥ — لا تصحب في السفر غَنِيًّا ؛ فَإِنَّكَ إِنْ سَاوَيْتَهُ فِي الْإِنْفَاقِ أَضَرَّ بِكَ ، وَإِنْ تَفَضَّلَ عَلَيْكَ اسْتَذَلَّكَ .

٥٠٦ — إِذَا سَأَلْتَ كَرِيْمًا حَاجَةً فَدَعُهُ بِفِكْرٍ ، فَإِنَّهُ لَا يَفْكُرُ إِلَّا فِي خَيْرٍ ؛ وَإِذَا سَأَلْتَ لَثِيْمًا حَاجَةً فَغَافِصُهُ ^(٣) فَإِنَّهُ إِذَا ^(٤) فَكَّرَ عَادَ إِلَى طَبَعِهِ .

٥٠٧ — مَا أَقْبَحَ بِالصَّبِيحِ الْوَجْهَ أَنْ يَكُونَ جَاهِلًا ! كَدَارِ حُسْنَةِ الْبِنَاءِ وَسَاكِنِهَا شَرٌّ ، وَكَجَنَةِ يَعْمرُهَا بُؤْسٌ ، أَوْ صِرْمَةٍ يَحْرُسُهَا ذَنْبٌ .

٥٠٨ — قَبِيحٌ بَذَى الْعَقْلُ أَنْ يَكُونَ بِهِمَةً وَقَدْ أَمَكَّنَهُ أَنْ يَكُونَ إِنْسَانًا ، وَأَنْ يَكُونَ إِنْسَانًا وَقَدْ أَمَكَّنَهُ أَنْ يَكُونَ مَلَكًا ، وَأَنْ يَرْضَى لِنَفْسِهِ بِقُنْيَةٍ مُعَارَةً وَحَيَاةٍ مُسْتَرَدَّةٍ ؛ وَلَهُ أَنْ يَتَخَذَ قُنْيَةً مُحَلَّدَةً وَحَيَاةً مُؤَبَّدَةً .

٥٠٩ — الَّذِي يَسْتَحِقُّ اسْمَ السَّعَادَةِ عَلَى الْحَقِيقَةِ سَعَادَةِ الْآخِرَةِ ، وَهِيَ أَرْبَعَةُ أَنْوَاعٍ : بَقَاءٌ بِلا فَنَاءٍ ، وَعِلْمٌ بِلا أَجْهَلٍ ، وَقُدْرَةٌ بِلا عَجْزٍ ، وَغِنَى بِلا فَقْرٍ .

(٢) سورة البقرة ٩٥ .

(٤) ب : « إِنْ أَفْكُر » .

(١) سورة النساء ٧١ .

(٣) غافصه : أَيْ أَخَذَهُ عَلَى غَرَّةٍ .

٥١٠ — ما خاب من استخار

٥١١ — الدين قد كشف عن غطاء قلبه ، يرى مطلوبه قد طبق الخاضعين فلا يقع
بصره على شيء إلا رآه فيه .

٥١٢ — من غرس النخل أكل الرطب ، ومن غرس الصفصاف والعليق عدم
ثمرته ، وزهبت ضياعاً خدمته .

٥١٣ — إذا أردت العلم والخير فانفض عن يدك أداة الجمل والشر ، فإن الصائغ
لا يتهيأ له الصياغة إلا إذا ألتى أداة الفلاحة عن يده .

٥١٤ — الصبر مفتاح الفرج .

٥١٥ — غاية كل متعمق في علمنا أن يجهل .

٥١٦ — ستعرف الحال على حقيقتها ؛ ولكن حيث لا تستطيع أن تذكر
أحداً بها .

٥١٧ — السعادة التامة بالعلم ، والسعادة الناقصة بالزهد ، والعبادة من غير علم ولا
زهادة تعب الجسد .

٥١٨ — الآمال مطايا ؛ وربما حسرت ، ونقبت أخفافها .

٥١٩ — حب الرياسة شاغل عن حب الله سبحانه

٥٢٠ — يا أبا عبيدة ، طال عليك العهد فانسيت أم نافست فانسيت ! لقد سمعتها
ووعيتها فهلاً رعيته !

٥٢١ — قال لما سمعت خطبة عمر بالمدينة التي شرح فيها قصة الثقيفة : معذرة ورب
الكعبة ؛ ولكن بعد ما ذا ! هيهات عقلت معالقتها ، وصراً الجندب .

٥٢٢ — أول من جرأ الناس علينا سعد بن عباد ؛ فتح باباً ولججه

غيرُهُ ، وأُضْرِمَ ناراً كانَ لَهَبُهَا عَلَيْهِ ، وضوءُها لِأَعْدَائِهِ .

٥٢٣ — مالنا ولقریش ! یُخْضِمُونَ الدنیا باسمِنا ویَطْطُونُ عَلٰی رِقَابِنَا؛ فِیَا لِلَّهِ وَلِلْعَجَبِ !
من اسمِ جلیلٍ لِمُسَمًّى ذَلِیلٍ .

٥٢٤ — الخیرُ کُلُّهُ فی السیفِ ، وما قامَ هذا الدِّینُ إِلَّا بالسیفِ ؛ أتعلّمونَ ما معنی
قَوْلِهِ تَعَالٰی : ﴿ وَأَنْزَلْنَا الْحَدِیدَ فِیهِ بَأْسٌ شَدِیدٌ ﴾ ؟ هذا هو السیفُ .

٥٢٥ — لَمْ یَفْتِ مَنْ لَمْ یَمُتْ .

٥٢٦ — مَنْ فَسَدَتْ بَطَانَتُهُ كَانَ كَمَنْ غَصَّ بِالْمَاءِ ، فَإِنَّهُ لَوْ غَصَّ بِغَیْرِهِ لَأَسَاغَ
الْمَاءُ غُصَّتَهُ .

٥٢٧ — مَنْ ضَنَّ بِعِرْضِهِ فَلِیَدَعِ الْمِرَاءَ .

٥٢٨ — مَنْ أَيْقَظَ فِتْنَةً فَهُوَ آکِلُهَا .

٥٢٩ — مَنْ أَتْرَى کَرُمَ عَلٰی أَهْلِهِ ، وَمَنْ أَمْلَقَ هَانَ عَلٰی وَلَدِهِ .

٥٣٠ — مَنْ أَمَلَ أَحَدًا هَابَهُ ، وَمَنْ جَهِلَ شَيْئًا عَابَهُ .

٥٣١ — أَسْوَأُ النَّاسِ حَالًا مَنْ لَا یَثِقُ بِأَحَدٍ لِسُوءِ ظَنِّهِ ، وَلَا یَثِقُ بِهِ أَحَدٌ
لِسُوءِ أَثَرِهِ .

٥٣٢ — أَحَبُّ النَّاسِ إِلَیْكَ مَنْ كَثُرَتْ أَيْدِیْهِ عِنْدَكَ ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ فَمَنْ كَثُرَتْ
أَيْدِیْكَ عِنْدَهُ .

٥٣٣ — مَنْ طَالَ صَمْتُهُ اجْتَلَبَ مِنَ الْهَمِیَةِ مَا یَنْفَعُهُ ، وَمَنِ الْوَحْشَةُ مَا لَا یَضُرُّهُ .

٥٣٤ — مَنْ زَادَ عَقْلُهُ نَقَصَ حِفْظُهُ ، وَمَا جَعَلَ اللَّهُ لِأَحَدٍ عَقْلًا وَافِرًا إِلَّا اخْتَسَبَ
بِهِ عَلَيْهِ مِنْ رِزْقِهِ .

٥٣٥ — مَنْ عَمِلَ بِالْعَدْلِ فَمِنْ دُونِهِ ؛ رُزِقَ الْعَدْلَ عَمَّنْ فَوْقَهُ .

- ٥٣٦ — مَنْ طَلَبَ عِزًّا بَظَلِمَ وَبَاطِلٍ أَوْرَثَهُ اللَّهُ ذُلًّا بِإِنصَافٍ وَحَقٍّ .
- ٥٣٧ — مَنْ وَطِئَتْهُ الْأَعْيُنُ ، وَطِئَتْهُ الْأَرْجُلُ .
- ٥٣٨ — يَنَادِي مُنَادٍ يَوْمَ الْقِيَامَةِ : مَنْ كَانَ لَهُ أَجْرٌ عَلَى اللَّهِ فَلْيَقُمْ ؛ فَيَقُومُ الْعَافُونَ عَنِ النَّاسِ ، ثُمَّ تَلَا : ﴿ فَنَ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ ﴾ .
- ٥٣٩ — اصْحَبِ النَّاسَ بِأَيِّ خُلُقٍ شِئْتَ يَصْحَبُوكَ بِمِثْلِهِ .
- ٥٤٠ — كَأَنَّكَ بِالْدُّنْيَا لَمْ تَكُنْ ، وَكَأَنَّكَ بِالْآخِرَةِ لَمْ تَزَلْ .
- ٥٤١ — قَالَ لِمَرِيضٍ أَبْلَى مِنْ مَرَضِهِ : إِنْ اللَّهُ ذَكَرَكَ فَادْكُرْهُ ، وَأَقَالَكَ فَاشْكُرْهُ .
- ٥٤٢ — الدَّارُ دَارُ مَنْ لَا دَارَ لَهُ ، وَبِهَا يَفْرُحُ مَنْ لَا عَقْلَ لَهُ ، فَأَنْزِلُوهَا مَنْزِلَتِهَا .
- ٥٤٣ — لَا تَسْتَصْفِرَنَّ أَمْرَ عَدُوِّكَ إِذَا حَارَبْتَهُ ؛ فَإِنَّكَ إِنْ ظَفَرْتَ بِهِ لَمْ تُحْمَدْ ، وَإِنْ ظَفَرَ بِكَ لَمْ تُعَذَّرْ ؛ وَالضَّعِيفُ الْمُحْتَرِسُ مِنَ الْعَدُوِّ الْقَوِيَّ أَقْرَبُ إِلَى السَّلَامَةِ مِنَ الْقَوِيِّ الْمُغْتَرِّ بِالضَّعِيفِ .
- ٥٤٤ — لَا تَصْحَبْ مَنْ تَحْتَاجُ إِلَى أَنْ تَكْتُمَهُ مَا يَعْرِفُ اللَّهُ مِنْكَ .
- ٥٤٥ — لَا تَسْأَلْ غَيْرَ اللَّهِ ؛ فَإِنَّهُ إِنْ أَعْطَاكَ أَغْنَاكَ .
- ٥٤٦ — الصَّاحِبُ كَالرُّقْعَةِ فِي الثَّوْبِ ، فَاتَّخِذْهُ مُشَاكِلًا .
- ٥٤٧ — إِيَّاكَ وَكَثْرَةَ الْإِخْوَانِ ؛ فَإِنَّهُ لَا يُؤْذِيكَ إِلَّا مَنْ يَعْرِفُكَ .
- ٥٤٨ — دَعِ الْيَمِينَ لِلَّهِ لِجَلَالِهِ ، وَلِلنَّاسِ جَمَالًا .
- ٥٤٩ — الْعَادَاتُ قَاهِرَاتٌ ، فَمَنْ اعْتَادَ شَيْئًا فِي سِرِّهِ فَضَحَهُ فِي عَلَانِيَتِهِ .
- ٥٥٠ — إِذَا كَانَ لَكَ صَدِيقٌ وَلَمْ تَحْمَدْ إِخَاءَهُ وَمُودَتَهُ فَلَا تَظْهَرِ ذَلِكَ لِلنَّاسِ ؛ فَإِنَّمَا هُوَ بِمَنْزِلَةِ السَّيْفِ الْكَلِيلِ فِي مَنْزِلِ الرَّجُلِ ؛ يُرْهِبُ بِهِ عَدُوَّهُ ، وَلَا يَسْلُمُ الْعَدُوُّ أَصَارِمَهُ هُوَ أَمْ كَلِيلُهُ !

- ٥٥١ — دَعِ الذَّنُوبَ قَبْلَ أَنْ تَدْعَكَ
- ٥٥٢ — إِذَا نَزَلَ بِكَ مَكْرُوهٌ فَانْظُرْ ؛ فَإِنْ كَانَ لَكَ حِيلَةٌ فَلَا تَعْجِزْ ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ حِيلَةٌ فَلَا تَجْزَعْ .
- ٥٥٣ — تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ ، فَإِنَّهُ زَيْنٌ لِلْفَتَى وَعَوْنٌ لِلْفَقِيرِ ، وَلَسْتُ أَقُولُ إِنَّهُ يُطْلَبُ بِهِ ، وَلَكِنْ يَدْعُوهُ إِلَى الْقَنَاعَةِ .
- ٥٥٤ — لَا تَرْضَيْنَ قَوْلَ أَحَدٍ حَتَّى تَرْضَى فِعْلَهُ ، وَلَا تَرْضَ فِعْلَهُ حَتَّى تَرْضَى عَقْلَهُ ، وَلَا تَرْضَ عَقْلَهُ حَتَّى تَرْضَى حَيَاءَهُ ؛ فَإِنَّ الْإِنْسَانَ مَطْبُوعٌ عَلَى كَرَمٍ وَلَوْثٍ ؛ فَإِنْ قَوِيَ الْحَيَاءُ عِنْدَهُ قَوِيَ الْكَرَمُ ، وَإِنْ ضَعُفَ الْحَيَاءُ قَوِيَ الْوُثْمُ .
- ٥٥٥ — تَعَلَّمُوا الْعِلْمَ وَإِنْ لَمْ تَنَالُوا بِهِ حِطًّا ؛ فَإِنَّ يَدَ الزَّمَانِ لَكُمْ أَحْسَنَ مِنْ أَنْ يَذِمَّ بِكُمْ .
- ٥٥٦ — اجْعَلْ سِرَّكَ إِلَى وَاحِدٍ ، وَمَشُورَتَكَ إِلَى الْكَثَرِ .
- ٥٥٧ — إِنَّ اللَّهَ خَلَقَ النِّسَاءَ مِنْ عِىٍّ وَعَوْرَةٍ ، فَلْيَلْبَسُوا عِيْنَهُنَّ بِالْكَسُوتِ ، وَاسْتُرُوا الْعَوْرَةَ بِالْبَيُوتِ .
- ٥٥٨ — لَا تَعِدَنَّ عِدَّةَ لَا تَتَّقِي مِنْ نَفْسِكَ بِإِنْجَازِهَا ، وَلَا تَعِدَنَّكَ الْمُرْتَقَى السَّهْلُ إِذَا كَانَ الْمُتَحَدِّرُ وَغَرًّا . وَاعْلَمْ أَنَّ لِلْأَعْمَالِ جَزَاءً فَاتَّقِ الْعَوَاقِبَ ، وَأَنَّ لِلْأُمُورِ بَفَاتٍ فَكُنْ عَلَى حَذَرٍ .
- ٥٥٩ — لَا تَجَاهِدِ الطَّلَبَ جِهَادَ الْمُغَالِبِ ، وَلَا تَتَّكِلْ عَلَى الْقَدَرِ اتِّكَالَ الْمُسْتَسْلِمِ ؛ فَإِنَّ ابْتِغَاءَ الْفَضْلِ مِنَ الشُّنَّةِ ، وَالْإِجْمَالُ فِي الطَّلَبِ مِنَ الْعِلَّةِ ، وَلَيْسَتْ الْعِفَّةُ بِرَافِعَةٍ رِزْقًا ، وَلَا الْحِرْصُ بِجَالِبٍ فَضْلًا .
- ٥٦٠ — مَنْ لَمْ يَسْتَقِمْ لَهُ نَفْسُهُ ، فَلَا يَلُومَنَّ مَنْ لَمْ يَسْتَقِمْ لَهُ .

- ٥٦١ — من رُجِي الرِّزْقُ لديه صُرِفَ أَعْنَاقُ الرِّجَالِ إليه .
- ٥٦٢ — من انتَجَمَكَ مُؤَمِّلاً قَدْ أَسْلَفَكَ حُسْنَ الظَّنِّ .
- ٥٦٣ — إذا شئتَ أَنْ تُطَاعَ فَاسْأَلْ مَا يُسْتَطَاعُ .
- ٥٦٤ — من أعذرَ كمن أنجح .
- ٥٦٥ — مَنْ كَانَتِ الدُّنْيَا هَمَّهُ كَثُرَ فِي الْقِيَامَةِ غَمُّهُ .
- ٥٦٦ — من أَجَلَ فِي الطَّلَبِ أَتَاهُ رِزْقُهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ .
- ٥٦٧ — مَنْ رَكِبَ الْعَجَلَةَ لَمْ يَأْمَنِ الْكِبُورَةَ .
- ٥٦٨ — مَنْ لَمْ يَثِقْ لَمْ يُوثِقْ بِهِ .
- ٥٦٩ — مَنْ أَفَادَهُ الدَّهْرُ أَفَادَ مِنْهُ ^(١) .
- ٥٧٠ — مَنْ أَكْثَرَ ذِكْرَ الضَّغَائِنِ اكْتَسَبَ الْعِدَاوَةَ .
- ٥٧١ — مَنْ لَمْ يَحْمَدْ صَاحِبَهُ عَلَى حَسَنِ النِّيَّةِ لَمْ يَحْمَدْهُ عَلَى حَسَنِ الصَّنِيعَةِ .
- ٥٧٢ — تَأَمَّلْ مَا تَتَحَدَّثُ بِهِ ، فَإِنَّمَا تُتَمَلَّى عَلَى كَاتِبِكَ صَحِيفَةٌ يُوصِلَانِهَا إِلَى رَبِّكَ ؛ فَانْظُرْ عَلَى مَنْ تَمَلَّى ، وَإِلَى مَنْ تَكْتُبُ .
- ٥٧٣ — أَقِمِ الرَّغْبَةَ إِلَيْكَ مَقَامَ الْحَرَمَةِ بِكَ ، وَعَظِّمْ نَفْسَكَ عَنِ التَّعَظُّمِ ، وَتَطَوَّلْ وَلَا تَتَطَاوَلْ .
- ٥٧٤ — عَامِلُوا الْأَخْرَارَ بِالْكَرَامَةِ الْحَضَةِ ، وَالْأَوْسَاطَ بِالرَّغْبَةِ وَالرَّهْبَةِ ، وَالسُّفَلَةَ بِالْهُوَائِ .
- ٥٧٥ — كُنْ لِلْعَدُوِّ الْمَكَاتِمِ أَشَدَّ حَذَرًا مِنْكَ لِلْعَدُوِّ الْمُبَارِزِ .
- ٥٧٦ — احْفَظْ شَيْئَكَ مِمَّنْ تَسْتَحْيِ أَنْ تَسْأَلَهُ عَنْ مِثْلِ ذَلِكَ الشَّيْءِ إِذَا ضَاعَ لَكَ .

(١) أفاد : أى استفاد .

- ٥٧٧ — إذا كُنْتَ في مجلسٍ ولم تكن المحدث ولا المحدث فقم .
- ٥٧٨ — لا تَسْتَصْفِرَنَّ حَدَّثًا^(١) من قريش ، ولا صَغِيرًا من الكُتَّابِ ؛ ولا
صَعْلوكًا من الفُرْسَانِ ؛ ولا تصادقَنَّ ذَمِيًّا ولا خَصِيًّا ولا مَوْتَنًا ، فلا ثبات لمودَّاتهم .
- ٥٧٩ — لا تُدْخِلْ في مشورتك بخيلًا فيَقْصِرَ بفعلك ، ولا جبانًا فيخوَّفَكَ
مالا تخافُ ، ولا حريصًا فيعدك مالا يُرْجَى ؛ فإنَّ الجبنَ والبخلَ والحِرْصَ طبيعة واحدة ؛
يجمعها سوءُ الظنِّ بالله تعالى .
- ٥٨٠ — لا تكن مِمَّنْ تغلبهُ نفسهُ على ما يظنُّ ، ولا يغلبُها على ما يَستيقِنُ .
- ٥٨١ — اعصِ هَوَاكَ والنساءِ وافعلْ ما بدا لك .
- ٥٨٢ — ما كُنْتَ كاتمه من عدوك فلا تظهرْ عليه صديقك .
- ٥٨٣ — كل من الطعام ما تشتهي ، والبس من الثياب ما يشتهي الناس .
- ٥٨٤ — ولتكن دارك أول ما يبتاع وآخر ما يبيع .
- ٥٨٥ — من كان في يده شيء من رِزْقِ اللَّهِ سبحانه فليصلحه ؛ فإنَّكم في
زَمانٍ إذا احتاجَ المرءُ فيه إلى الناسِ كان أول ما يبدله لهم دينه .
- ٥٨٦ — ابذل لصديقك مالك ، ولمعرفتك رَفْدَكَ ومحضرك ؛ وللعامَّةِ بِشْرَكَ
وتحنُّنَكَ ، ولعدوك عدلَكَ وإنصافَكَ ، واضننْ بدينك وعرضك عن كلِّ أحد .
- ٥٨٧ — جالس العقلاء أعداء كانوا أو أصدقاء ؛ فإنَّ العقل يقع على العقل .
- ٥٨٨ — كُنْ في الحرب بحيلتك أوثق منك بشدتك ، ونجِّدْكَ أفرح منك
بنجدة تك ؛ فإنَّ الحربَ حربُ المتهورِ وغنيمةُ المتحذِّرِ .
- ٥٨٩ — النعمُ وحشيةٌ فقيدوها بالمعروف .

٥٩٠ — إذا أخطأتكَ الصنِيعَةُ إلى مَنْ يَتَّقِي اللَّهَ فاصْنَعِيهَا إِلَى مَنْ يَتَّقِي الْعَارَ .

٥٩١ — لَا تَشْتَغَلْ بِالرِّزْقِ الْمَضْمُونِ عَنِ الْعَمَلِ الْمَفْرُوضِ .

٥٩٢ — إِذَا أُكْرِمَكَ النَّاسُ لِمَالٍ أَوْ سُلْطَانٍ فَلَا يُعْجِبُكَ ذَاكَ ، فَإِنَّ زَوَالَ

الْكَرَامَةِ بَزْوَالِهَا ؛ وَلَكِنْ لِيُعْجِبَكَ إِنْ أُكْرِمَكَ النَّاسُ لِدِينٍ أَوْ أَدَبٍ .

٥٩٣ — يَنْبَغِي لِمَنْ لَمْ يَكْرَمْ وَجْهَهُ عَنْ مَسْأَلَتِكَ أَنْ تُكْرِمَ وَجْهَكَ عَنْ رَدِّهِ .

٥٩٤ — إِيَّاكَ وَمَشَاوِرَةَ النِّسَاءِ ؛ فَإِنَّ رَأْيَهُنَّ إِلَى أَفْنٍ ، وَعِزُّهُنَّ إِلَى وَهْنٍ ،

وَأَكْفَفُ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ بِحِجَابِكَ إِيَّاهُنَّ ، فَإِنَّ شِدَّةَ الْحِجَابِ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْإِرْتِيَابِ ،

وَلَيْسَ خُرُوجُهُنَّ بِأَشَدَّ عَلَيْكَ مِنْ دُخُولِ مَنْ لَا يَتَّقُ بِهِ عَلَيْهِنَّ ؛ وَإِنْ اسْتَطَعْتَ أَنْ لَا يَعْرِفَنَّ

غَيْبَكَ فَافْعَلْ ؛ وَلَا تَمَكِّنْ امْرَأَةً مِنَ الْأَمْرِ مَا جَاوَزَ نَفْسَهَا ؛ فَإِنَّ ذَلِكَ أَنْعَمُ لِبَالِهَا ،

وَأَرْخِي لِحَالِهَا ؛ وَإِنَّمَا الْمَرْأَةُ رَيْنَحَانَةٌ وَلَيْسَتْ بِقَهْرْمَانَةٍ ؛ فَلَا تَعُدْ بِكَرَامَتِهَا نَفْسَهَا ، وَلَا

تُعْطِهَا أَنْ تَشْفَعَ لِبَعْضِهَا ؛ وَلَا تُطِلْ الْخُلُوءَ مَعَهُنَّ فَيَمْلِكَنَّ ، وَتَمْلِكَنَّ ، وَاسْتَبْقِ مِنْ نَفْسِكَ

بَقِيَّةً ؛ فَإِنَّ إِمْسَاكَكَ عَنْهُنَّ وَهْنٌ يُرِدُّكَ ذَلِكَ بِاِقْتِدَارٍ خَيْرٌ مِنْ أَنْ يَهْجُمَنَّ مِنْكَ

عَلَى انْكَسَارٍ . وَإِيَّاكَ وَالتَّغَايُرَ فِي غَيْرِ مَوْضِعِ الْغَيْرَةِ ، فَإِنَّ ذَلِكَ يَدْعُو الصَّحِيحَةَ

مِنْهُنَّ إِلَى السُّقْمِ .

٥٩٥ — إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَتَحَمَّ عَلَى كِتَابٍ ؛ فَأَعِدِ النَّظَرَ فِيهِ ؛ فَإِنَّمَا تَحْتَمُّ

عَلَى عَقْلِكَ .

٥٩٦ — إِنْ يَوْمًا أَسْكَرَ الْكِبَارَ وَشَيَّبَ الصَّغَارَ لَشَدِيدُهُ .

٥٩٧ — كَمْ مِنْ مُبَرِّدٍ لَهُ الْمَاءُ وَالْحَمِيمُ يُفْلِي لَهُ .

٥٩٨ — الصَّلَاةُ صَابُونُ الْخَطَايَا .

٥٩٩ — إِنْ امْرَأً عَرَفَ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ ، وَزَهَدَ فِيهِ لِأَحَقِّ ، وَإِنْ امْرَأً

جَهَلَ حَقِيقَةَ الْأَمْرِ مَعَ وُضُوحِهِ لِجَاهِلٍ .

٦٠٠ — إذا قالَ أحدُكم : واللهِ ، فلينظرْ ما يضيفُ إليها .

٦٠١ — رأيتُكَ لا يتسعُ لِكُلِّ شيءٍ ؛ فقرَّعتهُ للهيم من أمورك ، ومالكَ لا يُغني الناسَ كلُّهم فاحصنْ به أهلَ الحقِّ ، وكرامتكَ لا تطيقُ بذلها في العامَّةِ ، فتَوخَّ بها أهلَ الفضلِ ؛ وليلكَ ونهارُك لا يستوعِبانِ حوائجَكَ فأحسنِ القِسمةَ بينَ عملِكَ ودَعَتِكَ .

٦٠٢ — أخِي المعروفَ بِإِمَاتِهِ .

٦٠٣ — اصحبوا من يذكُرُ إحسانكمُ إليه ، وينسى أيا دِيه عندكم .

٦٠٤ — جاهِدُوا أهواءكم كما تجاهدُونَ أعداءكم .

٦٠٥ — إذا رَغِبْتَ في المكارِمِ فاجتنبِ المحارِمَ .

٦٠٦ — لا تنقِ كُلَّ الثقةِ بِأَخِيكَ ، فإن سُرْعَةَ الاسترسالِ لا تقالُ .

٦٠٧ — انتقم من الحرصِ بِالْقِنَاعَةِ ، كما تنتقم من العدوِّ بِالْقِصَاصِ .

٦٠٨ — إذا قَصُرَتْ يَدُكَ عن المِكَافَأَةِ ، فليطلْ لسانُكَ بالشُّكْرِ .

٦٠٩ — من لم ينشطْ لحدِيثِكَ فارفعْ عنه مُؤَنَّةَ الاستماعِ منك .

٦١٠ — الزمانُ ذو ألوانٍ ، ومن يصحَّبِ الزمانَ يَرِ الهوانَ .

٦١١ — لا ترهَدَنَّ في معروفٍ ، فإن الدَّهْرَ ذو صُرُوفٍ ؛ كم من راغِبٍ أصبحَ مرغوباً إليه ، ومتبوعاً أُمسى تابِعاً .

٦١٢ — إن غلبتَ يوماً على المالِ فلا تُغلبَنَّ على الحيلةِ على كُلِّ حالٍ .

٦١٣ — كُنْ أحسنَ ماتكونُ في الظاهرِ حالاً أقلَّ ماتكونَ في الباطنِ مالاً .

٦١٤ — لا تكونَنَّ المحدثَ من لا يُسمعُ منه ، والدَّاخلَ في سِرِّ اثنينٍ لم يُدْخَلْهُ

فيه ، ولا الآتى وليمة لم يُدْعَ إليها ، ولا الجالس في مجلس لا يستحقه ، ولا طالب الفضل من أبدى اللئام ، ولا المتحقق في الدالة ، ولا المتعرض للخير من عند العدو .

٦١٥ — اطبع الطينَ مادامَ رطباً ، واغرسِ العودَ مادامَ لَدْنًا .

٦١٦ — خَفِ اللهَ حتى كأنك لم تُطعمه ، وازجُ اللهَ حتى كأنك لم تعصِه .

٦١٧ — لا تبلغِ في سلامِكَ على الإخوانِ حدَّ النفاقِ ، ولا تقصُرْهُمُ عن

درجةِ الاستحقاقِ .

٦١٨ — انصَحْ لكلِّ مستشيرٍ ، ولا تستشِرْ إلا الناصحَ اللبيبَ .

٦١٩ — ما أقبحَ بك أن ينادى غداً يا أهلَ خطيئةٍ كذا ؛ فتقومَ معهم ، ثم ينادى

ثانياً : يا أهلَ خطيئةٍ كذا ، فتقومَ معهم ، ما أراكِ يامسكينُ إلا تقومُ معَ أهلِ كلِّ خطيئةٍ !

٦٢٠ — ما أصابَ أحدٌ ذنباً ليلاً إلا أصبحَ وعليه مَذَلَّتُهُ .

٦٢١ — الاستغفارُ يَحُثُّ الذنوبَ حَتَّ الورقِ ؛ ثم تلا قوله : ﴿ وَمَنْ يَعْمَلْ سُوءًا

أَوْ يَظْلِمِ نَفْسَهُ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ اللَّهَ يَجِدِ اللَّهَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴾ ^(١) .

٦٢٢ — أيها المُستَكثِرُ من الذُّنوبِ ، إنَّ أباك أخرجَ منَ الجنةِ

بذنبٍ واحدٍ .

٦٢٣ — إذا عطى الرَّبُّ من يعرفُه سلَّطَ عليه من لا يعرفُه .

٦٢٤ — لقاءُ أهلِ الخيرِ عمارَةُ القلوبِ .

٦٢٥ — أنا منَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله كالعُصْدِ مِنَ الْمُنْكَبِ ، وكالذَّرَاعِ

من العَصْدِ ، وَكَالْكَفِّ مِنَ الذَّرَاعِ ؛ رَبَّانِي صَغِيرًا ، وَآخَانِي كَبِيرًا ؛ وَلَقَدْ عَلِمْتُمْ أَنِّي
كَانَ لِي مِنْهُ مَجْلِسٌ سِرٌّ لَا يَطْلُعُ عَلَيْهِ غَيْرِي ؛ وَأَنَّهُ أَوْصَى إِلَى دُونِ أَصْحَابِهِ وَأَهْلِ
بَيْتِهِ ؛ وَلَا قَوْلَنِّ مَا لَمْ أَقُلْهُ لِأَحَدٍ قَبْلَ هَذَا الْيَوْمِ ، سَأَلْتُهُ مَرَّةً أَنْ يَدْعُوَنِي بِالْمَغْفِرَةِ
فَقَالَ : أَفْعَلُ ، ثُمَّ قَامَ فَصَلَّى ؛ فَلَمَّا رَفَعَ يَدَهُ لِلدُّعَاءِ اسْتَمَعْتُ عَلَيْهِ ، فَإِذَا هُوَ قَائِلٌ : اللَّهُمَّ
بِحَقِّ عَلِيِّ عِنْدَكَ اغْفِرْ لِعَلِيٍّ ؛ فَقُلْتُ : يَا رَسُولَ اللَّهِ ، مَا هَذَا ؟ فَقَالَ : أَوْاحِدُهُ أَكْرَمُ
مِنْكَ عَلَيْهِ فَاسْتَشْفَعَ بِهِ إِلَيْهِ !

٦٢٦ — وَاللَّهِ مَا قَلَعْتُ بَابَ خَيْبَرَ ، وَدَكَدْتُ^(١) حِصْنَ يَهُودٍ بِقُوَّةِ
جِسْمَانِيَّةٍ بَلْ بِقُوَّةِ إِلَهِيَّةٍ .

٦٢٧ — يَا بَنَ عَوْفٍ ؛ كَيْفَ رَأَيْتَ صَنِيعَكَ مَعَ عُثْمَانَ ! رَبِّ وَائِقٍ خَجَلٍ ، وَمَنْ
لَمْ يَتَوَخَّ بِعَمَلِهِ وَجْهَ اللَّهِ عَادَ مَادِحُهُ مِنَ النَّاسِ لَهُ ذِمًّا .

٦٢٨ — لَوْ رَأَيْتَ مَا فِي مِيزَانِكَ لَخْتَمْتَ عَلَى لِسَانِكَ .

٦٢٩ — لَيْسَ الْحَلُمُ مَا كَانَ حَالَ الرِّضَا ، بَلِ الْحَلُمُ مَا كَانَ حَالَ الْغَضَبِ .

٦٣٠ — لَيْسَ شَيْءٌ أَقْطَعَ لَظْهَرِ إِبْلِيسَ مِنْ قَوْلٍ : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ،
كَلِمَةِ الْقَوَى .

٦٣١ — لَا تَحْمِلُوا ذُنُوبَكُمْ وَخَطَايَاكُمْ عَلَى اللَّهِ ، وَتَذَرُوا أَنْفُسَكُمْ وَالشَّيْطَانَ .

٦٣٢ — إِنَّ أَخْوَفَ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ مِنَ الدَّجَالِ ، أَيْمَةٌ مُضِلُّونَ وَهُمْ رُؤَسَاءُ
أَهْلِ الْبِدْعِ .

٦٣٣ — إِذَا زَلَلْتَ فَارْجِعْ ، وَإِذَا نَدِمْتَ فَأَقْلَعْ ، وَإِذَا أَسَاتَ فَاَنْدَمْ ؛ وَإِذَا مَنَنْتَ
فَاكْتُمْ ، وَإِذَا مَنَعْتَ فَاتَّجِلْ ، وَمَنْ يُسْلِفِ الْمَعْرُوفَ يَكُنْ رِبًّا لَهُ الْحَمْدُ .

- ٦٣٤ — استشرْ عدوكَ تجرِبَةً لتعلمَ مقدارَ عداوتهِ .
- ٦٣٥ — لا تَطْلُبَنَّ مِنْ نَفْسِكَ العامَّ ما وعدتكَ عاماً أوَّلاً .
- ٦٣٦ — أطولُ الناسِ عُمرًا مَنْ كَثُرَ علْمُهُ ، فَتَأَدَّبَ بِهِ مَنْ بَعْدَهُ ، أَوْ كَثُرَ معْرِفَةُ فَشَرُّهُ بِهِ عَقِبُهُ .
- ٦٣٧ — استهينوا بالموتِ فَإِنَّ مرارتهُ فِي خوفِهِ .
- ٦٣٨ — لَادِينَ لِمَنْ لَا نِيَّةَ لَهُ ، وَلَا مَالَ لِمَنْ لَا تَدْبِيرَ لَهُ ، وَلَا عِيشَ لِمَنْ لَا رِفْقَ لَهُ .
- ٦٣٩ — مَنْ اشْتَغَلَ بِتَفْقِيدِ اللَّفْظَةِ ، وَطَلَبِ السَّجْعَةِ ^(١) ، نَسِيَ الْحُجَّةَ .
- ٦٤٠ — الدُّنْيَا مَطْيَةُ الْمُؤْمِنِ ، عَلَيْهَا يَرْتَحِلُ إِلَى رَبِّهِ ، فَأَصَاحُوا مَطَايَاكُمْ تَبْلُغْكُمْ إِلَى رَبِّكُمْ .
- ٦٤١ — مَنْ رَأَى أَنَّهُ مَسِيٌّ فَهُوَ مُحْسِنٌ ، وَمَنْ رَأَى أَنَّهُ مُحْسِنٌ فَهُوَ مَسِيٌّ .
- ٦٤٢ — سَيِّئَةٌ تَسْوِيءُكَ خَيْرٌ مِنْ حَسَنَةٍ تَعْجُبُكَ .
- ٦٤٣ — اطْلُبُوا الْحَاجَاتِ بِعِزَّةِ الْأَنْفُسِ ؛ فَإِنَّ يَدَ اللَّهِ قَضَاءُهَا .
- ٦٤٤ — عَذَّبَ حُسَادَكَ بِالْإِحْسَانِ إِلَيْهِمْ .
- ٦٤٥ — إظهارُ الفاقةِ مِنْ خمولِ الهمةِ .
- ٦٤٦ — يَا عَالِمُ ، قَدْ قَامَ عَلَيْكَ حُجَّةُ الْعِلْمِ ، فَاسْتَيْقِظْ مِنْ رَقْدِكَ .
- ٦٤٧ — الرَّفْقُ يُقْلُ حِدَّةَ الْخَالِفَةِ .
- ٦٤٨ — أَرْجَحُ النَّاسِ عَقْلاً ، وَأَكْمَلُهُمْ فَضْلاً ، مِنْ صَاحِبِ أَيَّامَةٍ بِالْمَوَادَعَةِ ، وَإِخْوَانِهِ بِالْمَسَالَةِ ، وَقَبِيلٍ مِنَ الزَّمَانِ عَفْوُهُ .

(١) أى من طلب تزوين الكلام .

٦٤٩ — الْوُجُوهُ إِذَا كَثُرَ تَقَابُلُهَا ، اعْتَصَرَ بَعْضُهَا مَاءَ بَعْضٍ .

٦٥٠ — أَدَاهُ الْأَمَانَةُ مِفْتَاحُ الرِّزْقِ .

٦٥١ — حَصَّنَ عِلْمَكَ مِنَ الْعُجْبِ ، وَوَقَّارَكَ مِنَ الْكِبَرِ ، وَعَطَاءَكَ مِنَ السَّرَفِ ،
وَصِرَامَتَكَ مِنَ الْعَجَلَةِ ، وَعَقُوبَتَكَ مِنَ الْإِفْرَاطِ ، وَعَنْوَكَ مِنَ تَعْطِيلِ الْحُدُودِ ،
وَصَمَّتَكَ مِنَ النَّمِيِّ ، وَاسْتَمَاعَكَ مِنْ سُوءِ الْفَهْمِ ، وَاسْتِنْسَاسَكَ مِنَ الْبَدَاءِ ، وَخَلَوَانِكَ مِنَ
الْإِضَاعَةِ ، وَغَرَمَاتِكَ مِنَ اللَّجَاجَةِ ، وَرَوَّانِكَ مِنَ الْاسْتِسْلَامِ ، وَحَذَرَاتِكَ
مِنَ الْجُبْنِ .

٦٥٢ — لَا تَجِدُ الْمُتَوَرِّقَ الْمُخْشَوِّ أَمَانًا مِنْ أَذَاهُ أَوْثَقَ مِنَ الْبَعْدِ
عَنْهُ ، وَالْإِحْتِرَاسِ .

٦٥٣ — احْذَرِ مِنْ أَصْحَابِكَ وَمُخَالَطِكَ الْكَثِيرِ الْمَسْأَلَةِ ، الْخَشْنَ الْبَحْثِ ، اللَّطِيفِ
الْإِسْتِدْرَاجِ ، الَّذِي يَحْفَظُ أَوَّلَ كَلَامِكَ عَلَى آخِرِهِ ، وَيَعْتَبِرُ مَا أَخَّرْتَ بِمَا قَدَّمْتَ ،
وَلَا تُظْهِرَنَّ لَهُ الْخَافَةَ فَيَرَى أَنَّكَ قَدْ تَحَرَّزْتَ وَتَحَفَّظْتَ . وَاعْلَمْ أَنَّ مِنْ يَقْظَةِ الْفِطْنَةِ إِظْهَارَ
الْغَفْلَةِ مَعَ شِدَّةِ الْحَذَرِ ، مُخَالَطَةَ هَذَا مُخَالَطَةَ الْآمِنِ ، وَتَحَفُّظُ مِنْهُ تَحَفُّظُ الْخَائِفِ ؛ فَإِنَّ
الْبَحْثَ يُظْهِرُ الْخَفِيَ ، وَيُبْدِي الْمُسْتَوْرَ الْكَامِنَ .

٦٥٤ — مِنْ سَرَّةِ الْغِنَى بِلَا سُلْطَانٍ ، وَالْكَثْرَةِ بِلَا عَشِيرَةٍ ، فليُخْرِجْ مِنْ ذَلِكَ
مَعْصِيَةَ اللَّهِ إِلَى عِزِّ طَاعَتِهِ ؛ فَإِنَّهُ وَاجِدُ ذَلِكَ كُلِّهِ .

٦٥٥ — الشَّيْبُ إِعْذَارُ الْمَوْتِ .

٦٥٦ — مَنْ سَاسَ نَفْسَهُ بِالصَّبْرِ عَلَى جَهْلِ النَّاسِ صَلَحَ أَنْ يَكُونَ سَائِسًا .

٦٥٧ — لِلَّهِ تَعَالَى كُلُّ لَحْظَةٍ ثَلَاثَةُ عَسَاكِرَ : فَعَسَاكِرُ يَنْزِلُ مِنَ الْأَصْلَابِ
إِلَى الْأَرْحَامِ ، وَعَسَاكِرُ يَنْزِلُ مِنَ الْأَرْحَامِ إِلَى الْأَرْضِ ، وَعَسَاكِرُ يَرْتَحِلُ مِنَ
الدُّنْيَا إِلَى الْآخِرَةِ .

٦٥٨ — اللَّهُمَّ ارْحَمْنِي رَحْمَةَ الْغَفْرَانِ ، إِنَّ لَمْ تَرْحَمْنِي رَحْمَةَ الرِّضَا .

٦٥٩ — إِلَهِي كَيْفَ لَا يَحْسُنُ مَنِّي الظَّنُّ ؛ وَقَدْ حَسُنَ مِنْكَ الْمَنُّ ! إِلَهِي إِنْ عَامَلْتَنَا بِعَدْلِكَ لَمْ يَبْقَ لَنَا حَسَنَةٌ ، وَإِنْ أَنْلَتْنَا فَضْلَكَ لَمْ يَبْقَ لَنَا سَيِّئَةٌ .

٦٦٠ — الْعِلْمُ سُلْطَانٌ ، مَنْ وَجَدَهُ صَالًا بِهِ ، وَمَنْ لَمْ يَجِدْهُ صِيلًا عَلَيْهِ .

٦٦١ — يَا بَنَ آدَمَ إِنَّمَا أَنْتَ أَيَّامٌ مَجْمُوعَةٌ ؛ فَإِذَا مَضَى يَوْمٌ مَضَى بَعْضُكَ .

٦٦٢ — حَيْثُ تَكُونُ الْحِكْمَةُ تَكُونُ خَشْيَةُ اللَّهِ ، وَحَيْثُ تَكُونُ خَشْيَتُهُ تَكُونُ رَحْمَتُهُ .

٦٦٣ — اللَّهُمَّ إِنِّي أَرَى لَدَيَّ مِنْ فَضْلِكَ مَا لَمْ أَسْأَلْكَ ، فَعَلِمْتَ أَنَّ لَدَيْكَ مِنَ الرَّحْمَةِ مَا لَا أَعْلَمُ ، فَصَفَرْتُ قِيَمَةً مَطْلَبِي فِيمَا عَايَنْتُ ، وَقَصَرْتُ غَايَةَ أَمَلِي عِنْدَ مَا رَجَوْتُ ، فَإِنْ أَلْخَفْتُ فِي سُؤَالِي فَلِفَاقَتِي إِلَى مَا عِنْدَكَ ، وَإِنْ قَصَّرْتُ فِي دُعَائِي فَبِمَا عَوَّذْتُ مِنْ ابْتِدَائِكَ .

٦٦٤ — مَنْ كَانَ هَمَّتُهُ مَا يَدْخُلُ جَوْفَهُ كَانَتْ قِيَمَتُهُ مَا يَخْرُجُ مِنْهُ .

٦٦٥ — يَقُولُ اللَّهُ تَعَالَى : يَا بَنَ آدَمَ ، لَمْ أَخْلُقْكَ لِأَرْبَحَ عَلَيْكَ ، إِنَّمَا خَلَقْتُكَ لِتَرْبَحَ عَلَيَّ ، فَاتَّخِذْنِي بَدَلًا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ فَإِنِّي نَاصِرُكَ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ .

٦٦٦ — الرَّجَاءُ لِلْخَالِقِ سُبْحَانَهُ أَقْوَى مِنَ الْخَوْفِ ، لِأَنَّكَ تَخَافُهُ لَذَنْبِكَ ، وَتَرْجُوهُ لْجُودِهِ ، فَالْخَوْفُ لَكَ وَالرَّجَاءُ لَهُ .

٦٦٧ — أَسْأَلُكَ بَعِزَّةَ الْوَحْدَانِيَّةِ ، وَكَرِيمَ الْإِلَهِيَّةِ ، أَلَّا تَقْطَعَ عَنِّي بَرَكَ بَعْدَ مَمَاتِي ، كَمَا لَمْ تَرَلْ تَرَانِي أَيَّامَ حَيَاتِي ، أَنْتَ الَّذِي تَجِيبُ مَنْ دَعَاكَ ، وَلَا تَخِيبُ مَنْ رَجَاكَ ، ضَلَّ مَنْ يَدْعُو إِلَّا إِيَّاكَ ، فَإِنَّكَ لَا تَحْجُبُ مَنْ أَتَاكَ ، وَتُفْضِلُ عَلَى مَنْ

عصاك ، ولا يفوتك من ناواك ، ولا يُعجزُك من عاداك ؛ كلٌّ في قُدرتك ، وكلٌّ
بأكل رِزقك .

٦٦٨ — لا تطلبنَّ إلى أحدٍ حاجةً ليلاً ؛ فإنَّ الحياءَ في العينين .

٦٦٩ — من ازداد علماً فليحذر من توكيدِ الحجَّةِ عليه .

٦٧٠ — العاقلُ يُنَافِسُ الصَّالِحِينَ لِإِحْقَاقِ بِهِمْ ، وَيُجَبِّهُنَّ لِإِشَارِكِهِمْ بِمَحَبَّتِهِ ؛

وإن قَصَّرَ عَنْ مِثْلِ عَمَلِهِمْ ، وَالْجَاهِلُ يَذُمُّ الدُّنْيَا وَلَا يَسْخُو بِإِخْرَاجِ أَقْلَهَا ، يَمْدَحُ
الْجُودَ ، وَيَبْخُلُ بِالْبَذْلِ ، يَتَمَنَّى التَّوْبَةَ بِطُولِ الْأَمَلِ ، وَلَا يُعْجَلُهَا لَخَوْفِ حُلُولِ
الْأَجْلِ ، يَرْجُو ثَوَابَ عَمَلٍ لَمْ يَعْمَلْ بِهِ ، وَيَفِرُّ مِنَ النَّاسِ لِيُطْلَبَ ، وَيَخْفَى شَخْصَهُ
لِيَسْتَهَيَّرَ ، وَيَذُمُّ نَفْسَهُ لِيَمْدَحَ ، وَيَنْهَى عَنِ مَدْحِهِ وَهُوَ يَحِبُّ أَلَّا يَنْتَهَى مِنَ
النَّشَاءِ عَلَيْهِ .

٦٧١ — الْأَنْسُ بِالْعِلْمِ مِنْ نَبْلِ الْهَمَّةِ .

٦٧٢ — اللَّهُمَّ كَمَا صُنْتَ وَجْهِي عَنِ السُّجُودِ لِعَنِيكَ ، فَصُنْ وَجْهِي عَنِ مَسْأَلَةِ غَيْرِكَ .

٦٧٣ — مِنَ النَّاسِ مَنْ يَنْقُصُكَ إِذَا زِدْتَهُ ، وَيَهُونُ عَلَيْكَ إِذَا خَاصَصْتَهُ ، لَيْسَ

لِرِضَاهُ مَوْضِعٌ تَعْرِفُهُ ، وَلَا لِسَخَطِهِ مَكَانٌ تَحْذَرُهُ ، فَإِذَا لَقِيتَ أَوْلَثَكَ فَاذْبُلْ لَهُمْ
مَوْضِعَ الْمَوَدَّةِ الْعَامَّةِ ، وَاحْرِمْهُمْ مَوْضِعَ الْخَاصَّةِ ؛ لِيَكُونَ مَا بَدَلْتَ لَهُمْ مِنْ ذَلِكَ
حَائِلًا دُونَ شَرِّهِمْ ، وَمَا حَرَمْتَهُمْ مِنْ هَذَا قَاطِعًا لِحَرَمَتِهِمْ .

٦٧٤ — مَنْ شَبَّحَ عُوقِبَ فِي الْحَالِ ثَلَاثَ عُقُوبَاتٍ : يُلْقَى الْفِطَاءُ عَلَى قَائِمِهِ ،

وَالنُّعَاسُ عَلَى عَيْنِهِ ، وَالْكَسَلُ عَلَى بَدَنِهِ .

٦٧٥ — دَمُ الْعُقَلَاءِ أَشَدُّ مِنْ عُقُوبَةِ السُّلْطَانِ .

٦٧٦ — يَقْطَعُ الْبَلِیْغُ عَنِ الْمَسْأَلَةِ أَمْرَانِ : ذُلُّ الطَّلَبِ ، وَخَوْفُ الرَّدِّ .

٦٧٧ — الْمُؤْمِنُ مُحَدِّثٌ .

- ٦٧٨ — قلّ أن ينطق لسانُ الدَّعوى إلا ويُخْرِسه كِعامُ الامتحان .
- ٦٧٩ — انظر ما عندك فلا تَضَعهُ إِلَّا فِي حَقِّهِ ؛ وما عند غيرك فلا تَأْخُذْهُ إِلَّا بِحَقِّهِ .
- ٦٨٠ — إذا صافاك عدوك رِياءَ مِنْهُ فَنَلَقَ ذَلِكَ بأَوْ كَدِ مَوَدَّةٍ ؛ فإنه إن أَلِفَ ذَلِكَ واعتادَهُ خَلَصَتْ لَكَ مَوَدَّتُهُ .
- ٦٨١ — لا تَأْلَفِ الْمَسْأَلَةَ فَيَأْلَفَكَ الْمَنَعُ .
- ٦٨٢ — لا تَسْأَلِ الْحَوَائِجَ غَيْرَ أَهْلِهَا ، ولا تَسْأَلْها فِي غَيْرِ حِينِهَا ، ولا تَسْأَلِ مَا لَسْتَ لَهُ مُسْتَحَقًّا فَتَكُونَ لِلْحَرَمَانِ مُسْتَوْجِبًا .
- ٦٨٣ — إذا غَشَّكَ صَدِيقُكَ فَاجْعَلْهُ مَعَ عَدُوِّكَ .
- ٦٨٤ — لا تَعْدَنَّ مِنْ إِخْوَانِكَ مَنْ آخَاكَ فِي أَيَّامِ مَقْدَرَتِكَ لِلْمَقْدَرَةِ ، واعلم أنه يَنْتَقِلُ عَنْكَ فِي أَحْوَالٍ ثَلَاثٍ : يَكُونُ صَدِيقًا يَوْمَ حَاجَتِهِ إِلَيْكَ ، وَمُعْرِضًا يَوْمَ غِنَاكَ عَنْكَ ، وَعَدُوًّا يَوْمَ حَاجَتِكَ إِلَيْهِ .
- ٦٨٥ — لا تَسْرَنَّ بِكَثْرَةِ الْإِخْوَانِ مَا لَمْ يَكُونُوا أَخْيَارًا ؛ فَإِنَّ الْإِخْوَانَ بِمَنْزِلَةِ النَّارِ الَّتِي قَلِيلُهَا مَتَاعٌ وَكَثِيرُهَا بَوَارٌ .
- ٦٨٦ — كَفَاكَ خِيَانَةً أَنْ تَكُونَ أَمِينًا لِلْخَوْنَةِ .
- ٦٨٧ — لا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الْخَيْرِ وَإِنْ صَغُرَ ؛ فَإِنَّكَ إِذَا رَأَيْتَهُ سَرَّكَ مَكَانُهُ ؛ وَلَا تَحْقِرَنَّ شَيْئًا مِنَ الشَّرِّ وَإِنْ صَغُرَ فَإِنَّكَ إِذَا رَأَيْتَهُ سَاءَكَ مَكَانُهُ .
- ٦٨٨ — يَا بَنَ آدَمَ ؛ لَيْسَ بِكَ غِنَاءٌ عَنْ نَصِيْبِكَ مِنَ الدُّنْيَا ، وَأَنْتَ إِلَى نَصِيْبِكَ مِنَ الْآخِرَةِ أَفْقَرُ .

٦٨٩ — معصية العالم إذا خفيت لم تضر إلا صاحبها ، وإذا ظهرت ضرت صاحبها والعامّة .

٦٩٠ — يجبُ على العاقل أن يكون بما أحيا عقله من الحكمة أكلّف منه بما أحيا جسمه من الفداء .

٦٩١ — أعسرُ العيوبِ صلاحاً العُجبُ واللّجاجة .

٦٩٢ — لكلِّ نعمةٍ مفتاحٌ ومغلاقٌ ، ففتّاحُها الصبرُ ، ومغلاقُها الكسلُ .

٦٩٣ — الحزنُ والغضبُ أمرانِ تابعانِ لوقوعِ الأمرِ بخلافٍ مأتجبٍ ، إلا أن المكروهَ إذا أتاك ممّن فوقك نتجَ عليك حزناً ، وإن أتاك ممّن دونك نتجَ عليك غضباً .

٦٩٤ — أولُ المعروفِ مُستخفٌ ، وآخره مُستقلٌ ؛ تكادُ أوائله تكونُ للهوى دُونَ الرأى ، وأواخره للرأى دُونَ الهوى ؛ ولذلك قيلَ : ربُّ الصنعةِ أشدُّ من الابتداءِ بها .

٦٩٥ — لا تدعُ اللهَ أن يُفنيكَ عنِ النَّاسِ فإن حاجاتِ النَّاسِ بعضهم إلى بعضٍ مُتصلةٌ كاتصالِ الأَعْضاءِ فمَنْ يَسْتغنى المرنى عن يديه أو رجليه ولكن ادعُ اللهَ أن يُفنيكَ عن شرارِهِمْ .

٦٩٦ — احترسْ مِنْ ذِكْرِ العلمِ عِنْد مَنْ لَا يَرْغِبُ فِيهِ ؛ وَمِنْ ذِكْرِ قَدِيمِ الشَّرَفِ عِنْد مَنْ لَا قَدِيمَ لَهُ ، فَإِنَّ ذَلِكَ مِمَّا يَحْقِدُهُمَا عَلَيْكَ .

٦٩٧ — يَنْبَغِي لِلذَّوِي الْقَرَابَاتِ أَنْ يَتَزَاوَرُوا وَلَا يَتَجَاوَرُوا .

٦٩٨ — لَا تَوَاحِ شَاعِراً فَإِنَّهُ يَمْدُحُكَ بِشَمْنٍ ، وَيَهْجُوكَ بِمَجَانَا .

٦٩٩ — لَا تَنْزَلْ حَوَائِجَكَ بِجَيِّدِ اللِّسَانِ ، وَلَا بِمَنْسَرِّعٍ إِلَى الضَّمَانِ .

٧٠٠ — كلُّ شَيْءٍ طَلِبْتُهُ فِي وَقْتِهِ قَدْ فَاتَ وَقْتُهُ .

٧٠١ — إِذَا شَكَّكَتَ فِي مُودَةِ إِنْسَانٍ فَانْأَلْ قَلْبَكَ عَنْهُ .

٧٠٢ — الْعَقْلُ لَمْ يَجْنِ عَلَى صَاحِبِهِ قَطُّ ؛ وَالْعِلْمُ مِنْ غَيْرِ عَقْلٍ يَجْنَى عَلَى صَاحِبِهِ .

٧٠٣ — يَابْنَ آدَمَ ؛ هَلْ تَنْتَظِرُ إِلَّا هَرَمًا حَائِلًا^(١) ، أَوْ مَرَضًا شَاغِلًا ، أَوْ

مَوْتًا نَازِلًا !

٧٠٤ — ابْنُكَ يَأْكُلُكَ صَغِيرًا وَيَبْرُئُكَ كَبِيرًا ، وَابْنُكَ تَأْكُلُ مِنْ وَهَائِكَ ،

وَتَرُثُ مِنْ أَعْدَائِكَ ، وَابْنُ عَمِّكَ عَدُوُّكَ وَعَدُوُّ عَدُوِّكَ ، وَزَوْجُكَ إِذَا قَلَبَ لَهَا قَوْمِي قَامَتْ .

٧٠٥ — إِذَا ظَفَرْتُمْ فَأَكْرِمُوا الْغَلَبَةَ ، وَعَلَيْكُمْ بِالتَّغَافُلِ فَإِنَّهُ فِعْلُ الْكَرَامِ ،

وَأَيَّاكُمْ وَالْمَنِّ فَإِنَّهُ مَهْدَمَةٌ لِلصَّنِيعَةِ ، مِنْبَهَةٌ لِلضَّعِيفَةِ .

٧٠٦ — مَنْ لَمْ يَرْجُ إِلَّا مَا يَسْتَوْجِبُهُ أَذْرَكَ حَاجَتَهُ .

٧٠٧ — بَلَغَ مِنْ خَدَعِ النَّاسِ ؛ أَنْ جَعَلُوا شُكْرَ الْمَوْتَى تِجَارَةً عِنْدَ الْأَحْيَاءِ ،

وَالنَّشَاءَ عَلَى الْغَائِبِ اسْتِمَالَةً لِلشَّاهِدِ .

٧٠٨ — مَنْ أَحْتَاجَ إِلَيْكَ ثَقُلَ عَلَيْكَ ، وَمَنْ لَمْ يُصْلِحْهُ الْخَيْرُ أَصْلَحَهُ الشَّرُّ ،

وَمَنْ لَمْ يُصْلِحْهُ الطَّالِي أَصْلَحَهُ الْكَارِي .

٧٠٩ — مَنْ أَكْثَرَ مِنْ شَيْءٍ عُرِفَ بِهِ ، وَمَنْ زَنِى زُنًى بِهِ ، وَمَنْ طَلَبَ

عَظِيمًا خَاطَرَ بِعَظَمَتِهِ ، وَمَنْ أَحَبَّ أَنْ يَصْرِمَ أَخَاهُ فَلْيَقْرِضْهُ ثُمَّ لِيَنْقَاضْهُ ؛ وَمَنْ

أَحَبَّكَ لَشَيْءٍ مَلَكَ عِنْدَ انْقِضَائِهِ ، وَمَنْ عُرِفَ بِالْحَكْمَةِ لَاحَظَتْهُ الْعُيُونُ بِالْوَقَارِ .

(١) حَائِلًا ؛ أَيُّ مَانِعًا يَمْنَعُهُ مِنْ أَدَاءِ أَعْمَالِهِ .

٧١٠ — مَنْ بَلَغَ السَّبْعِينَ اشْتَكَى مِنْ غَيْرِ عِلَّةٍ .

٧١١ — فِي الْمَالِ ثَلَاثُ خِصَالٍ مَذْمُومَةٌ : إِمَّا أَنْ يُكْتَسَبَ مِنْ غَيْرِ حِلِّهِ ، أَوْ يَمْنَعَ إِنْفَاقُهُ فِي حَقِّهِ ، أَوْ يُسْتَفْلَ بِإِصْلَاحِهِ عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ تَعَالَى .

٧١٢ — يُبَاعِدُكَ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ إِلَّا تَغْضَبَ .

٧١٣ — لَا تَسْتَبْدِلَنَّ بَأَخٍ لَكَ قَدِيمَ أَخًا مُسْتَفَادًا مَا اسْتَقَامَ لَكَ ؛ فَإِنَّكَ إِنْ فَعَلْتَ فَقَدْ غَيَّرْتَ ، وَإِنْ غَيَّرْتَ تَغَيَّرَتْ نِعْمُ اللَّهِ عَلَيْكَ .

٧١٤ — أَشَدُّ مِنَ الْبَلَاءِ شِمَاتَةُ الْأَعْدَاءِ .

٧١٥ — لَيْسَ يَزْنِي فَرْجُكَ إِنْ غَضَضْتَ طَرْفَكَ .

٧١٦ — كَمَا تَرَكَ لَكُمْ الْمُلُوكُ الْحِكْمَةَ وَالْعِلْمَ فَاتَرَكُوا لَهُمُ الدُّنْيَا .

٧١٧ — الْهَدْيَةُ تَفْقَأُ عَيْنَ الْحَكِيمِ .

٧١٨ — لِيَكُنْ أَصْدِقَاؤُكَ كَثِيرًا ، وَاجْعَلْ سِرَّكَ مِنْهُمْ إِلَى وَاحِدٍ .

٧١٩ — يَا عِبِيدَ الدُّنْيَا ؛ كَيْفَ تُخَالِفُ فُرُوعَكُمْ أَصُولَكُمْ ، وَعُقُولَكُمْ أَهْوَاءَكُمْ ،

قَوْلَكُمْ شِفَاءً يُبْرِئُ الدَّاءَ ، وَعَمَلَكُمْ دَاءٌ لَا يَقْبَلُ الدَّوَاءَ ؛ وَلَسْتُمْ كَالْكَرْمَةِ الَّتِي

حَسَنُ وَرْقِهَا ، وَطَابَ ثَمَرُهَا ، وَسَهْلُ مَرْتَقَاهَا ؛ وَلَكِنَّكُمْ كَالشَّجَرَةِ الَّتِي قَلَّ وَرْقُهَا ،

وَكَثُرَ شَوْكُهَا ، وَخَبُثَ ثَمَرُهَا ، وَصَعِبَ مَرْتَقَاهَا . جَعَلْتُمُ الْعِلْمَ تَحْتَ أَقْدَامِكُمْ ،

وَالدُّنْيَا فَوْقَ رُءُوسِكُمْ ؛ فَالْعِلْمُ عِنْدَكُمْ مُذَالٌّ مَمْتَنٌّ ، وَالدُّنْيَا لَا يُسْتَطَاعُ تَنَاوُلُهَا ؛

فَقَدْ مَنَعْتُمْ كُلَّ أَحَدٍ مِنَ الْوُصُولِ إِلَيْهَا ؛ فَلَا أَحْرَارَ كَرَامَ أَنْتُمْ ، وَلَا عِبِيدَ أَتْقِيَاءَ .

وَيُحْنِكُمْ بِأَجْرَاءِ السُّوءِ ! أَمَّا الْأَجْرُ فَتَأْخُذُونَ ، وَأَمَّا الْعَمَلُ فَلَا تَعْمَلُونَ ؛ إِنْ عَمِلْتُمْ

فَلَعَمَلُ تَفْسُدُونَ ، وَسَوْفَ تَلْقَوْنَ مَا تَفْعَلُونَ ، يُوشِكُ رَبُّ الْعَمَلِ أَنْ يَنْظُرَ فِي عَمَلِهِ

الَّذِي أَفْسَدْتُمْ ، وَفِي أَجْرِهِ الَّذِي أَخَذْتُمْ . يَا غَرَمَاءَ السُّوءِ ، تَبْذَرُونَ بِالْهَدْيَةِ قَبْلَ قَضَاءِ

الدِّينَ ، تَتَطَوَّعُونَ بِالنَّوَافِلِ وَلَا تُؤَدُّونَ الْفَرَائِضَ ، إِنْ رَبَّ الدِّينِ لَا يَرْضَى بِالْهَدِيَّةِ حَتَّى يُقْضَى دِينُهُ .

٧٢٠ — الدُّنْيَا مَزْرَعَةٌ لِإِبْلِيسَ ، وَأَهْلُهَا أَكْرَةُ حَرَّاثُونَ لَهُ فِيهَا .

٧٢١ — وَاعْبَأْ مَنْ يَعْمَلُ لِلدُّنْيَا وَهُوَ يَرْزُقُ فِيهَا بِغَيْرِ عَمَلٍ ، وَلَا يَعْمَلُ لِلْآخِرَةِ وَهُوَ لَا يَرْزُقُ فِيهَا إِلَّا بِالْعَمَلِ !

٧٢٢ — لَا تُجَالِسُوا إِلَّا مَنْ يَذْكُرُكُمْ اللَّهُ رَوْيْتُهُ ، وَيَزِيدُ فِي عَمَلِكُمْ مَنْطِقَةً ، وَيَرْغَبُكُمْ فِي الْآخِرَةِ عَمَلُهُ .

٧٢٣ — كَثْرَةُ الطَّعَامِ تَمِيتُ الْقَلْبَ كَمَا تَمِيتُ كَثْرَةُ الْمَاءِ الزَّرْعَ .

٧٢٤ — ضَرْبُ الْوَالِدِ الْوَلَدَ كَالسَّامِ لِلزَّرْعِ .

٧٢٥ — إِذَا أَرَدْتَ أَنْ تَصَادِقَ رَجُلًا فَأَغْضِبْهُ ، فَإِنْ أَنْصَفَكَ فِي غَضِبِهِ وَإِلَّا فَدَعُهُ .

٧٢٦ — إِذَا أُتِيتَ مَجْلِسَ قَوْمٍ فَارْمِهِمْ بِسَهْمِ الْإِسْلَامِ ، ثُمَّ اجْلِسْ - يَعْنِي السَّلَامَ - فَإِنْ أَفَاضُوا فِي ذِكْرِ اللَّهِ فَأَجِلْ سَهْمَكَ مَعَ سَهْمِهِمْ ، وَإِنْ أَفَاضُوا فِي غَيْرِهِ فَخَلِّمْهُمْ وَانْهَضْ .

٧٢٧ — الْأَوْطَارُ تَكْسِبُ الْأَوْزَارَ ، فَارْفُضْ وَطَرَكَ ، وَاغْضُضْ بَصَرَكَ .

٧٢٨ — إِذَا قَعَدْتَ عِنْدَ سُلْطَانٍ فَلْيَكُنْ بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ مَقْعَدُ رَجُلٍ ؛ فَلَعَلَّهُ أَنْ يَأْتِيَهُ مِنْهُ هُوَ آثَرُ عِنْدَهُ مِنْكَ ؛ فَيُرِيدُ أَنْ تَنْتَحِيَ عَنْ مَجْلِسِكَ ، فَيَكُونُ ذَلِكَ نَقْصًا عَلَيْكَ وَشَيْنًا .

٧٢٩ — اِرْحَمْ الْفُقَرَاءَ لِقَلَّةِ صَبْرِهِمْ ، وَالْأَغْنِيَاءَ لِقَلَّةِ شُكْرِهِمْ ؛ وَارْحَمْ الْجَمِيعَ لَطُولِ غَفْلَتِهِمْ .

٧٣٠ — العالمُ مصباحُ الله في الأرض ، فمن أرادَ الله به خيراً اقتبسَ منه .

٧٣١ — لا يهونَنَّ عليك من قُبْحِ مَنْظَرِهِ وَرَثَ لِبَاسُهُ ؛ فَإِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يَنْظُرُ إِلَى الْقُلُوبِ وَيُجَازِي بِالْأَعْمَالِ

٧٣٢ — من كَذَبَ ذَهَبَ يَمَاءُ وَجْهِهِ ، ومن سَاءَ خُلُقُهُ كَثُرَ غَمُّهُ ، وَتَقَلُّ الصَّخُورِ مِنْ مَوَاضِعِهَا أَهْوَنُ مِنْ تَفْهِيمِ مَنْ لَا يَفْهَمُ .

٧٣٣ — كُنْتُ فِي أَيَّامِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ كَجُزءٍ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ ، يَنْظُرُ إِلَى النَّاسِ كَمَا يُنْظَرُ إِلَى الْكَوَاكِبِ فِي أَفْقِ السَّمَاءِ ، ثُمَّ غَضَّ الدَّهْرُ مَنِّي ، فَقَرُنَ بِي فَلَانٌ وَفَلَانٌ ، ثُمَّ قُرِنْتُ بِخَمْسَةِ أَمْثَلُهُمْ عُمَانُ ، فَقُلْتُ : وَادْفَرَاهُ^(١) ! ثُمَّ لَمْ يَرْضَ الدَّهْرُ لِي بِذَلِكَ ؛ حَتَّى أُرْذَلَنِي ، فَجَعَلَنِي نَظِيرًا لِابْنِ هِنْدٍ وَابْنِ النَّابِغَةِ ! لَقَدْ اسْتَنْتَ الْفَصَالَ حَتَّى الْقَرَعَى .

٧٣٤ — أَمَا وَالَّذِي فَلَقَ الْحَبَّةَ ، وَبَرَأَ النَّسَمَةَ ، إِنَّهُ لَمَعْدُ النَّبِيِّ الْأُمِّيِّ إِلَى أَنْ الْأُمَّةُ سَتْفِدِرُ بِكَ مِنْ بَعْدِي .

٧٣٥ — لَامَتْهُ فَاطِمَةُ عَلَى قَعُودِهِ وَأَطَالَتْ تَعْنِيفُهُ ؛ وَهُوَ سَاكِتٌ حَتَّى أَذَّنَ الْمُؤَذِّنُ ، فَلَمَّا بَلَغَ إِلَى قَوْلِهِ : « أَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ » ، قَالَ لَهَا : أَنْحَيَّيْنِ أَنْ تَزُولَ هَذِهِ الدَّعْوَةُ مِنَ الدُّنْيَا ؟ قَالَتْ : لَا ، قَالَ فَهَوَّ مَا أَقُولُ لَكَ .

٧٣٦ — قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ : إِنْ اجْتَمَعُوا عَلَيْكَ فَاصْنَعْ مَا أَمَرْتُكَ ؛ وَإِلَّا فَأَلْصِقْ كَنَاسَكَ بِالْأَرْضِ ؛ فَلَمَّا تَفَرَّقُوا عَنِّي جَرِيتُ عَلَى الْمَكْرُوهِ ذَيْلِي ، وَأَغْضَيْتُ عَلَى الْقَذَى جَفْنِي ، وَأَلْصَقْتُ بِالْأَرْضِ كَنَاسِي .

٧٣٧ — الدُّنْيَا حُلْمٌ وَالْآخِرَةُ يَقْظَةٌ ؛ وَنَحْنُ بَيْنَهُمَا أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ .

٧٣٨ — لَمَّا عَرَفَ أَهْلُ النِّصْحِ حَالَهُمْ عِنْدَ أَهْلِ الْكِبَالِ ، اسْتَعَانُوا بِالْكَبِيرِ لِيُعْظِمَ صَغِيرًا ، وَيَرْفَعَ حَقِيرًا ، وَلَيْسَ بِفَاعِلٍ .

٧٣٩ — لَوْ تَمَيَّزَتِ الْأَشْيَاءُ كَانَ الْكَذِبُ مَعَ الْجَبَنِ ، وَالصُّدُقُ مَعَ الشَّجَاعَةِ ، وَالرَّاحَةُ مَعَ الْيَأْسِ ، وَالتَّقَبُّ مَعَ الطَّمَعِ ، وَالْحَرَمَانُ مَعَ الْحَرَصِ ، وَالذُّلُّ مَعَ الدَّيْنِ .

٧٤٠ — الْمَعْرُوفُ غُلٌّ لَا يَفُكُّهُ إِلَّا شُكْرٌ أَوْ مَكَاافَةٌ .

٧٤١ — كَثْرَةُ مَالِ الْمَيِّتِ تَسْلِيُ وَرَثَتَهُ عَنْهُ .

٧٤٢ — مَنْ كَرُمَتْ عَلَيْهِ نَفْسُهُ هَانَ عَلَيْهِ مَالُهُ .

٧٤٣ — مَنْ كَثُرَ مُزَاحُهُ لَمْ يَسْلَمْ مِنْ اسْتِخْفَافٍ بِهِ ، أَوْ حَقْدٍ عَلَيْهِ .

٧٤٤ — كَثْرَةُ الدَّيْنِ تَضْطَرُّ الصَّادِقَ إِلَى الْكَذِبِ وَالْوَاعِدَ إِلَى الْإِخْلَافِ .

٧٤٥ — عَارُ النَّصِيحَةِ يَكْدُرُ لَذَّتِهَا .

٧٤٦ — أَوَّلُ الْغَضَبِ جُنُونٌ ، وَآخِرُهُ نَدَمٌ .

٧٤٧ — انْفِرِدْ بِسِرِّكَ وَلَا تَوَدِّعْ حَازِمًا فَيَزِلَّ ، وَلَا جَاهِلًا فَيَخُونَ .

٧٤٨ — لَا تَقْطَعْ أَهْلَكَ إِلَّا بَعْدَ عِجْزِ الْحِيلَةِ عَنْ اسْتِصْلَاحِهِ ، وَلَا تُتْبِعْهُ بَعْدَ

الْقَطِيعَةِ وَقِيعَةً فِيهِ ؛ فَتُسَدَّ طَرِيقُهُ عَنِ الرَّجُوعِ إِلَيْكَ ، وَلَعَلَّ التَّجَارِبَ أَنْ تَرُدَّهُ عَلَيْكَ وَتُصْلِحَهُ لَكَ .

٧٤٩ — مَنْ أَحْسَنَ بَصْنَفِ حِيلَتِهِ عَنِ الْاِكْتِسَابِ بَخِلَ .

٧٥٠ — الْجَاهِلُ صَغِيرٌ وَإِنْ كَانَ شَيْخًا ، وَالْعَالِمُ كَبِيرٌ وَإِنْ كَانَ حَدَنًا .

٧٥١ — الْمَيِّتُ يَقِلُّ الْحَسَدُ لَهُ ، وَيَكْثُرُ الْكَذِبُ عَلَيْهِ .

٧٥٢ — إِذَا نَزَلَتْ بِكَ النِّعْمَةُ فَاجْعَلْ قِرَافَتَهَا الشُّكْرَ .

٧٥٣ — الْحِرْصُ يُنْقُصُ مِنْ قَدْرِ الْإِنْسَانِ وَلَا يَزِيدُ فِي حَظِّهِ .

٧٥٤ — الْفُرْصَةُ سَرِيعَةُ الْفَوْتِ بَطِيئَةُ الْعُودِ .

٧٥٥ — أَجْحَلُ النَّاسِ بِمَالِهِ أَجُودُهُمْ بِعَرَضِهِ .

٧٥٦ — لَا تَتَّبِعِ الذَّنْبَ الْعَقُوبَةُ وَاجْعَلْ بَيْنَهُمَا وَقْتًا لِلْإِعْتِزَالِ .

٧٥٧ — اذْكُرْ عِنْدَ الظُّلْمِ عَدْلَ اللَّهِ فِيكَ ، وَعِنْدَ الْقُدْرَةِ قُدْرَةَ اللَّهِ عَلَيْكَ .

٧٥٨ — لَا يَحْمِلَنَّكَ الْحَقُّ عَلَى اقْتِرَافِ الْإِثْمِ فَتَشْفَى غِيظَكَ وَتَسْقَمَ دِينَكَ .

٧٥٩ — الْمَلِكُ بِالذِّينِ بَقِيَ وَالذِّينُ بِالْمَلِكِ يَقْوَى .

٧٦٠ — كَانَ الْخَاسِدُ إِنَّمَا خُلِقَ لِيُفْتَاطَ .

٧٦١ — عَقْلُ الْكَاتِبِ فِي قَلَمِهِ .

٧٦٢ — اقْتَصِرْ مِنْ شَهْوَةٍ خَالَفتَ عَقْلَكَ بِالْخِلَافِ عَلَيْهَا .

٧٦٣ — اللَّهُمَّ صُنْ وَجْهِي بِالْيَسَارِ ، وَلَا تَبْذُلْ جَاهِي بِالْإِقْتَارِ ؛ فَاسْتَرْزَقْ طَالِبِي

رِزْقِكَ ، وَأَسْتَغْفِرْ شِرَارَ خَلْقِكَ ، وَأُبْتَغِي بِحَمْدِكَ مِنْ أَعْطَانِي ، وَأُفْتِنَ بِذِمٍّ مِنْ مَنْعِي ؛ وَأَنْتَ مِنْ وَرَاءِ ذَلِكَ وَلِيُّ الْإِعْطَاءِ وَالْمَنْعِ ، إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ .

٧٦٤ — كُلُّ حَقْدٍ حَقْدَتُهُ قَرِيشٌ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ أَظْهَرَتْهُ فِيَّ

وَسُتْظَهَرَتْهُ فِي وَلَدِي مِنْ بَعْدِي ، مَالِي وَلَقَرِيشٍ ! إِنَّمَا وَتَرْتُهُمْ^(١) بِأَمْرِ اللَّهِ وَأَمْرِ رَسُولِهِ ؛

أَفْهَذَا جَزَاءُ مَنْ أَطَاعَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنْ كَانُوا مُسْلِمِينَ !

٧٦٥ — عَجِبًا لِسَعْدِ وَابْنِ عَمْرِو ! يَزْعُمَانِ أَنِي أَحَارِبُ عَلَى الدُّنْيَا ، أَفَكَانَ رَسُولُ

اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ يَحَارِبُ عَلَى الدُّنْيَا ! فَإِنْ زَعَمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ

حَارِبٌ لَتَكْسِيرِ الْأَصْنَامِ ، وَعِبَادَةِ الرَّثْمَنِ ؛ فَإِنَّمَا حَارِبْتُ لِدَفْعِ الضَّلَالِ وَالنَّهْيِ عَنِ

(١) وَتَرْتُهُمْ : أَحْدَثَتْ عَنْهُمْ وَتَرَأَ .

الفحشاء والفساد ؛ أفشلى يُزَنُّ بحبِّ الدنيا ! والله لو تمثلت لي بشراً سويةً
لضربتُها بالسيفِ .

٧٦٦ — اللهم أنت خلقتني كما شئت ، فارحني كيف شئت ، ووفقني لطاعتك ،
حتى تكونَ ثقتي كلها بك ، وخوفي كله منك .

٧٦٧ — لا تسبَّنْ إبليسَ في العلانيةِ وأنت صديقه في السرِّ .

٧٦٨ — من لم يأخذْ أُهْبَةَ الصلاةِ قبلَ وقتها فاقْرَها .

٧٦٩ — لا تطمع في كلِّ ما تسمعُ .

٧٧٠ — من عاتبَ ووبَّخَ فقد استوفى حقَّه .

٧٧١ — الجودُ الذي يستطيعُ أن يُتناولَ به كُلُّ أحدٍ ، هو أن ينوى الخيرَ
لكلِّ أحدٍ .

٧٧٢ — من صحبَ السلطانَ بالصَّحَّةِ والنصيحةِ كان أكثرَ عدواً ممَّن صحبهُ
بالفسخِ والخيانةِ .

٧٧٣ — من عابَ سَفِلَةً فقد رفعه ، ومن عابَ كريماً فقد وضعَ نفسه .

٧٧٤ — الموالى ينصرونَ ، وبنو العمِّ يحسدونَ .

٧٧٥ — الصدقُ عزٌّ ، والكذبُ مذلةٌ ، ومن عرفَ بالصدقِ جازَ كذبهُ ، ومن
عرفَ بالكذبِ لم يجزِ صدقهُ .

٧٧٦ — إذا سمعتَ الكلمةَ تُؤذيكَ فطأطئْ لها فإنها تتخطأكَ .

٧٧٧ — نحنُ نريدُ ألا نموتَ حتى نتوبَ ، ونحنُ لا نتوبُ حتى نموتَ .

٧٧٨ — أنزلِ الصديقَ منزلةَ العدوِّ في رفعِ المؤنةِ عنه ، وأنزلِ العدوَّ منزلةَ
الصديقِ في تحمُّلِ المؤنةِ له .

٧٧٩ — أَوَّلُ عَقُوبَةِ الْكَاذِبِ أَنْ صَدَقَهُ يُرَدُّ عَلَيْهِ .

٧٨٠ — الْأَدَبُ عِنْدَ الْأَحْقَقِ كَلَامُ الْمَذْبِ فِي أَصُولِ الْخِطَلِ ، كَمَا ازْدَادَ رِيَّةً
ازداد مرارة .

٧٨١ — إِيَّاكُمْ وَحِيَّةَ الْأَوْغَادِ ؛ فَإِنَّهُمْ يَرُونَ الْعَفْوَ ضِيَاءً .

٧٨٢ — الْكَرِيمُ لَا يَسْتَقْبِلُ فِي مُحَاقَةِ الْمُعْتَذِرِ ، خَوْفًا أَنْ يَمْزِي مِنْ لَا يَجِدُ
مُخْرَجًا مِنْ ذَنْبِهِ .

٧٨٣ — الْعَفْوُ عَنِ الْمُقْرِ لَا عَنِ الْمَصْرِ .

٧٨٤ — مَا اسْتَغْنَى أَحَدٌ بِاللَّهِ إِلَّا افْتَقَرَ النَّاسُ إِلَيْهِ .

٧٨٥ — مَنْ جَادَ بِمَالِهِ فَقَدْ جَادَ بِنَفْسِهِ ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ جَادَ بِهَا بَعِيْنَهَا فَقَدْ
جَادَ بِقَوَائِمِهَا .

٧٨٦ — الدِّينُ مِيسَمُ الْكِرَامِ ، وَطَلَمًا وَقَرَّ الْكِرَامُ بِالْدِّينِ !

٧٨٧ — الْمَاضِي قَبْلَكَ هُوَ الْبَاقِي بَعْدَكَ ، وَالتَّهْنِئَةُ بِأَجْلِ الثَّوَابِ أَوْلَى مِنَ التَّعْزِيَةِ
بِعَاجِلِ الْمَصِيبِ .

٧٨٨ — مِمَّا تَكْتَسِبُ بِهِ الْحُبَّةُ أَنْ تَكُونَ ظَالِمًا كَجَاهِلٍ ، وَوَاعِظًا كَمُوعِظٍ .

٧٨٩ — لَا تَحْمِلَنَّ الصَّبْرَ إِذَا كَانَ سَخِيًّا ، فَإِنَّهُ لَا يَعْرِفُ فَضِيلَةَ السَّخَاءِ ؛ وَإِنَّمَا
يَسْطَى مَا فِي يَدِهِ ضَعْفًا .

٧٩٠ — خَيْرُ الْإِخْوَانِ مَنْ إِذَا اسْتَغْنَيْتَ عَنْهُ لَمْ يَزِدْكَ فِي الْمَوَدَّةِ ، وَإِنْ احْتَجْتَ
إِلَيْهِ لَمْ يَنْقُصْكَ مِنْهَا .

٨٩١ — عَجَبًا لِلْإِسْلَامِ ، كَيْفَ يُحْسِنُ ، وَهُوَ إِذَا أَسَاءَ وَجَدَ مَنْ
يَزْكِيهِ وَيَمْدَحُهُ !

٧٩٢ — إذا صادق إنساناً وجب عليك أن تكون صديقاً صديقه ، وليس يجب عليك أن تكون عدو عدوه ؛ لأن هذا إنما يجب على خادمه وليس يجب على مماثل له .

٧٩٣ — ليس بكل فضيلة الرجل حتى يكون صديقاً لمتعادي بين .

٧٩٤ — من سعادة الحدث ألا يتم له فضيلة في رزيلة .

٧٩٥ — إذا منعت من شيء قد التمسته ، فليكن غيظك منه على نفسك في المسألة أكثر من غيظك على من منعك .

٧٩٦ — الأسخياء يشتمون بالبخلاء عند الموت ، والبخلاء يشتمون بالأسخياء عند الفقر .

٧٩٧ — ليس يضبط العدد الكثير من لا يضبط نفسه الواحدة .

٧٩٨ — إذا أحسن أحد من أصحابك فلا تخرج إليه بغاية بركك ؛ ولكن اترك منه شيئاً تزيد إياه عند تبينك منه الزيادة في نصيحته .

٧٩٩ — الوقوع في المكروه أسهل من توقع المكروه .

٨٠٠ — الحسود ظالم ، ضعفت يده عن انتزاع ما حسدك عليه ؛ فلما قصر عليك بعث إليك تأشفه .

٨٠١ — أعم الأشياء نفعاً موت الأشرار .

٨٠٢ — الشيء المرغى للناس عن مصائبهم علم العلماء إنها نفع اضطرارية وتأسي العامة بعضها ببعض .

٨٠٣ — العقل الإصابة بالظن ومعرفة ما لم يكن بما كان .

٨٠٤ — يَعْجَبُ النَّاسُ قَدْ مَكَّنَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْاِقْتِدَاءِ بِهِ ، فَيَدْعُونَ ذَلِكَ إِلَى الْاِقْتِدَاءِ بِالْبَهَائِمِ .

٨٠٥ — سَلُوا الْقُلُوبَ عَنِ الْمَوَدَّاتِ ؛ فَإِنَّهَا شُهُودٌ لَا تَقْبَلُ الرِّشَاءَ .

٨٠٦ — إِنَّمَا يَحْزَنُ الْحَسَدَةُ أَبَدًا لِأَنَّهُمْ لَا يَحْزَنُونَ لِمَا يَنْزِلُ بِهِمْ مِنَ الشَّرِّ قَطُّ ؛ بَلْ وَلَمَّا يَنْالُ النَّاسُ مِنَ الْخَيْرِ .

٨٠٧ — الْعَشَقُ جَهْدٌ عَارِضٌ صَادَفَ قَلْبًا فَارْغَا .

٨٠٨ — تُعْرِفُ خُسَاسَةَ الْمَرْءِ بِكَثْرَةِ كَلَامِهِ فِيْمَا لَا يَعْنِيهِ ، وَإِخْبَارِهِ عَمَّا لَا يُسْأَلُ عَنْهُ .

٨٠٩ — لَا تَوَخَّرْ إِنْ نَالَ الْمُحْتَاجُ إِلَى غَدٍ ، فَإِنَّكَ لَا تَعْرِفُ مَا يَعْصُرُ فِي غَدٍ .

٨١٠ — إِنْ تَتَعَبَ فِي الْبَرِّ ؛ فَإِنَّ التَّعَبَ يَزُولُ وَالْبَرُّ يَبْقَى .

٨١١ — أَجْهَلُ الْجُهَالِ مَنْ عَثَرَ بِحَجَرٍ مَرَّتَيْنِ .

٨١٢ — كِفَاكَ مُوَبِّحًا عَلَى الْكَذْبِ عِلْمُكَ بِأَنَّكَ كَاذِبٌ ، وَكِفَاكَ نَاهِيًا عَنْهُ خَوْفُكَ مِنْ تَكْذِيبِكَ حَالِ إِخْبَارِكَ .

٨١٣ — الْعَالِمُ يَعْرِفُ الْجَاهِلَ لِأَنَّهُ كَانَ جَاهِلًا ، وَالْجَاهِلُ لَا يَعْرِفُ الْعَالِمَ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ عَالِمًا .

٨١٤ — لَا تَتَّكِلُوا عَلَى الْبَخْتِ فَرُبَّمَا لَمْ يَكُنْ وَرُبَّمَا كَانَ وَزَالَ ، وَلَا عَلَى

الْحَسْبِ فَطَالَمَا كَانَ بَلَاءٌ عَلَى أَهْلِهِ ، يُقَالُ لِلنَّاقِصِ : هَذَا ابْنُ فَلَانٍ الْفَاضِلِ ؛ فَيَتَضَاعَفُ غَمُّهُ

وَعَارُهُ ؛ وَلَكِنْ عَلَيْكُمْ بِالْعِلْمِ وَالْأَدَبِ ؛ فَإِنَّ الْعَالِمَ يُكْرَمُ وَإِنْ لَمْ يَنْتَسِبْ ، وَيُكْرَمُ وَإِنْ

كَانَ فَقِيرًا ، وَيُكْرَمُ وَإِنْ كَانَ حَدِيثًا .

٨١٥ — خيرُ ما عُوْشِرَ به الملكُ قلةُ الخلافِ وتخفيفُ المؤنة ، وأصعبُ الأشياءِ على الإنسان أن يعرفَ نفسه ، وأن يكتم سرَّهُ .

٨١٦ — العدلُ أفضلُ من الشجاعةِ ، لأنَّ الناسَ لو استعملوا العدلَ عموماً في جميعهم لاستغنوا عن الشجاعةِ .

٨١٧ — أولى الأشياءِ أن يتعلَّمها الأحداثُ الأشياءُ التي إذا صاروا رجالاً احتاجوا إليها .

٨١٨ — لا ترغِبْ في اقتناء الأموالِ ؛ وكيف ترغِبُ فيما ينالُ بالبحثِ لا بالاستحقاقِ ، ويأمرُ البخلُ والشرُّ بحفظه والجود والزهدُ بإخراجه !

٨١٩ — إذا غابتِ الحدثُ فاتركْ له موضعاً من ذنبه ، لئلاً يحمله الإخراجُ على الكابرةِ .

٨٢٠ — ما انتقم الإنسانُ من عدوِّه بأعظم من أن يزداد من الفضائلِ .

٨٢١ — إنما لم يجتمع الحكمةُ والمالُ ، لعزّةِ وجودِ السكّالِ .

٨٢٢ — يَمْنَعُ الجاهلُ أن يجدَ ألمَ الحقِّ المستقرِّ في قلبه ما يمنعُ السكرانُ أن يجدَ مسَّ الشوكةِ في يده .

٨٢٣ — القُنيةُ مَخْدُومَةٌ ، ومن خدَمَ غيرَ نفسه فليس بحرٍّ .

٨٢٤ — لا تَطْلُبِ الحياةَ لتَأْكُلَ ؛ بل اطْلُبِ الأكلَ لتَحْيَا .

٨٢٥ — إذا رَأَتْ العامةُ منازلَ الخِصَّةِ من السلطانِ حسدتها عليها ، وتمنّتْ أمثالها ، فإذا رَأَتْ مصارعها بدا لها .

٨٢٦ — الشيءُ الذي لا يستغنى عنه أحدٌ هوَ التوفيقُ .

٨٢٧ — ليس ينبغي أن يقع التصديق إلا بما يصح ، ولا العمل إلا بما يحل ، ولا الابتداء إلا بما تحسن فيه العاقبة .

٨٢٨ — الوحدة خيرٌ من رفيقٍ سوء .

٨٢٩ — لكل شيء صناعة ، وحسن الاختبار صناعة العقل .

٨٣٠ — من حسدك لم يشكركَ على إحسانك إليه .

٨٣١ — البغي آخرُ مدّة الملوك .

٨٣٢ — لأن يكون الحرُّ عبداً لعبيده خيراً من أن يكون عبداً لشهواته .

٨٣٣ — من أمضى يومه في غير حقِّ قضاءه ، أو فرض أدائه ، أو مجده بناه ، أو حمده حصّله ، أو خيره أسّسه ، أو علم اقتبسه ، فقد عقر يومه .

٨٣٤ — أرسل إليه عمرو بن العاص يعبئه بأشياء ، منها أنه يسمّى حسناً وحسيناً ولدَي رسول الله صلى الله عليه وآله فقال لرسوله : قل للشّاني ابن الشّاني ؛ لو لم يكونا ولدَيه لكان أبتر ؛ كما زعمه أبوك !

٨٣٥ — قال معاوية لما قُتلَ عمارٌ واضطرب أهل الشام لرواية عمرو بن العاص كانت لهم : « تقتله الفئة الباغية » : إنّما قتله من أخرجه إلى الحرب وعرضه للقتل ؛ فقال أمير المؤمنين عليه السلام : فرسول الله صلى الله عليه وآله إذن قاتل حمزة !

٨٣٦ — هذا يدى — يعنى محمد بن الحنفية — وهذان عيناي — يعنى حسناً وحسيناً — وما زال الإنسان يذبُّ بيده عن عينيه ؛ قالها لمن قال له : إنّك تُعرضُ محمداً للقتل ، وتقذفُ به في محور الأعداء دون أخويه .

٨٣٧ — شكّرت الواهب ، وبورك لك في الوهوب ، ورزقت خيره وبرّه ،

خذ إليك أبا الأملاك ؛ قالها لعبد الله بن العباس لما ولدَ ابنه على بن عبد الله .

٨٣٨ — مَا يَسُرُّنِي أَنِّي كَفَيْتُ أَمْرَ الدُّنْيَا كُلَّهُ ، لِأَنِّي أَكْرَهُ عَادَةَ الْعَجْزِ .

٨٣٩ — اجْتِمَاعُ الْمَالِ عِنْدَ الْأَسْخِيَاءِ أَحَدُ الْخَصْبَيْنِ ، وَاجْتِمَاعُ الْمَالِ عِنْدَ الْبَغْلَاءِ أَحَدُ الْجَذْبَيْنِ .

٨٤٠ — مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَيْبَهُ كُفِيَ نَصْفَ التَّعَبِ .

٨٤١ — الْمُصْطَنِعُ إِلَى اللَّهِ كَمَنْ طَوَّقَ الْخَنْزِيرَ تَبْرًا ، وَقَرَّطَ الْكَلْبَ دُرًّا ،
وَالْبَسَ الْحَمَارَ وَشِيَاءً ، وَأَنْقَمَ الْأَفْعَى شَهْدًا .

٨٤٢ — الْحَازِمُ إِذَا أَشْكَلَ عَلَيْهِ ^(١) الرَّأْيُ بِمَنْزِلَةِ مَنْ أَضَلَّ لُؤْلُؤَةً ، فَجَمَعَ
مَاحُولَ مَسْقَطِهَا مِنَ التُّرَابِ ثُمَّ التَّمَسَّهَا حَتَّى وَجَدَهَا ، وَلِذَلِكَ الْحَازِمُ يَجْمَعُ وَجُوهَ
الرَّأْيِ فِي الْأَمْرِ الْمَشْكَلِ ، ثُمَّ يَضْرِبُ بَعْضُهُ بِبَعْضٍ حَتَّى يَخْلُصَ إِلَيْهِ الصَّوَابُ .

٨٤٣ — الْأَشْرَافُ يَعَاقِبُونَ بِالْمُهْجَرَانِ لَا بِالْحَرَمَانِ

٨٤٤ — الشَّحُّ أَضَرُّ عَلَى الْإِنْسَانِ مِنَ الْفَقْرِ ، لِأَنَّ الْفَقِيرَ إِذَا وَجَدَ اتَّسَعَ ، وَالشَّحِيحَ
لَا يَتَّسَعُ وَإِنْ وَجَدَ .

٨٤٥ — أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى الْعَاقِلِ أَنْ يَكُونَ عَاقِلًا عَدُوَّهُ ، لِأَنَّهُ إِذَا كَانَ عَاقِلًا
كَانَ مِنْهُ فِي عَافِيَةٍ .

٨٤٦ — عَلَيْكَ بِمُجَالَسَةِ أَصْحَابِ التَّجَارِبِ ، فَإِنَّهَا تَقْوِمُ عَلَيْهِمُ بَأَعْلَى الْفَلَاءِ ، وَتَأْخُذُهَا
مِنْهُمْ بِأَرْخَصِ الرُّخَصِ .

٨٤٧ — مَنْ لَمْ يَحْمَدَكَ عَلَى حُسْنِ النِّيَّةِ لَمْ يَشْكُرَكَ عَلَى جَمِيلِ الْعَطِيَّةِ .

٨٤٨ — لَا تَنْكِحُوا النِّسَاءَ الْحُسْنَى ، فَعَسَى حُسْنُهُنَّ أَنْ يُزْدِيَهُنَّ ، وَلَا لِأَمْوَالِهِنَّ

فمسي أموالهنَّ أن تُطْفِئِنَّ ، وانكِحُوهُنَّ على الدِّينِ ؛ ولأمةٌ سوداءُ خرَّماهُ ذاتُ دينٍ أفضلُ .

٨٤٩ — أفضلُ العبادةِ الإمساكُ عن المعصيةِ ، والوقوفُ عند الشُّبهةِ .

٨٥٠ — ذمُّ الرَّجلِ نفسه في العلانيةِ مدحٌ لها في السِّرِّ .

٨٥١ — مَنْ عَدِمَ فَضِيلَةَ الصَّدَقِ في منطقهِ فَقَدْ فُجِعَ بِأَكْرَمِ أَخْلَاقِهِ .

٨٥٢ — ليس بِضُرِّكَ أَنْ تَرَى صَدِيقَكَ عِنْدَ عَدُوِّكَ ؛ فَإِنَّهُ إِنْ لَمْ يَنْفَعَكَ لَمْ يَضُرَّكَ .

٨٥٣ — قَلَّ أَنْ تَرَى أَحَدًا تَكَبَّرَ عَلَى مَنْ دُونَهُ إِلَّا وَبِذَلِكَ الْمِقْدَارِ يَجُودُ بِالذَّلِّ لِمَنْ فَوْقَهُ .

٨٥٤ — مَنْ عَظُمَتْ عَلَيْهِ مُصِيبَةٌ فَلْيَذْكُرِ الْمَوْتَ ؛ فَإِنَّهَا تَهْوُنُ عَلَيْهِ ، وَمَنْ ضَاقَ بِهِ أَمْرٌ فَلْيَذْكُرِ الْقَبْرَ فَإِنَّهُ يَتَسَّعُ .

٨٥٥ — خَيْرُ الشَّعْرِ مَا كَانَ مَثَلًا ، وَخَيْرُ الْأَمْثَالِ مَا لَمْ يَكُنْ شِعْرًا .

٨٥٦ — اَلْقِ النَّاسَ عِنْدَ حَاجَتِهِمْ إِلَيْكَ بِالْبَشْرِ وَالتَّوَاضُعِ ، فَإِنْ نَابَتْكَ نَائِبَةٌ ، وَحَالَتْ بِكَ حَالٌ ، لَقِيَتَهُمْ وَقَدْ أَمِنْتَ ذِلَّةَ التَّنَصُّلِ إِلَيْهِمْ وَالتَّوَاضُعِ .

٨٥٧ — إِنْ اللَّهُ يُحِبُّ أَنْ يُعْفَى عَنْ زَلَّةِ السَّرِيِّ .

٨٥٨ — مَنْ طَالَ لِسَانُهُ وَحَسُنَ بَيَانُهُ ، فَلْيَتْرِكِ التَّحَدُّثَ بِغَرَائِبِ مَا سَمِعَ ، فَإِنَّ

الْحَسَدَ لِحَسَنِ مَا يَظْهَرُ مِنْهُ يُحْمَلُ أَكْثَرَ النَّاسِ عَلَى تَكْذِيبِهِ ، وَمَنْ عَرَفَ أَسْرَارَ الْأُمُورِ الْإِلَهِيَّةِ فَلْيَتْرِكِ الْخَوْضَ فِيهَا ، وَإِلَّا حَمَلَتْهُمُ الْمَنَافِسَةُ عَلَى تَكْفِيرِهِ .

٨٥٩ — لَيْسَ كُلُّ مَكْتُومٍ يَسُوءُ إِظْهَارُهُ لَكَ ، وَلَا كُلُّ مُعْلُومٍ يَجُوزُ أَنْ

تُعَلِّمَهُ غَيْرُكَ .

٨٦٠ — لَيْسَ يَفْهَمُ كَلَامَكَ مَنْ كَانَ كَلَامُهُ لَكَ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِنَ الْإِسْتِمَاعِ مِنْكَ ،
وَلَا يَعْلَمُ نَصِيحَتَكَ مَنْ غَلَبَ هَوَاهُ عَلَى رَأْيِكَ ، وَلَا يَسْلُمُ لَكَ مَنْ اعْتَقَدَ أَنَّهُ أَنْتُمْ
مَعْرِفَةً بِمَا أَشْرَتْ عَلَيْهِ بِهِ مِنْكَ .

٨٦١ — خَفِيَ الضَّعِيفَ إِذَا كَانَ تَحْتَ رَايَةِ الْإِنْصَافِ أَكْثَرَ مِنْ خَوْفِكَ الْقَوَى
تَحْتَ رَايَةِ الْجَوْرِ ، فَإِنَّ النُّصْرَةَ يَأْتِيهِ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُ ، وَجُرْحُهُ لَا يَنْدَمِلُ .

٨٦٢ — إِخَافَةُ الْعَبِيدِ وَالتَّضْيِيقُ عَلَيْهِمْ يَزِيدُ فِي عِبُودِيَّتِهِمْ وَصِيَانَتِهِمْ ، وَإِظْهَارُ الثِّقَةِ
بِهِمْ يَكْسِبُهُمْ أَتْفَةً وَجَبَرِيَّةً .

٨٦٣ — أَضْرُ الْأَشْيَاءِ عَلَيْكَ أَنْ تُعْلَمَ رَيْسُكَ أَنَّكَ أَعْرَفُ بِالرِّيَاسَةِ مِنْهُ .

٨٦٤ — عِدَاوَةُ الْعَاقِلِينَ أَشَدُّ الْعِدَاوَاتِ وَأَنْكَاهَا ، فَإِنَّهَا لَا تَقَعُ إِلَّا بَعْدَ الْإِعْذَارِ
وَالْإِنْذَارِ ، وَبَعْدَ أَنْ يَثْبُتَ صِلَاحُ مَا بَيْنَهُمَا .

٨٦٥ — لَا تَخْدِمَنَّ رَئِيسًا كُنْتَ تَعْرِفُهُ بِالْخُمُولِ ، وَسَمَتْ بِهِ الْحَالُ ، وَيَعْرِفُ مِنْكَ
أَنَّكَ تَعْرِفُ قَدِيمُهُ ، فَإِنَّهُ وَإِنْ سُرَّ بِمَكَاتِكَ مِنْ خِدْمَتِهِ ، إِلَّا أَنَّهُ يَعْلَمُ الْعَيْنَ الَّتِي تَرَاهُ
بِهَا ، فَيَنْقَبِضُ عَنْكَ بِحَسَبِ ذَلِكَ .

٨٦٦ — إِذَا احْتَجَجْتَ إِلَى الْمَشُورَةِ فِي أَمْرٍ قَدْ طَرَأَ عَلَيْكَ فَاسْتَبَدَّهِ بِيْدَايَةِ الشُّبَّانِ ،
فَإِنَّهُمْ أَحَدًا أَذْهَانًا ، وَأَسْرَعُ حَدْسًا ، ثُمَّ رُدُّهُ بَعْدَ ذَلِكَ إِلَى رَأْيِ الْكُهُولِ وَالشُّيُوخِ
لَيَسْتَعْقِبُوهُ ، وَيُحْسِنُوا الْإِخْتِيَارَ لَهُ ؛ فَإِنَّ تَجْرِبَتَهُمْ أَكْثَرُ .

٨٦٧ — الْإِنْسَانُ فِي سَعْيِهِ وَتَصَرُّفَاتِهِ كَالْعَائِمِ فِي اللَّجَّةِ ، فَهُوَ يَكْفِيحُ الْجَرِيَةَ فِي
إِدْبَارِهِ ، وَيَجْرِي مَعَهَا فِي إِقْبَالِهِ .

٨٦٨ — يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَسْتَعْمَلَ فِيمَا يَلْتَمِسُهُ الرِّفْقَ ، وَمُجَانِبَةَ الْهَذَرِ ،

فإنَّ العَلَقَةَ ^(١) تأخذُ بهدوئِها مِنَ الدِّمِّ مالا تأخذُهُ البَعوضةُ باضطرابِها وفرطِ صياحِها .

٨٦٩ — أقوى ما يكونُ التصنُّعُ في أوائلِهِ ، وأقوى ما يكونُ التطبُّعُ في أواخرِهِ .

٨٧٠ — غايةُ المروءة أن يستحي الإنسانُ من نفسه ، وذلكَ أَنَّهُ ليسَ العِلَّةُ في الحياءِ مِنَ الشيخِ كِبَرِ سِنِّهِ ولا بياضَ لِحْيَتِهِ ، وإنما عِلَّةُ الحياءِ مِنْهُ عقلُهُ ، فينبغي إن كان هذا الجوهرُ فينا أن نستحي مِنْهُ ولا نخزِرَهُ قبيحاً .

٨٧١ — من ساس رعيَّةً حرَّمَ عليه الشُّكرُ عقلاً ، لأنَّهُ قبيحٌ أن يحتاجَ الحارسُ إلى من يحرسُهُ .

٨٧٢ — لا تبتاعَنَّ مملوكاً قوىَّ الشهوةِ ، فإنَّ له مولىً غيرَكَ ، ولا غَضُوباً فإنَّهُ يؤذيكَ في استِخدامِكَ له ، ولا قوىَّ الرَّأْيِ فإنَّهُ يستعملُ الحيلةَ عليك ، لكن اطلبُ من العبيدِ مَنْ كانَ قوىَّ الجِسْمِ ، حسنَ الطَّاعَةِ ، شديدَ الحياءِ .

٨٧٣ — لا تُعادوا الدُّولَ المُقبلةَ ، وتُشربوا قلوبَكمُ بغُضِّها ، فتُدبرُوا بإقبالِها .

٨٧٤ — الغريبُ كالفرسِ الذي زایل شِربُهُ ، وفارقَ أرضَهُ ، فهو ذاوٍ لا يتقدَّرُ وذابِلٌ لا يُشمرُ .

٨٧٥ — السفرُ قطعةٌ مِنَ العذابِ ، والرَّفیقُ السوءُ قطعةٌ مِنَ النَّارِ .

٨٧٦ — كلُّ خُلُقٍ مِنَ الأخلاقِ فإنَّهُ يكسُدُ عندَ قومٍ مِنَ الناسِ إلَّا الأمانةَ فإنَّها نافقةٌ عندَ أصنافِ الناسِ ، يُفضَّلُ بها من كانت فيه ، حتى إن الآنيةَ إذا لم تُنشفْ

وَبَقِيَ مَا يُوَدَّعُ فِيهَا عَلَى حَالِهِ لَمْ يَنْقُصْ ، كَانَتْ أَكْثَرَ ثَنَاءٍ مِنْ غَيْرِهَا مِمَّا
يُرْشَحُ أَوْ يُنْشَفُ .

٨٧٧ — اصْبِرْ عَلَى سُلْطَانِكَ فِي حَاجَاتِكَ ، فَلَسْتَ أَكْبَرَ شَفْلِهِ ، وَلَا بَكَ
قِوَامُ أَمْرِهِ .

٨٧٨ — قُوَّةُ الْاسْتِشْعَارِ مِنْ ضَعْفِ الْيَقِينِ .

٨٧٩ — إِذَا أَحْسَنْتَ مِنْ رَأْيِكَ بِإِكْدَادٍ ، وَمِنْ تَصَوُّرِكَ بِفَسَادٍ ، فَاتَّهَمَ نَفْسَكَ
بِمَجَالَسَتِكَ لِعَامِّي الطَّبَعِ ، أَوْ لِسَيِّئِ الْفِكْرِ ، وَتَدَارَكَ إِصْلَاحَ مَزَاجِ تَحْيُثِكَ بِمَكَائِرَةِ
أَهْلِ الْحِكْمَةِ ، وَمَجَالَسَةِ ذَوِي السَّدَادِ ، فَإِنْ مَفَاوِضَهُمْ تَرِيحُ الرَّأْيِ الْمَكْدُودَ ، وَتَرُدُّ
ضَالَّةَ الصَّوَابِ الْمَفْقُودِ .

٨٨٠ — مَنْ جَلَسَ فِي ظِلِّ الْمَلِكِ ، لَمْ يَسْتَقِرَّ بِهِ مَوْضِعُهُ ، لِكثَرَةِ تَنَقُّلِهِ وَتَصَرُّفِهِ مَعَ
الطَّبَائِعِ ، وَعَرَفَهُ النَّاسُ بِالْخَدِيعَةِ .

٨٨١ — كَثِيرٌ مِنَ الْحَاجَاتِ تُقْضَى بِرَمٍّ لَا كَرَمًا .

٨٨٢ — أَصْحَابُ السُّلْطَانِ فِي الْمَثَلِ كَقَوْمٍ رَقُوا جِبَلًا ثُمَّ سَقَطُوا مِنْهُ ، فَأَقْرَبُهُمْ إِلَى
الْهَلَكَةِ وَالتَّلَفِ أْبَعَدُهُمْ كَانَ فِي الْمَرْتَقَى .

٨٨٣ — لَا تَضَعْ سِرَّكَ عِنْدَ مَنْ لَا سِرَّ لَهُ عِنْدَكَ .

٨٨٤ — سَعَةُ الْأَخْلَاقِ كِيمِيَاءُ الْأَرْزَاقِ .

٨٨٥ — الْعِلْمُ أَفْضَلُ الْكُنُوزِ وَأَجْمَلُهَا ، خَفِيفُ الْحَمَلِ ، عَظِيمُ الْجَدْوَى ، فِي الْمَلَأِ
جَمَالٌ ، وَفِي الْوَحْدَةِ أَنْسٌ .

٨٨٦ — السَّبَابُ مُزَاحُ التَّوَكُّي ، وَلَا بَأْسَ بِالْمُفَاكِهِ يُرَوِّحُ بِهَا الْإِنْسَانُ عَنْ
نَفْسِهِ ، وَيَخْرِجُ عَنْ حَدِّ الْعُبُوسِ .

٨٨٧ — ثلاثة أشياء تدلُّ على عقولِ أربابها : الهديةُ ، والرَّسُولُ ، والكتابُ .

٨٨٨ — التعزيةُ بعدَ ثلاثٍ تجديدٌ للصيبةِ ، والتهنئةُ بعدَ ثلاثٍ

استخفافٌ بالموَدَّةِ .

٨٨٩ — أنتَ نَحِيْزٌ في الإحسانِ إلى منَ تحسَنُ إليه ، ومرتهَنٌ بدوامِ الإحسانِ

إلى منَ أحسنتَ إليه ، لأنَّكَ إنَ قطعتهُ فقدَ أهدرتَهُ ، وإنَ أهدرتَهُ فلمَ فعلتهُ .

٨٩٠ — الناسُ منَ خوفِ الذلِّ في ذلِّ .

٨٩١ — إذا كانَ الإيجازُ كافياً كانَ الإكثارُ عيًّا ، وإذا كانَ الإيجازُ مقصراً

كانَ الإكثارُ واجباً .

٨٩٢ — بُسَّ الزَّادُ إلى المَعَادِ ، المُدْوَانُ على العِبَادِ .

٨٩٣ — الخلقُ عيالُ اللهِ ، وأحبُّ النَّاسِ إلى اللهِ أشفقهم على عياله .

٨٩٤ — تحريكُ الساكنِ أسهلُّ منَ تسكينِ المتحرِّكِ .

٨٩٥ — العاقلُ بخشونةِ العيشِ معَ العقلاء ، آنسُ منه باينِ العيشِ معَ الشُّفهاء .

٨٩٦ — الانقباضُ بينَ المنبسطينِ ثَقُلٌ ، والانبساطُ بينَ المنقبضينِ سَخَفٌ ^(١) .

٨٩٧ — السخاهُ والجودُ بالطعامِ لا بالمالِ ، ومنَ وهبَ ألفاً وشَحَّ بصحفةٍ طعامٍ

فليسَ بجوادٍ .

٨٩٨ — إنَ بقيتَ لم يبقَ الهمُّ .

٨٩٩ — لا يقومُ عزُّ الغضبِ بذلَّةِ الاعتذارِ .

٩٠٠ — الشفيعُ جناحُ الطالبِ .

٩٠١ — الأملُ رفيقٌ مؤنسٌ ، إنَ لم يبلِّغكَ فقدَ استمتعْتَ به .

٩٠٢ — إعادةُ الاعتذارِ تذكيرٌ بالذَّنْبِ .

(١) السخف : ضعف العقل وورقته .

- ٩٠٣ — الصبرُ في العواقبِ شافٍ أو مريحٌ .
- ٩٠٤ — من طالَ عمرُهُ ، رأى في أعدائه ما يسرُّهُ .
- ٩٠٥ — لا نعمةَ في الدنيا أعظمُ من طولِ العمرِ ، وصحةِ الجسدِ .
- ٩٠٦ — الناسُ رجلانِ : إمّا مُؤجِّلٌ يفقدُ أحبابه ، أو معجِّلٌ يفقدُ نفسه .
- ٩٠٧ — العقلُ غريزةٌ تربّيها التجاربُ .
- ٩٠٨ — النصيحُ بينَ الملامّ تقريعٌ .
- ٩٠٩ — لا تُنكِحْ خاطبَ سِرِّكَ .
- ٩١٠ — من زادَ أدبُهُ على عقلِهِ كان كالرّاعي الضعيفِ مع الغنمِ الكثيرِ .
- ٩١١ — الدّارُ الضيّقةُ العمى الأصغرُ .
- ٩١٢ — النّمامُ جسرُ الشرِّ .
- ٩١٣ — لا تُشِن وجهَ العفو بالتقريعِ .
- ٩١٤ — كثرةُ النصيحِ تهجم بك على كثرةِ الظّنةِ .
- ٩١٥ — لكلِّ ساقطةٍ لاقطةٌ .
- ٩١٦ — ستساق إلى ما أنت لاقٍ .
- ٩١٧ — عاداك من لاحاك .
- ٩١٨ — جدّك لا كيدك .
- ٩١٩ — تذكّر قبل الورْدِ الصدرَ ، والحذر لا يعنى من القدرِ ، والصبر من أسباب الظفرِ .
- ٩٢٠ — عارُ النساءِ باقٍ يلحقُ الأبناءَ بعد الآباءِ .
- ٩٢١ — أعجل العقوبةَ عقوبةُ البغي والغدرِ واليمينِ الكاذبةِ ، ومن إذا تُضرّعَ إليه وسئلَ العفو لم يغفر .

- ٩٢٢ — لا تَرَدَّ بِأَسِ الْعَدُوِّ الْقَوِيَّ وَغَضِبِهِ بِمَثَلِ الْخُضُوعِ وَالذُّلِّ ، كَسَلَامَةِ الْحَشِيشِ مِنَ الرِّيحِ الْعَاصِفِ بِإِثْنَانِهِ مَعَهَا كَيْفَمَا مَالَتْ .
- ٩٢٣ — قَارِبُ عَدُوِّكَ بَعْضُ الْقَارِبَةِ تَنْلُ حَاجَتَكَ ، وَلَا تُفْرِطُ فِي مِقَارِبَتِهِ فَتَذِلَّ نَفْسُكَ وَنَاصِرُكَ ، وَتَأْمَلُ حَالَ الْخَشْبَةِ الْمُنْصُوبَةِ فِي الشَّمْسِ الَّتِي إِنْ أَمْلَتْهَا زَادَ ظِلُّهَا ، وَإِنْ أَفْرِطْتَ فِي الْإِمَالَةِ نَقَصَ الظِّلُّ .
- ٩٢٤ — إِذَا زَالَ الْحُسُودُ عَلَيْهِ عَلِمْتَ أَنَّ الْحَاسِدَ كَانَ يَحْسُدُ عَلَى غَيْرِ شَيْءٍ .
- ٩٢٥ — الْعَجْزُ نَأْمٌ ، وَالْحَزْمُ يَقْظَانُ .
- ٩٢٦ — مَنْ تَجَرَّأَ لَكَ تَجَرَّأَ عَلَيْكَ .
- ٩٢٧ — مَا عَفَا عَنِ الذَّنْبِ مَنْ قَرَّعَ بِهِ .
- ٩٢٨ — عَبْدُ الشَّهْوَةِ أَذْلُ مِنْ عَبْدِ الرَّقِّ .
- ٩٢٩ — لَيْسَ يَنْبَغِي لِلْعَاقِلِ أَنْ يَطْلُبَ طَاعَةَ غَيْرِهِ ، وَطَاعَةَ نَفْسِهِ عَلَيْهِ مُمْتَنِعَةٌ .
- ٩٣٠ — النَّاسُ رَجُلَانِ : وَاجِدٌ لَا يَكْتَفِي ، وَطَالِبٌ لَا يَجِدُ .
- ٩٣١ — كُلَّمَا كَثُرَ خُزَّانُ الْأَسْرَارِ ، زَادَتْ ضِيَاعًا .
- ٩٣٢ — كَثْرَةُ الْأَرَاءِ مَفْسَدَةٌ ، كَالْقَدْرِ لَا تَطِيبُ إِذْ كَثُرَ طَبَّاءُ خُوهَا .
- ٩٣٣ — مَنْ اشْتَقَّ خَدَمَ ، وَمَنْ خَدَمَ اتَّصَلَ ، وَمَنْ اتَّصَلَ وَصَلَ ، وَمَنْ وَصَلَ عَرَفَ .
- ٩٣٤ — عَجَبًا لِمَنْ يَخْرُجُ إِلَى الْبَسَاتِينِ لِلْفُرْجَةِ عَلَى الْقُدْرَةِ ، وَهَلَّا شَغَلَتْهُ رُؤْيَا الْقَادِرِ عَنْ رُؤْيَا الْقُدْرَةِ .
- ٩٣٥ — كُلُّ النَّاسِ أَمِيرُوا بِأَنْ يَقُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، إِلَّا رَسُولَ اللَّهِ ، فَإِنَّهُ رُفِعَ قَدْرُهُ عَنْ ذَلِكَ ، وَقِيلَ لَهُ : فَأَعْلَمَ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ ، فَأَمَرَ بِالْعَلَمِ لَا بِالْقَوْلِ .

٩٣٦ — كُلُّ مُصْطَنِعٍ عَارِفَةٌ فَإِنَّمَا يَصْنَعُ إِلَى نَفْسِهِ ، فَلَا تَلْتَمِسُ مِنْ غَيْرِكَ شُكْرَ مَا أَتَيْتَهُ إِلَى نَفْسِكَ وَتَمَّتْ بِهِ لَذَّتُكَ ، وَوَقِيتَ بِهِ عِرْضَكَ .

٩٣٧ — وَلَذِكُ رِيحَانَتُكَ سَبْعًا ، وَخَادِمُكَ سَبْعًا ، ثُمَّ هُوَ عَدُوُّكَ أَوْ صَدِيقُكَ .

٩٣٨ — مَنْ قَبِلَ مَعْرُوفَكَ فَقَدْ بَاعَكَ مَرْوَتَهُ .

٩٣٩ — إِلَى اللَّهِ أَشْكُو بِلَادَةَ الْأَمِينِ وَيَقْظَةَ الْخَائِنِ .

٩٤٠ — مَنْ أَكْثَرَ الْمَشُورَةَ لَمْ يَعْدَمْ عِنْدَ الصَّوَابِ مَادِحًا ، وَعِنْدَ الْخَطَا عَازِرًا .

٩٤١ — مَنْ كَثَرَ حَقْدَهُ قَلَّ عِتَابُهُ .

٩٤٢ — الْحَازِمُ مَنْ لَمْ يَشْغَلْهُ الْبَطَرُ بِالنِّعْمَةِ عَنِ الْعَمَلِ لِلْعَاقِبَةِ ، وَالْهَمُّ بِالْحَادِثَةِ عَنْ الْحِيلَةِ لِدَفْعِهَا .

٩٤٣ — كُلَّمَا حَسُنَتْ نِعْمَةُ الْجَاهِلِ ازْدَادَ قُبْحًا فِيهَا .

٩٤٤ — مَنْ قَبِلَ عَطَاءَكَ فَقَدْ أَعَانَكَ عَلَى الْكُرْمِ ، وَلَوْلَا مَنْ يَقْبَلُ الْجُودَ لَمْ يَكُنْ مَنْ يَجُودُ .

٩٤٥ — إِخْوَانُ السُّوءِ كَشَجَرَةِ النَّارِ ، يُحْرَقُ بَعْضُهَا بِبَعْضٍ .

٩٤٦ — زَلَّةُ الْعَالَمِ كَانْكَسَارِ السَّفِينَةِ تَفْرُقُ وَيَفْرُقُ مَعَهَا خَاقٌ .

٩٤٧ — أَهْوَنُ الْأَعْدَاءِ كَيْدًا أَظْهَرُهُمْ لِعَدَاوَتِهِ .

٩٤٨ — أَبْقِ لِرِضَاكَ مِنْ غَضَبِكَ ، وَإِذَا طَرَتْ فَقَعَ قَرِيبًا .

٩٤٩ — لَا تَلْتَبِسْ بِالسُّطَّانِ فِي وَقْتِ اضْطِرَابِ الْأُمُورِ عَلَيْهِ ، فَإِنَّ الْبَحْرَ لَا يَكَادُ يَسْلُمُ صَاحِبُهُ فِي حَالِ سُكُونِهِ ، فَكَيْفَ يَسْلُمُ مَعَ اخْتِلَافِ رِيَاحِهِ وَاضْطِرَابِ أَمْوَاجِهِ !

٩٥٠ — إِذَا خَلَّى عِنَانَ الْعَقْلِ ، وَلَمْ يَحْبِسْ عَلَى هَوَى نَفْسٍ ، أَوْ عَادَةِ دِينٍ أَوْ عَصْبِيَّةٍ لِسَافٍ ، وَرَدَّ بِصَاحِبِهِ عَلَى النِّجَاةِ .

۹۵۳ - قَلِيلٌ يُتَرَقَّى مِنْهُ إِلَى كَثِيرٍ، خَيْرٌ مِنْ كَثِيرٍ يَنْحَطُّ عَنْهُ إِلَى قَلِيلٍ

٩٥٥ - زُرِ الْقُبُورَ تَذَكَّرْ بِهَا الْآخِرَةَ ، وَغَسَّلِ الْمَوْتَى بِتَحَرُّكِ قَلْبِكَ ، فَإِنَّ الْجَسَدَ الْخَاوِي عِظَةً بَلِيغَةً وَصَلَّ عَلَى الْجَنَائِزِ لَعَلَّهُ يُخْزِنُكَ ، فَإِنَّ الْحَزِينَ قَرِيبٌ مِنَ اللَّهِ .

٩٥٧ — جَزَعُكَ فِي مُصِيبَةِ صَدِيقِكَ أَحْسَنُ مِنْ صَبْرِكَ ، وَصَبْرُكَ فِي مُصِيبَتِكَ أَحْسَنُ مِنْ جَزَعِكَ .

٩٥٩ — مَنْ فَعَلَ مَا شَاءَ لَقِيَ مَا شَاءَ

(٣) سورة الأعراف ١٥٦ .

٩٦١ — الاستِثْناءُ يُوجِبُ الحَسَدَ ، والحَسَدُ يُوجِبُ البَغْضَةَ ، والبَغْضَةُ تُوجِبُ الأَخْتِلَافَ ، والاختِلَافُ يُوجِبُ الفِرْقَةَ ، والفِرْقَةُ تُوجِبُ الضَّعْفَ ، والضَّعْفُ يُوجِبُ الذُّلَّ ، والذُّلُّ يُوجِبُ زَوَالَ الدَّوْلَةِ ، وذهاب النِّعْمَةِ .

٩٦٢ — لا يَكادُ يَصَحُّ رُؤْيَا الكَذَابِ ، لَأَنَّهُ يَخْبِرُ فِي الْيَقِظَةِ بِمَا لَمْ يَكُنْ ، فَأَحْرَبَ بِهِ أَن يَرَى فِي النَّامِ مَا لَا يَكُونُ .

٩٦٣ — لَا يُفْسِدُكَ الظَّنُّ عَلَى صَدِيقٍ قَدْ أَصْلَحَكَ الْيَقِينُ لَهُ .

٩٦٤ — لَا تَكَادُ الظُّنُونُ تَزْدَحِمُ عَلَى أَمْرٍ مُسْتَوْرٍ إِلَّا كَشَفَتْهُ .

٩٦٥ — الْمَشُورَةُ رَاحَةٌ لَكَ وَتَعَبٌ عَلَى غَيْرِكَ .

٩٦٦ — حَقُّ كُلِّ سِرٍّ أَنْ يَصَانَ ، وَأَحَقُّ الْأَسْرَارِ بِالصِّيَانَةِ سِرُّكَ مَعَ مَوْلَاكَ ، وَسِرُّهُ مَعَكَ ؛ وَاعْلَمْ أَنَّ مَنْ فَضَّحَ فَضِّحَ ، وَمَنْ بَاحَ فَلَدِمَهُ أَبَاحُ .

٩٦٧ — يَا مَنْ أَلَمَّ بِجَنَابِ الْجَلَالِ ، احْفَظْ مَا عَرَفْتَ ، وَاکْتُمْ مَا اسْتَوْدَعْتَ ؛ وَاعْلَمْ أَنَّكَ قَدْ رَشَحْتَ لِأَمْرٍ فَافْطَنْ لَهُ ، وَلَا تَرْضَ لِنَفْسِكَ أَنْ تَكُونَ خَائِنًا ؛ فَمَنْ لَمْ يُؤَدِّ الْأَمَانَةَ فِيمَا اسْتَوْدَعَ ، أَخْلَقَ النَّاسَ بِسِمَةِ الْخِيَانَةِ ، وَأَجْدَرُ النَّاسِ بِالْإِبَادِ وَالْإِهَانَةِ .

٩٦٨ — لَا تَعَامَلِ الْعَامَّةَ فِيمَا أَنْعَمَ بِهِ عَلَيْكَ مِنَ الْعَالَمِ ، كَمَا تَعَامَلُ الْخَاصَّةَ ؛ وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ سَبَّحَانَهُ رَجَالًا أَوْدَعَهُمْ أَسْرَارًا خَفِيَّةً ، وَمَنْعَهُمْ عَنْ إِشَاعَتِهَا ؛ وَاذْكُرْ قَوْلَ النَّبِيِّ الصَّالِحِ نُوسَى وَقَدْ قَالَ لَهُ : هَلْ أَتْبَعُكَ عَلَى أَنْ تَعْلَمَنِي مِمَّا عَلَّمْتَ رُشْدًا . قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَبْرًا .

٩٦٩ — لِكُلِّ دَارٍ بَابٌ ، وَبَابُ دَارِ الْآخِرَةِ الْمَوْتُ .

٩٧٠ — إِنْ لَكَ فِيمَنْ مَضَى مِنْ آبَائِكَ وَإِخْوَانِكَ لَعِبَةٌ ، وَإِنْ مَلَكَ الْمَوْتُ دَخَلَ

لى داودَ النبى ، فقال : مَنْ أَنْتَ ؟ قال : مَنْ لا يهابُ الملوك ، ولا تمنعُ منه القصور ، لا يقبلُ الرشا ، قال : فإذنْ أَنْتَ ملك الموت جئت ؛ ولم أَسْتَعِدَّ بعد ، فقال : فأينَ جارك ؛ أينَ فلانَ نسيبك ؟ قال : ماتوا ، قال : ألم يكن لك فى هؤلاء رة لتستعدَّ !

٩٧١ — ما أخسر صفقة الملوك إلا مَنْ عصم الله ، باعوا الآخرةَ بِنَوْمَةٍ .

٩٧٢ — إن هذا الموت قد أفسد على الناس نعيم الدنيا ؛ فالكم لا تلتمسون ألاموت بعده !

٩٧٣ — انظر العمل الذى يسرك أنْ يأتيك الموت وأنت عليه فافعله الآن ، فلست ن أن تموت الآن .

٩٧٤ — لا تَسْتَبْطِئِ الْقِيَامَةَ فَتَسْكُنْ إِلَى طُولِ الْمُدَّةِ الْآتِيَةِ عَلَيْكَ بَعْدَ الْمَوْتِ ، ك لا تفرق بعد عودك بين ألف سنة وبين ساعة واحدة ، ثمَّ قرأ : « وَيَوْمَ يَحْشُرُهُمْ لَمْ يَلْبَثُوا إِلَّا سَاعَةً مِنَ النَّهَارِ » ^(١) الآية .

٩٧٥ — لا بدَّ لك من رَفِيقٍ فى قَبْرِكَ ، فاجعله حَسَنَ الْوَجْهِ طَيِّبَ الرِّيحِ . وهو الصالح .

٩٧٦ — رَبُّ مُرْتَجِحٍ إِلَى بَلَدٍ وَهُوَ لَا يَدْرِي أَنَّ حِمَامَهُ فى ذَلِكَ الْبَلَدِ .

٩٧٧ — الموت قانص يُصْمِي وَلَا يَشْوِي .

٩٧٨ — ما من يَوْمٍ إِلَّا يَتَصَفَّحُ مَلِكُ الْمَوْتِ فِيهِ وَجْوهَ الْخَلَائِقِ ، فَمَنْ رَأَاهُ عَلَى نَ أَوْ لَهْوٍ ، أَوْ رَأَاهُ ضَاحِكًا فَرَحًا ، قَالَ لَهُ يَا مُسْكِينُ : مَا أَغْفَلَكَ عَمَّا يُرَادُ بِكَ ! مَا شِئْتَ ؛ فَإِنْ لِي فِيكَ غَمْرَةٌ أَقْطَعُ بِهَا وَتِينَكَ ^(٢) .

٩٧٩ — إذا وُضع الميتُ في قَبْرِهِ اعتَوَرَتْهُ نيرانُ أربعٍ ، فتجىءُ الصلاةُ فتطفئُ واحدةً ، ويجىءُ الصومُ فيطفئُ واحدةً ، وتجيءُ الصدقةُ فتطفئُ واحدةً ، ويجىءُ العلمُ فيطفئُ الرابعةَ ، ويقول . لو أدركتُهنَّ لأطفأتُهنَّ كلَّهنَّ ، فقرَّ عيناً فأنا معك ، ولن ترى بُؤساً .

٩٨٠ — استجبروا بالله تعالى . واستخبروه في أموركم ، فإنه لا يُسلمُ مستجبراً ولا يُحرمُ مُستخيراً .

٩٨١ — أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى ثَمَرَةِ الْجَنَّةِ ! لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ بِشَرَطِ الْإِخْلَاصِ .

٩٨٢ — مِنْ شَرَفِ هَذِهِ الْكَلِمَةِ وَهِيَ الْحَمْدُ لِلَّهِ . أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى جَعَلَهَا فَاتِحَةَ كِتَابِهِ ، وَجَعَلَهَا خَاتِمَةَ دَعْوَى أَهْلِ جَنَّتِهِ ، فَقَالَ : وَآخِرُ دَعْوَاهُمْ أَنَّ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ .

٩٨٣ — ذَا كَرُّ اللَّهِ فِي الْغَافِلِينَ كَالشَّجَرَةِ الْخَضِرَاءِ فِي وَسْطِ الْمَشِيمِ ، وَكَالدَّارِ الْعَامِرَةِ بَيْنَ الرُّبُوعِ الْخَرِبَةِ .

٩٨٤ — أَفْضَلُ الْأَعْمَالِ أَنْ تَمُوتَ وَلِسَانُكَ رَطْبٌ بِذِكْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ .

٩٨٥ — الذِّكْرُ ذِكْرَانِ : أَحَدُهُمَا ذِكْرُ اللَّهِ وَتَحْمِيدُهُ ، فَمَا أَحْسَنَهُ وَأَعْظَمَ أَجْرَهُ ، وَالثَّانِي ذِكْرُ اللَّهِ عِنْدَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَهُوَ أَفْضَلُ مِنَ الْأَوَّلِ !

٩٨٦ — مَا أَضْيَقَ الطَّرِيقَ عَلَى مَنْ لَمْ يَكُنْ الْحَقُّ تَعَالَى دَلِيلَهُ ، وَمَا أَوْحَشَاهَا عَلَى مَنْ لَمْ يَكُنْ أُنَيْسَهُ ! وَمَنْ اعْتَزَّ بِغَيْرِ عِزِّ اللَّهِ ذَلٌّ ، وَمَنْ تَكَاثَرَ بِغَيْرِ اللَّهِ قِلٌّ .

٩٨٧ — اللَّهُمَّ إِنْ فَهَيْتُ عَنْ مَسْأَلَتِي ، أَوْ عَمَيْتُ عَنْ طَلْبَتِي ، فَدُلَّنِي عَلَى مَصَالِحِي وَخَذْ بِنَاصِيَتِي إِلَى مَرَاشِدِي . اللَّهُمَّ احْمِلْنِي عَلَى عَفْوِكَ ، وَلَا تَحْمِلْنِي عَلَى عَذْلِكَ .

٩٨٨ — مُخِ الْإِيمَانَ التَّقْوَى وَالْوَرَعَ ، وَهَمَا مِنْ أَفْعَالِ الْقُلُوبِ ، وَأَحْسَنُ أَفْعَالِ الْجَوَارِحِ أَلَّا تَزَالَ مَالِئًا فَآكَ بِذِكْرِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ .

٩٨٩ — اللهم فرغني لما خلقتني له ، ولا تشغلني بما تكلفت لي به ، ولا تحرمني وأنا أسألك ، ولا تعذبني وأنا أستغفرك .

٩٩٠ — سبحان من ندعوه لحظنا فيسرعه ! ويدعونا لحظنا فنبطئ ! خيرُهُ إلينا نازل ، وشرُّنا إليه صاعد ؛ وهو مالك قادر .

٩٩١ — اللهم إنا نعوذُ بك من بَيَاتٍ غفلة وصباحٍ ندامة .

٩٩٢ — اللهم إني أستغفرك لما تبت منه إليك ثم عدت فيه ، وأستغفرك لما وعدتُك من نفسي ثم أخلفتك ، وأستغفرك للنعم التي أنعمت بها عليّ فتقويتُ بها على معصيتك .

٩٩٣ — اللهم إني أعوذُ بك أن أقولَ حقاً ليس فيه رضاك ألتبسُ به أحداً سواك ، وأعوذُ بك أن أتزين للناسِ بشيءٍ يشينني عندك ، وأعوذُ بك أن أكونَ عبرةً لأحدٍ من خلقك ، وأعوذُ بك أن يكونَ أحدٌ من خلقك أسعدَ بما علّمتني مِنِّي .

٩٩٤ — يا من ليسَ إلا هو ، يا من لا يعلمُ ما هو إلا هو ، اعف عني .

٩٩٥ — اللهم إن الآمالَ منوطةٌ بكرمك ، فلا تقطعْ علائقها بسخطك . اللهم إني أبرأ من الحول والقوّة إلا بك ، وأدراً بنفسى عن التوكل على غيرك .

٩٩٦ — اللهم صلِّ على محمدٍ وآلِ محمدٍ ؛ كما ذكرهُ الذاكرون ، وصلِّ على محمدٍ وآلِ محمدٍ كما غنَّلَ عن ذِكرِهِ الغافلون . اللهم صلِّ على محمدٍ وآلِ محمدٍ عددَ كلماتك ، وعددَ معلوماتك ، صلاةً لا نهايةَ لها ، ولا غايةَ لأمدِها .

٩٩٧ — سبحانَ الواحدِ الذي ليسَ غيره ، سبحانَ الدائمِ الذي لا نفاذَ له ، سبحانَ القديمِ الذي لا ابتداءَ له ، سبحانَ الغنيِّ عن كلِّ شيءٍ ولا شيءٍ من الأشياءِ يغني عنه .

٩٩٨ — يا اللهُ يارحمَنُ يارحيمُ يا حَيُّ يا قَيُّوْمُ يا بَدِيعَ السَّمَوَاتِ والأَرْضِ يا ذا الجلالِ والإكرامِ اعفُ عَنِّي ^(١).

وهذا حينُ انتهاء قولنا في شرح نهج البلاغة ، ولم ندرك ما أدركناه منه بقوتنا وحوْلنا ، فإننا عاجزون عمّا هو دُونُهُ ، ولقد شرعنا فيه وإنَّهُ لفي نفسنا كالطَّودِ الأَمَّاسِ تَزِلُّ الوُعوْلُ العُصْمُ ^(٢) عن قَذَفَاتِهِ ^(٣) ، بل كالفلَكِ الأطاسِ ^(٤) لا تَبْلُغُ الأوهامُ والعقولُ إلى حدودِ غاياته ، فما زالت معونةُ اللهِ سبحانه وتعالى تُسهِّلُ لنا حَزَنَهُ ، وتذلُّ لنا صَعْبَهُ ، حتَّى اصْحَبَ أبِيهِ ، وأطاعَ عَصِيَّهُ ، وفُتِحَتْ علينا بَحْسُنُ النَّبِيِّ ، وإخلاصُ الطَّوْبَةِ ، في تصنيفِهِ أبوابُ البركات ، وتيسَّرتْ علينا مطالبُ الخيراتِ ؛ حتَّى لقد كان الكلامُ ينثالُ علينا انثيالاً ، ويواتينا بديهةً وارتجالاً ، قَتَمَ تصنيفُهُ في مدَّةٍ قدرها أربعُ سنينَ وثمانيةَ أشهرٍ ، وأولَّها غرَّةُ شهرِ رجبٍ من سنة أربعٍ وأربعينَ وستمائة . وآخرها سلخُ صفرٍ من سنة تسعٍ وأربعينَ وستمائة ، وهو مقدار مدَّةِ خلافة أمير المؤمنين عليه السلام ، وما كان في الظنِّ والتقدير أنَّ الفراغَ منه يقعُ في أقلِّ من عشرِ سنينَ ؛ إلَّا أنَّ الألطافَ الإلهيةَ والعنايةَ السماويةَ ، شملتنا بارتفاعِ العوائقِ ، وانتفاءِ الصَّوارفِ ، وشحذتْ بصيرتنا فيه ، وأرهفتْ هَمَّتْنا في تشييدِ مبانيهِ ، وتنضيدِ ألفاظهِ ومعانيهِ .

وكان لسعادة المجلس المولوي المويدي الوزيري أجرى اللهُ بالخير أقلامهُ ، وأمضى

(١) كذا كان عدد هذه الحكم على حسب المخطوطات التي وقعت لدينا . وقد أشار المؤلف إلى أن عددها ألف ، ولعل هنا سقطاً ؛ أو أن حكمتين قد امترجتا بفعل النسخ ؛ ونرجو حين تقع لدينا نسخ أخرى في الطبعة الثانية أن نصل إلى تعدد الصحيح .

(٢) الوعل : تيس الجبل ، والأعصم منه ما في ذراعيه أو أحدهما بياض وسائره أسود أو أحمر .

(٣) القذفات : جمع قذفة ؛ وهو ما أشرف من رءوس الجبال .

(٤) هو مؤيد الدين أبو طالب محمد بن أحمد بن العلقمي وزير المتعمم بالله . وانظر ترجمته في حواشي الجزء الأول ١ : ٤

فِي طَلَى الْأَعْدَاءِ حُسَامُهُ فِي الْمَعُونَةِ عَلَيْهِ أَوْفَرُ قِسْطٍ ، وَأَوْفَى نَصِيبٍ وَحَظٍّ ؛ إِذْ كَانَ مُصْنُوعًا لِحَزَانَتِهِ ، وَمَوْسُومًا بِسِمَتِهِ ؛ وَلَآنَ هِمَّتُهُ أَعْلَاهَا اللَّهُ مَا زَالَتْ تَتَقَاضَى عِنْدَهُ بِإِتْمَامِهِ وَتَحَنُّهُ عَلَى إِنْجَازِهِ وَإِبْرَامِهِ ، وَنَاهِيكَ بِهَا مِنْ هِمَّةٍ رَاضَتْ الصَّعْبَ الْجَامِحَ ، وَخَفَفَتِ الْعِيبَ الْفَادِحَ ، وَيَسَّرَتِ الْأَمْرَ الْعَسِيرَ ، وَقَطَعَتِ الْمَدَى الطَّوِيلَ فِي الزَّمَنِ الْقَصِيرِ .

وَقَدْ اسْتَعْمَلْتُ فِي كَثِيرٍ مِنْ فُصُولِهِ فِيمَا يَتَعَلَّقُ بِكَلَامِ الْمُتَكَلِّمِينَ . وَالْحِكْمَاءُ خَاصَّةً أَلْفَازَ الْقَوْمِ ، مَعَ عِلْمِي بِأَنَّ الْعَرَبِيَّةَ لَا تُجَيِّزُهَا ، نَحْوَ قَوْلِهِمْ : الْحُسُوسَاتُ ، وَقَوْلِهِمْ : الْكُلُّ وَالْبَعْضُ ، وَقَوْلِهِمْ : الصِّفَاتُ الذَّاتِيَّةُ ، وَقَوْلِهِمْ : الْجُسْمَانِيَّاتُ ، وَقَوْلِهِمْ أَمَّا أَوَّلًا فَالْحَالُ كَذَا ؛ وَنَحْوَ ذَلِكَ مِمَّا لَا يَخْفَى عَمَّنْ لَهُ أُذُنٌ أَنْسٍ بِالْأَدَبِ ؛ وَلَكِنَّا اسْتَهْجَنَّا تَبْدِيلَ أَلْفَازِهِمْ وَتَغْيِيرَ عِبَارَاتِهِمْ ، فَمِنْ كَلِمٍ قَوْمًا كَلَّمَهُمْ بِاصْطِلَاحِهِمْ ، وَمَنْ دَخَلَ ظَفَارِ حَمَرٍ^(١) .

وَالنَّسْخَةُ الَّتِي بُنِيَ هَذَا الشَّرْحُ عَلَى فَضْلِهَا أَتَمُّ نَسْخَةٍ وَجَدْتُهَا بِنَهْجِ الْبَلَاغَةِ فَإِنَّهَا مُشْتَمِلَةٌ عَلَى زِيَادَاتٍ تَخْلُو عَنْهَا أَكْثَرُ النَّسَخِ .

وَأَنَا أَسْتَغْفِرُ اللَّهَ الْعَظِيمَ مِنْ كُلِّ ذَنْبٍ يُبْعَدُ مِنْ رَحْمَتِهِ ، وَمِنْ كُلِّ خَاطِرٍ يَدْعُو إِلَى الْخُرُوجِ عَنْ طَاعَتِهِ ؛ وَأَسْتَشْفِعُ إِلَيْهِ بِمَنْ أَنْصَبْتُ جَسَدِي ، وَأَسْهَرْتُ عَيْنِي ، وَأَعْمَلْتُ فِكْرِي ، وَاسْتَفْرَقْتُ طَائِفَةً مِنْ عُمْرِي ، فِي شَرْحِ كَلَامِهِ ، وَالتَّقَرُّبِ إِلَى اللَّهِ بِتَعْظِيمِ مَنْزِلَتِهِ وَمَقَامِهِ ، أَنْ يَعْتَقَ رَقَبَتِي مِنَ النَّارِ ، وَأَلَّا يَتَلَيَّنِي فِي الدُّنْيَا بِلَاءٌ تَعْجَزُ عَنْهُ قُوَّتِي ، وَتَضَعُفُ عَنْهُ طَاقَتِي ، وَأَنْ يَصُونَ وَجْهِي عَنِ الْخُلُوقِينَ ، وَيَكْفَى عَنِّي عَادِيَةَ الظَّالِمِينَ ، إِنَّهُ سَمِيعٌ مُجِيبٌ ، وَحَسْبُنَا اللَّهُ وَحْدَهُ وَصَلَوَاتُهُ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ النَّبِيِّ وَآلِهِ وَسَلَامُهُ !

﴿ آخِرُ الْجُزْءِ الْعَشْرِينَ وَبِهِ تَمَّ الْكِتَابُ ﴾

(وَبِاللهِ الْحَمْدُ كَمَا هُوَ أَهْلُهُ حَمْدًا دَائِمًا لَا انْقِضَاءَ لَهُ وَلَا نِفَادَ لَهُ آمِينَ)

(٣) ظَفَارُ : قَرِيَّةٌ بِالْيَمَنِ . وَحَمَرٌ : تَكَلَّمَ بِالْحَمِيرَةِ ؛ وَهُوَ مِثْلُ يَضْرِبُ لِلرَّجُلِ يَدْخُلُ فِي الْقَوْمِ فَيَأْخُذُ بِزِيَمِهِ (الْمِيدَانِيُّ ٢ : ٣٠٦) .

فهرس الموضوعات

صفحة

٣ -	تابع ماورد من حكمه عليه السلام ومختار أجوبة مسائله وكلامه
١٠-٨	المغيرة بن شعبة
٣٥-١٠	إيراد كلام لأبي المعالي الجويني في أمر الصحابة ، والرد عليه
٣٨-٣٥	عمار بن ياسر وطرف من أخباره
٤٤-٤١	نكت في العقل وما قيل فيه
٦٠-٥٧	فصل في الاستغفار والتوبة
١٤٩-١٠٣	عبد الله بن الزبير وذكر طرف من أخباره
١٥١-١٥٠	فصل في الفخر وما قيل في النهي عنه
١٥٤، ١٥٣	في مجلس علي بن أبي طالب
١٧٣-١٥٥	اختلاف العلماء في تفضيل بعض الشعراء على بعض
٢١٤-١٨٧	فصل في ألفاظ الكنايات وذكر الشواهد عليها
٢١٧-٢١٥	حديث عن امرئ القيس
٢٢٦-٢٢١	فصل فيما قيل في التفضيل بين الصحابة
٢٣٢-٢٣٠	مختارات مما قيل من الشعر في الشيب والخضاب
٢٤٣-٢٣٣	نبد وحكايات حول العفة
٢٥٥	الحكم المنسوبة إلى أمير المؤمنين علي بن أبي طالب

تنبيه

وقع خطأ في أرقام الحكم القصيرة ما بين صفحتي ٣٩ و ٢٥١ والصواب أن يكون الرقم في ص ٣٩ هو ٤١٤ ثم تصاح بقية الأرقام لتصل إلى ٤٨٨ في ص ٢٥٥ بدلا من ٤٨٥ .

مراجع التحقيق في جميع الأجزاء

- إتحاف فضلاء البشر للدمياطي : (حنفي ١٣٥٩)
إحياء علوم الدين للغزالي : (نشرة المكتبة التجارية)
أخبار أبي تمام للصولي : (طبع لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٦)
الأخبار الطوال لابن قتيبة : (عيسى الحلبي ١٩٦٠ م) .
أدب الكاتب لابن قتيبة : (السافية ١٣٤١) .
أسباب النزول للواحدى : (مطبعة هندية ١٣١٥) .
الاستيعاب لابن عبد البر : (حيدر آباد ١٣٣٦ ، نهضة مصر ١٣٨٠) .
أسد الغابة في أسماء الصحابة ، لابن الأثير : (المطبعة الوهبية ١٢٨٦)
الأشباه والنظائر للسيوطي : (حيدر آباد ١٣١٦)
الاشتقاق لابن دريد : (مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٨ م)
الإصابة في أسماء الصحابة لابن حجر : (نشرة المكتبة التجارية ١٩٣٩ م)
الأصمعيات : (دار المعارف ١٣٧٠)
إعجاز القرآن للباقلاني : (دار المعارف ١٩٥٤ م)
الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني : (مطبعة التقدم ١٣٢٣ م ، ومطبعة دار الكتب المصرية)
الاقتضاب لابن السيد البطليوسي : (بيروت ١٩٠١ م)
الألفاظ المعربة لأدى شير : (بيروت ١٩٠٨ م) .
أمالى ابن الشجري : (حيدر آباد ١٣٤٩)
أمالى القالى : (دار الكتب ١٣٤٤)
أمالى المرتضى : (مطبعة عيسى الحلبي ١٩٥٤ م)
أمالى اليزيدى : (حيدر آباد ١٣٦٩)

- الإمامة والسياسة لابن قتيبة : (مطبعة النيل ١٣٢٢) .
- إنباه الرواه على أنباه النجاة للقفطى : (مطبعة دار الكتب ١٩٥٠ م)
- أنساب الأشراف للبلاذرى : (دار المعارف ١٩٥٩ م)
- إيمان أبى طالب : (النجف ١٩٥٦ م - ضمن مجموعة نفائس المخطوطات)
- البداية والنهاية لابن كثير : (السعادة ١٣٢٨) .
- بغداد ، لأحمد بن طاهر المعروف بابن طيفور : (عزت العطار ١٣٦٨) .
- البيان والتبيين للجاحظ : (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦٠ م) .
- تاج العروس للمرئضى الزبيدى : (القاهرة ١٣٠٦) .
- تاريخ الطبرى : (الحسينية ، ١٣٢٦ دار المعارف) .
- تاريخ ابن الأثير = الكامل
- تاريخ بغداد للخطيب البغدادى : (مطبعة السعادة ١٣٤٩)
- تاريخ المسعودى = مروج الذهب
- تاريخ ابن الوردى : (المطبعة الوهية ١٢٨٥) .
- التبيان فى شرح الديوان للعكبرى : (مصطفى الحلبي ١٣٥٥) .
- تبيين كذب المفتري لابن عساكر : (دمشق ١٣٤٧) .
- تفسير ابن كثير : (عيسى الحلبي) .
- تقديم أبى بكر لابن حجة الحموى : (المطبعة الخيرية ١٣٠٤) .
- تكملة الفرر والدر للشريف المرتضى : (مطبعة عيسى الحلبي ١٩٥٤ م) .
- تلخيص مجمع الآداب لابن الفوطى : (مصورة معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية) .
- تنزيه الأنبياء ، للشريف المرتضى : (المطبعة الحيدرية بالنجف ١٣٥٢ هـ) .
- تنقيح المقال فى أحوال الرجال لعبد الله المامقانى : (طبع العجم ١٣٤٩) .

- تهذيب التهذيب لابن حجر : (طبع الهند ١٣٢٥).
- ثمار القلوب في المضاف والمنسوب للثعالبي : (مطبعة الظاهر ١٣٢٦).
- الجامع لأحكام القرآن لأبي عبد الله القرطبي : (طبع دار الكتب).
- الجامع الصحيح للترمذی : (بولاق ١٢٩٢).
- الجامع الصحيح للبخاري : (مطبعة عيسى الحلبي).
- الجامع الصغير للسيوطي : (مطبعة عيسى الحلبي ١٩٥٥ م).
- جمهرة أشعار العرب : (بولاق ١٣٠٨).
- جمهرة الأمثال للعسكري - على هامش مجمع الأمثال : (المطبعة الخيرية ١٣١٠ هـ).
- حاشية البكري على متن الرحبية ، في الفرائض : (طبع مصر سنة ١٣١٠).
- حلية الأولياء لأبي نعيم : (مطبعة السعادة ١٩٣٣ م).
- الحوادث الجامعة والتجارب النافعة في المائة السابعة : (طبعة المكتبة العربية ببغداد).
- الحيوان للجاحظ : (مصطفى الحلبي ١٣٥٧).
- خزانة الأداب للبغدادی : (بولاق ١٢٩٩).
- درة الأسلاك في دول الأتراك لابن حبيب الحلبي (مصورة دار الكتب رقم ٦١٧٠ ح)
- درة الفواص للحریری : (الجوائب ١٣٥٠) .
- ديوان الأخطل : (بيروت ١٨٩١ م).
- ديوان أبي الأسود الدؤلي - ضمن مجموعة نفائس المخطوطات : (بغداد ١٩٥٤ م).
- ديوان الأعشى : (فينا ١٩٢٧ م) :
- ديوان امرئ القيس : (دار المعارف ١٩٥٨ م).
- ديوان أوس بن حجر : (دار صادر بيروت سنة ١٩٦٠ م).
- ديوان البحتری : (هندية ١٩١١ م).

- ديوان بشار بن برد : (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٥٠ م).
- ديوان بشر بن أبي خازم : (دمشق ١٩٦٠).
- ديوان أبي تمام : (دار المعارف بمصر ١٩٥١ م ، بيروت ١٣٢٣ هـ).
- ديوان تميم بن المعز : (طبعة دار الكتب).
- ديوان جرير : (مطبة الصاوى ١٣٥٣).
- ديوان جميل : (دار مصر للطباعة).
- ديوان حاتم الطائي - ضمن مجموعة خمسة دواوين : (المطبعة الوهية ١٢٩٣ هـ).
- ديوان حسان بن ثابت : (الرحمانية ١٩٣٩ م).
- ديوان الخطيئة : (التقدم بالقاهرة).
- ديوان الحماسة : (شرح التبريزي : مطبعة حجازي بالقاهرة ١٩٣٨ م ، شرح المرزوقي : لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٦١ م)
- ديوان حميد بن ثور : (مطبعة دار الكتب).
- ديوان ابن حيوس : (الجمع العلمى بدمشق).
- ديوان الخنساء : (المطبعة الكاثوليكية ببيروت ١٨٩٦ م).
- ديوان دعل الخزاعي : (النجف ١٩٦٢ م).
- ديوان أبي دواد الإيادي : (بيروت ١٩٥٩ م).
- ديوان ذى الرمة : (كمبرج ١٩١٩ م).
- ديوان ابن الرومي : (مخطوطة دار الكتب رقم ١٣٩ - أدب).
- ديوان زهير بن أبي سلمى : (طبع دار الكتب ١٣٦٣ هـ).
- ديوان سحيم عبد بنى الحساس : (مطبعة دار الكتب).
- ديوان السري الرفاء : (القدس ١٣٥٥).

- ديوان السموءل : (مطبعة المعارف ببغداد ١٩٥٥ م) .
- ديوان الشريف الرضى : (مصورة دار الكتب رقم ٢٦٣٢ از ، مطبعة نخبة الأخبار بالهند ١٣٠٦ ، المطبعة الأدبية ببيروت ١٩٠٧ م)
- ديوان الشنفرى - ضمن مجموعة الطرائف الأدبية، (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٩٣٧م)
- ديوان الشماخ : (السعادة ١٣٢٧)
- ديوان أبى طالب = غاية الطالب
- ديوان طرفة بن العبد : (قازان ١٩٠٩ ، الأنجلو ١٩٥٨ م)
- ديوان الطرماح : (ليون ١٩٢٧ م)
- ديوان العباس بن الأحنف : (مطبعة دار الكتب ١٩٥٤ م)
- ديوان عبيد بن الأبرص : (مصطفى الحلبي ١٩٥٧ م)
- ديون أبى العتاهية : (بيروت ١٩١٤ م)
- ديوان العجاج : (ليسك ١٩٠٢ م)
- ديوان العرجى : (بغداد سنة ١٩٥٦ م)
- ديوان عروة بن الورد - ضمن مجموعة خمسة دواوين : (المطبعة الوهبية ١٢٩٣ هـ)
- ديوان على بن الجهم : (الهاشمية بدمشق ١٩٤٩ م)
- ديوان عمر بن أبى ربيعة : (مطبعة السعادة ١٩٦٠ م)
- ديوان عنتر بن شداد من مجموعة العقد الثمين : (ليدن ١٨٧٠ م)
- ديوان أبى فراس الحمدانى : (بيروت ١٩٤٥ م)
- ديوان الفرزدق : (الصاوى ١٣٥٤)
- ديوان قيس بن الخطيم : (مطبعة مدنى ١٩٦٢ م)
- ديوان كعب بن زهير : (طبع دار الكتب المصرية)

- ديوان لبید : (الكويت ١٩٦٢ م)
- ديوان المتنبي - بشرح العكبري : (مصطفى الحلبي ١٩٣٦ م)
- ديوان مجنون ليلى : (دار مصر للطباعة)
- ديوان المعاني للعسكري : (القاهرة ١٣٥٢)
- ديوان معن بن أوس الزنبي : (مطبعة النهضة ١٩٢٧ م)
- ديوان النابغة الذبياني - ضمن مجموعة خمسة دواوين : (المطبعة الوهية ١٢٩٣)
- ديوان أبي نواس : (العمومية ١٨٩٨ م)
- ديوان مهيار الديلمي : (طبع دار الكتب المصرية)
- ديوان ابن هاني الأندلسي : (دار المعارف ١٣٥٢ ، المطبعة الأميرية ١٢٧٤ هـ)
- ديوان الهذليين : (طبع دار الكتب المصرية)
- الذريعة إلى تصانيف الشيعة لمحمد محسن : (مطبعة النجف ١٩٣٦ م)
- الرجال للنجاشي : (طبع العجم ١٣١٧)
- رسائل أبي حيان التوحيدى : (دمشق ١٩٥١)
- الرسالة القشيرية : (الميمنية ١٣٣٠)
- رغبة الأمل من كتاب الكامل للمرصفي : (مطبعة النهضة ١٣٤٦)
- الروض الأنف للسهلي : (الجمالية ١٣٣٢)
- روضات الجنات لمحمد باقر الخوانساري : (طبع العجم سنة ١٣٠٤)
- الرياض النضرة للمحب الطبري : (المطبعة الحسينية ١٣٢٧)
- زهر الآداب للحصري : (عيسى الحلبي سنة ١٩٥٣ م)
- سر الفصاحة للخفاجي : (الرحمانية ١٩٣٢ م)

سرح العيون في شرح قصيدة ابن زيدون لابن نباتة : (مطبعة الموسوعات ١٣٢١
مدني ١٩٦٣ م)

سقط الزند : (مطبعة دار الكتب المصرية ١٩٤٥ م)

سلوان المطاع في عدوان الأتباع : (تونس ١٢٧٩)

سنن أبي داود : (مطبعة السعادة ١٩٥٠ م)

السهيل = الروض الأنف

سير أعلام النبلاء للذهبي : (مصورة دار الكتب رقم ١٢١٩٥ ح) .

سيرة ابن هشام : (مطبعة حجازي بالقاهرة ١٣٥٦ هـ)

الشافعي في الإمامة للشريف المرتضى : (طبع العجم ١٣٠١) .

الشاهنامة للفردوسي : (مطبعة دار الكتب المصرية)

شذرات الذهب لابن العماد الحنبلي : (مكتبة القدسي سنة ١٣٥٠)

شرح شواهد العيني - على هامش خزانة الأدب : (بولاق ١٢٩٩)

شرح شواهد المغني للسيوطي : (المطبعة البهية ١٣٢٢)

شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك : (مطبعة السعادة ١٩٤٧ م)

شرح نهج البلاغة لابن ميثم البجرائي : (طبع العجم ١٢٧٦)

شروح سقط الزند للتبريزي والبطايوسي والخوارزمي : (مطبعة دار الكتب ١٩٤٥ م)

الشعر والشعراء لابن قتيبة : (عيسى الحلبي ١٣٦٤)

شعراء النصرانية : (بيروت ١٩٢٦ م)

شفاء الغليل للشهاب الخفاجي : (المطبعة المنيرية ١٩٥٢ م)

صبح الأعشى للقلقشندي : (طبع دار الكتب)

صحيح الجوهرى : (دار الكتاب العربي سنة ١٩٥٦ م)

- صحيح مسلم : (مطبعة عيسى الحلبي ١٩٥٥ م)
صفة الصفوة لابن الجوزي : (حيدر آباد ١٣٥٦)
صفين لنصر بن مزاحم : (مطبعة عيسى الحلبي ١٣٦٥)
طبقات الشافعية للسبكي : (المطبعة الحسينية ١٣٢٤ هـ)
طبقات الشعراء لابن سلام : (دار المعارف ١٩٥٢ م)
طبقات الشعراء لابن المعتز : (دار المعارف ١٩٥٦)
طبقات الصوفية للسلمى : (دار الكتاب العربى ١٩٥٣ م)
طبقات فقهاء اليمن للجعدى : (مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٧ م)
طبقات النحويين واللغويين للزبيدي : (مطبعة السعادة ١٩٥٤ م)
الطرائف الأدبية لعبد العزيز الميمنى : (مطبعة لجنة التأليف والترجمة والنشر
سنة ١٩٣٧ م)
العثمانية للجاحظ : (دار الكتاب العربى ١٩٥٥ م)
العقد لابن عبد ربه : (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٧٠ هـ)
العقد الثمين فى دواوين الشعراء الستة الجاهليين : (ليدن ١٨٧٠ م)
عقد الجمان للعيني : (مخطوطة دار الكتب ١٥٨٤ تاريخ)
العلويات السبع لابن أبى الحديد : (العجم ١٣١٧)
العمدة لابن رشيق : (مطبعة السعادة ١٩٥٥ م)
عوارف المعارف للسهروردي - على هامش الإحياء : (نشرة المكتبة التجارية)
عيون الأخبار لابن قتيبة : (مطبعة دار الكتب المصرية ١٣٤٣)
عيون التواريخ لابن شاكر الكتبي : (مخطوطة دار الكتب ١٤٩٧ تاريخ)
غاية المطالب من ديوان أبى طالب : (طنطا ١٩٥١ م)

- غرر الخصاص الواضحة للوطواط : (بولاق ١٢٨٤ هـ)
الفاخر المفضل بن سلامة : (عيسى الحلبي ١٩٦٠ م)
الفاضل للمبرد : (مطبعة دار الكتب ١٩٥٦)
الفائق في غريب الحديث والأثر : (مطبعة عيسى الحلبي ١٣٦٤ هـ)
الفخرى في الآداب السلطانية لابن طباطبا : (مطبعة الموسوعات ١٣٤٧)
الفرق بين الفرق للبغدادى : (المعارف ١٣٢٨)
الفلك الدائر على المثل السائر لابن أبي الحديد : (طبع الهند سنة ١٣٠٩) .
فهرست ابن النديم : (ليسك ١٨٧١ م)
فوات الوفيات لابن شاکر : (مطبعة السعادة ١٩٥١ م)
القاموس المحيط لافيروز آبادى : (المطبعة الحسينية ١٣٣٠ هـ)
اللاالى لأبي عبيد البكرى : (لجنة التأليف والترجمة والنشر ١٣٥٤ هـ)
لزوم مالا يلزم : (مطبعة الجمالية ١٩١٥ م)
لسان العرب لابن منظور : (المطبعة الأميرية ١٣٠٠ هـ)
لسان الميزان لابن حجر : (طبع الهند ١٣٢٩ هـ)
الكامل لابن الأثير - فى التاريخ : (إدارة الطباعة المنيرية ١٣٤٨ هـ)
الكامل للمبرد : (ليسك ١٨٦٤ م ، نهضة مصر ١٩٥٦ م)
الكتاب لسيبويه : (بولاق ١٣١٦ هـ)
الكشاف للزمخشري : (مطبعة الاستقامة ١٩٥٣ م)
كشف الظنون لحاجى خايفة : (طبع إستانبول سنة ١٩٤٣ م)
الكناية والتعريض للثعالبي : (مطبعة السعادة ١٩٠٨ م)
ما هو نهج البلاغة ، للسيد هبة الله الشهرستانى : (مطبعة العرفان بصيدا)

- مجمع الآداب لابن الفوطى : (ترجمة ابن أبى الحديد فى ذيل الجزء الرابع من شرح نهج البلاغة طبعة الحلبي سنة ١٣٢٩ هـ)
- المثل السائر لابن الأثير : (مصطفى الحلبي ١٣٥٨ هـ)
- مجمع الأمثال للميداني : (مطبعة السنة المحمدية ١٩٥٥ م)
- مجموعة خمسة داووين : (المطبعة الوهيبية ١٢٩٣)
- مجموعة المعاني : (الجوائب ١٣٠١)
- الحاسن والمساوى للبيهقي : (نهضة مصر ١٩٦١ م)
- محاضرة الأبرار لابن عربى : (مطبعة السعادة ١٩٠٦ م)
- محاضرات الأدباء للأragب الأصفهاني : (الشرقية ١٣٢٦ هـ)
- المختار من شعر بشار للخالدين : (الاعتماد ١٣٥٣ هـ)
- مختارات ابن الشجرى : (الاعتماد ١٩٢٥ م)
- مرآة الجنان لليافعى : (طبع الهند ١٣٣٤ هـ)
- مرصد الاطلاع لعبد المؤمن بن عبد الحق البغدادي : (مطبعة عيسى الحلبي ١٩٥٤ م)
- مروج الذهب للمسعودى : (مطبعة السعادة ١٩٤٨ م)
- المشتبه فى أسماء الرجال للذهبي : (مطبعة عيسى الحلبي ١٩٦٢ م)
- المعارف لابن قتيبة : (المطبعة الإسلامية ١٣٥٣ هـ ، مطبعة دار الكتب ١٩٦٠ م)
- معاني الشعر لابن قتيبة : (طبع الهند سنة ١٩٤٩ م)
- معاهد التنصيص للعباسى : (مطبعة السعادة ١٩٤٧ م)
- المعتمد لابن رسولنا الغساني : (المطبعة الميمنية ١٣٢٧ هـ)
- معجم الأدباء لياقوت : (نشرة دار المأمون ١٩٣٦ م)
- معجم البلدان لياقوت : (مطبعة السعادة ١٣٢٣ هـ)

- معجم الشعراء للمرزباني : (عيسى الحلبي ١٩٦٠ م)
معجم ما استعجم للبكري : (لجنة التأليف ١٣٦٤ هـ)
المعلقات - بشرح التبريزي : (مطبعة مدني ١٩٦٢ م)
مغازي الواقدي : (برلين ١٨٨٢ م)
مغني اللبيب لابن هشام : (نشرة المكتبة التجارية)
المفردات لابن البيطار : (طبع بولاق)
المفضليات : (دار المعارف بمصر ١٩٥٢ م)
مقاتل الطالبين لأبي الفرج الأصفهاني : (مطبعة عيسى الحلبي ١٣٦٨ هـ)
مقاييس اللغة لابن فارس : (عيسى الحلبي ١٣٦٨ هـ)
مقصورة ابن ديد : (مصر ١٣١٩ هـ)
الملل والنحل للشهرستاني : (مطبعة مخيمير ١٩٥٦ م)
المنتخب من كفايات الأدباء للجرجاني : (مطبعة السعادة ١٩٠٨ م)
المنتظم لابن الجوزي : (طبع الهند ١٣٥٧ هـ)
المنهاج لابن جزلة الطيب : (مخطوطة دار الكتب برقم ١٠٧ - طب)
المؤتلف والمختلف للآمدي : (عيسى الحلبي ١٩٦١ م)
الموشح للمرزباني : (السلفية ١٣٤٣)
النجوم الزاهرة لابن تغري بردي : (مطبعة دار الكتب ١٣٤٨)
نسب قريش المصعب بن عبد الله الزبيري : (دارالمعارف ١٩٥٣ م)
نسمة السحر في ذكر من تشيع وشعر ، ليوسف بن يحيى الصنعاني : (مصورة دار
الكتب رقم ١٣٨٤٩ ح)
نقائض جرير والفرزدق : (ليدن ١٩٠٥ م)

النكت المصرية في أخبار الوزراء المصرية لعمارة اليمنى : (باريس ١٨٩٧ م)

نهاية الأرب للنويرى : (طبع دار الكتب)

النهاية في غريب الحديث والأثر لأبى السعادات المبارك بن محمد الجزرى المعروف بابن الأثير

(المطبعة العثمانية ١٣١١)

نوادر أبى زيد : (بيروت ١٣٤٤)

الهاشميات للكميت : (شركة التمدن ١٣٣٠)

وفيات الأعيان لابن خلكان : (المطبعة الميمنية ١٣١٠)